الكشكول

تأليف

الشيخ حسين بن محمد آل عصفور

تقديم

الدكتور عبد الهادي الفضلي

تحقيق

عبد الغني العرفات

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الكشكول

تأليف

الشيخ إبراهيم بن مهدي آل عرفات

تقديم

الدكتور عبد الهادي الفضلي

مكتبة لسان العرب

تحقيق

عبد الغني العرفات

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

مكتبة لسان العرب
أ علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٤

مؤسسة أُم القرىٰ للتحقيق والنشر

الكشكول

الشيخ ابراهيم بن مهدي آل عرفات

تحقيق : عبد الغني العرفات

الطبعة : الأولىٰ (شوّال ١٤١٨ هـ. ق) .

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمحقّق

تقديم

العلامة / الدكتور عبد الهادي الفضلي

من ظواهر التأليف المعروفة عند العلماء العرب ظاهرة تأليف المجموعات التي تحتوي معارفَ شتىٰ ، قد تلتقي تحت عنوان علمٍ من العلوم وقد لا تلتقي ، فتأخذ وصف متفرقاتٍ جَمَعَ بينها الكتاب .

ويُعرف النوع الأول باسم (التذكرة) ، والثاني باسم (الكشكول) .
والتذكرة دفتر يُدوِّن فيه العالم المختص نوادر وشوارد دقائق ونكاتِ علمه الذي أختص به ، يرجع إليه ليستفيد المهم ويستخرج الجيد ، ينتفع به في البحث والدرس .

والكشكول ـ هو الآخر ـ دفتر يدون فيه المثقف أشتاتاً من المعارف ، وأفراطاً من المعلومات ، يرجع اليه للترويح عن النفس ، وإراحة الذهن من عناء التفكير ، ويستفاد من محتوياته في مجالي البحث والمراجعة .

وكثر التأليف في هذا النمط الثاني من نمطي المجموعات الثقافية المعروفة بالكشكول في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين .

ويرجع هذا الىٰ عاملين مترابطين :

١ ـ كثرة التأليف ـ بشكل عام ـ في هذه الحقبة من الزمن .

٢ ـ شيوع ظاهرة الجمع في عالم التأليف في جل المؤلفات التي صدرت في هذه الحقبة . فقد كُتب في هذا المجال العشرات من الكشاكيل .

ومنها : هذا الكشكول الذي بين يدي القارئ الكريم ، وهو من تأليف

عالمٍ وأديبٍ من أعلام حاضرة القطيف ، هو الشيخ ابراهيم عرب آل عرفات القديحي القطيفي .

وقد أكثر فيه من تدوين الشعر ، في هدي ذوق أدبي مميّز ، وحسٍ شاعري رقيق ، في الاختيار والانتقاء .

ولعل هذا لأنه شاعر منحته موهبته الشعرية ، وتفاعله مع الشعر قراءةً ونظماً ، هذا الذوق وذلك الحس .

وركّز في مختاراته الشعرية علىٰ لون مهم من ألوان الشعر ، هو الغزل .

وقد يعود هذا الاحتفال الغزل بأجمل وأروع مافي الشعر من صور جمالية ، تثير العواطف ، فتفعل بالالباب مفعول السحر .

وغطّىٰ في اختياراته عصور الأدب العربي منذ الجاهلية حتىٰ عصره وساعده علىٰ هذا كثرة تنقلاته وأسفاره مما أتاح له الاطلاع علىٰ دواوين الشعراء العرب المتفرقة هنا وهناك ، والالتقاء بالأدباء والعلماء المنتشرين في ربوع البلاد الاسلامية ، والدخول الىٰ مكتبات غير قليلة في الحواضر العلمية ، حافلة بالكتب المراجع في العلم والأدب وألوان المعرفة الأخرى .

كما ساعده علىٰ ذلك ما كانت تشهده القطيف منذ القرن الثاني عشر الهجري من انطلاقةٍ علمية وأدبية بعد زمنٍ من الركود غير قصير ، ومن طبيعة الانطلاق شحذ الهمم وتفتيح الأفاق الذهنية وخلق الجو الثقافي الذي يعيش في ظلاله المنطلقون فيكثر العطاء ويكثر الانتاج .

وفي أيامنا هذه ـ ونحن نعيش الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري ـ حيث نرافق انطلاقة إحياء التراث تحقيقاً ونشراً في حاضرة القطيف الثقافية يقوم الأستاذ عبد الغني عرفات ـ من أسرة المؤلف ـ بتحقيق هذا الكتاب

(كشكول القطيفي) وفاءً لِعَلَم من أعلام أسرته ، وخدمةً للوطن والفكر ، فواصل الجد وبذل الجهد في التحقيق والتعليق والاخراج ، فكانت هذه الثمرة الماثلة التي يقدمها مرجعاً أدبياً ينضم الىٰ نظائره في قوائم المكتبة العربية ، والتي سيفيد منها الباحثون في الأدب العربي : التاريخ والنقد والمطالعة .

شكر الله سعيه ووفقه لمزيد من أمثال هذا الانجاز النافع ، إنه تعالىٰ ولي التوفيق ، وهو الغاية .

الكشكول للشيخ إبراهيم آل عرفات القطيفي

بقلم : عبد الخالق عبد الجليل الجنبي

لعل أقدم مؤلف وسم كتاباً له باسم الكشكول هو العلامة جمال الدين الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي المعروف بالعلامة الحلي أو العلامة على الإطلاق ـ توفي سنة ٧٢٦ هـ ـ، الذي ينسب إليه كتاب (الكشكول فيما جرىٰ لآل الرسول) ، والذي قد ينسب أيضاً لمعاصره السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي ، وقد طبع هذا الكتاب في النجف الأشرف عام ١٣٧٢ هـ .

ولم يشر محمد بن إسحاق النديم في كتابه الفهرست ، ولا الشيخ الطوسي في فهرسه ، ولا حتى حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون إلىٰ كتاب يحمل نفس الاسم مطلقاً ، وإنما استدرك صاحب كتاب إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون بكتابين فقط يحملان نفس الاسم ، أقدمهما هو هذا الذي تكلمنا عنه هنا .

وإذا ما أطلق لفظ الكشكول علىٰ كتاب ما فإن أكثر ما يتبادر إلىٰ الذهن هو كتاب الكشكول للشيخ البهائي ـ توفي عام ١٠٣١ ـ، الذي نال شهرة منقطعة النظير ليس علىٰ مستوى الكشاكيل وحسب ، بل وحتى على مستوى نشر الكتب العربية عامة ، فقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة ، وتم إعادة طبعه مرات عديدة ، حيث أن أول طبعة له كانت طبعة طهران عام ١٢٦٦ هـ . علىٰ الحجر ، ثم طبعة بولاق الأولى في القاهرة عام ١٢٨٨ هـ، وهي طبعة فيها الكثير من التحريف والنقص ، ثم طبع في إيران عام ١٢٩١ هـ في خمسة مجلدات ، ثم أعيد طبعه في

المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٠٢ هـ، فطبعة المطبعة الشرفية في نفس العام ، ثم تلتها طبعة المحمودية في عام ١٣١٨ هـ ثم أعيد طبعه في بولاق أيضاً في المطبعة الميمنية عام ١٣٢٩ هـ، ثم أعادت دار إحياء الكتب العربية ـ مكتبة عيسىٰ البابي الحلبي ـ طبعه بتحقيق الطاهر أحمد الزاوي مفتي اجمهورية الليبية في مجلدين أشار فيهما إلىٰ التحريف والبتر المتعمد من قبل ناشري الطبعة المصرية ـ راجع الصفحة ١٩٧ من الجزء الأول ، وكذلك المقدمة ـ.

ومنذ أن طبع الكشكول نال شهرة مدوية ، وتداولته أيدي أهل الأدب بالقبول الحسن ، وكتب الكثير من الأدباء فيما بعد كتبا وسموها بنفس الاسم ، ومنهم من أضاف إليها تذييلات سجيعه أو تكميلية إلىٰ غير ذلك ، وكلها لو تمعنا فيها بما فيها كشكول البهائي نفسه لا تخرج عن حيز كتب المختارات الأدبية الشهيرة في كتب التراث العربي ، ككتاب نثر الدر للآبي وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ، وغيرها مما يشبهها كثير وكثير .

ومن كتب الكشاكيل التي نسجت علىٰ هذا المنوال الذي ذكرنا هو كتاب الكشكول للشيخ إبراهيم آل عرفات القديحي القطيفي المتوفى بعد سنة ١٢٣٧ هـ، الذي فات علىٰ صاحب كتاب الذريعة ﵀ تسجيله ضمن الكشاكيل التي ذكرها في كتابه الرائع هذا ، والذي يعتبر بحق أفضل كتاب جامع لكتب الشيعة علىٰ الإطلاق جمعا وتحقيقا وفهرسة ، ولكم كان سروري عظيماً عندما علمت أن أحد اقرباء هذا الشيخ ، وهو الأستاذ عبد الغني آل عرفات قد عثر علىٰ نسخة للجزء الأول من هذا الكشكول في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وأنه قام بإحضارها ونسخها علىٰ جهاز الحاسب الآلي تمهيداً لنشرها كذكرىٰ طيبة لهذا

الشيخ الجليل ، ثم مما زاد امتناني للأستاذ الكريم أنه اختصني بمهمة مراجعة الأخطاء اللغوية والأدبية في هذا الكتاب ، وتوثيق بعض نصوصه ، ولا أقول كلها إذ أنه قام بالكثير في سبيل إنجاز هذه المهمة الشاقة التي لا يعرفها حق المعرفة إلا من مارسها حق الممارسة .

وإذا أترك للقارئ الكريم تقييم مستوى هذا الكتاب كلا حسب ذوقه الخاص به ، فإني لن أبالغ كثيراً في مدح هذا الكتاب أو إطرائه ، ففيه حسناته ولا يخلو في نفس الوقت من بعض المؤاخذات الأدبية والتاريخية ، أما الأدبية فلأنه ضم بين دفتيه ـ ونحن نتكلم عن الجزء الأول فحسب ـ الكثير من الشعر الركيك ، والقصص التي لا تهم القارئ كثيراً كقصة يوسف ، وقصة الملك سيف وقصة مالك وتغلب ... الخ ، وأما الناحية التاريخية فلأن المادة القطيفية فيه قليلة جداً ، بل تكاد تكون معدومة باستثناء الشيء النزر ، والذي لا يشفي غليلاً ولا يبل صدى ـ على الرغم من أن المؤلف قد وعد ، وكما أشار الأستاذ عبد الغني في ترجمته إلىٰ أنه سوف يورد أشعاراً لآل أبي ذيب الخطي القطيفيين ، ولكننا للأسف الشديد لم نجد ذلك في هذا الجزء ولعل المؤلف قد ذكر ذلك في الجزء الثاني المفقود حاليا ، والذي نتمنىٰ العثور عليه سريعاً لإكمال هذا الجزء به ، وأن تكون المادة القطيفية فيه أكثر بكثير مما هي عليه في الجزء الأول ، فلقد عانت القطيف قديما وحديثا من جحود أبنائها ومثقفيها لها ولتاريخها المليء بالأحداث والبطولات ، ويكفينا دلالة علىٰ ذلك أن نشير إلىٰ أن كتاباً واحداً قد وصل إلينا من القرن السابع الهجري وهو شرح ديوان ابن مقرب العيوني قد حمل بين دفتيه تاريخاً وأخباراً كثيرة عن دولة حكمت هذه المنطقة لأكثر من قرن ونصف القرن ، وما كنا لنعلم عنها شيئا لولا هذا الديوان وشرحه مع العلم أنه

لا يعدو كونه شرحا لبعض أبيات أو قصائد معدودة لهذا الشاعر بالرغم من عدم استيفاء شارح هذا الديوان لكل ماورد فيه من أخبار ، وإشارات إلىٰ أحداث تاريخية وقعت في تلك الفترة أو قبلها بكثير أو قليل ، ولا ننسى أيضاً قصور أغلب النسخ التي رجع إليها محققوا هذا الديوان وناشروه ، وهذا ما يجعلنا نلح في إعادة نشر هذا الديوان وطبعه طبعة أكمل مما هو عليه الآن ، وذلك بمحاولة جمع أكبر عدد ممكن من نسخ هذا الديوان المتفرقة في كافة أنحاء المعمورة ، والتي هي أكثر بكثير من النسخ التي رجع إليها الناشرون والمحققون لهذا الكتاب ، ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله تعالىٰ .

كما أنني أود الإشارة هنا إلىٰ رؤية تفتقر إلىٰ شيء من الدقة في قول الشيخ في كتابه الكشكول هذا أن بلدنا القطيف لم تشهد شعراء كمثل ابن المقرب العيوني ، والشيخ جعفر الخطي ، ـ راجع الصفحة ـ بل إن القطيف قد شهدت شعراء أشعر بكثير وكثير من ابن المقرب والخطي بالرغم من قوة شعر هذين الشاعرين وشهرتهما التي يرجع السبب فيها إلىٰ بقاء ديوانيهما وطبعهما ، فقد شهدت هذه المنطقة شعراء أفذاذ كانت لهم بصمات واضحة في رفع راية الشعر العربي في الجزيرة العربية كالمثقب العبدي والممزق العبدي والمفضل العبدي والأعور الشني وخليد عينين العبدي والحسين بن ثابت الجذمي العبدي ، وقبل هؤلاء جميعاً طرفة بن العبد البكري ، وغيرهم من شعراء تميم والأزد وعبد القيس ، ممن لا نطيل بذكرهم حيث أنني أردت التدليل فقط علىٰ ما ذهبت إليه من أن القطيف قد شهدت بالفعل شعراء أكثر فحولة في الشعر من هذين الشاعرين الكبيرين .

كما أنني أود أن أسجل هنا بأنني لا أخفي إعجابي الشديد برأي الشيخ

الجريء والسليم عندما تكلم حول أصل المثل المشهور (حديث خرافة) ، وتعرض لكل الأقوال التي نسبت كذباً وزوراً إلىٰ الرسول الأعظم محمد ﷺ في ذلك مفنداً لها وقادحاً فيها ، ثم لا أنسىٰ تعليقته الشهيرة التي ختم بها رؤياه بقوله بما هو تفسيره أن اللغة العربية من حيث كونها لغة سابقة لقواعدها ومقاييسها ، والتي إنما جاءت متأخرة عن عصر تكوين اللغة ، ومن وضع دارسيها والمهتمين بها لا أكثر ، وهو رأي يشكر الشيخ عليه ، ولو أننا سمعناه من منظري علم اللغات في عصرنا هذا الصفقنا له طويلا ، ولم نخف آهات الإعجاب والرضا بهذا القول ، فكيف وهو قد صدر من عالم كان موجوداً قبل قرن ونيف من الآن ، وفي زمن اتفق الكل علىٰ أنه زمن انحطاط في عالم الأدب العربي ولغته الجميلة ، وهو في نفس الوقت يدل علىٰ مدىٰ ما وصل إليه هذا الشيخ الجليل من جودة الرأي وسمو التفكير .

وأود أن أشير في الأخير إلىٰ أن سبب سروري الذي أعربت عنه في مقدمة حديثي هنا بقيام الأخ عبد الغني بنشر هذا الكتاب وتحقيقه هو إحساسي بأن ذلك هو عبارة عن لبنة أولىٰ في إخراج التراث القطيفي المطمور ، وأقصد بهذا التراث المعنى العام لهذه لاكلمة التي تخرج بنا عن حيز النطاق المألوف في نشر بعض هذا التراث ، والمتمثل في ما أخرج حتىٰ الآن والذي يصب جله في المضمار الفقهي ، والعقائدي البحت ، مع علمنا الأكيد أن إخراج التراث لأي بلد هو أكبر بكثير من أن يحد أو يحصر في مجال واحد فقط ، بل إن له أكثر من مجال وأكثر من مدى ، وكل مجال يكمل الآخر ، وهذا مما لا شك فيه مطلقاً ، لهذا كله كان سروري بإخراج هذا الكتاب ، مع العلم أنه لا يحقق مما ذكرنا آنفاً إلا الشيء القليل ، إلا أن هذا الشيء القليل كما سبق وأشرنا ماهو إلا لبنة أولىٰ

تتبعها لبنات بإذن الله تعالىٰ ، ونرجو أن تكون ثاني هذه اللبنات هو العثور علىٰ الجزء الثاني من هذا الكشكول ، وإلحاقه به ، ثم يتوالىٰ بعد ذلك إخراج الكثير من الكتب التراثية وما أكثرها في داخل القطيف وحدها فضلاً عن خارجها .

وأما عن الأخطاء التي قمت بإصلاحها ، وكان نصيبنا منها الكثير وخصوصاً في أبيات الشعر فقد رجعت في ذلك إلىٰ مضان هذه الأشعار من دواوين وأمهات الكتب في الأدب العربي لإصلاح ما في هذا الشعر من أغلاط عروضية أو لغوية أو تحريفية ، فبعضها أشير إليه في موضعه ، والبعض الأخر لم نشر إليه اكتفاء بشهرته ومعرفة الكثير من القراء العاديين فضلاً عن الأدباء له ، وكذلك الحال بالنسبة للنثر المأثور ، وأما غير المأثور فقد أصلح بناء علىٰ ما يتطلبه الذوق الأدبي والحس اللغوي السليم .

وأما عن وصف هذا الكتاب وما حوىٰ فإني أتركه لناشره ومحققه الأستاذ عبد الغني آل عرفات الذي قضىٰ معه فترة طويلة في نسخة وكتابته وتحقيقه ووضع تراجمه ، والذي أقترحه عليه إن كان لاقتراحي محل من القبول هو وضع فهارس عامة لأعلام الأشخاص والجماعات والأماكن ، وأن يحاول قدر الإمكان ترك مايجده من لاقواعد الكتابية الإملائية ، والتي قد يظن أنها كتابات خاطئة إملائياً ، ولكنها في الواقع تخضع لقاعدة إملائية قديمة كانت متبعة ألا وهي قاعدة (الكتابة حسب النطق) ، ولكن هذه بطبيعة الحال لا ينطبق علىٰ كل النصوص من مثل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية المعروفة ، وإنما يصلح تطبيق ذلك علىٰ القصص الشعبية مثلا ، وما ورد فيها من أشعار شعبية ، وهو كثير إذ أن المحافظة علىٰ كتابة النص كما هو في المخطوط ـ وفقط في المادة التي ذكرناها للتو ـ يعطينا مادة خصبة لدراسة ما كانت الكتابة

عليه في ذلك العصر ، ومعرفة بعض القواعد الإملائية التي كان أهل ذلك العصر يطبقونها في كتاباتهم من مثل عدم الاهتمام بقواعد الألف المقصورة والممدودة وهو كثير في المخطوط ، أو مثل دمج الاسم المركب ككتابة (حسن علي) بهذا الشكل (حسنعلي) وخصوصاً في منطقة القطيف وما حولها ولا شك أن لذلك فائدة فيما لو تصدىٰ لها من يهتم بدراسة هذه الظواهر الإملائية المعروفة .

ذلك ما كنا نبغي ، والله من وراء القصد .

عبد الخالق عبد الجليل الجنبي

القطيف ١ / ٣ / ١٤١٨ هـ

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ محمدٍ وآله الطاهرين .

بين يديك عزيزي القارئ أثرٌ نادرٌ ، كادت الأيام أن تمحو ما بقي من رسمه ، لمؤلفٍ ظلت سيرته وحياته مستورةً عشرات السنين إلا القليل القليل منها ، إلىٰ أن قُدّر لي أن أتعرّف علىٰ مكان وجوده ، فعقدتُ العزمَ علىٰ الحصولِ عليه ، وقد وُفقتُ لذلك ولله الحمد ، وكان هدفي الأول استخراج ترجمةٍ للمؤلفِ لمعرفتي بطبيعة الكشاكيل لما تحتويه من سيرة مؤلفيها ، ولكن وجدتني أمام كتابٍ أدبيٍ ، ليس له من القيمة العلمية الكبيرة ما يجعل المحققين يتهافتون علىٰ تحقيقه ، لا سيما وأن المؤلف غير معروف لكثيرٍ منهم ، فساورتني الرغبة في تحقيقه مع قلة بضاعتي ، وقد وجدتها.فرصة أن أسوح سياحةً أدبيةً يتقوّم بها اللسان وتقوى بها العبائر ، فأخذت أجمع الدواوين والكتب الأدبية من هنا وهناك وبدأت العمل علىٰ بركة الله ، وقد قمتُ أولاً بتبييضه لصعوبة كتابته مباشرة من صورة المخطوط في (الكمبيوتر) ، وقد كان العمل شاقاً والمعاناة كبيرة إذ أن ماعندي هو صورة المخطوط والتي كانت رديئة جداً ، كما أن خط المؤلف لم يكن من الجودة بمكان ، لذا لابد لي من الإشارة إلىٰ جملة التعديلات والإدخالات التي نالت الكتاب ، وهي في مجالين :

أولاً : الأمور الفنية والتي تمثلت في :

١ ـ وضع العناوين الرئيسة والفرعية والتي تجعل الكتاب أكثر تنظيماً

ورونقاً وقد جهدت ما استطعت إلىٰ وضع هـذه العـناوين كـلما وجـدت مـا يستحق أن يجمع تحت موضوع واحد ، وقد أشرت لهذه العناوين بوضع نجمة صغيرة دلالةً على أن هذه العناوين من وضعي .

٢ ـ وضع علامات الترقيم .

٣ ـ تخريج الروايات والأحاديث ، ونسبتها إلىٰ مصدر من المصادر .

٤ ـ الإشارة إلىٰ رقم الآية والسورة في الحاشية .

٥ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في تضاعيف الكتاب والتي رأيت أن هناك ضرورة وحاجة للتعريف بهم .

ثانياً : الأمور المتعلقة بتحرير وتقويم مادة الكتاب والتـي تمثلت في :

١ ـ إضافة بعض الأحرف أو إنقاصها ـ وستجدها مشارا اليها بخاصرتين أو في الحاشيه ـ وخاصة في الأشعار ليستقيم وزن البيت ، وإنك ستجد بـعض الأبيات غير مستقيمة الوزن وذلك لأنه أعياني تصحيحها ، ولا سيما أنها مجهولة القائل فيتعذر الرجوع إلىٰ مصدرها .

٢ ـ وضع الألف الفارقة في بعض الأفعال أو حذفها .

٣ ـ كان المؤلف يستعمل تسهيل الهمزة بكثرة وقد قمت بإعادة الهمزة إلىٰ وضعها الطبيعي غالباً لا سيما في المواضع التي رأيت فيها ثقلاً علىٰ القارئ .

٤ ـ تصحيح بعض الألفاظ العامية بحذف حرف أو إضافته لتعود فصحىٰ .

٥ ـ قلب الألف المقصورة ألفاً ممدودة أو العكس ، وربما يعود هذا إلىٰ تأثر المؤلف بالرسم القرآني .

٦ ـ وضع عوض بعض الألفاظ والتي تكون مطموسة في المخطوط أو

غير واضحة البتة .

٧ ـ نقط أفقية إشارة لوجود كلمة تعذر قراءتها ، أو أنها ناقصة من أصل المخطوط .

٨ ـ إثبات ألف كلمة (ابن) والتي كان المؤلف غالباً يهملها ، أو حذفها إذا كان وضعها غير صحيح .

٩ ـ الإشارة لإختلاف الرواية في الشعر وذلك في القصائد الطوال للشعراء الذين توفّرت لديّ دواوينهم . وكذلك نسبة بعض الأشعار إلىٰ قائليها .

وقد فضلت في كل ما سبق أن أثبت الصحيح في المتن وأشير إلىٰ المصحح في الحاشية ، حتىٰ لا يُزعج القارئ بها .

وربما قمت ببعض الإصلاحات ولم أشر إليها من قبيل سهو المؤلف بوضع ضمير مكان ضميرٍ آخر وهكذا .

هذا وإنك ستجد بعض التعليقات هنا وهناك ، حسب ما يناسب المقام أو يقتضيه الحال .

وأما عن مواصفات هذاالمخطوط والذي أشرت له في الحواشي بـ(م ك) فهي كما يلي :

١ ـ رقم المخطوط : ٥٥٠٧ : مكتبة مجلس الشورىٰ ـ طهران .

٢ ـ الخط : رقعي مضطرب .

٣ ـ عدد الأسطر : ٢٣ سطراً غالباً .

٤ ـ عدد الأوراق : ٢١٣ ورقة ، وهو ناقص من أوله من ص ٢ إلىٰ ص ١٢ .

والمخطوط موجود ضمن مجلد أوله وآخره فقه والكشكول في وسطه .

وأخيراً أوجه شكري وامتناني لسماحة العلامة الدكتور الفضلي الذي

تفضل عليّ واعطاني الكثير من وقـته وذلك بـمطالعة الكـتاب والتـدقيق فـي عباراته ، وقد اتحفني بجملة من الملاحظات فله جزيل الشكر ، وكذلك أقدم شكري لكل من امدَّ لي يد العون والمساعدة ، لا سيما الأخـوين الفـاضلين : الأستاذ عبد الخالق الجنبي والأستاذ علي البيك ، والذي كان للأول منهما الفضل الكبير في تتمة بعض الأبيات واصلاحها ـ لما يتميز به من حافظة شعرية وذوق أدبي رفيع ـ ، فقد كانت بعض الأبيات ناقصة أساساً من المـخطوط ، أو أنـها مطموسة تماماً ، ولذا فقد أجهد الأستاذ نفسه في قراءة الكتاب كاملاً وسدَّ تلك الثغرات مشكوراً .

وكذا الأستاذ الفاضل ـ علي البيك ـ الذي تجشـم العناء في مراجعة مبيضة الكتاب في صورته الأخيرة قبل الطبع ، وتتبع مالعله قد فاتني من ترجمةٍ لشاعر ، أو تعليقٍ لابد منه إلىٰ غير ذلك من الأمور التي تساعد في إظهار الكتاب بصورة جيدة .

بين يدي الكشكول

لابد لنا ونحن نقدم الكتاب للطبع ـ لأول مرة ـ من الوقوف على محتوى الكتاب بنظرة تقيمية ، نستفيد منها في مختلف جوانب البحث : التاريخية ، أو النقدية ـ شعراً ونثراً ـ ، أو غير ذلك من جوانب مشتتة ، تفيد الباحثين ، وتساعدهم في الكشف عن شخصية المنطقة في فترةٍ من الفترات .

● **تقسيم الكتاب :**

ينقسم الكتاب عموماً الى قسمين ـ غير منفصلين ـ كبيرين : احدهما الشعر ، وهو يشكل القسم الأكبر اذ يشكل اكثر من نصف الكتاب بقليل ، تناول فيه المؤلف الشعر من صدر الاسلام ـ مع شيءٍ يسير من الشعر الجاهلي ـ حتى عصره ، وقد أكثر من النقل عن كتب مشهورة تهتم بالشعر والشعراء ، مثل كتاب (يتيمة الدهر) و (ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي) و (سلافة العصر) و (ديوان الصبابة لابن أبي حجله) وغيرها ، ونقل كذلك عن كشكول الشيخ البهائي ـ في أكثر من ثلاثين موضعاً ـ ، وكذا عن (سلوة الغريب) لابن معصوم في أكثر من أربعين موضعاً . وكان أغلب ما يورده في فن الغزل ، والتغرب وحب الوطن والمعارف الصوفية والعرفانية ، ربما لأنها الجوانب التي تمس حياته من قريب ، يقول رحمه الله بعد أن اورد هذين البيتين :

نيلُ المعالي وحبُّ الأهلِ والوطنِ ضدّان ما اجتمعا للمرء في قرنِ
إنْ كنتَ تطلبُ عزّاً فادّرع تعباً أو فارض بالذلِ واختر راحة البدنِ

(... الضدان لا يجتمعان ، وقد يرتفعان ، مثل نيل المعالي وحب الأهل والوطن ، فإنهما قد ارتفعا عن الحقير ـ يقصد نفسه ـ فإن المراد بالحب عدم التغرّب والمهاجرة ، لا المعنى المصدري فقط ، فإنه لا يزايله أحد) ، فهو هنا يقصد أنه لم يحصل على الاثنين : الجلوس في الوطن ، ونيل المعالي .

وقد أورد اشعاراً لكثيرٍ من الشعراء ، قد ضنّ الزمان بدواوينهم ، أو قلّ وندر الحصول عليها ، كالشاعر خاطر السرميني ، وغانم المخزومي ، وجعفر بن الحاج المورقي ، وزفر بن الحارث بن معاذ ، وظافر الحداد ، وغيرهم .

وبما أن الهدف في نظر المؤلف من تاليف الكتاب تمرينه على باب الادب ، فانه كان يعلق تعليقات خفيفة وراء أغلب القصائد والمقطوعات .

وأورد أشعاراً باللهجة الدارجة ، ولكنها قليلة جداً ، نعم تكثر هذه الأبيات الدارجة ضمن القصص والحكايات ، كما سأشير لاحقاً .

وهناك نوادر شعرية ، اعتقد انه ربما تفرد بنقلها ـ أو قل من نقلها ـ ، فحفظها لنا من الضياع ، كـ (معركة الخميس الادبية) من مجموعة الشيخ خليل بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس البلاغي ، وشعر الشاعر النجفي الشيخ محمد رضا بن الشيخ احمد النحوي المعاصر له ومما يؤسف له أن المؤلف وعد بايراد شعر لآل أبي ذئب لكني لم أجد شيئاً مما وعد .

وقد أكثر من النقل لشعراء معينين كالطغرائي وابن المقرب وأبي حيان الاندلسي النحوي .

وأما النثر فهو عبارة عن قطع كبيرة ـ لها أسماء ـ كـ (قصة يوسف) و(قصة سيف بن ذي يزن) و (قصة هلال) و (مسائل مهنأ بن سنان) وغيرها ، أو منثورات طويلة تشتمل على وحدة موضوعية ، قمت بوضع عناوين لها ،

كـ (حديث العشق والعاشقين) و (حكايات متفرقة) و (تـراكـيب لصـناعة الحبر) ، أو متفرقات يصعب وضع عنوان يجمعها .

وقد كان يقتصر علىٰ مجرد السرد دون أن يعلق بشيء في القطع الكبيرة ، بل لم يسند هذه المقطوعات الىٰ مصدرها ، كما هو الحال في قـصة يـوسف وقصة هلال ، نعم كثرت تعليقاته في باب حديث العشق والعاشقين ، وهو من أروع ما كتب في هذا الكشكول ، اذ فيه تحقيقات شيّقة ، ومعلومات فريدة ، وقد أكثر فيه من النقل عن ابن العربي (الشيخ الأكبر) ، وغيره ـ من أهل الأسرار كما كان يعبر ـ من عرفاء وصوفية ، وكذلك هو الحال في الشعر .

ولكـثره المـوضوعات الأدبـية ، التـي نـقلها ، يكـاد يـختفي فـي البـين الموضوعات الأخرى ، كالمسائل الفقهية ، كمسائل مهنأ بـن سـنان الحسـيني المدني للعلامة الحلي ، والتي نقلها من خط السيد علي (نور الدين) بن السيد علي بن أبي الحسن الموسوي الجبعي (ت ١٠٦٨ هـ) ، ومسألة تيقن الطهارة والشك في الحديث ، للمحقق الحلي .

● القيمة التوثيقية للكتاب :

القيمة الكبرى للكتاب ـ في نظري ـ بعد الجـوانب الأخـرىٰ المـذكورة سلفاً ، هي : المعلومات الخاصة بحياة المؤلف ، التي كشفت النقاب عن سيرته التي كانت مجهولة عشرات السنينَ ، يُلحق بها أيضاً ، مشاهداته ومروياته عن المناطق التي زارها ، وليست بالقليلة ، فقد استقر وسكن في النجف الأشرف ١١ عاماً من ١١٩٦ هالىٰ ١٢٠٧ هـ ، ثم بدأ سياحته في البلاد ١٤ عاماً ـ كما ذكر هو ـ ، حتىٰ عام ١٢٢١ هـ ـ تاريخ الانتهاء من كتابة الكشكول في دمشق ـ زار خلالها : وطنه القطيف ماراً به للحج ، والحجاز حاجاً ـ أكثر من مرة ـ ومجاوراً ، واليمن

مدة متطاولة ، ومسقط ـ أكثر من مرة ـ ، ونجد ، والبصرة والحويزة ، وفارس (شيراز) ، وبندر عباس ، وخراسان ، ولبنان ، وسوريا ، وتعقب هذا التاريخ فترة مجهولة من حياته ﷺ ، تيتمر حتىٰ عام ١٢٣٧ هـ ـ تاريخ الانتهاء من كتابه شرح الكفاية السبزوارية في خراسان ـ وهي ١٦ عاماً ، ثم فترة مجهولة أخرىٰ من عام ١٢٤٤ هـ ـ تاريخ كتابة الجزء ٦ من كتاب هدي العقول في شرح الاصول (أصول الكافي للشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار ، الذي علق عليه الشيخ ابراهيم ﷺ ـ ، ولأغلب المناطق التي زارها قصة مرتبطة به أو بشاعر يذكره أو غير ذلك .

بعض العبارات علىٰ ظهر الكتاب :

(١)

هذا من عواري الزمان علىٰ يد الأقل والأحقر والجاني ابن محمد سعيد محمد علي الكلبايكاني(١) في سنة ١٢٦٩ هـ .

الختم

(٢)

في ملك مملوك مالك حقيقة إبراهيم بن مهدي آل عرفات القديحي الخطي المعروف في العتبات العاليات بإبراهيم البحراني .

الختم

---

(١) قال عنه العلامة آغا بزرك : إنه من أجلاء العلماء ، وله ولدان آخران :

١ ـ محمد سعيد : من تلاميذ المجدد الشيرازي والميرزا محمد تقي الشيرازي ، كان حياً ١٣٠٥ هـ .

٢ ـ محمد باقر : كان في أصفهان ، وهو من تلاميذ الشيخ محمد تقي آغا نجفي ، وهو أوثق من أخيه . أعلام الشيعة : ج١ ص٨١٢ .

(٣)

تمليح في العامل المعنوي

قـالوا أحب حـبيباً مـا تأمـله فكـيف حـلّ بـه للسـقم تأثـير
فـقلتُ قـد يـعمل المـعنى بـقوته بـظاهر اللـفظ رفـعاً وهـو مستور

قلتُ : لو قال خـفضاً لوافـق مـطلوبه ، فـإن الحب إضـافة إلىٰ النـحول والأسقام ، والعامل المعنوي في المضاف إليه معنى الاضافة ، وهل أثر العشق إلا الذل والانجرار والانكسار والانخفاض .

(٤)

قد تولد ولدي وقرة عيني في مشـهد الرضـا عليه السلام وقـد كـنتُ فـي بـلدة كلبايكان في اليوم الثامن شهر ذي القعده الحرام من سنة ١٢٦٨ هـ علىٰ ما كتبوا إليّ وسميته جملةً بمحمد وسمي بعدها بعلي أكبر أرجو مـن الله الحـافظ أن يحفظه وأن يجعله من العلماء العـاملين بـمحمدٍ وآله الطـاهرين ، وقـد كـان خروجي من المشهد المقدس في الثالث والعشرين من شهر شعبان المعظم من نفس السنة وكان ورودي في البلدة المزبورة في اليوم الثاني في شوال المكرم ، كما كان تشرفي بعالي الزيارة في اليوم التاسع في شهر رمضان المـبارك سـنة ١٢٦١ هـ ، فكان مجاورتي فيها سبع سنين إلا ستة عشر يوماً ، اللـهم ارزقـني العودة والمجاورة ، واجمع بيني وبين أهلي ، وقد حررت ذلك في النصف من شهر رجب المرجب في سنة ١٢٦٩ هـ في الكلبايكان .

حرره الجاني ابن محمد سعيد محمد علي الكلبايكاني .

الختم .

ترجمة المؤلف

● **نسبه :**

هو ابراهيم بن مهدي بن حسن بن عيسىٰ بن علي بن (عرفات) بن عيد بن قوام القديحي القطيفي .

وقد اشتهر بـ (ابراهيم البحراني) ـ في العتبات المقدسة ـ حسب ما أورده علىٰ ظهر كتابه (الكشكول) الذي هو بين أيدينا الآن .

وعُرف أيضاً بـ (إبراهيم عرب) ، وليس إبراهيم بن عرب ، كما اعتقد المحقق الكبير آغا بزرك الطهراني ﷺ ، فإنه حين اطلع علىٰ توقيع الشيخ إبراهيم علىٰ كتابه (الردود والنقود) ـ وسيأتي ذكره ـ ، وشرح كتاب (كفاية الأحكام)[1] ، اعتقد أن عرباً هذا يكون أباً للشيخ إبراهيم .

وما يؤكد كون اسم أبيه (مهدي) ، ما ذكره هو ﷺ في عدة مواضع :

١ ـ في نهاية كتاب الكشكول .

٢ ـ ختمه الذي يظهر علىٰ الكشكول .

٣ ـ عبارته علىٰ ظهر ديوان الحر العاملي .[2]

---

(١) كفاية الأحكام للسيد محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزواري (ت ١٠٩٠ هـ) (الأعلام للزركلي ٦ : ٤٨) . والشارح هو السيد ميرزا محمد مهدي بن هداية الله الموسوي الأصفهاني المشهدي . وسيأتي ذكره .

(٢) العبارة كاملة هي : (هذا مَنٌّ مِنْ مَنْ مَنَّ علىٰ إبراهيم بن مهدي آل عرفات . ولقد مننا علىٰ ⇐

٤ ـ عبارته على ظهر كتاب الشافي في الامامة للسيد المرتضى ، المخطوط في مكتبة السيد المرعشي ، والذي يظهر عليه ختمه أيضاً[١] .

أما لماذا عُرف بـ (ابراهيم عرب) ؟! فما اعتقده هو أن طول المدة التي قضاها مجاوراً في خراسان وما جاورها ، جعلته يُعرف بهذا اللقب ، وسوف استعرض خلال الاسطر الآتيه تلك الفترة ـ مدة المجاورة ـ عندما نأتي للتحدث عن أسفاره ورحلاته .

● ولادته ووفاته :

ولد عام ١١٨٠ هـ ـ في القديح[٢] ـ .

أما تاريخ وفاته فغير معروف ، غير أن آخر تاريخ وقعد بأيدينا ، يمكننا من خلاله معرفة الفترة التي عاشها ، هو عام ١٢٤٤ هـ ، حيث عثر له على تعليقات على أوائل الجزء السادس من كتاب : (هدي العقول في شرح الاصول) للشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار (كان حياً ١٢٥٠ هـ) ، المخطوط في المكتبة الرضوية ، وهذا الجزء منسوخ في العام المذكور من قبل ناصر بن قضيب الأحسائي .

والمرجح أن وفاته قبل عام ١٢٦٩هـ ، حيث تبدو ملكية محمد علي بن

⇐ موسى وهارون . سلام على إبراهيم) . وديوان الحر هذا مسجل بمكتبة السيد الحكيم العامة بالنجف الأشرف تحت الرقم ٢٧٦ ، وقد انتقل الديوان لمكتبة السيد الحكيم من تركة الشيخ السماوي . (فهرسة مكتبة السيد الحكيم / السيد أحمد الحسيني : ح١ ص١٢٣) .

(١) ذكر هذا السيد أحمد الحسيني الاشكوري في كتابه (تراجم الرجال) ج٢ حيث قال : ابراهيم بن مهدي القديحي الخطي النجفي آل عرفات ، تملك نسخة من كتاب الشافي سنة ١٢١٩ هـ وتصفحه ورقة ورقة .

(٢) ص٣٧ و ٦٠ من مخطوطة الكشكول وبما أن أغلب المعلومات الواردة في الترجمة من مخطوطة كشكول الشيخ لذا سأعبر عنه بـ (م ك) .

محمد سعيد الكبايكاني[1] وختمه على كتاب الكشكول للشيخ ابراهيم في هذا العام في مدينة كلبايكان، لانه نادراً ما ينتقل كتاب ما من ملكية مؤلفه في حياته - خصوصاً إذا كان كشكولاً فيه ما يتعلق بحياة مؤلفه - لآخر، الا إذا كان هذا الكتاب مما يستحق النسخ والتداول، ككتب الدرس والتدريس.

● **عقبه :**

ذكر ﷺ أنه بلغ الواحدة والأربعين ولم يتزوج، كان هذا في عام ١٢٢١ هـ. ويبدو أن سبب تأخره عن الزواج فقره الشديد، فقد ذكر قصة محاولته الزواج من جارية - وكان عمره في ذلك الوقت أكثر من سبعة وعشرين عاماً -، وقد قرر بيع كل ما يملك، ولكنه لم يُوفق لهذا، وقد حصلت له هذه القضية في بلدة (الحديدة) في اليمن.

يقول ﷺ : (والحقير) خُلق سنة الألف والمائة والثمانين، الآن سنة الألف والمائتين واحدى وعشرين، وهو بكر لا ضاق ولا ذاق، دهري حبسني عن التعريج إلى التزويج، فناديته :

يا دهر ما اقساك من متلون ... في حالتيك وما أقلك منصفا

أتروح للنكس الجهول ممهدا ... وعلى اللبيب الحر سيفاً مرهفا

وإذا صفوت كدرت شيمة باخل ... إذا وفيت نقضت أسباب الوفا

لا أرتضيك إن كرمت لأنني ... أدري بأنك لا تدوم على الصفا

زمن إذا أعطى استرد عطاءه ... وإذا استقام بدا له فتحرفا

ما قام خيرك يا زمان بشره ... أولى بنا ما قلّ منك وما كفا

ويوجد الآن في بلدتنا (القديح) عائلة معروفة ببيت (جواد بن الشيخ)

---

(١) قال عنه العلامة آغا بزرك : من أجلاء العلماء والعلماء الاجلاء. الاعلام ج١ : ٨١٢ و ٢١٦.

يقولون انهم من آل عرفات ، فربما كانوا من سلالته ، والله أعلم . وأما نحن فنلتقي معه في أجدادنا العالية .

● **أساتذته :**

عُرف من أساتذته اثنان من العلماء الأجلاء ، حيث صرح باسميهما ، وذكر آخرين بألفاظ التبجيل والاحترام ، ولكنا لا نقطع بأنهم من أساتذته لمجرد أنه اطراهم واثنىٰ عليهم .

١ ـ السيد صادق بن السيد علي الحسيني الأعرجي النجفي[١] ، المعروف بـ(الفحام) (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ) ، ولد في قرية الحصين من قرى الحلة ، وتوفي في النجف الأشرف .

يعتبر من أشهر النحويين المتأخرين ، وهو أديب ناثر ناظم ، له من المؤلفات : شرح شرائع الاسلام وشرح شواهد قطر الندىٰ وديوان ضخم .

درس عنده الشيخ ابراهيم القطر والمغني في النحو[٢] .

ويذكر ان السيد صادق الفحام من أساتذة السيد بحر العلوم في العربية ، كما ان السيد بحر العلوم أستاذه في الفقه .

٢ ـ السيد ميرزا محمد مهدي بن هداية الله الموسوي[٣] الأصفهاني مولداً ، المشهدي سكناً (١١٥٢ ـ ١٢١٧ هـ) ، المعروف بالشهيد الثالث ، المستشهد علىٰ يد نادر ميرزا سبط نادر شاه .

والسيد محمد مهدي هو الذي لقب السيد بحر العلوم بهذا اللقب ، وذلك

---

(١) معجم المؤلفين لكحالة ٤ : ٣١٦ .

(٢) م ك : ١٠٦ .

(٣) أعيان الشيعة للسيد الأمين ٤٧ : ٨٢ .

عندما زار السيد بحر العلوم مشهد المقدسة وقد ذكره الشيخ ، في بداية شرح (كفاية الأحكام) ، يقول ﷺ : (هو الله الواحد الأحد سبحانه . قد اشتمل هذا الجلد علىٰ شرح الكفاية للمرحوم المبرور ، والأستاذ سيدنا : السيد ميرزا محمد مهدي الحسيني ، ساكن مشهد الرضا عليه الصلاة والسلام والثناء ، علىٰ كتاب الطهارة منه ، وعلىٰ كتاب الصلاة منه ، لكنهما ناقصتين . كتبه بيده : إبراهيم عرب آل عرفات القديحي القطيفي) ، وقال في آخر كتاب الطهارة : (لقد فرغت منها في الروضة الرضوية ، علىٰ مشرفها آلاف الثناء والتحية ، بحرمة محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وقد فرغت من كتابة آخر هذا الكتاب يوم الجمعة عشرين صفر سنة ١٢٣٧ هـ ، وأنا أقل الطلبة : إبراهيم عرب آل عرفات القديحي) .

وقد نقلت هاتين العبارتين من ظهر شرح الكفاية المذكور ، المسجل في المكتبة الرضوية برقم (٦٢٠٢) .

وقد عبر عن الشيخ جعفر كاشف الغطاء بـ (الشيخ المحروس بالله شيخنا الشيخ جعفر) ، وعن الشيخ خليل بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس البلاغي الكاظمي بـ (مولانا الشيخ المعاصر) ، وكذا عن الشيخ ابراهيم الخطيب[1] .

● **رحلاته :**

لعلّ أهمّ الأسباب التي دعتْ إلىٰ عدم انتشارِ صيتِ المترجم له ﷺ في بلده ، هو كثرةُ أسفاره ورحلاته إذ لم يستقر في منطقةٍ إلا نازعته نفسه إلىٰ أخرىٰ وظلّ هكذا أغلب سنيّ حياته ، فقد ولد عام ١١٨٠ هـ في القديح ، وخرجَ منها عام ١١٩٦ هـ أي أنّ عمره لا يتجاوز السادسةَ عشر ، ولعلّ هذا من المستغربِ إذا لم يكنْ خروجه في صحبةِ والده أو من ينوبُ عنه .

---

(١) م ك : ص٤٧ ، والشيخين المتأخرين لم اجد لهما ترجمة .

يقولُ في هذا : (... وما كان الحقيرُ يرى قيامَ سوقِ العوذِ والطلّسماتِ والرقي والتمائمِ والحروزِ والهياكلِ منذُ خرجَ من وطنه ، ومسقطِ رأسه ، قديحِ القطيفِ ، سنةَ السادسة والتسعين بعد المائة والألف إلىٰ تاريخ كتابة هذه الكراسة بدمشق الشام ، ثامن شهر رمضان المبارک سنة احدى وعشرين بعد المائتين والألف ، وقدْ جاب البلاد ، وساح الديار ، ولم يتزوج ، ولم يتخذ بقعةً وطنا ، ولم يترك المجاورة في حجازٍ ولا يمن ولا في (مسكت) ولا في نجد ، وسكنَ العراقين والبصرةَ وفارسَ والحويزة والبندرَ ، وارتقى إلىٰ خراسانٍ ، وقعد مجاوراً لها أعوام وأزمان ، فلم يجدْ مثل أهلِ بعلبك وأهل جبل عاملة ، ومن سامتهم في تلك الأقاليم في شدة الشغفِ والرغبةِ إلىٰ الرقي والتمائم ...)[١].

اتّجه أولاً إلىٰ النجف الأشرف ، يقول عن هذه المرحلة (... سمعتُ في عنفوانِ الشبابِ من بعض إخوان الصغرِ ، في صحنِ النجف الأشرف ...)[٢] .

ثم عزمَ علىٰ الخروجِ منها في عام ١٢٠٧ هـ وكان عُمْره ٢٧ سنة ، يقولُ عن هذا : (... وفي ما سلفَ من الزمانِ ، لم تزل نفسي تُنازعني أن أركبَ أخطارَ الأسفار ، فتركت الدرس ، وفارقت الغري ، وهذه أربعة عشر سنة أجوب البلاد ...)[٣] .

وزارَ اليمنَ بعد أنّ حجّ حجته الأولىٰ وأقام في الحديدةِ وكان في ريعانِ شبابه ثم اتّجه من اليمنِ إلىٰ مسقط عبرَ البحرِ في مدةِ أربعين يوماً ، وسط

(١) م ك ص١٩٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) م ك ص٦٠ أي تاريخ الكتابة وهو عام ١٢٢١ هـ فيكون عام الخروج من الغري ١٢٠٧ هـ.

مخاطر جمّةٍ ، ذكرها في عدةِ مواضحِ من الكشكول[١] .

ويبدو أنّه زار (بندر فارس) قبل زيارة مسقط كما يظهرُ من عباراته .

وفي عام ١٢١٣ هـ كان في منطقةِ (ترشش خراسان) والمعروفةِ أيضاً (بترشز) وقد تغيّر اسمها الآن الىٰ (كاشمر)[٢] .

وفي عام ١٢٢٠ هـ كان بالمشهد الرضوي .

وفي عام ١٢٢١ هـ زارَ لبنانَ وسوريةَ بعد انصرافه من العراقِ للمرةِ الثانية فتجوّل في مُدنِهما فزارَ مشغرةَ في البقاعِ الغربي وزارَ قبرَ النبي ايلاء من أعمالِ بعلبك في ٣ شعبان ١٢٢١ هـ ، وجامعَ النبي شيث في ١٤ شعبان ١٢٢١ هـ ، وجباع (تخت سلطنة اقليم التفاح) في ١٤ رجب من نفسِ السنة ، وكذلك تمنين من أعمال بعلبك ١٨ رجب من نفس السنة أيضاً ، وكذلك زارَ دمشقَ الشام في ٨ رمضان ، وأنهى كشكوله فيها في ١٤ رمضان في نفس السنة أيضاً .

ثم عاد إلىٰ خراسان حيثُ ذكرَ أنّه أنهى شرحَ (الكفاية السبزوارية) لأستاذه في ٢٠ / ٢ / ١٢٣٧ هـ في المشهد الرضوي .

وحين جاءَ علىٰ ذكرِ الشاعرِ الصابي ذكرَ مشاهدته للصابئة حين زارَ الحوزي ، يقول في ص١٠٣ من م ك : (.... والصابئيون ما شاهدتُهم إلا في [الحويزة] وأعمالها ...) .

ويبدو من تتبعِ التواريخِ أنّ مدةَ مجاورته في خراسان هي المدةُ

---

(١) م ك ص٩٤ ـ ٩٥ .

(٢) تغير اسمها في عهد رضا شاه ، وهي منطقة في (تربة حيدرية) .

م : دائرة المعارف (فارسي) ، تأليف جمع من الاساتذة باشراف الاستاذ غلام حسين مصاحب ص٢١٤٢ .

الأطول[١] .

حيثُ ذكرَ أنّه كان في منطقةِ (ترشيش خراسان) عام ١٢١٣ هـ وهي منطقةٌ قريبةٌ من مشهدِ المقدسة ، واستُشهدَ أستاذه في شهرِ رمضان ١٢١٧ هـ ولابد أنّ الشيخ ﷺ كان موجوداً في مشهد قبل استشهاد أستاذه أي قبل ١٢١٧ هـ .

ثم ذكرَ أنّه كان في مشهد أيضاً عام ١٢٢٠ هـ وكذلك دلّت كتابته لشرحِ الكفاية ١٢٣٧ هـ أنّه كان هناك . .

ونلاحظُ من خلالِ هذه التواريخِ أنّه كثيرُ الترحالِ كما أنّه لم يذكر موطنه الأصلي إلا نادراً ، وهذا ما جعله غير معروفٍ في منطقته ، يقولُ في هذا ـ وكانَ يُعدِّد مضار البلدان ـ : (وينبغي أن يضمّوا إلىٰ ذلك : ووباء بلادي القطيف ، خصوصاً وقتَ رطب خصاب العصفور ، وهو لا يقعُ برطبه إلا بعد صرامِ جميعِ النخلِ ، فإنّ الحقير مع أني ولد بطنها ، وأوّل أرضٍ مسّ جلدي تَرابُها ، مررت بها حاجّاً في بعض السنين ، في هذا الفصلِ المذكورِ ، فأنكرتْ عليّ ، وصرتُ مريضاً أشهر ، فتبتُ عن المرورِ بها ، والشرب من مائها ، والأكل من طعامها ورطبها وفاكهتها وسمكها ، توبةَ عبدٍ لا يعود ، ولكن عادتها لا تنكر إلا علىٰ الغريب الداخل إليها ...)[٢] .

---

(١) أثناء مراجعتي لكتاب الردود والنقود رأيت ورقة بالخط الفارسي ، وهي لأحد الأشخاص الذين راجعوا الكتاب ، ولم يذكر اسمه ، وفيها يذكر بما معناه : (إنّ مؤلف الكتاب ـ يعني الشيخ إبراهيم ـ غير معروف ، إلا أني وجدت في كتاب (منتظم ناصري) ما يشير اليه) فراجعت هذا الكتاب ـ منتظم ناصري ـ فوجدت في ص ١٤٥٦ وص ١٤٥٧ وفي أحداث سنة ١٢١٥ هـ عبارات تشير إلىٰ وقوع معركة بين فتح علي شاه القاجاري وبعض خصومه ، وذكر شخصاً اسمه (إبراهيم خان عرب) أمره الشاه بالحفاظ علىٰ بعض المناطق المحررة ، ولكن كلمة خان ربما دلت علىٰ أن إبراهيم خان عرب هذا غير الشيخ إبراهيم ﷺ .

(٢) م ك ص ٣٧ .

فانظرْ كيفَ تنكّرتْ له القطيف ، وهذا دليلٌ علىٰ أنّه أصبحَ كالغريبِ بالنسبةِ لها وهذا هو السبب الرئيس في نظري لعدم وجود ترجمةٍ له في كتابِ أنوار البدرين للشيخ علي البلادي رحمه الله ، وقد ساعدَ علىٰ هذا أن الشيخ البلادي في ذلك الوقت كان حديثَ عهدٍ بالمنطقةِ ، فقد ولد عام ١٢٧٤ هـ في البحرينِ ، وقدم القطيف عام ١٢٨٦ هـ وكان عمره حينذاك اثنا عشر سنة ، وأنهى الجزءَ المختص بالقطيف من كتابه أنوار البدرين عام ١٣٢٥ هـ .

وقد عبَّر عن هذا العلامةُ الكبير آغا بزرك الطهراني ﷺ حيث يقول : (وهذا المؤلف ـ يعني الشيخ إبراهيم ـ لم يُذكر له ترجمةٌ فيما رأيناه من كتب التراجمِ المتأخرة ، حتىٰ في أنوار البدرين)[١] .

● **مؤلفاته :**

١ ـ ردودٌ ونقود[٢] : وهو عبارةٌ عن تلخيصٍ للفتوحاتِ المكية لابن عربي ، وتخليصه عن المقبوحات الكفرية والترهات الشطحية ، حسب تعبير المصنف ، كما لا يخلو من بعضِ التعليقاتِ الخفيفةِ علىٰ بعضِ المطالبِ هنا وهناك .

وقد قامَ المصنفُ أولاً بالردّ على ديباجةِ الكتابِ في تسعِ صفحاتٍ كل صفحة ٢١ سطراً ما عدا الأخيرة ، ثم قامَ بتلخيصِ الكتابِ والتعليقِ علىٰ بعضِ المضامين .

والموجودُ منه حالياً الجزء الأول في المكتبةِ الرضويةِ بمشهدِ المقدسة تحت رقم ٥٢٥ ، وعدد أوراقه ١١٣ ورقة .

---

(١) الذريعة ج٨ ص٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) تقوم مؤسسة أم القرى ـ قم الآن بتحقيق الكتاب نسأل الله لهم التوفيق والسداد .

والكتاب موقوفٌ عام ١٢٧٦ هـ والواقفُ له عضدَ الملك(١).

يقول في أوّله(٢): (هذه من أوائلِ حاشيتنا المسماة بالردود والنقود علىٰ فتوحات المكية، للمردود ابن عربي المغربي، وذلك بعد أن اختصرناه في مجلدات، هذا المجلد منها، صداً لإحيائه بتجريده عن المقبوحاتِ الكفرية والترهات الشطحية، كما احيا الملا محسن الكاشاني كتاب إحياء العلوم، لأستاذ ابن عربي المذكور، محمد الغزالي، في المحجةِ البيضاء في إحياء الإحياء، فأنتَ إذا برتَ ما اختصرناه؛ وجدته صحيح المعنى، وطاهر المغنى، موافقاً لاعتقاد الفرقة الناجيةِ، مطابقاً لمذهبِ أهل العصمة، اللهم إلا ماقد أخطأه نظرُنا، فطغى به قلمنا، نرجو من الناظر إصلاحه، إن لم يقبل التأويل، ولو بمحوِ ما قيدناه من القيل، ولكن بعد التثبتِ، والتعملِ، والتروي والتأمل. كتبه إبراهيم عرب آل عرفات).

---

(١) هو محمد علي رضا قوانلو ايلخاني القاجاري ابن موسى خان، خال ناصر الدين شاه القاجاري، كانت له اهتمامات علمية وأصبح مسؤول مدرسة في شبابه، وتولىٰ لفترة غير معلومة ادارة الحضرة الرضوية علىٰ صاحبها آلاف التحية والسلام، وقد أوقف الكتاب مع سبعين كتاباً آخر كما هو مصرح به (بالفارسية) علىٰ ظهر الكتاب.

م: دكتور مهدي بامداد، تاريخ رجال إيران ج٢ ص٤٣٥، بتصرف.

(٢) هناك عبارة علىٰ ظهر الكتاب، ربما دلت أن له مؤلفاً ثالثاً غير الحاشية المبسوطة والردود والنقود، وهذه العبارة هي: (قد اشتمل هذا الجلد علىٰ بعض من حاشيتنا علىٰ الفتوحات، وعلىٰ بعض من كتابنا مختصر الفتوحات وشرح المجلدات، وههنا منها مجلدة تامة، وعلىٰ كتابنا مختار القرّاء فارسي في علم القراءة تأليف مختار الأعمىٰ الاصفهاني، من أهل السنة والجماعة، تام غير ناقص) فربما كانت له حاشية علىٰ كتاب مختار القراء، وقد تضمن كتاب الردود والنقود بعضها، ومختار الاعمى هذا هو: المولى مختار الاعمى الاصفهاني، له (درج المضامين) منظومة في التجويد فارسية فرغ منها ٩٤٩ هـ، وشرحه الموسوم (ببستان)، وشرح الشرح المسمى (بدر نثار في تجويد المولى مختار) اعيان الشيعة ج٤٨ ص٣٨.

وقال في أوّل التلخيص : (فهذا تلخيص كتابِ الفتوحاتِ المكية ، وتخليصَ التلخيصِ في الغالبِ عن المقبوحاتِ الكفرية ، والترهات الشطحية ، وقد اشتمل الكتاب[1] علىٰ مقدمة وخمسماية وستون باباً ، في مجلداتٍ ثلاثة ، المجلدةُ الأولى : فيها بعد مقدمةِ الكتابِ اثنان وسبعون باباً ، المجلدةُ الثانية : فيها مائتان وواحد وتسعون باباً ، المجلدة الثالثة : فيها مائة وسبعة وتسعون باباً .

وحيث اقتصرنا واختصرنا وأسقطنا غالباً الفصولَ المدعية في اليقظة والمنامِ عن الكشفِ والوصولِ ، التي لم يتجاسرْ علىٰ دعواها رسولٌ ونبيٌ ووصيٌ رسولٍ ، فاتنا مراعاة هذا التبويب ، فأبحنا لرؤوس أقلامنا في ميدانها ، إن شاءت التصعيدِ والتصويب ، فرقمتُ مضامين تلك الأبواب المعددة ، المدرجة في كل مجلدةٍ ، في فصولٍ مبددة) .

ويُعتبرُ هذا الكتاب الذي بين أيدينا حاشية مختصرة من الحاشيةِ المبسوطة ، التي ذكرها في مطلع كلامه .

ويُعتبرُ الشيخ فرج العمران ﷺ أول من أشار إلىٰ هذا الكتاب من أهل المنطقة ، وقد أورد قصة العثور عليه في كتابه الأزهار الأرجية ج٤ ص ٨٠ في حوادث شهر شوال سنة ١٣٧٣ هـ .

٢ ـ الكشكول[2] : والموجود منه أيضاً الجزء الأول ويقع في ٤٤٨ صفحة كل صفحة ٢٣ سطراً إلا ما ندر ، ويُعدُّ هذا الكشكولُ وثيقة تاريخية تُؤرخُ لحياةِ المؤلف ومعاصريه ، كما أنّه لا يخلو من الفائدةِ العلمية ، والكشكولُ اسم علىٰ مسمى ، فهو مجموعةٌ من الأشعارِ والقصصِ والفوائد التاريخيةِ والفقهيةِ ... الخ .

---

(١) يقصد المتن لابن عربي .

(٢) مسجل في مكتبة مجلس الشورىٰ بطهران ، تحت رقم ٥٥٠٧ .

وهو ناقص ٢٦ صفحة من أوّله ، وقد وجدت علىٰ ظهره ٢٧ سطراً بالفارسية بخط المؤلف ، وهي عبارة عن وصفٍ لكيفية تركيب الحبر وختمها بطلب الدعاء من العامل بهذه الوصفة ، وهذا مما يدلُّ علىٰ أنّه يجيدُ الفارسية ولا عجب فالمدة التي قضاها في خراسان ليست باليسيرة .

ويقول عن السبب الداعي لتأليف هذا الكشكول : (يقول جامع هذه النقول ، وصايغ هذا الكشكول ، إبراهيم بن مهدي آل عرفات القديحي القطيفي : الباعثُ علىٰ صوغ هذا الكشكول ، وحياكة هذه المخلاة ، هو تمريني علىٰ باب الأدب ، وتكميل نفسي بممارسة أشعارهم ، ومزاولة نقولهم ، فإذا شربتُ من سؤر الأدباء ، وكرعتُ من فضلة كأسهم ، يكون قد شُبّهت بهم ، وتخلقتُ بأخلاقهم ، ولم أبعد كلّ البعد عنهم ، فإذا ارتقيت مراقيهم ، وبلغت مبالغهم ، وطال باعي ووسعَ اطلاعي ، وظفرتُ بملح النوادر ، وغريب النقول ، وعثرت علىٰ محاسن الأشعار والأمثال واللطايف والقصص والتواريخ ؛ تهذّبت نفسي ، ولطفت شمايلي ، وصرتُ من أهل الأدب والحكمة ، وانشدتُ في محافلِ الأدباء ، ومجالس أهل التجربة ...)[1] .

ويبدو أنه كان مهتماً بالأدب منذ صغره فقد قال عن هذا :

وكنت أحفظ وأنا طفل ما بلغت الحلم :

مُحِبُّكَ يهوى هواكَ فهلْ ... تعودُ ليالٍ بصدِ الأولْ

فَمنْقوطةُ نحسن كلهُ ... ومُهْملةُ فعليهِ العملْ

ووجدت في حواشي كتابه (ردود ونقود) أبياتاً باللغة الفارسية ، وسواء كانت هذه الأبيات له أم لم تكن ، فإنّها تدل علىٰ ما ذكرناه من اهتمامه بالأدب

---

(١) م ك : ٢١٨ .

كما تدل على إجادته للّغة الفارسية ، ومن هذه الأبيات :

يكـــي گـــربه در خـــانه زال بـــود ... كـــه أيـــام بـــرگشته بـد حـال بـود

روان شـــد بـــمهمان ســـراي أمير ... غـــلامان ســلطان زنـديش بـه تـير

أگـــر چشـــم از دست ايـن تـيرزن ... مـــن وگـــنج ويـــرانــه تـــيرزن

ومنها :

أي بـــار خـــدا بـــحق هســـتي ... شش چـــيز مـــا مـــدد فـــرستي

عـــلم وعـــمل ودر ازدســـتي ... إيـــمان وامـــان وتـــن درســـتي[1]

ويعتبر هذا الكشكول كما أسلفنا وثيقة تاريخية ، سجّل فيها الكثير مما يخصّه ، ولكن في تضاعيف الكتاب وبين ثناياه ، فذكر كلَّ ما يتعلق به حتى وَصْفَ شَعْرِهِ ، فقد ذكر أنه جاوز الأربعين بسنة ولم يشب[2] .

وقد كتبَ هذا الكتاب خلالَ رحلته من خراسان إلىٰ دمشق ، فقد ذكر أنه كان في خراسان عام ١٢٢٠ هـ ، وكتب في ص٤٢ من م ك أنّه كان في جباع ١٤ شهر رجب ١٢٢١ هـ ، ثم أخذَ يسردُ التواريخ في ثنايا الكتاب ، حتىٰ أنهاه في ١٤ رمضان ١٢٢١ هـ في مدينة دمشق ، وربما لهذا السبب ـ الترحال ـ جاءت كتابتهُ غير متأنيةٍ ومملوءةٍ بالسقطاتِ الإملائيةِ والنحوية .

الشيخ ابراهيم ﵀ والسلوك العرفاني :

أوّل ما يتبادر إلىٰ ذهن القارئ لما سطّره الشيخ ﵀ في هذين الأثرين الموجودين ، هو أن صاحبهما من أرباب التصوف أو العرفان .

---

(١) هذان البيتان كانا منقوشين علىٰ خاتم القائد العثماني إبراهيم باشا الذي حاصر البصرة والجزائر سنة ١٠٧٦ ذكرهما العلامة الأديب فتح الله بن علوان الكعبي الدوانيقي المتوفىٰ سنة ١١٤٠ في كتابه زاد المسافر والمقيم .

(٢) م ك ص٢١ .

يظهر هذا جلياً من خلال مدحه وإطرائه لأصحاب الطريقة ، ومن خلال ما ذكره عن نفسه من طلب (المرشد) ، ومن خلال سلوكه وطريقة حياته التي تشابه إلىٰ حد ما سلوك المتصوفة ، والتي هي عبارة عن حياة الترحال وعدم الاستقرار وعدم الزواج ، وكذلك ما يظهر من عباراته والتي تشابه أيضاً ما عند المتصوفة من قبيل : الدروشة ، الكشكول ، الحقير ، المخلاة ، الشيخ الكشّاف ، العشق ... الخ .

وأخيراً تصدّيه للردّ علىٰ مثل ابن عربي ، وتخليصه كتاب الفتوحات عن الترهات الشطحية كما قال ، فهذا دليلٌ علىٰ أنّه كان يعيشُ أجواء عرفان ابن عربي ودليل علىٰ حبه لهذا العرفان الذي لم يرق له إلا أن يخلّصه مما فيه من مدعيات الرؤية في المنام وغير ذلك ، وسأكتفي بسرد بعض الشواهد المدللة علىٰ ما أقول ، لأنها كثيرة ولا داعي لإقحامها في هذه الترجمة ، يقولُ ﷺ[1] : (قلتُ : قد سأل الحقير سنة العشرين بعد الألف والمائتين بالمشهد الرضوي ، بعض متصوفة خراسان أن يدلّه علىٰ المرشد النافع ، فقال : أجزتك أنْ تتلو هذه الآية ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين ﴾[2] مائة مرة ومرة واحدة ، أربعين يوماً ، دبر كل مكتوبةٍ ، لا تفصل بكلام ، فقلت : ما الخاصية ؟ ، قال : ترى في اليوم العاشر ـ وإلا فلا يتجاوز المدة المضروبة للعمل ـ من يُرشدك من غير أبناء جنسك ، وترىٰ شخصه عياناً نوماً ويقظةً ، متىٰ طلبته ، وإياك أن تنقضَ الطهارة قبل إكمال العدد ، فقلت في نفسي : هذه الخاصية في تلاوة هذه الآية من الأسرار المكنونة ، فلابد أنْ أعمل بذلك ، فانقضتْ المدة المضروبة ، ولم أر

---

(١) م ك ص٢١٣ .

(٢) سورة الانبياء : ٨٧ .

أحداً ، فراجعتُ الصوفي ، وقلت : أنا أحب أن أشاهد كرامة أو علامة من أرباب الطريقة المتصوفة ، عسىٰ أن أكون لك من بعض أتباعك المريدين ، فقال : أما عملت بما منحتك ؟ ، فقلتُ : هات غير ذلك ، فإنّي عملتُ وواظبتُ وتحفظتُ ، فلم أر أحداً ، فلوى بوجه وأعرض ، فلحقته ، وقلت له في ذلك ، فقال : أنت لا تعتقد ، وأسرارنا منوطةٌ بالاعتقاد ، فافترقنا ...) .

وقال أيضاً في موضع آخر بعد أن سرد هذه الأبيات لأبي حيان الأندلسي[1] :

يظُنُّ الغمرُ أن الكتبَ تجدي ... أخا ذهنٍ لإدراك العلمِ
وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيّرتْ عقل الفهيمِ
إذا رمتَ العلومَ بغير شيخٍ ... ضللتَ عن الصراط المستقيمِ
وتلتبسُ الأمورُ عليك حتىٰ ... تصيرَ أضلَّ من توما الحكيمِ

قلت : لله درّ أبي حيان هذا ، فقد دفّ علىٰ جرح القلب ملحاً ، ولم تزل النفس تتوق إلىٰ شيخٍ كشّافٍ شافٍ ، ومن عجبي لابن سينا ، علىٰ ما نُقل أنه فرغ من العلوم وعمره ثمانية عشر سنة فلزم الوزارة في همدان حتىٰ مات ، فكان زبيباً وهو حصرم ، فمتى لازم المشايخ وقرأ ؟! ، ومتى درس وصنّف ؟! ، والحقير اليوم جاوز حد الأربعين بسنة ، وهو لا يعرف الهرّ من البر ...

والحقيقة أنّ هذه الظاهرة لوحدها ـ جنوحه للعرفان ـ بحاجةٍ إلىٰ دراسةٍ مستفيضة ، إذ لها من الدلالات والاشارات ما يمكن أنْ نستخرج منها أحكاماً وأنظاراً حول شخصية المترجم له وحول شخصية المنطقة وعلاقتها بمثل هذا الفن ، وليس هنا محله .

---

(١) م ك ص١٩ .

● مسجده وقبره :

يقع هذا المسجد بالقرب من المنطقة المعروفة بـ(أم الخنيزي) التي تقع في الشمال الشرقي من بلدة القديح ، وهو معروفٌ بمسجد الشيخ إبراهيم ، وقد ورد ذكره في منظومة الأستاذ محمد علي الناصر ، التي يصفُ فيها القديح ، قال في صفة المساجد(١) :

وإن أردت صـفةَ المساجِد ... فـإنّها مسـرةُ المشاهدِ
بـناؤها أكـثره جـديدُ ... ويـرتضيه الخـالقُ المـجيدُ
مسـجد (عـبد الصـالح) المـؤيد ... ومسـجد (السـدرة) نـعم المسـجد
و (مسـجد الشـيخ) وحـيٌ ذكـره ... و(شـيخ إبـراهـيم) طـاب قـبره

ويعدّ هذا المسجد الآن أحد المساجد المشهورة ، التي تجبى لها النذورات مثله في ذلك مثل مسجد الشيخ عزيز في البحاري ومسجد الشيخ محمد في السنابس .

وتروى قصص وكرامات كثيرة عن هذا المسجد ، آثرنا عدم ذكرها لأنها تحتاج للتوثيق ، والمشهور عند كثير من المسنين أنّ الشيخ إبراهيم دفن في بيته ، وأنّ بيته هو مسجده الآن ، والغريب أنّ مقبرةً صغيرةً تقع ملاصقةً للمسجد تماماً لا زالت ماثلة حتىٰ الآن ، وربما كان قبره فيها وهي معروفةً بـ(مقبرة الجهال) أي الصغار حيثُ لا يدفن فيها الا الصغار والله أعلم .

واشتهار هذا المسجد باسم الشيخ ؓ دليلٌ علىٰ رجوعه إلىٰ موطنه

---

(١) الشيخ فرج العمران : الأزهار الأرجية ج١٣ في صوادر شهر شعبان ١٣٨٩ هـ ص٢٢٢ ، وقال أيضاً في تعداد علمائها :

وإن أرقـى العـلماء فـي البـلد ... عـلماً وفـضلاً ونـزاهـةً ويـد
ابـن أبـي (يـوسف) المـجتهد ... و(العـرفات) مـثله لا يـجحد

وممارسة الصلاة فيه ، إذ لا يُعقل أن يشتهر المسجد باسم الشيخ وهو بعدُ صغير ، أي حين خروجه من القديح ، حيث كان عمره ستة عشر سنة ، وهناك احتمالاتٌ وهي :

الأول : أن يكون الشيخ ﵀ قد عاد إلىٰ موطنه بعد تاريخ كتابة شرح الكفاية السبزوارية عام ١٢٣٧ هـ أو بعد كتابة تعليقاته علىٰ شرح أصول الكافي عام ١٢٤٤ هـ.

ومارس الصلاة فيه ، فعُرِفَ باسمه .

الثاني : أن يكون قد تردّد علىٰ البلد عدة مرات أثناء مروره للحج أو زيارة منطقة أخرىٰ ، ومارس الصلاة فيه فاشتهر باسمه .

واحتمال ثالث ضعيف وهو أن يكون المسجد باسم شيخ آخر اسمه الشيخ إبراهيم ولا نعرفُ أنّ هناك شيخاً آخر من القديح باسم الشيخ إبراهيم .

والاحتمال الثاني نُفيَ أيضاً من نفسِ المترجم له حيثُ ذكرَ مروره بالقطيف وتنكّرها له ، وتابَ عن المرور بها لإصابته بالحمىٰ .

فالتردد علىٰ البلد والمرور بها منفي من قبل الشيخ ، أو هو مبني علىٰ المبالغة ، إذ الحنين للوطن ، والعزوبة ، والعوز ، أمور مهمة ، ربما الجأته لتجشيم عناء الحر والرطوبة في سبيلها ، فعاد للوطن كما هو الاحتمال الأول . اما ان يعود عودة متردد ، ويصلي فيه فيشتهر باسمه ، فلا اظن ذلك ، لأن هذه المرات لن تتكرر كثيراً ـ للسبب الذي ذكره ـ ، وان تكررت عدة مرات ، فكم هي المدة التي قضاها لتكفي ان يطلق علىٰ ذلك المسجد اسمه ؟!

ومما يساعد علىٰ هذا الاحتمال ـ العودة والاستقرار لفترة طويلة ـ ويرجحه ، (وثيقة) يقال انها لدى احد آل علوان ، مفادها ان الشيخ كان فيها

شاهداً علىٰ بيع نخل أو وقف ، وقد ذكر لي هذا الاستاذ محمد علي الناصر ، وقال ان من ذكروا له هذه الوثيقة ، وتكلموا في شأنها اكدوا لها انها موجودة عند ذلك الشخص ، ولكنه لم يرها ، والله أعلم .

ويؤيده أيضاً الروايات التي يرويها المسنون ـ وهي مشهورة ـ ، وقد سمعت الكثير منها ، وكلها تلتقي في أنه كان يعمل علىٰ حمار لجلب الحطب ، وانه اشتبك مع (افداوي أو خوي) ـ ترادف معنى الحارس أو الشرطي ـ فحصلت له كرامة في ذلك الخوي ، فَطُلِبَ بعدها الشيخ ، فلما دخلوا عليه وجدوه ميتاً . وعلىٰ اية حال فإن كانت هذه القصة واقعية بالكامل أو زيد فيها ـ وهو المتوقع ـ فإنها تؤكد رجوعه للبلد ، لما ذكرت لك من شهرتها ، وما من دخان إلا وله نار ، والله أعلم .

وتعتبر عائلة المؤلف احدىٰ العوائل الأربع ـ آل عرفات وآل علوان وآل فوير وآل رضوان ـ التي اشتهر أنها أول من سكنت القديح ، وقد ذكر هذا الاستاذ محمد علي الناصر في كتابه (تاريخ القديح) المخطوط ، وسمعت منه هذا المعنى مشافهةً .

وقوله انهم أول من سكن القديح ليس معناه أنها لم تكن موجودة مطلقاً ، بل ربما هم أول من عمرها ، أو قام بتسويرها ، أو ما شابه ذلك ، اذ أن رشالى (رشالا) ـ جزء من القديح حالياً ـ كانت عامرة في القرن السابع الهجري ، حيث كانت سكنىٰ الشيخ يوسف بن أبي الرشلاوي ، وأغلب ظني أن عرفات ـ الجد الرابع للشيخ ابراهيم ﷺ ـ هو من أعلام القرن الحادي عشر ، اذا اخذنا الافتراض العلمي السائد أن لكل قرن ثلاثة أجيال .

وقد اتحفني الاستاذ محمد علي الناصر بعدة اسماء ممن اشتهر من هذه

العائلة ، اليك بعضها :

ـ محمد علي بن حسن بن يوسف آل عرفات : كان حياً في ١٢٥٧/٣/٨هـ، وفق وثيقة كان فيها شاهداً بخطه .

ـ سليمان آل عرفات : كان حياً عام ١٢٦٠ هـ ، وهو عام واقعة (الغرفة) ، وقد كان عمدة للقديح حين حصول هذه الواقعة ، وملخص هذه الواقعة ان البداة تسللوا لبلدة القديح على حين غرة من أهلها في يوم عيد من الاعياد ، وكان الرجال يتبادلون التهاني في مجلس عمدتهم وكان هذا المجلس ـ الغرفة ، في الطابق العلوي ، في بيت سليمان ، فداهمهم البداة ؛ واصابوا منهم مقتلا عظيماً ، حتىٰ أنّ الدماء جرت في الميزاب من كثرتها ، الا أن سليمان بقي حياً بعد هذه الواقعة ، فلما رأىٰ النقص في الرجال أمر من تبقىٰ من الرجال أن يتزوج كل واحد منهم اربع نساء ، وقد تم ذلك .

وموقع هذه الغرفة معروف في وسط البلدة وقد انتقل هذا البيت الىٰ يد حفيد سليمان ، محمد بن محمد بن سليمان آل عرفات المعروف بمحمد شلي المتوفي سنة ١٣٥٧ هـ .

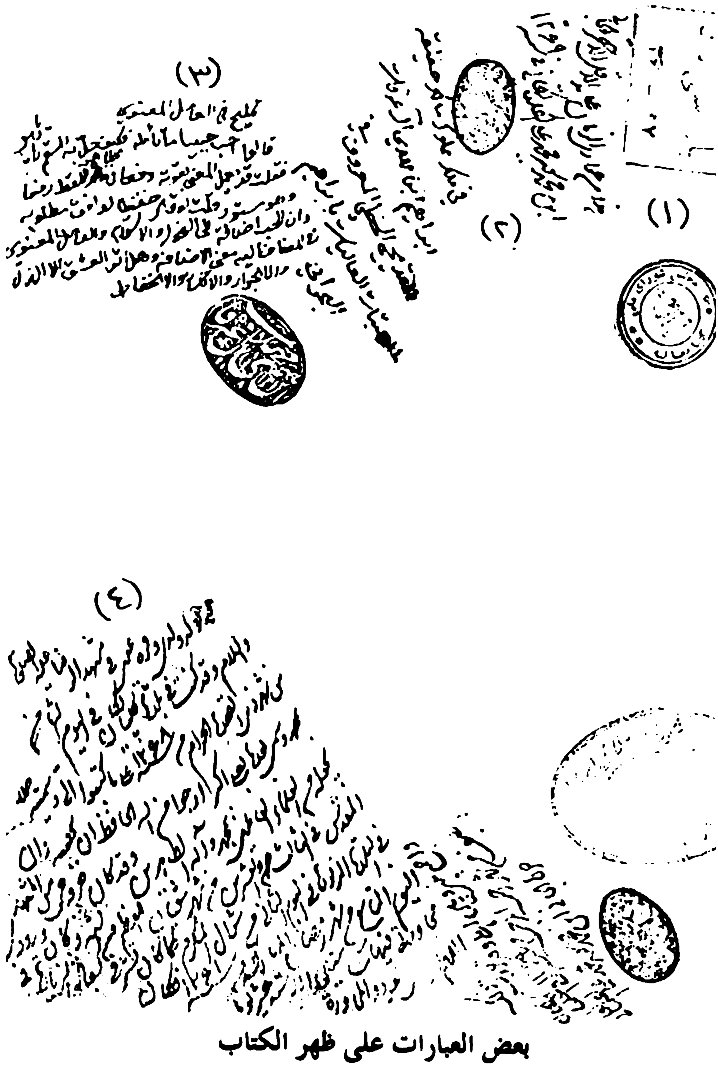
ـ محمد آل عرفات : توفي ١٣٠٤ هـ شاعر شعبي ، له شعر محفوظ لدى الاستاذ الناصر .

ـ حسين بن سليمان آل عرفات : استشهد في واقعة الشربة ١٣٢٦ هـ المعروفة بـ(وقعة الطف) نسبة للنخل القريب من هذه الواقعة غرب القديح .

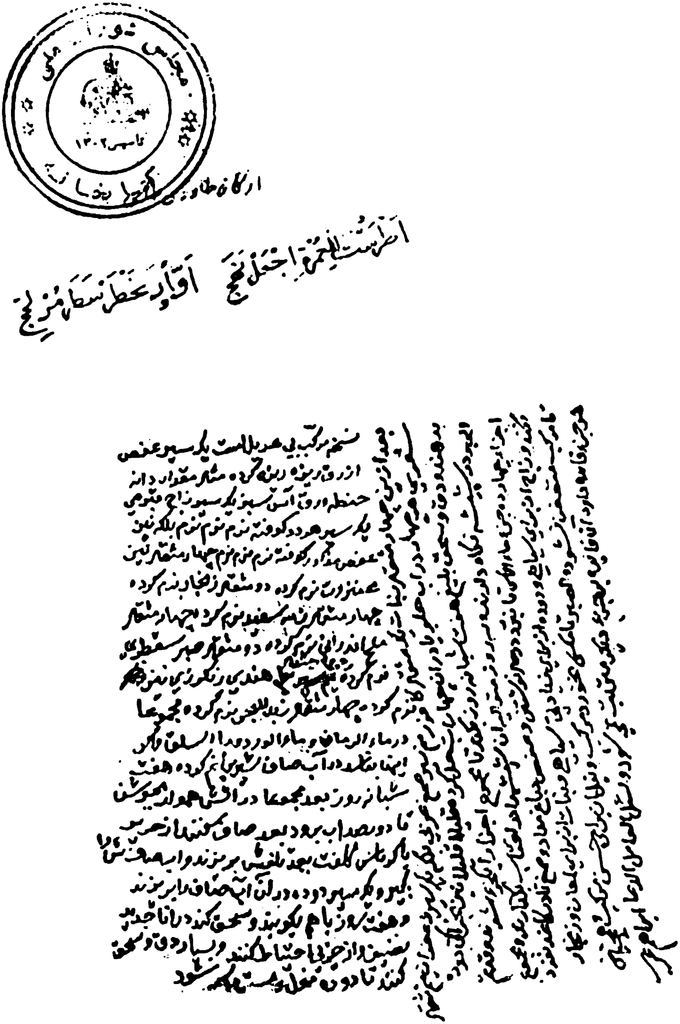
عبد الغني أحمد العرفات

القطيف .

١ / ٣ / ١٤١٨هـ



بعض العبارات على ظهر الكتاب



وصف تركيب حبر باللغة الفارسية بخط المؤلف

البيانية في خصوص باب الاستعارة لطلقت عنقه لجوازه خاضعه و
لا اعترف بجهله ولاجل ذلك الفت في المسئلة كتابا حافلا فيه جمل من النصوص
والنقول انتهى كلام السيوطي وهذا المؤلف المشار اليه لم اقف عليه وكلامه
هنا وان وقع في شرح منظومة البيانية ما قد يشعر بمخالفته هو القول المحقق
بالاعتماد والتحقيق برفع العناد لما قد تقرر في محله ان المثبت مقدم على النافي
بان الاصل في الاشياء الاباحة وقد اشتملت ديباجة تفسير البيضاوي
على جميع انواع الاقتباس ولم ينكر ذلك عليه احد من الناس مع اشتهاره
في المشارق والمغارب واخذه من الفضلاء الحفظة والعقول بالتسليم
المغارب ولمثل ذلك ركب الطيبي والتفتازاني في حاشيتهما على الكشاف
جيدا اذا جعلاها فاتحتها بقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم
يجعل له عوجا ومن تتبع كلام الادباء والفضلاء كابن الجوزي في مواعظه
وخطبه حصل من معرفة الجواز على ادبه وقد علم من كون الجواز مجمعا عليه
في هذا الباب ان المنكر المرتاب الصابي عن الصواب قد دخل بمخرجه
من دائرة الاجماع في ربقة الوعيد الشديد من غير نزاع على ما يشير اليه
قوله تعالى عز وجل الكبير ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا فعليه التوبة والندم والاستغفار من هذه الجرم
والرجوع الى سلوك سبيل المؤمنين عسى ان يكون وجيها في الدنيا والآخرة
ومن المتقدمين ذلك امثلة الدالة على الجواز كثيرة فقد جاز العلماء حقيقة ذلك
الجواز برجل غير كسير واول من فتح هذا الباب ونصب هذا المحراب ورفع
علمه فانخفضت ادلة المرتاب هو حامل راية الشريعة وناقل آية التأصيل
والتفريع المؤيد بالعصمة المنصوص بالبيان والحكم بتمامه فقد روى مسلم في
صحيحه واتفق ائمة الحديث على تصحيحه في دعاء الافتتاح ومقدمة النجح والفلاح
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من

بعض الصفحات من وسط الكتاب

الكشكول

تأليف

الشيخ إبراهيم بن مهدي آل عرفات

تقديم

الدكتور عبد الهادي الفضيلي

تحقيق

عبد الغني العرفات

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصيّة

عباد الله أوصيكم بتقوى الله فإنَّ تقوى الله هو الحصنُ الحصين ، والاعتصام بطاعته هو الحبل المتين ، إياكم أن[1] تركنوا إلى الدنيا ، فإنَّ الراكن إليها من العقل عديم ، لأنّه لا يدوم فيها نعيم ، ولا يبقىٰ فيها أحد سليمٌ ، متواترة محنها ، متكاثرة فتنها ، أعظم الناس بلاءً فيها الأنبياء ، ثم الأوصياء ، ثم الأمثل فالأمثل .

علي بن الحسين عليه السلام : « أيّما مؤمن دمعت عيناه على خده ، بوّأه الله بتلك الدمعة غرفاً في الجنة يسكنها أحقاباً ، وأيّما مؤمن مسّته ضرّاء فينا ، أو أذىً في الدنيا ، إلا صرف الله عنه الأذىٰ ، وآمنه من سخطه والنار » .

الصادق عليه السلام : « من ذُكرنا عنده ، وفاض من عينيه مثل جناح الذباب ، إلا غفر الله له ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر ، من بكىٰ وأبكىٰ فينا فله الجنة » .

قال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[2] و﴿ **إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتون** ﴾[3].

---

(١) م ك : ساقطة .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(٣) سورة الزمر : ٣٠ .

وأعلم أن الله تعالى جعل لكل شيءٍ أجلاً محتوماً ورزقاً مقسوماً ، ولو كان أحدٌ في الدنيا مخلّدٌ ، لكان أولياء اللهِ تعالى الصالحون أولىٰ فيها بالخلود .

فلو كان في الدنيا أميرٌ مخلدٌ | لكان رسول الله حيّاً وباقيا
ولم يبقَ إلا الله جلّ جلاله | فسبحان من أفنى القرون الأوائلا

فخلْقُ الله حبال الله إن شاء يقطعها ، أو يشاء يمدّها ، فإن أحسنَ للمحسن ، أو تجاوز عن المسيء ، فبفضله ، وإنْ لم يرحم وعذّب ، فبعدله .

ليس الغريب غريب الشام واليمن | بل الغريب غريب اللحد والكفنِ
لا تنهرن غريباً حال غربته | فالدهر ينهره بالذلّ والمحنِ
إن الغريبَ له حق لغربته | على المقيمين في الأوطان والسكنِ
سيري بعيد وزادي لا يبلغني | وقسمتي لم تزل والموت يطلبني
تمر ساعة أيامي بلا ندمٍ | ولا بكاء ولا فكرٍ ولا حزنِ
يا نفس كفي عن العصيان واغتنمي | حسن الثواب فلا عتبى على الزمنِ
خذ القناعة من دنياك وارض بها | واجعل نصيبك منها راحة البدنِ

للبانياسي : وبانياس قرية في الحولة من أعمال الشام ، ونهرها مشهور ، وقيل : هي السبع الحصون .

ذهبَ السوادُ فماله من عودةٍ | واتى البياضُ مخبّراً بالرحلة
ومضى سروري ثم ولّت فرحتي | لما رأيتُ الشيبَ لاح بلمّتي
في سرعةٍ ودنا الدليل برحلتي
يا سادتي هذا الرحيلُ فقد دنا | والقلبُ مشغولٌ بلذات المنىٰ
وعلمتُ أنّ الدهرَ لمْ يغدرْ بنا | وأروم ادراكَ المنا وقد آنحنىٰ
مني العذار وفارقتني قوّتي

أين الملوك ومن عتا من جهله ... بجنوده وقصوره وبأهله
جاءَ الرسولُ من المليك بعزله ... من كان لا يطأُ التراب بنعله
من عزةٍ يطأُ الثرىٰ بالوجنةِ

ولقد غفلتُ فيا لها من غفلةِ ... ذهب الصبا ودنا الرحيل لشقوتي
لو كان لي من كل ذنبٍ ريحةِ ... لم يدن مني صاحبي من ريحتي
وخَلَتْ من الحسناتِ بطنُ[1] صحيفتي

في وصف الوزراء والملوك : الوزيرُ الأعظم ، والمشيرُ الأفخم المفخّم ، مدبرُ جمهور الأمم ، الجامع بين رتبتَي العلم والعمل ، والحائز فضيلتي السيف والقلم ، قرةُ عين المملكة والوزارة ، سيفُ الدولة السلطانية ، ولسان الصولة الخاقانية ، وصفوة الحضرة العثمانية ، مؤسسُ قواعد الدولة والإقبال برأيه الصائب ، مُشيّدُ أركان الصولة والإجلال بفكره الثاقب .

غيره : صاحبُ العزِّ والإجلال ، صاحبُ ذيل السعد والإقبال ، حامي حمى الإسلام والمسلمين ومشيّد أركان الدين : الوزيرُ الأعظم والدستور الأكرم ، منصف المظلوم ممن ظلم ، من عضد الله به المملكة وشدّ آزارها ووصل أسباب الدولة وأعلا قدرها ، كيف لا وهو صاحب تدبيرها ! والقائم بصلاح أمورها ، والكافل أمر صغيرها وخطيرها ، من هو في الأرض ظلُّ الرحمٰن والقائم بالعدل والإحسان الوزير الأعظم ناشر لواء العدل على رؤوس الأمم ، سيّد الوزراء الأفاضل ، جامع أسباب الحكم والفضائل ، مقلّدُ جيدَ الوجود بوشاح المناقب ، ومحيي ما آندرس من الجود بنظم ذوي المذاهب ، فخر الدولة العثمانية ، خلّد الله ظلال عواطفه على البريّة ، لا برح وجه الوزارة

(١) م ك : وخلت من الحسن بطون صحيفتي ، والأصحّ ما أثبتناه .

بسنا سعادته ساطعاً ، وضياء نورها بسنانه لامعاً ، وسيفه المصون لعزائم أعدائه قاطعاً .

غيره : يقبل اليد الشريفة لا زالت جارية بسوابغ النعم ، هامية بغيوث الكرم مبسوطة لتقبيل العرب والعجم ، قلّد الأعناق أطوار المنن ، وتدخّر عند الله الأجر الحسن .

غيره : أُقبّل رياض مواطي أقدام السيادة وأُلثمُ أعتاب أبواب السعادة وأمرِّغ نظارة الخدود على ممر النعال وأسبلُ قطرات عبرات الدموع على قمر الليالي وأرسلُ مع المدامع وسائل الوسائل وأبتهلُ إلىٰ الله سبحانه بأكفُّ الضراعة وألسنة الإفتقار سائلاً تأبيد النصر والاستبشار لتلك الحضرة العلية والأوصاف الجلية .

غيره : يُقبّل اليد الشريفة لابرح النصر باعثها معقوداً والسيوف بهمته لا تتوسد حمائل ولا تغترس عوداً لا زالت عزائمه تفك الصوارم واراؤه تفلُّ العظائم ولا زالت تفيض علىٰ الأعنة والسيوف وتهب الجنود والألوف وينهى بعد راعيه بتأبيد عزائمة وسقوط دعاء العدىٰ ألسنة صوارمه .

غيره :الدعاء خلد الله ملكه وجعل الدنيا بأسرها ملكه وأدام سعادة أيامه وجعل البسيطة قبضة يديه وطوع أحكامه ولا زال لواء عدله المنشور إلىٰ يوم النشور ولا برحت دول الأيام علىٰ يده دائرة ووجوه السعادة متاعه سافرة وأجنحة النعم بأبوابه مقصوصة وبأنيابه طائرة وعايم التوفيق لأرائه مسخرة وبأعدائه ساخرة مرفوعة أعلام دولته إلىٰ محيط القبة الخضرا وجدوله في كل مكان وزمان عزاً ونصراً ومنةً وبشراً .

بسم الله الرحمن الرحيم قال السيد أبو الحسن بن أبي الرضا العلوي

الموسوي الحائري ﷺ :

اعلمْ بأن الشمسَ لما خُلقتْ		في أول الشرطين حقاً وضعتْ
وعندها كان ابتداء العالمِ		سمعته من قول شيخ عالمِ
في شهر آذار اعتدال الوقت		في قول كل عالمٍ ومفتي
ثالثْ عشر منه تنزلْ بالحمل		وكائن الليل مع الصبح اعتدل
ويوم خامسْ عشر من نيسان		تكون في الثور على تبيانِ
وتنزل الشمس لخمس عشره		في منزل الجوزاء وقتاً بكره
في شهر آيار إذا توسَّطا		فلا تكن في علمه مفرطا
وفي ثلاث عشر يومٍ كامله		إذا حزيران أتى بالقايله
بالسرطان تنزل المسخنه		وهو إذاً أطول يوم في السنه
وهكذا تموز إن تم العدد		مكانها تنزل في برج الأسد
وسبع عشر ليلة مكملة		من آب تنزل خمسة بالسنبلة
أيلول لا قيلول فيما ذكروا		لست عشر شارقاً قد حرروا
تنزل فيه الشمس في الميزان		فلا تكن في حفظه بوان
يعتدل الليل مع النهار		كقسمة الساعات في آذار
وستةٌ[1] قد ذهبت وعشرِ		يمضين من تشرين بعد الفجر
قد تنزل الشمس بقول العرب		إذا تبينت برأس العقرب
وتنزل الشمس لخمس عشره		في شهر تشرين الأخير بكره
بالقوس وهو منكب النعائم		واصغ إلى مقال شيخ عالم
ويوم خامسْ عَشْر من كانون		تنزل بالجدي على تمكين

---

(١) م ك : ستت .

وهــــو إذاً فـــي أول الســـعود ثـــم تـــعد فـــي درج الصـعود
لأنــــه أقــصر يــومٍ يــاتي اذا تـــوسطت الزمـــان الشـاتي
والشـمس قـد تـنزل بـرج الدلو فـــي قـول كـل حـاضر وبـدوِ
في شـهر كـانون الأخير إذ مضت ثـلاث عَشْـر ليـلةٍ قـد فـرضتْ
وتــنزلُ الشـمس عـلىٰ احـتياطِ فـي يوم ثـالث عشر من شباطِ
بـالحق فـاسمعْ يـا سـديد مني ولا تــجاوزه واروي عــني
أيـا جـارتنا إنَّ الخـطوبَ تـنوبُ وإنّــي مـقيمٌ مـا أقـامَ عسيبُ[1]

للشافعي :

ولما قسىٰ قلبي وضاقت مذاهبي جـعلت الرجـا مـني لعـفوك سُـلَّما
تـعاظمني ذنـبي فـلما قـرنته بعفـ ـوك ربـي كـان عـفوك أعـظما
فما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تــجود وتــعفو مــنةً وتكـرما
فلولاك لم يسلم مـن ابـليس عـابدٌ فكـيف وقـد أغـوىٰ صـفيَّك آدما

وله أيضاً :

رأيت الرفـــق أبــلغ بـــالسمو ولم أر كـــالتواضـع فــي العـلو
فـــمن رد الســلام عـلىٰ سـفيهٍ كـمن ألقـىٰ السـلاح إلىٰ العـدو

نصيحة :

يا نفس قـومي فـلقد نـام الورىٰ وصانعي الخير فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرىٰ عند الصباح يحمد القوم السرى

---

(١) البيت لامرئ القيس ، وعسيب جبل معروف ، وقد قاله عند رجوعه من عند قيصر واحساسه بالمرض وتكملته :

أيا جارتنا إنـا غـريبان هـاهنا وكل غريب للغريب نسيب

وهذا حث منه علىٰ التهجد بصلاة الليل وفقنا الله لملازمتها ، ففي الحديث القدسي : (أنا أعين علىٰ طاعتي ، ولا أعين علىٰ معصيتي) .

موعظة :

أمرّ علىٰ المقابر كل يوم ... ولا أدري بأي الأرض قبري
وأضحك كلما يزداد مالي ... ولا أبكي علىٰ نقصان عمري

حكمة :

سيكون ماهو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون
فلعل ما تخشاه ليس بكائن ... ولعل ما ترجوه ليس يكون

العاصمي[1] :

فليس بهذه الدنيا كريم ... يلوذ به صغيرٌ أو كبير
وربعُ المجد ليس به أنيس ... وحزب الفضل ليس له نصير
وقائلة أراك علىٰ حمارٍ ... فقلت لأنَّ سادتنا حمير

الشيخ البهائي العاملي :

وثورين حاطا بهذا الورىٰ ... فثور الثريا وثور الثرىٰ
وهم تحت هذا ومن فوق ذا ... حمير مسرحة في القرىٰ
لعمرك ما الإنسان إلّا بسعيه ... فمن كان أسعىٰ كان بالمجد أجدرا
وبالهمة العلياء يرقىٰ إلىٰ العلا ... فمن كان أعلىٰ همة كان أشهرا
ولم يتأخر من يريد تقدماً ... ولم يتقدم من يريد تأخرا

(١) عاصم بن الحسن البغدادي الكرخي ، شاعر صاحب ملح ونوادر . شذرات الذهب ٣ : ٣٦٨ .

نصيحة:

يا نفسُ خافي إله العرش مولاك ... وراقبيه وتوبي من خطاياك
يا نفس كفي عن العصيان وانتبهي ... فعن قريب يكون القبر مأواك
يا نفسُ ما تستحي تعصي ويسترِكِ ... ربُّ البرايا الذي يا نفس أنشاك
يا نفس توبي فقد ولىٰ الشباب وقد ... جاء المشيب بقرب الموت ينعاك
يا نفس قومي بذل في الظلام إذا ... ما جن ليل الدجىٰ فالله يرعاك
يا نفس رقي وذلي واخضعي فعسىٰ ... تحظي بطيب المنىٰ من قرب مولاك

تنبيه:

إنّي بُليتُ بأربعٍ ما سلِّطوا ... إلا لعظم بليتي وشقائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوىٰ ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

* * *

ما وهب الله لامرئٍ هبةً ... أحسن من عقله ومن أدبه
هما جمالُ الفتىٰ فإن فقدا ... ففقده للحياة أجمل به

* * *

تنكّر لي دهري ولم يدر أنني ... أعز وأحداث الزمان تهون
وبات يريني الخطب كيف اعتدائه ... وبت أُريه الصبر كيف يكون
طويت لاحراز الفنون ونيلها ... رداء شبابي والجنون فنون

* * *

كن عن همومك معرضا ... وكل الأمور إلىٰ القضا
وابشر بخير عاجلٍ ... تنسىٰ به ما قد مضا
فلرب أمرٍ مسخطٍ ... لك في عواقبه الرضا

ولربـــما اتســـع المـــضيق ... وربـــــما ضـــاق الفـــضا
الله يــــفعل مـــا يشـــاء ... فــــلا تكـــن مـــتعرضا

في الصبر :

صبرت علىٰ ما لو تحمل بـعضه ... جبالٌ برضوىٰ أوشكتْ تـتضرعُ
ملكت دموع العـين ثـم رددتـها ... إلىٰ باطني فالعين في القلب تدمع

في العزلة عن أبناء الدنيا :

كـــنْ عـــنِ النـــاس جـانبا ... وارض بــــالله صــــاحبا
قـــلِّبِ النـاس كـيف شـئت ... تـــجدهم عـــقاربا

العبّاس بن الأحنف[1] :

قـــلبي إلىٰ مـــا ضـــرني داعـــي ... يكـــثرُ اعـــلالي وأوجـــاعي
كيف احـترازي مـن عـدوي إذا ... كـــان عـــدوي بـين أضـلاعي

ابن الوردي[2] ، من قصيدة في الغربة :

حـــبك الأوطــان عـــجز ظـاهر ... فاغتربْ تلقىٰ عـن الأهـل بـدلْ
فـــبمكث المـاء يـبقىٰ أسـناً ... وسُـرىٰ البـدر بـه البـدر اكتملْ
قـاطع الدنـيا فـمن عـاداتـها ... تخفض العالي وتعلي من سـفلْ
واتـــرك الحـــيلة فـيها واقـتدي ... إنـــما الحـــيلة فـي تـرك الحـيلْ

---

(١) العباس بن الأحنف بن طلحة الحنفي ، اليمامي . نشأ ببغداد ، وله أخبار مع هارون الرشيد . ت١٩٢ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج٥ : ٥٩ .

(٢) عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس ، المعري ، الحلبي ، الشافعي . ولد بمعرة النعمان ، ناظم لغوي ، مؤرخ له (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) . ت٧٤٩ هـ . المصدر السابق : ج٨ : ٣ .

محمود الورّاق[١] :

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... علىٰ نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا زدت تقصيراً تزدني تفضلاً ... كأنّي بالتقصير استوجب الفضلا

محمود بن الحسن الورّاق :

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً ... عليّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمرُ
إذا عمّ بالسراء عمّ سرورها ... وإنْ مس بالضراء أعقبها الأجرُ
فما منهما إلا له فيه نعمة ... تضيقُ بها الأوهامُ والبرُ والبحرُ

أبو العتاهية :

أحمدُ الله فهو الهمني الحمد ... علىٰ الحمد والمزيد لديه
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلما ... صرتُ في غيره بكيتُ عليه

* * *

وإنّي لاغضي مقلتيّ علىٰ القذى ... وألبسُ ثوبَ الصبرِ أبيض أبلجا
وإنّي لأدعو الله والأمر ضيقٌ ... عليّ فما ينفك أن يتفرجا
وكم من فتىً ضاقتْ عليه وجوهه ... أصاب لها في دعوة الله مخرجا
إن لله عباداً فطنا ... طلّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
جعلوها لجةً واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفُنا

* * *

يفني البخيلُ بجمع المال مدّته ... وللحوادث ما يُبقي وما يدع

---

(١) شاعر ، أكثر شعره في الحكم والمواعظ ، رونٰ عنه ابن أبي الدنيا . توفي نحو ٢٢٥ هـ . الأعلام للزركلي ، ج٧ : ١٦٧ .

كـدودة القـز مـا تـحويه يـهلكها   وغـيرها بـالذي تـحويه يـنتفع

خاطر السرميني :

إنّ الكـتابَ كـابن آدم لم يـزل   تجري علىٰ تـصحيحه الأقـلام

مـن لم يـؤدبه أبـوه وأمـه   قـد أدّبـته النـاس والأيـام

المتنبي :

الهـمُّ يـخترمُ النـفوسَ نـحافةً   ويشيب ناصية الصبىٰ ويـهرم(١)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذىٰ   حتىٰ يُـراقَ علىٰ جوانبه الدمُ

والظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عـفةٍ فـلعلةٍ لا يـظلمُ

ومن البلية عذل مـن لا يـرعوي   عن جهله وخطاب من لا يـفهم

ومـن العـداوة مـا ينالك نـفعه   ومن الصداقة ما يضرُّ ويـؤلمُ

أفعال مـن تـلك الكـرام كـريمة   وفعال من تلك الأعاجم أعـجمُ

* * *

إنـي رأيـتكَ قـاعداً مـتنكّراً   فـعلمت أنك للـهموم قـرين

هوّنْ عليك وكـنْ بـربك واثـقاً   إن التـوكل شأنـه التـهوين

ارفض بها وتـخلَّ عـن أثـوابـها   إن كـان عـندك بالقضاء يـقين

في أبناء الدنيا وعزلتهم :

كن ما استطعت عن [الأنام] بمعزلٍ   إنّ الكثيرَ مـن الورىٰ لا يـصحبُ(٢)

---

(١) وردت هذه الأبيات بغير هذا الترتيب . را : شرح الديوان للبرقوقي ، ج٤ : ٢٤٧ . ط دار الكتاب العربي .

(٢) هذان البيتان من القصيدة (الزينبية) ، المنسوبة للإمام علي عليه السلام ، وتنسب أيضاً لصالح بن عبد القدوس الأزدي . را : معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج١٢ : ٨ .

واحــذر مـعاشرة السـفيه فـإنه ... يعدي كما يعدي السليم الأجربُ

* * *

أفٍ مــــن الدنــيا وأيــامها ... فـــإنها للـــحزن مـــخلوقه
هـــمومها لا تـــنقضي ســاعةً ... عـــن مـــلك فـــيها ولا ســـوقه
يـــا عــجباً مـنها ومـن شأنـها ... عـــدوةٌ للـــخلق مـعشوقه

في القناعة :

رأيت الجـوعَ يُـذهِبهُ رغـيفٌ ... ومـلء الكـف مـن مـاء الفـرات
ومالي لا أصـون بـذاك عـرضي ... وأقـنع بـالقليل إلىٰ المـمات

وفيها أيضاً :

طـلبتُ المسـتقر بكـلٍ أرضٍ ... فـــلم أر لي بأرضٍ مســـتقرا
خـدمت مـطامعي فـاستعبدتني ... ولو أنّـي قـنعتُ لكـنتُ حـرًا

في الصمت :

يسآئـلني صـديقٌ كـيف حـالي ... فأصـــمتُ لا أردُّ عـليه قـولا
لأنّ القـولَ يشـمتُ بـي عـدوّي ... ويُحزِنُ صاحبي فـالصمتُ أولىٰ

قلتُ : وليس آفةُ عدمِ الصمتِ مقصورةً علىٰ شماتةِ العدو وتحزُّن الصاحب بل هو منبع الزلل ومرتعُ الهمل ومهيعُ الخطل والخبل والعطل .

في مَنْ تجالسُ وتُجانِس :

اجعل نديمك مجموعاً تُطَالعهُ ... لتستفيدَ مـن الآدابِ والحكـمِ
واتركك مجالسَ أقوامٍ تُجادلهم ... فتكسب الإثمَ من سمعٍ ومِنْ كلمِ

ولعمري إنّه لم يقرع سمعي ، في الزجر عن البطالة ، والحث علىٰ العزلة مثلهما ، فاحفظهما .

في أبناء الدنيا :

أخوك الذي لا ينقضُ الدهر عـهدهُ وعندَ صروفِ الدهـرِ يـعقلُ جـانبه

وليس الذي يـلقاك بـالبشر والرضـا وإنْ غـبتْ عـنهُ لسّـعتك عـقّارِبه

في القناعة ، لشيخ الطائفة القشيري[1] :

اذا شـئت أن تـحيا حياةً هـنيئةً فنقِ مـن الأطـماعِ ثـوبك واقـنع

وإن شـئت عـيشاً لا يـفارق ذلةً فعلّق بـمخلوقٍ فـؤادك واطـمعِ

* * *

لا تسألنَّ إلىٰ صـــديقٍ حـاجةً فيحولُ عنكَ كما الزمانُ يـحولُ

واسـتغن بـالشيء القـليل فـإنّه ما صان عـرضكَ لا يُـقالُ قـليلُ

فأخوكَ مـا وفّـرتَ مـافي كـيسه فـإذا عـبثتَ بـه فأنت ثـقيلُ

من عزّ خفّ علىٰ الصديق لقاؤه وأخو الحـوائج وجـهه مـملولُ

* * *

لا تـحسبنّ المـوتَ مـوتَ البـلا وإنـما المـوتُ سـؤال الرجـال

كـــلاهما مـــرٌّ ولكـــنّ ذا أفـظعُ مـن ذاك لذلِّ السؤال[2]

وإياك الزواج إن سلمت من دواهي العزوبة :

قـالوا الزواجُ حـلالٌ فـيه مـنفعةٌ لمـا تـزوجتُ يـا هـمي ويـا نـدمي

سـترتُ شـبراً ولكـنّي سأُخـبركم هتكتُ بالشبرِ من رأسي إلىٰ قـدمي

---

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري ، متكلم ، واعظ ، أصولي ، محدث ، له كتاب (حياة الأرواح) و (الرسالة القشيرية) في التصوف ، وغير ذلك . ت ٤٦٥هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٦ ص٦ .

(٢) م ك :

كـلاهما مـوت ولكـنه أمر من ذلك ذل السؤال

في الرجاء :

ذنــوبي اذا فكّــرتُ فـيها كـثيرةٌ ... ورحــمةُ ربــي من ذنـوبي أوسـعُ
وما طـمعي فـي صالحٍ قـد عَـمِلتهُ ... ولكــنني فــي حـمة الله أطـمعُ

في العزلة :

لعمركَ مـافي النـاس خـلّ مـوافـقٌ ... فــعشرةُ أبــناء الزمـانِ عـقابُ
فـخيرُ مكـانٍ جـامعٌ تـعتكفُ بـهِ ... وخـيرُ جـليسٍ فـي الزمـانِ كـتابُ

في الكبر والشيخوخة :

تــقوّس بـعد طـولِ العـمرِ ظـهري ... وداســتني اللــيالي أيَّ دوسٍ[1]
فأمشــي والعــصا تـمشي أمـامي ... كأن قــوامــها وتــرٌ لقــوسي

في القناعة :

إذا اعــطشتْكَ أكــفُّ اللــئام ... كــفتك القــناعةُ شـبْعاً وريّــا[2]
فكــنْ رجــلاً رجـله فــي الثرىٰ ... وهــامته هــمة فــي الثــريا

منصور التميمي[3] :

لو قــيلَ لي خُــذْ أمــاناً ... مــن حــادثاتِ الزمــانِ
لمــا أخــذت أمــاناً ... إلا مــن الإخــوان

---

(١) م ك : أي دوسي .

(٢) البيتان منسوبان للإمام علي عليه السلام ، وجاء في البيت الأول : إذا أظمئتك بدلاً من أعطشتك ـ راجع الديوان ص٢١٧ ، ط دار الكتب العلميه ـ ومنسوبان أيضاً لأبي الحسن النعيمي ، كما في (تتمة اليتيمة) ص٧٨ .

(٣) منصور بن إسماعيل المعروف بمنصور الفقيه التميمي ، ترجمة الذهبي في (أعلام النبلاء) ج١٤ ص٢٣٨ ، وذكر أنه يتشيّع .

قلتُ : وذلك لأنّ الدهر قد برز لأهل العلا للحرب والعداوة ؛ فلا حاجة بعد الإنذار لأخذ الأمان من الغدر بخلاف الإخوان فانهم أعرف بالمضرّة وأبعد عن التوقي . وقد سبقه إلىٰ ذلك البحتري بقوله :

أمّا العداة فقد أروك نُفوسهم ... فاقصدْ بسوء ظُنُونك الإخوانا

البستي :

من شاء عيشاً حميداً يستفيدُ به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرنَّ إلىٰ من فوقه أدباً ... ولينظرنَّ إلىٰ من دونه مالا

وكذا يستريحُ من نظر إلىٰ من دونه في الدنيا وإلىٰ من هو فوقه في الدين .

الأحنف العُكْبَري(١) :

رأيتُ في نومي الدنيا مزخرفةً ... مثل العروس ترآىٰ في المقاصيرِ

فقلتُ جودي فقالتْ لي علىٰ عجلٍ ... إذا تخلصت من أيدي الخنازيرِ

غانم المخزومي(٢) :

الصبرُ أولىٰ بوقارِ الفتىٰ ... من قلقٍ يهتكُ ستر الوقارْ

من لزم الصبرَ علىٰ حالةٍ ... كان علىٰ أيامه بالخيارْ

شرف الدين المستوفي(٣) :

تجلّدْ علىٰ ريبِ الزمانِ فإنه ... وإن خالطتْهُ سكرةٌ سيفيقُ

---

(١) عقيل بن محمد العكبري ، من أهل عكبرا ، اشتهر ببغداد ، وكثير من شعره في وصف الذلة والقلة . الأعلام للزركلي ، ج٤ ، ص٢٤٣ .

(٢) غانم بن الوليد المالقي القرشي المخزومي الأشوني الأندلسي ، أديب ، له شعر وعلم بالفقه والحديث والكلام والطب . توفي ٤٧٠هـ . الأعلام للزركلي ج٥ ص١١٦ .

(٣) المبارك بن أحمد اللخمي الأربلي (أبو البركات) ، له كتاب تاريخ أربل وشرح ديوان المتنبي . ت٦٣٧هـ . معجم المؤلفين لكحالة ج٨ ص١٧٠ .

ولا تكثرِ الشكوىٰ إلىٰ كل مَنْ ترىٰ   فما كلُّ من تشكو إليه صديقُ

الصنوبري[1] ، في مدح الحسد ، وإن ذمَّه الناسُ باعتبار :

أيّها الحاسدُ المعدُّ لذمي   ذمَّ ما شئتَ رب ذمٍّ كحمد

لافقدتُ الحسودَ مدة عمري   إنَّ فقدَ الحسودِ أخبث فقد

كيف لا أوثر الحسود بشكري   وهو عنوان نعمة الله عندي

* * *

لم يبق في الناس إلا المكر والملقُ   شوكٌ إذا لُمسوا زهرٌ إذا [نطقوا]

فإن دعاك القضا يوماً لعشرتهم   فكنْ حميماً لعلَّ الشوكَ يحترقُ

* * *

ادفعْ بصبرك حادثَ الأيامِ   وترجَّ لطفَ الواحد العلامِ

لا تيأسنَّ وإنْ تضايقَ كربُها   ورماكَ ريبُ صروفها بسهامِ

فله تعالىٰ بين ذلك فرجةٌ   تخفىٰ علىٰ الأبصار والأوهامِ

كم من نجا من بين أطراف القنا   وفريسةٍ سلمتْ من الضرغامِ

* * *

ولي صاحبٌ ما جئتُ أطلبُ حاجةً   فجاوبني إلا نعمْ وعلىٰ رأسي

ولستُ أرىٰ إلا كلاماً يسرُّني   ومِنْ بعده عيسىٰ لما قالهُ ناسي

كلامٌ بلا فعلٍ ووعدٌ بلا وفا   كغيمٍ بلا غيثٍ وجسمٍ بلا راس

في غير النافع من الأصحاب :

إذا كنتَ لا دنيا لديكَ تُفيدها   ولا أنتَ ذو دينٍ فنرجوكَ للدين

---

(١) أحمد بن الحسن بن مرار الضبي ، سكن حلب ودمشق . ت ٣٣٤هـ . المصدر السابق : ج٢ ص٩١ .

ولا أنت ذو علم علينا تُفيضه صنعنا صديقاً من مثالك من طين

قلتُ: لا تُصوِّر صورته من الطين إلا إذا أعطاك الأمن من قرضه وقرصه عند الفرصة وأين المنجاة ؟!

فيمن تمدّح بالكرم وهو بضده :

وفتىً يقولُ أنا الجوادُ وماله جود وأحسبُهُ ببرق يصدقُ

أبداً تراه هارباً من طالبٍ فهو الجوادُ لأنّه لا يلحقُ

ابن الرومي :

لنا صديقٌ لا صديق غثٌّ على أنّه سمينُ

اذا بدا وجهه لقوم لاذتْ بأجفانها العيونُ

كأنّه عندهم غريمٌ حلّتْ عليه لهم ديونُ

قطري بن يزيد الفجاءة المناوي :

أقولُ لها وقد طارتْ شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعي

فإنّك لو سألتِ بقاءَ يوم علىٰ الأجلِ الذي لك لن تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثوب عزٍّ فيطوىٰ عن أخ الذلِّ اليراع

سبيل الموت غاية كل حيٍّ وداعيه لأهل الأرض داع

ومَنْ لم يغتبط يسأمْ ويهرم وتسلمه المنون إلىٰ انقطاع

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ إذا ما عُدّ من سقط المتاع

* * *

علىٰ المرءِ أنْ يسعىٰ لما فيه نفعُهُ وليس عليه أن يساعده الدهرُ

فإن نال بالسعي المنىٰ تمّ قصدُهُ وإن خالف المقدور كان له عذرُ

السرّيّ :[١]

كـليني الىٰ المـهربة [القـود] إنـني   سأخذ من أيدي الخـطوب قـيادي
فـما تـعبي إلا لتـجديد راحـةٍ   ولا سـهري إلا لطـول رقـادي
ومـا الدهـرُ إلا شـرُهُ قـبل خـيره   ولذاتُ عـيشٍ غـالبتها الفـجائعُ
فـثغرٌ بأيـام المسـرة ضـاحك   وطـرف بأيـام الحـوادثِ دامـعُ
قـلت لعـبدي إذ عـصاني ولم   يـنته عـما كـنت أنـهاهُ
عـصيتَ مـولاكَ اقـتداءً بـه   كـما عـصىٰ مـولاكَ مـولاهُ

القاضي أبو الحسن :

مـا تـطعّمتُ لذة العيشِ حتىٰ   صرتُ في وحدتي لكتبي جليسا
ليس شيءٌ أجلَّ عندي في نفسي   فـلم أبـتغِ سـواهـا أنـيسا
إنّما الذلُّ فـي مـداخلة النـاس   فـدعها وعشْ كـريماً رئـيسا

في أبناء الزمان :

أنـاسٌ أمـنّاهم فـنمّوا حـديثنا   فـلما كـتمْنا السـر عـنهم تـقوّلوا
ولم يحفظوا الودَّ الذي كان بـيننا   ولا حين همّوا بالقطيعة أجـملوا

عبد الله بن عبد الله بن طاهر[٢] **:**

خـليليَّ لو كـانَ الزمـانُ مسـاعدي   وأذّيتماني لم يضقْ عنكما صدري

---

(١) السري بن أحمد بن السري الكندي الموصلي ، شاعر ، أديب ، مدح سيف الدوله ، له كتاب (المحبُّ والمحبوب) و (المشموم والمشروب) توفي ببغداد ٣١٢هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٤ ، ص٢٠٨ .

(٢) أو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي بالولاء ، أمير ، من الأدباء الشعراء (ت ٣٠٠هـ) . له من المؤلفات (السياسة الملوكية) و (الإشارة) في أخبار الشعراء . الأعلام للزركلي ٤ : ١٩٥ .

فأمّا إذا كان الزمانُ معاندي ... فلا تُصبِحا عوناً عليّ مع الدهر

المبرد النحوي، وقد خالف حكمة العزلة:

وكنتُ إذا الصديقُ أراد غيظي ... وأشرقني على حنقٍ بريقي
غفرتُ ذنوبه وكظمتُ غيظي ... مخافةَ أنْ أعيشَ بلا صديق

* * *

يُجَدِّبنا الزمانُ ونحنُ نلهو ... ولا ندري متىٰ يردُ الحمامُ
ويخدعنا الهوىٰ في ظلِّ عيشٍ ... يمرُّ بنا كما مرّ الغمامُ
كركبِ سفينةٍ في لُجِّ بحرٍ ... تسيرُ بهم وهم فيها نيامُ

* * *

الصبرُ مفتاحُ ما يُرجّىٰ ... وكلُّ صعبٍ به يهونُ
فاصبرْ وإن طالت الليالي ... فربما أمكنَ الحرونُ
وربما نيل باصطبارٍ ... ما قيلَ هيهات لا يكونُ

* * *

ما عضّني زمنٌ إلا لبستُ له ... ثوباً من الصبر لا يبلى على الزمنِ
إنّ الكريمَ إذا نابتهُ نائبةٌ ... ألفيتَهُ وجميلَ الصبرِ في قرنِ

* * *

كأنّك لم تسمع بأخبار من مضىٰ ... ولم ترَ بالباقين ما يصنع الدهرُ
فإنْ كنت لا تدري فتلك ديارهم ... عفاها فحالت بعدك الريح والقطرُ
وهل أبصرتْ عيناك حيّاً بمنزلٍ ... علىٰ الدهر إلا بالعراء له قبرُ
فلا تحسبنَّ الوفرَ مالاً جمعته ... ولكن ما قدمت من صالح وفرُ
مضىٰ جامعوا الأموال لم يتزودوا ... سوىٰ الفقر يا بؤساً لمن زاده الفقرُ

فحتّام لا تصحو وقد قرب المدىٰ ... وحتام لا ينجابُ عن قلبك السكرُ
بلىٰ سوف تصحو حين ينكشفُ الغطا ... وتذكر قولي حين لا ينفع الذكرُ
فصبراً علىٰ الأيامِ حتىٰ تجوزها ... فعمّا قليلٍ بعدها يُحمدُ الصبرُ

معين بن زائدة، في وصف الحسد المذموم :

إنّي حُسدتُ فزادَ اللهُ في حسدي ... لا عاش من عاش يوماً غير محسودِ
ما يحسدُ المرءُ إلا من فضائله ... بالعلم والظرف أو بالباسِ والجودِ

في الحظ والبخت :

إذا نهض الحظُّ فانهضْ له ... فإن شئت فاقدحْ من الماء نارا
وإنْ قعدَ الحظُّ فاقعد له ... فلن يجلب السعيُ إلا خسارا

* * *

لا تعجبوا من صديقٍ كنت أمدحه ... وقد هجاني وما هذا من العجب
بل أعجبوا من ذكاءٍ فيه كيف درى ... اني كذبت فجازاني علىٰ الكذب

ابن الرومي :

ضاقت عليّ وجوه الرأي في نفرٍ ... يلقون بالجحد والكفران احساني
اقلِّبُ الطرف تصعيداً ومنحدرا ... فما أُقابل أَسناني بأَسناني

مفرد :

وإنّ حياة المرء بعد عدوه ... وإن كان يوماً واحداً لكثير

* * *

وأخو الليالي ما يزال مراوحاً ... ما بين أدهم خيلها والأشهبِ
والأرضُ لي كرة أواصلُ ضربَها ... وصوالجي أيدي [المطايا] اللّغبِ

البحتري :

وإذا الزمـانُ كـبا كـرحـلةِ معدمٍ ... فـالبس له حـلل النـوىٰ وتـغرّب

* * *

ألفَ النـــوىٰ حـــتىٰ كأن رحـيله ... للـــبين رحـــلته إلىٰ الأوطـــان

* * *

ولستُ كـمنْ أخـنىٰ عليه زمانُهُ ... فـباتَ عـلىٰ أحـداثـه يـتعتَّبُ

تـلذُّ له الشكـوىٰ وإن لم يـجدْ بـها ... صلاحاً كـما يـلتذُّ بـالحكِّ أجـربُ

أبو الحسن المقدسي :

أيا نفسُ بالمأثور مـن خـير مـرسلٍ ... وأصـــحابه والتـــابعين تـمسكي

عســاكِ إذا بـالغتِ فـي نشـرِ ديـنهِ ... بـما طـابَ فـي نشـرٍ له أن تـمسّكِ

وخافي غداً يـوم الحسـاب جـهنماً ... إذا نـــفخت نـيرانـها أن تـمسّكِ

انْ لم تكن من أهل السيف ، فاجهد أن تكون من أهل القلم ، والفقر ، كل الفقر لا مهرولا سيف ، ولا قلم ، ولله در ابن الرومي :

إن يخدم القلمُ السيفَ الذي خضعتْ ... له الرقـــابُ ودانتْ خــوفه الأمــمُ

كـذا قـضىٰ الله للأقـلام مـذ بُـريتْ ... أنَّ السيوفَ لها مـذ أُرهـفت خـدمُ

وكـلُّ صـاحبِ سـيفٍ دائـماً أبـداً ... مـا زال يـتبع مـا يـجري بـه القـلمُ

ومن الأدباء ، مَنْ فضّل السيف علىٰ القلم ، ولا شك أنّ العلماء قد استظلّوا في ظلِّ الأمراء والحكام ، وإنما عاشوا بصلاتهم وعوائدهم ، ولولا الملوك ذهب العلم والدين ، ولذا قيل : الناس علىٰ دين ملوكهم . وورد : (السلطانُ ظلٌّ الله في أرضه[1]) وما أحسن ما قيل :

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار / ج ٧٥ ، ص ٣٥٤ ، الرواية ٦٩ . ولها تتمة .

السيفُ أصدق أنباءً من الكتبِ   في حدِّه العزل بين الجدّ واللعبِ

وقد اشتهر مثلاً : (وآية السيف تمحو آية القلم) .

عجبتُ لمن يبكي على فقدِ غيرهِ   دموعاً ولم يبكِ على فقده دما

واعجب لمن يبكي على فقد غيرهِ   عظيماً وفي عينيه عن عيبه عما

أبو حيان الأندلسي النحوي[1] :

عدائي لهم فضلٌ عليّ ومنةٌ   فلا اذهب الرحمنُ عنّي الأعاديا

همو بحثوا عن زلتي فاجتنبتها   وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

وأخذ هذا المعنى الطغرائي ، فقال :

من خصَّ بالشكرِ الصديقَ فإنني   أحبو بخالصِ شكريَ الأعداءَ

جعلوا التنافسَ في المعالي شيمتي   حتى امتطيتُ بنعليَ الجوزاءَ

وبغوا عليّ معايبي فحذرتها   ونفيتُ عن أخلاقيَ الاقذاءَ

ولربما انتفعَ الفتى بعدوِّه   والسمُّ أحياناً يكونُ دواءَ

الجامع[2] :

يا مُتْعباً بنقوش الخط أنمله   وساهرَ الليل لم يرقدْ ولم ينمِ

دعْ عنكَ ما راحت الأقلامُ تنقشه   في صفحة السيفِ ما يغني عن القلمِ

---

(١) محمد بن يوسف الغرناطي الجياني النُّفزي ، عالم بالعربية والتفسير والحديث . من كتبه : البحر المحيط ومجاني العصر . ت٧٤٥ هـ وكانت ولادته ٦٥٤هـ ، وقد اشتبه المؤلف رحمه الله بقوله إنَّ الطغرائي أخذ من أبي حيان ، إذ ان الطغرائي توفي ٥١٣هـ كما في الأعلام للزركلي .

(٢) الأبيات للسيد علي خان الشيرازي (ابن معصوم) ، وهما مذكوران في كتابه (سلوة الغريب وأسوة الأريب) ، ص٣٢٤ بتحقيق شاكر هادي شكر ، وقد اشتبه الشيخ رحمه الله فظنَّ أنَّ الأبيات لشخص باسم (الجامع) ، حيث ان السيد علي خان ، ذكر في ص٣١٥ من سلوة الغريب ما يلي :) وهذه نبذة من شعر الجامع عفا الله عنه [وهو يقصد نفسه] ، قال يمدح أباه مد ظله ...) .

أبو حيان في مَنْ تزهَّد ظاهِرُهُ وهو يبطنُ حبَّ الدنيا :

أيا كاسياً مـن جـيِّد الصـوف نـفسه   ويا عارياً من كل فضلٍ ومن كـيس
أتزهى بصوفٍ وهو بالأمس مصبحٌ   علىٰ نعجةٍ واليوم أمسىٰ علىٰ تـيس

هكذا ينبغي أن يُضرب ، وإنْ كان القصدُ إلىٰ مَنْ لَبِسَ تاجَ الفقهاءِ ، وهو جاهلٌ عاميٌّ ، وله أيضاً :

أريـدُ مـن الدنـيا ثـلاثاً وإنـها   لغايةُ مـطلوبٍ لمـن هـو طـالبُ
تـلاوة قـرآنٍ ونـفساً عـفيفةً   وإكـثار أعـمال عـليها أواظبُ

وله أيضاً ، وأجاد ، وكان خير هاد :

يـظنُ الغـمرُ أنَّ الكـتبَ تـجدي   أخـا ذهـنٍ لادراك العـلومِ
ومـا يـدري الجـهولُ بأنَّ فـيها   غـوامض حـيّرت عـقل الفـهيمِ
إذا رمتَ العـلومَ بـغيرِ شـيخٍ   ظـللت عـن الصـراط المستقيمِ
وتـلتبسُ الأمـورُ عـليك حتىٰ   تصير أضـل مـن تـوما الحكـيمِ

قلت : لله در أبي حيان هذا ، فقد دقَّ علىٰ جرح القلب ملحاً ، ولم تزل النفس تتوق إلىٰ شيخٍ كشّافٍ شاف ، ومن عجبي لابن سينا علىٰ ما نقل : أنّـه فرغَ من العلوم وعُمره ثمان عشرة سنة ، فلزمَ الوزارةَ في همذان ، حتىٰ مـات فكان زبيباً وهو حصرم ، فمتىٰ لازمَ المشايخَ وقرأ ؟! ومتىٰ درس وصنَّف ؟! والحقيرُ اليوم جاوزَ الأربعين بسنة وهو لا يعرفُ الهِرَّ من البر وهل العلمُ إلا نقطة فكثَّرها الجاهلون وهل هو إلا جوهرة يقذفُها الله في قلب من يشاء من عباده سهلَّ الله لنا وعرَ الطريق وجعل لنا التوفيق خير رفيق إنّه رؤوفٌ شفيق .

أبو الحسن الدبّاج :[1]

رضـيـتُ كـفافي رتـبةً ومـعيشةً ... فلستُ أسامي مـؤسراً ووجـيهاً
ومن جرّ أثـواب الزمـانِ طـويلةً ... فـلابد يـوماً أنْ سـيعثرُ فـيها

* * *

له ذهــنٌ يـغوص بـبحرِ عـلم ... فـيأتي مـنْهُ بـالدرِ النـظيمِ
مـعانيه الريـاض لاجـل هـذاً ... سـرتْ ألفـاظُهُ مـثل النسـيمِ

* * *

مـعانٍ وألفـاظٌ تُـنظّم مـنهما ... عـقود لآلٍ فـي نـحور الشمائلِ
وزهـرٌ كـلامٍ كـالحدائق نسْـجُهُ ... غُنينا به عن حسنِ زهر الخمائلِ

المنصورُ بن أبي عامر ، من أمراء الأندلس ، فـي تـعالي الهمم :

رميتُ بنفسي هولَ كـلِ عـظيمةٍ ... وخاطرتُ والحرُ الكريمُ يـخاطرُ
ومــا صـاحبي إلا جـنان مشيّع ... وأسـمر خـطي وأبـيض فـاترُ
فسدتُ بنفسي كـلَ أهـلِ سـيادة ... وفاخرت حتىٰ لم أجدْ من أُفاخرُ
وما شـدتُ بـنياناً ولكـن زيـادة ... علىٰ ما بنىٰ عبد المليكُ وعـامرُ

بعضُ الأندلسيين :

أوّاه أوّاه وكـم ذا أرىٰ ... أكـثر مـن تـذكارِ أوّاه
مـا لامـرئٍ حـولٌ ولا قـوةٌ ... الحـولُ والقـوةُ لله

---

(١) علي بن جابر اللَّخميُّ الإشبيلي (٥٦٦ ـ ٦٤٦هـ) . من أعلام القراء والنحويين . أخذ النحو عن ابن خروف ، وتصدر لتدريس القراءات السبع نحو خمسين سنة . تاريخ الأدب العربي / عمر فروخ ٦ : ١٧٠ .

أبو المغيرة بن حزم[١] في البشرىٰ علىٰ البؤس :

إنّ الكـــريمَ إذا نـــابتهُ مـخمصةٌ ... أبـدى إلىٰ النّاس ريّاً وهـو ظـمئانُ

يحني الضلوعَ علىٰ ضل اللظىٰ حرقاً ... والوجـهُ غـرٌّ بـماءِ البشـرِ ريّـانُ

الشريف الرضي بعين المعنىٰ :

مـــا إنْ رأيتُ كـمعشرٍ صـبروا ... عـــزّاً عـــلىٰ الأزمـــات والإزم

بسـطوا الوجـوه وبـين أضْلُعِهم ... حـــرُّ الجـوىٰ ومآلم الكـــلم

الطرطوشي[٢] صاحب (سراج الملوك) ، يتبجج بجربزته :

كأنّ لســـــاني والمشكـــلات ... ســني الصـبحِ يـنحرُ ليـلاً بـهيما

وغـــــيريَ إنْ رامَ مـــا رمْـــتُهُ ... خـــصيٌّ يـحاولُ فـرْجاً عـقيما

قلتُ : إنْ أرادَ بغيره التعريض بمعيّن وإلا ففوق كل ذي علمٍ عليم وجزاءُ الكذوب نارُ الجحيم .

جعفر بن الحاج المورقي :

لي صاحبٌ عـميتْ علىّ شـؤونه ... حـــركاتُهُ مـــجهولةٌ وسكـــونهُ

يـــرتابُ بـالأمرِ الجـليّ تـوهماً ... فـــإذا تـــيقن نـــازعته ظـنونهُ

إنّـــي لأهـــواه عـــلىٰ شـرٌّ بـهِ ... كـالشيب تكـرهُهُ وأنتَ تـصونهُ

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن حزم ـ ابن عم الفقيه ابن حزم الظاهري ـ ، شاعرٌ ، فحلٌ وجداني ، مكثر . ت٤٣٨هـ . تاريخ الأدب العربي / عمر فروخ ٤ : ٤٧٧ .

(٢) (٤٥١ ـ ٥٢٠هـ) : محمد بن الوليد الفهري المالكي ، يُعرفُ بابن أبي رندقة ، فقيه ، أصولي ، محدث ، ولد بالأندلس ، وتوفي بالأسكندرية ، له : مختصر تفسير الثعالبي ، الحوادث والبدع ، شرح رسالة ابن أبي زيد . معجم المؤلفين / ج٢ ، ص٩٦ .

أبو الصلت الإشبيلي[١] :

سكـنتك يـا دار الفـناء مـصدّقاً ... بأنّـي إلىٰ دار البـقاء أصـيرُ
وأعـظمُ مـافي الأمـر أنّـي صائرٌ ... إلىٰ عادلٍ فـي الحكـم ليس يـجورُ
فياليتَ شعري كيف ألقاه عندها ... وزادي قـليلاً والذنـوبُ كـثيرُ
فـإن أكُ مـخزيّاً بـذنبي فأنـني ... بشـرٌ عـقابِ المـذنبين جـديرُ
وإنْ يكُ عـفوٌ ثـم عـنّي ورحـمةٌ ... فـثمٌ نـعيم دائـم وسـرورُ

وله أيضاً في مدح الهجرة :

إذا كـان أصـلي مـنْ تـرابٍ فكـلّها ... بـلادي وكـلُّ العـالمين أقـاربي
ولا بـد لي أنْ أسألَ العيسَ حـاجةً ... تشـقُّ علىٰ شُـمّ الذرىٰ والغـوارب

الشيخ الأكبر ، محي الدين بن عربي ، يوضحُ ليلةَ القدرِ علىٰ مذهبه :

وإنّـا جـميعاً إنْ نـصم يـوم جـمعةٍ ... ففي تاسع العشرين خذْ ليلة القـدرِ
وإنْ كـانَ يـوم السـبت أولَ صـومِنا ... فحادي وعشـري اعـتمده بـلا عسـرِ
وإنْ كانَ صومُ الشهر في أحـدٍ فـخذْ ... ففي سابع العشرين ما شئت فـاستقر
وإن هـلَّ بـالإثنين فـاعلم بأنّـهُ ... يواتيك ليلُ الوجدِ في تـاسع العشـرِ
ويـومُ الثـلاثا إن بـدا الشـهرُ فـاعتمدْ ... علىٰ خامس العشرين فاعملْ لها تدري
وفي الأربعا إنْ هـلَّ يـا مـن يـرومها ... فذونك فاطلبْ وصْلها سـابع العشـرِ
ويوم خميسٍ إنْ بدا الشـهر فـاجتهد ... فـفي ثـالث العشـرين تـظفرْ بـالنصرِ
وضـابطها بـالفرد ليـلة جـمعة ... توافيك بعدَ النصف فـي ليـلة القـدرِ

---

(١) أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (٤٦٠ ـ ٥٢٩هـ) ، من البارعين في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والموسيقىٰ ، شاعر مكثر في مختلف فنون الشعر . المصدر السابق ٥ : ١٨٠ .

محمد بن عبد الكريم الغرناطي :

تكتب القول وتلقي في سفطْ ثم لا تحفظُ لا تفلحُ قطْ
إنّما يُفلحُ من يحفظُهُ بعد فهم وتوقٍّ من غلطْ

ابن زهر الطبيب الأندلسي :

حيلةُ البرء صُنّفت لعليلٍ يترجىٰ الحياة أو لعليله
فإذا جاءتِ المنيةُ قالتْ حيلة البرء ليس في البرء حيله

وله أيضاً :

إنّي نظرتُ إلىٰ المرآة قد جُليتْ فأنكرتْ مقلتاي كُلَّما رأتا
رأيتُ فيها شُويخاً لستُ أعرفهُ وكنتُ أعهدُهُ من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا متىٰ ترحَّل عن هذا المكان متى
فاستضحكتْ ثم قالتْ وهي معجبة إنَّ الذي أنكرتْهُ مقلتاك أتى
كانتْ سُليمُ تنادي يا أخي وقد صارتْ سُليمُ تنادي اليومَ يا أبتا

وكأنَّ الغواني إذا دعونَ رجلاً يا أبتا ، فهو أبعدُ في كراهة وصاله من إذا دعونه : يا عم ، وإن اشترك الأبُ والعمُّ في تحريم البنت وبنت الأخ ؛ لكون الأب بالنسبة إلىٰ البنت ووصالها أقعد في الحرمة والخجل من العم بالنسبة إلىٰ بنت الأخ . والبيت الأخير ينظرُ إلىٰ قول الأخطل :

وإذا دعونكَ عمَّهنَّ فإنّه نسبٌ يزيدك عندهنّ خبالا
وإذا دعوْنكَ يا أُخي كأنّه أدنىٰ وأقرب خلّة ووصالا

قلت : دعونك : يعني الغانيات ، والغواني هنّ المستغنياتُ بحسنهنَّ عن التزيين بالحلي والحلل . قال بعض الاعراب :

دعـاني الغـوانـي عـمّهنّ وخـلتني ... لي اسـم بـه أُدعـىٰ لديـهنّ[١] أول

والاسم الذي يُنادىٰ به ، وهو أول شبابه : يا أخي ، لأنّه شابههنّ ، وآخاهنّ في ريعان الشبيبة ، فلما شاب وولّىٰ عصر الشباب ، نادوه يا عم ؛ لمواخته لأبيهن في الكبر ، فصرن كأنهن من بناته ، فلم يمكن له قبل ميل مواصلة ، وإنما الانسان إلىٰ أبناء جنسه أميل ، وهنا شيء ظاهر لا تنفعُ الحيلةُ فيه فإنْ أجبنه أو أردْنه فليس لذاته بل لأمرٍ خارج : من جاه أو حال ، أمّا بالنظر إلىٰ ذاته التي هي المقصدُ من المواصلة فلا .

يحيىٰ بن حكم الغزال ، المؤذّن الأندلسي[٢] :

من ظـنّ أنّ الدهـرَ ليس يـصيبه ... بـالحادثات فـإنّه مـغرورُ
فـالق الزمـانَ مـهوّناً لخـطوبه ... وانـجرّ حـيث يـحرّك المـقدورُ
وإذا تـقلبتِ الأمـورُ ولم تـدمْ ... فسـواء المـحزون والمسـرورُ

أبـو الحسـن عـلي بـن مـوسىٰ العـنسي[٣] ، مـتمم كـتاب (المغرب) :

أصبحتُ أعرتضُ الوجـوهَ ولا أرىٰ ... مـا بـينها وجـهاً لمـن أدريـه
عَـوْدي عـلىٰ بـدئي ظـلالاً بـينهم ... حـتىٰ كأنّـي مـن بـقايا التـيه
ويـح الغـريب تـوحّشت الحـاظه ... فـي عـالم ليس له شـبيه[٤]

---

(١) م ك : لي اسم قبله أُدعى به وهو أول .

(٢) الجياني (أبو بكر) ، كان مقرباً من أمراء الأندلس من بني أمية . ت ٢٥٠ هـ .

(٣) المدلجي (أبو الحسن) ، من ذرية عمار بن ياسر ، مؤرخ أندلسي ، له كتاب (المُغرب في حلي المغْرِب) وهو كتاب لجماعة من المؤلفين آخرهم هو ، لذلك عبر عنه المؤف بـ(متمم كتاب المغرب) . ت ٦٨٥هـ . الأعلام للزركلي : ج ٥ ، ص٢٦ .

(٤) البيت مختل القافية ، فهو بالرفع ، وما قبله بالكسر ، ولعل الصياغة تكون هكذا : في عالم

إنهْ عادَ لي وطني اعترفتُ بحقِّه إنَّ التغربَ ضاعَ عمري فيه

* * *

رأيتُ جميعَ الكسبِ يفقده الفتىٰ ويبقىٰ له أخلاقه والتأدبُ
إذا حلَّ في أرضٍ اقام لنفسه بآدابه قدراً بها يتكسّبُ
وأوما كلٌّ نحوه ولعلّه إلىٰ خيرِ أهلٍ للنباهة ينسبُ

* * *

فلا تُظهرنْ في الصدِر ما كان كامناً ولا تركبنْ بالغيظ في مركبٍ وعر
ولا تبحثنْ في عذر من جاء تائباً فليس كريماً من يباحثُ في العذر

حميد الزاهد ـ والحقيرُ مثله فقد جاوزتُ الأربعين بسنة ولم أشبْ ـ:

وهل ما بقي أن أخطأ الشيبُ مفرقي وقدْ شابَ أترابي وشابَ لداتي
إذا كان خطبُ الشيب يُوجِدُ غيرةً بتربي فمعناه يقومُ بذاتي

⇐ ليس به شبيهي.

قصة قبر النبي إيلاء

ووجدت مكتوباً في حايط النبي ايلا ـ من أعمال بعلبك ـ ثالث شعبان سنة ١٢٢١ هـ:

اتـــرك الدنـــيا وفـــيقْ مـــا عـــلىٰ الدنـــيا رفـــيقْ
إنَّـــما الدنـــيا ســـفينه كـــلُّ مَـــنْ فـــيها غـــريقْ

وفي جانب آخر منه أيضاً :

هـوِّن الدنـيا ومـا فـيها عـليكْ واجـعل الهمَّ لمـا بـين يـديكْ
إنَّ هـــذا الدهـــرَ يُـدنيك إلىٰ مـــلكِ المـوتِ ويـدنيه إليكْ

وحدّثني رجل كنت معه جالساً فيه أنَّ هذا النبي هو النـبي اليـاس عليه السلام ، فقلتُ : ومن أين لك هذا ؟ هل هو لتقارب لفظ إيلا ولفظ الياس . قـال : لا ، ولكن لما نقل عن علماء بلاد (بشاره) أنه وجد في التاريخ أنَّ النبي الياس عليه السلام قتله قومُهُ ودفنوه بجنب أبله من أعمال بعلبك قلت : وأين أبله فقال : أما ترىٰ ضيعة أبلج بجنب ضيعة النبي إيلاء فمِنْ تقادم الزمن وطول المدة سمّوا ضيعة أبله أبلج والنبي الياس النبي إيلاء وحدّثني من أثقُ به من أسياد خدام هذا النبي أنَّ له كرامات عظيمة وكان أصله رجمة أحجار وكانت تقصدها الرعاة بقطايع الغنم والبقر لتشرب وكانت نبعة من ماء إلىٰ جانبها فغضب راعٍ علىٰ غنمةٍ فكسر رجلها ـ أو قال رجليها ـ والقاها فوق الرجمة فلما كان من اليوم الثـاني وجـد الراعي غنمته صحيحةً ترعىٰ حول الرجمة ، قال السيد الخادم السيد إبـراهيـم

والعهدة على الراوي فلما سمع جديّ الأوّل بهذه الكرامة من الراعي حوّط على الرجمة بسور[١] قصير وجعل يخدمها ويكنسها ويُشعلُ الزيتَ فيها فاتفق ذات ليلةٍ دخل وحش لحسّ الزيت وكسر السراج فقال : إنْ لم تظهر لي كرامة في هذا الوحش وإلا هدمتُ ما بنيت وما بقيتُ أشعل لك شيئاً أبداً فلما كان من اليوم الثاني وجد الوحش ميتاً فوق الرجمة فقال جدي : الآن أخدمك من جدي بجهدي فلم يزل يتعاهده حتىٰ تسامع به الناس وبقيت الأعرابُ والدروزُ والنصارىٰ تحلف به وتنذر له النذورات فتظهر له الكرامات حتىٰ بناه المير سلمان ـ أو قال غيره الخزعلي من بيت الحرفوش حكام بعلبك ـ هذا البنيان العجيب ونزلت حوله النّاس حتىٰ صارت هذه الضيعة المسمية باسمه ولم تزل هذه الضيعة إلىٰ الآن معزوزة عند الحكام والدروز والنصارىٰ محشومةٌ من أجل هذا النبي .

ومن عادة أهل بعلبك يُسمّون القرىٰ إن دُفن فيها أحد الأنبياء باسم ذلك النبي مثل : (النبي رشادي) و (النبي شيث) وغيرها . ووجدت أنبياء كثيرة مدفونة في جبل عاملة حتىٰ كان من أجل ذلك العوام منهم كل مزار رآه يقول : هذا النبي . ولا يبعد فإن الشامات ونواحيها وتوابعها هي أمكنة أنبياء بني إسرائيل وهم كثيرون . ولما زار الحقير النبي شيث ؛ سأل خدّامه عنه كيف علمتم أنَّ ولد آدم شيث النبي عليه السلام قد دفن هنا[٢] ـ وقبره يقرب في الطول من قبر أمّنا حواء في بلاد جدة ـ وقد طالت المدة وعفاه الطوفان . فتقدّم رجلٌ من خدامه ـ يزعم أنّه من ذرية الشيخ محمد بهاء الدين العاملي ـ ، فقال : سمعت أنّه كان أصله رجمة

---

(١) م ك : سؤر .

(٢) هنا عبارة مشطوبة من قبل المؤلف ، وهي : حتىٰ طولتوا (كذا) قبره هذا الطول الفاحش .

أحجار . وجعل يقصّ القصة ، فقلتُ اسكتْ قد فهمت . وزرتُ (النبي العوسجي) في بعض ضياع بعلبك ، فسألتُ خادمهُ ـ وهو قد ركع من الكبر وخرف ـ فقلت : كيف عرفتم أنّ هذا أيضاً من الأنبياء وأنّ اسمه محمد العوسجي وما كان فيما نعهده في الأنبياء على كثرتهم أن اسم أحدٍ منهم محمد غير نبينا ﷺ ، فقال : حدَّثني أبي ـ أو قال سمعت ـ أنّه كان في الأصل رجمة أحجار وشرع يقص القصة ، قلت : اسكت قد فهمت . قلت : ولا يبعد أن يكون جميع ذلك أو أكثرهم أنبياء وقد وصل إليهم خلف عن سلف قبل الطوفان أو بعده مثل : (قبر النبي نوح في الكرك) وقبره يقارب قبر حواء في جدة ـ وكذا (قبر النبي علي النهري) في ضيعة علي النهري ـ في الطول ، ومثل (النبي سامه)، إلى غير ذلك في أرض بعلبك ، وكذا أراضي (بلاد بشاره) ، و (بلاد الشقيف) و (جبل الريحان) وغيرها .

أشعار متفرقة

ابن جبير الكناني[١] في الأصحاب :

أخلاء هذا الزمان الخؤون ... توالت عليهم صروف العلل
قضيتُ التعجب من بابهم ... فصرتُ أطالعُ بابَ البدلْ

وله :

غريب تذكّر أوطانه ... فهيّج بالذكر أشجانه
يحلُّ عرىٰ صبره بالأسىٰ ... ويعقد بالنجم أحزانه

لبعضٍ مضمّناً :

إذا أنكر المعلوم عقلٌ فَعُدُّه ... بعقل حسودٍ أو بعقل سفيه
فمن تعبٍ أنْ يَحْسُدَ الشمسَ نورُها ... ويأملُ أن يأتي لها بشبيه

في مدح أهل الوفاء من الأصدقاء :

صديق لي له أدب ... صداقةُ مثله نسبُ
رعىٰ لي فوقَ ما يُرعى ... وأوجبَ فوق ما يجبُ
فلو نفذت خلائقهُ ... لبهرجَ عندها الذهبُ

أبو الحسين بن جبير : في ذمِّ أهل الغدرِ منهم ، وأجاد :

لي صديق خسرتُ فيه ودادي ... حين صارتْ سلامتي منه ربحا
حسنُ القول سيّءُ الفعل كالجزار ... سمّى وأتبعَ القولَ ذبحا

---

(١)

وله أيضاً ، وهو حكمة :

عجبتُ للمرء في دنيا تُطمّعُه ... في العيش والأجلُ المحتومُ يقطعُهُ
يمسي ويصبح في عشواء يخبطها ... أعمىٰ البصيرة والآمال تخدعُهُ
يغترُّ بالدهر مسروراً بصحبته ... وقد تيقّن أن الدهر يصرعُهُ
ويجمعُ المالَ حرصاً لا يفارقه ... وقد درىٰ أنه للغير يجمعُهُ
تراهُ يشفقُ من تضييع درهمه ... وليس يشفق من دين يُضيّعُهُ
وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبةٍ ... مَنْ أنفقَ العمر فيما ليس ينفعُهُ

وله أيضاً :

صَبرْتُ علىٰ غدر الزمان وحقده ... وعيشٍ له السّمُّ الزعاف بشهده
وجرّبتُ إخوان الزمان فلم أجد ... صديقاً جميل الغيب في حال بعده
وكم غرّني تحسين ظنّي به فلم ... يُضيءُ علىٰ طول اقتداحي لزنده
واعزب عن (عنقاء في الدهر مغرب) ... أخو ثقةٍ يسقيك صافي وده
بنفسك صادم كل أمرٍ تريده ... فليس مضاء السيف إلا بحده
فكنْ ذا اقتصادٍ في أمورك كلها ... فأحسنُ أحوالُ الفتىٰ حسنُ قصده
وما يُحرمُ الإنسان رزقاً لعجزه ... كما لا ينال الرزق يوماً بكده
حظوظُ الفتىٰ من شقوةٍ وسعادةٍ ... جرتْ بقضاءٍ لا سبيل لرده

وله أيضاً :

الناس مثل ظروف حشوها صبرٌ ... وفوق أفواهها شيءٌ من العسل
تغر ذائقها حتىٰ إذا كُشفت ... له تبين ما تحوبه من دخل

وله أيضاً :

من الله فاسأل كل أمر تريده ... فما يملكُ الإنسان نفعاً ولا ضرا

ولا تـتـواضـع للـوكاة فـإنّهم ... من الكبر في حالٍ تموجُ بـه سكـرا
وإيـاك أن تـرضىٰ بـتقبيل راحـةٍ ... فقد قيل عنها ؛ إنها السجدة الصغرىٰ

وله أيضاً :

أيـها المستطيلُ بـالغيّ أقـصر ... ربـما طأطأ الزمـانُ الرؤوسـا
وتـذكّر قـول الإله تـعالىٰ : ... (إن قـارون كـان مـن قـوم مـوسىٰ)

وله أيضاً :

أحبُّ النبي المصطفىٰ وابن عمه ... عـلياً وسبطيه وفـاطمة الزهـرا
همو أهل بيت أذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم ربُّ الهدىٰ أنجماً زهـرا
مـوالاتـهم فـرضٌ علىٰ كـل مسلم ... وحـبهمُ أسنىٰ الذخيرة للأخـرى
ومـا أنـا للصحب الكرام بـمبغضٍ ... فإنّي أرىٰ البغضاءَ في حقِّهم كفرا
هـمو جاهدوا في الله حق جـهاده ... وهم نصروا دين الهدىٰ بالظبى[1] نصرا
عـليهم سـلام الله مـا دام ذكـرهم ... لدىٰ الملأ الأعلىٰ وأكرم بـه ذكـرا

قلتُ : لا شكَّ في خروج من تديُّن ببغض كرام الأصحاب لنبينا المصطفىٰ ﷺ ، ومروقهم من الدين القويم ، أعاذنا الله عن ذلك إنّـه سميع عليم .

أبو العباس الواعظ الإشبيلي[2] ، وعشقه الحقيقي :

مَـنْ أنتَ مـحبُوبُهُ مـن ذا يـعيّره ... ومـن صـفوتَ له مـن ذا يكـدِّره
هيهاتَ عنك ملاحُ الكون تشـغلُني ... والكلُّ أعراض حسنٍ أنت جـوهره

---

(١) م ك : الظبا .

(٢) أحمد بن منذر بن جهور ، المالكي ، مقرئ ، فقيه ، له مصنف في رواية ورش عن نافع ، توفي باشبيليه ٦١٥هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٢ ، ص١٨٢ .

أبو بكر بن عطيّة الاندلسي المتوفّي سنة ٥١٨ ذكره في تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص١٢٦٩ كان شاعراً اديباً لغويّاً فاضلاً كُفَّ بصره في آخر عمره وابياته السينيّة هذه من قصيدة مطلعها :

تسَلَّ بأُنس الله عن صحبة الناس ... لعلّك ترقَى إلىٰ ذروة الباس

وهذه القصيدة في الحكمة والموعظة والحثّ علىٰ الزهد والتحذير من غدر الزمان وهي من امهات القصائد اللاتي تأثر بهن العلامة العارف الأديب السيد علي بن باليل الدورقي المتوفى سنة ١١٠٠ فنظم منظومته قلائد الغيد علىٰ غرارها .

الحافظ أبو بكر بن عطيه ، يحث علىٰ صلاة الليل :

أيها المطرود من باب الرضا ... كم يراك الله تلهو معرضا

كم إلىٰ كم أنت في جهل الصبا ... قد مضىٰ عمرُ الصبا وانقرضا

قم إذا الليل دجت ظلمته ... واستلذَّ الجفنُ أن ينغمضا

فضعِ الخدَّ علىٰ الأرض ونخ ... واقرع السنَّ علىٰ ما قد مضىٰ

وله أيضاً :

جفوتُ أناساً كنت آلف وصلهم ... وما في الجفا عند الضرورة من بأس

بلوت ولم أحمدْ وأصبحت آيساً ... ولا شيء أشفىٰ للنفوس من الياس

فلا تعذلوني في انقباضي فإنّني ... رأيتُ جميع الشرّ في خلطة الناس

وله أيضاً معاتباً لبعض خلانه :

وكنتُ أظنُّ أنّ جبال رضوىٰ ... تزولُ وأنَّ ودَّكَ لا يزولُ

ولكنَّ الأمورَ لها اضطرابٌ ... وأحوال ابن آدم تستحيلُ

فإن يكُ بيننا وصلٌ جميلٌ ... وإلا فليكن هجرٌ طويلُ

وله أيضاً :

كــن بــذئب صــائد مسـتأنسا وإذا أبـــصرتَ إنســـاناً فـــفرْ
إنـــما الانســـان بـــحر مـــاله ســـاحل فـــاحذره إيّـــاك الغــرزْ
واجــعل النــاس كشـخصٍ واحـدٍ ثــم كـنْ مـن ذلك الشـخص حـذرْ
إذا النـــائبات بـــلغن المـــدىٰ وكـــادت لهُـــنّ تـــذوبُ المــهجْ
وجـــلَّ البـــلاء وقـــلَّ العـــزاء فـــعند التـــناهي يكـــون الفــرج

* * *

هــوِّن الأمــرَ تــعشْ فــي راحــة قـــلَّ مـــا هـــونت إلا ويـــهون
ليس أمـــر المـــرء سـهلاً كـله إنـــما الأمـــر ســـهول وحـــزون
طـــلبَ الراحـــة فـــي دار الفـــنا خـابَ مـن يـطلب شـيئاً لا يكـون

* * *

إذا أنت لم تـعرفْ لنفسك حـقَّها هواناً بها كانت علىٰ النـاس أهـونا
فنفسك أكـرمها وإن ضـاق مسكـنٌ عليك بها فـاطلب لنفسك مسكـنا
وإيـــاك والسكـــنىٰ بـدار مـذلة تــعدُّ مسيئاً كـل مـن كـان محسنا

* * *

شخوص الفتىٰ من منزل الضيم واجب
وإن كـــــثرت أهـــلونه والأقـــارب
وللـــمرء أهـــل إن نأىٰ عـــنه أهـــله
وجـــانب عـــزٌّ إن نأىٰ عـــنه جـانب
ومـــن يـرض دار الضـيم داراً لنـفسه
فـــذلك فـــي دعـوىٰ التـوكل كـاذب

بـــــلاد الله واســـــعةٌ فـــضاءٌ ورزق الله فـــي الدنـــيا فســيح
فـــقل للـــقاعدين عــلىٰ هــوان إذا ضــاقت بكــم أرضٌ فسيحوا

السيد الرضي :

أُسـيغُ الغـيظَ مـن نـوب الليالي ومــا يَشْـعرنَ بـالحنق المـغيظِ
وأرجــو الرزق مــن خـرتِ دقـيقٍ يُســـدُّ بســلك حــرمانٍ غـليظِ
وأرجـــعُ ليس فـــي كـفّي مـنه سوىٰ عض اليدين علىٰ الحظوظ

الرياشي[1] :

لم يـــبقَ مــــن طـلبِ العـلا إلا التـــعرّض للـــحتوفِ
فـــــلاقذفنَّ بـــــمهجتي بـــين الأســـنةِ والســـيوفِ
ولأطـــــلبنَّ ولو رأيتُ المـوتَ يـلمعُ فـي الصـفوفِ

* * *

الدهــر لا يـبقىٰ عـلىٰ حـاله لكــــنه يــقبل أو يـــدبر
فـــإن تـــلقّاك بـــمكروهه فـاصبر فـإن الدهـر لا يـصبر

* * *

إذا تـــخلّفتَ عـــن صـــديق ولم يـــعاتبك فـــي التـــخلف
فـــلا تــعد بــعدها إليــه فـــــانما ودّه تكـــــلف

بشّار :

خيرُ إخوانك المشارك في المر وأيــن الشـريك فـي المرّ أيـنا

---

(١) العباس بن الفرج الرياشي ، البصري ، نحوي ، رواية للشعر ، عالم بأيام العرب . أخذ عن الأصمعي ، وأخذ عنه المبرد . له كتاب (الخيل) و (الإبل) ، قتله الزنج بالبصره عام ٢٥٧هـ. كحاله / معجم المؤلفين : ج٥ : ٦٢ .

الذي إن شهدت سرك في الحي   وإن غبت كان سمعاً وعينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم   بدّلوا كلما يزينك شينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً   أنتَ من أكرم البرايا علينا
ما أرىٰ للأنام وداً صحيحاً   صار كل الوداد زوراً مبينا

مفرد :

إذا كان غير الله للمرء عدة   أتته الرزايا من وجوه المطالب
أشد من فاقةِ الزمان   مقام حرٍ علىٰ هوانِ
فاسترزق الله واستَعِنْهُ   فإنه خير مستعانِ
وإن نبا منزل بحرٍ   فمن مكان إلىٰ مكانِ

أبو الفتح البستي[1] :

لئن تنقّلتُ من دارٍ إلىٰ دار   وصرتُ بعد ثواءٍ رهن أسفار
فالحرُ حرّ عزيز النفس أين ثوى   والشمسُ في كلِّ برجٍ ذاتُ أنوارِ

* * *

لا يمنعنّك خفضُ العيش في دعةٍ   من أن تبدّل أوطاناً بأوطانِ
تلقىٰ بكل بلاد إن حللت بها   أرضاً بأرضٍ وإخواناً بإخوانِ

* * *

قف تحت أذيالِ السيوفِ تنلْ علاً   فالعيشُ في ظلِّ السقوف وبالُ
لله درّ فتىً يعيشُ بباسه   لم يغد وهو علىٰ النفوس عيالُ

---

(١) علي بن محمد البستي ، الشافعي ، كاتب ، شاعر ، فقيه ، له : شرح مختصر الجويني في الفقه الشافعي . ت ٤٠١ هـ . المصدر السابق ٧ : ١٨٦ .

مفرد:

لله درُّ النائبات فإنها صدأُ اللئام وصيقلُ الأحرارِ

* * *

أعلّل بالمنىٰ قلبي لأنّي أذود الهمَّ بالتعليل عنّي
وأعلمُ أنَّ وصلكَ لا يرجىٰ ولكن لا أقل من التمنّي

* * *

اسلك من الطرق المناهج واصبر ولو حُمّلتَ عالج
وسّع همومكَ لا تضق[1] ذرعاً بها فلها مخارج

* * *

كيف يُرجىٰ الصلاحُ من أمر قومٍ ضيّعوا الحزمَ فيه أي ضياعِ
فمطاعُ المقالِ غيرُ سديدٍ وسديدُ المقال غيرُ مطاعِ

* * *

تحامقْ مع الحمقىٰ إذا ما لقيتَهم وإلا فهم بالجهل فعل ذوي الجهلِ
وخلّط إذا لاقيت يوماً مُخلِّطاً يُخلّطُ في قولٍ صحيحٍ وفي هزلِ
فإني رأيتُ المرءَ يشقىٰ بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقلِ

* * *

دهرٌ علا قدرُ الوضيعِ به وترىٰ الشريفَ يحطُّه شرفُهْ
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ويعلو فوقه جيفُهْ

* * *

لا غرو إن فاق الدَّنيُّ أخا العلىٰ في ذا الزمان وهل لذلك جاحدُ

---

(١) م ك: تضيق.

فـــالدهرُ كــالميزان يــرفعُ كــلما ... هــو نــاقصٌ ويــحطُّ مــاهو زائــدُ

* * *

نيلُ المعالي وحبُّ الأهـل والوطـن ... ضدان ما اجـتمعا للـمرء فـي قـرن

إن كـنت تـطلب عـزاً فـادرع تـعباً ... أو فارض بالذل واختر راحة البـدن

قلتُ: القرن ـ محركاً ـ: ما يقترن به ويربط، من حبل ونحوه، وأصله من قَرن البقر ـ أي حبله الذي يُشدُّ به قرناه ـ، ومنه سُمِّي شبيهُ الشيء قرنه وقرينه، كأنَّهما قد رُبطا في قرن التشاكل والتشابه، ولهذا سمّوا أحدَ شطري بيت الشعر قرينه؛ لتلازمهما واقترانهما فيه، وبها سمَّوا القافيةَ قرينة أيضاً لالتزامها في كل بيتٍ من القصيدة.

والضدَّان لا يجتمعان، وقد يرتفعان مثل: نـيل المـعالي وحبُّ الأهـل والوطن، فإنّهما كلاهما قد ارتفعا عن (الحقير)، فإن المـراد بـالحب: عـدم التغرّب والمهاجرة، لا المعنىٰ المصدري فقط، فإنه لا يزايله أحد.

والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالليل والنهار.

يقول: إن المراتب العالية والجلوس في الأوطان لا يقرنان لأحدٍ في حبل الحصول ولا يحصل العلو والرفعة إلا في المشقة والشدة ولا تكسـوك راحـةُ الجسد إلا ثوب الهوان وحاصله أنَّه يمدح الأسفار وركـوب الأخـطار، وهـذا المعنىٰ قد سارتْ به الأمثال ونُظمتْ فيه جلُّ الأشعار.

من الأمثال السائدة في أرض بغداد

من الأمثال السائدة في أرض بغداد ونواحيها : (لو تؤذن ما حصل لك) . والحقير ما عقل معناه إلا يوم تاسع شهر شعبان الموسوم (بالقصير) في أرض العراق[1] و (أبو مليط) في نواحي الشام سنة ١٢٢١ هـ، وذلك عند منصرفي من قرية (حش مش) ، عجت إلىٰ قرية (النبي علي النهري) من أعمال بعلبك ، وأنا جوعان وليس معي شيء يؤكل إلا مقدار كفٍّ من زبيب ، فقلتُ في نفسي أزور هذا النبي الكريم واضيف أهل القرية فلما قدمت وزرت واستقرّت نفسي شُويعة ، تحركتْ عليَّ حرارةُ الجوع ، فقمتُ أخترق أزقة القرية وأُعرِّضُ باستطعام أهلها والوِّح ، بل كدتُ أن أُصرِّح بالجوع ، فما عطفتْ منهم عليَّ عاطفة ، وقد فاتَ الظهر ، فقلت الرأي أن أعود إلىٰ الجامع الذي فيه النبي ، فرجعتُ إليه واسترحتُ شُويعة ، وصلّيتُ الظهرين وأكلتُ ما عندي من الزبيب ، وقمتُ وقت العصر ، وصرتُ أجوب أرضَ القرية ، عَرضاً وطولاً ، جنوباً وشمالاً ، أدرعها وأنا مع ذلك كلما مررت بجمعٍ عرّضتُ ولوّحت ، فما وجدتُ فيهم من أُطعمني كسرة ، ولا سوق فيها للخبز ولا لغيره ، فرجعتُ إلىٰ الجامع ، وقمتُ ثالثةً من حرارة الجوع أدور في جنبات القرية فصرت الوِّحُ بل أُصرِّح

(١) وهذا ما يؤكد ما ذكرناه من أنه ﷺ مر في رحلته هذه بالعراق ، وسيذكر لاحقاً أنه كان قبل هذا التاريخ في مشهد المقدسة .

فسمعت امرأةً تقولُ لرجل : أما ترىٰ هذا العراقي يدور[١] في الضيعة علىٰ شيءٍ يأكله ولا أحد لقّاه منهم ، فقلتُ في نفسي الآن يدعوني هذا الرجل أو هذه المرأة ففرحتُ ، وزادَ سروري ووقفت أنتظر مقدار ساعة ورجعت إلىٰ الجامع وأنا جوعان ، وقد سقطت الشمس فلما حان وقت صلاة العشائين وأظلم الجوُّ قمتُ وصعدتُ علىٰ دكة الجامع وأذنت بأعلىٰ صوتي وقصدتُ بالأذان إعلام أهل القرية بأنّي إلىٰ الآن في الجامع وقلتُ : عسىٰ ولعلَّ يأتي أحدٌ لي بعشاءٍ أو بخبز آكله ، فبتُّ ليلتي مثل يومي وضاع أذاني وخطر في بالي المثل العراقي : (لو تؤذِّن ما حصل لك شيء) وعقلتُ معناه . وهذا النبي قد قيل لي : انه ولد النبي شيث بن آدم ﷺ ، وإنّما اشتهر بعلي النهري لكونه مدفوناً وممدوداً علىٰ جانب النهر .

أيـن المـلوك الذيـن قـد مـلكوا   وفي طريق اللهو واللذات قد سلكوا
أخنىٰ عليهم الدهر حتىٰ كان ما تركوا   مـن بـعدهم اثـراً كـلا ولا شـركوا
عبيدهم فـي الظـلم والغـارات والكـفر

نـاحت نـوائـحهم بـالويل يـا أمـلي   ودارت إثـر ربـعهم طـاحونة الغـيل
وهدّ منهم قـواهـم بـالحادث الجـلل   وأسْـلبت نـعمة جـلّت عـن المـثل
فـما أبـقت لهـم عـيناً بـلا أثـر

سـاء الصـنيعُ فسـاءتْ كـل غـايلةٍ   سـلبوا الحـقوق فـجاءت كـل سـالبة
غـلبوا البـرايـا فـغالت كـل غـالبةٍ   جـلبوا الشـرور فسـابت كـل جـالبةٍ
مـثل الأفـاعي لا تـصفي عـلىٰ بشـر

كـم للـزمان فـي أهـليه مـن غـير   وكم تـعقّب صـفو العـيش مـن كـدر

---

(١) كلمة محلية ومعناها : يبحث .

وكم تـحامىٰ عـزيزٌ القـومِ مـن أشـر وكم تـجاسر ذليـل القـوم عـن نسـر
طابت وخـابت ولا خـابت عـلىٰ ذعـر

بوصيك يا صاخ لا تأسف علىٰ ما راح دنـياك يـاما غـدا فـيها ويـاما راح
وشربت كأس الكدر وصفقت راح براح عـلىٰ خـلةٍ مـالهم عـهد ولا مـيثاق
كف العنا عنك يا قلبي وخـذ لك راح

جامع النبي شيث عليه السلام

وجدتُ مكتوباً في حيطان جامع النبي شيث عليه السلام يوم الاثنين رابع عشر شهر شعبان سنة ١٢٢١ هـ:

ألا إنّما الدنيا تمر على الفتىٰ ... وتحلو وما حلوٌ يدوم ولا مرُّ

وفيها مكتوب أيضاً :

جبريلُ نادىٰ معلنا ... والمسلمون بمحفل
والمؤمنون قد أحدقوا ... حول النبي المرسل .
لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتىٰ إلا علي

وفيها أيضاً :

عليّ حُبُّهُ جُنَّة ... قسيمُ النار والجنه
وصي المصطفىٰ حقاً ... إمام الإنس والجنه

وفيها أيضاً :

حيدرٌ صنو أحمد ... منبعُ العلمِ والهدى
هذه بابُ حطَّةٍ ... ادخلوا البابَ سُجَّدا

وفيها أيضاً :

حبُّ عليّ لازمٌ واجب ... في عنق الشاهد والغائبِ
قالوا تحبُّ ابن أبي طالب ... قلتُ لهم والطالب الغالبِ
لو فتَّشوا قلبي رأوا وسطه ... سطرين قد خُطّا بلا كاتبِ

العــدل والتــوحيد فـي جـانبٍ وحبُّ أهـل البـيت فـي جـانبِ

وحدَّثني في هذا الموسوم (حسن آل حيدر) ـ من خُدّام النبي شيث ـ: أنه أصابه وجعُ القلب ، فسأل السيد مرتضىٰ[١] ـ أبو السيد أبو الحسن من تمنين التحته ـ ﷺ عن ذلك فقال : ذلك حصل من ريحٍ أو غيظ ، فعلّمهُ معجوناً وسفوفاً ، وقال : تعمل المعجون حباً ، وتحمّىٰ عن المغلظات ، من البرغل واللحم والألياف ونحوها ، وفي كل يوم تأكل حبةً واحدةً ، عليها من السفوف ، وتشرب علىٰ ذلك فنجان ماءٍ فاتر . فبعد العشرين يوم طاب ولا عاد ، لكن كان يستعمل الزنجيل يقرطه في كل يوم علىٰ السويق ،

صفة المعجون : جفطايا رومي ، وحب غار ، وزرونـد طويل ، ومر حجازي وقد[٢] الكل ثلاث مرات ، عسل منزوع الرغوة ، وأجزاء الأدوية علىٰ السوية تُدقُّ وتُخلط بالعسل .

صفةُ السفوف : صبر سقطري ، وحب الرشاد ، وفلفل ، وزنجبيل ، وقدّهن ثلاث مرات سكر نبات .

وذكر أنه نفع به أناساً كثيرين ، وكتبه من رجال عديدة لكونه مجرباً لا شك فيه ولهذا أثبِتُه هنا لأنه (قد يُوجدُ في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط) و

---

(١) وردت الكلمة هكذا (مرضى) ، فإما أن تكون مرضي أو مرتضى ، والأقرب هو ما أثبتناه ، إذ أنّ مرتضىٰ من الأسماء الدارجة هناك ، وربما كان الاسم كاملاً هكذا : السيد مرتضىٰ السيد أبو الحسن ، لأنه لا يعقل أن يكون السيد مرتضىٰ هذا أب للسيد أبي الحسن جد الأسرة المعروفة بآل أبي الحسن ، وهو في نفس الوقت معاصر للشيخ إبراهيم ؟! إذ ما أعرفه أن أبا الحسن جد الأسرة المعروفة متقدم تاريخياً علىٰ هذا الزمن ، وآل السيد أبي الحسن عائلة عاملية كبيرة معروفة ، وكذلك هي عائلة آل حيدر ، أما الشخصان المذكوران فلم أجد لهما ترجمة .

(٢) كلمة محلية وتعني : مثل .

(العلم كلُّه في العالم كله) و (التجاربُ غلبتْ الحكمة) وأيضاً أخذته عن إجازةٍ منه ، وفي الاجازات والأنفاس سرٌّ عظيم ، ومن غريب ما وقع في الاجازة عن المرشد ، في زمن (الحقير) ، ما اتفق لبعض المعاصرين في المشهد الرضوي أنّه وقع في يده رجل هندي درويش جوكي من السيّاحين ، فطلب منه بعد أن خدمه تذكاراً ، فقال : علىٰ رياضة أربعين يوماً ، ولا تأكل روحاً ، ولا ما خرج من روح فعلّمه كلمات ، وأمره بتكرارها بعد كل صلاةٍ مكتوبة كذا مرة وهو مع ذلك صايم ، في كل المدة الأربعين ، ثم قال : إذا أتممتَ العشرين ، ترىٰ في المنام صورةً تزيد علىٰ حسن يوسف في كلُّ ليلة ، واذا أتممت الثلاثين ترىٰ تلك الصورة في اليقظة في خلواتك ، فإذا أكملت الرياضة ترىٰ عين تلك الصورة ، متىٰ طلبتها عياناً في اليقظة علىٰ أحسن ما يكون من الحسن والجمال ، وتأمرها بماذا تريد ، لكن يكون في طاعة الله ، قال (الشيخ حسن) : فو الله يا شيخنا ما عملتُ ذلك عشرين يوماً ، إلا ورأيتُ في ليلة الإحدىٰ والعشرين وما بعدها إلىٰ قريب الثلاثين تلك الصورة علىٰ النحو الذي ذكر ، فصرتُ أُحبُ أن أنام شوقاً إلىٰ التلذذ برؤية تلك الصورة ، فلما عرفتُ كلامه حقاً ، وقاربت تمام الثلاثين ، خشيتُ من أن أرىٰ الصورة في اليقظة ، فتأخذ عقلي ، فقمت من ساعتي إلىٰ الهندي ، وأخبرته بما جرىٰ ، ثم قلت له ما كنت أعمل الرياضة وأداوم علىٰ الورد ، أخاف أن تأخذَ الصورةُ عقلي ، وأُجن وأصير شهرة عند الناس ، فقال الهندي : لا تخف ولا تحزن ، واعمل تنل السعادة طول عمرك ، فأبيت عليه ، ثم قمت من ساعتي ، وهو غير راضٍ عنّي ، فلما توسطتُ الطريق ، ندمتُ علىٰ ما كان مني ، وهممتُ بالرجوع إلىٰ الهندي ، فقلتُ في نفسي أي حاجة إلىٰ الرجوع وأنا الحمد لله علىٰ طريق الرياضة والصوم ، ولم يفوتني وردٌ ،

فصرت حين جاءت المكتوبة أكرر الورد علىٰ نحو المعهود ، ولما حلَّ الإفطار لم أفطر إلا بما كنت أفطر به ، فنمت ليلتي ، فرأيت تلك الصورة ، ولكن رأيتها علىٰ أقبح صورة ، بوجهٍ مكفهر ، وتمثلت كأنها تريد أن تبلعني ، فصرخت في النوم ، وناديت بالويل والثبور وعظايم الأمور ، حتىٰ انتبهت من شدَّة الفزع وفرط الصياح ، فرأيت والدتي إلىٰ جنبي وزوجتي الىٰ جنبي الآخر ، وهما يسمّون باسم الله عليّ ويعوداني ويرقياني ، فقالا لي ؛ ما الذي دهاك في نومك ، وما الذي جرىٰ لك ؟

فقلت : سبحان الله ، وأخفيتُ عليهم قصتي ، وصرت في أرقٍ وقلقٍ بقيَّة ليلتي ، فلما انشق الفجر الصادق ، ما كنت أدري كيف نقرتُ صلاة الصبح ، ومضيتُ إلىٰ الهندي ، وحدَّثته بما جرىٰ فقال لي هذا كله من جهة أنك رددتَ عليّ الإجازة ، فقلت له : وهل يؤثّر ردُّ الإجازة هذا الأثر الأعظم ، وأنا ما اختل عليّ من العمل مقدار ذرة فقال : بل تُؤثّر أعظم من ذلك ، ولكن الله رحمك ، فقلت : أجزني وأذن لي حتىٰ أتم عملي وأحظىٰ بما منحتني ، فقال : معاذ الله أن أجيزك وقد رددت الإجازة ، فالتمسته أشدَّ الالتماس ، فلم يقبل فقمت منه وأنا في عجبٍ عجيب من هذا التأثر الذي لم يخطر علىٰ بال وندمت حيث لا ينجع الندم .

أشعار متفرقة

واذا بُليتُ بجاهلٍ متغافلٍ   جعل المحالَ من الأمور صوابا
أوليتُهُ مني السكوت وربما   كان السكوتُ عن الجوابِ جوابا

* * *

إنَّ التواضعَ من خصالِ المتَّقي   وبه النقي إلىٰ المعالي يرتقي
ومن العجائب عجب من هو جاهل   في حاله أهو السعيد أم الشقي
أو كيف يختم عمره أو روحه   يوم النوىٰ مستسفلً أو مرتقي
والكبر بالدنيا غدا صفة له   مخصوصة فتجنبنها واتقِ

* * *

من طلب العلم للمعاد   فاز بفضل من الرشاد
فيا حساراً لطالبيه   لنيل فضلٍ من العباد

* * *

كن زاهداً ورعاً بالقوت مقتنعا   فقد نجا من جنا من زهده ورعا
دع الحقوق لمن رباك مجتهداً   فقد سما من حمىٰ ذاك الحما ورعى

* * *

واذا بُليتُ بجاهل متغافل   جعل المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما   كان السكوت عن الجواب جوابا

* * *

سلامٌ على من راودتني بطرفها ... ولمعة خدَّيها ولمحة طرفها
سبتني واصبتني فتاةٌ مليحةٌ ... تحيَّرت الأوهامُ في كنه وصفها
فقلتُ ذريني واعذريني فإنني ... شُغلتُ بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقىٰ ... غنىً عن غناء الغانيات وعزفها

ابن حجر :

يا رب أعضاء السجود عتقتها ... من فضلك الوافي وأنت الوافي
العتق يسري بالغنىٰ يا ذا الغنىٰ ... فامنن علىٰ الفاني بعتق الباقي

غيره :

افد العلمَ ولا تبخلْ به ... وإلىٰ علمك علماً فاستزد
من يفده يجزه الله به ... وسيغني الله عمن لم يفد

وفي (تذكرة قاضي القضاة مجد الدين إسماعيل الحنفي)[1] قال : قد رأىٰ صدر الدين قاضي صفد قائلاً ، ينشده في النوم هذه الأبيات الثلاثة :

تعلَّمْ ما استطعتَ لقصد وجهي ... فإن العلم من سفن النجاةِ
وليس العلمُ في الدنيا بفخرٍ ... إذا ما حلَّ في غير الثقاةِ
ومَنْ طلبَ العلوم لغير وجهي ... بعيداً ان تراه من الهداةِ

من الديوان المنسوب لعلي ﷺ :

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواءُ
فإن يكن منهم في أصله شرف ... يفاخرون به فالطين والماءُ
ما الفخر إلا لأهل العلم انهم ... علىٰ الهدىٰ لمن استهدىٰ ادلاءُ

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكناني ، البلبيسي ، من أهل مصر (٧٢٨ ـ ٨٠٢ هـ) . له شرح (التلقين) لأبي البقاء في النحو . الأعلام للزركلي ١ : ٣٠٧ .

وقدرُ كل امرئٍ ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فقم بعلمٍ تعش حياً به أبداً   فالناسُ موتىٰ وأهل العلم أحياءُ

للإمامِ الشافعي :

إذا كنت لا ترجىٰ لدفع ملمةٍ   ولم يك للمعروف عندك مطمع
ولا كنت ممن يستعان بجاهه   ولا أنت يوم الحشر ممن يُشفع
فعيشك في الدنيا وموتك واحدٌ   وعود خلالٍ من وصالك أنفع

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

قل للأمير نصيحةً   لا تركننَّ إلىٰ فقيه
إنَّ الفقيه إذا أتىٰ   أبوابكم لا خير فيه

غيره ، في مدح العلم وهو غني عن المدح :

تعلم فإن العلم زين لأهله   وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيداً كل يوم زيادة   من العلم واسبح في بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد   إلىٰ البر والتقوىٰ واعدل قاصد
هو العلم الهادي الىٰ سنن الهدى   هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فان فقيهاً واحداً متعبداً   أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد

غيره :

لا اختشي من ظلومٍ   وإنْ طغىٰ وتجبَّر
لا عِمَّتي[1] تحت إبطي   ولا فقيها مصيَّر

لأبي حيان الأندلسي النحوي ، وقد أجاد :

أمدعياً علماً ولست بقاريءٍ   كتاباً علىٰ شيخ به يسهل الحزنُ

---

(١) م ك : عملي .

فــإن الذي تــبغيه دون مــعلم ... كإيقاد مـصباح وليس بـه دهـنُ
زعمتَ بأنَّ الذهنَ يُوضحُ مشكلاً ... غدا مقفلاً دهراً لقد كذب الذهنُ

وله أيضاً، يشكو من انتصب للإفادة، وليس لها أهلاً:

بُليتُ بقوم صُدِّروا فـي المـجالس ... لأقــرأ عـلماً ضـلَّ عـنهم مـراشـده
فسوف يلاقي من سعىٰ في جلوسهم ... مــن الله عــقبىٰ مـا اكـنَّتْ عـقائده
علىٰ عـقله(١) فـيهم هـواه أمـا درىٰ ... بأنَّ هــوىٰ الإنســان للـنار قــائده

وله أيضاً:

كُــلُّ مــن يــطلب العـلوم وحـيداً ... دون شــيخٍ فــإنه فــي ضـلالِ
ليس في الكـتب والقـراطـيس عـلم ... إنــما العــلمُ فــي صـدور الرجـالِ

غيره:

كُــنْ عـالماً وارضَ بـصفِّ النـعال ... لا خـير فـي الصـدر بـغير الكـمال
إذا تــــصدَّرتَ بـــلا آلةٍ ... جـعلتَ ذاك الصـدرَ صـفَّ النـعال

غيره:

كــفىٰ حــزناً أنّــي مـقيمٌ بـبلدةٍ ... فـضائلُ أهـلِ العـلم فـيها مـناقصُ
فــناقصُهم مــن كـثرة المـال كـاملٌ ... وكــاملهم مــن قـلَّة المـال نـاقصُ

غيره:

كـفىٰ حـزناً أنَّ المـدارسَ عُـطِّلتْ ... وأن بني الآداب في النـاس ضُـيِّعوا
حــياةٌ بــلا مـال حـياةٌ ذمـيمةٌ ... وعــلمٌ بـلا جـاهٍ كـلامٌ مـضيَّعُ

غيره:

رأيت العـزَّ فـي طـلب المـعالي ... وفــي الجـهل المــذلة والهـوان

---

(١) العقل هنا بمعنىٰ الوقف، أي علىٰ وقفه عليهم يكون هواه.

وما حسن الرجال لهم بفخرٍ ... إذا لم يعضد الحسن البيان
كفىٰ بالمرء عيباً أن تراه ... له وجه وليس له لسان

للوداعي(١) :

كانوا يقولون إن الناس قد دُفعوا ... إلىٰ زمان كثير النحس منكوس
واليوم بالعكس قد قال الزمان لهم ... لقد دفعت إلىٰ قوم مناحيس

غيره :

إنْ عضَّكَ الدهرُ فكنْ صابراً ... علىٰ الذي نالك من عضّته
وإنْ مسنك الضرُّ لا تشتكي ... إلا لمن تطمعُ في رحمته

غيره :

لك الخير كم صاحبتُ في الناس صاحباً ... فما نالني منهم سوىٰ الهم والعنا
وجرّبتُ (أبناء) الزمان فلم أجد ... فتىً فهم عند المضيف ولا أنا

غيره :

خف إذا أصبحتَ ترجو ... وارجُ إن أصبحتُ خائف
كم أتىٰ الدهر بعسر ... فيه لله لطائف

غيره :

عاتبني من سكت عنه ... فظنَّ أن ليس لي جواب
لا تؤمل أن أقول لك اخسأ ... لست أسخو بها لكل الكلاب(٢)

(١) علي بن المظفر الكندي الإسكندراني الدمشقي ، (ت ٧١٦هـ) ، ودفن بـ (المزّة) . كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص٢٤٣ .
(٢) القافية هنا مختلفة مع التي قبلها ، وقد حاولت اصلاحه بصورٍ شتىٰ فلم أوفق .

غيره :

ولمــا رأيت الدهــر فــرق نــبله ... عــلىٰ كل ذي نبلٍ وسلّ حرابه
وقــدّم فـي مضماره[1] كلّ كـودنٍ ... وأخــرّ عــدواناً وظـلماً عِـرَابَـه
تكودنتُ تعويلاً علىٰ كلِّ ما جرىٰ ... إذا اعــوجّ سكـين فـغيِّر قـرابَـه

غيره :

ألا إنّــما الدنــيا عـصارة أيكـةٍ ... إذا اخضرّ منها جانبٌ جفّ جـانبُ
هــي الدار مـا الآمـال إلا فـجائع ... عــليها ولا اللــذات إلا مـصايبُ
فكم أسخنتْ بـالأمس عـيناً قـريرةً ... وقرّت عـيوناً دمـعها أمسِ سـاكبُ
فــلا تكـتحل عـيناك منها بـعبرةٍ ... عــلىٰ ذاهـبٍ مـنها فـإنك ذاهبُ

غيره :

لولا شماتة أعدائي ذوي حسدي ... أو اغتمام صديقٍ كان يـرجـوني
لمـا طـلبتُ مـن الدنـيا مـناصبَها ... ولا بــذلتُ لهـا مـالي ولا ديـني

السراج الوراق[2] وقد أجاد وكان خير هاد :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ ... وإن كـثرت مـنه عـليّ الجـرائـمُ
ومــا النـاس إلا واحــدٌ مـن ثـلاثةٍ ... شــريف ومشـروف ومثل مـقاومُ
فأمّــا الذي فـوقي فأعـرف فـضله ... واتــبع مـنه الحـق والحـق لازمُ
وأمّا الذي دوني فإن قال صنت عن ـ ... اجــابته عـرضي وإن لام لامـمُ
وأمّــا الذي مـثلي فـإن زلّ أو هـفا ... تفضّلتُ انّ الحكم بالفضل حـاكـمُ

---

(١) م ك : مضمار . والكودن : البرذون ، وهي أنثىٰ الحمار ، ويشبه به البليد .

(٢) سراج الدين عمر بن محمد ، شاعر مصرفي عصره . (ت ٦٩٥هـ) ، له : (نظم درة الغواص) . الأعلام للزركلي ٥ : ٦٣ .

غيره:

وكـل أداريـه عـلىٰ حسب حـاله سوىٰ حاسدي فـهي التـي لا أنـالها
وكيف يـداري المـرء حـاسد نـعمةٍ إذا كـان لا يـرضيه إلا زوالهـا

غيره:

قـيل لي قـد أسـا إليك فـلانٌ ومـقام الفـتىٰ عـلىٰ الذلِّ عـارُ
قـلت قـد جـاء بـاعتذار إلينـا ديـة الذنب عـندنا الاعـتذارُ

غيره:

اقـبل مـعاذير مـن يأتـيك مـعتذراً إن بـرّ عـندك فـيما قـال أو فـجرا
فقد أطـاعك مـن يُـرضيك ظـاهرُهُ وقـد أجـلّك مـن يـعصيك مستترا

غيره:

قـلّ الثـقات فـلا تـركن إلىٰ أحـدٍ فأسعد الناس مـن لا يـعرف النـاسا
لم ألق لي صـاحباً فـي الله أصـحبه وقـد رأيتُ وقـد جـربتُ أجـناسا

غيره:

عاشر من الناس مـن تـلقىٰ مـودته فأكـثر النـاس جـمعاً غـير مـؤتلف
فـهم صـديق بـلا قـاف ومـعرفة بـيغر فـاء وإخـوان بـلا ألف

غيره:

صـحبت بـني الدنـيا فـلم أر مـنهم سـوىٰ غـادر والغـدر حشـو إهـابه
فجردت مـن غـمد القـناعة مـرهفاً قـطعتُ رجـائي مـنهم بـذبابه
فـلا ذا يـرانـي واقـف فـي طـريقه ولا ذا يـرانـي قـاعداً عـند بـابه
غنيتُ بـلا مـالٍ عـن الخـلق كـلهم وإنَّ الغنىٰ الغاني عـن الشـيء لابـه

غيره :

إذا شئت أن تلقىٰ خليلاً موافقاً لكتمان سرٍ أو لدفع شدايد
فغصْ في قرار الأرض وارق إلىٰ السما لعلك تلقىٰ واحداً بعد واحد

لرجل من بني أسد :

وما أنا بالنكس الدني ولا الذي إذا صدّ عني ذو المودة أعتب
ولكنه إن دام دمت وإن يكن له مذهبٌ عني فلي عنه مذهب
ألا إن خير الودّ ودٌّ تطوعتْ به النفس لا ود أتىٰ وهو متعب

حقيقة الثواب مقدار مخصوص من الجزاء يعلمه الله تعالىٰ ، للمتنبي :

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن فعله وأُطاردُ
وحيداً من الخلان في كل منزل إذا عظم المطلوب قلّ المساعدُ

سئل أبو الحسن البكري[1] عن الصوفي ، فقال : هو عالم عمل بعلمه .

يقول جامع هذه النقول ، وصايغ هذه المخلاة والكشكول (إبراهيم القطيفي) : وقد صار الصوفي الآن من تدروش حيلةً ، ووضعَ التاج ، وتقلّد الكشكول ، ولبسَ المرقعة ، وصحبَ العصا والساطور المضّلع ، واستعمل السياحة في طلب الأموال ، وكان زوجاتَه المردُ الحسان من الرجال ، فيشرب الحشيشة والشراب ، ويغنّي ويقدحُ في الفقهاء ذوي الألباب ، ويرقصُ ، ويتواجدُ ، ويحثُّ علىٰ حضور حلقته كل أُحد ، وربما سكر ، وربما غاب ، وربما شهق ، وربما شاهد الملائكة الكروبين ، وربما زعق وربما وصل إلىٰ

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي ، مفسر ، متصرف ، له : تحفة واهب المواهب في بيان المقامات والمراتب . (ت ٩٥٢هـ) . كحاله / معجم المؤلفين : ج١١ ، ص٢٢٩ .

العرش، وربما كلّم الحق وربما ترك الواجبات وادّعىٰ الوصول، وشرحُ أحوالهم تطول.

إذا كنتَ في قومٍ فصاحبْ خيارهم ... ولا تصحبِ الأدنىٰ فتردىٰ مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي
فإن كان ذا شرٌ فعجل فراقه ... وإن كان ذا خير فصاحبه تهتدي

مناجات:

يامن يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوىٰ مع السقم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو زللٍ ... فمن يجود علىٰ العاصين بالكرم

غيره:

قف بذي الباب سايلاً ... عند ضيق المناهج
فهو باب مجرب ... لقضاء الحوائج

غيره:

إذا أقبلت نعمة فارعها ... واقبلْ عليها بشكر متين
فإنك إن رمت كفرانها ... تولتْ وزالتْ ولو بعد حين

لأحمد الخطابي[1]:

مادمتَ حيظ فدار الناس كلُّهم ... فإنما أنت في دار المدارات
من يدري داري ومن لم يدر سوف يرىٰ ... عما قليل نديماً للندامات

---

(١) أحمد بن عثمان السمرقندي، الشافعي، له شرح هداية الحكمة (ت ٩٠١ هـ). كحاله / معجم المؤلفين: ج ١ / ص ٣١٠.

لابن نباته(١) ـ في الاقتباس ـ من خطبه :

أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم لهذا الحديث مصدّقون ، مالكم لا تشفقون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون .

ومن بديع ما جمع الاقتباس من المواعظ ، ووقف عن معارضته كل بليغ وواعظ ، ما انتظم في سلك الخطب ، للكهف الأحمىٰ (محمد بن أبي اللطف) بالمسجد الأقصىٰ المخصوص من الفضايل بما لا يحصىٰ :

أريحوا القلوبَ بذكر المنون من كمد الأفكار ، وانضحوا العيون بماء الشؤون من نظر الأغيار ، وداووا النفوس بذكر مصارع القرون من علل الأضرار ، واضربوا حجارة القلوب بعصىٰ الاستغفار ، فإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، عارضوا النفوس العصية بمزوالة يوم المعرض ، وناهضوا القلوب العتية بمنازلة السنن والفرض ، ولاحظوا الأفعالَ المنسيةَ قبلَ شهادةِ بعضِ الجسدِ علىٰ بعض ، ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السموات والأرض** ﴾(٢) ، حرّكوا سلاسل القدر بالأدعية والاستغفار في الأسحار ، وشاركوا محافلَ السحر ، فهي أنديةُ الأبرار ، وأدركوا قوافلَ السهر في أول قطار ، واسسوا بالتقوىٰ لمن اقتدر مشيد بناء الأعمار ، ﴿ **أفمن أسس بنيانه علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه علىٰ شفا جرفٍ هار فانهار** ﴾(٣) ، روّضوا برياض الإخلاص نفوسَكم ، وداووا عللها ، واكبحوها بلجام الاستقامة ، وسدّوا خللها ، وأجيلوا في ميدان الإحسان فرسانها ورسلها ، واصرفوها بزمام

---

(١) عبد العزيز بن عمر السعدي ، شاعر طاف البلاد ومدح الملوك . (ت ٤٠٥ هـ) . المصدر السابق : ٥ : ٥٥٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٩ .

العرفان عمَّن لها ولها ، ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾[١] ، وتجهّزوا رحمكم الله للقيامة أحسن الجهاز ، واستوقروا من الإقامة فإنكم على أوفاز ، وتحرَّزوا من الندامة قبل فوات الأحراز ، ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾[٢] ، تحلَّلوا من المظالم فعذابُ القبرِ أليم ، وتحيّلوا في التخلُّص من المآتم ، فشجرة الزقوم طعام الأثيم ، وانزلوا عن العظايم حياءً ممن هو بكل شيءٍ عليم ، ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلةَ الساعة شيءٌ عظيم ﴾[٣] ، يا لها ساعة تعجزُ عن وصفها الألسنة وواقعة يحكم فيها من لا تأخذه نوم ولا سنة ، ومقاماً يفتقر فيه المحسن إلى زيادة حسنة ، ويوماً كان مقداره خمسين ألف سنة ، يجتمع فيها العالم في صعيد ، ويخشع لهوله الشقيُّ والسعيد ، وتجيء جهنم فيُسمع لها تغيظٌ من مكان بعيد ، ﴿ يوم ترونها تذهلُ كل مرضعةٍ عمّا أرضعتْ وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملها وترى الناس سُكارى وماهم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد ﴾[٤] ، فيومئذٍ ينصب الله ميزان القسط لإقامة الحجة على العباد شفاهاً ، وينشر الدواوين فيكتالون جرائمَ ضبطها الكاتب الكريم واستوفاها ، وينال أهل الشقوة من المشقة أدناها وأقصاها ، ويقولون يا وليتنا ﴿ مالِ هذا الكتاب لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ﴾[٥] ، فيعتريهم من مهول ذلك الهول حيرة ووله ، وتجد كل نفس ما عملت ويحاسب كل بما عليه وله ، ويقتصُ الحكمُ العدلُ من الذرَّة للذرَّة ، ويبسط بساط المعدله ، فلا تُظلمُ نفسٌ

---

(١) سورة الاسراء : ٧ .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٣) سورة الحج : ١ .
(٤) سورة الحج : ٢ .
(٥) سورة الكهف : ٤٩ .

شيئاً ، وإنْ كانَ مثقالَ حبَّةٍ من خردلة .

أحمد بن زين الدين :

سـل الله مـن فـضله واتـقه فإن التقىٰ خير من ماتكتسب
ومـن يـتق الله يـجعل له ويرزقه من حيث لا يحتسب

إغتنمْ يومكَ الفاحم قبل أن يبيضّ ، فإنما الدنيا جدار يريد أن ينقضّ فلا يغرنّك قطفها النضيج ، وزهرها البهيج ، فهو غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج ، أصدق الأرواح روحان يمتزجان ، وأخلص القلوب قلبان يزدوجان ، يتصاحبون قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ، وآخرون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم أليس من الخسران جزّارٌ يأكل المَيْت ، ومكيٌّ لا يزور البيت ، فلا تكنْ كالجمل الطريح يتجسم لغيره إسناداً ، ولا تكنْ كالحمار يحمل أسفارا .

شعر :

ولّىٰ الشبابُ ولي ذنوبٌ حاضره ويدي من الحسناتِ أمستْ قاصره
فـجعلتُ أنشدُ والمدامع زاخره قـربَ الرحيلُ إلىٰ ديار الآخرة
فاجعل الهي خير عمري آخره

يـا ربِّ جـئتُك هارباً من زلّتي واليك قـد وافـيتُ أرفـعُ قصّتي
فـاسترْ عيوبي إنْ أتيتُ لحفرتي وارحم مبيتي في القبور ووحدتي
وارحم عظامي حين تبقى ناخره

يـا خـجلتي وأنـا الذي آثامه كـالبحر أو كـالقطر سـحّ غمامهُ
مـالي سـوى مَنْ عمّني إكرامه فأنـا المسـكينُ الذي أيـامهُ
ولّت بأوزارٍ غـدتْ متواتـره

نفسي ظلمتُ وكنتُ أظلمَ ظالمٍ ولبـاب عفوك عدتُ عودة نادمٍ

كـم قـد غـفرتَ لجاهلٍ ولعالمٍ فلئنْ رحمتَ فأنتَ أرحمُ راحمِ
فـبحار جـودكَ يـا إلَـهي زاخـرة

وعنه ﷺ : (حُبِّبتْ إليّ من دنياكم ثلاث : الطيبُ والنساءُ وقرّةُ عيني في الصلاة)[1] ، فقال بعض الصحابة وأنا يا رسول الله حببت ثلاث : الجلوس بين يديك ، وانفاق مالي عليك ، والصلاة عليك . وقال آخر : وأنا حببت ثلاث ، الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود . وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : اطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : الضرب بالسيف ، واقراء الضيف ، والصوم بالصيف ، وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وجسد علىٰ البلاء صابر ، وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : تحصيل العلم في طوال الليالي ، وترك الترفع والتعالي ، وقلب من الدنيا خالي ، وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : مجاورة النبي ﷺ ، وملازمة تربته ، وتعظيم أهل بيته ، وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : عشرة الخلق بالتلطف ، وترك ما يؤدي إلىٰ التكلف ، والاقتداء بطريقة أهل التصوف ، وقال آخر : وأنا حببت ثلاث : متابعة النبي في أخباره ، والتبرك بأنواره وسلوك طريق آثاره .

مناظرة لابن المارديني سمَّاها (لذَّةُ السمعِ في المناظرةِ بين الخمرِ والشمعِ) وهي هذه :

حكىٰ المغرُ العاشقُ عن المُحبُّ الصادق ، قال : كنتُ منذُ نشأت شديدَ

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي : ج٢ ، ص٢١١ ، الرواية ٢٢ . ونصُّ الرواية في البحار مختلف ببعض الكلمات مع ماهو في المتن هنا فقد جاء هكذا : (حببت إليّ من الدنيا ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة) .

الكلفِ بالراح ، زايدَ الشغفِ بالملاحِ ، لا أخلو من المحبّة والغرام ، ولا أقطع دياجي الظلام إلا بالمُدام ، فبينما أنا مشتغلٌ في بعض الأيام بحالي ، إذا زارتني من أشغلت بالي ، وهيَّجتْ بلبالي ، وتركتْ جسدي كالشن البالي ، فأنشدتُ من مقالي :

فتاةٌ يغار البدرُ من حسنِ وجهها　　وشمس الضحىٰ تُخفىٰ لفرطِ جمالها
لها قامةٌ كالغصنِ يعطِفُه الصَّبا　　تفوقُ علىٰ سحرِ القنا باعتدالها

ثم أحضرت ما تكملُ اللذةُ باحضاره من رياحين الورد وأزهاره ، وورده وبهاره ، وآسه ونسرينه ، وريحانه وياسمينه ، فأخذتْ ريح الزهورِ تضوعُ ، وأشرقتْ كواكبُ تلك الشموع ، وقد سمحَ الزمانُ بزيارة الحبيب ، وأمِنَ المكانُ من واشٍ ورقيب .

شعر :

فللّهِ هاتيك الزيارة إنَّها　　إلىٰ كبدي أشهىٰ لها من زلالها
أرىٰ الدهرَ لم يسمحْ بأخرىٰ نظيرها　　ولا سمحتْ أيَّامُهُ بمثالها
مكانٌ وإمكانٌ وحورٌ مليحةٌ　　تحيَّرَ عقلي في بديعِ جمالها

فجلسنا آمنين من الحوادث ، وأمِنَّا أن نُعزَّز بثالث ، وأدرنا الأقداح ، ودخلنا في الراح ، فأهدىٰ المدامُ إلينا أنواعَ سروره ، وألقى الشمع علينا رداءَ نوره ، فتلذذنا منادمة المدام والشمع ، ومنحنا من المدح ما يُطربُ السمع ، فأراد كل منهما التقدمَ في ذلك المقام ، وزعمَ أنّه أحقُّ بالإكرام ، حتىٰ أفضىٰ الكلام إلىٰ الكلام ، فظهرتْ تلك المحبوبةُ بفضيلةٍ مقبولة ، وقالت : ليقلْ كلُّ منكما ما يُوجبُ تفضيله ، وليقمْ به برهانَه ودليلَه .

فنهض المدامُ علىٰ ركبته وحمد الله وأثنىٰ عليه ، وقال : الحمدُ لله الذي

أخرجني من سلالة الكروم ، وخصَّني بإزالة الهموم ، وجعلني من أنهار الجنة التي وعدها المتقين ، وأثنىٰ عليَّ في كتابه المبين ، فقال تعالىٰ وهو أصدقُ القائلين : ﴿ **وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين** ﴾[١] والصلاة علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الذي حرَّمني في الدنيا علىٰ أمته ، وجعلني في الأخرىٰ تماماً لنعمته ، أمَّا بعد : فإنني أحق بالتفضيل ، وأولىٰ بالتكريم والتبجيل ، وكفاني فخراً وتفضيلاً ما ورد في قول الله ومن أصدق قيلا ، ﴿ **ويُسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تُسمّىٰ سلسبيلا** ﴾[٢] ، وليس الشمعُ مثلي ولا فضله كفضلي ، أنا أولىٰ بخدمة العشاق ، وأحق بالصلة عند التلاق ، أنا جالبُ الأنس والسرورِ ، ومُذهبُ الهم من الصدور أُخرج نسيم حبابي لأحبائي ، وأسقي صافي شرابي أصحابي ، أفوقُ علىٰ كل شراب ، وأجعل اعمال الهموم كسراب ، كفاني عند ذوي الألباب ما ورد في نص الكتاب في قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب** ﴾[٣] وأنتَ أيها الشمع مصفر اللون ، ضعيفُ الكون ، دمعكَ سائلٌ ، ولونك حائلٌ ، ولسانك طويلٌ ، وهذا بين الأصحاب ليس بطائل ، لا يستقيم شأنك حتىٰ ينقطع لسانك ، تؤذي ندماك بما يطير من شرارك ، وتحرقُ جسمَك بنارك ، وهذا بعض خصالك ، فاسمع في شرح حالي وحالك شعراً :

مـا جـرىٰ لي يـا أهـلَ ودي قـليلُ ... زعـم الشـمع أنـه لي مـثيلُ
أنـا أعـلىٰ عـند الندامـىٰ محِلاً ... وكـلامي لديـهم مـقبولُ
وإذا كـنتُ عـندهم عـظّموني ... ولمـثلي لا يـنتهي التـبجيلُ

---

(١) سورة محمد : ١٥ .
(٢) سورة الانسان : ١٧ .
(٣) سورة النحل : ٦٧ .

ويـصيرون كـلهم طـوعَ أمـري ويـطيعون كـلَ شـيءٍ أقـولُ
وإذا مـا دهـنتُ ريـقَ حـبيبٍ قـيل فـيه كأنّـه سـلسبيلُ
أنت يـا شـمعُ قـد عـلاك اصفرارٌ مـن يـراه يـقولُ هـذا عـليلُ
لك عـينٌ مـثل الرقـيبِ عـلينا فـهي تكـوي بـنارها وتسـيلُ
ولسـانٌ يـخشىٰ النـديمُ سـطاه كـل حـينٍ تـقطهُ فـيطول
إن أهـل الغـرام يكـره فـيهم مـن له بـينهم لسـانٌ طـويلُ

فلمّا سَمِعَ الشمْع كلامَ المدامِ ، هبَّ للخصام ، ونهض من شَمْعَدانه علىٰ أقدامه وجال ، وأطلقَ لسانَه وقال : الحمد لله متولّي النور ، ومحرِّم الخمور ، الذي اقتضتْ حكمتُه تحريمَ الراحِ ، وجعلَ مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح ، والصلاة والسلام علىٰ سيِّدنا محمدٍ الذي بعثَهُ اللهُ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله سراجاً منيراً ، أمّا بعد أيُّها المدام ، قد أطلتِ فيّ الكلام ولم تفرقي بين الحلالِ والحرامِ ، أما لك عينٌ تري أنواري الباهرة ونجومي الزاهرة ، وتفرقي بين ذاتك النجسة وذاتي الطاهرة ، وطالما جمّلتُكِ بحضوري ، وأظهرتُ عرايسكِ بنوري ، أين أنتِ مني وأشكالي التي كأنّها المقصوراتِ في الخدور ، وبياض جسمي الذي إذا وَقَدَ فهو نورٌ علىٰ نور ، أما علمتِ أنّي شقيقُ الشرابِ الذي شهد بفضله كلام ربِ البشر ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وأوحىٰ ربك إلىٰ النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر** ﴾[1] ذللّت نفسي في رضاء الأحباب ، وأفنيت جسدي في هوىٰ الأصحاب ، وربما عمدَ إليّ الجاني فخفض من شاني ، وقطعَ من لساني فصبرتُ علىٰ ما دهاني ، وأجتهدتُ في إنارة مكاني ، ولو شئتُ لأحرقته بنيراني ، وأعميته بدخاني ، وأطعنتهُ بسناني وأعلمته أنه لا

(١) سورة النحل : ٦٨ .

يصطلي بناري ، ولا يؤخذ بشاري ، ولكن اتخذتُ لنديمي خيري ، ، وامسكتُ شري أن يصل إلىٰ غيري ، وأما أنتِ فمناحِسُكِ كثيرة ، ومحاسِنُكِ يسيرة ، طالما أضللت الرفيقَ عن الطريقِ وحمّلتِ الصديقَ ما لا يطيق . وإن كنتُ جالب الأنس والسرور ، فأنت حامل الناس علىٰ الشرور ، تعين الأشرار وتهتك الأستار ، وتجتري علىٰ الرؤساء الكبار ، وتجول فيهم كأنك طالب ثار ، وأما ما عيرتني به من نحول جسمي ، واضطراري وملازمة دمعي الجاري ، واحتراقي بناري ، فهذا يوجب قبور أعذاري ، فافهم سري ، واسمع شعري :

أيّها الخمرُ قد اطلتَ الفخارا ... ما عقولُ الصحاحِ مثل السكارى
لستَ يا خمرُ في الحقيقةِ مثلي ... أنا أغلىٰ بين الورىٰ مقدارا
أنا ما كنتُ في المجالس إلا ... واكتستْ من محاسني أنوارا
يستنيرُ الظلامُ من نور وجهي ... فيُرىٰ الليل من ضيائي نهارا
أنا كالرمح في اعتدال قوامي ... وسناني المصقول تلقاه نارا
وإذا ما طعنتُ ذيلَ الدياجي ... ظعنتْ ادبرتْ وولتْ فِرارا
هاك ما قد نظمتُ في شرحِ حالي ... درراً قد نظمتُهُ أشعارا

فلما سمع المدام ما قاله الشمع ، اضطربَ واظهرَ زبدَه ، وتلاطمَ حتىٰ خشينا من العربدة ، فنهضتُ من مقامي وأحضرتُ مدامي ، وقلت لهما : أنتما نديمان حسنان ، مشهوران باللطف والإحسان ، فلا تكدرا صفاكما وطيب هذا المقام ، ولا تأخذا في أنفسكما من هذا الكلام ، وما منكما إلا وله محاسن ، لا تحصرها الأقلام ، فالصلحُ سيدُ الأحكام ، فسكتا بهذا المقال ، وبادرا الىٰ أمري بالامتثال ، واتّفقَ حصولُ الصلح في الحال ، وزال ما عند الشمع من اللهيب والاحتراق ، وصفا له قلبه للمدام وراق ، وانشرحت المحبوبة بذلك الصلح الجميل ،

وأنشدت وهي سكرانة تميل شعراً :

لله مـــــا أطـــيبها ليــلة بـــتنابها بـــالحمدِ والشُكـــرِ
قـــضَّيتها فـــي ليــلةٍ ظـلُّها مـــتصلٌ بـــاللهو والبشـــرِ
فـيالهُ مـن مـجلسٍ طـابَ لي فـيه حـديثُ الشـمعِ والخـمرِ
كـــلاهما أظـهرَ فـي وصـفهِ مـحاسناً جـلَّتْ عـن الحـصرِ
وســـاقَ مـا راقَ لنـا سـمعُهُ مـن مـبدعاتِ النـظم والنـثرِ
حـــتىٰ جــلا الليـلُ جــلابيبَهُ وارتـــفعتْ غـــياهبُ الفــجرِ

من الحكمة قول بعضهم : غرور المرء بعلمه جهالةٌ ، وغروره بماله سِفاهةٌ ، وغروره بعقله حماقةٌ ، وغروره بطاعتهِ عصيانٌ ، وغروره بحسنه نقصان .

قصص متفرقة

جزاءُ الأمانة :

نُقل أن رجلاً لقي خرقةً زرقاء ، فيها ستون ديناراً ، وإذا بغلامٍ يبكي على تلك الصرّة ، فقال له الرجلُ : ما الذي أصابك ؟ ، فقال : أنا صبيٌّ مملوك لرجلٍ أعطاني صرةً فيها ستون ديناراً ، لأحملها إلىٰ داره ، فوقعتْ مني ، وضياعها سببُ هلاكي ، فقال له : ما علامتها ؟ ، فوصفها له فأخرجها له وأخذ منها ديناراً واحداً وقال هذا لي ، والباقي لسيدك ، فأتىٰ الرجل إلىٰ السوق ؛ فاشترىٰ بذلك الدينار سيفاً ، فجاء به إلىٰ الصيقل ، فجلاه وكان مصدّياً فعجب من جوهره ، فقال الصيقل : تبيعه ؟ ، قال الرجل : نعم ، فقال : قم معي ، فدخلا إلىٰ دارٍ ، فإذا بصاحب الدار هو سيدُ ذلك الغلام ، وابتاع السيفَ بتلك الصرة الزرقا بعينها بستين ديناراً إلا ديناراً ، وعرّف الغلامُ الرجلَ ، وقال لسيده عن خبره ، فقال الرجل لسيد الغلام : الحمد لله الذي تركتُ الصرةَ لأجله حراماً ، وأعادها لي حلالاً .

عقدُ الجوهر :

ونُقل عن ابن عقيل قال : حججتُ ، فإذا بعقدِ جواهرٍ منظومٍ بخيط حرير أحمر ، مطروحٌ في الحرم ، فتناولته ، واخفيته في كمّي ، وإذا برجلٍ ينادي بقلبٍ مقروحٍ ، ودمعٍ مسفوحٍ ، ويقول : يامن يردُّ عليّ عقدَ الجواهر ، وعلامته كذا وكذا ، وعدده كذا وكذا ، وله مائة دينار ، فقلتُ له : خذْ عقدك ، فقال : يرحمك

الله ، خذ المائة الدينار ، فقلتُ : لا ، ولح عليّ ، فأبيتُ ، واتفق أني خرجتُ إلىٰ الشام ، وزرتُ بيتَ المقدسِ ، ونزلتُ إلىٰ دمشق ، وقصدتُ بغدادَ ، وكانتْ أمّي هناك ، وأنا لم أتزوجْ بعد ، فاجتزتُ بحلبٍ ، فدخلتها آخر النهار وأنا جيعان بردان ، وكان شهر رمضان ، فدخلتُ الجامعَ ، فقال لي المؤذنُ : تقدَّم فصلِّ بنا ، فصلّيتُ ، فعشقوني ، فقالوا : إمامنا توفي منذ أيام ، وكان رجلاً صالحاً ، ونسألك أن تقيم عندنا هذا الشهر المبارك تصلّي بنا ، فأقمت عندهم فقالوا : إنّ للشيخ الذي كان يصلي بنا بنتاً ، فزوجوني بها ، فأقمتُ عندهم سنة ، وولدتْ لي ولداً ذكراً ، ثم مرضتْ في نفاسها ، فتأمّلتها ذات يومٍ ، وإذا بخيطٍ أحمر في عنقها ، وإذا به العقد الجوهر الذي كنتُ لقيته بعينه ، فقلت لها : يا هذه ، إنّ قضية هذا العقد معي كذا وكذا ، فبكتْ وقالت لي : أنتَ هو والله ، لقد كان أبي يقول : اللّهم أرزق ابنتي مثل الرجل الذي ردّ عليّ العقد ، وقد استجابَ الله منه ، ثم ماتتْ ، وماتَ الصبي بعدها ، فأخذتُ العقد وانصرفتُ إلىٰ أمّي ببغداد ، قال الراوي : وتوفي هذا سنة ست وخمسماية .

الهميانُ المفقود :

ونقلَ القاضي التنوخي[1] : أن رجلاً ذا سعةٍ من المال ، لحقتْهُ محنُ الدنيا ، وفطنَ الزمانُ به ، فأتلفَ أموالَهُ ، وبقيتْ معه بقيةٌ من دنانيرَ وجواهر ، فجعلها في هميان ، وشدَّه في وسطه ، وخرج يريد الحج ، فلما كانَ ببعضِ الطريق ، جلس يبول فسقطَ الهميانُ منه ، فقام ولم يعلمْ بسقوطه إلا بعد مسير القافلةِ ، فالتقطه رجلٌ آخر فحفظه عنده ، وإذا في الهميان ألفُ دينار ، وفيه ياقوتٌ وجوهر ، وهو

(١) علي بن المحسن ، تقلد القضاء في المدائن ، وأذربيجان وقرميسين ، ت ٤٤٧ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص١٧٥ .

من ديباجٍ أسود .

قالَ صاحب الهميان : فقضيتُ صبحي ، وعدتُ إلىٰ أهلي ، فتتابعت عليّ المحن ، وصرتُ أبيعُ بقايا أثاثِ البيت ، حيث بقيتُ لا أملك شيئاً ، فهربتُ علىٰ وجهي من بلدي وزوجتي معي فبينما أنا في ليلةٍ مطيرةٍ ، وقد أويت إلىٰ خانٍ في بعض القرىٰ ، ولم أملك تلك الليلة شيئاً إذ ولدت زوجتي فقالت : يا هذا الساعة تخرجُ روحي ، فاخرج ابصر لي شيئاً تقوىٰ به نفسي ، فتحيّرتُ وخرجتُ اختبطُ الظلامَ ، والمطرُ يسكب ، حتىٰ انتهيتُ إلىٰ بقالٍ ، فشرحتُ له حالي ، فرحمني ، فاعطاني زبديّةً فيها جلته وزيت ، فرجعتُ أريدُ موضعَ زوجتي ، فزلقتْ رجلي في بعض الطريق ، فانكسرتْ الزبديّة ، فورد علىٰ قلبي أمرٌ عظيمٌ ، وبقيتُ ألطمُ ، وأبكي فسمعَ صياحي رجلٌ فأخرج رأسه من شبابيك داره ، فقال لي : مالك ؟ ، ويلك تبكي ! ، فشرحتُ له حالي ، فقال : هذا البكا كله بسبب دانقٍ ونصف ، لا أحاطك الله ولا تولاك ، قال : فداخلني بشتمه لي من الهم أعظم مما جرىٰ عليّ ، فقلتُ : يا هذا والله ما بكائي إلا رحمةً لنفسي مما قد وقعت فيه من الابتلاء ، والله لقد حججتُ عام الفلاني ، وقد كنتُ قبل ذلك أملك من المال شيئاً كثيراً ، فذهب مني هميانٌ فيه ألف دينار وياقوتٌ وجوهر في موضع كذا وكذا ، والياقوت والجوهر يساوي ثلاثة آلاف دينار ، فما افتكرتُ فيه وأنا الآن أبكي علىٰ دانقٍ ونصف ، فقال الرجل : بالله وايش صفة هميانك ، فقلتُ : ما يقنعك ما خاطبتني به ، حتىٰ صرتَ تهزأ بي ، وتظن أنّي أكذبُ عليك في أمر الهميان ، هو والله من ديباجٍ أسود قال : فنزل الرجلُ ، وصاح بي ، فظننتُ أنه يريد يتصدق عليّ ، فجئتُ إليه فقال لي : ادخلْ ، فدخلت إلىٰ داره فقال : أين زوجتك ؟

فقلتُ : في موضع كذا ، فأنفذ غلمانه فجاءوا بها ، وأدخلها إلىٰ حرمه فأصلحوا شأنها وجاءني بجبة بردٍ نظيفةٍ ، وقميصٍ وسروالٍ وعمامةٍ ، وادخلني الحمامَ سحراً فأصبحتُ في عيشةٍ طيبة ، فأقمتُ عنده عشرة أيام فكان بعض الأيام ، قال لي : في أي شيءٍ تتصرف ؟ ، قلت : أنا تاجرٌ قال : أنا أعطيك رأس مالٍ وتتجر في شركتي فأخرج لي مايتي دينار ، ففرحتُ فرحاً عظيماً ، فسافرتُ ، وبعد أشهرٍ جئته ، فأعطيته حقّهُ ، وأخذت حقي وانصلح حالي ، فقال : يا هذا ، رأس المال والمحصول لك ، فقلت وكيف ذلك ؟ فأخرج لي همياني بعينه ، فسلّمه لي ، وقال : ما أعطيتك من الدنانير فهي من مالك ، ولما عرفتُك في تلك الليلة أنك صاحب الهميان أردتُ أن أعطيك إياه في تلك الساعة ، فخشيتُ عليك أن تنشق مرارتُك من الفرح ، فخذْ الآن هميانك بارك الله لك فيه ، فأخذتُهُ وشكرتُهُ علىٰ صنيعه معي ومع زوجتي ، فقلتُ يا هذا : أملكٌ أنت أم نبيّ ؟! فودّعته وعدتُ إلىٰ بلدي .

وارث الرصاصة :

وجدتُ بعضَ تجار البحر قال : حملنا مرةً متاعاً إلىٰ الصين ، فبينما أنا أصلح ما أريد اصلاحه ، إذ وقفَ عليّ شيخٌ وسلّم ، فرددتُ عليه السلام ، فقال لي : إليّ عندك حاجة ، قلتُ : مقضيةٌ ، فأحضر لي رصاصةً وزنها مائة منّ ، وقال : أحملها الىٰ بيت فلان في المكان الفلاني ، وسمّىٰ مكاناً في جزاير البحر علىٰ الطريق أعرفُهُ ، فلما وصلنا إلىٰ ذلك المكان ، عصفتْ بنا الريح ، واشغلتنا عن أنفسنا ، ونسيتُ الرصاصة ثم سرنا علىٰ جزايرٍ شتىٰ ، حتىٰ وصلنا الصين ، فبعتُ ما معي من البضايع ، وحضرَ رجلٌ فقال : معك رصاص للبيع ؟ ، قلت : لا ، فقال غلامي : معنا رصاصةُ الشيخ ، فتذكرتُ وصيته ، ثم قلت البيع أصلح لشأنه ، فلما احضرها الغلام ، بعتُها من ذلك الرجل بمائةٍ وثلاثين دينار ، واشتريتُ للشيخ بالمبلغ من طرايف الصين ورجعنا ، فبعتُ بضاعة الشيخ ، فبلغتْ سبع مائة دينار ، فمضيتُ إلىٰ منزله فقيل لي : توفي ، قلتُ : فهل خلف من يرثه ؟ قالوا : لا نعلمُ له وارثاً إلا ابن أخٍ له ، وهو في نواحي البحر ، فرجعتُ إلىٰ بلدي ، وحفظتُ المال ، فبينما أنا ذاتَ يومٍ إذ حضر رجلٌ فقال : أنت فلان ؟ قلتُ : نعم وماذا تريد ؟ قال : اتعرف المشتري ، قال : فتأملته فقلت : أنت هو والله ، قال نعم وأعلم أني قطعتُ الرصاصة ، فوجدتها مجوفةً ، ووجدت فيها اثني عشر ألف دينار ، وقد جبتُ المال إليك ، فقلتُ : ويحك ليس المال والرصاص إلا للشيخ الفلاني من البلد الفلانية وحدّثتهُ بخبره ، فتبسّم الرجلُ ،

وقال : سبحان الله ولا إله إلّا الله ، هو والله عمي ، وأنا ابن أخ ذلك الشيخ ، وأراد أن يمنعني من هذا المال لما كان ليس له وارث غيري ، فأبىٰ الله إلا ما ترىٰ علىٰ رغم أنفه ، قال : فأعطيته ما كان معي من المال وقلتُ : هذا ثمنُ رصاصَتِكَ ، وقد افاد هذا القدر ، فقبضَ الجميعَ وتحول إلىٰ البصرة .

المرأةُ الصالحة

ونُقل أنه كان رجلٌ فقير ، وله زوجةٌ صالحةٌ ، فقالت له : ليس عندنا ما نقتاتُ به في هذا اليوم ، فاخرج لعلَّ الله يرزقك فأتىٰ المسجدَ الحرام ، فنظرَ إلىٰ كيسٍ مطروحٍ ، فأخذَهُ ، وأتىٰ به إلىٰ زوجتِهِ ، فقالتْ : يا هذا لا تغرك هذه الدنانير الصفر فإنَّها لقُطَةُ الحرم ، فلابد أن يعطيك صاحبُها شيئاً نأكله حلالاً خيراً من أن نأكلَ الجميع حراماً ، ولم تزل به ، حتىٰ خرج بالكيس إلىٰ الحرم ، وصارَ يعرِّفُ به ، وإذا برجلٍ عراقي ، يصف له الكيس ، ويذكر له عدد الدنانير ، فأخرجه الفقير إليه فاذا هو بعينه ، فأخذ بيد الفقير إلىٰ منزله ، وأعطاه الكيس بأجمعه ، فقال الفقير : اتهزأ بي بل اعطني منه شيئاً أقتاتُ به ، فقال : لا والله هو لك وتسعة أكياسٍ مثله في كل كيسٍ ألف دينار ، قال : ما هذا الكلام ؟ قال : اعلم أنَّ تاجراً من أهل العراق دفع لي هذه العشرة الأكياس ، وقال لي : ارم أحدها في المسجد الحرام ، وبعد أيامٍ ناد عليه ، فان رده عليك ملتقِطُهُ ، فأعطه العشرة بكمالها فانه من أهل الإيمان والديانة وهو أحق بالعطية ، فإنْ لم يرده عليك وإلا تتصرف بالتسعة الباقية علىٰ الفقراء ، وأنت لم تصبر حتىٰ أنا أعرِّفه بل ابتدأت بتعريفه ، فعلمتُ أنك الأمين المستحق ، والحمد لله أنك أيضاً فقيرٌ ، فقلتُ : صدقة لصاحبها ، صدقة مقبولة إن شاء الله ، فأخذ الأكياس منه وشكره ودعا لصاحبها ، واتىٰ فرحاناً مسروراً إلىٰ زوجته وحكىٰ[1] لها القصة فقالت : صدقَ الصادقُ المصدّق رسول الله ﷺ : (من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه) .

---

(١) م ك : حكا .

تغيّرُ الحال

نُقل أنّ رجلاً كان يأكُل ، وبين يديه دجاجةٌ مشويةٌ ، فجاء سائلٌ فـردَّه خائباً ، فبعد مدةٍ وقع بين ذلك الرجل وبين زوجته خصومةٌ ، فطلّقها ، فقلّ مالُ الرجل ، وافتقر ثم إنّ المرأةَ تزوجتْ ، فبينما زوجها الثاني يأكل ، وبين يـديه دجاجةٌ مشوية ، إذ جاء سائلٌ فقال لزوجته ناوليه هذه الدجـاجة ، فأخـذتها ، فناولته أياها ، فإذا هو زوجها الأول ، فدخلتْ إلىٰ زوجها ، وأعـلمته بـذلك ، فقال : أنا والله ذلك السائل الذي ردَّني زوجك الأول خائباً ، فحوّل الله نعمته وزوجته إليّ ، لقلة حمده وشكره .

عاقبة البخل

قلتُ : وقد أحببتُ أن أذكر هـذه المـقالة الجـليّة ، فـإنّها تـناسبُ هـذه الحكاية ، وهي هذه : حكىٰ بعض الرفاق حكايةً من غريبِ الاتفاق قال : كان بمدينة حلب رجلٌ من التجار مشهورٌ بالثروة واليسار ، فنزلَ به الزمانُ ، ولم يعلمْ أحدٌ بحاله من الإخوان ، ذهبَ مالُهُ ، وساءَ حالُهُ ، وضاقَ عطفُهُ ، وجفاه أهلُهُ ووطنُهُ ، فأنشد شعراً :

خـــلِّ دنـياك واتـبعْ عـارفيها ... وتجنبْ لمن رضىٰ العارَ فـيها
ما يدم[1] دهرُنا علىٰ كلِ حالٍ ... وكذا النقلُ جاء عـن واصـفيها
كـلُّ مـن عنده اعتبارٌ وعـقلٌ ... وثــــبات أراه لا يــــرتضيها

فلبس زيَّ الفقر عبا ، وخرج من حلبِ الشهبا ، يتنقل في البلاد ويقنعُ باليسير من الزادِ ، حتىٰ وصل إلىٰ دمشقَ المحروسة ، وحلَّ بساحتها المأنوسة ، ودخلَ إلىٰ جامعها الأعظم ومعبدها المعظم ، فعزم علىٰ المـقام فـيه ، وتألّـف ببعض مجاوريه يقطعُ نهارَه بالصيام وليله بالقيام ، إنْ وجدَ قوتاً أفطر ، ويطوي إذا تعذر ، فوقف عليه الحالُ وطوىٰ ثلاثَ ليالٍ ، فرفع طرفَهُ إلىٰ السماء وأخلصَ لله في الدعاء وقال : ياذا الجلال إكفني ذُلَّ السؤال ، وخرجَ من الجـامعِ ومرَّ ببعضِ الشوارع ، فافضىٰ به المسيرُ إلىٰ درب كبير فشمَّ من بعض البيوت رائحة

---

(١) م ك : يدوم . ولا يزال البيت مُختلاً من الناحية النحوية ، إذ ليس هـناك مـا يـجزم كـلمة (يدوم) ، إلا أن يُقال أن هذا للضرورة الشعرية .

طعامٍ ، فخفقَ قلبُهُ إلىٰ ذلك وهام ، فانتبهت شهوتُهُ وانتعشتْ قوتُهُ ، فوقف علىٰ البابِ وسألَ ودعا لأهلِ المنزلِ بقبولِ العملِ وبلوغِ الأملِ ، فسمعَ امرأةً تقول لجاريتها : أعطي لهذا السائل من هذا الطعام ورغيفان تمام ، فأخرجتْ الجاريةُ زبديةً من السكباج ورغيفين من الكماج ، وإذا بصاحب الدار قد وصل فرأني علىٰ الباب عندما دخل فزاورني وضربني وطردني وشتمني ، وضربَ الجارية وشتمها ودفعها ولكمها ، وأخذَ مني الطعام والخبز ، وأعاده إلىٰ داره ، وقابل زوجته بعظيم إنكاره ، فكسرَ قلبي وحيَّر لبي ، فتوجهت فيه إلىٰ ربي ، فقلت : إلٰهي نهرني علىٰ ما أنا فيه من الضرورة وكسر قلبي وأنتَ جابرُ القلوب المكسوره ، فقمت وفارقت ذلك الباب بعد مشقةٍ ، وقد كدتُ من ضعفي أُفارق موضعي وعدتُ بحالٍ لا يسر ، وإنما رجعتُ ولكن لا تسأل كيف مرجعي ، ومضتْ بعد ذلك مدةٌ من الأيام ، وأنا ورفاقي المجاورون علىٰ عادتنا في الصيام والقيام ، فحضر إليهم من سلّم عليهم ، وأمرهم بالاجتماع والحضور إلىٰ مسجد هناك مهجور ، ليفرّقَ عليهم شيئاً من النفقة ويصلهم بشيء من الصدقة ، فاجتمع منا طائفة متفقة وجماعة من الفقراء متفرقة ففرق عليهم دراهم علىٰ السواء وشيئاً من ملابس القوا واضيف إلىٰ ذلك شيء من الأثاث العتيق مثل فراش فتيق ، ووساده ظاهرة التمزيق ، وبساط زايد التخريق ، فخصني وسادة من أدم قد آل وجودها إلىٰ العدم ، وتمزقت من القدم ، فأحضرتها قدامي ، وجعلتها تلك الليلة أمامي فوجدتُها محكومة الدرز متقونة الخرز ، ففتقتُ حواشيها ، وأخرجتُ جميع مافيها فوجدتُ حشوها قطناً له زمان قديم ، وفيه كيس مستطيل من أديم ، فأخفيته وواريته ، ثم خرجت إلىٰ ظاهر البلد وقصدتُ مكاناً ليس فيه أحد ، وفتحتُ ذلك الكيس الكبير فإذا هو ملآن من الدنانير فقلت

شعراً :

فـيا فـرحـتي لمـا رأيتُ أحـمرارهـا
وقد برزتْ في الكيس حمراً كما الجمرِ[1]

وخـامر عـقلي عـند ذلك نشـوةٌ
ارتـني انشراحاً ليس يـوجد فـي الخمرِ

فـقلتُ إلَـهي هـذه نـعمةٌ أتت
إليّ بـها خـلصتني مـن أذى الفـقرِ

والقـيتُ وجـهي فـي الثرىٰ متواضعاً
وقـلتُ إلهـي هـذه سـجدةُ الشكـرِ

فتضاعفَ سروري ، وأيقنتُ صلاح أموري ، وعدتُ إلىٰ مكاني ، وودّعتُ إخواني ودخلتُ إلىٰ السوق ، فأصلحتُ شأني ، واشتريت من الكسوة ما كفاني ، واكتريتُ لي منزلاً آويه ودكاناً بسوقِ التجار اتسبب فيه ، فاستقام حالي ، ونما مالي ، وربحَ متجري ، وبُوركَ لي فيما أبيعُ وأشتري ، وعُرفتُ بين التجار ، وصار لي ثروة ويسار ، وتحدّثتُ علىٰ الدرهم والدينار فرأيتُ نفسي إلىٰ الزواج داعية واحتجتُ إلىٰ زوجةٍ تكون لمصالح داري مراعية ، فقلت شعراً :

إذا اشغلَ الإنسانُ في البيع والشرىٰ
وفي مكسبِ الأموال طول نهارِهِ

وليسَ له فـي داره مـن يسوسُها
إذا غـابَ فـي اشغاله عن ديارِهِ

فـذلك عـندي مهملٌ أمر نفسه
ومـا عـاقلٌ يرضىٰ بذا باختيارِهِ

فـلابد للإنسـان مـن زوجـةٍ إذا
تأخّـر تـبقىٰ عـينها فـي انتظارِهِ

(١) م ك : كالجمر .

وتُصلحُ ما يختاره من أمورِهِ　　　وتخدمهُ في فرشِهِ ودثارِهِ
إذا لم يكنْ في منزلِ المرءِ حرةً　　　تدبِّرهُ ضاعتْ مصالحُ دارِهِ

فاستشرتُ في ذلك بعض جيراني ، ومن اثق به من إخواني ، فأرسل إليّ امرأةً لها معرفة في النساء الخاليات من الأزواج ، الراغبات في النكاح والزواج ، فعرّفتها غرضي واوعدتها بكل ما ترتضي ، فذكرت لي جماعةً من النساء ووصفتهنَّ بالكمال ، ثم قالت : وهنا امرأة بارعةُ الجمال ، مليحة الخصال ، ذات قدٍّ ميّال كانت متزوجة بابن عمها ، وهي واحدة لأبيها وامها وخصَّها جملة من مال ابن عمها وهي خاليةٌ من الأولاد ، وأظنها هي المراد ، فقلتُ : هذه هي الغرض والمطلوب ، والتي تميلُ إليها القلوب ، فاذهبي وانصحي واخطبي واصلحي ، ودفعتُ لها شيئاً من المال أجرة مشيها ، وقصدتُ بذلك بذل النصح في سعيها ، فذهبتْ وغابتْ ثم حضرتْ وقالتْ : قد أجابتْ فأني قد ذكرت لها من صفاتك ما أرضاها وعيّنتُ لها المهر فانعمت باختيارها ورضاها ، فوافقتها على ذلك ، وحملت النقد ، وحصل الفرح والسرور ، وعقدت العقد ، وفي الحال حُملت إلى داري بما معها من المتاع والجواري ، فوجدتها من أكمل النساء حسناً وألطفهنَّ معناً وأكثرهن أدباً وحياءً ونقاوةً وذكاءً ، لها خلقٌ كالنسيم وكلامٌ كالدر النظيم :

شعر :

إذا رمتَ الزواجَ فخذْ عروساً　　　تسرُّكَ طفلةً حسناء حرهْ
فان رجعتْ إلى أصلٍ ودينٍ　　　فقد كملتْ لخاطبها المسره

وفي بعض الأيام استأذنتني في الكلام ، وقالتْ : عندي كلامٌ أعرضه بين يديك ، والأمرُ في قبوله إليك ، هذه الدار التي نحن فيها لا نختارها ولا نرتضيها

لأنها صغيرة الإيوان ، مسودةُ الحيطان ، ضيقٌ مخدعها ، عسر مطلعها ، سقوفها ذاتُ انحطاط ، ومجلسها من العفن لا يبسط فيه بساط ، بركتها لا يدومُ جريانها ، وقد ضيّق صدري نقصانها ، فإن كانت لك يتعيّنُ أن تكريها ، وإنْ كانت إلىٰ غيرك فأعدها إلىٰ مالكيها ، وفي ملكي دارٌ مليحةٌ حسنةٌ ، وقاعة كبيرة مستحسنة ، واسعة الفنا ، متقنةُ البنا بركتها لا ينقطعُ جريانها ومجرتها يروقك شادروانها ، لها شبابيك في إيوانها ، تُشرقُ علىٰ بستانها ، منافعها كثيرة ومجالسها كبيرة ، إيوانها مرتفعٌ ومخدعها متسعٌ ، فإن اقتضىٰ رأيك النقلة إليها ، فيقع نظرك عليها ومهما رأيته حسناً رضيناه سكنا ، وناولتني مفاتيحَ الدار وقالتْ : افعل ما تريدُ وتختارُ فقلتُ : من يعرّفني محلّتها وكيف السبيل إلىٰ معرفتها ، فأمرتْ واحدةً من جواريها[1] بالتوجه معي ، وقالتْ : قومي مع سيِّدك وأسرعي ، وقالتْ : قم يا سيدي فاذهب معها فهي تعرِّفك موضعها ، فقمتُ فتوجهتُ معها في الحال وفتحتُ السكاكرَ والأقفالَ ، فرأيتُ داراً مليحة ، وقاعةً فسيحةً تزيدُ في الحسنِ علىٰ ما وصفتْ وهي زايدةٌ في الحسن علىٰ ما اتصفت ، وفي ذلك النهار انتقلنا إلىٰ الدار ، وحصلَ فرحٌ وسرورٌ وراحةٌ وحبور .

شعر :

راحــةُ الإنســانِ فــي السكــنِ   ســيما إنْ كــان فــي الوطــنِ
لذة الدُّنــــيا وزيــــنتها   كــلها فــي المــنظر الحســنِ

وفي بعض الأيامِ جلستُ علىٰ بابِ الدار ، وجلستُ في ميدان الأفكار ، وتذكّرتُ كيف تقلبتْ بي الأحوال ، وذهب ما كان معي من الأموال وصحبتي للفقراء من الرجال ، وتعذر القوت عليّ ثلاثَ ليال ، وألجأني الحال إلىٰ بذلِ

---

(١) م ك : جوارها .

السؤال ، ووقوفي على الباب الذي شممتُ منه رائحةَ الطعامِ ، وما تلفّظ به صاحبُ البيتِ من الكلام ، وحمله تلك الزبدية على يديه وإعادتها إلى داره ، وأنا أنظر إليه وأبتهلُ إلى الله بالدعاء عليه ، وزوال تلك الشدّة في أقربِ مدة ، ثم تفكّرتُ في باب داري فإذا هو ذلك الباب ، واستدلّيتُ بما عليه من المشاطبِ والأعتاب ، وحققتُ النظر واستولتْ عليّ الفكر ، وتعجّبتُ من هذه الواقعة العجيبة ، والاتفاقات الغريبة ، ودخلتُ إلى أهلي متفكّراً متعجّباً من هذه الواقعة متحيراً ، فانكرتْ الزوجةُ حالي فقلت لها : انصتي إلى مقالي لأخبركِ بما جرى لي ، ثم حدّثتها بجميع قصتي ، ومانلته في غربتي من ذهابِ المال ، ووقوف الحال ، والحاجةِ إلى السؤال ، ووقوفي على الدار التي شممتُ منها رائحة الطعام ، بعد تعذر القوتِ عليّ ثلاثة أيام وظفرني الله بالذهب من تلك الوسادة ، ولله في كل شيء إرادة وإنّي تحيّرتُ في هذه الساعة في باب هذه القاعة ، فوجدتُهُ هو الباب الذي طُردتُ عنه ، وصحّ عندي بعلاماتٍ ظاهرةٍ منه ، وأنا أسألك بخالق الليل والنهار ونبيه محمدٍ المختار أن تخبريني بما جرى لصاحبِ هذه الدار ، وتطلعيني على هذه الأخبار ، فأطرقتْ رأسها ، وتفكرتْ ، ورفعتْهُ بعدما تذكّرتْ ، ثم تبسمتْ واستحضرتْ تلك الواقعة التي جرتْ ، فقالتْ : صاحب هذه الدار كان ابن عمي ، تزوجَ بي بعد وفاة أمي وأبي ، وكان له مالٌ جزيل ، وهو رجلٌ بخيل ، يبخلُ باليسير على الفقير ، ولي في صحبته خمس[1] سنين ما تصدّقَ بكسرةٍ على مسكين ، وكان شحهُ كثير ، أبغض ما عليه الفقير ، وكنتُ آمره فما يفيد ، وكلما أعذلهُ وهو يزيد ، فاتفق يوماً من الأيام أنّ الجارية أخرجتْ إلى فقيرٍ شيئاً من الطعام ، فلحق الجارية عندما وصلُ ، وأخذ الزبدية

---

(١) م ك : خمسة .

والخبز من الفقير ودخل ، وضربَ الجاريةَ وطردَ الفقير ، وجعلَ ينهرني علىٰ هذا التبذير ، ودمدمَ جهدَ طاقته ، ودخل الخلا لقضاء حاجته ، فانخسفَ به المكانُ وغاصَ في الغايط إلىٰ الأذان ، وسقط عليه حجرٌ رضَّ صدره ، وكسر ظهره ، فأخرجتْهُ الجواري سحَباً ، وجذبتْهُ من الكنيفِ جذباً ، وجرّدوه من ثيابه ، وهو غائبٌ عن صوابه ، وفي آخر الليل قضىٰ نحبه ، وتولّاه ربه ، وفي سرعةٍ مضىٰ ، ونفد فيه سهم القضا ، ثم قالتْ : وخلّف جملاً من الأموال اقتسمتها الورثةُ بمكيال ، وحُسبتْ هذه الدار من بعض استحقاقي ، وقبضتُ من مخلفاته باقي صداقي ، وأما الوساده فإنّه صحبها في العام الماضي إلىٰ الحجاز ، ووضعَ فيها كيساً من شدةِ الاحتراز ، فذهلَ عند وصوله عن إخراجه وأهمله لعدم احتياجه ، وعند بيعِ التركةِ أفردت منها شيئاً للصدقة ، وجمعتُ من أثاث البيت أشياء ملفقة ، ووسايد مفتقة وبسطاً مخرقة ، وأنطاع مشققة ، وجعلتها برسمِ الفقراء للصدقةِ والتفرقة ، فخصّك الله بهذه الوسادة وأجزاك علىٰ عوائد فعله المعتادة ، وهذا ماله قد صار إليك وزوجتُهُ خادمةٌ بين يديك ، فاسجد لله شكراً ، وقل سيجعل الله من بعد عسرٍ يسراً ، وعاهدني أن لا تمنع مسكيناً ولا فقيراً ولا ترد سائلاً ولا يتيماً ولا أسيراً ، وتفكّر في قوله تعالىٰ : ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله علىٰ كل شيءٍ قديراً** ﴾[1] .

لبعض الصلحاء :

إذا كُنتَ الكريمَ فلا أبالي ... ولو بلغتْ ذنوبي القطرَ عدّا

فكم من مُسلمٍ في الحشرِ مثلي ... بفضلك من لهيبِ النارِ عدّا

ونُقل أنه تخاصمَ أبو الأسودِ مع زوجته في ابن كانَ لها منه ، وأرادَ أخذْه

---

(١) سورة الاحزاب : ٢٧ .

منها ، فحضرَ بين يدي زياد ـ أبي عبد الله بن زياد اللعين ـ وهو يومئذٍ والي البصرة ، فقالتْ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ولدي كان بطني وعاؤه ، وحجري فناؤه ثديي سقاه ، أكلؤه إذا نام ، واحفظه إذا قام ، فلم أزلْ كذلك سبعةَ أعوام حتىٰ استوفىٰ فِصاله ، وأستكمل خِصاله وأملْتُ نفعه ، ورجوتُ دفعه ، أراد أخذه مني قسراً ، فقال أبو الاسود : أصلحَ الله الأميرَ ، هذا إبني حملته قبل أن تحملَهُ ، ووضعتُهُ قبل أن تضعَهُ ، وأنا أقوم بأوده وأتولّىٰ أمر آدابه ، حتىٰ يستحكم فضله ، ويكملَ عقله ، فقالتْ المرأة : صدقَ ولكنه حمله خفاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوةً ، ووضعتُهُ كرهاً ، فقال زياد : اردد علىٰ الامرأة ولدها ، فهي أحقُ به منك[1] .

---

(١) أورد هذه القصة السيد المرتضىٰ (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) في أماليه مج١ ص٢٩٤ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ولم يُعلّقْ عليها بشيء .

وصف البلدان

من كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد)[1] : وصفُ مجموعةٍ من البلدان : قال الحجاجُ لابن القِرِّيَّة : صفْ لي البصرةَ ، فقال : حرُّها شديدٌ ، وشرُّها عتيدٌ مأوىٰ كل تاجرٍ وطريقُ كل عابرٍ ، قال : فصف لي واسط ، قال : جنةٌ بين حماةٍ وكنَّه ، قال : فصفْ لي الكوفة ، قال : نقصتْ عن البحر ، وسفلتْ عن برد الشام فطاب ليلُها وكثر خيرها ، قال : فصفْ لي الشام ، قال : عروسٌ بين نسوةٍ جلوس ، أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق ، قال : فصف لي خراسان قال : ماؤها جامد ، وعدوها جاهد ، بأسهم شديدٌ وشرُّهم عتيد ، قال : صف لي كرمان ، قال : ماؤها وشل ، وتمرها دقل ، وعدوُّها بطل ، إن قل الجيش بها ضاعوا ، وإن كثروا جاعوا ، قال : صف أصفهان ، قال : في خاصرةٍ من الأرض ، زايغة عن الطريق الأعظم .

وقيل : أحسن الأرض مخلوقة الري وأحسن الارض مصنوعة جرجان ، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جندي سابور . وكلُّ موضعٍ ذُكر فيه سابور حسنٌ ، حتىٰ نيسابور خراسان وهو شرُّ البلاد .

ودخل (محمد بن عبد الملك الزيات) علىٰ المأمون فقال : صف لي

---

(١) تأليف زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري ، ولد سنة ٦٠٠ هـ وتوفي سنة ٦٨٢ هـ ـ وهو مطبوع . وابن القِرِّيَّة : أيوب بن زيد الهلالي ، خطيبٌ مشهور ، قتله الحجاج سنة ٨٤ هـ . م : مقدمة كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات تحقيق فاروق سعد / منشورات دار الآفاق ـ سنة ١٤٠٣ هـ .

أصبهان وأوجز ، قال : هواها طيِّبٌ وماؤها عذبٌ وحشيشها الزعفران ، وفي جبالها العسل ، إلا أنها لا تخلو من خلالٍ ثلاث : جورُ السلطان ، وغلاءُ الأسعار ، وقلّة مياه الأمطار . فأطرق ساعة فقال : لعلّ تجارها مرابون وقرّاءها منافقون .

وسُئل إعرابي عن (شهرزور) ، قال : رجالها نزفٌ وعقاربها بزف ـ أي شوايل الأذناب ـ من قولهم ناقة بزوف إذا شالت ذنبها .

وقيل في وصف بغداد : هي الشحطاءُ الخَرِقة والعجوز المتهدلة واللحياء المكتحلة والشلاء المختضبة هواها دخان ، ونسيمها إظلام ينقبض فيها أيدي المستغنيين وتصغر فيها أنفس المفضلين ، تجّارها أسدٌ مفترسون وصنّاعوها لصوص مختلسون جارها حاسد ومزاجها فاسد .

ووصف بعضهم الموصل فقال : كل شيءٍ يُوجع المتضرر فهو بها .

وقيل في مضار البلدان : حُمّىٰ خيبر ، فإنه كل يوم يُحمُّ بها مقيمها دون الطارئين عليها قال الشاعر :

ولكن قومي أصبحوا مثل خيبر بها الداء لكن لا يضر الأعاديا

وطحالُ البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وطواعين الشام .

وقيل في العراق : وحمىٰ شفاذا ووجع البصرة .

وينبغي أن يضمُّوا إلىٰ ذلك : وباء بلادي القطيف ، خصوصاً وقت رطب خصاب العصفور ، وهو لا يقع برطبه إلا بعد صرام جميع النخل ، فإن الحقير مع أنّي ولد بطنها ، وأول أرضٍ مسّ جلدي ترابُها ، مررتُ بها حاجاً في بعض السنين في هذا الفصل المذكور ، فأنكرتْ عليّ ، وصرتُ مريضاً أشهر ، فتبتُ عن المرور بها ، والشرب من مائها ، والأكل من طعامها ورطبها وفاكهتها وسمكها ، توبة عبد لا يعود ، ولكن عادتها لا تنكر إلا علىٰ الغريب الداخل إليها ،

بعكس بلاد خيبر . وأنا أضمنُ وذمّتي رهينةٌ لهذا الضمان لمن دخل بلادي القطيف في الفصل المذكور ، أنْ لا يرجعَ إلىٰ بلده إلا مع أهل القبور ، فكم من غريبٍ أردَتْهُ ، وبصيرٍ أعمتْهُ ، وسميع أصمّتْهُ ، وصحيح أظنتْهُ ، ماؤها زعاق هواؤها سموم ، وصالها فراق ، نزيلها محموم معلومها مجهول ، أمراضها لا تحول ، أرضُها حضرموت ، أنيسها من يُقتل فجأة ويموت ، وما بعد الموت إلا المثلة ، ولعل أجداثها بأمواتها تفعله .

وقيل : من أقام بالأهواز حولاً ، فتفقّدَ عقلَه وجدَ منه نقصاً بيّناً ، ومن أكثر الصوم (بالمصيصة) خيفَ عليه الجنون . وقصبة الأهواز تقلبُ من نزلها إلىٰ طباع أهلها ، وفي جبالها الأفاعي ، وفي بيوتها الجرارات .

قال (حكيمُ بن جابر) يوماً ، قال الجوعُ : أنا لاحقٌ بالعرب ، فقالتْ الصحةُ : أنا معك . ونُقل أنَّ مِنْ عجائب البلدان : أنَّ بشيراز شجرةً تحمل تفاحة نصفها في غاية الحلاوة ، ونصفها الأخر في غاية الحموضة ، وبقرب قريتين قرية يقال لها (كاركان) ، من أخذ من طينها ليلة الميلاد ، وطيّن به بيته لم يقربْهُ عقربٌ إلىٰ القابل .

وفي بعض جزاير الصين حيّاتٌ تبلع الإبل والبقر وقردةٌ كالحمير . وبمصر حجرٌ من يأخذه يتقيأ ما دام في يده .

ومن العجائب أن حجر (الشف) يطفو علىٰ الماء وخشب الشبزر والأبنوس يرسبان في الماء ، والمغناطيس يجذبُ الحديد ، وإذا مسح بالثوم لم يجذب .

وبمدينة (ختن) من حدود الصين طواحين كثيرة ، يدور الحجر التحتاني الأسفل والحجر الذي فوقه قائم لا يتحرك ، ويصب الحنطة علىٰ الفوقي ، والآن

وإلىٰ غد في (عكّه) طاحونة يديرها الهواء[1] ، عملها (أحمد الجزار) يطحن عليها الحب وقت الحصاد ، قد شاهدتُ من شاهدها ، ووصف لي حركاتها وأعمدتها وأطنابها . ولا حاجة إلىٰ شرح ذلك في هذا الكشكول .

ومن الجوابات المستحسنة : ما نُقل أنّه كان لحنظلة النُميري ولد اسمه مرة ، فقال له أبوه : يا مرة ، قال لبيك يا حنظلة ، قال : إنك لمرٌ ، قال : أعجبني حلاوة أبي ، قال : إنك لخبيث كاسمك ، قال : أخبثُ منّي الذي سمّاني ، قال : خبثك كأصلك ، قال كشجرةٍ خبيثة ، قال : إنك لقبيح المنظر ، قال : من يشبه أباه فما ظلم ، ال : ما أحوجك إلىٰ الأدب ، قال : الذي رباني أحوج مني ، قال : عقمت أم ولدتك ، قال : إذا لقحت من مثلك ، قال : لقد كنت مشئوماً علىٰ إخوانك دفنتهم ، قال : أعجبني كثرةُ أعمامي ، قال : لا تزدادُ إلا خبثاً قال : لا يُجنى من الشوك العنب ، قال : ما أظلمك إذ سلّطك الله عليّ ، قال : كما تكونوا يُولّى عليكم ، قال : أنت أشبهتَ أمك لعنها الله ، قال : ما كانت بأردىٰ من زوجها قاتله الله ، قال : لا يابن الزانية ، قال : الزانية لا ينكحها إلا زانٍ قال : قمْ عنّي سوّدَ الله وجهك ، قال : وأنت اجلس بيّض الله عينك ، قال الراوي : وكان عمر مرة يومئذٍ تسع سنين .

ومن الكلمات اللطيفة : ما نُقل أنّ (سلمىٰ بنت أيمن التميمية) كانت من أحسن الناس وجهاً ، وزوجها من أقبح الرجال ، فقالت له يوماً : علمتُ أنّي وأنت في الجنة ، قال : ولِم ذلك ، فقالت : لأني رُزقت مثلك فصبرتُ، ورُزقتَ مثلي فشكرتَ والصبور والشكور في الجنة .

ومن كلماتها اللطيفة وجوابها المستحسن ما نُقل : أنه قيل لها يوماً ، كيف

---

(١) م ك : هوى .

تصبرين على قُبحه ، وأنت من الحسن بمكان ؟ فقالت : أمّا هو فقد قدّم عند الله حسنة ، وأمّا أنا فقد قدّمتُ عند الله سيئة ، فصيّرني ثوابه ، وصيّره عقابي .

ونُقل أنّ المهدي قال لجاريةٍ حسناء من جواريه يوماً : نعم الفراش بطنك ، قالت : يا سيدي هلا تفترشه في كل ليلة .

وقالت امرأةٌ لأخرىٰ ـ وكان بحضرتهما قثاء ـ ما أطيبه ، فأجابتها : طيّب لولا أنه ينفخ البطن (أرادتا الذكر والولد) .

شعر :

وقيمةُ المرء بقدرِ علمهِ	وقد يسودُ قومَهُ بحلمهِ
والقولُ من غير احتياج حَمَقُ	فليفكر العاقلُ فيما ينطقُ
هذا وقد يُوجدُ في الأسقاط	مالم يكنْ يُوجد في الأسفاط
وقد يجئ ابن الغبي ذكياً	وابن الذكيّ أبلهاً غبيا
وابن الشريف مملقاً دنيا	وابن الدنيّ ممولاً أبيا
المرء قد يُعرف أصلُ دينه	ومقتضىٰ فحواه من قرينه
وقيمة المرء الذي يُحْسِنَهُ	من العلوم لا الذي يخزنُهُ

مسائل فقهية

مسألة :

من تحقق الحدث والطهارة ، وشك في المتأخر فقد اطلق المتأخرون رحمهم الله وجوب الطهارة ، لتكافئ الأمرين المحتملين وبقاء أن الدخول في الصلاة يجب أن يكون عن طهارة يقينية ، وفصّل المتأخرون فقالوا : إن لم يتحقق حاله قبل زمانهما ، وجبت الطهارة ، وإن علم حاله قبلهما من حدثٍ أو طهارة ، بنىٰ علىٰ ذلك وعللوا ذلك أنه [إن] كان محدثاً ، فقد تيقّن رفع ذلك الحدث الآخر ، لإنها إن كانت بعد الحدثين أو بينهما فقد ارتفع الحدث الأول ، وانتقاضها بالحدث الأخير غير محقق لأجلِ حصول الشك في تأخره عنهما ، فهو مستيقن الطهارة ، شاك في الحدث ، وإن كان متطهراً ، فقد تيقّن أنه نقض تلك الطهارة بالحدث المتيقن مع الطهارة لأنه إن كان بعد الطهارتين فقد نقض الأولىٰ ، وإن كانت بينهما فكذلك فرفعه بالطهارة المتأخرة غير محقق بوقوع الشك بتأخرها عنه ، فتجبُ الطهارة ، هذا ما حققه المحقق ابن سعيد نجم الدين[1] ، وأما ما قاله العلامة فإنه قال : يأخذ بضد ما كان قبلهما محقاً بأنه علم قبلهما أنه متطهر ، فقد تيقن أنه نقض تلك الطهارة ثم توضأ ولا يمكنه أن يتوضأ

---

(١) أبو القاسم (نجم الدين) جعفر بن الحسن بن أبي زكريا بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المعروف بالمحقق (٦٠٢ ـ ٦٧٦ هـ) . والمسألة مطروقه في الوضوء ، في الفصل الرابع ص٢٤ من الجزء الثاني من كتابه شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام بتحقيق عبد الحسين بقال .

عن حدث وهو متطهر ونقضه الثاني قد شك فيه ، ولا يزول اليقين بالشك ، وعلىٰ تقدير أنه محدث إذا علم قبلهما أنه كان قد أحدث ، وأنه تيقن أنه انتقل إلىٰ طهارة أخرىٰ ، ثم تحقق أنه نقضها ، والطهارة بعد نقضها مشكوك فيها ، وخلاصة البحث في هذه المسألة لا يخلو إما أن يكون حدثين بينهما طهارة ، أو طهارتين بينهما حدث ، أو طهارتين وحدثين ، أو طهارة وحدث ، وهو علىٰ عادة عنده [إن] أحدث يتوضأ ، فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن يشك في الطهارة عن الحدث ، أو تأخر الحدث عن الطهارة ، مع تيقنهما فإن كان من عادته أن يتبع الحدث بطهارة ، فهو علىٰ طهارة وإن لم تكن عادته ذلك ، فإن كان شكه وقع منه حدثاً بين طهارتين ، فهو علىٰ طهارة وإن كان بالعكس ، وجب أن يتطهر ، وإن كان حدثاً وطهارة فكذلك والله الموفق .

مسألة : قال الشهيدُ الأول في (ألفيته الغرضية) : يجبُ أمامَ فِعلها ـ يعني الصلاة ـ معرفةُ الله ، انتهىٰ .

لا كلامَ في وجوبِ تقديمِ المعارف الإلهية والإقرار بالنبوة والإمامة والمعاد ، وتفاصيلُ ذلك في علم الكلام أو علم أصول الفقه ، لأنها شرايط في صحتها ، وشرطُ الشيء مقدمٌ عليه ، إنّما الكلام في شيءٍ واحد ، هو أن التكليف بالأمور المذكورة بالأدلة عند البلوغ ، إذ لا تكليف قبله شرعاً جزماً ، وقد لا يسعُ ذلك قبل فعل الصلاة ، كما لو بلغ ولم يبقَ إلا مقدار الصلاة خاصة ، فحينئذٍ أحد الأمرين لازم ، إما عدم الشرطية في صحة الصلاة أو عدم التكليف بالصلاة ، وانسب ما يُجابُ به عن هذا الإشكال : أنّ التكليف بالأمور المذكورة بأدلتها شرطٌ في صحة الصلاة لا مطلقاً بل بحسب الإمكان ، أما نفس الاعتقاد فشرط مطلقاً هذا وغيرُ بعيدٍ من الصواب وجوب المعارف علىٰ العاقل المميز ، وإن لم

يبلغ البلوغ الشرعي .

فحينئذٍ لو أخلّ إلىٰ أن بلغ ، ولم يسعِ الزمان فهو مكلفٌ بالصلاة ، وعدم صحتها مستند إلىٰ تفريطه ، كما لو فرّط بعد البلوغ ، علىٰ أنَّ أقل المجزي من المعرفة لمن نشأ بين المسلمين قريب أن يكون فطرياً ، وقد يقال أن الدليل علىٰ المعارف مقطوع بوجوبه ، أما كونه شرطاً في وجوب الصلاة بحسب تقدمه عليها ولا تصح من دونه ممنوع ، وفيه بحث .

أشعار متفرقة

خطبةٌ بتراء[١] : أي لم يُحمد الله ولم يُصلِّ علىٰ رسولهِ ﷺ فيها ، بل يقول : أيها الناس ، أو عباد الله ، أو نحوها .

خليليَّ إنّي للثريا لحاسدٌ ... وإنّي علىٰ ريبِ الزمان لواجدُ
تلم الثريا شملها وهي سبعةٌ ... وأفقدُ من أحببته وهو واحدُ

❁ ❁ ❁

رضينا من وصالك بالكلام ... وتكفينا الإشارةُ بالسلامِ

❁ ❁ ❁

وبنظرةٍ في كلِ يومٍ ... وبزورةٍ في كل عام

قلت : وهذا من القناعة المذمومة في العشق ، المحرَّمة في شرع الهوىٰ .

أموتُ إذا ذكرتكِ ثم أحيا ... ولولا أن ذكرتكِ ما حييتُ
شربتُ الحبَّ كأساً بعد كأسٍ ... فما ذهبَ الأُوامُ[٢] وما رويتُ

❁ ❁ ❁

وقائلةٍ ما بالُ دمعكَ أبيض ... فقلتُ لها يا عينُ هذا الذي بقي
ألم تعلمي أنَّ البكا طال همُّه ... فشابتْ دموعي عندما شابَ مفرقي

قلتُ : لله أبوه ، فقد أبدعَ وأعربَ وأتىٰ علىٰ دعواه ببرهانٍ لا يُزاحم فيه ،

(١) م ك : بتره .

(٢) م ك : الشراب .

فإنّ الهمّ أصل البلايا ، ورأسُ الأوجاع ، والذي طال همه حقيقةً هـو صـاحبُ الدموع ، ولكن لما طغىٰ الهمُّ وتزايد وطالتْ مدتُهُ ، عمّ الجمادات المنسوبة إليه ، وأثّر في دموعه تأثيراً ظـاهراً ، لعـلاقة التسبيب ، وهـنا فـي الحـقيقةِ اعـتذارٌ للمحبوب حيثُ لم يبكه دماً ، ولو تتابع سح الدموع ، واشتدت حرارتُه لفرطِ الشوق ، وطول الفراق ، لتغير ماء الدموع من الصفا والبياض إلىٰ غير طبيعته ، أو تغور عيناه .

وقفتُ علىٰ ما جاءني مـن كـتابكم ... فكـانَ لآلام القـلوب مـداويـا
فـهيّجَ لي شـوقاً ومـا كـان كـامناً ... وذكّـرني عـهداً ومـا كـنتُ نـاسيا

* * *

اسـتودعُ الله لي فـي حـبكم قـمراً ... يرعاه قلبي وطرفي عـنه مـحجوبُ
يـرضىٰ ويـغضب مـا أحـلىٰ تـدلله ... وكـلما يـفعلُ المـحبوبُ مـحبوبُ

عادة الأقمار الإضاءة علىٰ الناس كلهم ، ولعل تغيّبه عن ناظر الحبيب من التذلل المحبوب عنده أيضاً ، وحيث ما وجدت الأقمار في كلام أهل الهوىٰ ، فالمراد بها الأولاد المرد والغلمان أو الشموس فالمراد بها الغادات من النسوان ، إلا أن يقوم الدليل علىٰ خلاف ذلك .

بـعادٌ وهـجر واشـتياق وغـربة ... ومطل وتـعذيب بـه العـمرُ يـذهبُ
فلا الوصل يحييني ولا الهجرُ قـاتلي ... ولا الصبرُ موجودٌ ولا الحزنُ يذهبُ
وصـرتُ كـعصفورٍ وطـفل يـزمُّه ... يذوقُ حمامَ الموت والطفلُ يـلعبُ
فـلا الطـفلُ ذو عـقلٍ يـرقُّ لحـاله ... ولا الطيرُ ذو ريشٍ يـطيرُ ويـذهبُ
فـلو كـان لي قـلبان عشتُ بـواحدٍ ... وخـلّيتُ قـلباً فـي هـواك مـعذّبُ

شعر :

فلمّا برزْنا للوداع عشية ... شردْنَ المطايا والدموعُ تسيلُ
وغابت خيولُ الشوقِ من كل جانبٍ ... وعاد لنا طير الفراق دليلُ
بكيتُ وما فارقتكم غير ساعةٍ ... فكيف إذا كان الفراقُ طويلُ
وأرعىٰ نجومَ الليل حتىٰ كأنني ... علىٰ كل نجم في السماء وكيلُ
فبالله عينوني علىٰ الليل إنّه ... علىٰ كلِّ عينٍ لا تنامُ طويلُ
وكيف ينام الليلَ من كان ساهراً ... وليس له نحو الحبيب سبيلُ

أيام النحس في السنة :

عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ[١] :

خَفْ رابعَ العشرين من رمضانِ ... وتوقَّ من شوّال منْهُ الثاني
والثامن العشرين في ذي القعدة ... وتوقَّ من ذي الحج منه ثمانِ[٢]
والثاني العشرين شهر محرم ... والعشر من صفرٍ بلا نكرانِ
وربيعَ رابعه فحاذرْ يومَهُ ... وثمان عشرة من ربيع الثاني[٣]
وكذا جمادى ثم ثاني عشر ما ... يتلوه يا من خص بالاحسانِ
وإذا أتىٰ[٤] رجبٌ فثاني عشرة ... والسادس العشرين من شعبانِ

---

(١) م ك : عن الصادق جعفر ابن الكاظم ﷺ ، وهو سهو . ع .

(٢) م ك : وتوق من ذي الحجة الثماني .

(٣) م ك : وثامن عشر من ربيع الثاني .

(٤) م ك : وتوق من ذي الحجة الثماني .

تراكيبُ لصناعةِ الحبر

نسخةُ حبر : مروية عن ابن عباس ، قال : يُؤخذُ من العفص الأذرة أوقية ، وتكسر دقيقاً كالحمص ، ويُوزن ثقلها خمس مراتٍ ماء ، وتُنقع في الماء سبعة أيام ، ثم تصفي المانجرقه من الطحل ، وتأخذُ نصفَ أوقية صمغ عربي خالص ، وربع أوقية زاج قبرصي ، وتلقيها في الماء ، ثم انظرْ فإنْ كان لونه محمر بصفرة ، فهو محتاج إلىٰ الزاج ، وإن كانت الحمرة بسوادٍ كانت كافيةً والله أعلم .

صفة حبر جيد : أوقية عفص أزرق ، ورق آس أوقيتان ، ينقع في ماءٍ ثلاثة أيام ، ويُغلىٰ حتىٰ يذهب ثُلثُه ، ثم يصفّىٰ ، وتلقىٰ عليه أوقية زاج بان تسحق ناعماً ، ثم توضع في خرقةٍ وتعصر في الماء ، وتوضع عليه نصف أوقية صمغٍ عربي بعد نقعه في الماء الحلو يوم وليلة في إناء جديد نظيم ، حتىٰ ينحل ، ثم يُصفّىٰ في خرقة ، ويوضع علىٰ ماء العفص ، وماء العفص يكون أربع أو قيلت وإنْ زادَ علىٰ ذلك فبالقياس والله الموفق .

أخرى : وقد جرّبت ، فصحّت أكثر من غيرها ، وهي بين المشايخ تذكر :

خذ أوقية عفص ونصف يابس أخضر ، وانقع العفص ، حتىٰ يعود في اللون أحمر ، والماء يكون لهذا رطل وربع محررة ، وخذ أوقية زاج ومن الصمغ ثنتين أشقر ، واحكم الزاج ربطاً في خرقةٍ ثم يعصره ... فيه ، فيغدو كالسيف لمعاً وأشهر فانظر لحبرٍ بديعٍ كالكيمياء بل وآفخر .

أخرى : يؤخذ زاج وآس وعفص من كل شيء أجزاءً بالسوية ويُضاف

إليهم بقدرهم ثلاث مرات ماء ، ويُنقعُ الجميعُ ثلاثة أيامٍ في الماء ، ثم يطبخ حتىٰ يذهب ثُلثُه ويبقىٰ ثلثان ، ثم تصفيهم وتوضع عليهم الصمغ العربي وتُلقي معهم قليل سكرٍ وزعفران شعر وتكتب فإنه عجيب .

آخر : ذهبي : تأخذُ صفار البيض وتجففه جيداً ، ثم تحلّه بماء البورق وتسقيه به ثلاثة أيام ، ثم تضيفُ إليه السندروس الأحمر بعد سحقه وزعفران شعري ، وتسحق الجميع وتحلهم بماء الصمغ .

أخرى : وهي أقعد وأعلىٰ وأغلىٰ : خد أوقية عفص أزرق حضرمي وتكسره شقف ، وأوقية ورق آس ، وتنقعهم في رطل ونصف ماء سبعة أيام ، وتصفّي الجميع ، وتوضعهم علىٰ نار هادئة لينة قليلة الحرارة ، وتغليهم حتىٰ ينقص ثلث الماء ، ثم يُؤخذ زاج قبرصي أوقية ، وانقعه في ماء غير ماء العفص سبعة أيام ، ثم صفيه بخرقة وألقه علىٰ ماء العفص المغلي أولاً وضيفه إليه ، ثم خذ أوقيتين من الصمغ العربي الأشقراني الأحمر مثل العقيق ، وانقعه في ماء آخر حلو سبعة أيام ، ثم تصفيه وترمي تفله ، وتوضع من الماء المصفىٰ وتخلطه قليل منه في الحبر ، وتحركه بعودة ، ثم تأخذ أوقية من غنج زيت الكتان وتلقيه علىٰ الصمغ المصفىٰ ، وتخلطه من الصمغ المصفىٰ حتىٰ يموت الغنج ولا يبقىٰ له أثر ، ثم تسقيه من ماء العفص والزاج ، ثم ترمي عليه خمسة دراهم من ماء الآس وخمسة دراهم شب يماني ، وخمسة دراهم ملح أندراني ، وخمسة دراهم سكر نبات ، وخمسة دراهم جنزار ، وخمسة دراهم صبر سقوطري ، وخمسة دراهم نيل هندي ، كل هذا وأنت تحركه بالملعقة ، ودرهم من زبد البحر ، ودرهم من الكافور[1] المحلول بماء الورد ، ودرهم عنزروت ، ودرهم

---

(١) م ك : الكافر .

زعفران ، فإذا اكملت العمل ضعه في قنينة قزاز ، وكل يوم اجعله في الشمس ثلاثة أيام متوالية وتجربه نصف النهار ، يظهر لك غاية ونهاية ، وأجزاء هذا الحبر كلها خمسة عشر حاجة : ماء الآس حتىٰ لا يبقىٰ يتقطّع خطه ، والعفص : يدبغ الحبر ، والصمغ : حتىٰ لا ينفذ في الورق ، والزاج : حتىٰ يسوّده ، والغنج : ليزيده سوداً ، والسكر : حتىٰ يلمع ، والجنزاره : حتىٰ لا يعفن ، والشب اليماني : لئلا يلقح ، والملح الاندراني : لئلا ينشخ ، والصبر : لئلا يأكله الذباب ، والنيل : ليحسن لونه بزيادة زيادة ، وزبد البحر : حتىٰ يحفظه ، والكافور : حتىٰ يجري ، والعنزروت : حتىٰ يقبظ مليح ، والزعفران : حتىٰ يلمع زيادة ويحسن لونه .

أخرى : خذ رطل آس ، ينقع في ثلاثةِ أرطال ماء ، مدة سبعة أيام ، ثم يُغلىٰ بالنار إلىٰ أن يذهب ثلثه ، ويؤخذ رطل عفص أزرق مكسر ، وينقع في ماء الآس المغلي سبعة ، ثم يُغلى أيضاً ، ثم يضع ويؤخذ من الماء القليلُ يُنقع الصمغ العربي ودرهم كافور ، ثم نيل هندي خمسة دراهم مثله صبر سقطري ، ومثله زنجار ، ومثله ملح أندراني ، ودرهم زعفران ، وأوقية زاج قبرصي ، ويُسحق الجميعُ سحقاً بليغاً ، ويُلقىٰ علىٰ الماءِ المصفّىٰ من العفص ، وتُحرّك تحريكاً بليغاً ، ويترك حتىٰ يركد ، ثم يصفّىٰ عن الحوايج ، ويؤخذ لكل أوقيةٍ منه درهمان من دخان زيت ، ويُخلطُ به ، ويضربا ضرباً جيداً وقد تم .

في (منهاج البيان) : المدادُ أجوده ما كان خفيفاً في الوزن ، وأحلك في السواد وهو من المبردات ، ومن أجود صنعته أن يؤخذ عشرة دراهم دخان ، وهو المُسمّىٰ عند العجم بالدودة وعند العرب بالغنج ، وسبع دراهم صمغ عربي ، يُسحق الصمغ جيداً ، وينقع في أوقية من ماء السلف ، حتىٰ ينحل ، ثم يجعل الدخان في هاون ، ويُقطر عليه ماء الصمغ قليلاً قليلاً ، ويربى بالسحق

جيداً ، ثم يرفع وقد صار حبراً جيداً .

أخرى : يؤخذ وقية دخان من أربع اواق صمغ عربي ، ويُجعل في هاون ويدقُّ جيداً ، ثم يؤخذ وقية زاج قبرصي ، ووقيتين عفص أزرق ، ويكسر العفص قدر حب الحنطة ، وتضيف إليه ورق الآس ، ويغلىٰ مع الزاج حتىٰ يغلظ بحيث لو كتب به ما نَفَذَ من الورق ، ثم يُلقىٰ عليه الدخان والصمغ ، وتمزجه بالسحق والدق أياماً ، وقد تداخل وتمازج وانحل مجموع اجزائه وقد تم .

أخرى : يُؤخذ جزء من الزرنيخ الذهبي الخالص ، ثم يُسحق علىٰ بلاطةِ مرمرٍ أو رخامٍ ، حتىٰ يصير ناعماً جداً ، ثم يُلقىٰ عليه ماءُ الصمغ العربي ، فيصير حبراً أصفراً ثم يأخذ شئ من النيل اللاهوري ، ويلقيه عليه ، وهو مذوب حتىٰ يعجبك خضرته ، فإن لقيته صافٍ فزده من النيل شيئاً يسيراً ، حتىٰ يقعد لونه .

أخرىٰ بين المشايخ تذكر : خذ أوقية عفص ، ونصف ياس أخضر ، وانقع العفص حتىٰ يعود في اللون أحمر ، والماء يكون لهذا رطل وربع محرر ، وخذ أوقية زاج ومن الصمغ ثنتان أشقر ، وألقه في الماء بلا نار فيغدو كالسيف لمعاً .

أخرى : أحمر : خذ من الزنجفي مقداراً معلوماً ، وتسحقُه ثلاثة أيام سحقاً ناعماً جداً ، وتنقعه بماء الرمان ، ثم تصفّيه بحكمة وللأربع دراهم منه درهم صمغ فإنَّه غاية .

أخرى : أسود : تأخذ علىٰ بركة الله تعالىٰ نصفَ أوقية من دخان الزيت سواءٌ كان زيت كتان ، أو غيره من زيت الزيتون ، وأوقية من الصمغ العربي الخالص ، وتُذيب الصمغَ في ماء ، وتلقي عليه الدخان ، ويكون الصمغ له قوام مثل الدبس ، وتحركه بالدخان ، ثم دقَّه دقاً ناعماً وسحقاً بليغاً عنيفاً في

هاون نحاس مقدار ثلاثة أيام ، ثم تُلقي عليه أربع أواق من الآس ، ويُنقعُ معه شيئاً من العفص ، ثم يحل به الصمغ والدخان المذكور مع الدق شيئاً فشيئاً حلاً محكماً ، واكتب منه فإنه غاية [في الحسن والجمال] .

أراجيز فقهية

إذا ما صمتَ رمضانٍ فتمم سوىٰ ستٍ ففيهن المباحُ
فسينٌ ثم ميمٌ ثم شينٌ وحاءٌ ثم عينٌ ثم راحُ(١)

الشيخ محمد الحر ﷺ :

فرضُ الزكاةِ واجبٌ مفروضُ في تسعةٍ يجمعها القريضُ
في ذهبٍ وفضةٍ ونعمِ من إبلٍ وبقرٍ وغنمِ
والتمرِ والحنطةِ والشعيرِ ثم الزبيب فاستمع تقديري
والندب في سواه ما عدا الحضرْ وفي أثاث الحبل حسب ما أشتهرْ
وليس في شيءٍ [سواهُ] ندبا ولا وجوباً فاقض فيه سلبا

وله أيضاً :

يُنزح ماءُ البئرِ للبعيرِ ومايعِ المسكرِ والخمورِ
والنور والفقاع والعصير ....
كذلك المنيُّ ثم البغلُ إنْ مات فكلٌّ كالحمار فاستبن
ومثلُ ذلك فرسٌ وبقره بذلك الفتوىٰ غدتْ مشتهرهْ
وألقِ سبعينَ من الدّلاءِ لميتةِ الإنسانِ والدماءِ
أعني دم الشاةِ ونحوهِ كذا لذايبِ الفضلةِ فافهم وإذا

---

(١) فسين : سفر مباح ، ميم : مرض ، شين : الشيخ والشيخة ، حاء : حامل مقرب ، عين : اعطاش شديد ، راء : رضاع ، منه ﷺ .

مـا مـاتَ خـنزيرٌ بـها أو ثـعلبُ ... أو شـاةُ أو كـلبٌ كـذاك الأرنبُ

والهـرُّ والبـولُ مـن الرجـالِ ... فأربـعين فـاستمعْ مـقالي

وانـزحْ ثـلاثينَ مـن البئرِ فـقطْ ... لماءِ غـيثٍ مـع بـولٍ ذي سـقطْ

مع خروِ كلبٍ فـاعلمنْ وعـذره ... ليـابس العـذرة فـانزح عشـره

وألقِ سـبعاً لاغـتسال الجُـنُبِ ... وبـول طـايرٍ كـذا بـول الصـبي

ومـوتِ فـارةٍ إذا تـفسختْ ... كـما رُوىٰ كـذا إذا مـا انـتفختْ

ولخُـروؤ الكـلبِ حـيّاً فـافهمِ ... والخمسَ في ذرقِ الدجاج فاعلمِ

وانـزحْ ثـلاثاً لوقـوعِ الوزغِ ... كـذلك العـقربُ أيـضاً يـنبغي

وحـيةٌ وفـارةٌ فـقدِّما ... لهـا مـن الوصـفِ الذي تـقدَّما

وألقِ دلواً حَسْبَ للـعصفورِ ... وبـول ذي رضـاعةٍ صـغير

استغفار الأئمة عليهم السلام

قال علي بن عيسى[1] **(في كشف الغمة)** : كنتُ أرىٰ الدعاء الذي كان يقوله أبو الحسن موسىٰ عليه السلام وهو : ربِّ عصيتك بلساني انتهىٰ ، وأمثاله فكنتُ أفكِّر في معناه وأقولُ كيف ينزلُ علىٰ ما تعتقده الشيعةُ من القولِ بالعصمة ، فاجتمعت بالسيد السعيد رضي الدين علي بن موسىٰ بن طاووس العلوي الحسني رحمه الله ، فذكرتُ له ذلك ، فقال : إنّ الوزير السعيد مؤيد الدين العلقمي رحمه الله ، سألني عن ذلك فقلتُ : كان يقولُ هذا ليعلّم الناس ، ثم إنّي فكّرتُ في ذلك ، وقلتُ : هذا كان يقوله في سجدته ، وفي الليل ، وليس عنده من يعلّمه ، ثم سألني عنه الوزير السعيد مؤيد الدين العلقمي رحمه الله ، فأخبرته بالسؤال الأول والذي أوردته عليه وقلت : ما بقي إلا أنّه يقول علىٰ سبيل التواضع وما هذا معناه ، قال علي بن عيسىٰ : فلم تقع هذه الأقوالُ مني بموقع ، ولا غلبَ بقلبي بموضع ومات السيدُ رحمه الله ، فهداني الله تعالىٰ إلىٰ معناه ، ووفّقني إلىٰ فحواه ، وتقريره : أنّ الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالىٰ وقلوبهم مملوة به ، وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلىٰ وهم أبداً في المراقبة ، كما قال صلى الله عليه وآله : (اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فهم أبداً متوجهون إليه

---

(١) علي بن عيسىٰ بن فخر الدين (أبي الفتح) الأربلي ، من أكابر محدّثي الشيعة (ت ٦٩٢ هـ) . أنهىٰ كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عام ٦٨٧ هـ له عدة رسائل منها : (المقامات الأربع) و (رسالة الطيف) وغيرها . الأعلام للزركلي : ج ٤ ، ص ٣١٩ .

ومقبلون بكلهم عليه ، فمتىٰ انحطُّوا عن تلك الرتبة العالية ، والمنزلة الرفيعة ، إلىٰ الاشتغال بالمأكل والمشرب ، والتفرغ للنكاح الزايد علىٰ الواجب ، وغيره من المباحات ، عدوّه ذنباً واعتقدوه خطيئةً ، واستغفروا منه ، ألا ترىٰ أن بعضَ عبيد أبناء الدنيا لو قعدَ وأكلَ وشربَ ونكح زايداً علىٰ الحاجة ، وهو يعلم أنه بمرأىً من سيده ومسمع ، لكان ملوماً عنده ، وعند الناس ومقصِّراً فيما يناسب له من خدمةِ سيده ، والمنعم عليه والمالك له ، فما ظنك بسيد السادات ومالك الملوك ، وإلىٰ هذا أشار ﷺ بقوله : (إنّه ليغان[1] علىٰ قلبي ، وإني لأستغفر الله عز وجل في النهار سبعين مرة) ، وقوله ﷺ : (حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين) ، وهذا معنىً شريف يكشفُ بمدلوله حجابَ الشبهة ، ويهدي الله عز وجل به من حسر عن بصره وبصيرته رين العمىٰ والعمه ، وليت السيد ﷺ حياً ، لأهدي هذه العقيلة إليه ، أجلو عرايسها عليه ، فما أظن هذا المعنىٰ اتضح من لفظ الدعاء لغيري ، ولا أنَّ أحداً سارَ في ايضاح مُشكله وفتح مقفله مثل سيري ، وقد يُنتجُ الخاطرُ العقيمُ فيأتي بالعجايب ، وقديماً ما قيل : مع الخواطي سهمٌ صايب ، إنتهىٰ كلامه زيد إكرامه وأعُلي مقامه .

الوقف علىٰ ثلاث أوجه : أحدها أن يذكر فيها الحجر ، والثاني ما يذكر فيها الإمام ، والثالث : مايذكر فيه : إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهذه الوقوف مؤيدة جايزة وكل من وقف إلىٰ غير وقت معلوم ، فهو غير جايز مردود علىٰ الورثة ، وللرجل أن يرجع في الوقف مالم يقبض منه ، وكذا في الصدقة والهبة ، وله أن يرجع في وصيته متىٰ شاء إلىٰ أن يموت .

---

(١) قال الفيروزبادي في قاموسه : غِينَ علىٰ قلبه : تغشّتْهُ الشهوةُ ، أو غُطّيَ عليه وأُلْبِسَ ، أو غُشيَ عليه ، أو أحاط به الرَّيْنُ .

زيارة جباع

قد تشرّفتُ بزيارة قبري العالمين العاملين ، السيد محمد صاحب المدارك ، وقرأت تاريخ وفاته ، من وجه صخرة قبره ، أنه توفي ﷺ يوم الثامن عشر في شهر ربيع الأول عام تسعة بعد الالف سنة ١٠٠٩ هـ والشيخ حسن صاحب المعالم ، التي هي مقدمة (منتقىٰ الجمان) ولد الشهيد الثاني ، أنه توفي يوم الاثنين السابع عشر من المحرم من السنة ١٠١١ الحادية عشر بعد الألف ، وهما مدفونان في مقبرة جباع (تخت سلطنة إقليم التفاح) ، وكان مروري بهما يوم الرابع عشر من رجب المرجب سنة ١٢٢١ هـ ، وفي ذلك العام لفى إلىٰ عندي رجل وكتب هذه الأبيات[١] :

إنْ رمتَ صدقاً فلا تركن إلىٰ الزمنِ ... واسلك طريقَ الهدىٰ تحظىٰ بعيش هني
وجانبِ الغيَّ واترك كلّ معصيةٍ ... وامشي سويّاً ولا تستعملِ الإحنِ
وسالكِ الخلقَ وامشي في مسرّتهم ... وافعل جميلاً ولا تبغِ بهم فتنِ
واحذر من الكذبِ في الآفات قاطبة ... وداوم الصدق في سرٍّ وفي علنِ

شعر لطيف :

نظرتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبِ ... فكانا هلالين عند النظرْ
فما أدري أيّهما قاتلٌ ... هلالُ السما أو هلالُ البشرْ

---

(١) من هنا إلىٰ نهاية هذا الشطر (اجمع الله شملنا بهم اين كانوا) يبدو أن الكتابة بقلم هذا الرجل الذي ذكره وذلك لتغير حجم الخط وصفته .

فلولا التوردُ في الوجنتين   وما راعني من سواد الشعرْ
لكنتُ أظنّ الهلالَ الحبيبَ   وكنت أظنُّ الحبيبَ القمرْ

غيره:

للعمر ما انصفوا حين بانوا   حلفوا لنا أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق جمعاً[1] ولكن   اجمع الله شملنا بهم أين كانوا

(١) م ك: جمعنا.

مراسلة ومسائل مهنا بن سنان

مراسلة ومسائل : من السيد مهنا بن سنان المدني(١) إلىٰ العلامة الحلي ﷺ فأجاب عنها بخط يده ، سنة تسعة عشر وسبعمائة من الهجرة ، ثم اجتمعَ به ، وقرأها عليه ، واستجازه سنةَ عشرين وسبعمائة : المملوك مهنا بن سنان الحسيني يُقبِّلُ أبوابَ الحضرة الجمالية ، التي اشتهر فضلها عن القاطنِ والمجتاز ، وأعمّ ذلك أهل الحجاز ، وكان المملوك ممن سمع فطرب ، وانتشىٰ وما شرب .

ولما بدا لي ذكركم في مسامعي تعطَّشكم قلبي ولم يركم طرفي

وكان المملوك يريد يفني عمره عند الحضرة ، ويفوز بخدمتها دهره ، لكن حالتْ حوادثُ الأيامِ دون هذا المرام ، فلما وصلَ المملوك من الحجازِ إلىٰ بغداد ، تمنّى أن لا يحطَّ رحله إلا عليها ، لازدياد شوقه إليها ، لكن للمملوك ببغداد علاقة وهو ملتزم برفاقه ، وهذه مسائل قد نسي المملوك كثيراً مما سطره منها في بلادي القاصية ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، وليس المملوك من أهل المكافحة ولكنه سائل متعلمّ وبأذيال أهل العلم ملتزم ، وليكن الجواب بخط يده العالية ، ليعدَّ ذلك المملوك أفضل ما ظفر به بعد زيارة المشاهد

---

(١) السيد مهناً (نجم الدين) بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني ، له كتاب (المعجزات) ، وهو قريب من الخدائج والجدائح للراوندي وفيه زيادات كثيرة عليه . أمل الآمل : ج٢ ، ص٣٢٨ .
وقد طبعت هذه المسائل في عام ١٤٠١ هـ في مطبعة الخيام ـ قم ، حسبما جاء في مجلة تراثنا العدد ٢٢ ، ص٢٠١ .

المشرفة في سفرته ، ويفتخر ، بذلك بين أهل تربته وقد أكثرَ المملوك في سؤاله بالغث والسمين ، ليستخرج بذلك نفائس الجوهر الثمين .

ظفرت بالكنز فاحملْ من نفائسهِ   وقد وقفتَ ببحرِ العلم فاغترفِ

معَ أنَّ المملوك في السنة القابلة لابد [له] من المثول بين يدي الحضرة سعياً على الرأس لا سعياً على القدم .

تمامُ الحجِ أن تقفَ المطايا   على ليلى وتقرِئَها السلاما

أنهى المملوك ذلك والحمد لله وحده .

يقولُ العبدُ الضعيفُ الفقيرُ إلى الله تعالى : حسنُ بن يوسف بن المطهّر الحلي ، بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله ، فإن الله تعالى متى نوّع الانسانَ عن غيره من أنواع الحيوان ، تفاوتَ بين أشخاصه في الكمال والنقصان ، وخصّص بطرق الكمال محمداً وعترته ﷺ ، ولمّا كان من سلالة تلك الذرّية العلوية وأولاده العترة الهاشمية ، من كمال نفسه في قوتها العلمية والعملية ، وهو السيد الكبير النقيب الحسيب النسيب ، معدنُ المجدِ والفخارِ والحكمةِ ، مزيِّن ديوانَ القضا باظهارِ الحق على المحجة البيضاء عند ترافع الخصماء ، نجم الملة والحق والدين مهنا بن سنان الحسيني القاطن مدينة جدِّه رسول الله سيدِ القضاة والحكام ، رئيس الخاص والعام ، وقد شرّف أصغرَ خدمه وأقل خدمه بمسائل ، دلَّ مضمونها على جودة قريحته ، وكمال فطنته ، طالباً لجوابها المشتمل على دخول الدار من غير بابها ، واقتضت حكمين متنافيين ، وأثرين متضادين : حسن الأدب وإساءته ، باعتبار طاعة السائل ومخالفته ، وقد غلَبَ ذكرُ الجواب ، فإنْ وافق نظره وإلا فهو يستر العوار والله الموفق .

س[١] : المؤمنُ هل يجوزُ له أن يجزمَ ويقسمَ بالله أنّه من أهل الجنة ، وإنْ كان عاصياً ، فإنّه ورد أنه يعذب ثم يدخل الجنة ؟

ج : إذا كان الجزمُ حصل له ببطلان الاحباط وعدم اشتراط الموافاة ، جاز له حلف وإلا فلا .

س : الخضر التي دائماً تُسقىٰ بالماء النجس هل يُكرَهُ أو يحرم أكلها ؟

ج : لا تندرج في المحرمات ولا المكروهات ، والماء المعتصر منها طاهر ، لأن ماهية النجاسة قد استحالت ماهيةً أخرىٰ مأكولة .

س : بوسُ أعتاب المشاهد ، وتمريغُ الوجة علىٰ أرضها هل هو حرام ، لأن هذا يشبه السجود ، وهو مختصّ بالله ، وقد بالغَ أربابُ الطريقة من المتصوفة في النهي عن ما يقارب هذا ، أو يكره ؟ أو يستحب ؟

ج : إن قصدَ بذلك السجود لغير الله كان عاصياً ، وإن قصده لله شكراً علىٰ وصوله إلىٰ هذه البقعة المباركة ، أو قصدَ التذلل للمعصوم بالتقبيل لتربته لا السجود ـ والسجود غير التذلل ـ كان مثاباً ، ولا عبرةَ بنهي المتصوفة عن ذلك ، فإنه أولىٰ[٢] من اعتمادهم في الرقص والتصفيق بالأيدي الذي نهىٰ الله تعالىٰ عنه .

س : روىٰ الجمهور عنه ﷺ : (إنّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهل الجنةِ ، حتىٰ يبقىٰ بينه وبينها ذراع أو باع ، فيسبق عليه القضا ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ...)[٣] وكذا ذكر ﷺ في الجنة ، فهل يصح ؟ وعلىٰ الصحة فما

---

(١) حرف السين والجيم من وضعي .

(٢) م ك : أولىٰ أولىٰ .

(٣) لم أجد نص الرواية ولكن وجدت ما يقرب منه في المستدرك ج ١٤ باب ٧ ص٩٣ ، الرواية ⟵

تأويله ؟

ج : لو صحَّ هذا الخبرُ لم يكنْ فيه استبعاد ، لأن القضا يُراد به وجودُ ما يستحق المطيع والعاصي في علم الله تعالىٰ ، فإذا علم الله تعالىٰ أنَّ الطايعَ بعد طاعته في أكثر عمره يرجع إلىٰ المعصية كان من أهل النار في القضا ، ويصدقُ عليه أنه سبق القضا بذلك المعنىٰ الذي قررناه ، لا كما تقوله الجبرية ، وكذا البحث في العاصي يدخل الجنة .

س : الماء الجاري في النهر الذي يُسقى به البساتين وأرضُ الزرع ، إذا أراد الإنسانُ يشتري منه ، فإنّ بيان هذا يحتاج الناس إليه .

ج : لا يصحُّ بيع الماء إلا محصوراً مشاهداً ، فإن أريد بيعه فليُحصر وليشاهد ومع عدم ذلك لا يصح ، أو يستأجر النهر الذي يجري فيه الماء من المباح يوماً أو يومين .

س : الجمهور والشيخ في (الأمالي) عنه ﷺ : (ما ترددت في شيءٍ أنا فاعله كترددي في قض روح عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته)[1] .

ج : معنىٰ التردد أن كراهه الموت للمؤمن تقتضي ترجيح ... كرامة له عند الله ، وحكمته تعالىٰ عدم الخلود لأحد غير الله تقتضي ترجيح موته ، فلهذا صح

⟸ ١٦١٧٤ ، والنص هو (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فيحيف في وصيته فيختم له بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بعمل أهل الجنة ، ثم قرأ ـ أي الرسول ﷺ ـ (ومن يتعد حدود الله) وقال : (تلك حدود الله) .

(١) وفي البحار ج٦٠ ص١٥٢ الرواية ٥ الباب ٦ عن الإمام زين العابدين عليه السلام : (قال الله عز وجل ما من شيءٍ اتردد عنه ترددي عن قبض روح المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ، فإذا حضره أجله الذي لا يؤخر فيه بعثت إليه بريحانتين من الجنة تسمىٰ احداهما المسخية والأخرىٰ المنسية ، فأما المسخية فتسخيه عن ماله ، وأما المنسية فتنسيه أمر الدنيا) .

استعمال لفظ التردد، كما لو وقع مثله من البشر وهو من باب المجاز، واستعمال الشيء في مقابلة ضده، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾[1] وإن كان المكر مستحيلاً من الله تعالىٰ.

س: النهر الكبير الجاري يدخل إلىٰ مدينة، فيستصحبُ النجاساتِ من ميضاتها كما في أرضِ الشاماتِ وبعض بلدانِ العجم، ويخرجُ منها للزروع وغيرها، وهو متغيّر اللونِ أو الطعمِ أو الرائحةِ، فاذا بَعُدَ عنها زال عنه ذلك التغيير بالبعد عنها وبالشمس، أو بتصفيق الرياح [هل] تزول عنه حكم النجاسة، وهو يجري بالليل والنهار علىٰ هذه الصفة؟

ج: متىٰ حصل له حكم النجاسة لم يطهر إلا بزوال التغيير بتكاثره وتواتره لا بتصفيق الرياح ولا بالشمس ولا بغيرهما.

س: الماء النجس إذا اجتمع كراً هل يطهر؟

ج: لا يُحكم بالطهارة مالم يجتمع من أجزاء طاهره بأسرها.

س: ما يقول سيدنا في ابتداء التشهد الأخير في الصلاة بقول التحياتُ لله والصلواتُ الطيباتُ المباركات لله، وما يتبع ذلك من غير أن يقول: السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، هل في ذلك كراهة؟ أم هو مستحب؟ أم الأولىٰ أن يقول: بسم الله وبالله والأسماء الحسنىٰ كلّها لله، فإن كثيراً من عوام أصحابنا، ينكرون علىٰ من يقول التحيات ... الخ، ويقولون قال الأئمة عليهم السلام: التحيات لغيرنا، فهل ورد في هذا أمر واجب؟ أم هو أراجيف العامة؟ أم كره ذلك لكونه صار شعار الجمهور، كما يُنبئ عنه ما تقدم (التحيات لغيرنا)، وكما قال الغزالي في (الوجيز): والسنةُ في تسطيح القبور ولكنّه كره لكونه صار شعار الرافضة.

---

(١) سورة آل عمران: ٥٤.

ج : التحيات في التشهد مستحبة ، والأولىٰ اتباع المنقول ، وهو ذكر هاتين الشهادتين المتداولتين ، وأما التنصيص علىٰ حكم التقدير من كراهية أو تحريم فلم يحضرني الآن فيه شئ ، وأما كون الفعل شعار الجمهور ، فلا يقتضي تغير الحكم عندنا ، فإن أئمتنا ﷺ إنما أخذوا الأحكام بالوحي الإلهي دون الاستحسان والاجتهاد ، وحاشاهم من جعل المشروع غير مشروع لكون غيرهم يعتقد مشروعيته .

س : الشعر المعقوص ، الذي حصل الخلاف في صحة الصلاة فيه مع حصوله ، كيف صفته ، هل هو عقص الشعر إلىٰ خلف كما هو المتعارف في عقص الشعر لكل من له شعر إلا القليل ، أم هل هو عقص الشعر إلىٰ قدام ، بحيث يقع علىٰ الجبهة ، كما يعمله نساء العرب سيما البدويات .

ج : الأقرب الذي منع السجود ، وهو الذي من قدام ، أما الذي من خلف فلا وجه لمنعه ، لا في الرجل ولا في المرأة .

س : من يصلي الفريضة من غير إخلال بشيء منها لكنه لا يعلم الواجب من المندوب ، أو يعتقد وجوب الجميع هل تصح صلاته والحالة هذه أم لا ؟ وهل العلم بواجبات الصلاة شرط في صحة الصلاة أم لا ؟ وهل تجب معرفة الأركان من الواجبات أم يكفي معرفة الواجبات في شرط صحة الصلاة ، ومعرفة الأركان من الواجبات من فقه الصلاة ليس من شرط صحتها .

ج : لابد أن يعرف الواجب ليوقعه علىٰ وجه الوجوب ، فإذا لم يعلم الواجب من المندوب ، لم تصح صلاته ، ولو اعتقد وجوب الجميع بطلت صلاته أيضاً ، لأن المندوب إذا أوقعه علىٰ جهة الوجوب كان باطلاً ومبطلاً للصلاة ، وإن كان ذكراً مطلقاً ، إن كان فعلاً فكذلك مع الكثيرة ، والعلمُ بواجباتِ

الصلاة بالدليل أو بالتقليد لمن له أهلية التقليد شرطٌ في صحة الصلاة ، ويكفي في الأركان معرفة وجوبها .

س : ما يقول سيدنا العلامة أحسنَ الله إليه . في مسألةٍ نحن مضطرون[١] إليها ، وهي أنّا في هذه السنين مقيمون في بلاد الشام ، وغالب من يذبح فيها الذبايح أهل الذمة ، وسمعنا سماعاً غير محقق أن ما يذكي فيها إلا أهل الذمة ، ونحنُ نشتري اللحم من أيدي المسلمين من سوق المسلمين ، فهل يحلُّ أكله ، والحال هذه أم لا ؟ ونحن لا نقدرُ نتولّى الذبحَ بأنفسنا ، ولا نقدرُ تركَ اللحم ويحصلُ لنا بتركه غاية الضرر في أجسامنا ، فهل لنا فسحة من شرائه من أيدي المسلمين مع الحال المذكورة ؟ وهل ثمَّ فسحة في ذبايح أهل الذمة ، لما ورد فيها من الروايات المختلفة ، افتنا سهِّل علينا ، سهَّلَ الله عليك وجعل نورك يسعى بين يديك .

ج : أما ذبايح أهل الذمة فلا فسحةَ في إباحتها ، وأما الحم المأخوذ من يد المسلم فسايغ أكله واستعماله ، لأن الأصل اللحم المأخوذ من يد المسلم التذكية ، فإن المسلم لا يستحل لحم الميتة ، والأصل صحة تصرفات المسلم ، والأصل في التذكية الصحة ، وإنما تكون صحيحة لو صدرت من المسلم بخلاف الجلد لأن الأصل فيه الميتة ، والمسلم المخالف يستبيحه بخلاف اللحم .

س : إذا قال في تشهده السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام على الائمة الهادين ، هل تبطل صلاته بذلك ، أم يخرج بذلك من الصلاة ، أو ذلك مستحب ، فإنه وصل إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ أناسٌ

---

(١) م ك : مضرورون .

ادخلوا على الناس شبهة في هذه .

ج : لا تبطل الصلاة بشيءٍ من ذلك ، ولا تخرج من الصلاة ، عند القائلين بوجوب التسليم ، إلا بأحد العبارتين ، وهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

س : هل يمسح على رجله حال اخراجها من الماء ، وهي تقطر بالماء بنداوة الوضوء الباقية ؟

ج : كان والدي ﷺ يفتي بالمنع في ذلك ، وهو جيد لأنّه يكتسب بالمسح ماء جديداً ، وهو ممنوع منه .

مهنّاً بن سنان بن عبد الوهاب ، يُقبِّلُ أبوابَ الحضرة ويَهْنأ . إنّ المملوكَ ما برح يسمعُ بفضايل مولانا ، فلما جمع الله بفضله للمملوك برؤية مولانا بين حاسة السمع والبصر ، وشاهد من الخبرة ما زاد على الخبر .

ما زلتُ أسمعُ من علياكَ كلَّ ثنا أبهى من الشمسِ أو أضوا من القمر
حتى التقينا فلا والله ما سمعتْ أذني بأفضلَ مما قد رأى بصري

فلما شاهدَ المملوكُ شمايل مولانا ، تجاسرَ في السؤال ، وطلبَ على جهةِ الادلال أنْ يُشرِّفَ هذه المسائل بجواباته ، وأن يكتبَ للمملوك إجازةً بجميع مصنفاته ومقروءاته ومسموعاته ، وأن يذكر في الإجازة اتصال سنده إلى كتب المشايخ الثلاثة : المفيد والطوسي والمرتضى رحمهم الله ، ويكتب من تَضمَّنهُ السندُ المذكور من المشايخ رحمهم الله ، وأن يذكر للمملوك من ذلك سنداً واحداً متصلاً بأحد الائمة ﷺ ، وذلك من سيدي على جهة الخبر ، ليحصل للمملوك بذلك غاية الفخر ، ولابد لمولانا من حصول الأجر ، أنهى المملوك ذلك أعلا والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله خير خلقه .

يقول العبدُ الفقيرُ إلىٰ الله تعالىٰ : حسنُ بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، لما كان امتثال أمر من يجب طاعته ، ويحرم مخالفته أو تفرض مودته ، من الأمور اللازمة ، والفروض المحتومة ، وحصل ذلك من الجهة النبوية ، والحضرة الشريفة العلوية ، التي جعل الله تعالىٰ مودتهم أجرَ الرسالة ، وسبباً لحصول النجاة يوم الحساب ، وعلةً موجبة لاستحقاق الثواب من جهة السيد الكبير النسيب الحسيب النقيب المعظم المرتضىٰ مفخر آل طه وياسين ، جامع كمال العلم والعمل ، نجم الملة والدين مهنا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني ، أحسن الله إليه ، وأفاض بركاته عليه ، بالاجازة للرواية ، والجواب عن مسألةٍ معلومةٍ عنده بالدراية ، إجابة ما طلبه ، وامتثال ما أوجبه ، فقال : قد استخرت الله سبحانه وأجزتُ له أعزّ الله أفضاله ، وأدام إقباله جميع مصنفاتي ورواياتي وإجازاتي ومنقولاتي ، وما درّسته من كتب أصحابنا السابقين ﷺ أجمعين ، خصوصاً كتب الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ﷺ ، عنّي وعن والدي عن الشيخ نجم الدين أبي اقاسم جعفر بن سعيد ، عن السيد جمال الدين أحمد بن طاووس الحسيني وغيرهم ، عن الشيخ يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ بن الفرج السوراوي ، عن الشيخ الحسين بن هبة الله بن بطة ، عن المفيد أبي علي الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ﷺ ، عن والده ، عن الشيخ المفيد ﷺ ، وعن والدي ﷺ ، والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد وجمال الدين أحمد بن طاووس وغيرهم ، عن السيد فخار بن معدّ بن فخار العلوي الموسوي ، عن الفقيه شاذان بن جبريل القمي ، عن الشيخ أبي عبد الله الدورستي ، عن الشيخ محمد بن محمد بن النعمان ، وأجزت له رواية كتب شيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي قدس الله روحه بهذه

الطريقة وبغيرها ، عني وعن والدي ، وعن الشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد والسيد جمال الدين أحمد بن طاووس جميعاً ، عن السيد أحمد بن يوسف العريضي العلوي الحسيني ، عن السعيد الفقيه برهان الدين محمد بن محمد بن علي الهمذاني العرّوصي نزيل الريّ ، عن السيد فضل الدين علي الحسيني الراوندي ، عن عماد الدين أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسيني ، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي ، وأما كتب السيد المرتضىٰ ، فقد أجزت له روايتها عني بهذا الإسناد وغيره ، عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد والسيد جمال الدين أحمد بن طاووس عن يحيىٰ بن محمد بن الفرج السوراوي عن الحسين بن بطه عن المفيد أبي علي عن والده أبي جعفر الطوسي[1] والسيد جمال الدين أحمد بن طاووس جميعاً عن السيد فخار بن معدّ بن فخار الموسوي ، عن الفقيه شاذان بن جبريل القمي ، عن السيد أحمد بن محمد الموسوي ، عن الشريف المرتضىٰ قدس الله روحه ، وقد أجزت له أدام الله أيامه بهذه الطرق ، جميع تصانيف من تضمنته الطرق المذكورة ، المنقولة عن أهل البيت ، المذكورة بالاسانيد في كتب علمائنا ، كالتهذيب والاستبصار وغيرهما ، من مصنفات الشيخ أبي جعفر الطوسي ، وكتب الشيخ أبي جعفر محمد بن بابويه وكتاب الكليني تصنيف محمد بن يعقوب الكليني ، المسمىٰ بالكافي ، وهو خمسون كتاباً بالاسانيد المذكورة في هذه الكتب ، كل رواية برجالها علىٰ حدتها باسنادي عن أبي جعفر الطوسي ، عن رجاله في كتبه

---

(١) م ك : أبي جعفر بن سعيد ، وهذا سهو واضح إذ المقصود بالمفيد هنا هو المفيد الثاني (أبو علي : الحسن بن أبي جعفر الطوسي) ، بينما أبو جعفر بن سعيد لا وجود له ، بل الموجود والمعروف أبو القاسم جعفر بن سعيد (العلامة الحلي) المتوفىٰ ٦٧٦ هـ متأخر عن المفيد الثاني بكثير .

المذكورين في كتبه ، وبإسنادي إلى أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه ﵀ عني عن والدي عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد ، وجمال الدين أحمد بن طاووس جميعاً عن السيد فخار بن معدّ بن فخار عن الفقيه شاذان بن جبريل القمي ، عن جعفر بن محمد الدورستي عن ...[1] عن أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه عن رجاله المتصلة إلى الائمة ﵈ ، وأما الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني فقد رويت أحاديثه المذكورة ، فيه المتصلة بالائمة ﵈ عن والدي ﵀ ، وعن الشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد وجمال الدين أحمد بن طاووس وغيرهم ، باسنادهم المذكور إلى الشيخ محمد بن محمد النعمان عن أبي القاسم جعفر بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكليني ، عن رجاله المذكورة فيه في كل حديث عن الائمة ﵈ ، وكتب حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي في ذي الحجة الحرام سنة تسعة عشر وسبعمائة حامداً ومصلياً .

نقلتُ ذلك من خط السيد نور الدين[2] بن زين العابدين بن حسين بن نور الدين أخي السيد محمد صاحب المدارك ، ابنا إسماعيل بن محمد الحسيني الموسوي ، والحقير لم يذكر من مسائل بن سنان إلا قليل من كثير ،

(١) السند هنا مقطوع ، والظاهر أن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان هو الواسطة بين الدورستي وأبي جعفر ،كما يظهر من السند السابق .

(٢) السيد علي (نور الدين) بن علي بن الحسين بن أبي الحسن ، الموسوي ، الجبعي ، له كتاب تحفة المسافر عن المنادم والمسافر في الأخبار والنوادر . توفي في مكة ١٠٦٨ هـ (كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص١٥٣) . ويبدو أن الشيخ إبراهيم ﵀ نقل هذه المسائل في بلدة جباع حيث ذكر مروره بها في ١٤ / رجب / ١٢٢١ هـ ، ثم ذكر لاحقاً أنه كان في بلدة (تمنين التحته) من أعمال بعلبك ١٨ / رجب / ١٢٢١ هـ .

ومنها أيضاً :

س : جلدُ الميت هل تتعدىٰ نجاسته إلىٰ لامسه سواء كان رطباً أو يابساً ، فإذا مسَّه لامسه بشيءٍ آخر نجّسه ، وهذا خروج عن القاعدة (ليس بين يابسين نجاسة) أم لا يتعدىٰ نجاسته إلىٰ لامسه إلا مع الرطوبة ، وإن كان يجب عليه غسل يده للنجاسة الحكمية ؟

ج : اتفق الأصحاب علىٰ أنّ من مسّ ميتاً من الناس نجستْ يده ، ووجبَ عليه الغسل ، وهذا يقتضي الحكم بنجاسة اليد ، أمّا ما مسّه باليد من الأشياء الطاهرة ، فإن كان هناك رطوبة في أحدهما تعدت النجاسة إليه ، وإلا فلا .

س : من صلّىٰ كما ينبغي علىٰ الوجه الشرعي ، ولم يخلّ بشئ منها ، غير أنه لا يعرف الواجبات من المندوبات منها ، ويصلي الجميع علىٰ جهة الوجوب .

ج : لا تصح صلاته والحال هذه ، ويجب عليه قضاؤها ، إذا لم يقلّد من له أهلية الفتوىٰ .

س : القرآن هل نقص منه شئ ، أو زيد فيه ، أو غُيِّر ترتيبهُ ؟

ج : لا تبديل فيه ولا تقديم ولا تأخير ، وإنه لم يزد ولم ينقص ، ونعوذ بالله من اعتقاد أمثال ذلك ، فإنه يوجب التطرق إلىٰ معجزة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة بالتواتر .

س : قضية الإفك المبرية المقذوفة ، هل يجوّز بعضُ أصحابنا أنها نزلت في حق غير عائشة من زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ج : ما عرفتُ لأحدٍ من العلماء خلفاً في أن المراد بها عائشة .

س : عصمة نساء الانبياء عليهم السلام من الزنا واجبة في حقهن ، أم يجوز ،

ولكنه لم يقع منهن ، بدليل أن رسولنا ﷺ لما قُذفتْ زوجته لم يخبر الناس بأنه لا يجوز ذلك عليها ، ولكنّه ﷺ بقي أياماً والناس يخوضون في ذلك ، حتىٰ نزل الوحي ببرائتها ؟

ج : لم يشترط أحدٌ من العلماء عصمة النساء اللواتي للأنبياء عليهم السلام ، لكن اللائق بمنصب النبوة نزاهتُهنّ عن ذلك وسلامتهن منه ، ولم يقع من واحدةٍ منهن ذلك .

س : الحجُ فُرض في سنة ثمان ، ولم يحج سيدنا رسول الله ﷺ إلّا في سنة عشر من الهجرة ، وذلك ينافي الفورية ، وهل ورد في اجتهاد الناس في يوم عرفه ، إذا وافق يوم الجمعة ، وحرصهم فيه ، ومحبتهم له ، أو فضيلته إنما هي شرف اجتماع عرفه وشرف الجمعة ، وموافقه حجة رسول الله ﷺ لذلك ؟

ج : لا خلاف في وجوبه علىٰ الفور بشروط حصول الاستطاعة ، وما نقل عنه ﷺ فالسبب فيه عدم الاستطاعة ، والسبب في حرص الناس فضل الجمعة مع ذلك .

س : يجب علىٰ المكلف معرفة جميع الائمة عليهم السلام بأسمائهم وترتيبهم في الإمامة ، أم يكفيه معرفة واعتقاد أن له اثنا عشر إماماً ؟ وأن إمام زمانه هو صاحب الامر عليه السلام ؟

ج : يُشترط معرفتهم بأسمائهم وترتيبهم في الامامة واحداً ، بعد واحد لأن الايمان لا يتمُّ إلا به إذ الإمامة ركنٌ من الأركان الأربعة .

س : مُصنَّفُ مولانا الذي سمّاه (واجبُ الاعتقاد علىٰ جميع العباد) ، إذا حفِظه المكلَّف وعرف معناه ، هل يكون بذلك عارفاً لما يجب عليه معرفته ، ناجياً في دنياه وآخرته ؟ وكذلك كتاب (تلقين أولاد المؤمنين) للشيخ

الكراجكي[١] ﷺ هل يكون كذلك ؟ وأي المختصرين أنفع لأولادنا ونسائنا ؟

ج : يكفي في القيام بالتكليف المطلوب شرعاً ، معرفة واجب الاعتقاد واعتقاده ، وأمّا مختصر شيخنا الكراجكي المذكور فلم يتفق لي الوقوف عليه .

س : بيع المعاطاة هل يصحُّ التصرف في المبيع والثمن ؟ أم لابد في ذلك من عقدٍ صحيح فيكون أكثر الناس يأكلون حراماً ، وهذه المسألة مما يعمُّ بها البلوىٰ .

ج : الأقوىٰ أن انتقال الأعيان جليلها وحقيرها ، ولو باقة كراث موقوفٌ علىٰ العقد الصحيح الشرعي ولذلك كان لكل منهما الرجوع في سلعته مع بقائها علىٰ مالكها ، في المعاطاة فلا انتقال فيها اصلاً لكن يصح لكلٍ الانتفاع بما صار إليه لتضمن ذلك الأذن في التصرف ، فلا تأكل الناس حراماً .

س : الإنسان إذا لمس بيده إنساناً ميتاً ثم لمس برجله شيئاً رطباً ، هل ينجس مالمسه برجله ؟ أم لا ينجس إلا بالعضو الذي لمس به الميت ؟ وهل يكون نجاسة اللامس لميت الأدمي عينية أو حكمية ؟ وهل يكون عرقه نجساً أو طاهراً ؟

ج : لا ينجس مامسه برجله وأما العضو الماس فإن مس به شيئاً رطباً تعدت النجاسة إليه وإلا فلا ونجاسة اللامس قد أُختُلِفَ فيها وعرقه طاهر إلا عرق العضو اللامس .

س : الماء إذا بلغ كراً ثم جلد وجمد من البرد ولاقته نجاسة هل يكون

---

(١) محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الخيمي ، من تلامذة الشيخ المفيد ، كان مرجع الشيعة في وقته (ت ٤٤٩ هـ) . له من المؤلفات : (كنز الفوائد) و (النوادر) و (معونة الفارض في استخراج سهام الفرائض) وغيرها . روضات الجنات ٦ : ١٩٥ .

كالذايب أو يكون له حكم آخر ؟

ج : الأقرب حكمه حكم الجامدات في تنجيس ما يلاقي النجاسة خاصة .

وكتب هذه الاسطر محمد بن المطهر في منتصف المحرم سنة عشرين وسبعماية بالحلة ، ومن تلك المسائل أيضاً مسائل مهنا ﷺ .

معركةُ الخميسِ الأدبية

من مجموعةِ جناب مولانا ، الشيخ المعاصر الشيخ خليل بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس البلاغي الكاظمي ، وقد اتفق اجتماعنا في ضيافةِ جناب مولانا الشيخ إبراهيم الخطيب في ضيعة (تمنين التحته) من أعمال بعلبك سنة ١٢٢١ هـ في ثامن عشر شهر رجب . نُقل أن الشيخ المحروس بالله شيخنا الشيخ جعفر[١] بن الشيخ خضر كان في بغداد فأرسل إلىٰ السيد الجليل السيد محمد زيني[٢] هديةً وكتب فيها هذه الأبيات معتذراً عن هذه الهدية ، ومعرِّضاً بجناب الشيخ محمد بن الشيخ يوسف[٣] :

لساني أعيا في اعتذاري وما جرىٰ وإن نالَ حظّاً في الفصاحةِ أو فرا

---

(١) هو الشيخ جعفر بن خضر بن يحيىٰ الحلي الجناجي (إحدىٰ قرىٰ الحلة) النجفي ، المولود في ١١٥٦ هـ والمتوفي في ١٢٢٧ هـ والمعروف بكاشف الغطاء ، نسبة إلىٰ مؤلفه (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) .

م : الزركلي : الأعلام ٢ : ١٢٤ / ط السادسة ـ دار العلم للملايين .

(٢) هو السيد محمد بن السيد أحمد بن زين الدين الحسني الحسيني البغدادي النجفي المعروف (بزيني) ، والمتوفىٰ سنة ١٢١٦ هـ ، له تفسير القرآن وديوان شعر .

م : أعيان الشيعة ، مجلد ٩ ج ٤٢ ص ١١٥ .

(٣) الشيخ محمد بن الشيخ يوسف آل عصفور البحراني ، لُقِّبَ بـ (ابن الفقيه) ، هاجر مع أبيه إلىٰ نواحي فسا وشيراز (ت ١٢٢٠ هـ) في إيران . (أعلام الثقافة / سالم النويدري : ج٢ ، ص ٥٣١) . ومما يؤكد أنه الشيخ محمد آل عصفور ما جاء في معارف الرجال ج٢ ص ٣٣١ ، حيث نصَّ علىٰ ذلك . وذكر أيضاً أنَّ هذه المساجلة الشعريه موجودة في مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء بالنجف الأشرف تحت / رقم (٨٧٢) .

ولو أنّــني اهــديتُ مــالي بأسـره   ومــالَ الورى طـرّاً لكـنتُ مُقصّرا
ولكــنني شــفّعتُ فـيَّ مــودتي   ومـحضي للإخـلاص سِـرّاً ومـجهرا
فدعْ عـنك شـيخاً يـدّعي صـفوَ ودهِ   فما كلُّ مـن يـرعىٰ الاخـلاء جـعفرا
يــريك بأيـامِ الخـميس[1] مـودةً   وفــي ســائرِ الأيـام ينسخُ مـا أرىٰ
فــلا تَـصْحَبنْ غـيري فـإنك قـائل   بَحقي كـل الصيد فـي جـانب الفرا
ولو رِمتَ من بعدي وحاشاك صاحباً   فإياك أنْ تـعدو الرضـا خـيرة الورى
فتىً شـارع للـصحب أوضـحَ مـنهج   وجارٍ مع المصحوب من حيث ماجرى

فلما وقفَ الشيخُ محمد علىٰ الأبيات ، كتبَ فـي الجوابِ مستنجداً بجناب السيد محمد مهدي الطباطبائي النجفي[2] وطالباً منه المحاكمة مع الشيخ جعفر :

ألا مــن لخــلٍ لا يـزالُ مشّـمرا   لجـلبِ ودادِ الخـلقِ سـرّاً ومـجهرا
أحــاطَ بـودِ الإنس والجـنِ وانـثنى   بأبــهىٰ ثـنا الأمــلاك وداً وأبــهرا
ونــالَ مــن الرحـمنِ أسنىٰ مـودةٍ   فــيالك ود مــا أجـل وأكـبرا
يــجاذبني ودُّ الشـريف بـن أحـمدٍ   ســلالةَ زيــنِ الديـن نـادرة الورى
وهـيهات أن يـحضىٰ بـصفو ودادهِ   وإنْ كانَ بحراً فـي العلوم وجـعفرا

---

(١) عُرفتْ هذه المساجلة فيما بعد في الأدب النجفي بـ (معركة الخميس) وهو يوم اجتماع السيد محمد زيني بالعلماء . وذكر الدكتور يوسف عز الدين في كتابه (الشعر العراقي : أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر) ص١٦١ : أن (وقعة الخميس) جاءت فـي كـثيرٍ مـن المخطوطات العراقية التي سجلت حوادث العراق في هذا العصر . وانتقلت إلىٰ مخطوطات سوريا العاملية خاصة .

(٢) ولد ١١٥٥ هـ وتوفي ١٢١٢ هـ ، وهو الملقّب ببحر العلوم ، له من المؤلفات : فوائد الرجال ، الوافية في الاصول ، الدرة المنظومة في الفقه ، وغيرها من المؤلفات القيمه .
م : كحالة : معجم المؤلفين ١٢ : ٦١ / ط ـ دار إحياء علوم الدين .

أمستجْلِياً ودَّ الرجال لسانُهُ ... أظنُّك الهمت الطماعة أصغرا
تروم محالاً في طلابك رتبةً ... بها خصَّني الباري وأكرم من برا
فمهلاً أبا موسىٰ سيحكمُ لي الرضا ... وتكسب بالإلحاح أنك لن ترى
ألا فاجتهدْ ما شئت في نقضِ خلّتي ... فمحكمُ إبرامي يُريكَ المقصرا
فيا أيها المولىٰ الخليط الذي باعِنى ... سينصفني المهدي منكَ فتُخْصَرا
فقمْ سيدي للحكم إنّك أهله ... فديتك أنصفني فقد أحوج المرا

فقال جناب السند السيد مهدي الطباطبائي في الجواب وأجاد :

أتاك كوحي اللهِ أزهرَ أنورا ... قضاءُ فتىً باريه للحكم قد بَرا
فتىً ليس يخشىٰ من ملامةِ لائمٍ ... إذا ما رعى عُرفاً وأنكر منكرا
يؤازرُ مجنياً عليه إذا شكى ... وينصره في الله نصراً مؤزرا
محمدُ يا ذا المجد لا تبتئس ولا ... يروعنَّ منك القلبَ شيخٌ تذمَّرا
فما هي إلا مِنْ نوادره التي ... عُرفنَ به مذ كان أصغر أكبرا
وإنّك أولىٰ الناس كهلاً ويافعاً ... بحبك نجل الطاهرين[1] المطهرا

(١) م ك : الطاهر .

سـمـيٌ وفـيٌّ صـادقُ الودِ والهـوىٰ
خـصيصٌ بـه مـذ قُسّم الودُّ فـي الورى
كـفتك شـهاداتُ الخـميس عـلى الولا
تـردُّ خـميساً عـنك مـاكـرّ أدبـرا
وليس بـبدعٍ ذاك فـالخلطاءُ كـ
ـم جرى بينهم من بغيهم مثل ما جـرى
وفـي مثل هـذا الحكـم داؤد قـد قـضىٰ
عـلىٰ صـاحبيه إذ عـليه تسـوّرا
ومـا كـان هـذا بـالذي يـمتري بـه
وللـنصِ حكـم لا يـدافـع بـالمِرا
فـخذ يـا سـميّ الطـهر جعفر صادقاً
مـن القـول حـقاً غـير منفصم العرى
وإنّك أنت النـفس مـنّي وإن مـا
تـعاظمها مـا كـان عـندي ليـصغرا
ولستُ أخـالُ الحـق ثـقلاً عـلىٰ فـتىً
لنـصرته مـذ كـان كـان مشـمّرا
فـإن كـان مـاجئنا[1] كـبيراً فـإننا
رأيـنا جـهاد النـفس فـي الله أكـبرا

ثم إنَّ جناب السيد صادق الفحام[2] قال في ذلك ، لمّا بلغه ما هنالك :

---

(١) م ك : فإن ما جئنا .

(٢) السيد صادق بن السيد علي الأعرجي (الفحام) (١١٢٤ ـ ١٢٠٥ هـ) ، من أشهر النحويين

جرىٰ ما جرىٰ بين الخليطين وانتهى　　وإن كانَ معروفاً لما كان منكرا
فاحفَظ مولاً لم يزلْ ذا حفيظةٍ　　لمخلِصه عن ساعد المجد شمَّرا
فأغرىٰ حكيماً بانتصارٍ فألّبا　　عليه من التأنيب واللوم عسكرا
كلامٌ له ظهرٌ وبطنٌ ولم يكنْ　　سوىٰ لحظ ودٍ بطن ما كان أظهرا
مداعبةُ الإخوان تُدعىٰ عبارة　　لعمرُكَ ما هذا الحديث بمفترى
فدا يستفز الشيخ برق غمامةٍ　　بدا خلَّباً في عارضٍ ليس ممطرا
ولا يصرف المهدي عن عادل القضا　　شقاشقُ ما كانت بجدٍ لتهدرا
قضىٰ فتعاطىٰ مذهب الشعر في القضا　　فكان قضاءً عادلاً قاطع المِرَا
ولو يتعاطىٰ مذهب الشرع لم يكن　　ليقضي أنَّ الصبحَ لم يكُ مسفرا

ثم إنَّ السيد أمرَ الشيخَ محمد رضا[1] بأن يجري معهم في هذا الميدان، فقال:

لعمري قد ثارتْ إلىٰ افق السما　　عجاجةُ حربٍ حولتْ نحوها الثرى
وجالتْ بميدان الخصام فوارسٌ　　تماروا علىٰ أمرٍ وليس بهم مِرا
وذلك أنَّ الشيخ شيخ زمانهِ　　عنيتُ به بحر المعارفِ جعفرا
هو البحر من أي النواحي أتيته　　تجد منهلاً في كلِ ناحيةٍ جرى

⇐ والأدباء النجفيين المتأخرين، حضرَ الفقهَ علىٰ السيد بحر العلوم، وحضر السيد بحر العلوم عليه النحو وبعض الأدبيات. معارف الرجال / حرز الدين: ج١، ص٣٦٦.

(١) هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ أحمد النجفي الحلي، كان من فحول العلماء وشيوخ الأدب ومشاهير الشعراء، نشأ في الحلة، وتتلمذ علىٰ يد أفذاد عصره أمثال السيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد صادق الفحام، توفي في النجف سنة ١٢٢٦ هـ وقد جمع ديوانه وديوان أبيه المرحوم الشيخ محمد السماوي.

م: آغا بزرك: الكرام البررة ج٢، ص٥٤٥ / الناشر دار المرتضىٰ للنشر ـ مشهد.

فـــردُهُ ولا تــعدلُ بـه ريٌّ غـيره ... تــردُ مورداً لا تبتغي عنه مَصْدرا
تــعمَّد مــن بـغداد إنـفاذ رقـعةٍ ... تضمَّن معنىً يُخجل الروض مزهرا
بـنظمٍ حكـىٰ الدرَّ النـظيم مـفصلاً ... بنشرٍ حكىٰ الروضَ الوسيم منوَّرا
وأعـرب عـن دعوىٰ ودادِ مـحمدٍ ... سلالة زيـن الديـن نـادرة الورىٰ
ولا غرو في دعوى ودادٍ هـو المنى ... فـيا لك ود مـا أجـل وأكـبرا
ولكـنّه قـد قـاربَ الجورَ وادّعى ... اختصاص هـوىً كل له قـد تشـطرا
فكان عـظيماً ما ادّعـى سيما على ... ذوي ودهِ مـن كـل ذمـرٍ تـذمّرا
ولا سـيما الشيخ الذي خلصتْ له ... مــودته مـذ كـان أصـغر أكـبرا
فتىً أشرقتْ من وجههِ غـرةُ الهدى ... ومـن نـورِهِ صُبحُ الحقائقِ أسفرا
فـقال إلىٰ كـم ذا تـحاول رتـبةً ... بـها خصني الباري وأكرم مذْ برا
كـبرتَ ولم تـقنعْ بـما يُكتفي به ... أظـنُّك أُلهِـمْتَ الطـماعة أصـغرا
تـجاذبني الود القـديم وليس مَـنْ ... تـقدَّم فـي ودٍ كـمنْ قـد تأخّـرا
فـقال نـعم لكـن قـضتْ لي مودَّتي ... ومـحضي للإخـلاص سرّاً ومجهرا
وانّـــي أرعـىٰ مـنه للـود خـلّةً ... وما كل من يـرعىٰ الأخـلاء جـعفرا
وإنّـي أمتُّ اليوم فـي صدقِ قـوله ... بحقي كل الصيد فـي جـانب الفرا
ولست كـمن يـرميه بـالهجر حقبةً ... ومـا كـان ذو ودٍ بـحالٍ ليـهجرا
يــريه بأيــام الخــميس مـودةً ... وفـي سـائر الأيـام ينسخ ما أرىٰ
فــطالَ نــزاعٌ مــنهما فـتشاجرا ... مـعاً وأقـلّا مـن نـزاعٍ وأكـثرا
ومـدّ سـيِما طـول الشـقاقِ ترافعا ... إلىٰ حكـم بـاريه للـحكمِ قـد برا
هو الحجةُ المهدي مـن نـورِ حكـمه ... أتـاك كـوحي الله أزهـر انـورا
فتىً ينصفُ المـظلومَ فـي شـدِّ أزره ... ويـنصره فـي الله نـصراً مـؤزرا

فتىً عن أبيه المرتضىٰ ورث القضا فكان لما يخفىٰ من الحق مُظهرا
وآتاه ربُّ العرشِ مذ شبَّ حكمةً وعلّمه فصل الخطابِ وبصّرا
فأضحىٰ بنور الله ينظرُ ما هفا بحكمٍ ولا في معضلٍ قد تحيّرا
فياليت شعري ما أقول وكلما أطلتُ أراني في علاه مقصّرا
هنالك قصّا ما عليه تنازعا عليه وبثا عنده كلَّ ما جرى
وكلٌّ غدا يدلي بحجته وما ألىٰ في احتجاج منه جهداً وقصرا
وأجلب كلٌّ خيله ورجاله علىٰ خصمه والكل للكل شمّرا
فلما رأىٰ المهديُّ مرأىٰ ذوي الهدى وأبصر من ذي الحال ما كان ابصرا
درى أنَّ في الأمر اختصامٌ وكم وكم لسرٍ خفي مثل ذا قبل ذا درىٰ
وأيقنَ أنَّ الشيخَ زيد علاؤه أراد اختيار الشيخَ فيما له انبرا
ليظهر ما أخفاه من صفوِ ودِهِ وما كان ذاك الود يخفى فيُظْهَرا
وأيقنَ أنْ ليستْ لذاك حقيقةٌ ولكن كلامٌ واللسانُ به جرى
فلا الشيخ مقضيٌ عليه حقيقة ولا الشيخ مقضيٌ له لو تفكّرا
كفا شاهداً في الصدق في قول صادقٍ فتىً قد سما في مجده شامخ الذرى
مداعبةُ الإخوان تُدعى عبارة لعمرك ما هذا الحديث بمفترى
وحرّرتها طوعاً لأمر أخي العلا لخدمته مذْ كنتُ كنتُ محرّرا
وذي حلبةٌ جلّت جميعُ جيادها ولكنني كنت السكيتَ المقصّرا

لعلي بن الجهم :

قالوا حُبستَ فقلت ليس بضائري حبْسي وأي مهند لا يُغمدُ[1]

---

(١) موجودة أكمل مما هنا في الأغاني ج١٠ ص٢١٣ . وعلي بن الجهم من معاصري أبي تمام . ت ٢٤٩ هـ.

أفـمـا رأيتَ الليـثَ يألفُ غيلـه ... كـبـراً وأوبـاش السـباع تـرددُ
والشـمسُ لولا أنّـهـا مـحجوبةٌ ... عـن نـاظريك لمـا أضاء الفـرقدُ
والنـارُ فـي أحـجارها مـخبوءةٌ ... لا تُـضطَلى إن لم تـثرها الأزنـدُ
والحـبس مـالم تـغشَه لمـريبةٍ ... شـنعاء نـعم المـنزل المـتورَّدُ
بـيت يـجدد للكـريم كـرامـةً ... ويُـزارُ فـيه ولا يـزورُ ويـجْحَدُ
لو لم يكـن فـي الحـبس إلا أنّـه ... لا يسـتذ لك بـالحجاب الأعـبُدُ

غيره :(١)

بـنو مـطرٍ يـوم اللـقاء كأنّـهم ... أسودٌ لهـم فـي بطن حِفَّانَ أشبلُ
هـم يـمنعون الجار حتىٰ كأنّـما ... لجـارهم بـين السـماكين مـنزلُ
بهاليلُ في الإسلام سادوا ولم يكـن ... كأولهـم فـي الجـاهلية أولُ

❋ ❋ ❋

قـوم إن اقـتحموا العـجاجَ رأيـتهم ... شـمساً وخـلت وجـوهم أقـمارا
لا يـعدلون بـرِفْدِهم عـن سـائلٍ ... عـدل الزمـان عـليهم أو جـارا
وإذا الصـريخ دعـاهم لمـلمةٍ ... بـذلوا النـفوس وفـارقوا الأعـمارا
وإذا زنـادُ الحـربِ أخـمد نـارها ... قـدحوا بأطـرافِ الأسـنة نـارا

تخميس :

مـحبٌّ أسـبلَ العـبراتِ سـيلا ... وشـنَّ علىٰ الحشـا رجـلاً وخـيلا
وصـيَّر فـي الهـوىٰ صبحاً وليلا ... أمـرُّ عـىٰ الديـار ديـار ليـلى
اقـبِّلُ ذا الجـدار وذا الجـدارا

---

(١) هي لمروان بن أبي حفصة . را : الأغاني ج١٠ ص٩٠ . وهي أزيد مما هنا . وبنو مطر : رهط معن بن زائدة الممدوح بهذه الأبيات . وحِفّان : مأسدة في الجزيرة العربية .

ديـــارٌ للــتي لعــبتْ بــلبي تـــهيِّجُ لوعـــتي وتــزيدُ كــربي
شُــغِفتُ بــحبها من دون صحبي فــما حب الديــار شــغفن قــلبي
ولكـنْ حبُّ مـن سكـن الديـارا

الصفي الحلي :

سل سلسبيل الريق لم يروْ خـرطما بــلْ بــلبلَ الرّيــق لمــا زاده ألمــا
لو كـفكف دمـعاً صــار مــنه دماً بل ربّ ربـرب سـرب ثـغره شـنبُ
لو لؤلؤ رام تشــبيهاً بـه ظـلماً[1]

---

(١) الأبيات ليست في ديوانه ، وهي مضطربة جداً .

قصص متفرقة

حُكي أن كريمَ الملك عبرَ يوماً تحت جوسقٍ بستانٍ فرآىٰ جاريةً ذات وجهٍ زاهرٍ وكمالٍ باهر، لا يستطيع أحد وصفها، فلما نظر إليها، ذهل عقله وطار لُبُّهُ، وعاد إلىٰ منزله، وأرسل إليها هديةً، مع عجوزٍ كانت عندها تخدمها، وكتبَ إليها رقعةً، يلتمسها أن يزورها، فأرسلتْ إليه[1] مع العجوز قطعةً من عنبرٍ فيها زرٌّ من ذهبٍ، وربطتْ علىٰ ذلك في طرف منديل من حرير أخضر. فلما رأىٰ الملك ذلك تحيّر في أمره، وكان له بنتٌ صغيرة فأنشأت تقول:

أهـدتْ لك الصـرّة فـي طية ... زرٌّ مـن التـبرِ خـفي اللـحام
فـالزرُّ والعـنبرُ مـعناهما ... زر هكـذا مـختفياً فـي الظـلام

عُرِضتْ علىٰ الرشيدِ جاريةٌ، فقال: لولا كلفٌ في وجهها، وخنسٌ في أنفها، لاشتريتها، فأنشأتْ الجارية:

لا يسـلمُ الظـبيُ عـلىٰ حسنهِ ... كـلا ولا البـدرُ الذي يـوصفُ
الظـبيُ فـيه خـنسٌ بـيّنٌ ... والبـدرُ فـيه كـلفٌ يُـعرفُ

فاعجب من فصاحتها، وأمرَ بشرائها.

شكتْ أمرأة زوجها إلىٰ عمر بن الخطاب، أنّه يصومُ النهارَ، ويقومُ الليلَ، قال: نعم الزوجُ زوجك، قال كعبٌ: إنّ هذه إنما تشكو مباعدةَ زوجها إياها عن فراشهِ، فقال: احكم بينهما، فأحضر زوجها فأنشأت:

يا أيها القـاضي الحكـيم انشـده ... ألهى حليلي عن فراشي مسجده

---

(١) م ك: إليها.

نـــهاره وليـــله لا يـــرقده ولستُ فـي أمرِ النسـاء أحـمده

فقال زوجها :

إن هـدّني فـرشها وفـي الخـلل إنّـي أمـرءٌ أذهـلني مـا قـد نـزلْ

في سورةِ النملِ وفي السبعِ الطولْ وفـي كـتابِ الله تـخويف يـحلْ

فقال كعب القاضي عليهما :

إنّ لهـا عـليكَ حـقاً لم يـزلْ فـي أربـعٍ تُـصيبُها لمـن عـقلْ

فاعمل لها[1] ذاكَ ودعْ عنكَ العللْ

ثم قال : فلك ثلاثة أيام بلياليها ولها يوم وليلة ، لأن الله أحلّ مثنىٰ من النساء وثلاث ورباع ، فقال عمر : ما أدري من أيكم أعجب ، اذهبْ يا كعب ، فقد وليتك قضاء البصره .

نقشَ بعضُ الأدباءِ علىٰ خاتمه : بالوفاء دوام الإخاء .

نقش : اكفف هواك يطيب مثواك .

نقش : من كذب لك كذب عليك .

نقشُ مالك بن دينار : ما أذل من عصىٰ الله .

نقشتْ امرأةٌ : أحب من يهواني برغم من ينهاني .

أخرىٰ : أنا وحبي في حفظ ربي .

أخرىٰ : ما أرخص الجفا وأغلا الوفا .

أخرىٰ : طعمُ الهجرِ أمرّ من الصّبر .

أخرىٰ : من أفاض دمعه استراح قلبه .

أخرىٰ : كيف القرار وقد شط المزار .

---

(١) م ك : فعاملها . والبيت الذي فيه قال زوجها ... الخ ، مختل الوزن ، ولم نجد مصدره .

رواية برواية

المفيدُ قال : سُئل بحضوري علي بن عيسىٰ الرماني[1] ، عن يومِ الغارِ ويومِ الغدير ، فقال علي بن عيسىٰ الرماني : أما خبرُ الغدير وبيعة علي فرواية ، وأما الغارُ فدراية ، وليستْ الدراية كالرواية ، فسكتَ الرجلُ ، فقلتُ له يا شيخ : فمن قاتلَ امامَ الحق ، قال : كافرٌ ، قلت : فما تقول في طلحةَ والزبير ؟ فقال : تابا ، قلتُ : أمّا وقعةُ الجمل فدراية ، وأما خبر التوبة فروايه ، فقال لي : رواية برواية ودراية بدراية .

قلتُ : وجدتُ في كتابٍ قديم ، أنّ المفيدَ عارضَ في عايشة فقط ، وأنّ القصة وقعتْ في بغداد ، وأنه قال له : شيخ ، لا شك أنت المفيد فلُقّب من أجل ذلك بالمفيد .

إجتمع بجامع سِر من رأىٰ ثلاثة شعراء فاجتاز شابٌ عليه مسحةٌ من الحسن ـ ولم يُسلِّمْ عليهم ـ وعليه ثوبٌ أبيض وثوب أحمر وثوب أسود ، فقال أحدهم في الأبيض :

تبدّا في دبيقٍ من بياضٍ　　　وأجفانٍ وألحاظ مراضِ

فقلتُ له مررت ولم تسلمْ　　　وإنّي منك بالتسليمِ راضي

---

(١) علي بن عيسىٰ الرماني الواسطي الاخشيدي (٢٧٦ ـ ٣٣٤ هـ) ، إماماً في العربية في طبقه الفارسي والسيرافي ، أخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد ، وكان معتزلياً . له من المؤلفات : (الحدود الأكبر) و (الحدود الأصغر) و (شرح أصول ابن السراج) . روضات الجنات / ٥ : ٢٢١ .

تباركَ من كسىٰ خدّيك ورداً وقدّكَ مثلُ أغصانِ الرياضِ
فثوبُك مثلُ نحركَ مثلُ ثغرك بياضٌ في بياضٍ في بياضِ

وقال آخرٌ في الأحمر:

أحُمْرةٌ وجنتيك السمر هذا أم أنت صبغتَهُ بدم القلوبِ
فقال الشمس أهدتْ لي قميصاً قريب اللون من شفق المغيبِ
فثوبي والمدام ولون خدي قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

وقال آخر في الأسود:

تبدّا في السواد فقلتُ بدراً تبدًّا في الظلام علىٰ العبادِ
فقلتُ له مررتَ ولم تُسلِّمْ فأشمتَّ الحواسدَ والأعادي
فثوبُكَ مثل صدغكَ مثل بختي سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

أشعار متفرقة

للسيد علوي البحراني[١] :

وليــلةٍ بــاتتْ بــراغــيثُها ... تــرقصُ إذ غــنّىٰ لهـا البـقُّ
فكـدتُ مـن هـمّي وأفـراحـها ... انشــقُّ لولا الصــبح يـنشقُّ

الجراده :

وطـايرةٍ أضـحتْ عـديمةَ أربـعٍ ... عــظام ولحــم والدمـاء وريشُ
ويُؤكل منها البعضُ والبعض يُـرتما ... ويُحرث منها البعض وهـي تـعيشُ

القلم :

وسـاكـنُ قـبرٍ طعمُهُ عـند رأسـه ... إذا ذاق مــن ذاك الطـعام تكـلّما
يــقومُ ويــمشي صـامتاً مـتكلماً ... ويـرجـعُ للـقبرِ الذي فـيه يـقسما

القلم ، أيضاً :

وأهيف مذبوحاً علىٰ صـدرِ غيره ... يُترجمُ عـن ذي مـنطقٍ وهـو أبكـمُ

الدواة :

ومـرضعةٍ أولادهـا بـعد ذبـحهم ... لهــا لبــنٌ مـالذ قـطُّ لشـاربِ
وفي بطنها السكينُ والثدي رأسـها ... وأولادهــا مــذخورة للـنوايبِ

---

(١) السيد علوي بن اسماعيل البحراني ، شاعر هجر ومنطيقها كما في السلافة ، من أعلام القرن الحادي عشر .
السلافة : ص٥٢٧ .

الخشخاشة :

ومـــا قـبةٌ مـبنيةٌ فـوق شـاهقٍ لها علمٌ يـحكي المـلاحةَ بـالظرفِ
وأولادهــا فـي بـطنها هـم جـماعةٌ يكـونون ألفاً أو يـزيدون عـن ألفِ
ويأخــذها الطــفلُ الصـغيرُ بـجهله يـقلبها رغـماً عـلىٰ راحـة الكـفِ

للسيد مهدي الطباطبائي النجفي ﷺ :

هــذا مُـصابُ الذي جِـبْريل خـادمُهُ ناغاهُ في المـهد إذْ نـيطتْ تـمائمُهُ[(١)]
هذا مُصابُ الشـهيدِ المسـتظامِ ومَـنْ فــوقَ السـمواتِ قـد قـامتْ مآتـمُهُ
ســبط النـبي أبــي الأطـهارِ والدُهُ الكــرّارُ مـولىً أقـام الديـن صـارمُهُ
صـنو الزكـي جنى قـلب البتولِ له اقسـومةٌ ليس فـيها مــن يـقاسِمهُ
مــطهّرٌ ليس يـغشىٰ الريبُ سـاحتَه وكيف يغشىٰ من الرحـمنُ عـاصِمُهُ
لله طـــهرٌ تـــولّىٰ الله عـــصمتَهُ أرداهُ رجسٌ عـــظيماتٌ جـرائِـمهُ
لله مـــجدٌ ســما الأفـلاك رفـعتُهُ مــاد العـلىٰ عندما مـادتْ دعـائِمُهُ
ضــيف ألمَّ بأرضٍ وردهــا شَــرَعٌ قضىٰ بها وهو ظـامي القـلبِ حـائِمُهُ
لهــفي عـلىٰ مـاجدٍ أربتْ أنـاملُهُ عـلى السـحاب غـدا سُقْياه حـاتمُهُ
لهفي علىٰ الآل صرعىٰ في الطفوف فما غــير العـليل بـذاك اليـوم سـالمه
إغـتمَّ يـوم بـه حُـمتْ مـلاحمهم ثـم انـجلىٰ وهـمُ قـتلىٰ غـنائِمُهُ

---

(١) هذه القصيدة واحدة من اثني عشرة قصيدة ، نظمها السيد بحر العلوم ﷺ في رثاء الإمام الحسين ﷺ ، وقد جارىٰ بها قصائد محتشم الكاشاني (٩١٣ ـ ٩٦٦ هـ) ، التي أرسلها للشاه طهماسب الصفوي ، وهذه القصائد كُلُّ قصيدةٍ منها تتكون من أثني عشر بيتاً ، وقد كانت قصائد محتشم فارسية تعرف بـ (دوازده بند محتشم) ، وقد حفظها الخطباء وقرّاء المراثي الحسينية . مجلة تراثنا / العدد الأول (١٠) ، السنة الثالثة ، ص٢٠٧ من مقال للسيد عزيز الطباطبائي مضافاً إليه القصائد محققة .

حـزنٌ طـويل أبىٰ أن يـنجلي أبـداً ... حـتىٰ يـقوم بأمـر الله قـايمهْ

وله أيضاً :

الله أكـبر مـاذا الحـادثُ الجـللُ ... فـقد تـزلزل سـهلُ الأرض والجبلُ

مـا هـذه الزفـراتُ الصـاعداتُ أسىً ... كأنّـها شُـعلٌ تـرمىٰ بـها شُـعلُ

مـا للـيعونِ عـيون الدمـع جـاريةٌ ... مـنها تـخدُّ خـدوداً حـين تـنهملُ

مـاذا النـياح الذي عَـطَّ القـلوبَ ومـا ... هذا الضجيج وذا الضوضاء والزجلُ

كأن نفحةَ صور الحشـر قـد فـجأتْ ... والناس سكرىٰ ولا سُكـرٌ ولا ثـملُ

قـد هـلّ عـاشور لو غُـمَّ الهـلال بـه ... كأنّـما هـو مـن شـؤمٍ بـه زحـلُ

شـهرٌ دهـىٰ ثَـقَلَيهَا مـنه داهـيةٌ ... ثـقل النـبي حـصيدٌ فـيه والثـقلُ

قامت قيامةُ أهـلِ البيتِ وانكسـرتْ ... سـفنُ النـجاةِ وفـيها العـلم والعملُ

وارتجتْ الأرضُ والسبعُ الشدادُ وقد ... أصاب أهلَ السمواتِ العـلىٰ الوجـلُ

واهتزَّ من دهشٍ عـرشُ الجـليل ولو ... لا الله مـاسكه أودىٰ بـه المـيلُ

جــلَّ الإله فـليس الحـزن بـالغه ... لكـنّ قـلباً حـواه حـزنه جـللُ

قضىٰ المصاب بأن تقضي النفوس له ... لكـن قـضىٰ الله أن لا يـسبق الأجـلُ

وله أيضاً ﷺ :

كـيف السـلو ونـارُ القـلبِ تـلتهبُ

والعـينُ خـلف قـناها دمـعها سـربُ

ألقـىٰ المـصابُ عـلىٰ الاسـلام كـلكله

فكـلُّ مـنتسبٍ للـدين مكـتئبُ

لا صـبرَ فـي فـادحٍ عـمّتْ رزيـتُهُ

حتىٰ اعترىٰ الصبرَ مـنه الحـزن والوصبُ

لا تـقْدرُ العـينُ حـقّ الصبر مـن صببٍ
وإن جـرتْ حـين تـجري دمـعها الصبَبُ
يُسـتحقر الدمـع فـيمن قـد بكـته دماً
أرجـاؤها الجـون والخـضراءُ والشـهبُ
قـــلَّ البكـــاءِ عـــلىٰ رزءٍ يـــقلُّ له
شـقُّ الجـيوبِ وعـط القـلب والعَـطَبُ
كـيف العـزاءُ وجـثمان الحسـين علىٰ
الرمـــضاءِ عـــارٍ جـريحٌ بـالثرىٰ تَـرِبُ
والرأس فـــي رأس مـــيادٍ يُـطاف بـه
ويـــقرعُ الســـنَّ مـنه شـامتٌ طـربُ
وأهـــلُ بـيتِ رسـولِ الله فـي نـصبٍ
أسـرىٰ النـواصب قـد أنـضاهم التـعبُ
والنـــاس لا جـــازعٌ فـيهم ولا وجـعٌ
ولا حـــزينٌ ولا مســـترجـــعٌ كـــئبُ
فـــليتَ عـــينَ رســـولِ الله نـــاظرةٌ
مـــاذا جـرىٰ بـعده مـن مـعشرٍ نُكِـبوا
كـــم بـعده مـن خـطوبٍ بـعدها خـطبٌ
لو كـــان شـــاهدها لم تكـثر الخـطبُ

وله أيضاً ﵀ :

شـاةٌ مـن النـاس لا نـاس ولا شـاةُ ... هـوتْ بهم في مـهاوي الغـيِّ أهـواءُ
دانــوا نــفاقاً فـلما أمكـنت فـرصٌ ... شُنّتْ لهم غارة فـي الديـن شـعواءُ

سلّوا عليه سيوفاً كان أرهفَها لها مضاءٌ إذا سُلّتْ وإمضاءُ
شبُّوا لإطفاء نور الله نار وغىً لولاه ما شبَّها قدحٌ وإيراءُ
وزحزحوا الأمرَ للأذناب عن ترةٍ وأخّروا من به العلياءُ علياءُ
حلّت بذلك في الاسلام قارعةٌ وفتنةٌ تقرعُ الأسماعَ صماءُ
وطخيةٌ غشتِ الأبصارَ ظُلمَتُها عمياءُ قد عمّتِ الأبصار غماءُ
عدتْ علىٰ أسدِ الغاباتِ أضبعها وفي الرعاة لها قد عاثتِ الشاءُ
فالحقُّ مغتصبٌ والإرث منتهبٌ وفي آل رسول الله أفياء
والطاهرون ولاة الأمر تحتكم الـ أرجاسُ فيهم بما اختاروا وما شاؤا
وبضعةُ المصطفىٰ لم يُرعَ جانبها حتىٰ قضىٰ وهي غضبىٰ داؤها داءُ
قد أبدلوا الودَّ في القربىٰ ببغضهم كأنّما ودُّهُم في الذكر بغضاءُ

الأندلسي أجاد :

دعا مقلتي تذري من الدمع ما تذري عسىٰ عبرةٌ تجري تفيض علىٰ الجمرِ
وفي كبدي حرّ وفي القلب لوعةٌ يبردها فيض الدموع التي تجري
سقىٰ الله أيامَ الوصالِ وطيبها فلستُ بناسي عهدهن إلىٰ الحشرِ
وشاهدتُ دعداً حين أرخت قناعها علىٰ وجهها مثل السحاب علىٰ البدرِ
إذا خطرتْ دعدٌ بقلبي وجدتني كأنّي سكران ومابي من سكرِ
أروحُ وأغدو والزمانُ مساعدي ولم تكن الأيام مِلْن إلىٰ الغدرِ
ترىٰ المرء يأبىٰ الذل في كل موضع ويخضعُ في حكم الهوىٰ كل ذي كبرِ
وبتُّ بليلٍ قصرٌ اللهو طوله ولم أرضَ حتىٰ لاحَ لي كوكبُ الفجرِ
فَمَنْ مبلغٌ عنّي الحجازَ رسالةً فيبلغُ دعداً مالقيتُ من الهجرِ
ويعلمها أنّي قتيلُ صدودها وإنّي لراعي العهد مني علىٰ العصر

الأخطل في التأني :

قـدْ يُـدركُ المـتأنّي بـعض حـاجتِهِ ... وقـدْ يكـونُ مـع المسـتعجلِ الزللُ
والعـيشُ لا عـيش إلا مـا تـقرُّ بـه ... عـينٌ ولا حـال إلا سـوف يـفتعلُ

مراسلة :

عمّار أبنية المجد والمكارم ، ورافع شرف آبائه الخضارم ، النسبُ في السيادة كعمودِ الصبح ، وحسبٌ تنزه بجده الحسن عن القبح ، [بدا] في أفق الجلالة بدراً ، وسما في سماء الإهالة قدراً ، نابغة بني حسن ، ورائعة الفصاحة واللسن ، الساحبِ ذيلَ البلاغة على سحبات ، والسايرة بأفعاله وأقواله الركبان ، أحد السادة الذين رووا حديث السادة براً عن بر ، والساسة الذين فتقت لهم ريح الجلاد بعنبر ، فاقتطفوا نور الشرف من نور الحسب الأنفر ، وحبذا ثمرة الوقايع يانعاً بالنظر من ورق الحديد الأخضر ، كانتْ لهم همة تزاحم الأفلاك ، وتزاعمُ بعلو قدرها الأملاك ، لم يزلْ يقدر من نيل الملك مالم يف به عدوه ، ولم يمده من القضاء والزمان مدده .

العبَّاسُ بن الأحنف في الزيارة :

نـزوركم لمْ نـؤاخـذكم بـجفوتكم ... إنّ المـحبَّ إذا لم يُسـتزرْ زارا
يُـقرِّبُ الشـوقُ داراً وهـي نـازحـة ... من عـالجَ الشـوق لا يستبعد الدارا

* * *

ووعدّتَ أمسِ بأن تـزورَ فـلم تـزرْ ... فـبقيتُ مسـلوب القـرار مشـتتا
لي مـهجةٌ فـي النـازعاتِ وعـبرةٌ ... في المرسلاتِ وفكرةٌ في هل أتـىٰ

من كتاب (ديوان الصبابة)[(١)] :

روىٰ الحافظ أن محمد بن حميد الطوسي ، كان جالساً مع ندمانه ، إذ غنّت من ورائهم جارية ؛

يا قمر القصر متىٰ تطلعُ ... أشقىٰ وغيري بك يستمتعُ
إن كان ربي قد قضا كل ذا ... منك علىٰ رأسي فما أصنعُ

قال : وكان غلاماً كأحسن ما يكون ، واقفاً علىٰ رأس محمد المذكور وبيده قدحٌ ، فوضع القدحَ ، وقال بأعلىٰ صوته : تصنعين هكذا ورمىٰ بنفسه إلىٰ شط دجلةَ بغداد ، فلما رأته الجارية ، هتكتْ الستار ، ورمتْ البرقعَ وقالت بأعلىٰ صوتها : لا خيرَ بعدك في الحياة ، ثم رمتْ بنفسها علىٰ إثره ، فغرقا جميعاً لا رحمهما الله .

من خُرافاتِ الأصمعي :

قالَ : خرجتُ أريدُ بعضَ أحياءِ العرب ، فأدركني الليلُ ، فأويتُ إلىٰ مقبرةٍ وتوسّدتُ منها قبراً ، فلمَّا جنَّ الليلُ ، سمعتُ صدىً من جانب القبر الذي توسّدته يقولُ :

أنعمَ اللهُ بالجبانين عَيْنًا ... وبمسراكِ يا سُعادُ إلينا
وحشة ما لقيتُ من خللِ القبرِ ... عسىٰ أنْ نراكِ وأنْ ترينا

قال الأصمعيُ : فأرقتُ بقيةَ ليلتي فلما أصبحتُ ، دخلتُ الحيَّ ، فوجدتُ جنازةً فسألتُ عنها ، فقيل : هي سعادُ ، كانت تعشق إبن عم لها فماتَ ، وكانا قد تعاهدا علىٰ الوفاء ، فلم تزل تبكيه حتىٰ ماتتْ ، قال : فتبعتهم إلىٰ الجبَّانة ،

---

(١) لابن أبي حجلة التلمساني (ت ٧٧٦ هـ) .

فدفنت إلىٰ جانبِ القبر الذي سمعتُ منه الصوتَ ، فحدّثتُهم بالحديث فعجبوا منه .

معرفة القمر في أي برج :

إذا رِمْتَ عــرفانَ الأهــلةِ والبــدرِ فخذْ حصر أيامِ مضينَ من الشــهر
وضــمَّ إليــها مــثلَها ثــم خــمسةً وقَسِّم علىٰ الأبراجِ خمساً لكي تدري
وإبـدأ بـبرجِ حـلَّت الشـمس عِـنْدَهُ فإن كسرت فالبدرُ في موضع الكسرِ

تنتقلُ الشمسُ إلىٰ الحمل في ١٢ آذار ، وتنتقل إلىٰ الثور أيضاً يوم إثـنا عشر في نيسان ، وتنتقل في الجوزاء يوم ثلاثة عشرة فـي آيـار ، وتـنتقلُ إلىٰ السرطان ١٤ في حزيران ، وإلىٰ الأسد ١٥ في تموز ، وإلىٰ السنبلة أيضاً ١٥ في آب ، وإلىٰ الميزان أيضاً ١٥ في أيلول ، وإلىٰ العقرب أيـضاً ١٥ فـي تشـرين [الاول] ، وإلىٰ برج القوس ١٣ في تشرين الثاني ، وإلىٰ الجدي أيضاً ١٣ في كانون [الأول] ، وإلىٰ الدلو ١١ في كانون الثاني ، وإلىٰ الحوت ١٢ في شباط ، ثم تعود إلىٰ الحمل في آذار وهكذا إلىٰ أن تأتي إىٰ الحوت في شباط علىٰ نحو ما مرَّ تفصيلُهُ .

مراسلة :

أبهىٰ سلام سمت في سماء القبول شموسه وأقـماره ، ودار فـي فَـلكِ البلوغِ والوصولِ ثابتُهُ وسيَّارُهُ ، وأنمىٰ دعاءٍ جرتْ في رياضِ الإجـابةِ أنـهارُهُ وأثمرتْ في حديقةِ الاستجابةِ أشجارُهُ ، يهديان إلىٰ الجناب العالي ، غرَّة الأيامِ والليالي ، كريمِ الأصلِ ، وجليلِ القدرِ والفضلِ ، إن ذُكر كرمُهُ فما حاتم الطائي ، أو ذكرتْ شجاعتُهُ فلا يضاهيه فيها مضاهي ، كيف لا وهو من سلالة الملوك الأعالي والمفاخر ، ومن وَرَثَ المجدَ والعلياء كابراً عن كـابر ، الأمـير الجـليل

الكبير ، المفخم أدامَ اللهُ تعالىٰ أيامَهُ وأعلا مقامَهُ : بعد طيِّ أزكىٰ السلام وربطِ صحايف الشوقِ والغرامِ ، وإهداء ما هو المتعارف في صدور الرسايل من خالصِ الأدعية والوسايل ، وعرضِ عريضِ الدعاء وأزكى المحامد والولاء تزين الطرف بمشاهدة ذلك الجناب المستطاب الكريم ، الميمون المرقوم عليه (قد أفلح المؤمنون) أعرض وأبدىٰ وأنهىٰ هوانا وأسدىٰ الخاطر الشريف عن داعيكم فإنه ولله الحمد ، لم يزل ولا يزال ملازماً لجنابكم علىٰ الدعاء [وفي النفس المرور] علىٰ جنابكم ، لكن حصلت الموانعُ الربانيةُ في عدمِ التوفيقِ لذلك من جهتنا ، ولم تزلْ تتوقُ النفسُ إلىٰ زيارةِ تلك الأماكنِ المأنوسةِ والمعاهدِ المحروسةِ ، مع ملازمةِ الدعاءِ في الصباحِ والمساء ، كيف لا يكون ذلك وأنتم أصلُ الفخرِ وفرعهُ ونبتهُ وزرعه ، والرجاء كل الرجاء عدم إخراجنا من فيضِ الخاطرِ العاطرِ ، دمتم في الخلود إلىٰ يوم السعود ، وأطال [الله] سلامتكم .

الشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي[1] :

سرتْ والليل محلول الوشاح ... ونسر الجوُّ مهلوك الجناحِ
وثغر الشوق يبسم عن رياضٍ ... مكللةِ الجوانبِ بالأقاحِ
كأن المشتري والنجم ساق ... يدير علىٰ الندامىٰ كأسَ راح
فواعجباً وهل يخفىٰ سُراها ... وقد أرجتْ بريَّاها النواحي
من البيضِ الحسانِ إذا تجلَّتْ ... تخال جبينَها نورَ الصباحِ

(١) له كتاب شرح نهج البلاغة ، وهداية الأبرار في أصول الدين ، وأرجوزة في النحو وأخرىٰ في المنطق ت ١٠٧٦هـ وعمره ٦٤ سنة .
مقدمة كتاب هداية الأبرار لرؤوف جمال الدين ـ مطبعة النعمان ١٣٩٦هـ.

مــهفهفة يــغارُ البـدرُ مـنها ... ويُـخجِلُ قـدُّها هيفَ الرماحِ
أبثُّ لطـرفها شكـوىٰ غـرامي ... وهل يشكو الجريحُ إلىٰ السلاحِ
وأطـمعُ أن يـزايـلني هـواها ... ومـن يـنجو مـن القـدرِ المتاحِ
فـلا تأوىٰ لكسـرةِ نـاظريها ... فكـم أودتْ بألبـابٍ صـحاحِ
أحـنُّ إلىٰ هـواها وهـو حَتْفي ... كـمجروح يُـداوي بـالجراحِ
ولا وأبـيكَ ليس الحبُّ سـهلاً ... فكـم جـدٌّ تـولَّدَ مـن مـزاحِ
خُـلقتُ مـن الغرام فـلا أبالي ... أكـانَ بـه فسادي أم صلاحي
ولو لم تمسكِ الأطمارُ جِسْمي ... لطرتُ مـن النحولِ مع الريـاحِ
وحبُّ الغـانياتِ حـياةُ روحـي ... وراحـتها وريـحاني وراحـي

أبو الغنائم بن المعلم الواسطي :[١]

ولكم بـذاك الجـزع مـن متمنِّعٍ ... هـزأتْ مـعاطفُهُ بـغصنِ البـانِ
ولئن صددتُ فمن مراقبةِ العدىٰ ... ما الصدُّ عـن مللٍ ولا سـلوانِ
يـا سـاكـني نـعمان أيـن زمـاننا ... بـطويلع يـا سـاكـني نـعماني

عز الدين الراوندي :[٢]

هـدانــي إليك الحبُّ ثـم اضـلني ... فكيف احتيالي والمضلُّ هو الهادي
دعـاني الهـوىٰ سـراً فـلبّيتُ جـهرةً ... وإنْ كـان إضـلالي إليـه وإرشـادي

---

(١) محمد بن علي ن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الهرثي ، ت ٥٩٢ هـ كحالة / معجم المؤلفين : ج١١ ص٣٣ .

(٢) علي بن فضل الله الحسني له كتاب الطراز المذهب في ابراز المذهب كان حياً ٦٥٢ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ص١٦٦ .

السيد علي معصوم :[١]

من أين يا ريح الصبا هذا الشذا ... إن كانَ من حي الحبيبِ فمرحبا
أم هل سحبتِ الذيل بين أراكةٍ ... فأخذتِ من تلك الشمايل مأخذا
أم هل حظيتِ بلثم مسحب برده ... فكسيت من أنفاسه طيب الشذا
لما حلىٰ ياقوتُ صفحةِ خدّه ... أبدىٰ لنا من عارضيه زمردا

عروة بن أذينة :[٢]

إنّ التي زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوىً لها
منعت تحيتها فقلتُ لصاحبي ... ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنىٰ وقال لعلها معذورة ... من بعض رقبتها فقلت لعلها

علي بن الجهم :

عيون المهابين الرُّصافة والجسر ... جلبنَ الهوىٰ من حيثُ أدري ولا أدري
أعَدْنَ لي الشّوقَ القديمَ ولم أكنْ ... سلوتُ ولكن زدتُ جمراً علىٰ جمرِ
خليليَّ ما أحلىٰ الهوىٰ وأمرّه ... وأعرفني بالحلو منه وبالمرِ
كفىٰ بالهوىٰ شُغلاً وبالشيبِ زاجراً ... لو أن الهوىٰ [مما يُنهنَهُ] بالزجرِ
بما بيننا من حُرمةٍ هل رأيتما ... أرقَّ من الشكوىٰ وأقسىٰ من الهجرِ
وأفضحَ من عين المحبِّ بسرّه ... ولا سيَّما إن أطلقتْ دمعةً تجري

---

(١) عليٍ (صدر الدين) بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسني الحسيني ، مَدَني الأصل ، ولد بمكة سنة ١٠٥٢ هـ، له : سلافة العصر والطراز وسلوة الغريب وغيرها ، ت ١١١٩ هـ بشيراز .
مقدمة السلافة ـ مطابع علي بن علي ـ الدوحة ١٣٨٢هـ.

(٢) عروة بن يحيىٰ بن مالك بن الحارث الليثي ، شاعر ، فقيه ، محدث . ت نحو ١٣٠ هـ .
الأعلام للزركلي ٤/٢٢٧ .

وما أنسىٰ م الأشياء لا أنس قولها ... لجارتها ما أولعَ الحبُّ بالحرِ
فقالتْ أذودُ النَّاسَ عنْهُ وقلَّما ... يطيبُ الهوىٰ إلا لمنْهتِكِ السترِ
فقالتْ كأني بالقوافي سوائراً ... يردن بنا مصراً ويصدرنَ عن مصرِ
فقلتُ أساتِ الظنَّ لستُ بشاعرٍ ... وإنْ كان أحياناً يجيشُ به صدري
واسألي من شئتِ يخبركِ أنني ... علىٰ كل حالٍ نعم متسوعُ السرِّ
وما أنا ممنْ سارَ بالشعر ذكرُهُ ... ولكنَّ أشعاري يسيرُ بها ذكري
وللشعر أتباعٌ كثيرٌ ولم أكنْ ... له تابعاً في حال عسر ولا يسرِ
ولكنَّ احسانَ الخليفةِ جعفرٍ ... دعاني إلىٰ ما قلتُ فيه من الشعرِ
فسارَ مسير الشمسِ في كل بلدةٍ ... وهبَّ هبوبَ الريح في البرِ والبحرِ
ولو جلَّ عن شكر الصنيعةِ منعم ... لجلَّ أميرُ المؤمنين عن الشكرِ
ومن قالَ أنَّ البحر والقطر أشبها ... نداه فقد أثنا علىٰ البحرِ والقطرِ

ضياء الدين ، نقيب العلويين بالموصل :

صهٍ يا حمامُ فلستَ المشُوقَ ... ولا باتَ حالُكَ فيها كحالي
فما مَنْ تباكي كمَنْ قد بكىٰ ... ودمعُ الأسىٰ غيرُ دمعِ الدلالِ

ابن منير الطرابلسي :(١)

مَنْ ركَّبَ البدرَ في صدر الرديني ... وموَّه السِّحرَ في حدِّ اليمانيِّ
وأنزلَ النيِّرَ الأعلىٰ إلىٰ فَلَكٍ ... مدارُهُ في القباءِ الخسروانيِّ
طرفٌ رنا أم قراب سلَّ صارمه ... وأغيدٌ ماسَ أم أعطاف خطيٍّ
أذلني بعد عزٍ والهوىٰ أبداً ... يستعبد الليث للظبي الكناسيِّ

---

(١) أحمد بن منير بن أحمد ، أبو الحسين (مهذب الدين) ، (٤٧٣ - ٥٤٨ هـ) . الأعلام للزركلي ٢٦٠/١ .

أمــا وذائب مسكٍ مــنْ ذوائبـه ... عـلىٰ أعالي القضيب الخيزرانـيِّ
ومـا يـجن عـقيقي الشفاه مـن الـ ... ـريق الرحـيقي والثـغرِ العـذيبيِّ
لو قيل للبدرِ مَنْ في الأرض تحسده ... إذا تـحلّىٰ لقـال ابـن الفـلانيِّ
أربـىٰ عـليَّ بشتى مـن مـحاسنه ... تألفتْ بـين مسـموعٍ ومـرئيِّ
إبـاء فـارس فـي لين الشآم مع ... الظُرف العراقـي والنطق الحجازيِّ
وما المدامة في الألبابِ أفتكُ مِنْ ... فـصاحةِ بـدوٍ فـي ألفاظِ تـركيِّ

ملخص من قصيدة :

وما حيلتي إلا التملقُ فـي الهوىٰ ... لعـلّكُم أنْ تـعطفوا وعَسَـاكـمُ
فلا تـحرموني نـظرةً مـن جمالكم ... ولا تـمنعوني عبقةً مـن شـذاكـمُ

موفّق الدين الأربلي(١) **:**

لا يـرانـي اللهُ أرعـىٰ روضـةً ... سـهلةَ الأكـنافِ مـن شـادٍ رعـاها
تـخصبُ الأرضَ فـلا أقـربها ... رائـداً إلا إذا عَـزَّ حـماها
فـصباباتُ الهـوىٰ أولهـا ... طـمعُ النـفس وهـذا مـنتهاها
لا تـظنّوا لي إليكـم رجـعة ... كشف التجريب عن عيني عماها

* * *

يـقولُ لي العـذول تَسَلَّ عـنْهُ ... فـنارُ الحبِّ تُـطفي بـالسُّلوِ
فـقلتُ وقـبلة مـن اختلاساً ... ألذّ مـن الشـماتةِ بـالعدوِ

في لغات بغداد :

بـغداد ، بغذاذ وبـغذاد بـه وردت ... بـغداد بـغذان وبـهدان

---

(١) محمد بن يوسف ، أربلي الأصل ، وولد بالبحرين ، مدح صلاح الدين الأيوبي ، له : مختصر العمدة لابن رشيق وغيره ، ت ٥٨٥ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج١٢ ، ص١٣٧ .

بـغدين يـغذين مغداد أتت وكـذا   مـغذام مـغدان عشـر ثـم اثـنان

وتفصيلها على نمط ما رأيتَ أن الدالين كلاهما تعجم وكلاهما تهمل أو تعجم الأولى وتهمل الثانية أو العكس ، فهذه أربع لغات ، أو تقلب الدال الثانيه نوناً مع إعجام الدال الأولى ، أو مع إهمالها فهذه ست لغات أو تقلب الغين هاء مع إعجام الدال الأولى وقلب الثانية نوناً فهذه سبع لغات ، أو تقلب الألف ياء والدال الثانية نوناً مع اعجام الدال الأولى وإهمالها فهذه تسع لغات ، أو تقلب الباء الموحدة ميماً مع إهمال الدالين ، أو مع إعجام الدال الأولى مع قلب الثانية أيضاً ميماً فهذه أحد عشر لغة ، واللغة الثانية عشرة : أن تقلب الباء الموحدة ميماً والدال الثانية نوناً مع إهمال الدال الأولى والله أعلم .

شعر :

إذا كان جدُّ المرءِ فـي الأمـرِ مقبلاً   تسـاعده الآمـالُ مـن كـلِّ جـانبِ

وإنْ أدبـرتْ دنـياه عـنْهُ تـعذرتْ   عـليه وأعـيتْهُ وجُـوهُ المـطالبِ

في النصر :

فـعاد كـما شـاء الصديق مؤيداً   بـنصرته يـهتز عسـر المكـارمِ

وسـاعده المـقدار فـي كـل صـولة   تشـق بـذكراهـا قـلوب الضـراغـمِ

في الفراق لأبي الحسين الجزار(١) :

أسـتودعُ اللهَ مـن ودَّعـتهم سَحَراً   إنَّ الجـفونَ بأمـر القـلب تأتـمرُ

وقـالَ قـلبي لطـرفي عـند فـرقتهم   يومَ الرحيلِ وهم للقلب قد سحروا

هـناك لبّثْ جـفوني وهـي مسـرعةً   مـاذا بـدمعك بـعد اليـوم تـنتظرُ

---

(١) علي بن محمد (نور الدين) ، له : تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى ﷺ في الدارين من الخالدين ، ت ٩٨٤ هـ.

في كثرة السفر :

مـا آبَ مـن سـفرٍ إلا وأزعـجه　　　رأيٌ إلىٰ سـفرٍ بـالعزم يـجمعُهُ
كأنـما هـو فـي حـلٍّ ومرتحلٍ　　　مـوكَّلٌ بـفضاء الأرض يـذرعُهُ

سؤال نحوي :

أيـها الفـاضل فـينا أفـتنا　　　وأزلْ عـنَّا بـفَتْواكَ العـنا
كـيفَ إعـراب نـحاة النَّحو فـي　　　(أنـا أنتَ الضـاربي أنتَ أنـا)

الجواب :

أنـا أنتَ الضـاربي مـبتدأٌ(١)　　　فـاعتبره يـا إمـاماً سُـننا
أنتَ بـعد الضـاربي فـاعلُهُ　　　وأنـا خـبر عـن آلِ حـقاً علنا
ثـم إنَّ الضـاربي أنت أنـا　　　خـبرٌ عـن أنت مـافيه انـثنا
وأنـا الجـملة عـنه خـبرٌ　　　وهـي مـن (أنت إلىٰ أنت أنـا)

هبة الله بن المنجم :

شكـىٰ إليك مـا وجـدْ　　　مـن خـانه فـيك الجـلدْ
حـيران لو شـئت اهـتدىٰ　　　ظـمئان لو شـئت وردْ
يـا أيـها الظـبي الذي　　　ألحـاظه تـردي الأسـدْ
أمـا لأسـراك فـدىٰ　　　أمـا لقـتلاك قـودْ

ملخص من قصيدة ابن التعاويذي :

إن يمسي ريّانٌ من ماءِ الشباب فلي　　　قـلب إلىٰ ريـقه المـعسول ظمئانُ
بـين السـيوف وعـينيه مشـاركة　　　مـن أجـلها قـيل للأغـماد أجـفانُ

---

(١) م ك : مبتدات .

الشريف الرضي ﷺ :

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى[١] ... ولاقي بها ليلاً نسيمَ رُبى نجدِ
فإنّ بذاك الجو حياً عهدته ... وبالرغم مني أن يطول به عهدي[٢]
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى ... بذكر تلاقينا قضيتُ من الوجدِ
فيا صاحبي اليوم عوجا لتسألا ... رُكيباً من الغورين أنضاؤهم تخدي
عن الحي بالجرعاء جرعاء مالكٍ ... هل ارتبعوا واخضرّ واديهم بعدي
كأن بعيني بعدهم غائر القذى ... إذا أنا لم أنظرْ إلىٰ العَلَمِ الفردِ
شممت بنجدٍ شِيحةً حاجريّةً ... فأمطرتُها دمعي وأفرشتها خدي
ذكرتُ بها ريّا الحبيبِ علىٰ النوى ... وهيهات ذا يا بُعدَ بينهما عندي
وإني لملجوبٌ لي[٣] الشوق كلما ... تنفّس شاكٍ أو تألم ذو وجدِ
تعرض رُسل الشوق والركبُ هاجد ... فتوقظني من بين نوامهم وحدي
وما شَرِبَ العُشاقُ إلا بقيتي ... ولا وردوا في الحب إلا علىٰ وِرْدِي

وله أيضاً :

ولما تفرقنا كما شاءت النوى ... تبين ود خالص وتوددُ
كأنّا وقد سار الخليط عشية ... اخو جنة مما أقوم وأقعدُ

* * *

حدّث فان ربي العقيق ويثمد ... يلحو بطيب حديثه قلب الصدي
بالله كرّ عليّ من أخبارهم ... فإذا ثملت بها وملت فرددِ

---

(١) م ك : الحما .

(٢) في ديوان الشريف الرضي :

فإن بذاك الحيّ إلفاً عهدته ... وبالرغم مني أن يطول به عهدي

(٣) م ك : الي .

إيهٍ بعيشك كيف خلفت الحمى ... قد طال عهدي بالديار فجددِ

مفرد :

بكيتُ دماً حتىٰ لقدْ قالَ قائلٌ ... اهذا الفتىٰ من جفنِ عينيه يرعفُ

الشريف الرضي :

ولقد وقفت علىٰ ديارِهِمُ ... وطُلُولها بيد البِلى[1] نَهْبُ

وبكيتُ حتىٰ ضجّ من لغب ... نضوي وعجَّ بعذلي الركبُ[2]

وتلفتتْ عيني فمذ خَفيتْ ... عني الطلولُ تلفَّتَ القلبُ

ابن بسام[3] :

لقد صبرتُ علىٰ المكروه أسمعُهُ ... من معشرٍ فيك لولا أنتَ ما نطقوا

وفيك داريتُ قوماً لا خلاقَ لهم ... لولاك ما كنتُ أدري أنهم خُلقوا

من الدوبيت :

يا مُقلتي أنتِ التي ... أوقعتني في حبِّهِ

غَرّتكِ رقّةُ خدِّهِ ... ونسيتِ قسوةَ قلبهِ

عُلويّة المجنون في الأصحاب :

عذيري من الإنسان لا إن جفوتُهُ ... صفا لي ولا إنْ صرتُ طوع يديهِ

وإنّي لمشتاقٌ إلىٰ خلٍّ صاحبٍ ... يروقُ ويصفو إنْ كدرتُ عليهِ

---

(١) م ك : البلا .

(٢) في ديوان الشريف الرضي :

فوقعتُ حَتّىٰ ضجّ من لغبٍ ... نِضْوي ، ولَجّ بعذلي الرّكب

اللغب : التعب . النضو : البعير المهزول .

(٣) علي بن محمد بن نصر العبرتائي ، البغدادي ، له : أخبار عمر بن أبي ربيعة ، ت ٣٠٢ هـ.

كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص٢٣٦ .

ابن خفاجة[1] :

لقد جبت دون الحيّ كـل تـنوفةٍ		يحومُ بها نسرُ السماءِ علىٰ وكـرِ
وسرتُ وقلب البرقِ يخفق غيرةً		هناك وعينُ النجمِ تنظُر عن شزر

ابن مليك[2] :

جـارتْ علىٰ مهجتي ظـلماً ومـا عـدلتْ
فليتَ شعري إلىٰ من فـي الهـوىٰ عـدلتْ
هـيفاء كـم فـتكتْ بـالهجرِ مـن كـبدٍ
وكـم قـلوب كـوتْ يـوم النـوىٰ وقـلتْ
بـهجرها أمـرضتْ قـلبي ووجـنتها
قـد اسـعرتْ نـارها فـي مـهجتي وغـلتْ
تُـريكَ بـدراً إذا مـاستْ عـىٰ غـصنٍ
فـاعجبْ لهـا بـانة بـدرَ الدجـىٰ حـملتْ
عـنها الغـصون حـديث المـيل تـرفعُهُ
إلىٰ القـوام وعـندي صـح مـا نـقلتْ
ما الظبي إن نفرتْ ما الغـصن إن خـطرتْ
ما الصبحُ إن سـفرتْ مـا الليل إن سـدلتْ
فـالبدر إن ظـهرتْ لم يـبدُ مـن خـجلٍ
والشـمسُ لو أبـصرتها فـي الضـيا أفِـلتْ

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة ، (أبو إسحاق) . ت ٥٣٣ . معجم المؤلفين لكحالة ١ : ٧٤ .
(٢) علي بن محمد الحموي ، الفقاعي ، له تخميس المنفوجة ، ت ٩١٧ هـ .
كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص٢١٩ .

والنـرجسُ الغـضُ عـنها غـضٌ نـاظره
مـن الحـيا وخـدودُ الوردِ قـد خـجلتْ
وغـادرتني قـتيلاً فـي مـحبتها
ولستُ أدري بـماذا فـي الهـوىٰ قـتلتْ
سـحّارة اللـحظِ بـالألباب عـابثةٌ
كأن بـالسحر عـينيها قـد اكـتحلتْ
عـجبتُ كـيف غـدتْ تـرمي لواحـظها
كـليلةً وهـي فـي أجـفانها دخـلتْ
حـاكتْ لجسـمي ثـيابَ السقمِ مقلتها
أمـا تـرىٰ كـيف لي أحـداقـها غـزلتْ

ابن العفيف التلمساني :(١)

تحرّس الطرف بين الجد واللعبِ ... أفنىٰ المدامع بين الحزن والطربِ
مـاذا أردّد فـي أرضِ الحـمىٰ قـدمي ... تـردد الشك بين الصدق والكـذبِ
كأنـني لم أعـرّس فـي مـضاربها ... ولم أحـطَّ بـها رحـلي ولا قـتبي
ولم أغـازل فـتاةَ الحـي مـائسةً ... في روضها بين درِ الحلي والذهبِ
تـبدي النـغارَ ذلالاً وهـي آنسـة ... ياحسن معنىٰ الرضا في صورة الغضبِ

صفي الدين الحلي :

قـيل إن العـقيقَ يُـبطل للسُّـحر ... بـتختيمه لسـرِ حـقيقي

(١) محمد بن سليمان بن علي (ابن العفيف) ، ولد بـالقاهرة ، له : ديـوان شـعر ، ومـقامات العشق ، ت ٦٨٨هـ.
المصدر السابق : ج١٠ ص٥٣.

فأرىٰ مقلتيك تنفثُ سحراً وعلىٰ فيك خاتمٌ من عقيقِ

التهامي :[1]

زارني في دمشقَ من أرضِ نجدٍ لك طيفُ سرىٰ وفلك اسرا
وأراد الخيالُ لثمي فصيرتُ لثامي دون المراشف سِترا
واختلسنا ظباءَ نجدٍ بأرضِ الشام بعد الرقادِ بدراً فبدرا
فاصرفِ الكأس من رضابك عني حاشا لله أن أرشفَ خمرا
قد كفاني الخيالُ منك ولو زدتُ لأصبحتُ مثل طيفك ذكرا

وله من قصيدة أيضاً :

هي البدرُ لكن تستسر مدىٰ الدهرِ وكان سرار البدر يومين في شهرِ
هلاليةٌ نيل الأهلة دونها وكل نفيس القدٌ ذو مطلبٍ وعرِ
لها سيفُ طرفٍ لا يزايل جفنه ولم أرَ سيفاً قط في جفنه يُغري
ويقصر ليلي إن الّمتْ لأنها صباحٌ وهل للّيلِ بقيا مع الفجرِ
أقول لها والعيشُ تحدج للنوى أعدي لبعدي ما استطعت من الصبرِ
سانفق ريعانَ الشبيبة دائباً علىٰ طلبِ العلياء أو طلب الأجرِ
أليس من الخسرانِ أن ليالياً تمرُ بلا نفعٍ وتُحسبُ من عمري

وله من قصيدة أيضاً :

خليليَّ هل يأتي مع الطيفِ نحوها
سلامي كما يأتي إليّ سلامها
ألمّتْ بنا في ليلةٍ مكفهرةٍ
فما سفرتْ حتىٰ تجلّىٰ ظلامها

---

(١) علي بن محمد ، (أبو الحسن) . ت ٤١٦هـ. معجم المؤلفين لكحاله ٧ : ٢١٩ .

فأبــصر مــني الطــيف نـفساً أبـية
تـــنقطها عـــن عــفةٍ ومـــنامها
إذا كـــان حــظي حــيثُ حــلّ خــيالها
فســيانٌ عــندي نأيــها ومــقامها
وهـــل نـــافعي أن يـــجمعَ الله بـينا
بكــل مكــانٍ وهــي صعبٌ مـرامـها
أرىٰ النفس تستحلي الهـوىٰ وهـو حتفها
بــعيشك هــل يـحلو لنـفس حـمامها
أســـيدتي رفـــقاً بـــهجةِ عـــاشقٍ
يــعذِّبها بـــالبعدِ عـــنكِ غـــرامـها
لك الخـــير جـــودي بـــالجميل فـإنّه
سـحابة صـيفٍ ليس يُـرجـىٰ دوامـها

محمد البكري الصديقي[1] في قهوة البن :

شـــربنا قـــهوةً مـــن قشــرِ بُـنٍّ تُـــعينُ عـــلىٰ العـــبادةِ للـعبادِ
حكتْ في كفِّ أهل اللـطف صـرفا زبـــاداً ذايـــباً وســـط الزبـــادِ

(١) أبو البقاء (جلال الدين) ولد بدهروط في مصر له : شرح المنهاج في فروع الشافعية . ت ٨٩١ هـ.
الأعلام للزركلي : ج٦ ، ص١٩٤ . ونسبها بعضهم للشريف حسن بن أبي نمي والي مكة المتوفىٰ ١٠١٠ كما في سلوة للغريب لابن معصوم ، ولهذين البيتين ثالث وهو :
وعادات الظّبا تأتي بـمسكٍ وهـذا الظـبي يأتـي بـالزباد

المجاورة في اليمن

الحقيرُ قد شاهد في مُدَّة مجاورته في اليمن ، شربَ قشرِ القهوةِ ، بل لم يرَ في هذه المدةِ المتطاولةِ مدَة المجاورة ، رفيعاً ولا وضيعاً شربَ البنِّ نفسه ، ثم سألتهم عن السبب فقالوا : القشرُ طبعُه الرطوبةُ ، فهو يوافقُ يبوسةَ هوىٰ اليمن ، والبنُّ نفسه طبعهُ اليبوسة ، فيخالف طباع أهل اليمن وحرارة أرضها ، ولونُ قهوة القشر أصفرٌ كالذهبِ يميلُ إلىٰ الحمرةِ ، وليس بأسودٍ لأنّه لا يحرق إلا البن نفسه ، ويحمّص بالنار إلا هو دون قشره ، ولو شربتْ اليمنُ البنَّ نفسه ، لم يفضلُ لساير الأقاليم شيءٌ منه ، أيضاً ولعلَّ هذا سببٌ ثانٍ لأنّ محبتهم للدراهم دعتهم لشرب القشر ، وما أحسن بالمقام ضربُ المثل (الإسكافي حافي والحايك عريان) ، وما سمعنا أن القهوة تُخلق في غيرِ أرضِ اليمن .

صوفيٌ وقصدهُ دقيقٌ ومعناه عميق :

إن الوجودَ وإنْ تعدّد ظاهراً ... وحياتكم مافيه إلا أنتمُ
أنتم حقيقةُ كلِ موجودٍ بدا ... ووجود هذي الكاينات توهّمُ
في باطني من حبّكم ما لو بدا ... افتىٰ بسفك دمي الذي لا يعلمُ
نعمتموني بالعذاب وحبذا ... صبٌّ بأنواعِ العذاب يُنعَّمُ

وهذا الصوفي ناظرٌ إلىٰ قوله علي بن الحسين عليه السلام :

ورب جوهر علم لو أبوحُ به ... لقيلَ لي أنت ممّن يعبدِ الوثنا
ولاستحلّ رجالٌ مسلمون دمي ... يرونَ أقبح ما يأتونَه حسنا

ابن الخياط في الخيال :

فـي خـدهِ الروضـي لا تـحسبوا ثلاث شاماتٍ بدتْ عـن حـقيقْ
بـل كـاتبُ الحسـنِ علىٰ خـده نــقَّط بـالعنبرِ شـينَ الشـقيق

القيراطي :

لم أبكِ حـينَ بكـيتُ مـن هــجرانــه مُـتَحسِّرا
لكــنْ حكــىٰ لي خــدُه المـصقولُ صـورةَ مـا جـرى

غيره :

قــالَ ليَ العــاذلُ فـي حـبهِ وقـــولُه زورٌ وبـــهتانُ
مــا وجـه مـن احـبـبته قِـبْلة قــلتُ ولا قــولك قــرآنُ

ابن الوردي :

دوايـــبه تــقولُ لعــاشقيهِ قِـفُوا وتأمّـلوا فـلكي وذوبـوا
فـاني قـد وصـلت إلىٰ مكـان عـليه تـحسدُ الحدقَ القلوبُ

عبد المحسن الصوري[1] وقيل للصنوبري :

بالذي ألهم تعذيبي ثـناياكِ العـذابـا والذي ألبس خديكِ من الورد نقابا
والذيصبَّر حظّيمنكهجراً واجتنابا ما الذي قالتْهُ عـيناكِ لقـلبي وأجـابا

كأنه أراد بالحظ هنا النصيب ، وإجـابة قـلبه إخـلاصه عـن مـحبة غـير المحبوب ، لما علم أن في عينيها الفواتر بواتر لمشاركة غيرها في المودة .

ابن الجوزي :

أصبحتُ صـباً إذا مَـرَّ النَّسيمُ عـلى زهر الرياضِ يكـادُ الوهـمُ يـؤلمني
مِنْ كلِّ معنىً لطيفِ أجـتلي قَـدَحاً وكــل نــاطقةٍ فـي الكـونِ تُـطربني

---

(١) ولد بصور ، وتوفي بها عام ٤١٩ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٦ ، ص١٧٣ .

ابن مكانس :(١)

لله ظـبيٌ زارنـي فـي الدجـىٰ ... مسـتوفراً مـمتطياً للـخطرْ
فـلم يـقف إلا بـمقدارِ أنْ ... قـلتُ له أهـلاً وسـهلاً فـمرْ

لله أبوه :

يا غائب الشخصِ عن عيني ومسكنُهُ ... عـلىٰ الدوام بـقلبِ الواله العـاني
أضحىٰ المـقدّس لمـا أن حـللتَ بـه ... لكـنّه ليس فـيه عـين سـلوانِ

برهان الدين القيراطي :(٢)

ومـهفهفٍ فـي خـدِّه ... نـارٌ تـهيج لي الهـوىٰ
قـد لقّـبوه مشـمشا ... لكـنه مُـرُّ النـوىٰ

❋ ❋ ❋

أحرىٰ الملابس أن تَلقىٰ الحبيب بهِ ... يومَ اللقاءِ هـو الثوبُ الذي خُـلِعا
الدهـرُ لي مأتـمٌ إنْ غـبتَ يـا أمـلي ... والعـيدُ مـا كـنتَ مـرئياً ومستمعا

رسولي إلىٰ حبيبي :

فـيا رسـولي إلىٰ مـن لا أبـوحُ بـه ... إن المـهماتِ فـيها يُـعرفُ الرجـلُ
بـالله عـرّفه عـني إنْ خـلوتَ بـه ... ولا تُـطلْ فـحبيبي عـندَهُ مـللُ
ولم أزلْ في أموري كـلما عـرضتْ ... عـلىٰ اهـتمامك بـعد الله اتكـلُ
فـالناسُ بـالناسِ والدنـيا مكـافأة ... والخـيرُ يـذكر والأخـبار تـنتقلُ

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطي ، وزير ونـاظر ، ت ٧١٤هـ. المـصدر السابق : ج٥ ، ص١٤٣ .

(٢) برهان الدين بن شرف الدين المصري له : مطلع النيرين ، ت ٧٨١هـ.
كحالة / معجم المؤلفين : ج١ ص٣٨ .

سعد الدين بن عربي[١] وأجاد :

تُرىٰ يسمح الدهرُ الظنين بقربكم ... وأحظىٰ بكم يا جيرةَ العلمِ الفردِ
إذا لم يكنْ لي عندكم يا أحبتي ... محلٌ ولا قدرٌ فإنّ لكم عندي

ابن مطروح :[٢]

عانقتُهُ فسكرتُ من طيب الشذا ... غصناً رطيباً بالنسيم قد اغتدىٰ
نشوانُ ما شربَ المدامَ وإنّما ... أضحىٰ بخمر رضابه متنبذا
أضحىٰ الجمالُ بأسره في أمره ... فلأجلِ ذاك علىٰ القلوبِ استحوذا
وأتى العذولُ يلومني من بعدما ... أخذَ الغرامُ عليّ فيه مأخذا
لا أنثني لا انتهي لا أرعوي ... عن حبهِ فليهذِ فيه من هَذىٰ
والله ما خطر السلو بخاطري ... ما دمت في قيد الحياة ولا إذا
إن عِشْتُ عِشْتُ علىٰ هُداه وإنْ أمتْ ... وجداً به وصبابةً يا حبذا

سمنون المحب :

وكان فؤادي خالياً قبل حُبُكم ... وكان بذكرِ الخلق يلهو ويمرحُ
إلىٰ أن دعا قلبي الهوىٰ فأجابه ... فلستُ أراه عن فنائك يبرحُ
رُميتُ ببين منكَ إن كنتُ كاذباً ... وإن كنتُ في الدنيا بغيركَ أفرحُ
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل ... فلست أرىٰ قلبي بغيركَ يصلحُ

هذا جريٌ علىٰ مذهب امرئ القيس :

فلا خدرَ إلا وهو خدرُ عنيزة ... ولا دار إلا وهي دارة جلجلِ

---

(١) بن محيي الدين ، ولد بملطية ، وتوفي بدمشق ٦٥٦هـ. المصدر السابق : ج٤ ، ص٢١٥ .

(٢) يحيىٰ بن عيسىٰ ، المصري ، اتصل بالملك الكامل ، ت ٦٤٩هـ. المصدر السابق : ج١٣ ص٢١٧ .

وقد أخطافي جمودهما وإن كان الجمود أعرق وأقعد في شرعِ الهوىٰ ، فإن العشق إنّما هو للمحاسن والشمايل ، لا لخصوص شخصٍ ، والتنقل أيضاً غصن من الشجرة .

تـنقلْ فـلذاتُ الهـوىٰ فـي التنقلِ ... ورِدْ كلَّ صافٍ لا تـقفْ عـندَ مـنهلِ
ولا تـتَّبع قـولَ امرئ القيس إنّـه ... المضلَّلُ مـن[1] ذا يـهتدي بـمضللِ
ففي الأرضِ أحبابٌ وفـيها مـنازلٌ ... فلا تبكِ من ذكرىٰ حبيب ومنزل

* * *

مـضتْ عـنّي تشـدُّ عُـرىٰ اللثامِ ... ومــدمعها كــدمعٍ ذي انســجام
فــقلتُ لهـا متىٰ ألقـاكِ قـالتْ ... قُـبيل الصـبحِ لكـنْ فـي المـنامِ

ابن العدوي :

ووَعَـدْت أمسِ بأن تـزورَ ولم تـززْ ... فـغدوتُ مسـلوبَ الفـؤادِ مشـتتا
لي مـهجةٌ فــي النـازعاتِ وعـبرةٌ ... في المرسلاتِ وفكرةٌ في هل أتـىٰ

شهاب الدين الشهرزوري :

أقــولُ لجـارتي والدمـعُ جـارٍ ... ولي عــزمُ الرحـيلِ عـن الديـارِ
ذَريــني أن أســيرَ ولا تـنوحي ... فـإنّ الشـهبَ اشـرفها السـواري
أأرضــىٰ بــالإقامةِ فــي فـلاةٍ ... وأربـعةُ العـناصر فـي جـداري

ابن حجر العسقلاني :

خاضَ العواذلُ في حديثِ مدامعي ... لمــا جـرىٰ كـالبحرِ سـرعة سيرهِ
فـحبستُهُ لأصـونَ سـرَّ هـواكـم ... حتىٰ يـخوضوا فـي حـديثٍ غـيرِهِ

ومن مذهبيَ الدالُّ علىٰ التنقلِ قولُ بعضٍ :

---

(١) امرؤ القيس من أشهر شعراء العرب . لُقب بـ « الملك الضلّيل » لاضطراب أمره طول حياته .

صِلْ من دنا[١] وتناسَ من بعدا ... لا تكرهَنَّ على الهوىٰ أحدا
قد أكثرتْ حواءُ ما ولدت ... فإذا جفا ولدٌ فخذ ولدا

أبو نصر الفارابي :

ما إن تقاعدَ جسمي عن لقائكم ... إلا وقلبي إليكم شيِّقٌ عِجلُ
وكيف يقعدُ مشتاقٌ تحرِّكه ... إليكم الباعثان الشوقُ والأملُ
وإن نهضتُ فمالي غيركم وطرٌ ... وكيفَ ذاك ومالي عنكم بدلُ
وكم تعرض لي الأقوامُ قبلكم ... يستأذنون علىٰ قلبي فما وصلوا

هذا الحكيم قد جمدَ ولم يتنقّلْ ، خلافاً لما رجّحناه ، ويمكنُ أن صدورَ هذا منه استعطافٌ للمعشوق واستجلابٌ لمودته ،ليحصلَ علىٰ مطلوبه من وصاله فحسب .

السيد المرتضىٰ :

أأبقىٰ كذا نضوَ الهمومِ كأنّما ... سقتني الليالي من عقابيلها سَمَّا
وأكبرُ آمالي من الدّهر أنّني ... أبيتُ خليّاً لا سُروراً ولا هَمَّا
أكرُّ أحاديثَ المطامعِ ضِلّةً ... وألقحُ من تلك المنىٰ أبطُناً عُقماً
فلا جامعاً مالاً ولا مُدركاً عُلاً ... ولا مُحرزاً أجراً ولا طالباً عِلْما
كارجوحةٍ بين الخصاصةِ والغنى ... ومنزلةٍ بين الشقاوةِ والنُّعمى

* * *

تموّجُ الشّعرِ علىٰ ردفِهِ ... أوقعَ قلبي في العريضِ الطويلْ
يا ردفه جِرتَ علىٰ خِصْرِه ... رفقاً به ما أنتَ إلا ثقيلْ

* * *

---

(١) م ك : دنىٰ .

تــولَعَ بــالعشقِ حـتىٰ عشِـقْ ... فــلما اســتقلّ بــه لم يُــطقْ
رأىٰ لجـــةً ظـــنّها مــوجةً ... فــلما تــمكّن مــنها غَـــرِقْ

أبو البركات :

ظـــبيٌ يُــنفّرُ نــومي ... بأُنســـه والنــــفارِ
فــخصره مــثل ديــني ... وردفـــه أوزاري
وكــم بــثثتُ غــرامي ... وكــم خــلعتُ عــذاري
وكـــم ركــبتُ إليــه ... كــــواهــلَ الأخــطارِ

ابن الدمينه[1] :

ألا يا صبا نجدٍ متىٰ هجتَ من نجدِ ... لقد زادني مسراكَ وجداً علىٰ وجدِ
أإنْ هتفتْ ورقاءُ في رونقِ الضحىٰ ... علىٰ فننٍ غضِ النبات من الرّنـدِ
بكيتُ كما يبكي الوليدُ ولم أكـن ... جزوعاً وأبديتُ الذي لم يكنْ يبدي
وقــد زعـموا أنّ المـحبَ إذا دنـا ... يملُ وأنّ النأي يُشـفي مـن الوجـدِ
بكــلٍ تــداويـنا فـلم يشـفِ مـابنا ... علىٰ أنّ قربَ الدارِ خيرٌ مـن البـعدِ
عــلىٰ أنّ قــربَ الدارِ ليس بــنافعٍ ... إذا كانَ مـن تـهواه ليس بـذي ودِ[2]

الصلاح الصفدي :

أنــفذتُ كنز مـدايـحي فـي ثـغره ... وجــمعتُ فــيه كـلَّ مـعنى شـاردِ
وطــلبتُ مــنه أجـرَ ذلك قــبلةً ... فأبــىٰ وراح تـغزلي فــي البـاردِ

(١) عبد الله بن عبيد الله (أبو السري) ، ت ١٣٠ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج٦ ، ص٨١ .

(٢) م ك : ودي .

عبد القادر الجيلاني:[١]

يـقولُ حـبيبي وقـد زارنـي ... وبتُّ لطـلعته أسْـهدُ

إذا كـنتَ تسـهرُ ليلَ الوصال ... وليـلَ البـعادِ متىٰ تـرقدُ

المعتز بالله في أبناء الدنيا:

بـلوتُ أخـلّاءَ هـذا الزمـانِ ... فأقـللتُ بـالهجرِ منهم نـصيبي

وكـلهم إنْ تـصفحتهم ... صـديقُ العـيان عـدوُّ المـغيبِ

أبو أيوب سليمان بن منصور:

بـقيتُ غـداةَ النـوىٰ حـائراً ... وقـد حـانَ ممن أحبُ الرحيلُ

فلم يـبق لي دمـعةٌ فـي الشئون ... إلا غـدت فـوق خـدي تسيلُ

فـقال نـصيحٌ مـن القـومِ لي ... وقـد كـادَ يـقضي علـيّ العويلُ

تـرفّق بـدمعك لا تُـفنِهِ ... فـبينَ يـديكَ بكـاءٌ طـويلُ

صاحب الزنج:

وإنـا لتـصبحُ أسـيافُنا ... إذا مـا اهـتززت ليـوم سـفوكِ

مـنابرهن بـطونُ الأكـفِ ... وأغـمادهنّ رؤوس المـلوكِ

البهاء العاملي:

لعـينيك فـضل جـزيل عـليّ ... وذاك لأنـي يـا قـاتلي

تـعلّمتُ مـن سِحرها فـعقدتُ ... لسـانَ الرقـيب مـن العـاذلِ

الصلاح الصفدي:

أضـحىٰ يـقول عُـذاره ... مـن مـنكم لي عـاذرُ

الوردُ ضـاع بـخدِهِ ... وأنـا عـليه دائـرُ

---

(١) أديب ونسابة توفي بعد ١١٥٠ هـ. المصدر السابق ٥ : ٢٨٦ .

وله أيضاً :

بســـــهمِ أجـــفانه رمـــاني　　　فـــذبتُ مـــن هـــجره وبـــينهْ
إن متُّ مـــالي ســواه خـصمٌ　　　فـــإنه قـــاتلي بـــعينهْ

* * *

يـــا أيّـــها المـــولىٰ الذي　　　عـــمتّ أيـــاديه الجـــليله
إقـــبل هـــديةَ مـــن يـــرىٰ　　　فـــي حـــقكَ الدنـــيا قـــليله

القاضي الأرجاني :[1]

تـــمتعتما يـــا مـــقلتيّ بـــنظرةٍ　　　وأوردتـــما قـــلبي أشـــرَ المـــواردِ
أعـــينيَّ كـــفَّا عـــن فـــؤادي فـــإنه　　　من البغي سعي اثنين في قتل واحدِ

المجنون :

وشُغلتُ عن فـهمِ الحـديث سِـوى　　　مـــا كـــان مـــنك فـــإنه شـــغلي[2]
وأُديـــمُ نـــحو مـحدِّثي نـظري　　　أن قـــد فـــهمتُ وعـــندكم عـقلي[3]

ليلاه :

لم يكـــن المـــجنون فـــي حـــالةٍ　　　إلا وقـــدْ كـــنتُ كـــما كـــانا
لكـــنْ لي الفـــضل عـــليه بأنْ　　　بـــــاح وأنّـــــي متُ كُـــتْمانا

---

(١) احمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ، الأهوازي ، تولىٰ القضاء بتستر ، ت ٥٤٤ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٢) في ديوان مجنون ليلىٰ ، شرح : د . يوسف فرحان ، ص ١٦١ :

وشغِلتُ عن فهم الحديث سوى　　　ما كـان مـنك وحُـبُّكم شـغلي

(٣) المعنىٰ : لقد شغِلتُ بك عن فهم الحديث . وحبكم شاغلي . وأُديم النظر نـحو مـحدّثي ؛ ولكن عقلي عندكم .

ولها :

بـــاحَ مـــجنونُ عـــامرٍ بـــهواهُ　　وكـتمتُ الهـوىٰ فـمتُّ بـوجدي
فــإذا كـان فـي القـيامةِ نُـودي　　من قـتيل الهـوىٰ تـقدّمتُ وحـدي

كذا وجدتُ نسبةَ الأربعة لليلىٰ مجنون، بخطِ الحكيم المعاصر، الشيخ مقبل العاملي(١) ﷺ، ويبعده أنه لم يُنقل لها شعر، بل الأربعة لرجلٍ أو رجلين من الأدب بِمكان، بل البيتان قبلهما لا يشبهان ما نقل من شعر المجنون في الطرز والنفس والأمر سهل.

ومـصبِّرٍ للـصبّ قـلتُ له وهـل　　صـبرٌ لمـن عـنه الحـبيب يـطيبُ
والله إن الشــهدَ بــعد فـراقِـهم　　مـــالذّ لي فـالصبرُ كـيف يـطيبُ

ابن عنين(٢) يشكو ما نابه من أحبابه :

مـاذا علىٰ طيفِ الأحبةِ لو سرى　　وعــليهم لو ســاعدوني بـالكرى
جنحوا إلىٰ قـولِ الوشـاةِ وأعـرضوا　　والله يـــــعلمُ أن ذلكَ مُـــفْتَرى
يــا مـعرضاً عـنّي لغـيرِ جـنايةٍ　　إلا لمـــا نَـــقلَ العــذولُ وزوّرا
مـا بـعد بُـعدكَ والصـدودِ عـقوبة　　يــا هــاجري مـا آن لي أن تـغفرا
لا تــجمعَنّ عـليّ صـدَّك والنـوى　　حبُ المـــحبِ عـقوبة أن يـهجرا
لو عاقبوني في الهوىٰ بسوىٰ النوى　　لرجـــوتهم وطـمعتُ أن اتـصبرا

---

(١) الشيخ مقبل من آل الصغير، أمراء جبل عامل، كان يسكن قرية (الحلوسية) ولما كانت فتنة الجزار سنة ١٢٠٧ هـ هرب الشيخ مقبل إلىٰ العراق، وانكب علىٰ طلب العلم حتىٰ صار من العلماء، هذا ما ذكر في أعيان الشيعة مج١٠ ج٤٧ / ص١٣٤ ويظهر من كلام الشيخ ابراهيم أنه توفي قبل عام ١٢٢١ هـ.

(٢) محمد بن نصر الله الأنصاري، الكوفي الحوراني، له: مختصر الجمهرة لابن دريد، ت ٦٣٠هـ. كحالة / معجم المؤلفين: ج١٢، ص٧٩.

عبءُ الصدودِ أخفُّ من عبءِ النوى   لو كانَ لي في الحبِ أن اتخيرا

ابن عبد الظاهر ، في معشوقه نسيم :

إن كانتِ العشاقُ من أشواقهم   جعلوا النسيمَ إلىٰ الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني   كنتُ اتخذتُ مع الرسولِ سبيلا

البهاءِ العاملي :

أهوىٰ قمراً اسلمني للبلوىٰ   ما عنه لقلب المعنىٰ سلوى
كم جئت لأشتكي فمذ ابصرني   من لذه قربه نسيتُ الشكوى

عمر بن معدي كرب في الحرب والنزال :

الحرب أولُ ما تكون فتيةً   تسعىٰ بزينتها لكل جهولِ
حتىٰ إذا استعرتْ وشبَّ ضرامها   عادتْ عجوزاً غيرَ ذات خليلِ
شمطاءَ جزّتْ رأسها وتنكرتْ   مكروهة للشمِ والتقبيلِ

محيي الدين بن العربي :

بان العزاءُ وبانَ الصبرُ إذ بانوا   بانوا وهم في سويدا[1] القلبِ سكّانُ
سألتهم عن مقيل الركبِ قيل لنا   مقيلهم حيثُ فاحَ الشِّيحُ والبانُ
فقلتُ للريحِ سيري والحقي بهم   فإنّهم[2] عن ظلِ الأيك قطّانُ
وبلّغيهم سلاماً من أخي شجنٍ   في قلبه من فراقِ الإلف[3] أشجانُ

القاضي المهذب :

وترىٰ المجرة والنجوم كأنما   تُسقي الرياضَ بجدولٍ ملئانِ

---

(١) م ك : سواد .

(٢) وضع المؤلف فوق كلمة (فإنهم) كلمتين أخريين إشارة الىٰ تعدد الروايات ، احداهما واضحة والأُخرىٰ ليست واضحة ، والواضحة هي : لعلهم .

(٣) وفي ترجمان الأشواق ، وهو ديوان الشاعر ، ط دار صادر ، ١٣٨٦ هـ : القوم .

لو لم تكن نهراً لما غاصتْ به ... أبداً نجومُ الحوتِ والسرطانِ

الطبراني :

فديتك قد جُبِلتُ علىٰ هواك ... فنفسي لا تطالبني سواكَ
أحُبكم ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبقَ حبك لي حِرَاكَ
ويقبح من سواكِ الفعلُ عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكَ

❁ ❁ ❁

عللت باليأس نفسي عنك فانصرفت ... واليأس أحسن مرجوعاً من الطمعِ
فكن علىٰ ثقةٍ أني علىٰ ثقةٍ ... أن لا أعلل بعد اليوم بالخدعِ
محوت ذكركَ من قلبي ومن أذني ... ومن لساني فقل ما شئت أو فدعِ
إذا تباعد قلبي عنكَ منصرفاً ... فليس يوشك مني أن تكون معي

شمس الدين الكوفي :

إليك إشاراتي وأنتِ مِرادي ... وإياكِ أعني عند ذكر سعادِ
وأنتِ مثير الوجد بين أضالعي ... إذا قال حادٍ أو ترنَّم شادي
وحبكِ القىٰ النارَ بين جوانحي ... بقدحِ ودادٍ لا بقدحِ زنادِ
خليلي كُفَّا عني العذل واعلما ... بأن غرامي آخذ بقيادي
ولذة ذكري للعقيقِ وأهله ... كلذةِ بردِ الماءِ في فم صادي
طربنا بتعريض العذول بذكركم ... فنحن بواد والعذول بوادِ

في أبناء الزمان والدنيا :

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه ... وإنما أشتكي من أهل ذا الزمنِ
هم الذئابُ التي تحت الثيابِ فلا ... تكنْ إلىٰ أحدٍ منهم بمؤتمنِ
قد كان لي كنزُ صبرٍ فافتقرت إلىٰ ... انفاقِهِ في مداراتي لهم ففني

ابن حجة[1] وقد أبدع :

خاطبنا العاذلُ عند الملام ... بكثرةِ الجهلِ فقلنا السلامْ
ما لامنا من قبلُ لكنّه ... لما رأىٰ العارضَ في الخدِ لامْ
والجفنُ في لجةِ دمعي غدا ... من بعده يسبحُ شهراً وعامْ
اخترته مولىً فيا ليته ... لو قال يا بشراي هذا غلام
سلامه يبخل فيه وما ... قصدي سوىٰ في وده والسلامْ
عني حمىٰ الثغر بالحاظه ... وكان حالي معْهُ في الانتظام
وفيه قد زاحمني شاربٌ ... والمنهلُ العذبِ كثير الزحامْ
لبرق هذا الثغرِ كم عاشقٍ ... قد هام وجداً بين مصر وشامْ
دمعي ونظمي في هواه غدا ... يألف كلٌّ منهما الانسجامْ
ماليَ سهم قط من وصله ... لكن من اللحظ لقلبي سهامْ
ماسَ وقدْ غطّىٰ بأكمامه ... خدّيه خوفاً من عيون الأنام
فقلتُ ما ألفَ غصن النقا ... وأحسنَ الورد الجني في الكمام
جرتْ دموعي حين قبّلتُهُ ... فهل رأيتَ البدرَ تحت الغمامْ

ابن الخياط :

خذا من صبا نجدٍ أماناً لقلبِهِ ... فقد كادَ ريّاها يطيرُ بلبِهِ
وإيا كما ذاكَ النسيم فإنّه ... إذا هبَّ كان الوجدُ أيسر خطبِهِ
وفي الحي محنيّ الضلوع علىٰ الجوى ... متىٰ يدعه داعي الغرام يُلبِّهِ
إذا نفحت من جانب الغور نفحة ... تبين [منه] داؤه دون صحبهِ
خليليّ لو أبصرتما لعلمتما ... مكان الهوىٰ من مغرم القلب صبِّهِ

---

(١) أبو بكر بن علي (تقي الدين) . ت ٨٣٧ هـ.

غـراماً عـلىٰ يأس الهـوىٰ ورجـانه   وشـوقاً عـلىٰ بـعد المـزار وقـربَهِ
تذكر والذكرىٰ تشـوق وذو الهـوى   يتوقُ ومـن يـعلق بـه الحب يُـصبهِ
ومـحتجبٍ بـين الأسـنةِ والظـبا   وفي القلبِ من اعراضه مثل حـجبِهِ

* * *

تـنكّر لي دهـري ولم يـدرِ أنّـني   أعـزُّ وأحـداث الزمـان تـهونُ
وباتَ يريني الخطبَ كيف اعتداؤه   وبتُّ أُريـه الصـبرَ كـيف يكـونُ

* * *

وحسناء لم تأخذْ من الشمس شيمةً   سوىٰ قرب مسراها وبعد مـزارهـا
ألوم ولم يـقرعْ مـلاميَ سـمعها   وأرضىٰ ولم يخطرْ رضائي ببالها

* * *

إني لأعجبُ من صدودك والجفا   مـن بـعد ذاكَ القـربِ والايناسِ
حـاشا شمائلك اللطيفة أن تـرىٰ   عـوناً عـليّ مـع الزمـان القاسي

* * *

ولقـيت فـي حُـبِّيْك مـالم يـلقه   فـي حب ليـلىٰ قـيسها المـجنونُ
لكـننيِ لم اتّـبعْ وحش الفـلا   كـفعالِ قـيسٍ والجـنون فـنونُ

* * *

سألتـه التـقبيلَ فـي خـدِهِ   عشـراً ومـا زاد يكـون احتسابْ
فـمذ تـعانقنا وقـبّلته   غلطتُ فـي العـد فـضاع الحسـابْ

البهاء زهير :

رعـىٰ الله ليـلة وصـلٍ خـلتْ   ومـا خـالط الصـفو فـيها كـدرْ
أتت بـغتةً ومـضتْ سـرعةً   ومـا قـصّرت بـعض ذاك القـصرْ

بـــغير احـــتيالٍ ولا كـــلفةٍ ولا مـــوعدٍ بـــيننا يـــنتظرْ
ومـــرَّ لنـا مـن لطـيف العـتابِ عـــجائبُ مـا مـثلها فـي السيرْ
فـــقلتُ وقـد كـادَ قـلبي يـطيرُ ســـروراً بـنيلِ المـنىٰ والوطـرْ
أيـا قـلبُ تـعرفُ مـن قـد أتـاكَ ويـا عـين تـدرينَ منْ قـدْ حـضرْ
ويـــا قـــمر الأفـقِ عُـدْ راجـعاً فقدْ حلّ فـي الأرض عـندي القـمر
ويـــا ليـــلتي هكـــذا هكـــذا وبـــالله بـــالله قـف يـا سـحرْ
خـــلونا ومـــا بـــيننا ثـــالثٌ فأصـــبحَ عـــند النسـيم الخـبرْ

* * *

ليست بأوطانك اللاتـي نشأت بـها لكـــن ديـار التـي تـهواه أوطـانُ
خيرُ المواطن ما للـنفس فـيه هـوىً سم الخـياط مـع الاحـباب مـيدانُ
كـلُّ الديـارِ إذا فكـرَّتَ واحــدةٌ مـع الحـبيب وكـل النـاس إخـوانُ
أفدي الذين دنوا والهـجر يـبعدهم والنازحين وهـم فـي القـلب سكـانُ
كـنا وكـانوا بأهـني العيش ثـم نأوا كأنـــنا قـــطُّ مـا كـنا ولا كـانوا

ابن الدهان:

نــذرَ النـاس يـوم بـرئك صـوماً غـير أنّـي نـذرت وحـدي فـطرا
عـــالماً أن يـــوم بـــرئك عـيدٌ لا أرىٰ صـــومه وإن كـان نـذرا

الحاجري[1]:

هـيَّجت وجـدي يـا نسـيم الصـبا إن كـنتَ مـن نـجدٍ فـيا مـرحـبا
جـدِّد فـدتك النـفسُ عـهد الهـوى بـــذلك الحـــي وتـــلك الربـا

---

(١) عيسىٰ بن سخبر الأربلي ، من أولاد الأجناد ، له : بلبل الغرام ، ت ٦٣٢ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٨ ، ص٢٤ .

إن المـــقيمين بســـفحِ اللـــوىٰ مـــن لا أرىٰ لي عـــنهم مـذهبا
ابـقوا الأســىٰ لي بـعدهم مطعما والدمـــع حـــتىٰ نـلتقي مشـربا
ما زلتُ أبكي الشـعبَ مـن بـعدهم حـتىٰ غـدا مـن مـدمعي مُعشِبا
كـيف احـتيالي فـي هـون شـادنٍ مـــا رمتُ مـنه الوصـل إلا أبـى
ظـبيٌ مـــن التـــركِ ولكـــنه أضـحىٰ لحـتفي فـيه مسـتعربا
يـا مـعرضاً عـرض بـي للـردى قـد كـنت للاعـراض مسـتوجبا
حـمَّلتُ قـلبي مـنكَ مـالو غـدا[1] بـــالجبل الشـامخ أضـحىٰ هـبا

في القهوة لمامية الرومي :[2]

أنـــا المـــعشوقةُ السـمرا وأجـــلىٰ فـــي الفـــناجينِ
وعـــود الهـــند لي عـــطرٌ وذكـــري شـــاعَ فـــي الصـينِ

تهييج عن التواني :

حـــتام أنت بـما يـلهيك مشـتغلُ عن نجح قصدكَ من خمر الهوى ثَمِلُ
ترضىٰ من الدهر بالعيش الدني[3] إلىٰ كم ذا التواني وكم يـغري بك الأمـلُ
وتـــدّعي بـــطريقِ القـومِ مـعرفةً وأنت مـنقطعٌ والقـوم قـد وصـلوا
فـــانهض إلىٰ دارة العـلياء مـبتدراً عـزماً لتـرقىٰ مكـاناً دونـه زحـلُ
فـإن ظـفرتَ فـقد جـاوزتَ مكـرمةً بـــقاؤها بـــبقاءِ الله مـــتصلُ
وإن قضيتَ بـهم حـزناً فأحسـنُ مـا يُقالُ عنك قضىٰ مـن وجـدهِ الرجـلُ

---

(١) م ك : غدى .

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بـ (مـامية) أو مـاميًا ، (٩٣٠ ـ ٩٨٨ هـ) ولد فـي استانبول ، زجَّالٌ اشتهر بموشحات . ليس تخميس البردة . الأعلام للزركلي ٦ : ٧ .

(٣) م ك : ناقصة ، ووضعناها استظهاراً . ع .

البهاء زهير :

خـافَ الرسـولُ مـن المـلامه   فكـنىٰ بسُـعدي عـن أُمـامهْ
وأتـىٰ يـعرِّض بـالحديثِ   بـرامـةٍ سـقياً لرامـهْ
فـفهمتُ مـنه إشـارةً   بـعث الحـبيبُ بـها عـلامهْ
وطـربتُ حـتىٰ خـلتني   نشـوانَ تـلعبُ بـي المـدامهْ
خـذ يـا رسـول حشـاشتي   نـلتَ السـعادة والسـلامهْ
وأعـدْ حـديثك إنّـه   لألذُّ مـن سـجعِ الحـمامهْ

ابن الوردي في قصيدة في التغرب والهجرة :

حـبك الأوطـان عـجزٌ ظـاهر   فاغتربْ تلقىٰ عـن الأهـل بـدلْ
فـبمكثِ المـاءِ يـبقىٰ أسـناً   وسُـرىٰ البـدرِ بـه البـدرُ اكـتملْ

[عتق ظبية] :

أيا شـبه ليـلىٰ لا تـراعـي فـإنني   لكِ اليوم مـن وحشـية لصـديقُ
أقولُ وقـد أطـلقتها مـن وثـاقها   فـانت لليـلىٰ مـا حـييت عـتيقُ
فعيناكِ عـيناها وجـيدكِ جـيدها   ولكنّ عظم الساق منك دقـيقُ[١]

المتنبي :

أهـم بشـيءٍ والليـالي كأنـما   تـطاردني عـن كـونه وأطـاردُ
وحيدٌ من الخلاّن في كـل بـلدة   إذا عظُمَ المطلوبُ قلّ المساعدُ[٢]

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة لمجنون ليلىٰ (قيس بن المُلوَّح بن ربيعة) . را : ديوان مجنون ليلىٰ ، وذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ص : ٦٣ .

(٢) هذا هو البيت التاسع من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنه . انظر الديوان ص: ٣١٠ ، والعُرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ص :

⇐

كشاجم[1] في نفي العيب عن الحبيب :

يـا كـامل الأدواتِ مـنفردُ العـلىٰ والمكـرمات ويـا كـثير الحـاسدِ
شخصَ الأنامُ إلىٰ جمالك فاستعذ مـن شـر أعـينهم بـعيبٍ واحـدِ

سُئل الفرزدق ، أحسدتَ أحداً علىٰ شعره ؟ قال : ليلىٰ الأخيلية في قولها :

ومـخرق عـنه القـميص تـخاله بـين البـيوت مـن الحياءِ سقيما
حـتىٰ إذا حَـمِيَ الوطـيس رأيـته تحت اللواء علىٰ الخميس زعيما
لا تـقربن الدهـر آل مـطرف إن ظـالماً أبـداً وإن مـظلوما

الشريف أبو الحسن العقيلي :

نحن الذين غدتْ رحىٰ أحسابهم ولهـا عـلىٰ قـطبِ الفخارِ مدارُ
قـوم لغصنِ نداهـم مـن رفـدِهم ورقٌ ومـن أوراقـهم أثـمارُ
مـن كـلِّ وضـاحِ الجـبين كأنّـه روضٌ خـلائقه لهـا أزهـارُ

في الشورىٰ :

إذا عـنّ أمرٌ فـاستشرْ فيه صاحباً وإن كنتَ ذا رأيٍ تشيرُ علىٰ الصحبِ
فـإني رأيتُ العـينَ تـجهلُ نـفسها وتدركُ ما قدْ حلَّ في موضعِ الشهبِ

الأرجاني فيه أيضاً :

اقـرنْ بـرأيكَ رأيَ غـيركَ واستشرْ فـالحقُ لا يَـخفَىٰ عـلىٰ اثـنينِ
فـالمرءُ مـرآة تـريه وجـهه ويـرىٰ قـفاه بـجميع مـرآتـينِ

⇐ ٣٢٦ .

والخُلّان : جميع خليل كرغيف ورُغفان ، وهو الصاحب والصديق .

(١) محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك ، له : خصائص الطرب ، ت ٣٦٠ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج١٢ ، ص١٥٩ .

أبو تمام :

جرىٰ حاتم في حلبة منه لو جرى ... بها القطرُ قالَ الناسُ أيهما القطرُ
فتىٰ ذخر الدنيا أناسٌ ولم يزلْ ... لها باذلاً فانظرْ لمن بقي الذخرُ
فمن شاءَ فليفخر بما شاء من ندىً ... فليس لحيٍّ غيرنا ذلك الفخرُ
جمعنا العلىٰ بالجود بعد افتراقه ... إلينا كما الأيام يجمعها الشهرُ

إنما افتخر أبو تمام بحاتم لأنهما من قبيلةٍ واحدةٍ ، قبيلةُ طي ، وإن كان حاتمُ جاهلياً وأبو تمام إسلامي .

ابن الدُّمينة[1] : (والحقيرُ) لم يقع نظره علىٰ شعر أرق من شعره :

قفي قبلَ وشكِ البين يا بنة مالكِ ... ولا تحرمينا نظرةً من جمالكِ
تعاللتِ كي أُشجي وما بكِ علةٌ ... تريدين قتلي قد ظفرتِ بذلكِ
وقولكِ لعوادِ كيف ترونه ... فقالوا قتيلاً قلتِ أيسرهَا لكِ
لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ ... لقد سرّني أني خطرتُ ببالكِ
ليهنكِ امساكي بكفي علىٰ الحشا ... ورقراق دمعي رهبةً من وبالكِ
فلو قلتِ طأ في النارِ أعلمْ أنه ... رضىٰ لك أو مُدنٍ لنا من وصالكِ
لقدّمتُ رجلي نحوها فوطئتها ... هدىً منكِ [لي] أو ضلةً من ضلالكِ
أرىٰ الناس يرجونَ الربيع وإنّما ... رجائي الذي [تبدينهُ] من نوالكِ
أبيني أفي يمنى يديكِ جعلتني ... فأفرحُ أم صيرتني في شمالكِ

ويرویٰ بعد البيتين الأولين أيضاً :

قفي يا أيم القلب نقضي لبانة ... ونشكو الهوىٰ ثم أفعلي ما بدا لكِ
سل البانة الغناء بالأجرع الذي ... به الماء هل حييت أطلال داركِ

---

(١)

وهــل قـمتُ فـي أطـلالهن عشـيةً   مـقام أخـي البأسـاء واخـترت ذلكِ
وهل كفكفتْ عيناي في الدار غمرة   فـؤادي كـنظم اللـؤلؤ المـتهالكِ

ابن نباته السعدي :واسمه عبد العزيز وكنيته أبو نصر :

خــرقْن بأطــراف القــنا لظـهورهم   عيوناً لهـا وقـعُ السـيوف حـواجبُ
لقوا نـبلنا مـرد العـوارض فـاستوىٰ   لأوجــههم مــنها لحـىً وشـواربُ

لله دره :

مــــجرةَ جــدولٍ وســماء آسٍ   وأنــجم نــرجس وشـموس ودِ
ورعــد مثالث وسـحاب كأس   وبــرق مــدامــةٍ وضــباب نــدِ

أبو العتاهية :

أمســىٰ ببغداد ظبيٌ لستُ أذكـره   إلا بكــيتُ إذا مـا ذكـرُهُ خـطرا
مـا كـنت أحسب إلا مـذ عـرفتكم   أن المـضاجع مـما تـنبت الأبــرا
والليل أطول من يوم الحساب علىٰ   عــين الشــجىٰ إذا مـا نــومه نفرا

كُثيِّر عزة : [١] فقد قيل : إنه يرىٰ محمد بن الحنفية ، صاحب العصر والزمان ، والعهدة علىٰ الراوي :

ألا إن الأئــــمة مــــن قــريشٍ   ولاةُ الحـــــق أربـــعةٌ ســواءُ
عـــليٌ والثـــلاثةُ مـــن بــنيه   هـــم الأســباط ليس بــهم خــفاءُ
فســـبطٌ ســـبطُ إيـــمانٍ وبــرٌ   وســـــبطٌ غـــيَّبْتُهُ كـــربلاءُ
وسـبطٌ لا يــذوقُ المـوتَ حتىٰ   يـــقود الخـــيلَ يـقدمها اللــواءُ
تــغيَّب لا يــرىٰ عـنهم زمـاناً   بـــرضوىٰ عـــنده عســلٌ ومـاءُ

---

(١) أبو صخر ، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي الأزدي ، صاحب عزَّة بنت جميل الحاجبية .

قيس بن الملوح :

راحـوا يـصيدون الظـباء وإنّـني ... لأرىٰ تـصيّدها عـليّ حـراما
أشبهْنَ منك محاجراً وسوالفاً ... فأرىٰ عـليّ لهـا بـذاك ذمـاما
اعـزز عـلي بأن أروّع شـبهها ... أو أن يذقن علىٰ يـديّ حماما

أبو الفضل الميكالي :[1]

لقد راعني بدر الدجىٰ بصدوده ... ووكـل اجـفاني بـرعي كـواكـبهْ
فيا جزعي مهلاً عساه يعود لي ... ويا كبدي صبْراً علىٰ ما كواكِ بِهْ

وله أيضاً :

مواعيده فـي الوصلِ أحـلامُ نـائمٍ ... أشـبّهها بـالقفر أو بسـرابـهِ
فمن لي بوجهٍ لو تحيّر في الدجـىٰ ... أخو سفرٍ فـي ليـل غـمٌّ سرىٰ بـهِ

وله أيضاً :

صل محباً أعياه وصف هـواه ... فـظناه يـنوب عـن تُـرْجُمانه
كـلما راقـه سـواك تـصدت ... مـقلتاه بـدمعةٍ تَـرْجُمانه

وله أيضاً :

يـاذا الذي أرسـل مـن طـرفه ... عـليّ سـيفاً قـدني أو فـرىٰ
شـفاء نـفسي مـنك تـخميشة ... تـغرس فـي خـدك نـيلوفرا

وله أيضاً :

إن كـنت تأنس بـالحبيب وقـربه ... فاصبر علىٰ حكم الرقيب وداره

---

(١) كتب المؤلف في بداية ص٥٩ من م ك والتي بدأت باسم هذا الشاعر ، العبارة التالية : عصر يوم عشرين من رجب المرجب سنة ١٢٢١ هـ. والميكالي : عبيد الله بن أحمد بن علي بن ميكال (ت ٤٣٦ هـ) . له : مخزن البلاغة وغيره. كحالة / معجم المؤلفين ٦ : ٢٣٧ .

إن الرقيب اذا صبرت لحكمه		بواك في مثوىٰ الحبيب وداره

وله أيضاً : يشكو بعض شعراء عصره :

يامن يقولُ الشعرَ غيرَ مهذبٍ		ويسومني التعذيب في تهذيبهِ
لو أن كلَّ الناسِ فيكَ مساعدي		لعجزتُ عن تهذيبِ ما تهذي به

وله أيضاً :

ومـــهفهفٍ تــهفو بـــلـ		ـبِ المــرء مِــنه شــمائلُ
فـــالردفُ دعصٌ هـــائل		والقـــدُّ غـــصن مـــائلُ
والخـــدُّ نـــورُ شـــقائقٍ		تـــنشقُّ عـــنه خـــمائلُ
والعـــرفُ نشـــرُ حـــدائـقٍ		تـــمتْ بـــهنَّ شـــمائل
والطـــرفُ سـيفٌ مـــاله		إلا العـــذار حـــمائلُ

وله أيضاً :

أقول لشادنٍ في الحسن أضحى		يـصيدُ بـلحظه قـلبَ الكـميّ
ملكت الحسن أجمع في قوامٍ[(١)]		فأدِ زكـــاةَ مـــنظركَ البـــهيّ
وذلك أن تـــجود لمســـتهامٍ		بـــريقٍ مـــن مـــقبلك الشـــهيّ
فـــقال أبـــو حـــنيفةَ لي إمـــامٌ		فـعندي لا زكـاةَ عـلىٰ الصبيّ
وإن تكُ مـــالكيَّ الرأي أو مَـــنْ		يـــرىٰ رأىٰ الأمـــامَ الشـــافعيّ
فـــلا تكُ طـــالباً مـــنّي زكـــاةً		فـإخراج الزكـاة عـلىٰ الوصيّ

وله أيضاً :

بـنفسي غـزالاً صـار للـحسنِ قـبلةً		يـحجُّ مـن البيتِ العتيقِ ويـقصدُ
وعــانى الهـوى فـيه فـلبيتُ طـائعاً		وأحرمتُ بالإخلاص والسعي يشهدُ

---

(١) م ك : أو نصاب .

فطرفي بالتسهيدِ والدمعِ قارنٌ ... وقلبي عليه بالصبابة مفردُ

وله أيضاً :

أهلاً بظبيٍ حواه قصرُ ... كجنةٍ قد حوت نعيماً
طرقته لا أهاب سوءاً ... أباحني حبه الحريما
فجادَ من فيه لي براح ... تنفي حريقاً به قديما
أفدي حريقاً أباحَ ريقاً ... لا بل حريماً أباح ريما

الطائي :

مهما الوحش إلا أن هاتا أوانس ... قنا الخط إلا أن تلك ذوابلُ
من الهيفِ لو أن الخلاخيل صيّرتْ ... لها وسجا جالت عليها الخلاخلُ

الفتح بن خاقان :

وإنّي وإياها لكا الخمرِ والفتى ... متى يستطع منها الزيادة يزدد
إذا زدتُ منها زادَ وجدي بقربها ... فكيف احتراسي من هوىً متجدد

أبو الفتح البستي :

إن لي في الهوىٰ لساناً كتوماً ... وجناناً يخفي حريق جواهُ
غيرَ أني أخافُ دمعي عليهِ ... ستراه يفشي الذي سَتَراهُ

مفرد له أيضاً :

ناظراه فيما جنىٰ ناظراه ... أو دعاني أمتْ بما أودعاني

أبو الفتح كشاجم :

فديتُ زائرةً في العيد واصلة ... والهجر في غفلةٍ من ذلك الخبرِ
فلم يزلْ خدها ركناً أطوفُ به ... والخالُ في خدها يغني عن الحجرِ

أبو الفتح البستي :

قــل للــذي غـرّته غـرة مـلكه حــتىٰ أخــلَّ بـطاعة العـظماءِ
شـرفُ المـلوكِ بـعلمهم وبـرأيـهم وكذاكَ أوجُ الشـمسِ فـي الجـوزاءِ

أبو سعيد :

إذا مــا غــابَ وجــهُ البـدرِ عـنا فــوجهكِ عـندنا البـدر المـقيمُ
فـإن رجـعتْ نـجومُ السـعدِ يـوماً فـــوجهكِ نـجمُ سـعدٍ مسـتقيمُ

بَشّار :

وقد كنتُ في ذاكَ الشبابِ الذي مضىٰ أزارُ ويـــدعوني الهـــوىٰ فأزورُ
فــإن فــاتني إلفٌ ظـللتُ كأنــما يُـدير حـياتي فـي يـديه مـديرُ
ومــرْتجَّةِ الأردافِ مـهضومةِ الحشـا تــمورُ بســحرِ عـينها وتـزورُ
إذا نـظرتْ صـبَّتْ عـليك صـبابةً وكــادتْ قـلوبُ العـالمين تـطيرُ
خـلوتُ بـها لا يـخلص المـاء بيننا إلىٰ الصـبح دونـي حـاجب وستورُ

ولعمري لقدْ بالغَ في البيت الأخير ، في الإلصاقِ والعناقِ ، والحقيرُ خُلقَ سنةَ الألف والمائة والثمانين ، والآن سنة الألف والمائتين وإحدىٰ وعشرين ، وهو بكرٌ لا ضاقَ ولا ذاقَ ، دهري حَبَسني عن التعريجِ إلىٰ التزويج فناديته :

يــا دهــر مــا أقســاك مـن متلونٍ فــي حـالتيك ، ومـا أقـلَّك مـنصفا
أتــروحُ للــنكسِ الجـهولِ مـمهَّداً وعــلىٰ اللـبيب الحـرّ سـيفاً مـرهفا
وإذا صفوتَ ، كدرتَ ، شيمةَ باخلٍ وإذا وفــيتَ نـقضتَ أسـباب الوفـا
لا أرتــضيك وإن كـرمتَ لأنــني أدري بأنّك لا تـدومُ عـلىٰ الصـفا
زمــنٌ إذا أعـطىٰ اسـتردَّ عـطاءه وإذا اســتقامَ بــدا له فــتحرفا
مـا قـامَ خـيرُكَ يـا زمـانُ بشـرِّهِ أولىٰ بـنا ، مـا قـلَّ منك ، ومـا كـفا

وفي ما سلفَ من الأزمانِ ، لم تـزلْ نـفسي تـنازعني أن أركبَ أخـطارَ الأسفار فتركتُ الدرسَ ، وفارقتُ الغريَّ ، وهذه أربع عشرة سنة أجوبُ البلاد ، ولله درُّ الأمير علي بن مقرب الأحسائي حيث يقول :

إلى مَ انتظاري أنجمَ النحسِ والسعدِ ... وحـتامَ صَـمْتي لا أعـيدُ ولا أبـدي
لقد مَلَّ جنبي مَضْجعي مـن إقـامتي ... وضجَّ[1] حُسامي من مجاورةِ الغـمدِ
ولجَّ نـجيبي فـي الحـنين تشـوّقاً ... إلىٰ الرحلِ والانساعِ والبيدِ والوخـدِ
وأقـبلَ بـالتصهالِ مـهري يـقولُ لي ... أأبـقىٰ كـذا لا فـي طـرادٍ ولا طـردِ
لقد طال إغضائي جفوني علىٰ القذىٰ ... وطال امترائي[2] الدرَّ مـن بُـحُرٍ جُـدِّ
عـذوليَّ جـوزا بـي فـليس عـليكما ... غوائي الذي أغوىٰ ولا لكما رشـدي
أجـد كـما لا أبـرح الدهـر تـابعاً ... وعندي من العزم الهمامي ما عـندي
أمـثلي مـن يُـعطى مـقاليد أمـره ... ويرضى بأن يُجدى عليه ولا يُجدي
إذاً لم تـلدني حـاصنٌ وائـليةٌ ... مـقابلة الأبـاء مـنجبة الولدِ
خـئولتها للـحوفزان وتـنتمي ... إلىٰ المـلكِ الوهـابِ مسلمة الجـعدِ
يـظن نـحولي ذو السـفاهة والغبا[3] ... غـراماً بـهندٍ واشـتياقاً الىٰ دعـدِ
ولم يـدرِ أنّـي مـاجدٌ شفَّ جسـمهُ ... لقـاء هـمومٍ خـيلها أبـداً تـردي
قليل الكرى ماضٍ علىٰ الهول مقدم ... عـلىٰ الليل والبيداء والحر والبـردِ
عـدمت فـؤاداً لا يـبيت وهـمه ... كريم المسـاعي وارتـقاء إلىٰ المـجدِ
لعـمري مـاهمي بـدعدٍ وإن دنتْ ... ولالي بـهندٍ مـن غـرامٍ ومـن وجـدِ

---

(١) وفي ديوان الشاعر : تحقيق وشرح الحلو / الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ، نشر مكتبة التعاون الثقافي ، ص١٣٢ : وملّ .

(٢) م ك : امتراء .

(٣) م ك : الغبى .

ولكــن وجـدي بـالعلا[١] وصبابتي ... بــعارفةٍ[٢] أسْـدي ومكـرمةٍ أجـدي
إلىٰ كـم تـقاضاني العـلا ما وعـدتها ... وغير رضى إنـجازك الوعـد بـالوعدِ
فكم أندب الموتىٰ وأسترشح الصـفا ... واسـتنهض الزمـنى واعـتان بـالرمدِ
وامــنح سـعيي والمـودّة مـعشراً ... أحق بـمقتي[٣] مـن سـواع ومـن ودِّ
إلىٰ الله أشكـو عـثرة لو تـدوركت ... بتمزيق جلدي ما أسفت علىٰ جلدي
مـديحي رجـالاً بـعضهم اتـقي بـه ... أذاه وبـــعض للــمراعــاة والودِ
فـلا الود كـافي ذا ولا ذا كـفىٰ الأذىٰ ... ولا نـظروا فـي بـابٍ ذمٍ ولا حـمدِ
فكـيف بـهم لو جـئتهم مـتشكياً ... خـصاصة أيـامي وسـمتهم رفـدي
فكـنت وإهـدائـي المـديح إلـيهم ... كـقابض[٤] أذنـاب المـهلبة العـقدِ
وقـائلةٍ هـوِّن عـليك فـإنّها ... مـتاع قـليل والسـلامة فـي الزهـدِ
فـإن عـلتِ الروسُ الذنـابُ بسكـرةٍ ... من الدهرِ فاصبرْ فهو سكـر إلىٰ حـد
فقد تملك الأنثىٰ وقد يُلثمُ الحـصىٰ ... ويُـتّبعُ الأغـوىٰ ويُسـجد للـقردِ
ويـعلو علىٰ البـحر الغثاء وتـلتقي ... عـلىٰ الدرّ أمـواج تـزيد عـلىٰ العـدِ
فكـم سـيد أمسـىٰ يكـفُر طـاعةً ... لأسود لا يرجىٰ لشكـر[٥] ولا شكـدِ
فلابد هذا الدهـر مـن صـحو سـاعةٍ ... يبين لها فيها الضـلال مـن الرشـدِ[٦]
فـقلتُ لهــا عـنّي إليكِ فـقلما ... يعيش الفتىٰ حتىٰ يوسد فـي اللحدِ

---

(١) م ك : العلىٰ .
(٢) ديوان ابن المقرب : لعارفة .
(٣) المصدر السابق : بمقت .
(٤) ديوان ابن المقرب : غابط
(٥) ديوان ابن المقرب : شكم .
(٦) ديوان ابن المقرب : القصد .

أبى الله لي والسؤدد العود إنني[١] ... بأرضٍ بها تعدو الكلاب على الأسدِ
ألم تعلمي أنَّ العتوَّ نباهةٌ ... وأن الرضا بالذلِ من شيمةِ الوغدِ
وأن مداراة العدو مهانةٌ ... إذا لم يكن من سكرة الموت من بدِ
أأرضى بما يرضى الذليل وصارمي ... حسامي وعزمي عزم ذي لبدة وردِ
ساسعى إلى العلياء سعي ابن حرة ... يُفَدَّى بآباء الرجالِ ولا يفدي
فإن أدرك الأمرَ الذي أنا طالبٌ ... فياجد مستجد ويا سعد مستعدِ[٢]
وإن اخترم من دون ما أنا آمل ... فيا خيبة الراجي ويا ضيعة الوفدِ
وإني لمن قوم يبين بطفلهم ... لدى الحدس عنوان السيادة في المهدِ
فإن لم يكن لي ناصر من بني أبي ... فحزمي وعزمي يغنيان عن الحشدِ
وإن يدرك العليا همام بقومه ... فنفسي تناجيني بادراكها وحدي
وإني لبدر ريع بالنقص واستوى ... كمالاً وبحر يعقد الجزر بالمدِ
إذا رجفتْ دارُ العدو مخافتي ... فلا تسألوني عن سعيدٍ ولا سعدِ
فآه لقومي حين أصبحُ ثاوياً ... على ماجدٍ يحي مكارمهم بعدي[٣]
فإنّي في قومي كعمرو بن عامر ... ليالي يُغْضَى من قبائله الأُزدِ
أراهم أمارات الخراب وما بدا ... من الجُرَذ العيَّاث في صخرها الصلدِ
فلم يرعووا[٤] مع ما رأوا فتمزقوا ... أيادي سبا في الغور فيها وفي النجدِ
وكم جرذٍ في أرضنا يقلع الصفا ... ويقذف بالشمِّ الرعانِ على الصمدِ

---

(١) أبى الله والسؤددان بأن أرى .

(٢) م ك : مستعدى .

(٣) م ك : الكلمة ساقطة .

(٤) م ك : يرعدوا .

خـــليليَّ مـــا دارُ المــذلةِ فــاعلما بداري ولا من مـاء سكـانها وردي[١]

ولا لي في أن أصحبَ النـذلَ حـاجةٌ لصـحةِ عـلمي أنـه جـربٌ يـعدي

أيـذهب عـلمي ظـلةً فـي معاشرٍ مشائيم لا تهدي لخير ولا تـهدي[٢]

سـهادهم فـيما يسـوء صـديقهم وانـوم عـن غـيظ العـدو من الفـهدِ

فإن وعـدوا الاعـداء خيراً وفـوا بـه وفـاء طـغام الهـند بـالنذر للـبُدِّ[٣]

وشـرهم حـق الصـديق فـإن هـذوا بـخيرٍ له فـليتنظر فـتحة السـدِ

سـتعلم هـندٌ أنـني خـير قـومها وأنـي الفتىٰ المـدعو للحلِ والعـقدِ

وأنـي إذا مـا جـلَّ خـطبٌ وردتـه بـعزمةِ ذي جـدٍّ وإقـدام ذي جـدِّ

وأن أيـادي القـوم أبسـطها يـدي وأن زنـاد الحـيِ أثـقبها زنـدي

وأني متىٰ يُـدعى إلىٰ البأس والنـدى فأحـضرها نـصري وأجـزلها رفـدي

وأن كـرام القـوم لا تُـهز العـدى ليـوجعها عـتبي ويـؤلمها فـقدي

قلت : لقد أجادَ وكانَ خيرَ هاد ، ولكنْ في قوله : يظنُّ نحولي ـ البيت ، وقوله : لعمرك ما همي ـ البيت ، سوءُ أدبٍ بأمثالِ وأشباهِ هندٍ ودعـد ، وليتَ عمري بماذا يرتدي إذا خلعَ ثوبَ الصبابةِ والتصابي ، وله في الحماسة أيضاً :

مـــاذا بـــنا فـــي طـلاب العـزِّ نـنتظرُ
وأي عـــــذرٍ إلىٰ العـــلياءِ نـــعتذرُ
لا الزنـــد كـــاب ولا الأبـــاء مــقرفةٌ
ولا بـــباعك عـــن بـاع العـلى قـصرُ

---

(١) م ك : ورد .

(٢) م ك : تهد .

(٣) أي (بوذا) وعبادته منتشرة في أقصى آسيا .

لا عــز قــومك كــم هــذا الخــمول وكــم
تــرعىٰ المــنىٰ حــيث لا مـاء ولا ثـمر[١]
فــاطلبْ لنــفسك عــن دارِ القــلىٰ بـدلاً
إن جــنة الخــلد فــاتتْ لم تــفتْ سـقرُ
أمـــا عـــلمت بأن العـــز مـــجلبةٌ
للـــذلِ والقـــلِّ مـــالم يـــغلب القــدرُ
وليس يـــدفع عـــن حـــي مـــنيته
إذا أتتْ عـــوذ الراقـــي ولا النُّشـــرُ
ولا يـــجلي هـــموم الطـــارقات ســـوى
نـــص النـــجائب والروحـــات والبكـــرُ
والذكـــر يـــحييه إمـــا وابـــلّ غـــدق
مـــن النـــوال وإمـــا صـــارم ذكـــرُ
واحســـرتا لتـــقضّي العـــمر فـــي نـــفرٍ
هـــم الشـــياطين لولا النـــطق والصـــورُ
لا يـــــرفعون إذا عـــــزوا بـــــمكرمةٍ
رأساً ولا يـــحسنون العـــفو إن ظـــفروا[٢]
يـــــود جـــــارهم الأدنـــــىٰ بأنـــــهم
أضـــحوا ولا مـــنهم عـــين ولا أثـــرُ

---

(١) ديوان ابن المقرب : شجر .

(٢) ديوان ابن المقرب : قدروا .

بُليتُ منهم بأخلاق[١] سواسية
تصعدوا بزمام اللؤم وانحدروا
خزر العيون إذا أبصارهم نظرت
شخصي فلا زال عنها ذلك الخزرُ
وغير متبعهم[٢]لؤماً فأظلمهم
الشمس يزوّر عن إدراكها البصرُ
لهم سهام بظهر الغيب نافذة
لم تكس ريشاً ولم ينبض بها وترُ
كم غادرت من فتىً حلو شمائله
يمشي وحشو حشاه الخوف والحذرُ
إن يظفروا بي فلا تشمخ أنوفهم
فإنما لعداهم ذلك الظفر
ألا فسل أيهم يغني غناي إذا[٣]
نار العدو تعالىٰ فوقها الشررُ
ومن يقوم مقامي يوم معظلة[٤]
لا سمع يبقىٰ لرائيها ولا بصرُ
ومن يسد مكاني يوم ملحمةٍ
إذا الغزالة وارى نورها القترُ

(١) ديوان ابن المقرب : أجلاف .
(٢) ديوان ابن المقرب : معنتهم .
(٣) م ك : أغنا غنائي إذ .
(٤) ديوان ابن المقرب : معضلة .

أمضىٰ من السيف عزماً حين تبصرهم
مثل الحداة إذا ما بلّها المطرُ
إذا نطقت فلا لغو ولا هذر
وإن سكت فلا عيّ ولا حَصَرُ
تجري الجياد وإن رثّت اجلّتها
ولا يغرك جلّ تحته دبَرُ
إنّي لأعجبُ من قومٍ رأو عسلاً
ظُلمي وأسوغ منه الصابُ والصبرُ
أيأمنون انتقامي لا أباً لهم
بحيث ليس لهم من سطوتي وزر
إني امرؤٌ إن كشرت الناب عن غضب
لا الخط يمنعُ من بأسي ولا هجر
فلا يغرنهم حلمٌ عُرِفتُ به
قد تخرج النار مما يقرع الحجرُ
إن تعمَ عن رشدها قومي فلا عجبٌ
من قبلهم عميت عن رشدها مضرُ
مالوا عن المصطفىٰ والوحي بينهم
وفيهم تنزلُ الآياتُ والسورُ
وقابلوه بكفران لنعمته
وكان خيراً من الكفران لو شكروا

فــإنْ تَــغَاضِيتُ عَــنْ قــومي فـعنْ كـرمٍ
مـــني ومـا ذنبُ كـل [القــوم] يُــغْتَفَرُ
وإنّ قـــــومي ليــؤذيني أداؤهـــم
ألامَ فـــــي ذلك اللّـــوام أم عـــذروا
لا عـيبَ فـيهم سـوى أنّـي شـقِيتُ بـهم
والذنب للـحظ والخسـران مـا خسـروا
ولو أشـــاء لمـــا ضـــاقتْ مـذاهِـبُها
عـــنّي وكـــان لي الإيـــراد والصـدَرُ
وكـــل ذي خــطرٍ فــي النــاس مــحتقر
عـــندي إذا لم يكـــن لي عــنده خـطرُ
فــليخش بأســي مــن طــالتْ حــماقتُهُ
فــرُبَّ عـــاجل شـــرٍ قـــاده أشــرُ
حسـبي مـن المكـذبي الآمـال لو بـلغت
مـني اللـيالي وفـي التـجريب مـزدجرُ
قـــوم كأنـــهم الدُّفـــلى يـــبين لهـم
نـــور يـــروقك مـــرآه ولا ثـــمرُ
يـــا شـــبه بـردية فـي المـاء مـنبتها
ولا نـــداوةَ فـــيها حـــين تُــعتَصرُ
لا تــلزموني ذنــباً فـــي رجـــائكم
فـــلست أول ســـار غـــرّه القـــمرُ

مـا كـنت أحسبكم كـالجوز ليس يُـرى
فـيه السـماحة إلا حـين يـنكسرُ
لقـد نأيت فـلم آسـف لفـقدكم
ولا تـداخـلني مـن نأيكـم ضـجرُ
والله مـا طـال لي وحشـةٌ لكـم
ولا عـرانـي مـن وجـدٍ بكـم سـهرُ
وإنـني لقـرير العـين مـذ شـطحت
بـي انـوىٰ عـنكم واخـرورط السـفرُ
كـم أشـرب الغـيظ صـرفاً مـن أكـفكم
ومـا يُـرجّـىٰ لشـرٍ مـنكم غِـيَرُ
لا حـلم يـردعكم عـمّا أسـاء بـه
ولا أطـيع بكـم جـهلي فـانتصرُ
فـجنبوني أذاكـم قـبل آبـدةٍ
تأتـي غشـاشاً فـلا تـبقي ولا تـذرُ
فـاستعصموابـرضائيواحـذروا سـخطي
فـجرح مـثلي فـي أمـثالكم هـدرُ
أنـا الذي يـرهب الجـبّار سـطوته
وبـي يُـقوّمُ مـن فـي خـدِهِ صـعرُ
أُنـمى إلىٰ الذروة العـليا فـتنجبني
أمـاجد ليس مـن عـيدانـها خـورُ

سمحٌ، بهاليل، عيافو الخنا، صبرٌ
يوم الكريهة طلابون إن وُتروا
غرٌّ، مغاوير، انجادٌ، خضارمةٌ
بمثلهم تحسن الأخبار والسيرُ
لا يسلمون لريب الدهر جارهم
يوماً ولا رفد راجي رفدهم غمر
كم نعمةٍ لهم لا يُستقلُّ بها
لا منَّ يتبعها منهم ولا كدرُ
لا يجبر الدهر هيضاً في كسيرهم
ولا تهيض يد الأيام ما جبروا
جبال عزٍ منيفاتٍ بحور ندىً
قلهذمات ليوث سادةٌ غررُ
لا تنكر الناس نعماهم وأنّهم
أهل العلاء وأهل الفخر إنْ فخروا

وله أيضاً لله دره:

رِدِي مُرَّ الحتوفِ ولا تراعي ... فما خوفُ المنيّةِ من طباعي
وعزماً صادقاً فلكم مضيق ... بصدقِ العزمِ صارَ إلىٰ اتساعِ
ومَنْ هَابَ المنيّةَ أدركتْهُ ... وماتَ أذلَّ مِنْ فقعٍ بقاعِ
ذريني والملوك بكلِّ أرضٍ ... أكايلها الردىٰ صاعاً بصاعِ
فما أيمانهم تعلو شمالي ... ولا أبواعهم تعدو ذراعي
تُخوِّفني ابنةُ العبدي حَتْفي ... وإقحامي المهالك واقتراعي

وتــعذلني عــلىٰ إنـفاق مــالي وتــزعمُ أنّــه لـلــفقر داعــي
فــقلتُ لهــا وقــد أربتْ وزادت رويـدك لا شـقيت فـلن تـطاعي
أمــا والأريــحية إنَّ سـمعي لمـا تـهذي العـواذل غير واعـي
أأحــفل بــالفراق وكـل شِـعبِ تُــصيِّرُهُ المــنون إلىٰ انـصداعِ
وأرهب أن أمــوت وكــل حـيٍّ ســينعاه إلىٰ الأقــوام نــاعي
وأخشــىٰ الفــقرَ والدنـيا مـتاعٌ وربــي بــالكرامِ ابــرٌ راعــي
دعــيني أركبُ الأهــوال إنّــي رأيتُ ركــوبها فــيه اتـداعـي
« فــما للـمرء خـير فـي حـياةٍ إذا مـا عـد مـن سـقط المتاعِ »
وإنّ بأرضــنا بــقراً شــباعاً[١] ولكــن بــين أســادٍ جـياعِ
وهل يهنا[٢] البهيمة خـصب مـرعى إذا مــا آنست صــوت السـباعِ
إذا راع الوداع قــلوب قــومٍ فــلي قــلب يـحن إلىٰ الوداع
وإن يــنزع إلىٰ الأوطــان غـمر فــإن إلىٰ النـوى ابـداً نـزاعـي
يــراع بــفرقة الأحـبابِ نكس ضعيف العزم اخـلا[٣] مـن يـراعـي
وكــم مــن فـرقةٍ طالت فكانتْ بُــعيد اليأس داعــية اجـتماعِ
تـقارعني الحـوادث عـن مرادي وأرجــوا أن يــذللها قــراعـي
وإنــي والعـلى[٤] فـرسا رهـانٍ كـما أنـا والنـدىٰ أخـوا رضـاعِ
ولست إذا الحــوادث نــاوبتني الاقــيها بآراءٍ شــعاعِ
ولكــني ألاقــيها بــعزمٍ وبــاعٍ فــي المكـارم أي بـاعِ

(١) م ك : جياعاً .
(٢) م ك : يهنى .
(٣) ديوان ابن المقرب : أخلى .
(٤) م ك : العلا .

سئمت تقلبي فوق الحشايا ... ونومي في الهواجر واضطجاعي
إذا يوماً نبتْ بي دارُ قومٍ ... فما تنبو المطي عن انتجاعي
سأطلب حق آبائي وحقي ... ولو من بين انياب الأفاعي
فإن الموت في طلب ارتفاع ... لديّ ولا حياة في اتضاعي
وثوب الليث فيّ إذا تبدت ... فريسته وإطراق الشجاعِ
تخادعني عن العليا رجال ... وأين بني[1] الفواعل من خداعي
أأبقىٰ تابعاً ولدي فضلٌ ... يسوم الناس كلهم اتباعي
يطاولني بقومي كل عبدٍ ... تنقل من لكاع إلىٰ[2] لكاعِ
أهم يهجوهم فأرىٰ ضلالاً ... هجائي دون رهط ابن الرقاعِ[3]
أنا ابن السابقين إلىٰ المعالي ... وأرباب الممالك والمساعي
حللنا من ربيعةَ في ذراها ... وجاوزنا الفروعَ إلىٰ الفراعِ
وقد علمت نزار أن قومي ... سيوف ضرابها يوم القراعِ
وأنّا المانعون حمىٰ معدٍّ ... وأهل الذب عنهم والدفاعِ
وما زالت مدىٰ الأيام منا ... لها راعٍ وساعٍ أي ساعِ
نهين لها البلاغ[4] ولا نحاشي ... ونوطئها البلاد ولا نراعي
وما حفظ العلى والمجد شيءٌ ... من الأشياء كالماء المضاعِ
وإن نفخر نجيء بكل ملك ... حليم قادر عاص مطاعِ

---

(١) م ك : بني .

(٢) ديوان ابن المقرب : في .

(٣) م ك : بن .

(٤) ديوان ابن المقرب : التلاد .

ونشري البيّعات[١] لكل خطبٍ ... عناها لا لبيعٍ وابتياعِ
بنينا مجدنا ورسى علانا ... بضرب الهام والكرم المشاعِ
بنا يستنسر العصفور عزاً ... وتخشى الأسد صولات الضباعِ
ومجهول إذا يُعزى كشيءٍ ... وإنسان وأخفى من نخاعِ
تركناه وكان كذا واضحى ... كمثل الطود ما بين البقاعِ
وإريسٍ جعلناه رئيساً ... يسوم الناس غير المستطاعِ
فصار يُعدُّ ذا عقلٍ ورأيٍ ... وكان يُعدّ في الهمج الرعاعِ
وأرعن باذخ صعب المراقي ... صككناه فآذن بانقشاعِ
فلا يستر فعنّ الحمق قوماً ... فكم من رفعة سبب إتضاعِ
فإن سيوفنا ما زال فيها ... شفاء للرؤوس من الصداعِ
يُخبّرُ تُبّعٌ عنّا وكسرى ... بذا والمنذران وذو الكلاعِ
فكم قِدْماً ربعنا من ربوعٍ ... بهنّ وكم ابرنا من رباعِ

قلتُ : لمْ يَشْبهِ ابن المقربِ هذا ، في بلادنا ، في جودة القريحة ، وحسن السبك ، ورقةِ الشعر ، إلا الشيخ جعفر الخطي ، ولم يسمحِ الزمانُ بمثلِ هذين الرجلين في جهتنا بثالث ، وسيأتي من شعرِ جعفر الخطي التوبي ، والخط : هي القطيف ، وهجرُ تعمُّ الأحساء والبحرين والقطيف ، وقد تُخصُّ بالبحرين فقط ، أما شعر أولاد أبي ذئب ـ وسيأتي بعضه[٢] ـ فهم أشعر أهل القطيف ، في عَصْرِنا ، لكنْ لا يصلُ شعرهم إلى شعرهما .

---

(١) م ك : السانعات .

(٢) لم أر خلال الكتاب في طوله وعرضه أي شعر لهم ولعل المؤلف عدل عن هذا أو أن الكتاب ناقص من وسطه أيضاً .

بشر:[١] يخاطب أخته عند قتله الأسد الغشوم المطلوب منه في زواج ابنة عمه:

أفاطم لو شهدتِ ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشرا
إذاً لرأيتِ ليثاً أمّ ليثاً ... هزبراً باسلاً وافى هزبرا
تبيهس إذ تقاعس عنه مُهري ... محاذرة فقلتُ عقرت مهرا
انِلْ قدميَّ ظهر الأرض إني ... رأيتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرا
فقلتُ له وقد أبدى نيوباً ... محددةً ووجهاً مكفهرا
يدلّ بمخلب وبحدّ نابٍ ... وباللحظات تحسبهنّ جمرا
نصحتكَ فاطْلبْ ياليثُ غيري ... طعاماً إنَّ لحمي كان مُرًّا
فأنتَ تروم للأشبالِ قُوتاً ... وأطلبُ لابنةِ الأعمام مهرا
فلمّا ظنّ أنَّ النصح غشٌّ ... وخالفني كأنّي قلتُ هجرا
مشىٰ ومشيتُ من أسدين راما ... مراماً كان إذ طلباه وعرا
يكفكفُ غيلةً إحدىٰ يديه ... ويبسطُ للوثوب عليّ أخرىٰ
جذبتُ له الحسامَ فظنَّ أني ... شققتُ له من الظلماءِ فجرا
وجدتُ له بحاسمةٍ برتهُ ... مصدقة لما أملتُ بكرا
فخرّ مضرّجاً بدمٍ كأني ... هدمتُ به بناءً مشمَخِرًا
بضربةِ فيصلٍ تركتْهُ شفعاً ... وكان كأنه الجلمود وترا
فقلتُ له يعزُّ عليَّ أني ... قتلتُ مُجانسي جلداً وقهرا
فلا تجزعْ فقد لاقيتَ حُراً ... يحاذرُ أن يُعابَ فمُتَّ حُرًّا

---

(١) بشر بن عوانه العبدي: اسمٌ اخترعه البديع الهمذاني، والقصيدة في مقامات البديع. الأعلام للزركلي ٢: ٥٥.

زُفَرْ بن الحارث بن معاذ[١] :

وكـنا حسـبنا كـلَّ بيضاء شحمةً ... ليـالي لاقـينا جـذام وحـميرا
فـلما قـرعنا النـبع بـالنبع بعضه ... بـبعض أبتْ عـيدانُـهُ أن تكسرا
ولمـا لقـينا عـصبةً تـغلبيةً ... يـقودون جـرداً للـمنية ضُـمَّرا
سـقيناهم كأساً سـقونا بـمثله ... ولكنهم كـانوا عـلىٰ المـوت أصبرا

رجل من بني الحرث بن كعب ونسبا إلىٰ المجنون أيضاً :

أمانيّ من سـعدى[٢] حسـاناً كأنـما ... سقتك بـه سـعدى عـلىٰ ظـمأٍ بـردا
متىٰ إن تكن حقاً تكن أحسن المنى ... وإلا فـقد عشـنا بـها زمـناً رغـدا

السيد المرتضى[٣] :

مـن الركبُ مـا بـين النـقا فـالأناعم ... نشـاوى مـن الإدلاج مـيل العَـمائمِ
ذكـرناكـم والعيسُ تـهوي رقـابها ... وأيـمـاننا مـبلولة بـالقوائـمِ
إذا هـزنا الشـوق اضـطربنا لهـزّهِ ... علىٰ شعث الرحل اضطراب الأراقمِ
وفـي الجـيرة الغـادين كـل ممنّع ... يشـير إليـنا عـن بـروق المـباسمِ
صـفحن إليـنا عـن خـدود أسيلةٍ ... دنوّ العـواطـي مـن ظـباء الصـرائـمِ
تـزودن مـنا كـل قـلبٍ ومـهجةٍ ... وزوّدنـنا للـوجد عـض الأبـاهمِ
خليلي هل زال الأراكُ وهـل عـفتْ ... مـغاوز أعـناق اللـوى والمـخارمِ
أُحب ثـرىٰ أرضٍ أقـام بـجوّها ... حـبيبٌ إلىٰ قـلبي وإنْ لـم يـلائمِ
ومـا أنسـم الأرواح إلا لأنـها ... تـجوز عـلىٰ تـلك الربـىٰ والمـعالِمِ

---

(١) الكلابي (أبو الهذيل) ، كان كبير قيس في زمانه ، شهد صفين مع معاوية . ت نحو ٧٥ هـ.
الزركلي / الأعلام : ج٣ ، ص٤٥ .

(٢) وضع المؤلف فوق كلمة سعدى (ليلى) إشارة إلىٰ اختلاف الرواية .

(٣) بل القصيدة للشريف الرضي ، وهي في ديوانه المطبوع . وكذلك القصيدة التي تليها .

وله أيضاً :

حلفت بأعلام المحَصَّبِ من منىً ... وما ضمّ ذاك القاع والمنزِلُ الرحبُ
لقد جلّ ما بيني وبينك عن قلىً ... سواءٌ تداني البُعد أو بَعُدَ القُربُ
ولي دمع عين لا يرفُقُ ساعةً ... ونار غرامٍ بين جنبيّ لا تخبُوا[1]
وقلب يمور الطرف إن قرّ في الحشا ... وطرف إذا سكنته نفر القلبُ
وجسمٌ إذا جردتَهُ عن قميصِهِ ... علىٰ الناسِ قالوا : هكذا يفعلُ الحبُّ
فمالي علىٰ ما بي أُعنَّفُ بالهوى ... ويومضني العذل المؤرّق والعتبُ
وهل لي بدارٍ أنت فيها إقامة ... فانشُرَ ما تطوي الرسائلُ والكتبُ

وله أيضاً :

رماني كالعدو يريد قتلي ... فغالطني وقال أنا الحبيبُ
وأنكرني فعرّفه إليه ... لظى الانفاس والنظر المريبُ
فقالوا لم اطعت ؟ وكيف ... أعصي أميراً من رعيته القلوبُ

وله أيضاً :

بتُّ ألهو بناعم الجيد غض ... وفم بارد المجاجةِ عذبِ
زارني واصلاً على غير وعدٍ ... وانثني هاجراً علىٰ غير ذنبِ
كان عندي أن الغرور لطرفي ... فإذا ذلك الغرور لقلبي

وله أيضاً :

الدمع مذ بَعُدَ الخليط قريب ... والشوق يدعو والزفير يجيبُ
ما كنت اعلم أن يوم فراقكم ... تبقىٰ عليّ نواظرٌ وقلوبُ
إن لم تكن كبدي غداة وداعكم ... ذابت فأعلم أنها ستذوبُ

---

(١) يرفق : يضعف .

داء طلبت له الإساءة لم يكن ... إلا التعلل بالدموع طبيبُ
اما أقمت فدمع عيني غالب ... لعواذلي وتجلدي مغلوبُ
أبقوا وَقِيدَك بعدهم لا بَردُهُ ... يرجىٰ ولا الآمال فيه تخيبُ

* * *

وحقك ما سلوت وليت أسلو ... ولا أهوى سواك ولا أحبُّ
حلوت فكل شيءٍ فيك عذب ... ورقت فكل قلب منك حبُّ
وحل هواك في طرفي وقلبي ... فكل جوارحي طرف وقلبُ

أبو فراس الحمداني :

وقفتني علىٰ الأسىٰ والنحيب ... مقلتا ذلك الغزال الربيبِ
كلما عاود* السلو رماني ... غنج أجفانه بسهم مصيبِ
فاتراتٍ قواتلٍ فاتناتٍ ... فاتكاتٍ سهامها في القلوبِ
هل لصبٍ متيّم من معين ... ولداء مخامر من طبيبِ
أيها المذنب المعاتب حتىٰ ... خلت أن الذنوب كانت ذنوبي
كمن كما شئت من وصالٍ وهجر ... من جوى الحب في عذاب مذيبِ
بين قرب منغّصٍ بصدود ... ووصال منغصٍ برقيبِ
يا خليليَّ خلياني ودمعي ... إنَّ في الدمع راحة المكروبِ
ما تقولان في جهاد محبٍّ ... وقف القلوب في سبيل الحبيبِ

(*) وردت هاتان الكلمتان بصورة أخرىٰ كالتالي : عادني ، أذى .

م : ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح وتقديم عباس عبد الستار ، ط دار الكتب العلمية / ص٢٦ .

إبراهيم بن عبد الله الوراق :

تــحب فــإن الحب داعــية الحب   وكم من بعيدٍ صار مستوجب القربِ
تــفكر فــإن حدثت أن أخـا الهوى   نجا سـالماً فـارج النـجاة مـن الحبِ
وأحســن أيـام الهـوى يـومك الذي   تــروّع بــالإعراض فــيه وبــالعتبِ
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضىً   فأيــن حــلاوات الرسـائل والكتبِ

العفيف التلمساني[1] :

لي مــن هــواك بـعيده وقـريبه   ولك الجـمال بـديعه وغـريبُهُ
يــامن أعـيذ جـماله بـجلاله   حذراً عـليه مـن العيون تُـصِيبُهُ
إن لم تكن عـيني فـإنك نـورها   أو لم تكــن قـلبي فأنت حَـبِيبُهُ
هــل حــرمة أو رحــمة لمتيَّم   قــد قـل مـنك نـصيره ونـصيبه
ألف القـصائد فـي هـواك تـغزّلاً   حــتىٰ كأن بك النســيب نَسِـيبُهُ
لم يــبقَ لي ســرّ أقــولُ تـذيعه   كــلا ولا قــلب أقــول كـذِيبُهُ
كــم لـيـلة قـضيتها مسـتهتراً   والدمع يـجرح مـقلتي مسْكـوبُهُ
والنـجم أقـرب مـن لقـاك مـناله   عندي وأبعد مـن رضـاك مـغيبُهُ

بعض شعراء اليتيمة :

فــديتك يــا أتـم النـاس ظـرفاً   وأصـــلحهم لمـــتخذٍ حــبيبا
فـوجهك نـزهة الابـصار حسـناً   وصــوتك متعة الأسـماع طـيبا
وســائلة تســائل عــنك قــلنا   لها في وصفك العـجب العـجيبا
رنـــا ظـــبياً وغــنّىٰ عــندليباً   ولاح شـــقائقاً ومشــىٰ قــضيبا

---

(١) سليمان بن علي العابدي ، صوفي ، شاعر ، له : شرح فصوص الحكم لابن عربي . ت ٦٩٠ هـ كحالة / معجم المؤلفين ؛ ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

صفي الدين الحلي :

أسبلنَ من فوق النهود ذوائباً ... فتركن[١] حباتِ القلوبِ ذوائباً
وجلون من صبح الوجوه أشعةً ... غادرن فود الليل منها شايبا
بيض دعاهن الغبيُّ كواعباً ... ولو اهتدىٰ رشداً[٢] لقال كواكباً
وربائب فإذا رأيت نفارها ... من بسط أنسك خلتهن ربار با
سفهنّ رأي[٣] المانوية عندما ... أسلبْنَ من ظلم الشعور غياهباً
وسفرْنَ لي فرأين شخصاً حاضراً ... شهدت[٤] بصيرته وقلباً غائباً
اشرقن في حللٍ كأن أديمها[٥] ... شفقٌ تزوّله[٦] الشموس جلابيا
وغربنَ في كللٍ[٧] فقلت لصاحبي ... بأبي الشموس الجانحات غواربا
ومعربد اللحظات يثني عطفه ... فتخال من مرح الشبيبة شاربا
حلو التعتب والدلال يروعه ... عتبي فلست تراه إلا عاتبا
عاتبته فتضرجت وجناته ... وازورَّ ألحاظاً وقطب حاجبا
فأراني[٨] الخد الكليم وطرفه ... ذا النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

أبو محمد الحسن بن وكيع :

يامن إذا لاحت محاسن وجهه ... غفرت بدائعها جميع ذنوبِهِ

---

(١) وفي ديوان الشاعر ط دار بيروت للطباعة والنشر ص٩٥ : فجعلن .

(٢) المصدر السابق : ولو استبان الرشد .

(٣) المصدر السابق : سفهاً رأين .

(٤) المصدر السابق : شدهت .

(٥) المصدر السابق : وميضها .

(٦) المصدر السابق : تدرّعه .

(٧) المصدر السابق : حللٍ .

(٨) المصدر اسابق : فأدابني .

النجم يعلم أن عيني في الدجى ... معقودة بطلوعه ومغيبِهِ
إن كان في تعذيب قلبي راحة ... لك فاجتهد بالله في تعذيبِهِ
أو كان سفك دمي إليك محبباً ... لرأيتني متضرجاً بصبيبِهِ

بعض شعراء اليتيمة :

يا من سقام جفونه ... لسقام عاشقه طبيبُ
حزت المودة فاستوىٰ ... عندي حضورك والمغيبُ
كن كيف شئت من البعاد ... فأنت من قلبي قريبُ

حسن البوريني الشامي :[(١)]

أما ينقضي هذا الغرام عن القلب ... أما ينطوي هذا الملام عن الصبِّ
ألا حاكم بيني وبين عواذلي ... يسائلهم ماذا يريدون من عتبي
ألا راحمٌ في الحب أشكو ظلامتي ... إليه فقد زادت يد البين في ضربي
ألا ساعة أخلو به فأبثه ... تباريح أقامت في قلبي[(٢)]
أما في الورى من فيه رقة رحمة ... فيبلغه حالي ويوصله كتبي
لقد ضاقت الدنيا عليّ لبعده ... علىٰ رحبها من غاية الشرقِ والغربِ

ذو الرمة :

إذا هبّتِ الأرواحُ من نحو منزلٍ ... به أهل ميٍّ هاجَ قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان فيه وإنما ... هوى كل نفسٍ أين حل حبيبها

---

(١) الحسن بن محمد الصفوري الأصل ، الدمشقي ، له : حاشية علىٰ تفسير البيضاوي . ت ١٠٢٤ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج٣ ، ص٢٨٩ .

(٢) الشطر غير مستقيم الوزن لنقصانه . ع .

أبو الثناء محمود :

قضىٰ وهذا الذي في حقهم يجب ... في ذمة الحب تلك الروح تحتسبُ
ما كان يوم رحيل الحي من اضم ... لروحه في بقاء بعدهم أربُ
صبٌّ بكىٰ أسفاً والشمل مجتمع ... كأنه كان للتفريق يرتقبُ
لم يدر أن قدود السمر مشبهة ... للبيض لو لم تكن أسماءها القضبُ
وظن كأس الهوى يصحو النزيف به ... مذ وهّمته الثنايا أنها الحببُ
نأوا فذابت عليهم روحه كمداً ... ما كان إلا النوىٰ في حتفه سببُ
يا بارق الثغر لو لاحت ثغورهم ... وشمت بارقها ما فاتك الشنبُ
ويا حباباهم لو لم تكن كلفاً ... ما بال عينك منها الماء ينسكبُ
ويا قضيب النوىٰ لو لم تجد خبراً ... عند الصبا منهم ما هزك الطّربُ
طوبى لقلبٍ غدا في الركب عندهم ... فإنَّه عندهم ضيف وهم غُربُ

أعرابي من بعض العرب :

لعمرك ما قرب الديار بنافعٍ ... إذا لم يصلْ حبل الحبيب حبيبُ
وليس غريباً من تناءت ديارُهُ ... ولكنَّ من يخفى فذاك غريبُ
ومن يغترب[1] والإلف راعٍ لعهده ... ولو جاوز العهدين فهو قريبُ

بعضُ الادباء :

يا إخوةً جرَّبتهم فوجدتهم ... من إخوةِ الأيام لا من إخوتي
لو كنتُ أعلم أن آخر وصلكم ... مللٌ وأن عهودكم لم تثبتِ
ما كنتُ ضيّعت الهوى مع مثلكم ... وزرعته في موضع لم ينبتِ
فلأرحلنَّ رحيلَ لا متأسفٍ ... أبداً ولا لدياركم متلفتِ

---

(١) م ك : يغرتف .

ولأنــــفضنَّ يـــديَّ يأساً مـنكم نــفض الأنامل من تـراب الميتِ
وأقـولُ للقلبِ المراجع نحوكم أخـــر خـطاك فـإن نـعلك زلتِ

* * *

شــيئان لو بكت الدمـاء عـليهما عـــيناي حـتىٰ يـؤذنان بـذهابِ
لم تـبلغا المـعشار مـن حـقيهما فـقد الشـباب وفـرقة الأحـبابِ

ابن قلانس :

الله يـــعلمُ أنّـــني مـــا خِـــلتهُ يـصبو إلىٰ الهـجران حين وصلتهُ
لا ذنبَ لي إلا هــــواه لأنّـــني لمـــا دعـــاني للـــغرام أجـبتهُ
أحـــبابنا أنــفقتُ عـمري فـيكم فـمتىٰ أعـوَّض بـعض ما أنـفقتهُ
ولمن أسير إلىٰ سواكم فـي الهوىٰ والقـلب فـي عـرصاتكم خـلّفتهُ
أأروم بـــعدكم مـحباً صـادقاً هـيهات ضـاق العـمر عـما رمـتهُ
وحـــياته مـــما أعـــظم ذكـره وهـو العـليم بـصدق ما قـد قـلتهُ
إن لامـــني لا لمـــته أو كـادني لا كـــدته أو خـــانني لا خـنتهُ
ولأصـــبِرَنَّ(١) عـلى تـغيرِ حـاله صـبر الكـرام وإن تـزايـد عـنتهُ
حـــتىٰ يـلين قسـاوةً لي قـلبه ويـــتم لي بـــالصبر مـــا أمّـلتهُ

* * *

هـجرَ السـلوَ وراحَ طـوع غـواتـه ورأىٰ قـبيحَ الغـي مـن حسـناتِهِ
للـــحب حـــبة قـلبه فكأنّـــه مـــن ذاتـــها وكأنـها مـن ذاتِـهِ
وغـدا الغـرامُ غـريمه مـن مـقلتي رشأ كـمال الحسـن بـعض صفاتِهِ
يـبدو عـلىٰ الورد الجـني إذا بـدا خـجل من التـقصير عن وجناتِهِ

---

(١) م ك : ولأصبر .

والغصنُ يقلق في الكثيب تدرباً بيسير ما يحكيه من خطراتِهِ
في خدِهِ ذهبٌ وأي مثوبةٍ يحظى بها لو خصَّني بزكاتِهِ
ولقد سقاني من كؤوس عذابه ضد الذي استعذبتُ من رشفاتِهِ
يمشي فيلقي خصره من ردْفِهِ مثل الذي القاه من أعناتِهِ
فكأنّ نملَ عذارِهِ قدْ خافَ أنْ يسعىٰ بها فيزل عن مرآتِهِ
لا يرع طرفك خضرة نبتت به فمصارع العشاق بين نباتِهِ
مثل الحسام تروق خضرةُ جوهر في متنه والموت في جنباتِهِ
لأخالِفَنَّ عواذلي في حبِهِ ولأعصينَّ الخلقَ في مرضاتِهِ
ولأقنَعنَّ من المنى بخياله زوراً يمنيني بخلف عداتِهِ
لا تنكرنَّ السحر فهو بطرفه ودليله ما فيَّ من نفثاتِهِ
سقمي يثبِّت ما ادعته جفونه فانظر لحالي وانج من لحظاتِهِ
يا طالباً خير الصبابة والأسىٰ سلني فإني من ثقات رواتِهِ
يغني أسير الحب قبل فنائه لشقائه ويموت قبل مماتِهِ
وعذابه عذب ولكن لا تفي لذاته بالنزرِ من آفاتِهِ

إذ أنه لم يحظَ بيسيرٍ من وصاله ، فلذا لم تفِ بقليلِ آفاتهِ لذاتُهُ .

أبو بكر السروجي:[(١)]

أنْعِمْ بوصلكَ لي فهذا وقتُهُ يكفي من الهجرانِ ما قد ذقتُهُ
أنفقتُ عمري في هواكَ فليتني أُعطى وصالاً بالذي أنفقتُهُ

(١) عبد الله (تقي الدين) بن علي بن منجد بن بركات (٦٢٧ ـ ٦٩٣ هـ) ولد في جزيرة ابن عمر ـ شمال الشام والعراق ـ ، وتوفي في القاهرة ، من مشاهير الصوفية . تاريخ الأدب / عمر فروخ ٣ : ٦٧٢ .

يـا مـن شُغلتُ بحبِهِ عن غيره ... وسلوتُ كلَّ الناسِ حين عشقتُهُ
كمْ جالَ في ميدانِ حبك فارسٌ ... بالصدقِ فيكَ إلىٰ رضاكَ سبقتُهُ
أنت الذي جمعَ المحاسنَ وجهُهُ ... لكن عليه تصبري فرّقتُهُ
قالَ الوشاةُ قد ادّعىٰ بك نسبةً ... فسُررتُ لما قلتَ قد صدّقتُهُ
بالله إنْ سألوكَ عنّي قلْ لهم ... أدري بذا وأنا الذي شوّقتُهُ
يا حسنَ طيفٍ من وصالك زارني ... من فرحتي بلقاكَ ما حققتُهُ
فمضى وفي قلبي عليه حسرةٌ ... لو كان يمكنني الرقاد لحِقْتُهُ

العفيف التلمساني :

لولا الحمىٰ وضباء بالحمىٰ عُرُبٌ ... ما كان في البارق النجدي لي أربُ
وفي رياضِ بيوتِ الحيّ من أضمٍ ... وردٌ جنيٌ ومن أكمامهِ النقبُ
يقضي بها لعيون الناظرين علىٰ ... كل القلوب قضاءً ماله سببُ
إلا تمارض أجفانٍ إذا فتكتْ ... فمقتضىٰ همها المسلوب لا السلبُ
أعاهدُ الراح إنّي لا أفارقها ... من أجل أن الثنايا شبهها الحببُ
وأرقبُ البرقَ لاسقياه من أربي ... لكنّه مثل خديه له لهبُ
يا سالماً في الهوى مما أُكابده ... رفقاً بأحشاء صبٌ مسّها الوصبُ

الأمير ناصر الدين بن محمد :

قلب المتيم كاد أن يتفتتا ... فإلىٰ متىٰ هذا الصدود إلىٰ متى
يا معرضين عن المحب تلفتوا ... فعوائد الغزلان أن تتلفتا
كنا وكنتم والزمان مساعد ... لله ذاك الشمل كيف تشتتا
صدٌّ وبعدٌ واشتياق دائمٌ ... ما كل هذا الحال يحمله الفتى

سعد الدين بن عربي :

أشكــو إلىٰ الله عــلّام الخـفيّاتِ ... من جورألحاظك المرضى الصحيحاتِ
إن أنكرتْ هذه الأجفان ما صنعتْ ... سلْ عن دمي الوجناتِ العندمياتِ
روتْ لواحـظها عـن بـابلٍ خـبراً ... ويـلاه من سـقم هـاتيك الروايـاتِ
ما زلتُ أخفي الهوىٰ عمن أجالسه ... حتىٰ بدتْ بعضُ أسراري الخفياتِ
فـيا جليسي إذا ما كـنت أكـتمه ... إن المـجالس فـاعلم بـالأماناتِ
لله سـربُ ظـباءٍ مـن بـني أسـدٍ ... جـررتُ مـعهنّ أذيـالَ المسـراتِ
خـلّفتُ أحـداقـها بـعدي وأوجـهها ... كـم مِنْ عيونٍ تـركناها ووجـناتِ

البهاء زهير :

يـعاهدني لاخـانني ثـم يـنكثُ ... وأحـلف لاحـدّثتُهُ ثـم أحـنثُ
وذلك دأبــي لا يــزال ودأبـه ... فيا معشر الناس اسمعوا وتـحدّثوا
أقــولُ له صـلْني يـقولُ نـعمْ غـداً ... ويكسـرُ جـفناً هـازئاً بـي ويـعبثُ
وما ضرّ بعضَ الناسِ لو كان زارنـي ... وكـنا خـلونا سـاعةً نـتحدّثُ
أمـولاي إنّـي فـي هـواكَ مـعذبٌ ... وحـتام أبـقىٰ فـي الغرام وأمكثُ
فخذْ مرةً روحـي أتـرضى ولا أرى ... أمـوتُ مـراراً فـي النـهار وأبْـعثُ
وإنّـي لهـذا الضيم منكَ لحاملٌ ... ومـنتظر لطـفاً مـن الله يـحدث
أعـيذك مـن هـذا الجـفاء الذي بـدا ... خـلايقك الحسـنىٰ أرقُّ وأدمثُ
تـردد ظـنّ النـاس فـيّ فأكـثروا ... أقـاويل فـيها ما يـطيب ويـخبثُ
وقد كرمت في الحب مني شـمائل ... فـيسأل عـني مـا أراد ويـبحثُ

أبو الثناء محمود :

رقّ العـذولُ لمـا القـىٰ بكـم ورثـا ... لمّـا رأىٰ صـدكم عـن حـبكم عـبثا

نكثتم حبلَ ودي بعد صحّته   وطال ما قلتم لي كان من نكثا
أين الوفاء الذي كنا نظن وما   هذا الجفاء الذي من بعدنا حدثا
فآه نفثة مصدود بحبكم   ومن يذق هجر من يشتاقه نفثا
وكم حلفت يميناً لا اعاتبه   ولست أول صبٍ في الهوى حنثا
ويح المحب متى صدّتْ حبائبه   يوماً قضىٰ وإذا ما واصلوا بُعثا
قضىٰ فناحت عليه الورق من حزنٍ   فسجعها بين أبناء النشيد رثا

ظافر الحداد[1] :

لمن الشموس غَرِبْنَ في الأحداجِ   وطلَعْنَ بين الوشي والديباجِ
من كل رائقة الجمال كدميةٍ   من مرمرٍ أو صورةٍ من عاجِ
حفّتْ بهنّ صواهل وذوابل   ومشت بهنّ روامك ونواجي
فيهن هيفاء القوام كأنها   غصن ترنّح في نقاً رجراجِ
تجلو الظلام بأبرق من ثغرها   فكأنها فَرَتِ الدجى بسراجِ
وينمّ ما ألقت عليه نقابها   كالخمر راقت في صفاء زجاج
شمس يزيد مع النهار ضياؤها   بدر ينور من الظلام الداجي
لجمالها خَيرُ النساء ويوسفٍ   ولمقلتيها سيرة الحجاجِ
مالي وللعذال في كلفي بها   قد دام فيه لجاجهم ولجاجي
ألفوا الملام كما ألفت خلافهم   جهدي فذاك مزاجهم ومزاجي
لو أنصفوني في الغرام اجبتهم   عنه ببعض أدلتي وحجاجي
ما باختياري كان بدء دخوله   قلبي فألزم فيه بالاخراجِ

---

(١) ظافر بن القاسم الجذامي ، الأسكندري ، توفي بالقاهرة ٥٢٩ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٥ ، ص٤٧ .

السيد علي خان:

مـا عـلىٰ حـاديهم لو كـان عـاجا فقضىٰ حين مـضىٰ للـصب حـاجا
ظـعنوا والقـلب يـقفو إثـرهم تـبع العـيس بكـوراً وادّلاجـا
سـلكوا مـن بـطن وجٍّ سـبلاً لاعدا صـوب الحـيا تـلك الفـجاجا
هـم أراقـوا بـنواهـم أدمـعي وأهـاجوا لاعـجَ الوجـدِ فـهاجا
كـم اداجـي فـي هـواهـم كـاشحاً اعـجز الكـتمان مـن حب فـداجـى
وعـذولاً يـظهر النـصح بـهم كـلما نـهنهتهُ زاد لجـاجا
طـارحـتني الورق فـيهم شـجناً والصّبا أوحت شجاً والبـرق نـاجى
يـا بـريقاً لاح مـن نـحوهم يـصدع الجـو ضـياء وانـبلاجا
أنت جـددت بـتذكارهم للـحشا وجـداً وللـطرف اختلاجا
هـات نشـراً مـن أحـاديثهم إنـها كـانت لمـا أشكـو عـلاجا
عـلها تـبرد وجـداً كـامناً كـلما مـرت بـه زاد هـياجا
خـطرت سكـرى بـريّاً نشـرهم وتـحلّت مـنهم عـقداً وتـاجا
يـحسد الروض شـذاهـا سـحراً فـترىٰ الأغـصان سِـرّاً تـتناجا
آه مـن قـوم سقوني فـي الهوى صـرف حبٍ لم أذق مـعه مزاجا
خـلفوا جسـمي وقـلبي مـعهم كيف ما عاجت حداة الركب عـاجا
أتـراهـم عـلموا كـيف دجـى مـربع كـانوا لنـاديه سـراجـا
أم دروا أنـا وردنـا بـعدهم سـايغ العـذب من البـلوى اجـاجا
وهـم غـاية آمـالي هـم سار في الحب بـهم ذكـري فـراجا
لا عـراهـم حـادث الدهـر ولا بـرحت أيـامهم تـبدي ابـتهاجا

السيد المرتضى :

مــــولاي يـــا بــدرَ كــلِّ داجِ — خذ بيدي قد وقعت في اللُّججِ
حُســـنُك لا تــنقضي عــجائبه — كـالبدر حـدّث عنه بـلا حرجِ
بـحقّ مـن خَـطَّ عـارضيك ومن — سـلّط سـلطانها عـلىٰ المـهجِ
مـدَّ يـديك الكـريمتين مـعاً — ثـم ادع لي مـن هـواك بـالفرجِ

ابن نباته المصري :

إنسـانُ عـيني سـاهرٌ بكَ سـانحٌ — يـا أيّـها الإنسـانُ إنّك كـادحُ
وجـوانـح بـليت عـليك تأسـفاً — هـذا وهـنَّ إلىٰ هـواك جـوانحُ
يـا معرضاً قـلبي عـليك ومـدمعي — هـذا مـقيم هـوىً وهـذا نـازحُ
يا يـوسف الحسـن البـديع جـماله — والله مـا عـيشي بـهجرك صـالحُ
إنْ كـانَ وجـهُكَ بـدر سـعد إنّـه — مـن لحـظك الفـتان سعد ذابحُ
ولقد يجدد فـيك جـرح حشـاشتي — طـير عـلىٰ البـان المـرنّح صـادحُ
يا فرط ضعفي حيث صرتُ فريسة — وحـمام بـانات الحمىٰ لي جـارحُ
عجباً لشخصك نفاراً جـرح الحشـا — فـهو الغـزال لديّ وهـو الجـارحُ

بهاء الدين زهير :

لكــم مـنّي الود الذي ليس يـبرح — ولي مـنكم الشـوق الشـديد المـبرِّحُ
وكـم لي مـن رسـلٍ وكـتب إليكـم — ولكـنها عـن لوعـتي ليس تُـفصِحُ
وفـي النـفس مـالا أسـتطيع ابـثه — ولست بـه للكـتب والرسـل اسمحُ
سلوا الناس غيري عن وفائي بعهدكم — فـإنّي أرىٰ حـمدي لنـفسي يـقبحُ
أأحــبابنا حـتىٰ مـتىٰ وإلىٰ مـتىٰ — الوِّحُ بـالشكوىٰ لكــم واصـرِّحُ
حـياتي وصـبري مـذ نأيـتم كـلاهما — غــريب وإنّــي للـغريبين أشـرحُ

رعىٰ الله طيفاً منكم بات مؤنسي ... وما ضره إذ بات لو كان يصبحُ
وبي رشأ ما فيه قدح لقادح ... سوىٰ أنه من خده النار تقدحُ
فتنت به حلواً مليحاً فحدثوا ... بأعجب شيء كيف يحلو ويملحُ
تبرأ من قتلي وعيني ترىٰ دمي ... علىٰ خده من سيف جفنيه يسفحُ
وحسبي ذاك الخد لي منه شاهداً ... ولكن أراه باللواحظ يجرحُ
واسمر أما قده فهو أهيف ... رشيق وأما وجهه فهو أصبحُ
كأن المدام الصرف مالتْ بعطفِهِ ... كما مال بالارجوحة المتأرجِحُ

شهاب الدين التلعفري :[1]

لو لم تدر بيمينهِ الأقداح ... دارت بمقلته علينا الراحُ
قمرٌ لنا من حسن بنت عذاره ... وخدودهِ الريحانُ والتفاحُ
يا جوهري الثغر ـ لا ومضعف ... من كسر جفنك ـ ماالقلوب [صِفاحُ]
فعلت بنا الألحاظ والأعطاف ما ... لا تفعل الأسياف والأرماحُ
أسرفت بالألحاظ حسبك ما دمي ... لك بالدلال والملال مُباحُ
أجمال وجهك قال غير مراقب ... اهجر وصد فما عليك جناحُ
عطفاً علىٰ ذي لوعةٍ مشوبةٍ ... متقاصرٌ عن شرحها الايضاحُ
قلبي بتكملةِ الغرام مفصلٌ ... وأظنُّ ليس مجاله إصلاحُ
لو لم اطع فيك الصبابة ما أنثنت ... عني بعصياني لها النصّاحُ
هجرانك الأحزان قد قرنت به ... ورضاك قد قرنت به الأفراحُ
شقيت بك الأجسام إلا أنها ... سعدت براحة حسنك الأرواحُ

---

(١) محمد بن يوسف الشيباني ، ولد بالموصل ، من شعراء الملك موسىٰ الأيوبي . ت ٦٧٥هـ.
كحالة / معجم المؤلفين ؛ ج١٢ ، ص١٣٨ .

وله أيضاً :

هل في اللحاظ كنائن وصفاح ... أم هذه السمر القدود رماحُ
لو لم يكنّ كذاك ما أصبحن في ... كبدي لهن مواقع وجراحُ
ما للجفونِ الفاتراتِ لحاظها ... تَيمُّننا مرضىٰ وهُنَّ صحاحُ
أفسدنَ يوم سويقة قلبي فما ... يرجىٰ لما أفسدْنَهُ اصلاحُ
إن الصرايم بالصريم عرضنني ... ولهن في ذاك المراح مراحُ
وممنع صعب المرام وصاله ... إعراضه لي والصدود مباحُ
علقته شجناً وفيه قطيعةٌ ... وألفته سكناً وفيه جماحُ
أحوىٰ أغر كأن فاحمَ شعره ... ليلٌ تلاه من الجبين صباحُ
ترف تظنّ قوامه ريحانة ... كل إلىٰ أرجائها يرتاحُ
نوحوا عليَّ بني الصبابة واندبوا ... حرقاً فمثلي من عليه يُناحُ

وله أيضاً :

لولا بروق بالغوير تلوح ... تغدو علىٰ هضباته وتروحُ
مازاد قلبي لوعة كلّا ولا ... أدمي خدودي ادمعي المسفوحُ
ويح الصبا حتام يذكرني الصبا ... منها نسيم كالعبير يفوحُ
خطرت وقد اهدىٰ لنا منها الشذا ... غار الغوير ورنده والشيحُ
يا أهل ودي يوم كاظمةٍ أما ... عن مثلكم صبْرِيَ الجميل قبيحُ
قلبي بحقهم لعهدي شاهد ... لا أرتضيه لأنه مجروحُ
من لي بطيف منكم إن أغمضتْ ... عيني يعين علىٰ الأسىٰ ويروحُ
هذي الجفون وإنّما أين الكرى ... منها وهذا الجسم أين الروحُ

أبو الحسين الجزار :

ألقت أشـــعتها عـــليه الراح فـــازدادَ نـــوراً وجـهه الوضّـاحُ
أخـضرٌ مـن صـدغيه آس عـذاره واحـــمرٌ فـــي وجـناتِهِ التـفاحُ
وسكـرتُ مـن أجـفانه وكـؤوسه فـــتساوت الأحـــداق والاقــداحُ
مـا كـان أولانـي بـرشفِ رضابه لو أنّ ذاك الثـغر مـنك مـباحُ
ارتـاح إن ذُكـرَ العـذيبُ وبـارقٌ شـــوقاً إليـــه وكـيف لا أرتـاحُ
قـال العـذول وقـد جنحت لحبه هـم فـي هـواه فـما عـليك جناحُ
يـا شـعره وجـبينه لولا كـما لم يُـعرف الإمســاء والإصـباحُ
أمست قـلوب العـاشقين إليكـما ولهـــا غــدو فـــيكما ورواحُ
ظهرت علىٰ العشاق أسباب الهوى سـيّان إن كـتموا الهـوىٰ أو بـاحوا

الشهاب بن أبي حجلة :[1]

أجريت مجرد دمعي فيك منسرحا لمـا رأيـتك بـالهجران منشرحا
إن لم يعد وصلك المـاضي بـحالته فالحال ما حال والتـبريح ما بـرحا
إن المــقيم عـلىٰ ما كـنت تـعهده مني ولكن فـيض الدمـع ما نـزحا
لئن عفىٰ ربع صبري في هواك فما أرىٰ غرامـي عـفا عـني ولا صـفحا
كأن أجـفان عـيني حين أفـتحها باب السماء بضرب المزن قد فـتحا
إن كنت زكّيت دَمْعَ العين حين جرىٰ دماً فشـاهِدٌ قـلبي فـيه قـد جُـرحا
فما عصىٰ طرفه عاصي الدموع ولا اطـاع عـاذله فـي الحب إذ نـصحا
يبكي علىٰ طيب عيشٍ بالحبيب حلا ومـرّ فـاعتاض بـالتبريح ما بـرحا

---

(١) أحمد بن يحيىٰ التلمساني له : منطق الطير ، ديوان الصبابة . ت ٧٧٦ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٢ ، ص٢٠١ .

صبٌّ ينادمه ساقي أحبَّتِهِ فما حسا قدحاً إلا بكىٰ قدحا
يا صاح دعني وسكري في محبته متىٰ سمعت بسكران الغرام صحا

الشهاب المنصوري :

اعيذ وجهاً منك كالبدر لاحْ بالفجر من عين رقيب ولاحْ
يا لحظه رفقاً علىٰ مهجتي فقد تعديت حدودَ الصفاحْ
يا شعره الداجي ويا وجهه حيرتماني في المسا والصباحْ
مالي إذا ما جئت شاكي الهوى للحظه القاه شاكي السلاحْ
إلفٌ نأى عني مراراً وقد خلفني إلف النوىٰ والنواحْ
وا أسفا أما شذاه فقد ضاع واما ريقه فهو راحْ
ياليت شعري هل علىٰ ضمةٍ من قامةٍ أو قبلةٍ من جناحْ
يا ساقياً يعرض كأس الطلا علي مابين الوجوه الملاحْ
هنيئاً أشربها فمن مدمعي لي اغتباق دائماً واصطباحْ

جمال الدين بن نباته :

نجومٌ تراعيها جفونٌ سوافح فلا طيفكم دانٍ ولا الليل نازحْ
أيا خلة عني بطيف خيالها عسى ولعل الدهر فيك يسامحُ
وتاركة قلبي كليماً وناظري ذبيحاً فليس العيش بعدك صالحُ
لمحتك للحين المصادق لمحة فطاحت باحشائي عليك الطوامحُ
وما كنت إلا الظبي جيداً ومقلةً فلا غرو ان اهدت إليك الجوارحُ
ولم انسَ يوم البين ايماء طرفِها وعيس المطايا بالفلاة جوانحُ
فليت الردىٰ أجرىٰ دم العيس ناحراً وسالت بأعناق المطئ الأباطح

وله أيضاً :

سرت قمراً في حالك الشعر في جنحِ بسفح النّقا آهاً على زمن السفحِ
مـحجبةٌ لا طعْنَ فيها لحاسدٍ على أنّـها تـمشي فتهتز كالرمحِ
سقىٰ الله ليلاً صالحت فيه باللقا فما كان اشهىٰ من لقاء ومن صلحِ
أسدُّ بطولِ اللثم فاها مخافةً علىٰ ليلتي أن يهجم الثغر بالصبحِ
ويخطر في وشي الحرير قوامها ونجم الدجىٰ بالغيظ بعثر في صبحِ
ليالي لقاً لا عيب فيها لناقدٍ سوىٰ أنّها مرتْ علىٰ الطرفِ كاللمحِ

صلاح الدين الصفدي :

طرفٌ تَقلّدَ بالمدامعِ واتشحْ وطمى به بحرُ البكا لما طمحْ
أرسلتُهُ عن غرةٍ يرتاد لي خبراً فأحمدني السُرى لما سرحْ
وأردت كتمانَ الهوىٰ عن عاذلي فوشتْ به عبراتُهُ حتىٰ افتضحْ
فالصَبُّ صبٌّ دمعه قد صبّهُ فجرىٰ علىٰ وجناته حتىٰ جرحْ
يا قلب هذا للهوى أنموذجٌ فتنحَّ عما قد وقعت به تنحْ
فأجابني هذا الغرام ألفته وعرفته وذريت هذا المصطلحْ
بأبي مليح حسنه أضحى على وفق المحب كما اشتهى وكما اقترحْ
فقوامه من لينه أو لونه أو كونه فوق الذوابل قد رجحْ
متأود لولا جوارح طرفه كان الحمام علىٰ معاطفه صدحْ
قابلت نسخة حسنه في خاطري وكشطت سلواني له وعليه صحْ
خدٌّ تفتح ورده في روضه أو ما تراه بماء وردٍ قد رشحْ
حدق أدارت لي كؤوس سلافها أو ماتراها حين تقلبها قدحْ
وذوابةٍ مثل الظلام يزينها فرق كمبيض الصباح إذا وضحْ

ورضـــابه لو أن طـــفلاً ذاقـــه اضـحى يـحرك رأسـه ويـقول نـخْ
وكذاك يبهت فـي مـحاسن وجـهه ويـظل فـيه شـاخصاً ويـقول دخْ
مـا جـاز فـي أدنـىٰ مـلامة عـاذل هل يسمع الأطروش ما قـال الأبـخْ

أبو علي الأندلسي:[١]

ألا يـا ليـلُ هـل لك مـن صباحِ وهل لأسيرِ نـجمِكَ مـن بـراحِ
ألا يـا ليـل طـلتَ عـليّ حتىٰ كأنّك قـد خُـلقتَ بـلا صـباحِ
أردّد زفـــرةَ المـضنى كأنّـي جـــريحٌ أنّ مـن ألم الجـراحِ
يـقلبني الأسـىٰ جـنباً لجنبٍ كأنـي فـوق أطـراف الرمـاحِ
فلو اسـطيع مـن طـرب وشـوق ركـبت إليك أجـنحة الريـاحِ
أحـــبتنا رويـــدكم عـــلينا فقد جمح الهـوى كـل الجـماحِ
فـلو شـئتم لمـا حسـن انـفرادي بـاشواقـي ولا وجب اطُّـراحـي
وقـلتم أنّكـم تـجدون وجـدي وهيهات المراض مـن الصـحاحِ
نـــعاتبكم لأنكـــم بـــخلتم وأنـتم قـادرون عـلىٰ السماحِ

الشهاب الأعزازي:

كـتم الحب زمـاناً ثـم بـاحا وغدا فـي طاعة الشـوق وراحـا
عـاشق إن ضـحك البـرق بكـى وإذا مـا غـنّت الورقـاء نـاحا
فــي سـبيل الحب مـنه كـبد أوثقتها الحـدق النجل جـراحـا
أكـــثرت عـــذاله اللــوم ولو انصفوا أو عرفوا لاموا المـلاحا
وبكـــته عـــائدوه رحـــمةً خشيةَ الموت ولو ماتَ استراحا

(١) محمد بن الحسين الأنصاري، عروضي، له كتاب العروض الأندلسي. ت ٦٢٦ هـ. كحالة / معجم المؤلفين: ج ٩، ص ٢٣٤.

يا جفوني بالبكا كوني كراماً		أنا لا أصحب أجفاناً شِحَاحَا

شمس الدين النواجي[(١)]:

إن خط عارضه في الخد أو نسخا		آيات حسن فعشقي فيه ما نسخا
وإن تلت آية من ليلِ طُرَّتِه		فمنه لاح نهار الثغر وانسلخا
ذو مبسم سكري حل قرقفة		اما تراه بنار الخد قد طبخا
وعمُّه حسنٌ خال في الخديد غدا		له الشقيق شقيقاً والهلا أخا
يا باخلاً بخيالٍ منه في حلم		على محبُّ بِدُرٌ المقلتين سخا
رفقاً بطائر قلبي ما رأى غصناً		شوقاً لعطفك إلا صاح أو صرخا

قلت : غدا هنا أخت صار ، فلذا انتصب (شقيق) و (أخ) .

ابن مشرف :

يا معرضاً جعل القطيعة سرمداً		اقصر فديتك قد تجاوزت المدا
لابات طرفك في المجنة مثل ما		قد بات طرفي في هواك مُسهَّدا
أمسى بهجرك والصدود مروعاً		قلقاً واصبح بالفراق مهددا
قلبي ودمعي يا حبيبي اصبحا		مذ غبت عني مطلقاً ومقيدا
عودتني طول البكاء صبابة		ما كنت قبلك بالبكاء معوّدا
ومتى طلبت على الصبابة مسعداً		لم ألق إلا دمع عيني مسعدا
أمستْ عيوني بالبكاء وإنّما		نظر الكرى لدموعها فتشردا
لم يكفني ما بتُّ فيه من الأسى		حتى لحى اللاحي عليك وفندا

---

(١) محمد بن حسن النواجي القاهري ، له : روضة المجالسة في بديع المجانسة ، ت ٨٥٩ هـ.
كحالة / معجم المؤلفين : ج٩ ، ص٢٠٣ .

شرف الدين عبد العزيز :

أميّالة الأعطافِ ـ لا لي ـ إلىٰ الرضا … ودائمة الإعراض ـ لا لي ـ عن الصدِّ
تقضّىٰ زماني في هواكِ وما انقضى … غرامي ولابلّغت من وصلكم قصدي
وما فزتُ إلا من بعيدٍ بنظرةٍ … وهل تُنظرُ الأقمارُ إلا من البعدِ

أبو محمد الخفاجي :[1]

ومهون للوجد تحسب أنّه … يوم العذيب مدامع وخدودُ
سل بانة الوادي فليس يفوتها … خبر يطول به الجوى ويزيدُ
وإذا هبطت الواديين ففيهما … دمنٌ .. علىٰ البلا وعهودُ
وانشدْ معي ضوء الصباح وقلْ له … كم تستطيل بك الليالي السّودُ
واخدعْ فؤادي في الخليط لعله … يهفو علىٰ آثارهم فيعودُ

الشريف الرضي :

تحمَّل جيراننا عن منىً … وقالوا : النقا بيننا موعدُ
وهل نافعٌ قول ذي غُلّةٍ … وقد بعدُ الركبُ : لا تبعدوا[2]
تنادوا بأن التنائي غدا … لك السوء من طالع يا غدُ
فلله ما جمع المأزما … ن وجمعٌ ـ لقلبي ـ والمسجدُ
يُضاعُ فينشدُ قعب الغبوق … وقلبي يضاع ولا ينشدُ[3]
وغيداء من ماطلات الديون … لها بالحمى زمن اغيدُ

---

(١) عبد الله بن محمد بن سعيد ، له : سر الفصاحة . ت ٤٦٦ هـ.
كحالة / معجم المؤلفين : ج٦ ، ص١٢١ .
(٢) في الديوان : ناقعٌ ، وهو المسكِّن . ذو الغلة : العطشان .
(٣) القعب : القدح الضخم .

تــروع كــما التــفتت ظــبيةٌ ... بـذي البـانِ عــنَّ لهـا المـورِدُ[١]
نـظرتَ وهـيهاتَ مـن نـاظريكَ ... ظِـــباءُ تـــهامة يــــا مُـــنجِدُ
ويـــا ربـــما والهـــوى ظِـــلةٌ ... تـــرى العـــينُ مـالا تـنال اليـدُ

وله أيضاً :

يـــا عـــاتباً نـــقض الودادا ... اشــــمتْ بـــالقربِ البـــعادا
وتـــــركتني ولاشـــــوق يأ ... بـــــى أنْ يــــروّح لي فــــؤادا
تأبـــــىٰ ســـوابـــق عـــبرتي ... أن تــــخدع المــــقل الرقـــادا
لو أن طـــــرفي ســـار نـــخـ ... ـــوك لاتـــخذتُ النــومَ زادا
بســـطوا لنـــا أيـــدي النـــوا ... ل ولا نـــرى مـــنهم جـــوادا
قـــلبي أســـيرٌ فـــي حـــبالك ... لا أؤمِّـــــلُ أن يـــــقادا
يـــا بـــائعي[٢] بـــالنزر مـــخـ ... ـــتاراً ليـــبلغ مـــا أرادا
مـــن ضـــاعَ مـــثلي[٣] مـــن يـــديه ... فـــليتَ شـــعري مـــا استفادا

❁ ❁ ❁

إذا قلت يبلى الحب فيكم تجددا ... وعــاد بكــم ذاك الغــرام كـما بـدا
وأنتم أحبائي علىٰ السخط والرضـا ... فلا تفعلوا بي مثل مـا تـفعل العـدا
سـلام عـلىٰ أيـامكم مـا الذهـا ... واطـــيبها نـفسي لايـامكم فـدا
أيا واردين المـاء مـن شـعب رامـة ... أم تكـــفكم أمـواه عـيني مـوردا
ويا ساكنين القـلب كـيف سكـنتم ... بــه وهــو فــي نــارِ الغرامِ تـوقّدا

---

(١) في الديوان : تريع ، أي تخاف .
(٢) م ك : يا بايعي .
(٣) م ك : ساقطة .

* * *

غادرتني ملقىً علىٰ طرف الردى وتركتني من حيث يرحمني العدا
إحدى يديّ علىٰ فؤادي خافقاً وامد نحو الله مبتهلاً يدا
لم يُبْقِ مني مَنْ هويت بقية حتىٰ أقول له جعلت لك الفدا

الأموي[1] من النجديات :

لن أخلف الوعد حتىٰ يضعنون غدا وفي لي الطرفُ من دمعي بما وعدا
فلا ترىٰ لؤلؤاً من مبسم نسقا حتىٰ ترىٰ لؤلؤاً من مدمع بردا
يا سعد إن فراقاً كنت تحذره دنا لينزع من أحشائنا الكبدا
هلم نبكي علىٰ نجدٍ وساكنه فلن ترىٰ بعد نجد عيشةً رغدا
ويا هَزيم أما تبكي علىٰ وطنٍ يذيب من أدمعي ذكراه ما جمدا
هلَّا اقْتديت بسعدٍ في صبابته غداة مد لتوديع الحبيب يدا

ابن أبي مرة المكي :

إن وصفوني فناحلُ الجسدِ أو فتَّشوني فأبيض الكبدِ
اضعف وجدي وزاد في سقمي أن لست أشكو الهوى إلىٰ أحدِ
آه من الحب آه من كبدي إن لم أمتْ في غدٍ فبعد غدِ
جعلت كفي علىٰ فؤادي من حر الجوى وانطويت فوق يدي
كأن قلبي إذا ذكرتكم فريسة بين ساعدي أسدِ

---

(١) محمد بن أحمد القرشي الأموي الأبِيوَرْدي ، (ت ٥٠٧ هـ) ، مؤرخ وأديب ولد في أبيورد في خراسان ، ومات مسموماً في أصفهان . له : (تاريخ أبيورد) ، و (أنساب العرب) وغيرها . الأعلام للزركلي ٥ : ٣١٦ . والنجديات كتاب له في النسب في ألف بيت كما يذكر صاحب كشف الظنون مج٢ ص ١٩٣٠ .

من اليتيمة :

للحسن في وجهه شهود ... تشهد أنا له عبيدُ
كأنما خده وصال ... وصدغه فوقه صدودُ
يامن جفاني بغير جرم ... بشر فقد نلت ما تريدُ
إن كان قد رقّ ثوبُ صبري ... عنكَ فثوبُ الهوى جديدُ

السيد علي خان صاحب (سلافة الدهر في شعراء العصر) :

عبث الدلال بصدغه فتجعدا ... رشأ أجال علىٰ العقيق زبرجدا
وانحلّ أكسيرُ الحياء بخده ... فأحال فضته النقية عسجدا
وجرت مياه الحسن من وجناته ... فعلمت أن الورد كللّه الندى
قمرٌ تجرّىٰ في دجنةِ شعره ... فأبان ما بين الضلالة والهدى
جحد العذار نعيم وجنته لذا ... ألقاه في دار الجحيم مخلّدا
ظبيٌ له لحظٌ تهنّدَ جفْنُهُ ... أرأيتَ جِفناً صارَ منه مهنّدا

العفيف التلمساني :

لا تُخدعنَّ برقةٍ في خدهِ ... فالسيف قتال برقة حدِهِ
ودعِ الجفونَ فإنما وسناتها ... أضحىٰ سناناً في مثقف قدِهِ
وسرىٰ إلىٰ جفني الضنا من جفنه ... فهويتُ ذاك لأنّه من عندِهِ
من منصفي من قربِهِ فلقدْ أبىٰ ... قربى ومن ذا منقذي من بُعدِهِ
يا بانة الوادي ويا ورقاءه ... نوحي لغصنكِ إذ أنوحُ لقدِّهِ
أنتِ الحزينةُ والحزينُ أنا ... فكلانا معذورٌ ينوح لوجدِهِ
حالي وحالك كالمجاور كفّه ... للماء يعرف حره من بردِهِ

الطغرائي :[١]

إنّـي لأذكـركم وقـد بـلغ الظـما ... مـني فأشـرق بـالزلال البـاردِ
وأري العدى أن الاسـاءة منكم ... خـطأ وتـلك سـجية مـن عـامدِ
ويصحُ لي قـول الوشـاة عـليكم ... فأردُه عـنكم بـظنٍ فـاسدِ
وإذا طويت هواك عنهم نـمّ بـي ... وجـدٌ يـدل عـلىٰ لسـان حـامدِ
وأقـول ليت أحـبتي لاقـيتهم ... قـبل المـمات ولو بـيومٍ واحـدِ
وإذا سُئلتُ عـن السـلوّ أجبتهم ... بـلسانِ مـعترفٍ ونـية جـاحدِ
إنْ لم يكـنْ سـحراً هـواك فـإنه ... والسـمر قـدا مـن أديـم واحـدِ
ما زلت ازهـد فـي مـودة راغب ... حـتىٰ ابـتليت بـرغبةٍ فـي زاهـدِ
ولربـما نـال المـراد مـرفةٌ ... لم يسع فيه وخاب سعي الجاهد
هـذا هـو الداء الذي ضـاقت بـه ... حيل الطبيب وطال يأس العـائدِ

الحسن بن عبد علي الفهري :[٢]

يـا ليـلُ الصبّ مـتى غـده ... أقـيام السـاعة مـوعدُهُ ؟
رقـد السُّـمارُ فأرقّـه ... أسـفٌ للـبين يُـردِّدُهُ
فـبكاه النـجم ورق له ... مـما يـرعاه ويُـرصدُهُ
كَـلِفٌ بـغزالٍ مـمتنعٍ ... خـوفُ الواشـين يُشـرِّدُهُ

---

(١) أبو اسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي الطغرائي ولد عام ٤٥٣ هـ وتوفي عام ٥١٥ هـ والقطعة موجودة في ديوانه المطبوع ص ١٤١ باستثناء البيت الخامس فإنه غير موجود فيه .

(٢) هكذا ذكر المؤلف رحمه الله اسم الرجل ، والصحيح : أنه أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المعروف بالحصري القيرواني ، وليس هو صاحب زهر الآداب وهذه القصيدة نالت شهرة كبيرة وجاراها كثير من الشعراء قديماً وحديثاً وهي تسعة وتسعون بيتاً : راجع تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ج٤ ص٧٠٧ .

نـصبت عـيناه له شـركاً ... فـي النـوم فـعزَّ تـصيّدُهُ
وكـفىٰ عـجباً أنـي قـنص ... للأسـد سـباني أغـيدُهُ
صَـنَمٌ للـفتنة مـنتصبٌ ... اهـواه ولا اتـعبدُهُ
صـاحِ والخـمر جـنى فـمه ... سكـران اللـحظ مـعربدُهُ
يـنضو سـيفاً مـن مـقلته ... فكأنَّ نـعاساً يُـغمدُهُ
فـيريق دمَ العشـاقِ بـهِ ... والويـل لمـن يـتقلّدُهُ
كـلا لا ذنب لمـن قـتلت ... عـيناه ولم تَـقْتل يـدُهُ
خـداك قـد اعترفا بـدمي ... فـعلام جـفونك تـجحدُهُ
إنـي لأعـيذك مـن قـتلي ... وأظـنُّك لا تَـتَعمدُهُ
بـالله هب المشـتاق كـرىً ... فـلعلّ خـيالك يُسـعدُهُ
مـا ضـرك لو داويت ضـنى ... صبٌ يـدنيك وتُـبعدُهُ
لم يـبق هـواك له رمـقاً ... فـلتبك عـليه عُـوّدُهُ
وغـداً يـقضي أو بـعد غـدٍ ... هـل مـن نـظر يـتزوّدُهُ
يـهوى المشـتاق شفاء ضنىً ... وصـروف الدهـر تـقيدُهُ[1]
مـا أحـلىٰ الحب وأعـذبَهُ ... لولا الهـجران يـنكّدُهُ

ابن مطروح:

مـتى بتّ إلا فـي هـواك موحداً ... ولا زلت فـي نـار الغـرام مخلدا
ولا سـمعت أذنـي حـديثاً يسـرها ... متىٰ سـمعت مـن لائـم فـيك فـندا

---

(١) في الديوان:

يـهوي المشـتاقُ لقـاءَكـمُ ... وصُـرُوفُ الدهـر تـبعدهُ
مـا أحـلىٰ الوصـل وأعـذبه ... لولا الأيـام تـنكّدُه
بـالبين وبـالهجر اِن، فـما ... لفـؤادي كـيف تـجلُّدُهُ

ولا زال موقوفاً على الدمع ناظري متى لم يبت وجداً عليك مسهّدا
تعشقته حلو الشمائل واللّمى فريد صفات الحسن اجيد أغيدا
حلا ريقه والدر فيه منضدٌ ومن ذا رأى في العذب دراً منضدا
رأيت بخديه بياضاً وحمرةً فقلت لي البشرى اجتماع تولدا
أغصنَ النقا ما أنت عندي نظيرُهُ وإنْ كنت مياس المعاطف أملدا
ويا بدر لا تغضب فإنك عبده وإلا فقابله بوجهك إن بدا
ولو مت يا ريم الفلا ما حكيته وإن رحت لَحكي مقلة وتقلدا
ولله ليلٌ بات فيه مضاجعي وعهد الرضا ما بيننا قد تأكدا
فقال اغتنم ضمي ولثمي فقلما تجمّعَ شملٌ قط إلا تبددا

وله أيضاً :

هي رامة فخذوا يمين الوادي ودعوا السيوف تقر في الأغمادِ
وحذار ثم حذار أعين عِيْنِها فلكم صرعْنَ بها من الآسادِ
من كان منكم واثقاً بفؤاده فهناك ما أنا واثق بفؤادي
يا صاحبي ولي بجرعاء الحمى قلب أسير ماله من فادي
سلبته مني يوم رامة مقلةٌ أجفانها مكحولة بسوادِ
وأغنٌّ معسول اللمىٰ عساله لولا الرقيب بلغت منه مرادي
كيف السبيل إلىٰ لقاء محجبٍ ما بين بيض ظبا وسمر صعادِ
حرسوا مهفهف قده بمثقف فتشابه المياس بالميادِ
ماتت يطيل الله عمرك سلوتي يا عاذلي فيه وعاش سهادي
أنا من جبلت علىٰ الغرام من الصبا وبه سألقى الله يوم معادي
وإذا أتىٰ العشاق كنتُ أميرَهم وجميعُ من قتل الهوى أجنادي

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي:[١]

رُدّ الرقاد فقد أطلت سهادي ... ومنعت طيف خيالك المعتادِ
فَعِدِ الجفونَ برقدةٍ فإلىٰ متى ... تشكو تعاقب أدمعي وسهادي
لا تلتقي فيها الجفون كأنما ... الأهداب عند الغمض شوك قتادِ
فإلىٰ متىٰ أُحيي الدجىٰ ويميتني ... وأنهنه العبرات وهي غوادي
وأسائل الغادين عن بان الغضا ... وغزالة الألمىٰ وأنت مرادي
وحديث وجدٍ صحّ عن قلبي فلم ... فيه طعنت بقدك الميادِ
وربما ظنت صباك إذا سرت ... بالغور إن تندي علىٰ الأكبادِ
حملتها الأشواق وهي ضعيفة ... تمشي فتعثر في ربىً ووهادِ

ابن عربي:

لام العذولُ علىٰ هواه وفنّدا ... فأعادَ باللوم الغرام كما بدا
رشأ قد اتخذ الضلوع كناسه ... والقلب مرعى والمدامع موردا
ثمل القوام إذا بدا وإذا رنى ... فضح الغزالة والغزال الأغيدا
كالورد خداً والهلا تباعدا ... والظبي جيداً والقضيب تأوّدا
أيقنتُ أنّ من المدامةِ ريقَهُ ... لما بدا درّ الحباب منضداً
وعلمت أن من الحديد فراؤه ... لما انتضىٰ من مقلتيه مهندا
من منصفي من جوره فلقد غدا ... بدمي وسيف قوامه متقلدا
زرق الاسنة في الرماح فلم أرى ... في رمح قامته سناناً اسودا
متورد الوجنات ما حييته ... إلا ارتدى ثوب الحياء موردا

---

(١) يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي، من شعراء الدولة الناصرية بدمشق. ت ٦٨٠ هـ كحالة / معجم المؤلفين: ج٣، ص٣٢٦.

ألقـيت أكسيرَ اللحاظِ بخده ... فقلبت فضة وجنتيه عسجدا

* * *

عجبت لنفسي بعدهم ما بقاؤها ... ولم أحظ من لقياهم بمرادي
لعمرك ما فارقتهم منذُ ودَّعوا ... ولكنما فارقت طيب رقادي
وما منعوا عني زيارة طيفهم ... وكيف يزور الطيف حلف سهاد
وأعجب مافي الأمر شوقي إليهم ... وهم في سوادي ناظري وفؤادي

أبو البحر جعفر الخطي التوبي :

لعبت بعطفيه الشمول فمادى ... كالغصن حركه الهوى فانادا[١]
رشاً أعار مهى الصريم لواحظاً ... نجلا وآرام الفلا أجيادا[٢]
خنث اللحاظ وإنها لأشد من ... بيض الظبا[٣] يوم القراع جلادا
هاتيك جاورت الجفون وهذه ... أبت الجفون وحلت الأكبادا
نازعته راحاً كبرد رضابه ... طعماً وجمرة خده ايقادا[٤]
والليل زنجي الملاءة ناشراً[٥] ... ملماً كأحداق الحسان جعادا

---

(١) وفي ديوان الشاعر ، تعليق واخرج الخطيب علي بن الحسين الهاشمي المطبوع سنة ١٣٧٣ هـ / مطبعة الحيدري : طهران ، ص٤٣ : فنادا .

(٢) المصدر السابق :

ريم أعار مهى الصرايم أعيناً ... نجلا وآرام الحمى أجياد

(٣) المصدر السابق : الضبا .

(٤) بعد هذا البيت يوجد بيت آخر وهو :

فانقاد كالمهر الجموح جذبته ... رفقاً بثني عنانه فانقادا

وهذا البيت ساقط من المقطوعة .

(٥) المصدر السابق : ناشرٌ .

فنضا دجاه بغُرَّةٍ أوفىٰ[1] بها   حُسناً علىٰ البدر المنير وزادا

أبو وائل الحمداني :

لا والذي جعل الموالي   في الهوى خدم العبيدِ
واصار في أيدي الظبا   ء قياد أعناق الأسودِ
وأقام ألوية المنية   بين افنية الصِدُود
ما الورد أحسن منظراً   من حسن توريد الخُدُودِ

بعض آل حمدان :

خذوا بدمي من ذا الغزال فإنه   رماني بسهمي مقلتيه علىٰ عمدِ
ولا تقتلوه إنني أنا عبده   وفي مذهبي لا يقتل الحرّ بالعبدِ

غيره من آل حمدان :

أجِلْ عينيكَ في عيني تجدْها   مُشَربةً ندى وردِ الخدودِ
وصافحني تجدْ عبقاً بكفي   يضوعُ إليك من وردِ النهودِ
وخذ سمعي إليك فإن فيه   بقايا من حديثٍ كالعقودِ
وعدّ عن الفؤاد ففيه سرٌّ   أظنُّ به علىٰ كل الوجودِ

أبو المطاع من آل حمدان :

قالت لطيف خيالٍ زارها ومضى   بالله صفه ولا تنقص ولا تزدِ
فقال خلفته لو مات من ظمأ   وقلت قف عن ورود الماء لم يردِ
قالت صدقت الوفا في الحب شيمته   يا برد ذاك الذي قالت علىٰ كبدي

أبو بكر الخوارزمي :

ليس علىٰ القلب للعذول يد   ولا ليومي مع الفراق غدُ

---

(١) المصدر السابق : أربىٰ .

ولي فــؤاد مــذ صـرت افـقده		لم انــتفع بــعده بــما أجِــدُ

* * *

يــا نــاجياً مـن عــذاب قـلبي		وســالماً مــن رسـيس وجـدي
بــالله لا تـقترب إلىٰ مكـاني[1]		فــإنَّ داء الغــرام يـعدي
تــزعم أن الفـؤاد عـندي		لو كــنت عـندي لكـان عـندي
قـد غـيّر الدهـر كـل شـيءٍ		إلا جـفاكـم وحسـن عـهدي

ابن نباته المصري :

أهـلاً بـها بـيضاء عـاطرة الشذا		زارت فـنمّ بـها سـناها والشـذا
سحّارة الجـفن المـريض إذا رنت		عـقدت لسـان المـرء أن يـتعوذا
تـلك التـي عـقدت سـهام لحـاظها		حكـماً تأمـله الجـمال فـنفّذا
تـجري الدمـاء وسـيفها فـي جـفنه		نـظراً فـليس السّـحر إلا هكـذا
فـالراح مـثل رضـابها فـحقيقة		للـراح بـعد رضـابها أن تـنبذا
قالت إذا أغمضت جـفنك فـارتقبْ		طـيفي فـقلت لهـا نـعم لكـن إذا
وسمعت مـن سـيف ورمـح قـبلها		حتىٰ انثنت ورنت فقلت هما اللـذا

ظافر الحدّاد :

لو كـان بـالصبر الجـميل مـلاذه		مـا سـحّ وابـل دمـعه ورذاذه
مـا زال جـيش الحبّ يغزو قـلبه		حـتىٰ وهـى وتـفرقت أفـلاذه
لم يـبق مـنه مـع الغـرام بـقية		إلا رسـيس يـحتويه جـذاذه
من كان يرغب في السلامة فـليكن		ابـداً مـن الحـدق المـراض عـياذه
لا تـخدعنّك بـالفتور فـإنه		مـرض يـضرّ بـقلبك اسـتلذاذه

---

(١) م ك : لا تقرب .

يــا أيـها الرشأ الذي مــن طـرفه ... ســهمٌ لحباتِ القـلوبِ نـفاذه
درٌ يــلوح بــفيك مَــنْ نـظّامه ... خـمرٌ يـحول عـليه مـن نـبّاذه
وقـناة ذاك القـد كـيف تـقومت ... وسـنان ذاك اللـحظ مـا فـولاذه
هاروت يعجز عـن مـواقع سـحره ... وهــو الإمــام فـمن تـرى أسـتاذه

ابن مشرف:

قسـماً بـمرشفه الشـهي السكّري ... مـن غـير خـمرة ريـقه لم أسكـرِ
يـروي العـطاش عـن المـبرّد ريـقُه ... والثغر يروي عن صِحاح الجوهري
وتــقول قــامته لأغـصان النـقا ... لمـا تـميس قـفي لحـين وانـظري
يــغزو مــحبته بأســمر قـده ... يـا مـا بـقلبي مـن فـعال الأسـمرِ
عـجباً لمـن يـلقى الأسـود مكـافحاً ... ويــقاد طـوعاً للـغزال الأحـورِ
ظــبيٌ اعــاتبه عــلىٰ نـفراتـه ... فــيقول لي أي الظــبا لم تـنفرِ
يرضى ويغضب دائماً من غير ما ... سبب فـوا أسـفي وطـول تـحسري
مــتلون يسـبي العـقول إذا بـدا ... فـي ثـوب حسـنٍ بـالجمال مشـهّرِ
بـبياض جسـمٍ فـوق ثـوبٍ ازرق ... وسـواد خـالٍ فـوق خـدٍ أحـمرِ
لي جـنة مــن وجـنتيه وحـورُها ... الحــاظه والثـغرُ مـاء الكـوثرِ
قـمرٌ عـلى غـصن القـوام بـدا فـيا ... لله مــن غــصنٍ بـبدر مـثمرِ
ظـبيٌ أبـو النـعمان مـن لفـتاته ... والخـدُّ فـيه شـقائق ابـنُ المـنذرِ
حــلو الشــمائل عـبلة اردافـه ... لكــن بــعينيه وقــائع عــنترِ
مـهلاً قـد استعبدت أرواح الورى ... بأعــينه الكــحلاء ممّا تسـحرِ
بـرد الرضـاب حـماه طـرف فـاترٌ ... لكــنه عــن قــتلتي لم يـفترِ

عبد الله بن عبد الله :

وإنـــي لاسـتحيي كـثيراً واتــقي عــيوناً واسـتبقي المـودة بـالهجرِ
وأنــذر بـالهجران نـفسي أروضـها لأعلم بـالهجران هـل لي مـن صبرِ

بدوي :

لعـمرك إنــي يـوم بـانوا ولم أمت اســـفاً عـــلىٰ اثـــارهم لصبورُ
غـــداه المــنقّى اذ رمـيت بــنظرة ونــحن عــلى متن الطـريق نسيرُ
فقلت لقلبي حين حفّ بـي الهـوىٰ وكــاد مــن الوجــد المـبرّ يـطيرُ
فــهذا ولمــا تــمضي للــبين ليـلة فكــيف إذا مــرت عــليه شــهورُ
وأصــبح أعــلام الأحــبة دونــها مــن الأرض عــذلٌ نـازحٌ ومسيرُ
وأصبحت نجديّ الهوى متهم النوى أزيـــد اشـــتياقاً أن يـحنّ بـعيرُ
عسى الله بعد النأي أن تسعف النوى ويـجمع شـمل بـعدها وسـرورُ

الشريف الرضي :

وقـفّ عـلى العبراتِ هـذا النـاظرُ وكــفاه ســقماً أنــه بك ســاهرُ
ردّي عــليه مــا نـضى مـن لحـظه خــدّاك والغـصن الرطـيب النـاظر
ولأنت آمــــن أن يــلومك لائــم فــي حــبِّهِ أو أنْ يـغرك عــاذرٌ[1]
هــذا الفـراق وأنت أعـلم بـالهوى فــارعى فأيــام المـحِب غــوادرُ
وأنا الفداء لمن أباح حـمى الهـوى فــغدت تــطاه مـناسم وحــوافرُ
هــذي الديـار لهـا بـمنعرج اللّـوى قـــفرا يــحيها الغـمام البـاكـرُ

---

(١) في الديوان :

فــلأنت آمــن أن يــلومك عـاذلٌ فـــي فــرط حُبٍّ ، أو يـغرَّك عـاذر

وله أيضاً :

يا قلبُ ما أنت من نجدٍ وساكنه	خلفت نجداً وراء المدلج الساري
راحت نوازع من قلبي تطالعه	على بقايا لبانات وأوطارِ
تضوع أرواح نجد من ثيابهم	عند النزول لقرب العهد بالدارِ
يا راكبان قفا لي واقضيا وطري	وحدثاني عن نجدٍ بأخبارِ
هل روّضت قاعة الوعساء أم مطرت	خميلة الطلح ذات البان والغارِ
أم هل أبيت ودار عند كاظمةٍ	داري[1] وسما ذاك الحي سماري[2]
أيام اودع سرّي في الهوى فرسي	واكتم الحيَّ ادلاجي واخطاري
فلم يزالا إلىٰ أن نمّ بي نفسي	وحدث الركب عني دمعي الجاري

مهيار الديلمي :

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر	أعمداً رماني أم أصاب ولايدري
تعرض لي بالقانصين مسدداً	إشارة مدلول السهام علىٰ نحري
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب	وكررها أخرى فاحسست بالشرِ
بنجدٍ ونجدٌ دارُ جودٍ وذمة	مطال بلا عسرٍ وبخلٌ بلا عذرِ
فهل ظن ماقد حرم الله من دمي	مباحاً له أم نام قومي عن الوترِ
وسمراء ودّ البدرُ لو حال لونه	إلىٰ لونها في صبغة الأوجه السّمرِ
خليلي هل من وقفةٍ والتفاتةٍ	إلىٰ القبة السوداء من جانب الحجرِ
وهل ما أرانا الله بالخيف عائداً	إلىٰ مثلها أم عدها حجة العمرِ
ولله ما أوفىٰ الثلاث علىٰ منى	لأهل الهوى لو لم تحن ليلة النفرِ

---

(١) م ك : ساقطة .

(٢) م ك : سمار .

لقد كنت لا أوتى من الصبر قلة　　فهل تعلمان اليوم أين مضى صبري
وكنت ألوم العاشقين ولا أرى　　مزية ما بين التواصل والهجر
فأعدى إليّ الحب صحبة أهله　　ولم يدر قلبي أن داء الهوى يسري
ايشرد لبّي يا غزالة حاجر　　وأنت بذات البان مجموعة الأمرِ
خذي لحظ عيني في الجفون إضافة　　إلىٰ القلب أو ردّي فؤادي إلىٰ صدري

ومنه أخذ ابن الفارض، الشيخ عمر:

أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي　　يضرُّكم لو كان عندكم الكلُّ

لكن زاد عليه ملاحةً، أبو القاسم الزاهد:

لولا عذارك ما خلعتُ عذاري　　ولكنت في وزرٍ من الأوزارِ
ما كنت أحسب ان أعاني أو أرىٰ　　تخطيط ليل في بياض نهارِ
حتىٰ نظرت إلىٰ عذارك فاغتدى　　سقم القلوب ونزهة الأبصارِ
فتركت قولي في الوعيد لأجله　　وعزمت فيك علىٰ دخول النارِ

أبو محمد بن وسيع:

بما يعينيك من فتور　　ومن فنونٍ بها وسحرِ
وبالعذارِ الذي تولّى　　خلع عذاري وبانتفاء عذري
ومضحك منك لؤلؤيٍّ　　ممتزج مسكه بخمرِ
جُدْ لي بالصفحِ عن ذنوبي　　أو لا فعاقبْ بغيرِ هجرِ

أبو بكر الخالدي:[1]

دموعي فيك أنواء غزارٌ　　وجنبي لا يقرّ له قرارٌ

---

(١) أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان بن بلال بن خالد بن عبد ضبه من بني عبد القيس، وهو أحد الشاعرين الأخوين المعروفين بالخالديين من شعراء سيف الدولة الحمداني: راجع الأعلام للزركلي وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ح٢ ص٥٣٩.

وكـل فـتىً عـلاه ثـوبَ سـقمٍ　　فـذاك الثـوب مـني مسـتعارُ

المجنون :

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها　　مـقالة واشٍ أو وعـيد أمـيرِ
فلم يـمنعوا عـينيّ مـن دائـمِ البكـا　　وما يخرجوا ما قـد أجـنّ ضـميري
وما برح الواشـون حـتىٰ بـدت لنـا　　بـطون الهـوى مـقلوبة لظـهورِ
إلىٰ الله أشكو ما ألاقي مـن الجـوى　　ومـن نـفسٍ يـعتارني وزفـيرِ

ابن صاحب تكريت :

عـن هـواكـم لا يـحسن الاصـطبار　　فسـلام وإن تـنائى المـزارُ
لا تـلمني إذا قـضيت مـن الشـوق　　فـإن البـقاء فـي الحب عـارُ
لا تكـلني إلىٰ السـلو فـما لي　　عـنك صـبر ولا لدي قـرارُ
لي جـفونٌ أذابـها سـهرُ الليلِ　　وقـلبٌ مـن شـوقهِ مستطارُ
دمـع عـيني أجـريته وهـو بحرٌ　　وفـؤادي سكّـنته وهـو نـارُ
يـا مـديراً كأس الصبابةِ والشـو　　ق رويـداً بـي من هـواك خمارُ
إن تكـن عـن وصالِ مثلي غنياً　　ـ يـا جـميلاً ـ فـبي إليك افـتقارُ

السراج الوراق :

نـفى النـوم عـني صـده ونـفارُهُ　　وقـام بـعذري فـي هـواه عـذارُهُ
هـضيم الحشـا لا يستقر وشاحه　　عـليه ولا قـلبي يـقر قُـرارُهُ
أعـار فـؤادي مـن تـوقد نـاره　　ومـا خـلته ان يستعار اسـتعارُهُ
ومن عـجب الاشياء نـصرة جـفنه　　عـلي ولا يـخفى عـليّ انكسـارُهُ
أهـيم إلىٰ ثـغر الرضـاب بـثغره　　وليس نـصيبي مـنه إلا خـمارُهُ
ولا عـجب مـن إلف قـلبي وقـلبه　　فـفي وجـهه مـاء الشـباب ونـارُهُ

وما وطري إلا مداراة خصره ... ولا وطني إلا هواه ودارُهُ
ولم أنس إذ حيّا بها فوق معصم ... يصاغ عليه من شعاع سوارُهُ
جرى من زلال الماء فيها لجينه ... وذاب كلون الخدِّ منه نظارُهُ
ولم أر دون الشرب ما كان مسكري ... أمقلته أم ريقه أم عقارُهُ

الأمشاطي الزجّال :

وفتاك اللواحظ بعد هجر ... حنى كرماً وأنعم بالمزار
وظل نهاره يرمي بقلبي ... سهاماً من جفون كالشفار
وعند الليل قلت لمقلتيه ... وجكم النوم بالأجفان جاري
تبارك من تولاكم بليل ... ويعلم ما جرحتم بالنهار

بهاء الدين زهير :

أأحبابنا بالله كيف تغيرت ... خلائق غر منكم وغرائزُ
لقد ساءني العتب الذي جاء منكم ... وإنّي عنه لو علمتم لعاجزُ
لكم عذركم أنتم سمعتم وقلتم ... ومحتملٌ ما قد سمعتم وجائزُ
هبوا أن لي ذنباً كما قد زعمتم ... فهل ضاق عنه حكمكم والتجاوزُ
على أنني لم أجنِ يوماً جنايةً ... وهيهات لي والله عن ذاك حاجزُ
وبين فؤادي والسلو مهالك ... وبين جفوني والرقاد مفاوزُ
وإن قلت واشوقاه للبان والحمى ... فإني عنكم بالكنايات رامزُ
دعوني والواشي معاً أنا حاضر ... وصوتي مرفوع ووجهي بارزُ
بعيشك لا تسمع مقالة حاسدٍ ... يجاهر فيما بيننا ويبارزُ
فما شاق طرفي غير وجهك شائق ... ولا حازَ قلبي غير حبك حائزُ
سأكتم هذا العتبَ خيفةَ شامتٍ ... وأوهم أنّي بالرضا منك فائزُ

ولي فـيك حسـادٌ وبيني وبينهم وقـائع ليستْ تـنقضي وهـزاهـزُ
وإنّـي لهـم فـي جرمِهم لمخادعٌ أسـالمهم طـوراً وطـوراً أنـاجزُ

شمس الدين الكوفي :

مـا للقلوب سـوى الحبيب انيسُ هــو لـلـفؤاد مـنادمٌ وجـليسُ
جـذب القـلوب إلىٰ هـواه جمالهُ فكأنـــه للـــقلب مـــغناطيسُ
لا يدرك المعقول لطف جمال من أهـوى فكـيف يـناله المحسوسُ
كـم قـد كـتبت إليـه قـصة غـصتي بـمداد دمـعي والخـدود طـروسُ
دمـعي بـذكرك مـطلق ومسـلسل وصـبابتي وقـفٌ عـليك حبيسُ
والنـــاس عشـاقٌ وأنت حـبيبهم والكـون مـا شطةٌ وأنتَ عـروسُ
وحـماك كـم نـحرت نـحور عـنده وتـــطايرت عـند الدنـو رؤوسُ
أيقالُ لي اتلفتَ نفسَكَ فـي الهـوى عـجباً وهـل للـعاشقين نـفوسُ

ابن عربي :

وحـياة وجـهك يـا حـياة الأنـفس ما حلتُ عنك اسأتَ بي أم لم تُسِ
ولئن جـفوت فـإن طـيفك حـاضرٌ أو غبت عن عيني فذكرك مؤنسي
أمـطيل ليـلي مـنه ليـل صـدوده مـن لي بـصبح جـبينه المتنفّسِ
مـا ضـرّ ذا الوجـه الجميل لو أنـه بـرضاه يـلبسني جـميل المـلبسِ
لله عـــصر شـــبيبة قـــضيته خـلف المسـرة مـع ظباء كنّسِ
يـــرنو بأحــداقٍ إليّ فـــواتـرٍ أرأيتَ قـطّ حـديقةً مـن نـرجسِ
وبـــمهجتي رشـاً أتـــاني زائـــراً مـتبختراً فـي حُـلّةٍ مـن سندُسِ
كـذبَ المـنجّمُ بـالذي هـو قـائل أنا من رأي بدر الدجى في الأطلسِ
دبّ العـــذارُ بـــعارضيه وإنـــني لأحبُّ ديـباجَ الخـدود بـقندسِ

أرأيتَ خطاً لا انتهاء لحُسنه ... فلقد تحيَّر فيه كل مُهندِسِ
يا موحشاً طرفي ويعلم إنني ... أبداً بغير هواه لم أتنفسِ
خداك من وردٍ وريقك خمره ... فإذا سخوت بها تكمّل مجلسي

الشريف الرضي :

يا بؤس مقتنصِ الغزال طَمَاعةً ... ذَهَبَ الغزالُ بلبِ ذاكَ القانصِ
كالدرّةِ البيضاء حان ضياعها ... من بعد ما ملأت يمين الغائصِ
ما كان قُربك غير برقٍ لامعٍ ... ولّىٰ الغمام به وظل قالصِ
أغدو على أملٍ كحسنك زائدٍ ... واروح من حظٌ كوصلك ناقصِ

عبد العزيز الحموي :

أيرومُ قلبي من هواك تخلّصا ... إن زاد لومي لائمي أو نقصا
أجدُ الملام علىٰ الغرام مُحرِّضا ... واليأسُ منك علىٰ هواك محرِّضا
كيف السلو ولا مساعد لي سوى ... دمعٌ يطاوعني إذا جَلَدي عصى
يامن تقمّص بالجمال أجر فتى ... يمسي ويصبح بالضنا متقمصا
لولاك لم أك بالزلال علىٰ الظما ... شرقاً وبالزاد الشهي منغصا
ولقد جهدت فلم أجد لحشاشتي ... غير الوصال من الصدود مخلصا

الشهاب التلعفري :

أأفوز من أسر الهوى بخلاص ... أين المناص ولات حين مناصِ
بي ظاعن كم دون يوم لقائه ... مُزّقن أكبادٌ وشِبنَ نواصي
يسطو عليّ بأبيضٍ من لحظه ... ويأسمر من قده غوّاصِ
دمعي وصبري فيه هذا طائع ... أبداً وهذا حين ادعو عاصي
جرحت لواحظه فؤادي فاغتدى ... بلواحظي من وجنتيه قصاصي

ما كان يهجرني ويسرف لو رأى ... مافي الفؤاد له من الاخلاصِ
كم ذا التجني والجفا يا درة ... الغواص بل يا جؤذر القناصِ
لولا هواك لما انثنت لي سيرةٌ ... يتحدث الداني بها والقاصي

العفيف التلمساني:

ما بال ذاك البرق لاح معرضاً ... بحديث منعرج الأراك وأعرضا
طارحته بمدامعي واضالعي ... اخبار من سكن العقيق أو الغضا
ما زال ينشر ما انطوى من لوعتي ... باللّمع لما أن أضاء على الإضا
أذكى لظى وجدي وذكرني الحمى ... ومضىٰ فليت سناه لي ما أومضا
وعلىٰ الثنية من ذوابة تغلبٍ ... هيفاء ناظرها أحد من القضا
بعثت إليّ ودوننا رمل الحمى ... طيفاً علىٰ قتل النفوس محرضا
فمددت بين يديه خداً مذهباً ... أجرى البكاء دماً عليه مغضضا
لله ذاك الطيف أي يدٍ له ... عندي بأيسر شكرها لن أنهضا
قد كان في عيني نهاري أسوداً ... من قبله فأعاد ليلي أبيضا

عبد العزيز الحموي:

أرقتُ لبارقِ مزنٍ أضا ... على الأثلات بذات الاضا
كما نبض العرقُ ثم انبرى ... كإدمان دام إذا ما انتضا
فاذكرني جيرة بالغضا ... تولوا واصليت جمر الغضا
أضاء الدجا لي لما دنوا ... وبانوا فضاق عليّ الفضا
وطول لي حبهم لائمي ... فعرّض قلبي لما عرّضا
فلم يُجدِ نفعاً سوى أنه ... على العشق إذ لامني حرضا
بروحي غزالٌ لألحاظه ... ديون بألحاظنا تقتضى

سقاني من ريقه أكؤساً ... شفاني بها وبها امرضا
رنا فانثنى فقضى حسنه ... عليّ ولي وطرٌ ما انقضى
بمن قده ذابل مشرع ... ومن لحظه صارم منتضى
أبثّكَ وجداً كساني اضنا ... فأعجزني السقم أن انهضا
وعمّ فؤادي بوخط المشيب ... فسوّد حالي بما بيضا
بعيني اقيك فنم وادعاً ... وإن كان جفني ما غمضا
فزدني صدوداً ازد صبوة ... وفي حالة السخط لافي الرضا
اعد نظراً منك في أمر من ... إليك مقاليده فوّضا
وفاض على خده دمعه ... فذهّبَهُ بعدما فضّضا
مشوق برى جسمه لاعج ... اذا الحيّ من لاعجٍ قوّضا
قضى فادع اعظمه يحيها ... فإن الدعاء يرد القضا
وإن كان فيما مضى مذنباً ... فعفوك يغفر ماقد مضى

الطغرائي: وسيأتي شطر صالح من ديوانه

إن الأولى أرضاك قولهم ... بالأمس تحت رضاهم السخطُ
لما صفى ملك الجمال لهم ... تاهوا على العشاق واشتطوا
هموا ببينٍ فاستطير لهم ... قلبي فكيف يكون إن شطوا
ومليحة الحركات إن رفلت ... بالحي شاغب عقدها القرطُ
نمّ المروط بحسنها فبدا ... والشمس ليس يكنها المرطُ
فتح الصَّبا في صحن وجنتها ... ورداً يضاعف حسنه اللقطُ
قالت ومُذ ولّتْ حمولهم ... والعيس فوق جفوننا تخطوا
كان الشباب الغض يجمعنا ... فمضى وشتت شملنا الوخطُ

عـــذر الاحـــبة والشـباب مـعاً فكـــاننا لم نـــصطحب قـــطٌّ

يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

أمــن قــلم الريــحان فــي خــدِّه خــطُّ
وفــي قــدِّه مــن ليــنٍ ما تـنبتُ الخـطُّ

بـــدا مـــنه ســـطر للـــعيون مـحقق
فـــــمثّل خـــطاً لا يـــمثله خـــطٌّ

وخــرّج فــي الخــطّ العــذار حــواشـياً
عـلىٰ صـفحات مـنه بـالمسك تـختطُّ

فأشكـل لمـا بـان فـي الخـد شكـله
فـــواعـــجباً مـــنه وخـــيلانه نـقطُ

ومـــــا هـــو إلا الآس شـــبح ورده
فـعزّ عــلىٰ مــن رامــه القـطف واللـقطُ

فـياليت حـظي القـرب مـنه او الرضـا
فـقد طـال فـيما بيننا الشـحط والسـخطُ

غـــزال شـــرود ليس فـــيه تـــلفتٌ
إليّ فـــلا يُـــعطي نـــوالاً ولا يـعطوا

تشـــابه قـــلبي فـي الجـفون وقـرطه
فـــعلق مـــنه مـثل مـا عـلق القـرطُ

وشـــطوا بـــه عـــني فشـــط مـزاره
فاغلوا علـيّ السـوم فـيالوصـل واشـتطوا

وما كنت ادري أن غزلان حاجرٍ
علىٰ كل ليثٍ من ليوث الشرى تسطو
خيلي إن الشوقَ حارَ دليلُه
فأمسىٰ له في كل جارحةٍ خبطُ
وإن لآلي الدمع حان نظامها
فصار لها من سلك أهدابها القطُ
فيا صاحبي قل لي هل الحيّ في الحمى
اقاموا علىٰ شطر الثنية أم شطّوا
وهل نارهم بين الضلوع أم التي
على فلك الارجاع تعلو وتنحطُ
علىٰ السقط قد بانتْ وباتت علىٰ الغضا
قلوبٌ وفيها من زنادٍ لها سقطُ

ابن زريق الكاتب البغدادي:[1]

لا تعذيله فإن العذلَ يولعُهُ
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعُهُ
جاوزتِ في لومهِ حدّاً اضرَّ بِهِ
من حيثُ قدرت أن اللوم ينفعُه

(١) قصيدة بن زريق هذه تجدها في كتاب تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ج٣ ص٩١ ويبدو أن المؤلف رحمه الله قد نقلها عن كشكول البهائي جـ ١ ص١١٨ ، وهي هناك أتم منها هنا ، وهي قصيدة نالت الكثير من الشهرة .

فـــاستعملي الرفــق فــي تأنــيبه بــدلاً
عــن عــذله فــهو مـضنى القـلب مـوجعهُ
يكــــفيه مــــن لوعـــة التـــفنيد أنّ له
مـــن النـــوى كــل يــومٍ مــا يُــروّعهُ
قــد كــان مــضطلعاً بــالخطب يــحمله
فــضلّعت مــن خــطوبِ الدهــر أضــلعهُ
مـــا آب مـــن ســـفرٍ إلا وازعـــجه
رأي إلىٰ ســـــفر بـــالبين يـــجمعهُ
كأنـــما هـــو مـــن حـــلٍّ ومـرتحلٍ
مـــــوكلٌ بـــفضاءِ الأرض يـــذرعهُ
فـــما مـــجاهدة الإنســـان واصـــلة
رزقاً ولا دعـــــة الانســـان تـــقطعهُ
قـــد قسّـــم الله بـــين الخـــلق رزقـــهم
لم يـــــخلق الله مـــخلوقاً يـــضيّعهُ
لكـــنهم كـــلفوا حـــرصاً فـــلست تـــرى
مســـترزقاً وســـوى الغـــايات تـــقنعهُ
فالحرص في الرزق والارزاق قد قسمت
بـــغيٌ ألا إن بـــغي المـــرء يــصرعهُ
والدهـر يـعطي الفتى مـن حيث يـمنعه
إرثاً ويـــمنعه مـــن حـــيث يـــطمعهُ

أستودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الازرار مطلعهُ
ودعته وبودي لو يودعني
صفو الحياة وإنّي لا أودعهُ
وكم تشفع بي أن لا أفارقه
وللضرورة حال لا تشفعهُ
وكم تشبث بي يوم لرحيل ضحى
وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
لا اكذب الله ثوب الصبر منخرق
عنّي بفرقته لكن أرقّعهُ
إنّي لا وسع عذري في جنايته
بالبين عني وجرمي لا يوسّعهُ
رزقت ملكاً فلم أحسن سياسته
وكل من لا يسوس الملك يُخلَعَهُ
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا
شكر عليه فإن الله ينزعهُ
كم قال لي ذقت طعم البين ؟ قلت له
الذنب والله ذنبي لست أدفعهُ
هَلاّ أقمت وكان الرشد أجمعه
لو أنني يوم بات الرشد أتبعهُ

إنــــي لأقــطع أيــامي وأنــفذها
بــحسرةٍ مــنه فــي قــلبي تـقطعهُ
بــمن إذا هــجع النّــوامُ بتُّ له
بــلوعةٍ مــنه ليــلي لست أهــجعهُ
لا يســتقر لجــنبي مــضجعٌ وكــذا
لا يســتقر له مــذ بــنتُ مــضجعهُ
حــتىٰ جــرىٰ البــين فــيما بــيننا بـيد
عســراء تــمنعني حــظي وتــمنعهُ
وكــنتُ مــن ريب دهــري جازعاً أبـداً
فــلم أوق الذي قــد كــنت أجــزعهُ
بــالله يــا مــنزل القــصر الذي درست
آثــاره وعــفت مــذ بــنت أربــعهُ
هــل الزمــان مــعيد فــيك لذتــنا
أم اللــيالي الذي امــضته تــرجــعهُ
فــي ذمــة الله مــن اصــبحت مــنزله
وجــاد غــيث عــلىٰ مــغناك يــمرعهُ
مــن عــنده لي عــهد لا يــضيعه
كــما له عــهد صــدق لا أضــيّعهُ
ومــن يــصدّع قــلبي ذكــره وإذا
جــرى عــلى قــلبه ذكــرى يــصدعهُ

لأصـــبرن لدهـــرٍ لا يـــمتعني
بـــه ولا بـــي فـــي حـــالٍ يـــمتعهُ
عـــلماً بأن اصـــطباري مـــعقبٌ فـــرجاً
فأضـــيق العـــيش إن فكـــرت أوســـعهُ
عســـى اللـــيالي التـــي أضـــنت بـــفرقتنا
جســـمي ستـــجمعني يـــوماً وتـــجمعه
وإن تـــنـــل واحـــداً مـــنا مـــنيتُهُ
فـــما الذي فـــي قـــضاء الله نـــصنعهُ

الشيخ محمد رضا، الشاعر المعاصر النجفي ابن الشيخ أحمد الشاعر النحوي، وهو من ديوانه، وقد مضىٰ شعر له، ويأتي منه المستحسن:

ذكـــرت ليـــالياً مـــرت بـــجمعٍ ... مـــنيت لذكـــرها شَـــرَقاً بـــدمعي
وأذكـــرني نســـيم ريـــاض نـــجدٍ ... مـــعاهد جـــيرةٍ نـــزلوا بســـلعِ
وأومـــض بـــارق بـــالجزع وهـــنا ... يـــترجـــم عـــن قـــلوب ذات صدعِ
وغـــرد طـــائر يـــملي حـــديثاً ... يـــعذب خـــاطري ويـــريح سمعي
بـــجمع لو تـــعطفتم قـــلوباً ... تـــبدد شـــملها مـــن بـــعد جـــمعِ
فـــمنّوا واصـــلين عـــقيب هـــجرٍ ... وجـــودوا مـــنعمين عـــقيب منعي

وله أيضاً أدامه الله تعالىٰ وأبقاه:

حـــادي الأظـــعان إنْ جـــزت النـــقا ... والغـــضا بـــين اللـــوى والأجـــرعِ
فـــاحبس العـــيسَ عـــلىٰ أطـــلالها ... وأذل دمـــعك بـــين الأربـــعِ
واسأل الركبَ إذا مـــا عـــرّضوا ... بـــين وادي المـــنحنى مـــن لعـــلعِ
عـــن فـــؤادٍ ظـــاعن إثـــرهم ... مـــن غـــرامٍ هـــاج بـــين الأضـــلعِ

ليس فـــي الربـع لنـا مــن إرب لا ولا فــي الدار لي مــن مـطمعِ
غــير أنــي كــلما طـارحـتها ذكــر سكــان الحـمى لم تسـمعِ
يــا أحــيباباً عــهدناهم عــلى سـلمات رويت مــن أدمـعي
ليت شـعري هــل يـعودن زمــن بـالحمى هــيهات لم يــرتجعِ
يــا زمـاناً مــرَّ لي فــي حـاجرٍ في سرورٍ حيث مـن أهـوى معي
يــالقلب ظـاعنٍ نـحو الحـمى ولجســم بــالمصلى مــودعِ

ولهُ حرسه الله أيضاً ، يذكر حاجراً وإنْ لم تقعْ عينهُ عليه قطُّ :

ألا هــل لأيـامٍ مـضين بـحاجر وذي الإثل من وادي الأراك رجوعُ
وهــل لزمـانٍ قــد تـقضى بـرامةٍ وعــنا عـيون الحـادثات هـجوعُ
وهــل لأحـيبابٍ نـعمتُ بـظلّهم وللشــوقِ فـي قـلبي الغـداة ولوعُ
وبـتنا ومـا غـير العـناق رداءنـا وقــد طـويت مـنا عـليه ضلوعُ
وبـات الصـبا يـهدي إليّ نسيمه ويأمــرنا حـفظ الهـوى فـنطيعُ
رعـىٰ الله هـاتيك الربـوع فـإنها لقــلبي وإن شـط المـزار ربـيعُ
أمــن بـعد هـاتيك الليالي وطـيبها ابـيت وجسـمي للـفلاةِ ضـجيعُ
ليـالي لو تشـري بـعمري بـذلته ومــن لِـلُيْلاتِ السـرور يـبيعُ

بعض الأدباء :

يــا بـريقاً بـالحمى قـد لمـعا حــيّ عـنّي البـانَ والإثـلَ مـعا
فــبذاك الحــي لي غـصن نـقا طــائر القــلب عــليه وقــعا
يــاله مــن غـصن بـان يـانع صــادح الحــلي عـليه سجعا
ظــبي أنسٍ فـي الحشـا مـربعُهُ ليــته يــوماً ودادي لو رعــى
لم ازل طــوع الهــوى احـفظه يــاله حــفظ ودادي ضـيعا

ليِّـنُ الأعـطاف منه خـصره ... دقَّ حـتى كـادَ أن يـنقطعا
عـادل القـد حكت طـلعته ... بـدر تـمٌ فـوقَ غـصنٍ طـلعا
طـرفه فـوّق نـحوى أسـهماً ... فأصـابت مـن فـؤادي مـوقعا
كـم له اخـفض ذلاً جـانبي ... وهـو عـنّي لم يـزل مـرتفعا
صـدّ ظـلماً وأرانـي قسـوة ... ولقـلبي بـالمنى قـد صـدعا
وإلى الكـاشح القـسى سـمعه ... يـا كـفى الله حـديثاً سـمعا
شـيّع العـاذل عـني سـلوة ... كـذب العـاذل فـيما شـيعا
وأتـى مـن جـهله يـعذلني ... ثـم لمـا أن رآه رجـعا
أنـا لا أهـوى سـواه خـلّني ... مـن هـوى هـندٍ وليلى وشُعَا(١)
لا ولا عـن حـبّه اسـلو ولا ... وصـله فـيما ارى لي مـطمعا
وإذا رمت سـواه لم أجـد ... لسـواه فـي فـؤادي مـوضعا
مـنح العـين سـهاداً فـجرت ... ورقـادي مـن جـفوني مـنعا
ارسـل الطـيف لطـرفي زائـراً ... ايـزور الطـيف مـن لاهـجعا
لا تـلم إن رمت اسـعى نـحوه ... ليس للانسـان إلا مـا سـعى

من نجديات الأموي :

نـزلنا بـنعمان الأراك وللـندى ... سـقيط بـه ابتلت علينا المـطارفُ
فـبت اقـاسي الوجـد والركب نـوّم ... وقد أخذتْ منا السّرى والتنايفُ
واذكر خوداً إنْ دعاني علىٰ النـوى ... هـواهـا أجـابتهُ الدموعُ الذوارفُ
لها في مـحاني ذلك الشـعب مـنزلٌ ... لئن أنكـرته العينُ فـالقلب عـارفُ
وقـفتُ بـه والدمـعُ أكـثره دم ... كأنّـي مـن عيني بنعمان راعـفُ

---

(١) أراد شُعاد ، ولكنه رَخَّم للضرورة .

الوأواء الدمشقي :

بـالله ربكـما عـوجا عـلى سكـني ... وعـــاتباه لعــل العــتب يـعطفهُ
وعـرضا بـي وقـولا فـي حـديثكما ... مـا بـال عـبدك بـالهجران تـتلفهُ
فـإن تـبسم قـولا فـي مـلاطفةٍ ... مـا ضـرّ لو بـوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بـدا لكـما فـي وجـهِهِ غـضبٌ ... فـــغالطاه وقـــولا ليس نــعرفهُ

ابن سناء الملك :

نظر الحبيب إليّ من طرفٍ خـفي ... فأتـى الشّـفاءُ لمـدنفٍ مـن مـدنفِ
ودنـا فسكّـن نـار قـلبي خـدُهُ ... أســمعتُم نــاراً بــنارٍ تـنطفي

ابن النبيه :(١)

الروض بــين مــتوّجٍ ومشـنّف ... والأرضُ بــين مـدبّجٍ ومـفوفِ
والغـــصن غـنّاه الحـمام فـهزه ... طــرباً وحــياه الغـمامُ بـقرقفِ
والطــل يسـبح فـي الغـدير كأنـه ... صـدأ يـلوح عـلىٰ حسـامٍ مـرهفِ
قِسْ بـالسماءِ الأرض تـعلمْ أنــها ... بكـواكب الازهـار أحسـن زخـرفِ
احـداق نـرجسـها لخـد شـقيقها ... مـــبهوتة لجـــماله لم تـــطرفِ

يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

وافـى يـصول بأسـمرٍ من عـطفهِ ... وبأبـيضٍ مـاضي الشبا مـن طـرفهِ
رشأٌ غــريركم تــحيّر شــاعرٌ ... في وصـف مبسمه الشـهيّ ووصـفهِ
يــفتر عـــن بـردٍ بـفيه زادنــي ... ضـمأ وكـدت أُذيـبه مـن رشـفهِ
عـاينت بـدراً فـي الثـريا طـالعاً ... مـن وجـهه لمـا بـدا فـي شنفهِ

---

(١) علي بن محمد المصري ، مدح آل أيوب ، وسكن نصيبين . ت٦١٩ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص١٩١ .

وذؤابة كالصل إما ملتق ... في غصنه أو مطرق في حقفهِ
ومسبح بالآس ورد خدوده ... ولربما كان الطريق لقطفهِ
يَعِدُ الوصالَ لنا فيخلف وعده ... ياليته يعد الصدود لخلفهِ
وسنان ساجي الطرف نبتُ عذارِهِ ... غصن يصان بذابلٍ من عطفهِ
فارحم معنًى في هواك معنفا ... قد شفّه ألم القطيعه فاشْفِهِ
القاه كالذهب الخلاص زمانه ... فلذاك قد أخنى عليه بصرفِهِ
متصرف في الحب جاري دمعه ... كافٍ وباقي صبره لم يكفهِ
فإلىٰ متىٰ يشكو ظلامة صاحب ... أو ناظر لا يرعوي في عنفهِ
والقلب مكسور هناك علىٰ الصبا ... وإذا استقال من الهوى لم يعفه

العفيف التلمساني :

لا تخف ما فعلت بك الأشواق ... واشرح هواك فكلنا عشّاقُ
قد كان يخفى الحب لولا دمعـ ... ـك الجاري ولولا قلبك الخفّاقُ
فعسى يعينك من شكوت له الهوى ... في حمله فالعاشقون رفاقُ
لا تجزعنّ فلست أول مغرمٍ ... فتكتْ به الوجناتُ والأحداقُ
واصبر على هجر الحبيب فربما ... عاد الوصال وللهوى أخلاقُ

الشريف الرضي :

ولقد أقول لصاحب نبهته ... فوق الرحالة والمطي رواقي
أو ما شممت بذي الأبارق نفحة ... خلصت إلىٰ كبد الفتى المشتاقِ
آهاً على نفحاتِ نجدٍ إنّها ... رسلُ الهوى وأدلة الأشواقِ
فأوى وقال أرى بقلبك لسعةً ... في الحب ليس لدائها من راقِ(١)

---

(١) م ك : راقي .

أشكــو إليـه بياضَ ســودِ مـفارقي ويــظلُّ يـعجب مـن سـوادِ البـاقي

الشيخ أحمد النحوي[1] ، المشهور بالشاعر النجفي :

بــين هــجر النوى وصـد التـلاقي بــلغت روحــه عــليك التــراقــي

لمت في العشق قبل أن أعرف العشـ ـــق فــواخــجلتنا مــن العشــاقِ

❊ ❊ ❊

هيهات أين النـقا مـن مـوجع كـمد صبٌ مشــوقٌ بـنار الشـوق مـحترقِ

يا سائلي عن دمي لا تـطلبوا أحـداً غيري به فدمي المسفوك في عنقي

فلو مضى الكل مني لم يكن عـجباً وإنـما عـجبي للـبعض كـيف بـقي

من نجديات الأموي :

لم يُــبقِ مـني الحبُّ غـير حشـاشةٍ تشكــو الصــبابةَ فــاذهبي بـالباقي

أيـبلُّ مَــنْ جَــلَبَ السّــقامَ طبيبه ويُــفيقُ مـن سَحَرتْه عـينُ الراقـي

أبو الفرج الببغاء :[2]

توريد دمـعي مـن خـديه مـختلس وسقم جسمي مـن جـفنيه مسترقُ

لم يـبقَ لي رمـق اشكـو هـواك بـه وإنــــما يشـتكى مَـنْ بـهِ رَمَـقُ

أبو مطاع :

ولمــا اجـتمعنا للـتفرق سـلّمتْ ســلامَ فــراقٍ لاسـلام تـلاقي

---

(١) هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الحلي النجفي من الأدباء المشهورين ، توفي سنة ١١٨٣ هـ بالحلة ونقل الىٰ النجف الأشرف ورثاه السيد محمد زيني بقصيدة مطلعها :

أرأيت شـــمل الديـــن كـيف يـبدد ومــــصائب الآداب كــيف تــجدد

م : أعيان الشيعة ، مجلد٢ ، ج٨ ص٤٩٩ . وهو والد الشيخ محمد رضا المذكور سلفاً .

(٢) عبد الواحد بن نصر المخزومي ، الشامي ، مدح سيف الدولة . ت ٣٩٨ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٦ ، ص٢١٥ .

فياليتَ روحينا جرتْ في دموعنا ... تسل بأجفانٍ لنا وماَقي
فقد يستلذ الصبُّ فرقه روحه ... إذا جد في الأحباب وشك فراقِ

البهاء زهير :

بالله يا ورداً بخديه من ... عضك أو ادماك أو خجَّلك
وأنت يا نرجس عينيه كم ... تشرب من قلبي وما أذبلك
ويا لمى مرشفه إنّني ... يغيرني المسك الذي قبّلك
ويا مهز الغصن من عطفه ... تبارك الله الذي عدَّلك

* * *

يا راشقَ القلب مني ... أصبتَ فاكفف سهامك
فاردد عليّ منامي ... فلا عدمت منامك
فلو أردت حياتي ... لما هززت قوامك
بمن احلك قتلي ... ارفع قليلاً لثامك
بكيتُ دالاً وميماً ... لما تأملتُ لامك

* * *

إنـي أغار إذا الأراك ... دنا إليك وقبَّلك
ويروعني واشي النسيم ... إذا ثناك وميَّلك

السيد علي خان :

من أودع الراح والإقاح فمك ... ومن أعار الصباح مبتسمك
أصبح من قد رأك ملتثماً ... يتيه سكراً فكيف من لَثَمك
قالوا حكىٰ فرقك الصباح ... ولو حُكّمت فيه أوطأته قَدَمك
وأنت يا طرفه السقيم أما ... تكف عن ظلم غير من ظَلَمك

سلبتني صبري الجميلَ وما ... كفاكَ حتىٰ كسوتنيٰ سقَمَكْ

المهذب بن الدهان الموصلي :

سيف بجفنك مغمد مسلول ... ماضٍ على العشاق وهو كليلُ
يهوى مضاربه الجريح بحده ... ويهيم من شغف به المقتولُ
ومعقرب الأصداغ ما للديغها ... راقٍ وما لعليلها تعليلُ
وإذا تبدى في سماء قبائه ... والسكر يعطف عطفه فيميلُ
عقد القلوب بخصره المعقود بل ... حلَّ الغرام نَبيذُهُ المحلولُ
فأغار أن يأتي عليك بقصتي ... غيري ولو أن النسيم رسولُ

البهاءِ زهير :

يامن لعبت به شمولُ ... ما الطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال ... كالغصن مع النسيم مائل
ما يمكنه الكلام لكن ... حمّل طرفه رسائل
والبدر يلوح في قناع ... والغصن يميل في غنائل
والورد على الخدود غضٌّ ... والنرجس في الجفون ذابل
أأطلب في الهوى شفيعاً ... لي فيك غنىً عن الوسائل
من وصلك بالقليل يرضى ... الطل من الحبيب وابل

كمال الدين بن النبيه :

يميل بطبعه السُّكْريّ عني ... صدقْتُم إن ضيقَ العينِ بخلُ
قليلُ الوصلِ يُقنعنا فإنْ لم ... يُصِبْها وابلٌ منكم فطلُّ

الشريف الرضي أو مهيار :

وحدثت نفسي بالأماني ضلةً ... وليس حديث النفس غير ضلالِ

أواعـدها قـرب اللقاء ودونه ... مـواعـيد دهـر مـولع بـمطالِ
اسـائل عـمّن لا أحب كأنـما ... اريـدهم مـن دونكم بسؤالي
فـيعثر مـابين السؤال ورجعه ... لساني بكم حتىٰ ينمّ بحالي

مهيار الديلمي :

بكـر العـارض يحدوه النعاما ... فسـقاك الري يـا دار أُمـاما
وتـمشت فـيك أرواح الصـبا ... يـتأرّجن بأنـفاس الخـزامـي
اجـتدي المـزن وهـذا أربـي ... أن تـجوَد المزنُ أطـلالاً رمـاما
أيـن سكـانك لا أيـن هـم ... أحـجازاً يـمموّها أم شِأمـا
حـمّلوا ريـح الصـبا نشـركم ... قبل أن تحمل شيحاً وخـزامى
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى ... إن أذنـتم لجـفوني أن تـناما
وقـف الظامي على أبـوابكـم ... افيقضى وهـو لا يشـفي الأواما
مـا يـبالي مـن سقيتنُ اللّـما ... مـنعكنُ الماء عـذباً والمـداما

* * *

بـالله يـا بـدر بـني هـاشم ... ويـا عـديل الغـصن النـاعمِ
مـنذُ اغتدى طرفك لي ظالماً ... آليت لا أعـدو عـلىٰ ظـالمِ
أمـا وثـغرٍ أبـيضٍ نـاعم ... مـا تـعبت فـيه يـد النـاظمِ
مـالي سوى روحي وإن رمتها ... كـنت بـها أجـود مـن حـاتمِ

الشريف المرتضى :

آلا يا نسيم الريح من أرض بـابلٍ ... تـحمّل إلىٰ أهـل الخيام سلامي
وقـل لحبيب فيك بـعض نسيمه ... أمـا آن لو يسـطيع رجـع كـلامي
وإنهي لأهـوىٰ أن أكـون بأرضكـم ... عـلى أنـني منها استفدت سـقامي

* * *

بـــعادك أغــرى قــلبه بــغرامــه ... وجـفنك أغـرى جـفنه عـن منامهِ
غريب المعاني قـام عـذل صبابتي ... بـحسن عـذاريـه وليـن قـوامهِ
له هـيف الغـصن الرطيب ولينه ... ولي مـــن تـجنّيه بكـاء حـمامهِ
شككـنا فـلم نـعرف امنظم عـقده ... مـن الدر أم مـن ثـغره أم كـلامهِ
فلم ندر هذا السحر من سحر طرفه ... ومـن ثـغره والريـق أم مـن مـدامهِ
خـــليليّ إنّ الحب يـــفضحُ أهـــلهُ ... فلا تـطمعا مـا عشـتما فـي اكـتتامهِ

* * *

تـــلك الطـــلول طـلول سـلمى ... فـــافضض بـــها للـدمع خـتما
وانشـــــد هـــــنالك مـــهجةً ... بـــعريقة الأحـــداق تســـمى
صـــــنم كأن الله صـــــوّ ... ره مــــن الأرواح جســـما
وجــــناته رقت فكـــا ... دتْ مـــن خـيال الوهـم تـدمى
وصـــــفت مـــعاطفه فكـــا ... د بــــها الغـــلايل أن تــنّما
واخـــفف هـــبوبك يـــا نسيم ... فــقد خـــدشت الخــد لثـما
انّـــي غـضضت الطـرف خـوفاً ... أن يـــــؤثّر فـــــيه وســـما
نشـــوانُ مـــن خـــمرِ الدلال ... مــــعشق الحـــركات المـــى
عـــوضت فـــيه عـــن هـداي ... وصـــــحتي غـــيّا وســـقما

السيد علي ـ من شعراء السلافة ـ:

أشـم البـرق وهـو علـي شـوم ... ويـــثنيني له الشـغف القـديمُ
وأصـبو للـهوى العـذري مـهما ... شـدا القـمريُ أوهـب النسـيمُ
رعـــاك الله يــا قـمري نــجد ... تــنوح فـــلا تــنام ولا تــنيمُ

زعمت بأن وجدك فوق وجدي ... وذاك لأنني صبٌّ كتومُ
أعرّض إن بكيت بذكرِ حزوى ... ولا حزوى تراد ولا الغميمُ
ولولا المنجدون لما شجتني ... طلولٌ بالغوير ولا رسومُ

ابن الخياط :

هو الرسم لو أغنى الوقوف على الرسم ... هو الحزم لولا بعد عهدك بالحزم
تجاهلت عرفاني بها غير جاهل ... وللشوق آيات تدل على علمي
ووالله ما أدري أبَوْجِيَ نافع ... عشيةَ هاجتني المنازلُ أم كتمي
اغالب بالشك اليقين صبابةً ... وادفع في صدري الحقيقة بالوهمِ
فلما أبى إلا البكاء أو الأسى ... بكيت فما أبقيت للرسم من رسمِ

ابن مطروح :

هزوا القدود فاخجلوا سمر القنا ... وتقلدوا عوض السيوف الأعينا
وتقدموا للعاشقين فكلهم ... أخذ الأمانَ لنفسه إلا أنا
لا خير في جفنٍ إذا لم يكتحل ... أرقاً ولا جسد تحاماه الضنى
وأنا الفداء البابليّ للحظهِ ... لا تستطيع الاسد تثبت إن رنا
وبثغره وبخده وعذاره ... ماء العذيب وبارق والمنحنى
شبهته بالبدر ، قال ظلمتني ... يا عاشقي والله ظلماً بيّنا
من أين للبدر المير دؤابة ... أو مقلتا ورد وخدٌّ يُجتني
البدر ينقص والكمال لطلعتي ... فلذاك قد اصبحت منه احسنا

سيف الدولة المنشد :

لو كان قلبكِ مثل عطفكِ لينا ... ما كنتُ أقنع من وصالكِ بالمنى
لكن خصركِ مثلُ جسمي ناحلٌ ... فكلاهما متحالفان على الضنى

لا تحم خدٌكِ عن حنايا أضلعي كم لذةٍ بين الحمى والمنحنى

العفيف التلمساني :

سرى سحراً والعيس قد شارفت حُزوى
نسيم روى طيب التحيات عن أروى
وأومض من سفح الابيرق بارق
فأحرق احشاء على البعد لا تقوى
نشدتك إن عاينت باناً على النقا
وقد بان عن ساحاته الرشأ الأحوى
فقف نفساً اشكو إليه صبابتي
ووجدي وهل تجدي إلىٰ المنزل الشكوى
لعل النسيم الحاجريّ مبلغ
رسائل من سير الأحبة لا تطوى
ويخبر عن وجدي غُريباً على الغضا
تهم إلى ذلي وطابت لي البلوى
أرى فيهم خوض المنايا من المنى
فأسعى علىٰ جفنٍ إليهم ولا دعوى

ابن نباته المصري :

ولله حسن ما أويت لريبةٍ لذكرى بها الأشياء في جنة المأوى
ورب هوى قد صار نهجاً إلى هدى وعارضُ لهوٍ عاد باباً إلى تقوى
بروحي من يحوى لمام قلوبنا فنعمت في الحالين بالرشأ الأحوى
ومن يدعي الاقمار منه تغيظاً فتثبت في الآثار في وجهها الدعوى

وإنــي لأقــوى للـيالي وجـورها ولكـن ضعفا جفنه غلبا التقوى

الشهاب التلعفري :

كـلما رمت رشـف معسولِ فِيْه هـزّ لي مـن قـوامه عسّالاً
وتـجنّىٰ تـيهاً ومـاس دلالاً وانـثنى مـعرضاً ومـال وقـالا
كـان عـهدي بالخمر وهـي حـرام فـبماذا صـارت عـليك حـلالا
لم يـقاتل إلا بـمنكسرات ومـراضٍ مـن الجـفون كسـالى
هـازئاً بـالغصون عـطفاً وبـالكثبان ردفاً وبـالبدور كـمالا
كـل حـرب له وليس عـليه وسـمعنا أن الحـروب سـجالا
مـا شـجاني فـقدي لحـبّة قـلبي عـندما صـاغها لخـديه خـالا

الحاجري :

بـوادي الجـزع لو عـلم الرقـيب غـزال مـن مـوانـعه القـلوبُ
له أوفـىٰ نـصيب مـن غـرامـي عـليه وليس لي مـنه نـصيبُ

وله أيضاً :

شـرخ الشـباب بـحبكم افـنيته والعمر مـن كـلفي بكـم قـضيته
وأنا الذي لو مر بي مـن نـحوكم داعٍ وكـنت بـحفرتي لبـيته
أأروم مـن كـلفي عـليه تـخلصاً لا والذي بـطحاء مكـة بـيته
فلو استطعت بكل اسم في الورى مـن لذة الذكـرى له سـميته
لله داء فـي الفـؤاد اجـنه يـزداد نـقصاً كـلما داويـته

وله أيضاً :

عـلمتم بأنـي مـغرم بكـم صب
فـعذبتموني والعـذاب بكـم عـذبُ

والّـــفتمْ بـــين الســـهاد ونـــاظري
فــلا دمــعتي تــرقئ ولا زفــرتي تــخبو
خــذوا فــي التــجني كيف شئتم فأنـتم
أحــبة قــلبي لا مــلام ولا عــتبُ
صـــدودكم وصـــل وســخطكم رضــا
وجـــوركم عـــدل وبـــعدكم قـــربُ
لكـــم فـــي فـــؤادي مـنزل مـترفع
عـن العتب لم تـحلله سـعدى ولا عُـتبُ
عسى أوبة في الشعب أعطى بـها المنى
كـما كـان قـبل البـين يـجمعنا الشـعبُ
ومــا ذات فــرخ بــان عــنها فأصـبحت
بـذي الاثـل ثكـلئ دأبـها النـوح والنـدبُ
بأشـــوق مـــن قـــلبي لديكـم ، وليـتني
قــضيتُ أســىً أوليتَ لمْ يُــخلقِ الحبُّ
إذا نـــــادمتني مـــــقلتاه وكأســـه
مــلكت مكــاناً دونـه الشـرق والغـربُ
يـــعاتبني والذنب فـــي الحب ذنـــبه
فـــيرجـــع مـــغفوراً له ولي الذنبُ
ولمــا سكـنت القـلب لم يـبق مـوضع
بـــجسمي إلا ودّ لو أنـــه قـــلبُ

ألا يــا نسيماً هب مــن أرض حــاجرٍ
نشدتك هل شرب الحمى ذلك الشربُ
وهـــل شـــجرات بـــالأثيل انـــيقة
يـــروح ويـــغدو مستظلاً بـــها الركبُ
رعـــى الله حـــياً بـــالمحصب مـــن منى
خـــليين مـــن رعـــي الذمـام ولا ذنبُ
فـــليتهم عـــدل ودهـــري جـــائر
وليـــتهم ســـلم وكـــل الورى حـــربُ

أبو عطاءِ السندي :

ذكـرتك والخـطي يـخطر بـيننا وقـد نـهلت مـني المثقفة السمرُ
فـو الله مـا أدري وإنـي لصـادق اداءٌ عـراني مـن جنابك أم سـحرُ
فإن كان سحراً فاعذريني عن الهوى وإن كـان داءٌ غـيره فـلك العـذرُ

الخفاجي :

ومـا أدعـي أنـي احـن إليكـم وتـمنعني الأعـداء مـن كـل جـانبِ
وما الشوق إلا في صدورٍ تـعوّدتْ لقـاء الأعـادي فـي لقـاء الحـبائبِ
ومـالقلوب العـاشقين مـزية إذا نـظرت أفكـارها فـي العـواقبِ

* * *

ومـراعـة للـبين تـحسب أنّـها شمسٌ على غـصنٍ تـغيبُ وتـطلعُ
كـتبتْ إليّ عـلى شـقائق خدِّها سـطراً مـن العبراتِ مـاذا تـصنعُ
فأجـبتُها بـلسانِ دمـعٍ نـاطقٍ مـافي الحـياة مـع التـفرق مـطمعُ
إن كـنت تـنكر مـا بـليت بـه وتشك فـي وجـدي وفـي سـهدي

فسل الكواكب قد رضيت بها تنبئك عن سهري وعن كمدي
وانظر إليّ فغير مجتمع برء الفؤاد وعلة الجسدِ

* * *

إذا أشرف المكروب من أرض تلعةٍ على شعبِ بوّانٍ أفاق من الكربِ
وألهاه روضٌ كالحريرِ لطافة ومطرد يجري من البارد العذبِ
فبالله يا ريح الشمال تحملي إلىٰ شعب بوّان[1] سلام فتىً صبٍّ

علية أخت الرشيد :

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه وقد غابَ عنه المسعدون على الحبِّ
إذا ما أتاه الركب من نحو ارضكم تنشق يستشفي برائحة الركبِ

* * *

إذا أقبلت من نحو أرضك رفقة تلقيت من أقصى مسالكها الركبا
أسائلهم عمّن براني بحبه وصيَّر جسمي بعده للأسى نهبا
وإني لاستهدي الرياح سلامكم إذا ما نسيم من دياركم هبا
وأسألها حمل اشتياقي إليكم لتعلم أني لا أزال بكم صبا
سلامي على عيش كان لم أفز به وعمر كأني كنت أُقطعه وثبا

* * *

قضىٰ الوجد أني لا أزال مسهداً إذا هجعت تحت الظلام عيونُ
وأن ليس يهدي العائدات لمضجعي من الشوق إلا زفرة وحنينُ
أحبتنا لي بالاياب مواعد فحتام تُلوى والعداتُ ديونُ
وحتام أشكو الهجر منكم شكاية تعلِّمُ صلدَ الصخر كيف يكونُ

---

(١) شعب بوّان : مرج مستنزه ، في أرضِ فارس معروف .

العباس بن الأحنف :

إذا لم يكـن للمرء بـد مـن الردى ... فأهون أسباب الهوى سبب الحبِ
ولو أن خـلقاً كـاتم السـر قـلبه ... لمت ولم يـعلم بـحبكم قـلبي

أخذه من قول أعرابي :

وإنـي لمطوي الضلوع علىٰ هـوىٰ ... هو المثل الأعلىٰ لأهل الهوى بـعدي
ولو أن خـلقاً كـان يكـتم نـفسه ... هواها لما أطلعت نفسي علىٰ وجدي

جرير :

إن العـيون التـي فـي طـرفها حـور ... قـتلننا ثـم لم يـحيين قـتلانا
يصرعنّ ذا اللب حتىٰ لا حـراك بـه ... وهـن أضـعف خـلق الله أركـانا[1]

مهيار :

يـا صـبا نـجدٍ وبـانات الحـمى ... ارفـقا بـي فـي الصَّبى والهـبوبِ
واسـلما لا مـثل مـا سـاحَ دمـي ... مـنكما بـين نسـيم وقـضيبِ

البحتري :

عزّيتُ نـفسي بـبرد اليـاس بـعدكم ... ولا تعريَت من صبري ولا جـلدي
إن الهوى وانوى شيئان مـا اجـتمعا ... وخـليا أحـداً يـصبو إلى أحـدِ

* * *

ألا يا سنا بـرقٍ علىٰ قـللِ الحـمى ... ليـهنك مـن بـرقٍ عـليّ كـريمُ
لمعت اقتداء الطـير والنـاس هـجع ... فـهيجت اسـقاماً وأنت سـليمُ
فهل من معير طرف عينٍ صحيحة ... فـإنسان عـين العـامري كـليمُ
رمـى قـلبه البـرق اليماني رمـية ... بـذكر الحـمى وهـناً فـبات يـهيمُ

---

(١) في ديوان الشاعر : إنسانا .

ابن أبي الدنيا ، في أبناءِ الدنيا :

إذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن ... له غائباً يوماً كما هو شاهدُ
فلا خير فيه والتمس غيره أخاً ... كريماً على ود الصديق يعاهدُ
فإن غبت يوماً أو حضرت فوجهه ... على كل حالٍ أينما كان واحدُ

علية بنت المهدي ، أخت الرشيد :

بأبي من زارني مكتَتِما ... حذراً من كل شيءٍ فَزِعَا
قمرٌ نمّ عليه نورُهُ ... كيف يُخفي الليلُ بدراً طلعا
رصَدَ الخلوةَ حتىٰ امكنتْ ... ورعى السامرَ حتىٰ هَجَعَا
ركب الأهوال في زورته ... ثم ما سلّم حتىٰ ودعا

الشريف أبو جعفر مسعود بن الحسن البياضي :[1]

خليلي مُرّا بالعراق فناديا ... ألا من أرىٰ قلباً من الوجدِ باليا
فإن أنتما أعييتما في ابتغائه ... ولم تجداه فابعثا لي ناعيا

كُثيِّر عزة ، وكان مع الحسين ﷺ صغيرين ، لم يفترقا ، لكنه اختلتْ عقيدتُهُ باعتقادِ امامةِ محمد بن الحنفية ، واعتقادِ أنه هو القائم المنتظر ، وأنه إلىٰ الآن حيٌّ بجبلِ رضوى كما تقدمتْ أبياتٌ في ذلك :

خليليَّ هذا ربعُ عزةَ فاعقلا ... قلو صيكما ثم احللا حيثُ حلَّتِ
فما كنت ادري قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتىٰ تولَّتِ
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها ... كناذرة نذراً فأوفتْ وحلَّتِ

---

(١) مسعود بن عبد العزيز (كذا) بن المحسن الهاشمي . ت ٤٦٨ هـ . كحالة / معجم المؤلفين : ج١١ ، ص٢٢٧ ، وقد سماه بن خلكان في ترجمته بمسعود بن عبد العزيز وقال أيضاً : ورأيت في ديوانه أن اسمه مسعود بن المحسِّن (وفيات الأعيان لابن خلكان) وبالتالي فإن الحسن هنا تحريف عن المحسن .

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطّنت يوماً لها النفس ذلَّتِ
ولم يلق انسان من الحب نعمة تعمُّ ولا عمياء إلا تجلَّتِ
فإن سأل الواشون فيما حرمتها فقل نفس حر سلّيت فتسلَّتِ
كأني انادي صخرةً حين اعرضت من الصمّ لو تمشي بها الصم ملَّتِ
أباحت حمىً لم يرعه الناس قبلها وحلّت تلاعاً لم تكن قبل حلَّتِ
أريد ثواءً عندها وأظنُّها إذا ما اطلتُ عندها المكث ملَّتِ
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى منها الزمان فشلَّتِ
ووالله ما قاربت إلا تباعدت بصرم ولا أكثرت إلا أقلَّتِ
فواعجباً للقلب كيف اعترافه وللنفس لما وطنت كيف ذلَّتِ
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما تواثقنا شددت وحلَّتِ
وكنا سلكنا في صعود من الهوى فلما توافينا ثبتُّ وزلَّتِ
وللعين تذراف إذا ما ذكرتها وللقلب وسواس إذا العين ملَّتِ
فليت قلوصي عند عزّة قيدت بحبلٍ ضعيف زال عنها فضلَّتِ
وأصبح في القوم المقيمين رحلها وكانت لها باغ سواي فسلَّتِ
وبي زفرات لو يدمّن قتلنني توالي التي تأتي التي قد تولّتِ
فإن تكن العتبىٰ فأهلاً ومرحباً وحقَّتْ لها العُتبىٰ علينا وجلّتِ
وإن تكن الأخرىٰ فإنَّ وراءَنا بلاداً إذا كلفتها العِيسُ كلَّتِ
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلّتِ
اسيئي بنا أو أحسني لا مَلُومَةً لدينا ولا مقلوة إن تقلَّتِ(١)
فما أنا بالداعي لعزة بالردى ولا شامتاً إن نعل عزة زلَّتِ

---

(١) في الديوان : مقليَّة .

ولا يحسبِ الواشون أن صبابتي ... بعزة كانت غمرة فتجلتِ
فوالله ثم الله لا حلّ قبلَها ... ولا بعدَها من حيث عزة حلّتِ(١)
وما مر من يومٍ عليّ كيومها ... وإن عظمت أيام أخرىٰ وجلّتِ
وإني وتهيامي بعزّةَ بعدما ... تخلّيتُ من أسبابها وتخلتِ
لكا لمرتجي ظل الغمامة كُلّما ... تبوّأ منها للمَقيل اضمحلّتِ
كأني وإيّاها سحابة مجدبٍ(٢) ... رجاها فلما جاوزته استهلّتِ(٣)
تمنيتها حتىٰ إذا ما رأيتها ... رأيت المنايا شرعاً قد اظلّتِ

وعزة هذه لم تكن من الحسن بمكان ، وقد قال لها عبد الملك بن مروان : ما رأى منك كثير حتىٰ عشقك ، وأكثر فيك النشيد ؟! قالت : إن كُثيراً نظرني بعينٍ لم تنظرني أنت بها .

ومرت يوماً علىٰ كُثير وهو علىٰ جملٍ له فسلمت علىٰ الجمل ولم تسلم علىٰ كثير حياءً منه ، فنزل عن الجمل ، فاعتقه ولم يركبه ، ولم يحمل عليه قط ، ولم يزل يكرمه كرامة لسلام عزة عليه ، وفي ذلك يقول :

حيّتك عزّةُ يوم العيد وانصرفت ... ألا فحيِّ لمن حياك يا جملُ
ليت التحية كانت لي فأشكرها ... مكان يا جمل حييت : يا رجلُ

يعني ماذا على عزة لو لفظت برجلٍ بدل جمل ، وقد كان كل منهما علىٰ ثلاثة أحرف ، وانهما متقاربان لفظاً ، وأراد بالشكر لتحيتها أن يحييها بدل التحية

---

(١) في الديوان : ولا بعدها من خُلّةٍ حيثُ حلّتِ .
والخُلّة : الخليلة ، الحبيبة ، الصديقة .
(٢) مهجد . منه ﷺ .
(٣) في الديوان : (سحابة مُمْحِلٍ) أي : بلد ممحل بمعنىٰ مجدب ، استهلت : أمطرت .

الواحدة عشر تحيات، كما قال تعالىٰ: ﴿ **من جاء بالحسن فله عشر أمثالها** ﴾[١].

ابن سناء الملك:

أمــا والله لولا خـوف سـخطك لهـان عـليّ مـا القـى بـرهطك
مـلكت الخـافقين فـتهت عُـجْبا وليس هـما سـوى قـلبي وقـرطك

أبو فراس الحمداني:

أراك عـصيَّ الدمـع شـيمتُكَ الصـبرُ
أمـا للـهَوىٰ نـهيٌ عـليكَ ولا أمـرُ ؟
بـلىٰ، أنـا مشـتاقٌ وعـندي لوعـةٌ
ولكــنَّ مـثلي لا يـذاع له سـرُّ !
إذا اللـيل وارانـي[٢] بسطت يـد الهوى
وأذللتُ دمـعاً مـن خـلائقِه الكِـبرُ
تكـاد تـضيءُ النـار بـين جوانـحي
إذا هـي أذكـتها الصـبابةُ والفكـرُ
مـعلِّلتي بـالوصلِ والمـوتُ دونـه
إذا متُّ عـطشاناً فـلا نـزل القـطرُ ![٣]
بـدوت، وأهـلي حـاضرون لأنَّـني
أرىٰ أن داراً، لست مـن أهـله قَـفْرُ

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٢) في ديوان الشاعر: أضواني: أي عذَّبني وشجاني.

(٣) في ديوان الشاعر: إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطر!
أو (بتُّ).

وحــاربتُ قــومي فــي هــواكِ وإنَّـهُم
وإيــايَ لولا حُــبُّك المـاءُ والخَـمْرُ
فـإن يكُ مـا قـال الوشاة ـ ولم يكـن ـ
فـقد يـهزم الإسـلام مـا شيَّد الكـفرُ[1]
وفـيتُ وي بـعض الوفـاءِ مـذلّةٌ
لإنســانةٍ بــالحيِّ شـيمتُها الغـدرُ
وقــورٌ ، وريــعان الصِّــبا يسـتفزُّها
فَـتَأرَنُ أحـياناً كـما يأرن النـمرُ[2]
تســائلني مــن أنت ؟ وهــي عـليمةٌ
بحالي ، وهل مثلي علىٰ حاله نكـرُ ؟[3]
فـقلتُ ـ كـما شاءت وشاء لي الهـوى ـ
قـتيلك قــالت أيــهم فــهم كـثرُ
فأيــقنت أن لا عــزٌ بــعدي لعـاشقٍ
وانَّ يــدي مــما عـلقن[4] بـه صِـفْرُ
وقــلبت أمــري لا أرىٰ لي راحــةً
إذا البــينُ أنســاني ألحُّ بــي الهَـجْرُ

(١) في ديوان الشاعر : فقد يهدم الإيمان .
(٢) في ديوان الشاعر : فتأرن أحياناً كما أرن المهر .
وأرن : أي نشط .
(٣) في ديوان الشاعر : وهل بفتىً مثلي علىٰ حاله نُكُر ؟
(٤) في ديون الشاعر : عَلِقْتُ .

فعدت إلىٰ حكم الزّمان وحكمها
لها الذنب لا تجزي به ولي العُذرُ
كأنّي أنادي دون ميثاء ظبية
علىٰ شرف ظمياء حلّ بها الذّعرُ
تجفّل حيناً ثم ترنو كأنما
تراعي طلاً بالواد اعجزه الحصرُ[1]
وإنّي لنزّالٌ بكل مخوفةٍ
كثير إلىٰ نُزّالِهَا النظّر الشزرُ
وإني لجرار لكل كتيبةٍ
معودة أن[2] لا يزايلها نصرُ
فاصدأ حتىٰ ترتوي البيض والقنا
وأسغب حتّىٰ يشبع الذئب والنسرُ
ولا أصبح الحي الخلوف بغارةٍ
ولا الجيشَ مالم تأته قبلي النُّذرُ
ويا رُبَّ دارٍ، لم تخفني، منيعةٍ
طلعت عليها بالردىٰ أنا والفجرُ
وحيٍّ رددتُ الخيلَ حتىٰ تركته
صريماً وردَّتني البراقعُ والخمرُ

---

(١) في ديوان الشاعر: الحُضْرُ.

(٢) م ك: ساقطة.

وساحِبةِ الأذيالِ نحوي لقِيتُهَا
فلم يلقها جافي اللّقاءِ ولا وَغْرُ
وهبت لها ما حازهُ الجيشُ كله
وآبتْ ولم يكشف لأثوابها سِترُ
وما راح يطغيني بأثوابها الغِنى
وما راح يثنيني عن الكرم الفقرُ
وما حاجتي بالمال أبغي وُفُوره
إذا لم يفزْ عرضي فلا وفرَ الوَفرُ
أسِرتُ وما صحبي بعُزلٍ لدى الوغى
ولا فرسي هزلٌ ولا ربُّه غُمْرُ
ولكن إذا حمّ البلاء على امرىءٍ
فليس له برٌّ بقيه ولا بَحْرُ
وقال أصُيحابي : الفرار أو الردى ؟
فقلت : هما أمران[1] ؛ أحلاهما المرُّ
هو الموت فاختر ما حلا لك ذكره
فلم يمت الإنسانُ ما حيي الذِّكْرُ
ولا خيرَ في دفعِ الردى بمذلّةٍ
كما ردَّها يوماً بسوءتِهِ عَمْرُوْ
يَمُنُّونَ إن خلّوا ثيابي ، وإنما
عليّ ثيابٌ ، من دمائهم حُمْرُ

---

(١) م ك : مران . وفي ديوان الشاعر : أحلاهما مُرُّ .

وقائم سيف فيهم دُقّ نصله
وأعقاب رمحٍ فيهم حُطم الصّدرُ
سيذكرني قومي إذا جدَّ جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ[١]
ولو سدَّ غيري ما سددتُ اكتفوا به
وما كان يغلو التّبرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ
ونحن أناس لا توسُّط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسناء لم يُغلها المهرُ
أعزّ بني الدنيا وأعلى ذوي العُلل[٢]
وأكرمُ من فوقَ التراب ولا فَخْرُ

ابن الأثير :

عيناه قد شهدت بأني مخطىءٌ ... وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب انتبه في قتلتي ... فالخط زور والشهود سكارى
انظر إلىٰ عارضه فوقه ... لواحظ تمطر منها الحتوفْ
نشاهد الجنة في خده ... لكنها تحت ظلال السيوفْ

* * *

إن شبهوا بالنبل ألحاظه ... يوماً فقد جاءوا بأمر عجيبْ

---

(١) م ك : ستذكرني قومي إذا جدَّ جدُّها .

(٢) م ك : العلى .

والنيل قد تخطئ في رميها ... وهي من غير رمي تصيبْ

* * *

مفرد :

والله ما اخترتُ الفراق وإنما ... حكمت عليّ بذلك الأيامُ

* * *

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له ... وأنت تعلم أني منك غيران

بلّغ سلامي إلىٰ من لا أكلمه ... إني علىٰ ذلك الغضبان غضبان

لا يا رسولي لا تذكر له غضبي ... فذاك مني تمويه وبهتان

في كل يوم لنا رسل مرددة ... وكل يومٍ لنا في العتب الوان

استخدم الريح في حمل السلام لكم ... كأنما أنا في عصري سليمان

ابن وكيع :

أبصره عاذلي عليه ... ولم يكن قبلها رأه

فقال لي لو عشقت هذا ... مالامك الناس في هواه

قل لي إلىٰ من عدلت عنه ... فليس أهل الهوى سواه

فظل من حيثُ ليس يدري ... يأمر بالعشق من نهاه

* * *

كأنَّ فؤادي طائر في حباله ... إذا قيل هذا بالحجاز غريبُ

وارتاح للبرق الشآمي كأنني ... له حين يجري في السماء نسيبُ

فيالك من دمع كأن حبابه ... لآلئ سلكٍ مالهنّ ثقوبُ

فهل عائد قبل الممات وراجع ... على عهده دهراً إليّ حبيبُ

قلتُ : كونُ اللؤلؤ غيرُ مثقوبٍ يناقضُ كونه لآلئ سلك ، إذ لا تُضافُ إليه

إلا بعد نظمه به، ولا نظم إلا بعد ثقبه، ولعلّ الإضافةَ مجازيةٌ، لأنه قد يؤل إلىٰ النظم به، ولو بعدَ الثقبِ، كما قالَ تعالىٰ: ﴿ إنّي أراني أعصرُ خمراً ﴾[1]، فأطلقَ الخمرَ على العصيرِ، فإنه قد يؤل إليه بعد التخمير، ولو بعد حين، وإنما التجأ إلىٰ ذكرِ السلكِ لأنَّ الدمعَ إنَّما يشبه بتنضُّدِه ممتداً اللؤلؤَ المنظومَ في السلك، وحيثُ كانت حبابه مستديرةً مملوةً أشبهت اللؤلؤَ قبل أن يُثقبَ.

سبط ابن التعاويذي:

سقاك سارٍ من الوسمي هتّانُ ... ولا رقت للغوادي فيك أجفانُ
ولي إلىٰ البان من رمل الحمى طرب ... واليوم لا الرمل يصبيني ولا البانُ
وما عسىٰ يدرك المشتاق من وطرٍ ... إذا بكى الربعَ والأحباب قد بانوا

أبو جعفر المهلبي:

لقد هيج الشوق القديم حمامةً ... مطوقةً ورقاء بان قربنها
تغنَّتْ بصوتٍ أعجمي فهيَّجتْ ... وساوس نفسٍ ما تقضى شؤونها
تبوح بما تلقاه من فقد إِلْفِها ... وفي القلب مني لوعة ما أبينها
ويسعدها ورق يعينُ علىٰ البكا ... وليس لنفسي في الهوى من يعينها

* * *

ومهفهفٍ لما اكتست وجناته ... حللَ الملاحة طرزت بعذارِهِ
لما انتصرت علىٰ أليم جفائه ... بالقلب كان القلب من أنصارِهِ
كملت محاسن وجهه فكأنما ... اقتبس الهلال النور من أنوارِهِ
وإذا ألح القلب في هجرانه ... قال الهوى لابد منه فدارِهِ

* * *

---

(١) سورة يوسف: ٣٦.

خذوا من أنيني أنة للحمائم ... ومن ماء جفني مزنة للغمائمِ
وها نَفَسي إن شئتم النار فاصطلوا ... تأجّج ما بين الحشا والحيازمِ
سألتكم إن جزتما رمل عالج ... قفا بقلوصي بين تلك المعالمِ
وقولا لمن قد خلف الركب بالحمى ... متىٰ عهدكم بالله من أم قاسمِ
يقرّ لعيني لثمة من ترابها ... وإن كان ممزوجاً بسمّ الأراقمِ

الأمير أبو فراس، من آل حمدان ... القصيدة أولها :

أما لجميلٍ عندكن مثابُ ... ولا لمسيءٍ عندكن متابُ
لقد ضلَّ[1] من تحوي هواه خريدةٌ ... وقد ذلّ من تقضي عليه كعابُ
ولكنني ، والحمد لله ، حازم ... أعزّ إذا ذلت لهنّ رقابُ
ولا تملك الحسناء قلبي كله ... وإن شملتها رونق وشبابُ
وأجري ولا أعطي الهوى فضل مقودي ... وأهفو ولا يخفى عليّ صوابُ
إذا الخلّ لم يهجرك إلا ملالةً ... فليس له إلا الفراق عتابُ
إذا لم أجد من خلّةٍ ما أريده ... فعندي لأخرى عزمةٌ وذهابُ
وليس فراق ما استطعت فإن يكن ... فراق علىٰ حالٍ فليس إيابُ
صبور وإن لم يبق مني بقيةٌ ... قؤول ولو أن السيوف جوابُ
وألحظ احوال الزمان بمقلةٍ ... بها الصدق صدق والكذاب كذابُ
بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحابُ
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئاباً علىٰ أجسادهن ثيابُ
تغابيت عن قومي فظنوا غباوة ... بمفرق أغبانا حصى وترابُ
ولو عرفوني بعض معرفتي بهم ... إذاً علِموا أنّي شهدتُ وغابوا

(١) م ك : ظلَّ .

وما كل فعّالٍ مجازى بفعله ولا كل قوّالٍ لدي يجاب
ورب كلامٍ مرّ فوق مسامعي كما طَنّ في لوح الهجير ذباب
إلى الله نشكو أننا بمنازل تحكّم في آسادِهنّ كِلاب
تمر الليالي ليس للنفع موضع لديَّ ولا للمعتفين جناب
ولا شُدّ لي سرج على متن سابحٍ ولا ضُربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي باللقاء بوارقٌ ولا لمعت لي بالحروب حراب
ستذكر أيامي نميرٌ وعامرٌ وسعد على علاتها وكلابُ
أنا الجار لا زادي بطيٍّ عليهم ولا دون مالي في الحوادث بابُ
ولا أطلب العوراء فيهم أصيبها ولا عورتي للطالبين تصابُ
واسطو وحبِّي ثابتٌ في صدورهم وأحلم عن جهالهم وأهابُ
بين عمنا نحن السواعد والظبى[1] ويوشك يوماً أن يكون خرابُ
بني عمنا ما يصنع السيف في الوغى إذا فلّ منه مضرب وذبابُ
وما أدعي ما يعلم الله غيره رحاب عليٍّ للعفاةِ رحابُ
وأفعاله للراغبين كريمةٌ وأمواله للطالبين نِهابُ
ولكن نبا منه بكفي صارم وأظلم في عيني منه شهابُ
وابطأ عني والمنايا سريعة وللحرب ظفر قد أطل ونابُ
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غِضَابُ
وليت التي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خرابُ
ويا ليت شبي من ودادك صافياً وشربي من ماء الفرات سرابُ

(١) م ك : الظبا .

إذا صحّ منك الود فالكل هيّنٌ وكل الذي فوق التراب[1] ترابُ

أبو العلاءِ المعري :

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعِلٌ : عَفَافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
أعندي ، وقد مارستُ كل خفيّةٍ يُصدِّقُ واشٍ أو يُخيّب سائلُ ؟
أقلُّ صدودي أنني لك مبغضٌ وأيسر هجري أنني عنك راحلُ
إذا هبّتِ النكباء بيني وبينكم فأهون شيءٍ ما تقول العواذلُ
تعد ذنوبي عند قومي كثيرةً ولا ذنب لي إلا العلى والفواضلُ[2]
كأني إذا طُلت الزمان واهله رجعت وعندي للزمان طوائلُ[3]
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاء شمسٍ ضوؤها مُتكاملُ
تهمُّ الليالي بعض ما أنا مضمرٌ ويثقلُ رضوى دون ما أنا حَاملُ
وإنّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ
فاغدوا ولو أنّ الصباح صوارمٌ وأسري ولو أن الظلام جَحَافلُ
وأيُّ جواد لم يحل لجامه ونضوٍ يمان أغفلتهُ الصياقلُ
وإن كان في لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمائلُ
ولي منطق لم يرض لي كُنه منزلي على أنّني فوق السماكين نازلُ
لدى موطن يشتاقه كل سيدٍ يقصرُ عن إدراكه المتناولُ
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتىٰ ظن أنّي[4] جاهلُ
فواعجبا ! كم يدعي الفضل ناقصٌ ووا أسفا ! كم يظهر النقص فاضلُ

---

(١) م ك : ساقطة .
(٢) في ديوان المعري : الفضائلُ .
(٣) في ديوان المعري : للأنام .
(٤) م ك : ساقطة .

وكـيـف تـنـام الطـيـر فـي وكـنـاتـهـا إذا نـصـبـت لـلـفـرقـديـن الحـبـائـلُ ؟
يـنـافـس يـومـي فـيّ أمـسـي تـشـرّفـاً وتـحـسـد أسـحـاري عـلـيّ الأصـائـلُ
وطـال اعـترافـي بـالزمـان وصـرفـه فـلـسـت أبـالـي مـن تـغـول الغـوائـلُ
فلو بان عضدي ما تأسـف منكبي ولو مـاتَ زنـدي مـا بكـتـه الأنـامـلُ
إذا وصـفَ الطـائيَ بـالبخلِ مـادرٌ وعـيَّرَ قسّاً بـالفهاهةِ بـاقلُ
وقال السُّهى للشمس : أنت خفيةٌ وقال الدجى : ياصبح لونُك حائلُ
وطـاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادلُ
فـيا مـوت زر ! إن الحياة ذميمةٌ ويا نفسِ جدِّي ! إنّ دهـرك هـازلُ
وقـد أغـتدي والليل يبكي تأسفاً علىٰ نفسه والنّجم في الغرب مائلُ
بريح أُعِيرت حافراً من زبرجدٍ لها التبر جِسمٌ واللجين خلاخلُ
كأن الصبا ألقت إليّ عنانها تـخب بسرجي مرّةً وتناقلُ
إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت اليها المناهلُ
وليلان : حالٍ بالكواكب جوه وآخرُ من حلي الكواكب عاطلُ
كأن دجاه الهجر والصبح موعدٌ بوصلٍ ، وضوء الفجر حِبٌّ مماطِلُ
قطعت به بحراً يعب عبابه وليس له[1] إلا التصبر ساحِلُ
ويؤنسني في قلب كل مخوفةٍ حليف سرىً لم تصحو منه الشمائلُ
من الزنج كهلٌ شابَ مَفرِقُ رأسه وأُوثِقَ حتىٰ نهضه متثاقلُ
كأنَّ الثريا والصباحُ يروعها أخو سقطةٍ او ظالعٌ متحاملُ
إذا انت أعطيت السعادةَ لم تبل وإنْ نظرتْ شزراً إليك القبائلُ
تقتك علىٰ أكتاف أبطالها القنا وهابتك في أغمادهن المناصلُ

(١) م ك : ساقطة .

وإنْ سدَّد الأعداء نحوك أسهماً نكصنَ على أفواقهِنَّ المعاولُ
تحامىٰ الرزايا كل خف ومنسم وتلقى رداهنَّ الذرى والكواهلُ
وترجع أعقاب الرماح سليمةً وقد حطمت في الدارَ عين العواملُ
فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتطاولُ
توقى البدور النقص وهي أهلَّة ويدركها النقصانُ وهي كواملُ

* * *

تقولُ له الأغصانُ إذْ هزّ عطفه أتزعم أنّ اللين عندك قد ثوى
فقم نحتكم في الروض عند نسيمه ليقضي علىٰ من مال منا إلىٰ الهوى

* * *

وصالك والثريا في قران وهجرك والجفا فرسا رهانِ
كأنك ما حفظت لسوء حظي من القرآن إلا ﴿ لن تراني ﴾

* * *

قالت لنا سود عيون الظبا وهي تسل البيض في المعركة
يا أمة العشق تنحوا ﴿ ولا تلقوا بأيدكم إلىٰ التهلكة ﴾

* * *

لما رأيت سُلوّيْ عزَّ مطلبه عنكم وعقد اصطباري صار محلولا
دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولا ﴾

* * *

اطلقت لفظي عندما قربتني بسوابغ الانعامِ
فليشكرنك نائباً عن منطقي صدر الطروس وألسن الأقلامِ

في الفخر بالنسب :

لعمرك ما يغني افتى طيب أصله ... وقد خالف الأباء في القول والفعل
فقد صحّ أن الخمر رجس محرم ... ولا شك فيه أنه طيب الأصل

في طفيلي وقد بالغ :

لو طُبِختْ قِدرٌ بمطمورةٍ ... بالرومِ أو أقصىٰ بلادِ الثغور
وأنتَ بالصين لوافيتها ... يا عالمَ الغيب بِما في القدور

* * *

ومعشوق له في الخد خال ... كمسك فوق كافور نقيّ
تحيّر ناظري لما رآه ... فقال الخال : صلِّ على النبيّ

الورّاق :

وسقيم الجفون أودعه الله ... بذاك السقام سرّاً خفيا
غلبت مقلتاه قلبي عشقاً ... وضعيفان يغلبان قويا

* * *

أقول وليلتي تزدادُ طولاً ... أما لليل بعدهم نهارُ
جفت عيني عن التغميض حتى ... كأن جفونها عنها قصارُ

* * *

بَرَزَتْ فقابل ناظري من وجهها ... مرآة حسن بالجمال صقيلِ
أبكي فأنظر أدمعي في خدُّها ... تجري فأحسبُ أنّها تبكي لي

ياسين بن أحمد :

إن كنت تهوى أن ترىٰ حدَقَ المها ... جهراً وحسن سوالف الآرامِ
عجّ بالمطي على الغري ترى به ... صوراً تبيح عبادة الأصنامِ

القاضي الأرجاني :

أيـا رشأ فـي جـفن عـينيه فـترةٌ   يُـحرِّكُ أشـجانَ المـحبّ سكـونها
يـقولون سـلوان القـرين شـفاؤه   وليس شـفاء النـفس إلا قـرينها

* * *

يـا مـن يـلوم عـلىٰ هـواه جـهالة   انـظر إلىٰ تـلك السـوالف تـعذرِ
حسـنت فـطاب نسـيمها فكأنـها   مسك تسـاقط فـوق وردٍ أحـمرِ

* * *

ومـهفهفٍ لمّـا تـبسّم ضـاحكاً   خـلتَ العـقيق بـثغره والابـرقا
نـاديت مـرسل صـدغه لمـا بـدا   يـا مـرحـباً بـقدوم جيران النقا

* * *

اطلع الحسـن مـن جـبينك شـمسا   فـوق ورد مـن وجـنتيك أطـلّا
فكأن العـذار خـاف عـلىٰ الورد   ذبـولاً فـمدَّ بـالشعر ظِـلّا

* * *

نـهاني لمـا بـدا عـقربٌ   عـلىٰ خـدِّه أن أروم السّـفرْ
فـقلتُ وحـاجبه قـوسه   أسـير وفـي القـوس حـلّ القـمرْ

ويقرب منه ، قول ابن نباته في أرجوزةٍ عملها في الصيد :

مـن كـل مـبعوث مـن الأطـيارِ   تـظلّه غـمامة الغـبارِ
قـد حـمدَ القـومُ بـه عـقبىٰ السفرْ   عـند اقـتران القـوس مـنه بـالقمرْ

الأمير علي بن مقرب الأحسائي :

صـداقُ المـعالي مشـرفيّ وذابـلُ   وسـابغةٌ زعـف وأجـرد صـاهلُ
ونصُّ القلاص القود تـخدي كأنـها   نـعام بـاعلى قـلّة الدّوِّ جـافلُ

فيا خاطب العلياء ولا تحسبنّها حديث العذاري انشأته المغازلُ
تنحّ ودعها هكذا غير صاغر لكل همامٍ ما اشتهت فهو باذلُ
أقول وقد طال اهتمامي وعبرتي على الخد منها مستهلّ وجائلُ(١)
أيا نفس صبراً لليالي فربما أتىٰ فرجٌ للمرء والمرء غافلُ
فكم ضاق أمر ثم وافىٰ اتساعه وما عاجلٌ إلا ويتلوه آجلُ
وقد يأمن النقص السّها لاحتقاره ويخشىٰ الكسوف البدر والبدر كاملُ
وما بين موتور ولا بين واتر لفصل القضا إلا ليالٍ قلائلُ
وليس عجيباً أن يُحقَّر عالمٌ لذى ضده أو أن يوقر جاهلُ
فقد ربما للجد يُكرم ناهق فيُخلى له المرعى ويُحرم صاهلُ
وما الدّهرُ إلا فرحةٌ ثم ترحةٌ تناوبها الأيام والكل زائلُ
فقريَ حياة واطمئني جلادة فأي كريم سالمته الغوائلُ
وما كان حملي للأذىٰ عن ضراعةٍ ولكن لأمر كان مني التثاقلُ
وإلا فعندي للسّرى أرحبيةٌ وعزم يفلّ السيف والسيف فاصلُ
وفيّ على عضّ الليالي بقيةٌ وإن قطعت من راحتي الأناملُ
ولي عن مكان الذلّ منأىً ومرحل وذا الناس في الدنيا غريب وآهلُ
ولست غريباً حيث كنت وإنما معانيَ غربٌ في الورى لا المنازلُ

* * *

وله أيضاً :

أتدري الليالي أي خصم تشاغبه وأي همام بالرزايا تواثبهْ

---

(١) البيت وما بعده في قصيدةٍ أخرىٰ لنفس الشاعر ، وربما دمجها المؤلف اعتماداً علىٰ نسخةٍ لديه .

تـجاهل هـذا الدهـر بـي فـتكتبت ... عـلـيّ بأنـواع البـلايا كـتائبهْ
وظـن مـحالاً أن أديـن لحكـمة ... لتبك عـلىٰ عـقل المـعنّى نـوادبـهْ
وإنـي وإن أبـدى اصْعِراراً بـخده ... وأوجف بي وازورّ للبغض حـاجبهْ
لأغـضي عـلىٰ بـغضائه وازوراره ... واعـجب مـن حـرٍ كـريم يـعاتبهْ
وسـيّان عـندي عـذبه واجـاجه ... وحـاضره فـيما يشـاء وغـائبهْ
ومـا الدهـر خـصماً اتـقيه فشأنـه ... وحـربي فـلا عـزّ امرؤٌ لا يـحاربهْ
ولا قائلٍ للـدهر رفـقاً وقـد طـمت ... أواذيـه شـراً وجـاشت غـواربـهْ
سلوا صرفه هل راعني أو تزعزعت ... مناكب عزمي حين مادت مـناكـبهْ
وإنّ جـليلَ الخـطبِ عـندي لهـينٌ ... إذا لزمتْ دار ابـن عـمّي عـقاربهْ
ومن يجعل العـجزَ المـطيةَ لم يـزلْ ... يـمرُّ عـليه الدهـر والفـقر صـاحبهْ
فـقم واركب الأفـلاك جـداً فـطالما ... أفاد الغنى بالمركبِ الصـعب راكـبهْ
فما يـقطع الصـمصام إلا إذا انـتحى ... عن الغمد لو كـان حـداداً مـضاربهْ
وما دام ليث الغاب في الغاب كـامناً ... فــإن حــراماً أن تـدمّى مـخالبهْ
كـذا البـدر لولا سـيرهُ وانـتقالُه ... عن النقص لأستعلت عليه كـواكـبهْ
فأنت مـن الفـرعِ الذي فـخرت بـه ... نـزارٌ وسـارتْ فـي مـعدُّ مناقبهْ
سـمى بك بـيت عـبدلي احـلّه ... ديـار الأعـادي سـمره وقـواضبهْ
وعـالي مـحل مـن ربـيعة أشـرقت ... عـلوّاً عـلىٰ كـل البـرايا مـراتبهْ
فشـمّرْ وسـرّ شـرقاً وغـرباً فـقلما ... افـاد الغـنى مـن لم تشـمّر ركـائبهْ
فـقلت له لا تـعجلن رب سـاعة ... تـزيل عـن الأيـام مـا أنـا عـاتبهْ

ابن حجة :

أسـباكَ نـرجسُ مـقلتيه المـضعف ... يـا للـهوى غـلب القـويّ الأضـعفُ

ويـروقني الورد الجنيّ بـخدّه ولهاً ... له لو كـــان مـــما يـــقطفُ
إن ســامني فـيه الهـوان فـإنني ... أبــداً بـعشق جماله اتشـرّفُ
قـال الحـبيب وقـد رآنـي مبدياً ... فـرط التأسـف لو أفـاد تأسـفُ
مـالي أراك لفـرط حـزنك حـاكياً ... يـعقوب قـلت له لأنك يـوسفُ

البهاء زهير :

لحاظك أمضى من المرهفِ ... وريـقك أشـهىٰ من القـرقفِ
ومـن سـيف لحـظك لا أتـقي ... ومـن خـمر ريـقك لا أكـتفي
أقـاسي المـنون لنـيل المـنى ... ويـا ليت هـذا بـهذا يـفي
زهـى ورد خـديك لكـنه ... بـغير النـواظـر لم يـقطف
وقـد زعـموا أنـه مُـضعَفٌ ... ومـا عـلموا أنـه مُـضعِفي

سعد الدين بن عربي :

اغمد حسامك ما بلحظك كافي ... فـي نـاظريك غنىً عن الأسيافِ
عـجباً تـريق دمـي بـطرفك عـامداً ... وأراك مـتصفاً بكـل عـفافِ

جمال الدين بن نباته :

قـاسي الجـوانـح ليّنُ الأعطافِ ... أهواه فـي الحـالين غصن خلافِ
رشأ مـن الأتـراك إلا أن فـي ... جـفنيه مـا للـهند مـن أسـيافِ
ادنـىٰ حـياصته إلىٰ اردافـه ... فـانظر لزخـرفها عـلىٰ الأحـقافِ
واعجب لشكوى الخصر رقة حاله ... ولمـا يـجاور مـن غـنى الأردافِ
إن خـاب سـائل أدمعي فـي حبّه ... فـلكثرة الإلحـاح والإلحـافِ
لا اليأس يثبت لي عليه ولا الرجا ... فكأنـني فـي مـوقف الأعـرافِ
إنّـي لأطـلبُ ـ لا لشـيءٍ ـ وصله ... إلا لـيـنظر وصـالِ عـفافِ

* * *

وحياتكم ما اخترتُ تركَ وداعكم ... يوم النوى مللاً ولا لتجنبِ

لكن خشيت بأن أموت صبابة ... ويُقال أنت قتلتني فتقاد بي

* * *

أقول له علامَ ملتَ تيها ... على ضعفي ولي قلب سقيمُ ؟

فقال تقول عنّي فيّ ميل ... فقلت له كذا نقل النسيمُ

في الخمرة وأجاد :

بنت كرمٍ ثكلتها أمها ... ثم هانوها ودِيستْ بالقدمْ

بعد هذا حكّموها فيهمُ ... ويلهم من جورِ مظلومٍ حكمْ

ابن الوردي :

من مالَ للمردِ فإنّي امرءٌ ... ميلي إلىٰ الحسناء ذات الجمالْ

ما في سويدا القلب إلا النسا ... ما حيلتي مافي السويدا رجالْ

الصلاح الصفدي :

المقلة الكحلاء أجفانها ... ترشق في وسط فؤادي نبالْ

وتقطع الطرق علىٰ سلوتي ... حتىٰ حسبنا في السويدا رجالْ

ابن حجة :

في سويدا مقلة الحب نادى ... حين ماقد اصاد قلبي صيدا

لا تقولوا مافي السويدا رجالٌ ... فأنا اليوم من رجال السويدا

في البادهنج :

هجا الشعراء جهداً بادهنجي ... لأن نسيمه ابداً عليلُ

فقال البادهنج وقد هجوه ... إذا صحّ الهوى دعهم يقولوا

البحتري في تسلي المسجون في الحبس :[١]

أما في رسول الله يوسفَ اسوةٌ   لمثلك مسجوناً علىٰ الظلم والإفكِ
أقام جميل الصبر في السجن برهة   فآل به الصبر الجميل إلىٰ الملكِ

* * *

ففي كل يوم تطلب النفس أنها   تراك وهذا الأمر لي يتعذر
وإن أعتب الأيام يوماً تقول لي   إليك فإن الاجتماع مقدّر

علاء الدين بن المشرف :

أهلاً بمحبوب وفى بالعهود   يا مرحباً بالوصل بعد الصدودْ
فاغتنم اللذات من ظبية   ألحاظها سود تصيد الأسودْ
واشرب سلاف الريق صرفاً علىٰ   نرجس عينيها وورد الخدودْ
سمراء كحلاء لها مقلة   أضحت علىٰ السُّمر العوالي تسودْ
رشيقة القد إذا ما انثنت   أومى لها غصن النقا بالسجودْ
تنفر عني كلما رمتها   وهكذا فعل الغزال الشرودْ
من وجهها عيناي في جنة   والقلب فيه النار ذات الوقودْ

في نارنجة :

وشاذن ابصرتُ في كفِّه   نارنجةً اذكىٰ من العنبرِ
فقلت يا قومي ألا فانظروا   بدر الدجى يلعب بالمشتري

مثله :

ونارنجة حمراء في كف شادنٍ   كجمرة نارٍ وهي باردة اللّمسِ

---

(١) قالها في أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري القائد العباسي عندما حبسه المتوكل وهي في ديوانه المطبوع بمصر بدار المعارف صفحة ١٥٦٣ .

يـقربها مـن خـدّه فـتألقت فشبهتها المريخ فـي دارة الشـمسِ

المعمار :

سألتـه فـي ثـغره قـبلة فـقال ثـغري لم يـجز لثـمهُ

فـهاكـها فـي الخـد واقـنع بـها مـا قـارب الشـئ له حكـمهُ

زين الدين عمر بن الوردي :

لحـبيبي شـامةٌ فـي خـدِّه لا عـلىٰ شأنِ حسـود شـانها

رب عـين دهشت مـنه فـقد نسـيت فـي خـده انسـانها

* * *

رأيـته مـا سـحاً خـدَّيه قلتُ له أهكـذا أحـمر اليـاقوت تـصقلُهُ

فـقال لحـظي سـفَّاك بـصارمه دمـاء قـومٍ عـلىٰ خـدّي أغسـلُهُ

* * *

مـذ أسبلت عـند الضـحىٰ شـعرها واسـفرت ليـلاً خـلعت العـذار

وكـيف لا اعـجب اذ صـيّرت نـهاري اللـيل وليـلي نـهار

شرف الدين بن عنّين :

خـبروها بأنّـه مـا تـصدّا لسـلو عـنها ولو مـات صـدّا

واسألوهـا فـي زورةٍ مـن خيالٍ إن يكـنْ لم تـجدْ مـن الهـجر بـدا

ابن نباته :

رقّ النسـيمُ كـرقتي مـن بـعدكم فكأنـنا فـي حـبكم نـتغايرُ

ووعـدت بـالسّلوان واش عـابكم فكأنـنا فـي كـذبنا نـتخايرُ

من شعر عبد المطلب :

لنـا نـفوسٌ لنـيلِ المـجد عـاشقةٌ ولو تسـلت أسـلناها عـلى الأسـلِ

الأرجاني :

لا يـنزل المـجد إلا فـي مـنازلنا   كالنوم ليس له مأوىٰ سوى المقلِ

* * *

وهــل هـي إلا مـهجة يـطلبونها   فإن ارضت الاحباب فهي لهم فدا
إذا رمـتم قـتلي وأنـتم احبتي   فـماذا الذي أخشىٰ إذا كنتم عِدا

قلت : ما بعد القتل إلا المثلة .

إن الدراهـم فـي المـجالس كـلها   تكسـي الرجـال مـهابةً وجـمالا
فـهي اللسـانُ لمـن اراد فـصاحةً   وهـي السـلاحُ لمـن أراد قـتالا

في الثروةِ في منبتِ الفقرِ ، فإنّها خضرةٌ في دمنة :

لئـن كـانتِ الدنـيا أتـتك بثروةٍ   فأصبحت فيها بعد عسر إلىٰ يسرِ
لقـد كشـف الاثـراء مـنك خـلائقاً   من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقرِ

الصفي الحلي أو ابن نباته :(١)

جـلّ الذي اطـلع شـمس الضحى   مشــرقةً فـي جُـنحِ ليـلٍ بـهيمْ
وقــدّر الخــالَ عـلىٰ خـدِّهِ   ذلك تــقدير العــزيز العــليمْ
بــدر ظــننّا وجــهه جَــنّةً   فــمسنا مــنها عــذاب أليــمْ
يــنفر كــلاريم ألا فــانظروا   إلىٰ بـخيلٍ وهـو عـندي كـريمْ
لمــا انــحنىٰ حـاجِبُهُ وانـثنى   يــهُزُّ للــعشاق قـداً قـويم
عـجبت مـن فـرط ضـلالي وقـد   بــدا لي المــعوجّ والمســتقيمْ
داوِ حــبيبي يـا طـبيب الهـوى   وخــلّني إنــي بــحالي عـليمْ
فــخصره واه ، وأجــفانه   مــريضة واللــحظ مـنه سـقيمْ

---

(١) بل هي للصفي الحلي ، وهي في ديوانه المطبوع في بيروت صفحة ٣٩٦ .

ابن نباته :

أيــــها العــــاذل الغــــبيّ تأمــل   مــن غـدا فـي صـفاته القـلب ذائب
وتـــــعجب لطـــرةٍ وجـــبين   إن فـــي الليـل والنـهار عـجائب

❋ ❋ ❋

ولي صاحبٌ ما جئت أطلبُ حاجةً   فـجاوبني إلا نـعم وعـلىٰ راسـي
ولست أرىٰ إلا كـــلاماً يســـرّني   ومن بعده يـمسى لمـا قـاله نـاسي
كـام بـلا فـعل ووعـد بـلا وفـا   كغيمٍ بـلا غـيثٍ وجسـمٍ بـلا رأسٍ

ابن نباته :

وبـــمهجتي المـتحمّلون عشـيةً   والركبُ بـين تـلازمٍ وعـناقِ
وحـداتـهم أخـذت حـجازاً بـعدما   غـنّت وراءَ الركبِ صـوت عشـاقِ

بدر الدين بن الصاحب :

فـتنت بنبتٍ مـن عـوارض خـده   فـها أنـا فـي قـيد الغـرام أسيرُ
ومـا كـان لي بـالعشق قـط تـعلق   ولا بـالهوى قـبل العـذار شـعورُ

ابن نباته :

أراق دمـي بسـيف اللـحظ ظـلما   وهــا أثـر الدمـا فـي وجـنتيهِ
فــلما خـاف مـن طـلبي لثأري   إدار عــــذاره زرداً عــــليهِ

ابن حجة :

بأبــــي أفــــدي حــبيباً   تــيمّ القــلب غــرامـا
عــــذر العــــاذل فــيه   مــذ رأى العــارض لامـا

في الأنامل السود ، من الخضاب :

نكـرت خـضاب أنـملها فـقالتْ   مــقالاً حـلّ مـن قـلبي مَـحَلّا

أشــرتُ إلىٰ الظــلام بأنْ يـولي   بأنـــــملتي فـــقبَّلها وولّـــى

قلت : لعلّ الإشارة منها بانملة واحدة ، والتقبيل للأنامل العشر ، مبالغة في الطاعة والانقياد .

جــرحت بـلحظي خــدَّ الحـبيب   فـــما طـــالبَ المـقلةَ الفـاعِلَهْ
ولكـــنّه اقـــتصّ مــن مـهجتي   كـــذاك الديــات عــلىٰ العـاقِلَهْ

* * *

أصـبحت مأســوراً بـفخِّ لحـاظه   ومــقيداً مــن صــدغِه بســلاسلِ
حــتىٰ بـدا السيفُ العـذار مـجرداً   فـخشيتُ منه وقلتُ هـذا قـاتلي

* * *

لمــا ســرقتُ بـناظري من خـدِّه   ورداً حــمته صــوارم الأحـداقِ
قــطع الكـرى عـن نـاظري تـعمداً   والقـــطع حـــد جـناية السـرّاقِ

* * *

كأنّ عـــــذارَهُ المكّـــــي لامٌ   ومــبسم ثــغره الدّري صــادُ[1]
ومســـبلُ شـــعرِهِ ليـــلٌ بـهيمٌ   فـــلا عــجب إذا ســرق الرقــادُ

قلت : لله درهم ، فمرة يقرّون بالسرقة ، ومرة يشهدون على الحبيب بها ، ولا ملام علىٰ الفريقين ، فهذا قلبه مدمي ، وهذا طرفه ناعس ، فمسروق كلٍ يصلح لليد .

سعيد بن حميد :

نـظرت فـقادتني إلىٰ الحـتف نـظرة   إليـــه بـــمكنون الضـمير تشـير
فلا تصرفن الطرف فـي كـل مـنظر   فـــإن تـــعاريض البــلاء كـثير

---

(١) يشير إلىٰ أن حرفي اللام والصاد تعني (لصّ) وهنا موضع الطرافة .

* * *

وسألتها بإشارة عن حالها ... وعليّ فيها للوشاة عيون
فتنفست صعداً وقالت ما الهوى ... إلا الهوان وزال عنه النون

شيخ شيوخ حماة :

لعيني كل يوم فيه عبرة ... تصيرني لأهل العشق عِبْره
إذا غفل الوشاة اسلت دمعي ... فيغدو مرسلاً في وقت فتْره
والزم باب خمّار الثنايا ... ليطلق لي ولو في العمر سكْره

بهاء الدين زهير :

ولي فيه قلبٌ بالغرام مقيدٌ ... له خبر يرويه قلبي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره ... أعلّلُ قلبي بالعذيب وبالنقا

المعمار :

ولائم زاد لوماً ... في أسودٍ اشتهيهِ
وقال أسود تهوى ... فقلت عينك فيهِ

أبو العتاهية :

هذا كتاب محب ... قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق ... فرّق حتىٰ كلامه

* * *

ناديت يا عيسىٰ ترفق بامرىءٍ ... أحشاؤه قد أُحرِقتْ بجفاكا
عيسىٰ ابن مريم كان يحيى ميّتاً ... وتميتُ أنتَ الحيَّ حين يراكا

هجو الحاجب ، ومنه سرى هجو المحجوب :

ببابك بوّابٌ عن الخير مانعٌ ... اضاف لقبحِ الوجهِ شرَّ خطابهِ

فساويت من قد كان يمنع للقرى ... ومن ربط الكلب العقور ببابهِ

* * *

ولو أنّني أصبحتُ في كل نعمةٍ ... وكانتْ لي الدنيا وملك الأكاسره
لما سويت عندي جناح بعوضةٍ ... إذا لم تكن عيني لشخصك ناظره

الشيخ ابن الصايغ النحوي :

وشادن ظلّتْ غصونُ الربى ... لما رأته مقبلاً ساجده
سألته من ريقه شربةً ... فقال ذي مسألة باردهْ

* * *

لا تقل لي لا فمكتوب على ... وجهك المشرق نوراً نعمُ
بحروفٍ خلقت من قدرةٍ ... ما جرى قط عليها قلمُ
نونها الحاجبُ والعينُ بها ... طرفك الفتان والميم الفمُ

* * *

ومهفهف من شعره وجبينه ... تغدو الورى في ظلمةٍ وضياءِ
لا تنكروا الخال الذي في خده ... كل الشقيق بنقطةٍ سوداءِ
حاشاك توعد بالوصال ولا تفي ... أو ما ترىٰ ذلي لديك فتكتفي ؟
يا هاجري ظلماً بغير جناية ... النوم حين صددت عن طرفي نُفي
إن كان اظفرك الوشاة بقتلتي ... أفما تطالب بي غداً في الموقفِ

لبعض مشوق :

يحيّر الغصن بين اللّين والهَيَفِ ... ويفضح الظبي بين العطف والوطفِ
أغنّ لم يُبقِ معنى حسنه بشراً ... خالٍ من الوجد يلحاني علىٰ شغفي
يا حبذا البدر حاز التم اجمعه ... وزاد في مهج العشاق بالكلفِ

غـزال رمـلٍ ولكـن غير ملتفت وغـصن بـانٍ ولكـن غير منعطفِ
يشكو السقام إلىٰ أجفانه جسدي فـاعجب له دنـفاً يشكـو إلىٰ دنـفِ
مـتىٰ يـحقق وعـداً مـن تـواصـله والمنع ينظر مـن طـرف إليّ خـفي
في الخد لامٌ وفي عطف الصّبا ألفٌ وآلة المـــنعِ بـــين اللام والألفِ

* * *

لمـا نـزلتُ الديـرَ قـلتُ لصاحبي قم فـاخطب الصّـهباءَ مـن شماسهِ
فأتــى وفـي عـين كأس خـلتها مـقبوسة فـي الليل مـن نـبراسـهِ
وكأنــما فـي كأسـه مـن خـده وكأنــما فـي خـده مـن كـاسهِ
وكـــان لذة طـعمها مـن ريـقه وأريـــجها الفـياح مـن أنـفاسهِ
لم أنسَ ليـــلةً شــربها بــفنائه إذ بـات يـجلوها عـلىٰ جـلاسهِ
إذ قـــامَ يسـقينا المـدامَ وكـلّما عـــاتبته رد الجـــواب بـــراسـهِ

* * *

يــــالائمي فــــي هــــواه إذا بــــدا كــــيف أسـلوْ
يــــمرّ بــــي كـــل وقتٍ وكـــلّما مــــرّ يــــحلوْ
كــــل بــيتٍ أنتَ ســاكـنه ليس مــــحتاجاً إلىٰ الســـرجِ
وجـــهك المأمـــول حــجتنا يــوم تأتـــي النـاس بـالحججِ

* * *

تــحمّل ثـقيل الذنب ممن تـحبه وإن كـنت مظلوماً فـقل أنـا ظـالمُ
فإنك إن لم تحمل الضيم في الهوى تـفارق مـن تـهوى وأنـفك راغـمُ

* * *

إن لم تــصدّقني تــصدّق بـالكرى ليــزورني فــيه الخـيال الزائـلُ

وانظر إلىٰ فقري لوصلك واغتنم   أجري وقلْ للدمع قف يا سائلُ

* * *

حلّت عقاربُ صدغه في خدِّه   قمراً يجلّ به عن التشبيهِ
ولقد عهدناه يحل ببرجها   فمن العجائب كيف حلّت فيهِ

من محاسن الشعراء :

ارسل صدغاً ولوى قاتلي   صدغاً فاعيا فيهما واصفهْ
فخلتُ ذا في خده حيةً   تسعى وهذا عقرباً واقفهْ
أو ألِفاً ليست لوصل وذا   واواً ولكن ليستِ العاطفهْ

ملفقة من جملة قصائد :

كفيّ القتال وفكي قيد أسراكِ   يكفيك ما فعلت بالناس عيناكِ
كلّت لحاظك مما قد فتكت بها   فمن تري في دم العشاق افتاكِ
في كل حي قتيلٌ منك من شغفٍ   تكاثرت منك في الأحياء قتلاكِ
مليكة الحسن رفقاً في هواك بنا   ولا تجوري فأنا من رعاياكِ
أغروك بي ثم قالوا كنْ علىٰ حذرٍ   واحيرتي بين تحذيري وإغراكِ
كفاكِ ما أنت بالعشاق فاعلة   لو أنصف الدهر بالعشاق عزّاكِ
كملت أوصاف حسنٍ غير ناقصةٍ   لو أن حسنك مقرون بحسناكِ
يا ظبيةً ما رعتْ قلباً به رتعتْ   ليهنكِ اليوم أنّ القلبَ مرعاكِ
اهدت خدودكِ للوردِ الجني شذاً   وعلّم البان أن تهتزَّ عطفاكِ
وبات ظبي النقا يرنو إليك عسى   تعيره كحل العينين عيناكِ
من ذا يقيسك بالبدر المنير وهل   لطلعة [البدر] جزء من مُحيّاكِ
حلي جمالك في حلي وفي حللٍ   لقد كساك البها والحسن حلّاكِ

إن كنت محنةَ ذي عشق وذي عذل فأنتِ فـتنةَ عـبّادٍ ونسـاكِ
حـميت بـرد رضـابٍ تـحته بـرداً فـما دنـا مـن حـماه غير مسواكِ
عـزيز حـبك فـي قـلبي له سكـن مـاذا يـضرك لو أكـرمت مـثواكِ
يا ظبيةً نـفرت مـن مربعي ورعتْ حشـاشة القـلب عين الله تـرعاكِ
تيهي وصدي إذا ما شئتِ واحتكمي عـلى النـفوس فـإن الله ولاكِ
وطولي من عذابي في هواك عسى يـطول فـي الحشـر ايقافي وإياكِ
وقـد تـحجبت يـا دنـيا بـلا سـبب نـاديت يـا مـهجتي فـارقت دنـياكِ
لولاك ما قلت شعراً لا ولا حـفظت عـيني قـفا نبك يـوم البين لولاكِ
يا شمس صبح على رمح ومـطلعها قلبي ومن مـهجتي سـارت بـافلاكِ
جفني وجفنك في تجنيس فـعلهما تـوقفا بـين سـفاحٍ وسـفاكِ
جـرى بـتجريح جـفني البكـا قـلم مـن حـين عـدلك البـاري وسـواكِ
أهـل صـديقٌ بـلومي راح مشـتغلاً أم هل ترى ذاك واشٍ كان أو شـاكِ
فإن تغزلت فـي غـصن وفـي قـمر وفـي غـزال فـإن الكـل اسماكِ
ذكـرت مـنك وصـالاً كـنت اعـهده واليـوم مـالي مـنه غـير ذكـراكِ
يـود عـبدك لو عـجلت زورتـه وكان من فوق حرّ الوجه ممشاكِ
لو جـاد نـاظرك الفتان لي بكـرى طـمعت أنـي فـي الاحـلام ألقـاكِ
بلغت رشدي وما ادركت منك منى واحيرتي في بـلوغي قبل ادراكـي
يـا دمـعتي قـد تـجريتي بـفرقتنا عـلى الخـدود دماً مـا كـان اجـراكِ
وأنت يا سلوتي عن حسن صورتها ما أظهر الدمع مـن عـيني وأخـفاكِ
سفينة الصبر في بحر الدموع رست فـقال جـفني بسـم الله مـجراكِ

أبو نواس :

إنــي لصبٌ ولا أقــول بــمن ... اخـاف مـن لا يـخاف مـن أحـد
إذا تــفكرت فــي هــواي له ... مسست رأسي هل طار من جسدي
ولدت وجـوههم العجاجة طلعة ... وطـئ السـيوف تـواكل الأغـمادِ
مـن كـل نـصل أضمرت أحشاؤه ... الأرواح وهــو حشـيّ بـغير فـؤادِ

قلت : ولدت بمعنى أولدت ، والعجاجة بدل من وجوههم ، من باب التنويع ، وهو خيرٌ من التشبيه .

جرير :

سـرت الهـموم فـبتن غـير نيام ... وأخـو الهـموم يـروم كـل مرامِ
ذمّ المـنازل بـعد مـنزلة اللّـوى ... والعـيش بـعد أولئك الأيـامِ
ولقـد أراك وأنت جـامعة الهـوى ... اثـنى بـعهدك خـير دار مـقامِ
طـرقتكِ صـائدةُ القـلوبِ وليس ذا ... وقت الزيـارة فـارجـعي بسـلامِ
تـجري السـواك عـلى اغرّ كانه ... بَـرَدٌ تـحدَّرَ عـن مـتونِ غـمامِ
لو كـان عـهدك كـالذي حـدثتنا ... لو صـلت ذا فـيكون خـير زمامِ
ولقـد أرانـي والجـديد إلى بـلى ... فـي مـوكب طـرف الحـديث كرامِ
لولا مـراقـبة العـيون أريـننا ... حـدق المـها وسـوالف الآرامِ
وإذا صـرفن عـيونهن بـنظرة ... نـفذت نـوافـذها بـغير سـهامِ
هـل يـنفعنّكَ إن قـتلْنَ مـرقّشاً ... أو إن فـعلن بـعروة بـن خـزامِ

ابن تميم :

وأهيفَ يحكي الغصنَ رطبُ قوامِهِ ... عـليه قـلوب العـاشقين تـطيرُ
يـدورُ عـذاراه لتـقبيلِ وجـنةٍ ... عـلى مثلها كـان الخـصيب يـدورُ

وله أيضاً :

وعـيرني بـالشيبِ قـومٌ أحـبهم ... فـقلت وشأن العـاشقين التـجمّلُ
بعثتم إلىٰ رأسي المشـيب بـهجركم ... ومهما أتى منكم على الرأس يحملُ

قلت : ما نفعه هذا العذر، وقد تولىٰ شبابه، فليخضْ في حديثٍ غير هذا الحديث، ويشتغل بعلوم القرآن والحديث، ويترك العشق لأهله ويستيقظ من غيه وجهله .

وله أيضاً :

لما خطبتم قـريضي جاءكم عـجلاً ... لكـنه جـاء للـتقصير خـجلانا
ومـا بـعثت لكـم تـمراً إلىٰ هـجر ... لكـن بـعثت إلىٰ الفـردوس ريـحانا

الخوارزمي :

له ثـوبٌ ومـا فـي الثوبِ شـيءٌ ... وجسـم لا يسـاعده لسـانُ
أقـول له إذا مـا جـاء أهـلاً ... تـقدم ايـهذا الطـيلسانُ

خالد الكاتب :[1]

نـظرتْ إليَّ بطرفِ منْ لم يـعدلِ ... لمـا تـمكّنَ طـرفها مـن مقلتي
فـظلتُ أطـلبُ وصـلها بـتملقٍ ... والشـيبُ يـغمزها بأن لا تـفعلي

قلت : غمز هذا الشيب، صرّح فيه لديها بألفي ألف عيب، فكيف التملق عندها يجديه، بل هو عكسه لديها ويرديه .

العـمرُ أقـصر مـدةً ... مـن أن يـضيّع بـالعتابِ
أو أن يكـدر مـا صـفا ... فـيه بـهجر واجـتنابِ

---

(١) خالد بن يزيد البغدادي، احد كتاب الجيش أيام المعتصم. ت ٢٦٢ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج ٤، ص ٩٨ .

ابن زيدون المغربي :

غريبٌ بأرض الشرق يخضعُ للصبا ... يحملها منه السلام إلىٰ الغربِ
وما ضرّ أنفاس الصبا في احتمالها ... سلام فتى يهديه جسم إلىٰ قلبِ

ابن اللبانة :[1]

ومن بلّه الغيث في بطن واد ... وبات فلا يأمننّ السيّولا
وكم أوقدوا لي نيرانهم ... فصيّرني الله فيها خليلا

وله أيضاً :

إذا لم يرع لي أدبٌ وبأسٌ ... فلا طال الحسام ولا اليراعُ
لقد باعتني العلياء بخساً ... وعهدي بالذخائر لا تباعُ

القيراطي :

شوقي لوجهك شوقاً لا أزال أرى ... اجدّه يا شفيق الروح اقدمه
ولي فم كاد ذكر الشوق يحرقه ... لو كان من قال ناراً أحرقت فمه

ابن المستوفي :

أنفقتُ عمري في هواك وصرت من ... ندمي أعضّ أنامل المغبونِ
الذنب لي فيما صنعت لأنني ... أودعت قلبي عند غير أمينِ

المختار :

لا أحسد الناس علىٰ نعمة ... وإنما أحسد خُمّاكِ
أما كفاها أنها عانقت ... قدك حتى قبّلت فاكِ

---

(١) محمد بن عيسىٰ اللخمي ، الداني ، الأندلسي له : الاعتماد في أخبار بني عباد . ت٥٠٧ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج١١ ، ص١٠٨ .

أبو حاتم السجستاني[(١)]:

أنت أمـــير لي وبـــي مـــحكمٌ حكمك في سفكِ مهجتي ماضي
والمـــرء لا يُـــرجـى نـجاحٌ له يـوماً إذا كـان خـصمه القـاضي

ابن رشيق :

سألتُ الأرضَ لِـمْ كـانتْ مصلّى ولم كـــانتْ لنـــا طُـهراً وطـيبا
فـــقالتْ غـــير نـــاطقةٍ لأنــي حـــويت لكـــل إنســانٍ حـبيبا

الطغرائي : ولنذكر المستحسن من ديوانه ، ونبدأ بقصيدته المشهورة بلامية العجم ، التي أولها :

أصـــالةُ الرأي صـــانتني عـن الخـطلِ
وحـــليةُ الفـضلِ زانــتني عـن العـطلِ
مـــجدي أخـــيراً ومـجدي أولاً شـرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفلِ
فـــيم الإقـــامة فـــي الزوراء لا سكـني
بـــها ولا نـــاقتي فـــيها ولا جـــملي
نـــاء عـــن الأهــل صـفر الكـف منفردٌ
كـــالسيف عُــريّ مـتناه مـن الخـللِ
فـــلا صـــديق إليــه مشـتكى حـزني
ولا انـــيس إليـــه مـــنتهى جـذلي[(٢)]

---

(١) سهل بن محمد الجشمي ، البصري ، له : اختلاف المصاحف . ت ٢٥٥ هـ المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٢) م ك : جدل .

طـال اغـترابـي حـتّىٰ حـنّ راحـلتي
ورحــلها وقــرى العســالة الذبــلِ
وضــجّ مــن لغبٍ نـضوي وعـجّ لمـا
ألقــىٰ ركـابي ولجّ الركبُ فـي عـذلي
أريــدُ بســطةَ كــفٍ أسـتعين بـها
عــلىٰ قــضاء حـقوقٍ للـعلى قـبلي
والدهــر يــعكس آمــالي ويـقنعني
مــن الغــنيمة بـعد الكـد بـالقفلِ
وذي شــطاط كـصدر الرمـح مـعتقل
بــمثلهِ غــير هــيّابٍ ولا وكــلِ
حـلو الفكـاهة مـر الجـدّ قـد مزجت
بشــدةِ[1] البأس مــنه رقــة الغــزلِ
طـردت سـرح الكـرى عـن ورد مقلته
واللــيل اغـرى سـوام النـوم بـالمقلِ
والركب مـيل عـلىٰ الأكـوار من طـرب
صـاح وآخـر مـن خـمر الكـرى ثـملِ
فــقلتُ ادعــوك للـجّلى[2] لتـضرني
وأنت تــخذلني فــي الحـادث الجـللِ

---

(١) م ك : شدة .

(٢) م ك : للجلا .

تـــنام عـــيني وعـين النـجم سـاهرة
وتســـتحيل وصـــبغ اللـيل لم يـحلِ
فـــهل تـعين عـلىٰ غـيٍّ هـممت بـه
والغـــيُّ يـزجـرُ أحـياناً عـن الفشـلِ
إنّـي أريـد طـروق الحـي مـن اضـمٍ
وقـد حـمته رمـاة الحـي مـن ثـعلِ
يـحمون بـالبيض والسّـمر اللـدان بـه
سـود العـذائـر حـمر الحـلي والحـللِ
فســـر بـنا فـي ذمـام اللـيل مـعتسفاً
فـــنفحة الطـــيب تـهدينا إلىٰ الكُـللِ
فـالحب حـيث العـدى والاسـد رابـضة
حـول الكـناس لهـا غـاب مـن الأسـلِ
نَـــؤُمُّ نـــاشئةً بـــالجزعِ قـد سُـقيت
نـصالها بـمياه الغـنج والكـحلِ[1]
قـد زان طـيب أحـاديث الكـرام بـها
مـا بـالكرائـمِ مـن جـبنٍ ومـن بـخلِ

(١) هذا البيت والبيت الذي يليه ليسا في ديوان الشاعر المطبوع في الكويت بتحقيق الدكتورين علي جواد الطاهر والدكتور يحيىٰ الجبوري الّذين حققاه وطبعاه عن تسع نسخ مخطوطة وواحدة مطبوعة، بالإضافة إلىٰ رجوعهما إلىٰ العديد من كتب الأدب والتاريخ العربي، ولا سيّما فيما يتعلق بهذه القصيدة كما أشارا في المقدمة، فلعل المؤلف قد اعتمد علىٰ نسخةٍ أكمل وأوفىٰ في ذلك.

تـبيتُ نـار الهـوى مـنهنّ فـي كـبدٍ
حـرىً ونـار القـرى منهم عـلى القـللِ
يـقتلن أنـضاء حبّ لا حـراك بـه
ويـنحرون كـرام الخـيل والأبـلِ
يشـفي لديـغ العـوالي فـي بـيوتهم
بـنهلة مـن غـدير الخـمر والعسـلِ
لعـلّ المـامةً بـالجزع ثـانية
يـدّبُ مـنها نسيمُ البـرء فـي عـللِ
لا أكـره الطـعنة النـجلاء قـد شـفعت
بـرشقةٍ[١] مـن نـبالِ الأعـينِ النـجلِ
ولا أهـاب الصـفاح البـيت تسـعدني
بـاللمح مـن خـلل الأسـتار والكـللِ
ولا أخـلّ بـغزلانٍ تـغازلني
ولو دهـتني أسـود الغـيل بـالغيلِ
حبّ السـلامة يـثني عـزم صـاحبها
عـن المـعالي ويـغري المـرء بـالكسلِ
فـإن جـنحت إليـها فـاتخذ نـفقاً
فـي الأرض أو سـلماً فـي الجـو فـاعتزلِ
ودع غـمار العـلى للـمقدمين عـلى
ركـوبها وأمـتنع مـنهنّ بـالبللِ

(١) م ك : برشقت .

رضـى الذي بـخفض العـيش مسكـنة
والعـز فـوق رسـيم الأيـنق الذللِ
فـادرأ بـها فـي نـحور البـيد حـافلة
مـعاطيات[1] مـثاني اللـجّم بـالجدلِ
إن العـلى حـدثتني وهـي صادقة
فـيما تـحدث أن العـز فـي النـقلِ
لو كـان فـي شـرف المثوى بلوغ مـنى
لم تـبرح الشـمس يـوماً دارة الحـملِ
أهـبت بـالحظ لو نـاديت مسـتمعاً
والحـظ عـنيّ بـالجهال فـي شـغلِ
لعـله إن بـدا فـضلي ونـقصهم
لعـينه نـام عـنهم أو تـنبّه لي
أعـللّ النـفس بـالأمال أرقـبها
مـا أضيق العيش لولا فسحة الأجـلِ[2]
لم ارتـض العـيش والأيـام مـقبلة
فكـيف أرضـىٰ وقـد ولت عـلى عـجلِ
غـالى بـنفسي عـرفاني بـقيمتها
فـصنتها عـن رخـيصِ القـدر مـبتذلِ
وعـادة السـيف أن يـزهو بـجوهره
وليس يـعمل إلا فـي يـديْ بـطلِ

---

(١) و (٢) وردتا في الديوان المطبوع بالصورة التالية علىٰ التوالي : (معارضات) و (الأمل) .

مـــاكـنـت أوثــر أن يــمتدَّ بــي زمـني
حـــتىٰ أرى دولةَ الأوغـــادِ والســـفلِ
تـــقدمتني أنـــاسٌ كـــان شـــوطهم
وراء خـــطوي لو أمشـــي عــلى مــهلِ
هـــذا جـزاء امـرىءٍ أقـرانـه درجـوا
مـــن قـــبله فـتمنى فسـحةَ الأجـلِ
وإنْ عـــلاني مـــن دونـــي فـلا عـجب
لي أســوة بـانحطاط الشـمس عـن زحـلِ
فـــاصبر لهـا غـير مـحتال ولا ضـجر
في حـادث الدهـر ما يـغني عـن الحيلِ
أعــدى عــدوك أدنــى مــن وثــقت بـه
فـحاذر النـاس واصـحبهم عـلى دخـلِ
فـــإنما رجـــل الدنـــيا وصـــاحبها
مـن لا يـعوّل فـي الدنـيا عـلىٰ رجـلِ
وحســـن ظـــنك بـــالأيام مـــعجزة
فـظنَّ شـراً وكـن مـنها عـلىٰ وجـلِ
غـاض الوفـاء وفـاض الغـدر وانـفرجت
مسـافة الخـلف بـين القـول والعـملِ
وشـــان صـدقك بـين النـاس كـذبهم
فـــهل يـــطابق مـــعوجٌ بـــمعتدلِ

إن كـان يـنجع شـئ فـي ثـباتهم
عـلىٰ العـهود فسـبق السـيف للـعذلِ
يـا وارداً صـفو عـيش كـله كـدر
انـفقت صـفوك فـي أيـامك الأولِ
فـيم اقـتحامك لجَّ البـحر تـركبه
وأنت يكـفيك مـنه مـصّة الوشـلِ
مـلك القـناعة لا يـخشىٰ عـليه ولا
يـحتاج فـيه إلىٰ الأعـوان والخـولِ
اقـنع تَـجُلَّ ولا تـطمعْ تـذلَّ ولا
تـعجل تـزل ولا تـغْتَرَّ بـالأملِ[١]
تـرجـو البـقاء بـدار لا بـقاء لهـا
فـهل سـمعت بـظل غـير مـنتقلِ
فـيا خـبيراً عـلىٰ الاسـرار مـطلعاً
اصمت ففي الصمت منجاة من الزللِ
قـد رشـحوك لأمـر لو فـطنت له
فأربأ بـنفسك أن تـرعى مـع الهـملِ

وله أيضاً :

ومسـدد مـن قـوس حـاجبِهِ نـحو المـقاتل سـهم مـقلتهِ
خـاف النـصال فـصاغ عـارضه زرداً تـضاعف دون وجـنتِهِ
لمـا رآنـي حـاسراً ورأىٰ ادلاله بكـمال شكَّـتِهِ

---

(١) هذا البيت ليس في الديوان المطبوع .

أنــحى عــلىٰ ضـعفي بـقوته ... وسـطا عـلىٰ عـجزي بـقدرته

وله أيضاً :

أيا حـادي الأضـعان غـردْ فـقد بـدا ... لنـا حـضن واسـتقبلتنا صبا نـجدِ
وبشـرنا وعـدٌ مـن المـزنِ صـادقٌ ... بواص من الحوذان والتفل[1] الجعدِ
وطارح رذاياها وقـد ملّت السرى ... اغـاريد يـغرين الطلائح بـالوخدِ
فـإن بـذاك الجـو فـاتنة اللّـمى ... اسيلة مجرى الدمع واضحة الخدّ
إذا ما المدارى خضْنَ سـود لمـامها ... خلطن فـتات المسك بـالعنبر الوردِ
لقد طال عـهدي بـالحمى وحـلوله ... ولولا شقاني لم يـطل بـهم عـهدي
اسـائل عـنهم من لقيت وعـنهم ... متى جاده غـيث ومـا فـعلوا بـعدي
هل اخضر واديـهم فـعاشوا بـغبطةٍ ... أم استبدلوا الصّمّان بـالأجرع الفـردِ
وهـل جـذوة النـار التـي يـوقدونها ... لها حـيث شـبوها دليـل عـلىٰ كـبدِ
وهـل نُـغبةُ المـاء التـي يـردونها ... عن الحائم الحيران مـمنوعة الوِرد
أقـول لأصـحابي غـداة تـزافروا ... رويـدكم إن الهـوىٰ داؤه يـعدي
إذا مـا قـدحتم نـار وجـدٍ فـإنما ... شـرارتـها فـيكم وجـمرتها عـندي

وله أيضاً من قصيدة أخرىٰ :

أقـول لأنـضاء الغـرام عشـية ... ببصرى وانضاء المطّى بـنا تـخدي
اقيموا صدورَ العيس استخير الصـبا ... عن الحي بالجرعاء ما فعلوا بـعدي
وما طـاب نشـر الريـح إلا وعـندها ... أخابير من نجد وعن ساكـني نـجدِ
وقـد زادهـا حـباً لدي ونـعمةً ... سـفارتها بـين الأراكـة والرنْـدِ
تظنون حالي في الهوى مثل حالكم ... وهيهات أني في الهوى امةٌ وحدي

---

(١) في الديوان المطبوع : الفنل .

وكيف تساوي الحال بيني وبينكم ... وأعظم ما تشكون أهون ما عندي
ومن طول الفي للهوى ورياضتي ... لنفسي على قربِ الأحبة والبعدِ
أذم جفوناً ليس يقرحها البكا ... وأنكر قلباً لا يذوب من الوجدِ

وله أيضاً :

قالوا أضعت القلب منذ علقته ... وربحت فيه شماتة الحسادِ
فأجبتهم لا تعذلوني إنني ... صانعتهم عن مهجتي بفؤادي

وله أيضاً :

أقول له وانضاء المهار ... طلائح قد ونين من السّفارِ
تعزَّ اخا العريب فما بنجدٍ ... لنا اخرى الليالي من قرارِ
أتطمع في شميمِ عرارِ نجدٍ ؟ ... وهل بعد العشيةِ من عرارِ ؟
ستطلب منهم داراً بدار ... فترضى دونهم جاراً بجارِ
وما فارقتهم طوعاً ولكن ... قضاء ما ملكت له اختياري
ليالٍ قد منيت بها طوالٍ ... لأيامٍ مضين بها قصارِ

وله أيضاً :

افدي التي طرقتني في ولائدها ... بين العوائد كيما تأخذ الخبرا
فصادفت نضو أسفارٍ طريح هوى ... بالحب مرتدياً بالسقم مؤتزرا
معذباً بذماء[1] لو يرد إلىٰ ... جثمان ميتٍ الوف منه ما نشرا
فأقبلت نحو إحداهن قائلة ... والدمع ينثر من أجفانها دررا
لقد أسأنا فإن حمّ القضاءُ فيا ... لهفي عليه وإن يَسلمْ فقد ظفرا
ثم انثنت فأمرّتْ بردَ أنملها ... علىٰ حرارةِ كبدٍ تصدعُ الحجرا

---

(١) آخر نفس . منه ﷺ .

وساقطت كلمات عند فرقتها		منها عِذابٌ ومنها تقذفُ الشررا
وفارقتني على ميعاد ثانيةٍ		من الزيارة تنفي الهمَّ والفكرا
فإن سلمت فمن مثلي وإن تكن الـ		أخرىٰ فقد نلت من المامها وطرا

وله أيضاً :

بعثت إليّ تلومني في هجعة		أهدت إليّ خيالها المذعورا
وتقول ما للطيف أبطأ بعدما		كنا اشترطنا أن يقيم يسيرا
فأجبتها بالعذر وهو مبيّن		لو كان ينصف لائم معذورا
أطبقت أجفاني عليه وسمته		خوض الدموع فما اطاق عبورا

وله أيضاً :

وذي وطنٍ بالغور يصبو إلىٰ الحمى		قضى وطراً منه السرّى والمفاوزُ
به غِيَرٌ من داء حب مماطل		يجدده وعد من البين عاجزُ
قسمت صفايا الوجد بيني وبينه		فلا أنا مشكور ولا هو فائزُ
واروع قُزحانٌ من الحب امره		علي إذا لم يوم بالصبر حائزُ
يقول ووجدي عن ضميري طالع		إليه وسرّي عن جفوني بارزُ
تسلّ فما الأهواء إلا لحاجةٍ		تمادت ولا السلّوان إلا غرائزُ
الم تر أن الحب بيني وبينه		من العقل ناه أو من الدين حاجزُ
فقلت له هذا الذي أنت قادرٌ		على كله عن بعضه أنا عاجزُ

وله أيضاً :

أقول للقلب لما فاتني جزعاً		يا قلب ويحك إن لم تسل فانصدعِ
أكلما منع الأيام جانبها		لانت حصَاتُكَ بين الخوف والطمعِ
تسلّ عما مضى إذ ليس مرتجعا		واقلل الفكر فيما بعد لم يقعِ

وله أيضاً :

ولما تراءى السربُ قلتُ لصاحبي ... ليــهنك فــيما لا يــنال طـموعُ
اتــطمع أن تــحظى بــهنّ وإنّــني ... بـــواحـــدةٍ إن ســاعفت لقــنوعُ
وفي أخريات السرب حيث تَعرّضتْ ... مــطول علىٰ فـضل اليسار منوعُ
خـليلي هـل بـالأجرع الفـرد وقـفةٌ ... عســى يـلتقي مسـتودع ومـضيعُ
فـإن بــه فــيما عــهدناه ســرحةٌ ... يــضيء إليــها بــالعشي قـطيعُ
ألا ليت لي تـعريجة تـحت ظـلها ... ولو أنـــني أعــرى بـه وأجـوعُ
أضـعت بـه قـلباً صـحيحاً فـليته ... يـردّ عـليّ اليـوم وهـو صـريعُ
وإني لأستحيي من الشوق أن يـرى ... فـؤادي سـليماً ليس فـيه صـدوعُ
وامـقت عـيني أن تـظن بـمائها ... وقـد لاح بـرق بـالحجاز لمـوعُ
وأغبن فـي بيعي رشـادي بـضلتي ... واعـــلم أنـــي خـــاسر وابـيعُ

وله أيضاً :

رويـــــدك فـــالسلو له دواع ... كــــما أن الغـــــرام له دواعِ
سأســلو عـنك بـعد اليـوم يأساً ... إذا لم يســـلني مـــلل الطـــباعِ
ألم تــرى أنــني مــن قـبل هـذا ... ســلوت عــن الشـبيبة والرضــاعِ
وعـــلّمني مـــصاحبة اللـــيالي ... نــزوع النـفس مـن بـعد النـزاعِ
إذا لم يـــــرضني حبٌّ جــبانٌ ... فـــزعتُ بـــه إلىٰ صبرٍ شـجاعِ

وله أيضاً :

ولقـد أقـول لمـن يسـدد سـهمه ... نـــحوي واطـراف المـنية شـرّعُ
والموت في لحظات اخـزر طـرفه ... دونـــي وقـــلبي دونـه يـتقطعُ
بـــالله فـــتش فــي فـؤادي أولاً ... هـل فـيه للسـهم المسـدد مـوضعُ

اهــون بــه لو لم يكــن فــي طيه | عــهد الحــبيب وســره المستودعُ

وله أيضاً :

وهدا خفوق البرق والقلب الذي | تُــطوى عــليه جــوانــحي خفاقُ
تغدو طلاع جوانحي حرق الأسى | وتــروح مــلء فــؤادي الأشــواقُ
وأنــا الفــداء لمــن تــصرّم حبلُهُ | عــنّي ولم تــتصرم الأعــلاقُ
قــلبي أســير عــندهم ويســرّني | أســرُ الهــوى ويسوءني الاطلاقُ
أصــفيته ودّي وأصــفاني القــلى | إن المــــودة والقِــــلى ارزاقُ
يــا حــبذا نــجدٌ وأعــراق الثــرى | لدن وأنــفاس النســيم رقــاقُ
فــهواؤه خــدر النســيم وتــربه | حــالي الأديــم ومــاؤه رقــراقُ
وبســاكــنيه أن يــقر بــنا النــوى | تشفى النفوس وتمسك الأرماقُ
والحــيّ بــالجرعاء بــين بــيوتهم | اسُــدٌ وعــين جــاذر وعــتاقُ
والبــيض أمــثال الخــدود صقيلة | والســمّر أشــباه القــدود رشــاقُ
والجــد والإقــدام فــي فــتيانهم | والبــخل فــي الفــتيات والاشفاقُ
والرمي في الأحــداق دأب رمــاتهم | والرامــيات ســهامها الأحــداقُ

وله أيضاً :

لك الخير قــد عــودتني مــنك عــادة | نشأتُ عــليها مــنذ أول حــالي
سكــوناً إلىٰ قــربي وانساً بخدمتي | وحســن اعــتقاد فــي تنعّم بــالي
وكــنت ارجّــي أنّ حــالك تــرتقي | فــينمو لهــا حــالي نــموّ هــلالِ
وأسمو إلىٰ نــيل الأمــاني واقــتضي | مــواعــيد دهــر مــولع بــمطالِ
وقــد رابــني مــنك الصــدود وليته | صــدود اشــتغال لا صــدود مــلالِ
فــإن كــان هــذا مــنك دأباً تــديمه | فــإذنك لي حــتّىٰ ازمّ جــمالي

وإلا فعد لي بالجميل فقد عفت ... معالم آمالي وضاق مجالي
فمثلي لا يرضى مقاماً بذلةٍ ... وصبراً علىٰ جاه لديك مذالِ
ومثلك لا يرضى بتضييع خدمةٍ ... وتخييب آمالٍ لديه طوالِ

وله أيضاً :

سرى يكتسي قطعاً من الليل مظلماً ... نزيع كرى أهوى إليّ فسلّما
فللّه ذاك الخشف خلّى كناسه ... وحلّ بوسط الغاب يطرق ضيغما
تخطى كعوب السمهري مقوماً ... وخاض صفوف الاعوجي مسوّما
سرى عاطلاً حتى اعتنقنا فلم تزلْ ... دموعي تكسوه الجمان المنظما
وبتنا علىٰ رغم الحسود بغبطةٍ ... خليطين لا نمتاز الا توهّما
وقد كاد رجم الظن بالغيب لم يدع ... لنا غير مسرى الطيف سراً مكتما
فقد أشعر الواشين بالسرّ انني ... محوت بلثمي عن مقبله اللّمى
وما أنسى لا أنسى الوداع وقد جلا ... لا يماضه التسليم كفّاً ومعصما
وخلسة طرفٍ بين واشٍ وحاسدٍ ... ألذّ من الماء الزلال على الظما
وموقفنا في حومةِ البين حسّراً ... من الصبر نرضى بالمنيّة مغنما
نلوّح وجداً في الضمير مجمجماً ... ونمسح خداً بالدموع منمنما
عشية ملؤ الواديين لبينهم ... بواعث شوقٍ من فصيح واعجما
يرى نضو حب يكتم الشوق مغرماً ... علىٰ نضو سير يعلن الشجو مرزما
واسحم غربيب الملائة ناعبا ... واروق غريّد الضحى مترنما
وغيد كخيطان الأراك ترنحوا ... علىٰ العيس أيقاظاً عليها ونوّما
لوى دينهم أيدي النوائب فاقتضوا ... بأيدي المهاري تنفح النجع والدّمى
حنايا إذا قرطسن أغراض مهمه ... مرقن به من جلدة الليل أسهما

تـخالسن وطـي البيد حتىٰ كأنـما ... تـضمن فـيها البـيد ظـنـاً مـرجـما
تـــرىٰ كـــل مـوار الزمــان كأنــه ... يـــطاول غـــصناً أو يـــطارد ارقــما
ســروا يــطردون الليل عــن متبلّج ... من الصبح يـهدي النـاظر المتوسما
تـــجهمهم وجــه الزمــان فــالمعوا ... له بشـــهاب الديـــن حـــتى تـــبسما
بــذي صولةٍ نكـراء لم تـبق مـجرماً ... وذي راحـــة وطـــفاء لم يـبق مـعدما
طـــموح إلىٰ العــلياء يــقدم هــمه ... عـلىٰ المـجد حـتىٰ لا يـرى متقدما
تساهم فـيه الجـود والنـاس فـاقتدى ... به الدهــر بـؤساً فـي الرجـال وأنـعما
أخــو فـتكات يشـغل القـرن قـطعها ... عن الحس حتىٰ لا يرىٰ الضرب مؤلما
من القوم حنّ المـلك مـن عـهد آدم ... إليــهم فــوافــاهم مــقيماً مــخيّما
وما فاتهم فـي أول الدهـر عـن قـليً ... ولكــن رأى الشــئ المـبيت أدومـا
لهم دارت الأفـلاك طـوعاً واظـهرت ... لخدمتهم فـي صـفحة البـدر ميسما
هــم أضــرعوا خـدَّ الزمـان لعِزّهم ... وحـــاموا عـــن العـــلياء أن تـتهضما
فــاقسم لولا البشــر فــي صــفحاته ... لأضــحىٰ أديـم اليـوم أربـدَ أقـتما
رمــى نــظرة نـحو العـدا فـتخاذلت ... مــفاصلهم مـنها لحـوماً واعـظما
وكــرّ بــها نـوّ التــلاد فأصــبحت ... بــمدرجـة العــافين نــهباً مـقسما
شــمائل مـدلول عـلىٰ طـرق العـلى ... طـلعن عـلىٰ أفـق المكـارم أنـجما
إذا نسـخت مـن سـورة المـجد آيـةً ... اتـين بــها وحــياً اليــهن مــحكما

وله أيضاً :

قالت حرمت الغنى من حيث أوتيه ... ســواك والعـدم مشـتقٌّ مـن العـدمِ
فـقلت كـفّى فـليس العـدم مـنقصةً ... وإنــما المـرء بـالاخلاق والشـيمِ
إن ضاق خطةُ مالي لم يضقْ خلقي ... أو قصَّر المالُ لم تـقصرُ له هـممي

أمـا عـلمت وخـير العـلم أنـفعه   أن الغني غير مـحسوب مـن الكـرم
أأحسب العسـر جـاراً لا يـفارقني   وضـامن اليسـر عـندي غـير متهمّ

وله أيضاً ، لكن مطلعها للسيد المرتضى برمته :

يـا ليـلة السـفح ألا عـدت ثـانية   سـقى زمـانك هـطالٌ مـن الديَـمِ
يـا صـاحبي اعـيناني عـلى كـلفي   بـمن تـناوم عـن ليـلي ولم أنـمِ
كيف السبيل إليه وهـو مذ علقت   بـه الحـباله صـيد لاذ بـالحرمِ
ليت المـجير له لمـا ظـفرت بـه   اجـارني مـنه لمّـا رام سـفك دمـي
سرب من الانس ركبن الغصون على   حـقف النـقا وسترن الورد بـالعَنَمِ
عـنت عـواطـل لاحـلي لهـنّ سـوى   حسـن تـردد بـين الفـرع والقـدمِ
بـخلن حـتىٰ بـاهداء السـلام لنا   والبخل فـيهن مـحسوب من الكـرمِ
ورحـن وهـنا علىٰ التـجمير راشـقة   قـلوبنا بـنبال حـلوة الألمِ
رمـينَ بـالجمر قـلبي إذ جـمرن ولو   كـلمننا لشـفين الكَـلْم بـالكَلِمِ
وليـلة السـفح والركب الهـجود ثـنوا   علىٰ الأكـف مـثاني الجـدل واللـجمِ
والليـل يكـتم سـري والصبا كـلف   بـنشر مـا كـاد تـطويه يـد الظـلمِ
يـا نـفحة الريـح بـاتت بـين أرحـلنا   بـالجزع تسـلك بـين الغـدر واللـممِ
نـهبت طـيباً واغـربت الوشـاة بـنا   يـا حـبذا أنت لو لم تـقتدي بـهمِ
ظـنّوا بك السـوء وارتـابوا فـنزّهنا   بـردُ المـضاجعِ عـمّا رابَ مـن تُـهمِ
يـا قـلبُ مـالك تـلتذُّ العـناءَ فـما   تـنفكُّ مـن شـجنٍ بـادٍ ومكـتتمِ
تـظنُّ وعـدَ الأمـاني وهـي كـاذبة   حـقاً وتـطمعُ قـبل النوم بـالحلمِ
تـهوى النسـيمَ عـليلاً مـابه رمقٌ   وكيف يشفيكَ ذو سـقم مـن السـقمِ
أفـدي غـريماً طـويلَ المـطلِ ذمّـتهُ   وإن لوى الديـن ظـلماً أوثـق الذمـمِ

طـالبتُهُ فشكـا عـدماً فـقلتُ له   مـن فـوه مـلن دراً غير ذي عـدمِ
مـا زلتُ أرقيه فـي رفـقٍ وأسحره   حتىٰ تـبسَّم عـن حلو الجنى شَبِمِ
ورقَّ لي قـلبُهُ القـاسي ومكَّـنني   مـما أردتُ فـلم آثـم ولم أُلَـمِ
وهـلت مسكاً ودرّاً مـن غـدائره   وثـغره بـين مـنثورٍ ومـنتظمِ
وسائلٍ عـن جوى قـلبي فـقلتُ له   مـا أنتَ عـندي عـلىٰ سرٍّ بمتهمِ
طابَ الجوىفي الهوىحتى أنستُ به   فـهو المـرارة يـحلو طـعمها بفمِ
أغـدو بـجرح رغـيباً غير ملتحم   يـدمي وشـمل شتيت غـير مـلتئمِ
لم يبقَ من طيبِ عيشٍ بانَ منصرفاً   إلا عـقابيل وجـدٍ غـير مـنصرمِ

وله أيضاً :

تعرض لي في السرّب من ساحتيكما   غـزال رأنـي خـلسة فـرماني
فـإن عـاد ذاك السربُ يـوماً بـعينه   أخـذتُ بـحقي مـن أصـاب جناني
ألا مـن لصَبٍ بـالعراق يشـوقه   تـخلجُ بـرقٍ بـالعذيب يـماني
يـغار عـليه أن تشـيم ومـيضه   غـرائـر مـن ادمٍ بـه وغـوانـي
مـلكن عـلى قـلبي طريق سلوّه   ومـلكن بـرح الوجـد ثـني عناني
تـعف يـدي مـابينها وسـريرتي   ويـفسق طـرفي دونـها ولسـاني
ضمنت لصحبي أن أفيق وقـد أبت   ضـمانة قـلبي أن أفـي بـضماني
فـمن لامـني فـليطعم الحبّ قـلبه   ليـعلم هـل ليّ بـالسلو يـدانـي
أحـنُّ إلىٰ أرض الحـجاز وفـيهم   غـريم مـطول لو يشـاء قـضاني
هم نزعوا عن طاعة الصبر بـعدهم   يـديَّ واغـروا نـاجذي بـبناني
نـصحتكما والنـصح مادام هـاجماً   عـلىٰ ظـنة ضـرب مـن الهـذيان
وقلت أجيزا سـاحة الحـي واحـذرا   هـنالك طَـعْنَيْ مـقلة وسـنانِ

وهـل تأمـنان الفـتك مـن فـتياتهم وإن سـمحت فـيتانهم بأمـانِ
وكم سالم من طعنهم وهـو عـرضة لإرشـاق عـين او لطـعن بـنانِ
لأمـنع مـن نـفسي عشـية انتهي إلىٰ الحـي بـالبطحاء قـعب لبـانِ
وأغدوا وفـي الأحشـاء مني نـوافذٌ بـغير رمـاءٍ بـيننا وطـعانِ

وله أيضاً :

فـديتك أقـوال الوشـاة كـثيرة وهـنّ ظـهور مـالهنّ بـطونُ
فـلا تـقبلي مـا قـيل عـنّي لديكـم فـإن تـخاليط الوشـاة فـنونُ
فـما كُـلُّ قـولٍ قـيل عـنيّ صادقٌ ولا كُـلُّ ذي نـصحٍ أتـاك أمـينُ
هموا ارجفوا بالوصل بيني وبـينكم وظـن بـنا فـيما حكـوه ظـنونُ
فـليت أراجـيف الوشـاة حـقيقة وليت ظـنون الكـاشحين يـقينُ

وله أيضاً :

تعرَّضَ لي بعد السلوّ ومـا اسـتحيا واقرأنـي مـن سـحر أجـفانه وحـيا
وغـادرني بـعد انـدمال صـبابتي صـريع غـرامٍ لا أمـوت ولا أحـيا
ورام اعـتذاراً عـن ذنـوب تـقدمت وذمـة ودٍ قـد اسـاء لهـا رعـيا
وعـارضة زهـو الدلال فـلم يـطق لنـخوته اثـبات غـدر ولا نـفيا
فـيا مـوقفاً بـين اعـتذار ونـخوة الذّ وأحـلىٰ مـن مسـاعدة الدنـيا
ويا نظرة شنّت علىٰ القـلب غـارة وغـادرت الصبر الجـميل له سـبيا
ملكت عليّ الأمر في طاعة الهـوى ولا أمـر لي مـا دمت حـياً ولا نـهيا
أذكـر بـالبقيا عـلىٰ السـرّ بـعدما فضحت وهل بعد الفضيحة من بقيا

ويلذّ لي القول الغزّي ، وغزّة المنسوب إليها ، ضيعة في إقليم البقاع ، من أعمال الشام :

قالوا تـركتَ الشّعرَ قلتُ ضرورة ... بـاب الدواعـي والبـواعث مُـغلقُ
خـلتِ الديـارُ فـلا كـريمٌ يـرتجى ... مـنه النـوالُ ولا مـليحٌ يُـعشقُ
ومـن العـجائبِ أنّـه لا يُشـترى ... ويُـخانُ فـيه مـع الكسـادِ ويسـرقُ

أعرابي من أهل البوادي :

أحـجاج بـيت الله فـي أي هـودج ... وفي أي خدرٍ من خـدوركم حبّي
أأبقى رهين الجسم في أرض غربةٍ ... وحاديكم يحدو فؤادي مع الركبِ
فـوا أسـفاً لم أقـضِ منكم لبانتي ... ولم أتـمتعْ بـالجوارِ وبـالقربِ
يـقولون هـذا آخـرُ العـهدِ بيننا ... فقلتُ وهذا آخرُ العهدِ من قلبي

الشريف الرضي البغدادي ، أخو المرتضى :

تزوَّدْ مـن المـاءِ النـقاخِ فـلنْ تـرى ... بوادي الغضا ماءً نُـقاخاً[١] ولا بَـرْدا
ونل من نسـيم البـان والرنـد نـفحةً ... فـهيهات وادٍ يـنبت البـان والرَّنـدا
وعُجْ في الحمى طرفاً فلستَ برامقٍ ... طـوالَ اللـيالي ذلك العلمَ الفـردا
وكُـرَّ إلىٰ نـجدٍ بـطرفك إنّـه ... متى تَغْدُ لم تـنظرْ عـقيقاً ولا نـجدا

* * *

ولقد ذكـرتُكِ فـي السـفينةِ والردّى ... مُـتوقَّعٌ بـتلاطم الأمـواجِ[٢]
والجـوُّ يـهطلُ والرّيـاحُ عـواصـفٌ ... واللـيلُ مسـتوَدُّ الذوائبِ داجِ
وعـلىٰ السّـواحـلِ للأعـادي غـارةٌ ... مـتوقِّعينَ لغـارةٍ وهـياجِ

قلت : لو كانتِ الغارةُ مذكورة في نواحي السفينة ، في البحر المتلاطم

---

(١) الماء النقاخ : الماء البارد العذب الصافي .
(٢) الأبيات لأبي علي بن رشيق صاحب العمدة (ت ٤٦٣ هـ) ، ولها بيت رابع أيضاً ، كما في سلوة الغريب لابن معصوم ص٥٤ .

المواج ، لكان أوفق بمقامه ، وقد توسّطَ (الحقيرُ) في بحرِ اليمن ، قرب هذه الحالة ، وقد تاهتِ السفينةُ ، حتىٰ ظنّ أهلها قد وقعتْ في غبّةِ حشيش ، التي لا يخرج منها من دخلها ، وزادَ قذفُهُم (للمعلّم) ، وهو من عبّادِ البقرِ ، وغـرِقَ بجانبنا مركبٌ عظيم ، وانتُهِب ، ولم ينجُ منه إلا من نـجا بـالعومِ والسـباحةِ أو بغيرها ، وكثر الضجيجُ من أهل سفينتنا عند ذلك ، حتىٰ آيسنا من الحياة ، وباتَ قرصُ الشمس تحت الغمام أيام ، ولا حكم للمعلّم المذكور ، إلا إذا نصب الآتِ من قراطيسَ وأعواد ، منحوتة أو شيءٍ غير ذلك ، يعرف به جميع أراضي البحر ، من سهل ووعر ، ويسمّي أسماءها ويحدّدها في الطول والعرض ، ولا تـفيده الآلة حكماً من هذه الأحكام ، إلا إذا كانتِ الشمسُ في وسط السماء ، عند الزوال ، قبيله أو بعده ، فضاق الأمرُ ، واشتدَّ الكربُ ، ورمينا (الأناجر) ، وتركنا المسير ، فلما أذن الله لنا بالمسير ، يوماً أو بعض يوم[1] ، سمعَ الحقيرُ من أهلِ المركب ضجةً عظيمةً ، فأمـر المـعلم أن تُـخرج الطـبول ، وتُـضرب بـالأيدي وتُـقرع بالعيدان ، فسأل الحقيرُ عن القصة ، فقالوا : الآن تصلُ لنا سمكة ـ أو قالوا حوتة ـ فتبلع المركب بما فيه ، قلت : وتبلع المركب بما فيه من عبيد وأحرار وعيدان وأخشاب وشرع وأحمال ؟! ، قالوا : تبلع جميع ذلك ، وما مثل هذا المركب إلا مثل حبة شعير في منقار ديك ، فزاد عجبي ، وطالتْ فكرتي ، فقلتُ : لماذا تُقرع هذه الطبول ؟ قالوا : في كل مركب عظيم خزانة من الطبول ، لأجل هذه السمكة وأمثالها ، فانها تكره سماع الطبول ، فتحيد عن صوتها أما عن يمين أو شمال ، إن لم ترجع القهقري ، فزاد عجبي وتحيّري من هذا السر المكنون في طبائع مثل هذه الحوتة والآفة ، ومن علمهم به وإطلاعهم عليه ، فقلت : (الحقير) قد تطلّع

---

(١) أو أكثر قبلاً أو بعداً . منه ﷺ .

مدَّ بصره، في جنبات البحر ونواحيه، فلم يرَ شيئاً، فمن أين عرفتم أن هنا حوته، وأنها مقبلةٌ علينا، حتىٰ قرعتم هذه الطبول؟، قالوا: علمنا ذلك من زيادة الماء وتموجه وقلب روجه وأمواجه، من ناحية واحدة، أما تنظر كيف أمواج البحر تعاظمت وتراكمت، وأقبلت كلها علىٰ صدر المركب فما كانت إلا سويعات وإذا هم رجعوا بالطبول عند صدر المركب، وادخلوها الخزانة، وقد حمدوا الله تعالىٰ، فقلت: أين الحوته، وكيف علمتم رجوعها وسلامة المركب منها؟، فقالوا: تطَلّعْ عن يمين المركب، فصعدتُ علىٰ خشبةٍ فإذا أنا أرىٰ شيئاً مرتفعاً عن الماء مثل الجبل الصغير، فقالوا: هذه عقدةٌ ثالثة من ظهرها، فبعد ساعة بان لي أيضاً جبل صغير علىٰ أثر الأول، فقالوا: هذه عقدةٌ ثانية من ظهرها، فما كانت إلا سويعة، فإذا بعقدة ثالثة مثل الجبل الصغير، فقالوا: وهذه عقدة ثالثة من ظهرها، وجميع أهل المركب يتطلعون مثل (الحقير)، ويتفرجون حتى حسبنا خمساً من العقد ـ أو أقل أو اكثر ـ واحدةٌ أكبر من واحدة أو مثلها، ثم اختفىٰ أمرها، وابعدت عن ناحيتنا، وسكن الماء والروج مثل ما كان، ووصلنا مسكة[1] ـ والحمد لله ـ بعد أربعين يوماً، زمن خروجنا من اليمن.

أبو حيَّان النحوي:

ولقد ذكرتكِ والبحرُ الخِضَمُّ طغتْ ... أمواجُهُ والورى منهُ علىٰ حَذرِ[2]
في ليلةٍ أسدَلتْ جلبابَ ظلمتها ... وغارَ كوكبُها عن أعينِ البشرِ
والماء تحت وفوق المزن واكفهُ ... والبرق يستلُّ أسيافاً من الشررِ

---

(١) يقصد مسقط. ع.

(٢) الأبيات مثبتة في سلوة الغريب لابن معصوم ص٥٤، وفيها جاءت كلمة (سفر) بدل (حذر)، ماعدا البيت الرابع. وأبو حيان: أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).

والروح من حزنٍ راحتْ وقد وردتْ صدري فيالكِ من وردٍ ومن صدرِ
هذا وشخصك لا ينفك عن خلدي وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

قلتُ : ما أفادَ هذا الشعر ، وما قبله ، إلا أنهما من شدةِ الشوق وفرط التصابي ، كانا في حالة أهل الجنون ، في عدم الشعور بالأهوال والخطوب ، وهذا مبالغةٌ في عدم السلوّ عن الحبيب ، وتصريح بأن قلبهما لم يداخله غير حب المحبوب ، ولو داخله المغاير لدخل فيه مثل هذا الخطب المزعج ، والهول المرهج ، ولو دخل لما كان للتلذذ بذكر الحبيب سبيل .

السيد علي بن محمد الحِمَّاني :(١)

هَبْني بقيتُ على الأيام والأبدِ ونلتُ ما شئتُ من مالٍ ومن ولدِ
من لي برؤيةِ من قدْ كنتُ آلفُهُ وبالزمانِ الذي ولَّى ولم يَعُدِ
لا فارقَ الحزنُ قلبي بعد فُرقتِهِمْ حتى يفرِّقَ بين الرُّوح والجسَدِ

وله أيضاً :

أفي كلِّ أرضٍ أو بكل تَنُوفةٍ أخو أملٍ منَّا يحاولُ مَطْمَعا
كأنَّا خُلقنا لِلنَّوى وكأنَّما حرامٌ على الأيَّام أن نَتجمَّعا

وله أيضاً :

وجهٌ هو البَدرُ إلَّا أنَّ بينَهما فضلاً تحيَّر عن حافاته النورُ
في وجه ذاك أخاليطٌ مسودةٌ وفي مَضاحِكِ هذا الدُّرُّ منثورُ

---

(١) علي بن محمد بن جعفر ، العلوي ، الكوفي ، الحِمَّاني ـ كان منزله ببني حمان ـ وجيه الكوفة في عصره . ت ٣٠١ هـ . وفي أصل المخطوطة (الجماني) وهو سهو . ونقلنا الترجمة عن الأعلام للزركلي : ج ٤ ، ص ٣٣٤ . وأبياته مثبتةٌ في سلوة الغريب ص ٨٩ ـ ٩٠ .

وله أيضاً :

يـــا شـــادناً أفــرغ مــن فـضّه ... فــي خــدُه تُــفّاحةٌ غــضَّهْ
كأنّـــما القــبلة فـــي خــدُّه ... بـــالحسن مـــن رقّـــتِه عَــضَّهْ
يـــهتزُّ أعـــلاه إذا مـــا مشـــى ... وكـــــله فـــي ليـــنة قَـــبْضَهْ
ارْحَـــم فـــتىً لمـــا تـــملَّكتَهُ ... أقـــرُ بـــالرقِّ فـــلم تَـــرْضَهْ

الشيخ عز الدين الموصلي :[1]

هـــجروك البـــيض لمـــا ... نـــصل الضـــبعُ فـــضَرَّكْ
كشـــفَ الدهـــرُ المـــغَطَّى ... يـــا جـــميلَ السُّـــترِ سِـــتْرَكْ

الشريف حسن بن أبي نُمي[2] ، والي مكة ، وقيل لغيره :

شـــربنا قـــهوةً مـــن قشـــرِ بـــنٍّ ... تُـــعينُ عـــلى العـــبادةِ للـــعبادِ
حكتْ في كـفٍّ مـن أهـواهُ صـرفاً ... زيـــاداً ذائـــباً وســـطَ الزَّبـــادِ
وعـــاداتُ الظـــبا تأتـــي بـــمسكٍ ... وهـــذا الظـــبيُ يأتـــي بـــالزُّبادِ

في قشرةِ القهوةِ أيضاً ، وأكثر ما يشربه أهل اليمن :

هاتِ اسقني قهوةً قشريةً فـضحتْ ... بكـرَ المـدامِ وشـنفْ لي الفـناجينا
تـدعوا إلىٰ نـحو مـافيه البـقاء ولو ... دعتْ إلىٰ نـــحوِ مـافيه الفـناجِينا
لو أن ألفاً أحـاطوا حـول سـاحتها ... قـصدَ النـجاةِ رأيتَ الألفَ نـاجينا

---

(١) علي بن الحسين (عز الدين الموصلي) ، (ت ٧٨٩ هـ) . الأعلام للزركلي ٤ : ٢٨٠ .

(٢) الشريف حسن بن محمد بن بركات بن محمد بن أبي نمي (ت ١٠١٠ هـ) . خلاصة الأثر للمحبي ١ : ١٣٢ .

وزاد عيها الطبري :[١]

يـا ربـةَ الأنسِ حلينا حـماك فإن	نـطلب فـجودي وإن نسأل فـناجينا

السيد علي خان ، فيه أيضاً :

يــــا قـــهوةً قشــريةً	حكتِ النّــــارَ بـــلونها
ولكـــم حَـــباكَ حَـــبابُها	بـــخلاصِها ولُـــجيْنِها
جُـــليتْ عـــليَّ مـــصونةً	بـــزفافها وبـــصونها
وكأنَّ كـــلَّ حـــبابةٍ	تـــرنوا إليَّ بـــعينها

ابن القيسراني[٢] **يتغزل :**

بـــالسَّفحِ مـــن نَـــعْمان لي	قـــمرٌ مـــنازلُهُ القـــلوبُ
حـــملت تـــحيَّته الشـــما	ل فـــردَّها عـــنِّي الجـــنوبُ
فَـــرْدُ الصـــفاتِ غـــريبُها	والحســـنُ فـــي الدنـــيا غـــريبُ
لم أنس ليـــلةَ قـــال لي	لمـــا رأىٰ جســـدي يـــذوبُ
بـــالله قـــلْ لي مـــن أعـــلَّك	يـــا فـــتى قـــلتُ الطـــبيبُ

أبو فراس من آل حمدان :

هـــبّتْ لنـــا ريـــحٌ شـــماليةٌ	مسّت إلىٰ القـــلب بأســـبابِ
آدت رســـالاتِ الهـــوى بـــيننا	عـــرفتها مـــن بـــين أصـــحابي

---

(١) زين العابدين بن عبد القادر الطبري إمام المقام الإبراهيمي بمكة (ت ١٠٧٨ هـ) . سلوة الغريب : ١٠٥ .

(٢) خالد بن اسماعيل المخزومي ، الحلبي ، الدمشقي (أبو البقاء) ، كاتب الإنشاء بدمشق ووكيل بيت المال . ت ٧٥٩ هـ.

كحالة / معجم المؤلفين : ج ٤ ، ص ٩٥ .

محيي الدين الخياط :[1]

يـا نسيمَ الصَّـبا الولوعَ بـوجدي   حـبَّذا أنت إنْ مـررت بـهندِ
ولقـد رابـني شـذاكَ فـباللـ   ـه متى عـهدُهُ بأطـلال نـجدِ

قال ابن حجة : بين قوله : رابني ... الخ وبين قول أبي فراس عرفتها .. الخ ، معركٌ ذوقي ، لا يدركُهُ إلّا مَنْ صفتْ مرآةُ ذوقِهِ في علمِ الأدب .

قلت : قد عسرَ عليَّ (الحقير) فهمَ مراد ابن حجة ، وهذا من تراكمِ الصدأ ، وفقدِ الصيقل .

ومـاذاتُ طـوقٍ فـي فـروعِ أراكـةٍ   لها رنةٌ تـحت الدجـى وصُـدوحُ[2]
ترامتْ بها أيـدي النـوى وتـمكنتْ   بـها فـرقة مـن أهـلها ونـزوحُ
فـحلّت بـزوراءِ العـراق وزغـبها   بـعسفانَ ثـاوٍ مـنهم وطـليحُ
تـحنّ إليـهم كـلما ذرّ شـارقٌ   وتسجعُ في جُنحِ الدُّجـىٰ وتـنوحُ
إذا ذكـرَتْهم هـيَّجت ذا بـلابلٍ   وكـادتْ بـمكتوم الغـرام تـبوحُ
بأبرحَ مـن وجـدي لذكـري احبتي   إذا لاحَ بـرقٌ أو تـنسَّم ريـحُ

ابن نباته :

قفا فـاعجبا مـن هـاملِ الغـيث إنّـه   لأعجب شيء يعجب العين والفكرا
يـمدّ عـلىٰ الآفـاق بـيض خـيوطه   فـينتج مـنه للـثرى حـلة خـضرا

أبو الفرج الببغاء :

وكأنـما نَـقَشَتْ حـوافـرُ خـيلِهِ   للـناظرين أهـلةً فـي الجـلمدِ

---

(١) أحمد بن محمد الدمشقي (أبو عبد الله) ، (ت ٥١٧ هـ) ، له ديوان شعر (ط) . الأعلام للزركلي : ج١ ، ص٢١٤ .
(٢) الأبيات لأبي منصور (فخر الدين) عيسى بن مودود صاحب تكريت (ت ٥٨٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٣ : ١٦٦ . كما جاء في (سلوة الغريب) .

وكأن طرق الشمس مطروفاً وقد ... جعل الغبار له مكان الأثمدِ

السريّ :

كليني إلىٰ المهرية القود إنني ... سآخذ من أيدي الخطوبِ قيادي

فما تعبي إلا لتجديدِ راحةٍ ... ولا سهري إلا لطولِ رقادي

وله أيضاً :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر ... فإذا التقى الجمعان عاد مضيقا

من اليمين الغموس :

سرت في سوادِ القلب حتىٰ إذا انتهى ... بها السير وارتادت حمى القلب حلّتِ

فوالله مافي القلبِ شيءٌ من الهوى ... لأخرى سواها أكثرتْ أو أقلّتِ

الشيخ محمد الشامي :[١]

ولرب ملتفت بأجياد المها ... نحوي وأيدي العيس تنفث سمّها

لم يبكِ من ألم الفراق وإنما ... يسقي سيوفَ لحاظهِ ليسمّها

القاضي تاج الدين المالكي :[٢]

بدا البرقعُ الشرقي كالشفقِ الذي ... علىٰ فرقه لاح الهلال بلا فرقِ

وابدى عجيباً في عجيب لأنه ... أرانا هلال الأفق يبدو من الشرقي

محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن إبراهيم الشامي :

رقت شمائله فقلت نسيم ... وزكت خلائقه فقلت شميمُ

---

(١) أستاذ ابن معصوم الشيرازي ، كما جاء في (سلوة الغريب) ، (ت ١٠٩٠ هـ) ، وقد أثبت البيتين المذكورين والأبيات التالية . سلوة الغريب : ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٢) (ت ١٠٦٦ هـ) كما في سلوة الغريب وقد أثبت له البيتين ص ١٩٩ .

قصر الكلام على السلام وإنما | للحظ في وجناته تكليمُ
شرقت معاطفه بأفواه الصبا | وجرى عليه بضاضةٌ ونعيمُ
قد كاد تشربه العيون لطافة | لكن سيف لحاظه مسمومُ

وله أيضاً :

طارتْ بلبكَ حيثُ طارَ بها الهوى | ورقاءَ قطعَ نوحُها الأكبادا
غنَّتكَ أحوج ما يكون إلىٰ البكا | هل تحسنين لواجدٍ اسعادا
ومزيف للحبّ عندي قال لي | والعيس تقدح للفراق زنادا
ما بال قلبك لا يقر قراره | أحَلَى له طعم الهوى فازدادا
امسكْ فؤادكَ إنْ مررتَ على اللوى | قالتْ وهل أبقى الفِراقُ فؤادا
خفض عليك من الملام فأنني | عودت قلبي حُبهم فاعتادا

وله أيضاً :

وقد جعلتْ نفسي تحنُّ إلىٰ اللوى | حلا فيه عيش من بثينة أو مرّا
وأرسلت قلبي نحو تيماء رائداً | ليَ الخفراتِ البيضَ والشُّدَّنَ الخُفرا
تعرّف منها كل لمياء خاذل | هي الريم لولا أن في طرفها فترا
من الظبياتِ الرود لو أنّ حسنها | يكلِّمها أبدتْ علىٰ حسنها كبرا
وآخر إن عرفته الشوق راعني | بصدٍ كأني قد أبنتُ له وِترا
اناشد فيه البدر والبدر غائر | واسأل عنه الرسم وهو به مُغرى
واسترشدِ الشِعّرى العبور وقلّما | تَبينُ لنا عن ليلِ طرتهِ الشِعّرى
فما ركب البيداء لو لم يكن رشاً | ولا صدع الديجور لو لم يكن بدرا
لحاظ كأن السحر فيها علامة | تعلّم هاروت الكهانة والسحرا
وما للصبا يا ويح قلبي من الصبا | تبيتُ تناجي طولَ ليلتها البدرا

تطارحُه والقول حق وباطل أحاديث لا تبقي لمستودعٍ سرّا
وتلقي على النمام فضل ردائها فيعرف للاشواق في طيها نشرا

صدقة الشامي :

في خده عرق بدا ذا حمرة لصفائه
هذا يصدق قولهم : (الماء لونُ إنائه)

الأمير منجك الشامي :

تلاعبت بالأشواق حتىٰ لعبن بي وما كنت أدري أن هزل الهوى جد
اعاني به ما يعجز الدّهر بعضه واحمل ماقد كل عن حمله الجهد

السيد ماجد بن هاشم البحراني :(١)

وذي هيفٍ ما الورد يوماً ببالغٍ مدى وجنتيه في احمرارٍ ولا نشر
برِئنا من الاسلام إن سيم وصلَه علينا بما فوق النفوس ولا نشري

أعاذنا الله من زلقات الالسن والقلوب والأقلام ، فما أوقع شعر هذا السيد في النفوس ، لولا البراءة من الاسلام ، وسبقه إلىٰ عين هذه الغفلة ، القاضي الخليجي :(٢)

برئتُ من الإسلام إنْ كانَ ذا الذي اتاك به الواشون عنّي كما قالوا

---

(١) السيد ماجد بن السيد هاشم بن السيد علي الحسيني ، البحراني ، تولى القضاء بالبحرين ، ثم انتقل إلىٰ شيراز فكان بها اماماً وهاديا ، توفي بشيراز ١٠٢٨ هـ. والبيتان المثبتان هنا موجودان في سلافة العصر بصوره أخرىٰ ، وليس فيهما براءة من الاسلام وهما :

وذي هيف ما الورد يوماً ببالغٍ مدى وجنتيه في احمرار ولا نشر
برئنا من (العلياء) إن سيم وصلَه علينا بما فوق النفوس ولا نشري

السلافة ص٥٠٣

(٢) القاضي الخليجي أو الخلنجي : راجع عنه وأبياته هذه الأغاني ١١ : ٣٣٨ من طبعه دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

ولكـــنّهم لمـــا رأوكِ غـــريّةً بهجري تواصوا بالنميمةِ واحتالوا
فـقدْ صِـرتِ أذناً للوشاةِ سـميعةً ينالون من عرضي ولو شئتِ ما قالوا

ابن بابك :

وأغـيدَ مـعسول الشـمائل زارنـي عـلى فـرقٍ والنجم حيران طالعُ
فلما جلى صبغ الدجى قلت حاجب من الصبح أم قرن من الشمس لامعُ
إلى أن دنـى والسُّحرُ رائد طرفه كـما ريـع ظبيٌ بالصريمة راتـعُ
فـنازعته الصـهباء والليل دامس رقيق حواشـي البرد والنسر واقـعُ
عُـقَارٌ عليها من دم الصبّ نـفضةٌ ومـن عـبراتِ المستهام فـواقـعُ
تـديرُ إذا سـحت عـيوناً كأنـها عيون العـذارى شـق عنها البراقـعُ
مـعودّة غَـصبَ العـقول كأنـما لهـا عـند ألبـاب الرجـال ودائـعُ
فـبتنا وظِـلُّ الوَصْـل دان وسـرّنا مـصون ومكـتوم الصـبابة ذائـعُ
إلى أن سلا[1] عن وردة فارط القطا ولاذت باطراف الغصون السـواجـعُ
فـولّى أسـير الركب يكـبو لسانُهُ فـتنطقُ عـنهُ بالوداع الأصـابِـعُ

عروة بن خزام :

بــذلت لعـرّاف اليـمامةِ حكـمه وعـرّاف نـجدٍ إنْ هـما شـفياني
فـما تـركا مـن سـلوةٍ يـعرفانها ولا رقـــيةٍ إلا بـــها رقـــياني
فـــقالا شـــفاكَ الله والله مـــالنا بـما ضـمنت منك الضلوع يـدانِ

* * *

أعـــلّلُ بـــالمنى قـــلبي لأنّـــي أذود الهـــم بـــالتعليل عـــنّي
وأعـــلم أن وصـــلك لا يـــرجّـى ولكـــن لا أقـــل مـــن التمني

---

(١) م ك : سلمى .

الشيخ كمال الدين ميثم البحراني :

جمعت فنون العلم أبغي بها العلى   فـقصرّني عـما سموت بـه القـلُّ
فـقد بـان لي أن المـعالي بأسـرها   فـروعٌ وأن المـال فـيه هـو الأصـلُ

عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

إلىٰ كم يكون العتب في كـل سـاعةٍ   وكـم لا تـملّين القـطيعةَ والهـجرا
رويـــدك أن الدهــر فــيه كـفاية   لتفريق ذات البين فـانتظري الدهـرا

* * *

قد كنتُ أعـذلُ فـي الصبابة أهـلَها   فـــاعجب لمــا تأتــي بــه الأيــامُ
فـــاليوم أعــذرهم وأعــلم أنّــما   ســبل الغــوايــة والهــدى أقســامُ

عمرُ بن الوردي :(١)

ودّعـــتني يــوم الفــراق وقــالتْ   وهــي تــبكي مِـنْ لوعـةِ الافـتراقِ
مـا الذي أنت صـانعٌ بـعد فـقدي   قــلتُ قـولي هـذا لمـن هـو بـاقي

الشريفُ الرضي :

عــارضا بـي ركب الحـجازِ أسـائلـ   ـه مـتى عـهْدُهم بأيـامِ جمعِ(٢)
واستملّا حديثَ مَنْ سكنَ الخيف   ولا تكـــــتُباهُ إلا بـــــدمعي
فـــاتني أنْ أرىٰ الديـــارَ بـطرْفي   فـــلَعلّي أرى الديـــارَ بســمعي

ابنُ القوبرة :

كــانتْ دمـوعيَ حُـمراً قـبل بـينَهم   فـمذ نأوا قـصَّرتَها لوعـة الحُـرقِ

---

(١) البيتان موجودان في (سلوة الغريب) لابن معصوم ، وكذا الأبيات الآتية لابن القوبرة وابن باجه والخطيب الجنيد والشريف الرضي .

(٢) وفي ديوان الشريف : بسكان سلع .

قطفتُ باللحظ ورداً من خدودهم   فاستقطر البعدُ ماءَ الوردِ من حَدَقي

نُسبَ لليلىٰ في مجنونها :

ألا ليتَ شعْري والخطوبُ كثيرةٌ   متى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ وراجعُ
بنفسي من لا يستقلُّ بنفسه   ومَنْ هو إنْ لمْ يحفظِ الله ضائعُ

ابنُ باجَّه :[١]

أسكّانَ نعمان الأراكِ تيقّنوا   بأنكم في ربع قلبي سكّانُ
ودوموا علىٰ حفظِ الوداد فإنّنا   بُلينا بأقوامٍ إذا اؤتمنوا خانوا
سلوا الليلَ عنّي مذ تناءتْ ديارُكم   هل اكتحلتَ لي فيه بالنَّومِ أجفانُ
وهل أغمِدتَ يوماً سيوفُ بُروقكم   فكانتَ لها إلا جفوني أجفانُ

الخطيبُ الجنيدُ بن الحسن :

رَوتْ لي أحاديثَ الغرامِ صبابتي
بإسنادها عن بانةِ العَلَمِ الفردِ
وحدّثني مرُّ النسيم عن الحمى
عن الدَّوح عنْ وادي الغضا عن رُبىٰ نجدِ
بأنَّ غرامي والأسىٰ قد تلازما
فلنْ يبرحا حتىٰ أوسدَ في لحدي

الشريف الرضي :

أتُرىٰ الأحبابُ مذْ ظَعنُوا   وجدوا للبين ما أجدُ
كان زُوراً بعدَ بَيْنهم   وغروراً ذلك الجلدُ

---

(١) ابو بكر بن الصائغ ، السرقسطي ، عالم في الرياضيات ، قتل مسموما في فاس ٥٣٣ هـ.
كحالة / معجم المؤلفين : ج٣ ، ص٦٣ .

ومتى تدنو النوى بهم ... يجدُوا قلبي كما عَهِدوا

الجامع :[(١)]

سلْ عن فؤادكَ يومَ طاشَ بكَ الهوى ... إنْ كنتَ تملكُ في الغرام فؤادا
هيهاتَ عهدي يومَ مُنعَرجِ اللّوى ... قادتْ أزمّتهُ النوى فانقادا

* * *

هجرتك لا قليً منّي ولكنْ ... رأيت بقاء ودُك في الصّدودِ
كهجر الهائماتِ الوردَ لما ... رأت أنْ المنيةَ في الورودِ
تغيظُ نفوسَها ظماً وتخشى ... حِماماً فهي تنظرُ من بعيدِ
تصدُّ بوجه ذي البغضاء عنهُ ... ورمقُهُ بالحاظ الورودِ

أبو العتاهية :

كم عائبٍ لك لم أسمع مقالتَه ... ولم تزدك لدينا غير تزيينِ
كأنَّ عائبكم يُبدي مَحاسِنكم ... وصفاً فيمدحكم عندي ويغريني
ما فوق حبك حبٌّ لستُ أعلَمُهُ ... فلا يضرك أنْ لا تستزيديني

ابنُ تلامش :

سرى وجبين الجو بالطل يرشحُ ... وثوب الغوادي بالبروق موشحُ
وفي طي ايراد النسيم خميلة ... بأعطافها نَوْر المنى تتفتحُ
تضاحك في مسرى الماطف عارض ... مدامعه في وجنة الروض تسفحُ
ويوري به رندَ الصِبا زندُ بارق ... شرارته في فحمة الليل تقدحُ

المقامات الصفدية :

خليليّ إنّي كلما لاحَ بارقٌ ... من الأفق الغربيّ جددّ لي وجدا

---

(١) البيتان لابن معصوم الشيرازي ، كما جاء ذلك في كتابه (سلوة الغريب) ص٣٢٥ .

وإنْ قــابلتني نــفحةٌ بــابليةٌ وجدتُ لمسراها علىٰ كبدي بـردا
وليس ارتـياحي للـرياح وإنـما ار تياحي لقومٍ اعقبوا وصلهم صدّا

من المقامات :

ولو قيلَ لي ماذا تـريدُ من المنىٰ لقـلتُ مـنائي مـن احـبتي القـربُ
فكـلُّ بـلاءٍ فـي رضاهم غنيمةٌ وكـلُّ عـذابٍ فـي محبتهم قـربُ

شمس الدين محمد التلمساني ابن زهير (موشح) :

فــتق المسك بكــافور الصباحْ ووَشَتْ بـالروض أعـرافُ الريـاحْ
فـاسقنيها قـبلَ نـورِ الفـلقِ
وغـنـاءِ الورقِ بـين الورقِ
كـاحمرارِ الشـمسِ عـندْ الشفقِ
شـبحُ المَـزج عـليها حـين لاحْ فـلك اللـهو وشـمس الاصطباحْ
وغـزالٌ سـامني بـالملقِ
وبـرى جسـمي واذكـى حـرقي
اهـيفٌ مـذ سـلَّ سيفَ الحـدقِ
قَـصُرتْ عـنه أنـابيبُ الرمـاحْ وثـنىٰ الدهـر مشـاهير الصـفاحْ
صـارَ بـالذلِّ فـؤادي كـلفا
وجـفون سـاحرات وطـفا
كـلما قـلتُ : جـوى الحب انـطفى
أمـرضَ القـلبَ بأجـفانٍ صحاحْ وسـبى العـقلَ بـجدٍ ومـزاحْ
يـوسفيُّ الحسـنِ عـذبُ المبتسمْ
قـمريُّ الوجـه ليـليَ اللـممْ

عـــنتريُّ البـاس عـلويّ الهـممْ

غـصنى القـد مـهضوم الوشـاخْ   مـادريّ الوصـل صـابيّ السماحْ

قـــد بـــالقد فـــؤادي هـــيفا

وســـبى عـــقلي لمـــا انـــعطفا

ليـــته بـــالوصل احـــيا دَنِـــفا

مستطارُ العـقل مقصوصُ الجـناحْ   مـا عـليه فـي هـواه مـن جناحْ

يـــا عـــليّ أنت نـــورُ المـقلِ

جـدْ بـوصلٍ مـنك لي يـا أمـلي

كـــم أغـنّيك إذا مـــالحتَ لي

طـرقتْ والليـل ممدوح الجناحْ   مـرحباً بـالشمس مـن دون صباحْ

قلتُ :

الموشّحُ هو : أن تتوافق قرينتان في قافية ، ثم ثلاثُ قرائن في قافية ، وهو المخمّس ، كما في هذا الشعر المذكور ، وقد تتوافقُ فيه أربعُ القرائن وتخالفهم الخامسةُ في القافية ، مثل القصيدة (الراحيّة) ، وله أيضاً أسلوبٌ يخصّه ، من (الزمزمة) ، والاصطلاحات المختصة بالزمزمة ، والطرايق ، مع انضمام الرصع في القافية ، وعدده كثير ، فمنه : (الخلف آبادي) ، ومـنه (السّجع) ، ومـنه (المفرد) ، ومنه (النّعاء) ، ومنه (الأختام) ، ومنه (الموّال) ، و (ليالينا) ، و (أبو عتابه) ، و (الزهيري) ، و (الملمّع) ، والمشطوب ، إلىٰ غير ذلك .

شمس الدين محمد التلمساني :

قـضاةُ الحسـنِ مـا صنعي بطرفٍ   تـــمنّىٰ مـــثله الرشأ الرَّبيبُ

رمـــى فأصـابَ قـلبي بـاجتهادٍ   صـــدقتمْ كـلّ مـجتهدٍ مُـصِيبُ

تمليح للعامل المعنوي [١] :

قـــالوا أحبَّ حـــبيباً مـا تأمَّـلَهُ فكـيف حـلَّ بـه للسـقم تأثـيرُ
فـقلتُ قـد يـعملِ المـعنىٰ بـقوته في ظاهر اللفظ رفـعاً وهـو مسـتورُ

قلتُ : لو قالَ (خفضاً) لوافقَ مقَامَه ، فإنّ الحبَّ إضافةٌ إلىٰ النحول ولأسقام ، والعامل المعنوي في المضاف إليه معنى الإضافة . وهل أثَرُ العشقِ إلا الذلُّ ، والانخفاض ، والانكسار ، والانجرار ؟!

الأموي في النجديات :

رأت أمُ عمروٍ يومَ صارتْ مدامعي تـنمّ بسـريّ فـي الهوى وتـذيعهُ
فـقالتَ : أهـذا دأبُ عـينك إنّـني أراهـا إذا اسـتودعتَ سـراً تـضيعهُ
وكيف اذودُ الدّمعَ والوجـدُ هـاتفٌ بـه وعـلىٰ الإنسـان مـا يسـتطيعهُ

أبو بكر الرصافي البغدادي :

لو كنتِ شاهدةً وقد غشـي الوغـى يـختالُ فـي درع الحـديد المسبلِ
لرأيتِ مـــنه والقـــضيب بكـــفّه بـحراً يـريقُ دمَ الكـماة بـجدولِ

❁ ❁ ❁

عـــلى لام العـــذار رأيتُ خـــالاً كـــنقطةِ عـنبرٍ بـالمسك افـرطْ
فـقلتُ ـ لصاحبي ـ : هـذا عـجيبٌ مـــتىٰ قـــالوا بأن اللام تُـــنقطْ

الأرجاني :

مـا جـبتُ آفـاقَ البـلادِ مـطوِّفاً إلا وأنـــتم فـــي الورى مـتطلّبي
سـعيي إليكـم فـي الحـقيقة والذي تجدون مني فهو سـعيُ الدهـرِ بـي
انـــحو كـم فـيردّ وجـهي القـهقري دهري فسيري مـثلُ سيرِ الكـوكبِ

---

(١) هذا التمليح مكتوب أيضاً علىٰ ظهر الكتاب . ع .

فالقصدُ نحو المشرق الأقصى له ... والسيرُ رأي العين نحو المغربِ

تقي الدين بن دقيق العيد :[١]

والحمدُ لله كم أسمو بعزمي في
نيل العلا وقضاء الله ينكسهُ

كأنني البدر يبغي الشرق والـ
ـفلكُ الأعلى يعارضُ مسراه ويعكسهُ

قلتُ : المرادُ بالعكس : رأيُ العين أيضاً ، وإلا فلم يزل البدرُ يسيرُ في فَلَكِهِ نحو المشرق ، من غير نكسٍ وعكس ، ولكن في سيره ـ كالسيارات أجمع ـ ، رجوعٌ واستقامة على معنىً مذكورٌ في علم الهيئة .

الحماسيّ :

ومافي الخلق أشقىٰ من محبٌ ... وإنْ وجدَ الهوى حلو المذاقِ

تراه باكياً في كل حين ... مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

فتسخنُ عينه عند التنائي ... وتسخنُ عينه عند التلاقي

* * *

أسجناً وقيداً واشتياقاً وعبرةً ... ونأي حبيبٍ إنَّ ذا لعظيمُ

وإنَّ امرءاً دامتْ مواثيقُ عهده ... علىٰ مثل ما قاسيته لكريمُ

* * *

أبداً خيالك لا يفارق مضجعي ... ولذيذ ذكرك دائماً في مسمعي

---

(١) محمد بن علي بن وهب القشيري ، المنفلوطي ، ولد في ينبع له : الاقتراح في علوم الحديث . ت ٧٠٢ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج ١١ ، ص ٧٠ .

وكذا حديثك في فمي لم أنسه		وبأي أرضٍ كنتُ أنت بها معي

الأرجاني :

وأخو الليالي ما يزال مراوحاً		ما بين أدهم خيلها ولأشهبِ
والأرضُ لي كرةٌ أواصل ضربها		وصوالجي أيدي المطايا اللّغبِ

الأمير أبو دلف :

أطيبُ الطيبات قتلُ الأعادي		واختيالي على متون الجيادِ
ورسولٌ يأتي بوعد حبيبٍ		وحبيبٌ يأتي بلا ميعادِ

ابن المعتز :

ألستُ أرى النجمَ الذي هو طالعٌ
عليك فهذا للمحبين نافعُ
عسى يلتقي في الأفق لحظي ولحظها
فيجمعنا إذ ليس في الأرض جامعُ

* * *

إلى الطائرِ النسرِ انظري كلَّ ليلةٍ
فإنّي إليه بالعشيةِ ناظرُ
عسى يلتقي طرفي وطرفُك عنده
فيشكو إليه ما تجنُّ الضمائرُ

مهيار :

وما اتبعتُ ظعنَ الحيّ طرفي		لأغنمَ نظرةً فتكون زادي
ولكنّي بعثتُ بلحظ عيني		وراءَ الركبِ يسألُ عن فؤادي

أبو نواس :

وظبيٍ خلوبِ اللفظِ حلو كلامه ... مقبّلهُ سهلٌ وجانبه وعرُ
فقمتُ إليه والكرى كحل عينه ... وقبّلتُهُ والصبّ ليس له صبرُ
إلىٰ أن تجلّىٰ نومُهُ عن جفونه ... وقال : كسبتَ الإثم قلتُ : لي العذرُ
فأعرضَ مزوّراً كأن بوجهه ... تفقأ رمانٌ وقد برد الصدرُ
فما زلتُ أرقيه والثمُ خدَّه ... إلىٰ أن تفنّىٰ راضياً وبه شكرُ
ألا فاسلمي يا دارميُّ على البلا ... ولا زال منهلاً بجرعانك القطرُ

اقتباسٌ من الرمل :

فوق خدّيه للعذار طريقٌ ... قد بدا تحته بياضٌ وحمرهْ
قيل ماذا فقلتُ : أشكالُ حسنٍ ... يقتضي أنْ أبيعَ قلبي بنظرهْ

نصر السفاقسي :

إذابةُ الحبِّ حتىٰ لو تمثّله ... بالوهم خلقٌ لأعياهم توهّمه
لولا الأنينُ ولوعاتٌ تحركه ... لم يدره بعيانٍ من يكلّمه

وبعين المعنى قوله :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فقيل : هو كالضرطة يُسمعُ صوتها ولا يُرىٰ شخصها . وقد سَلِمَ نفر من هذا العيب ، لتحريكه بلوعات الغرام .

العباسُ بن الأحنف :

وحدّثتني يا سعدُ عنهم فزدتني ... جنوناً فزدني من حديثك يا سعدُ
هواهم هوىً لم يعرفِ القلب غيره ... فليس له قبلٌ وليس له بعدُ

محمد بن بختيار[1] المعروف بـ (الأبله) :

دعـــني أكـابدُ لوعـتي وأعـاني   أيـن الطـريق مـن الأسير العـاني
آليتُ لا أدعُ الغــــرامَ يــغرّني   مـن بـعد ما أخـذَ الغرامَ عـناني
أولا تــروض العـاذلاتُ وقـد أرى   روضاتِ حسنٍ في خـدود حسـانِ
ولَــدَيّ يـلتمسُ السـلوّ ولم أزل   حـــيّ الصـبابة مـيتّ السـلوانِ
يـا بـرقُ إنْ تـجز العـقيقَ فـطالما   أغـنتهُ عـنك سـحائبُ الأجـفانِ
هـيهات أن أنسـىٰ ربـاك ووقـفة   فـــيها أغـيرُ بـها علىٰ الغـيرانِ
ومـهفهفٍ سـاجي اللـحاظ حـفظته   فأضـــاعني وأطـــعته فـعصاني
يـعمي قـلوبَ العـاشقين بـمقلةٍ   طـــرْفُ السـنان وطـرفها سـيّانِ
خـــنثُ الدلال بشـــعره وبـثغره   يــوم الوداع اضـلّني وهـدانــي
مــا قـامَ مـعتدلاً يـهزّ قـوامـه   إلا وبـــانتْ خـجلةً فـي البـانِ
يــا أهـل نـعمان إلىٰ وجـفاتكم   تُــعزى الشـقائق لا إلى النـعمانِ
مـا يـفعل المـران من يـد قلّبٍ   فــي القـلب فـعل مـرارة الهـجرانِ

أبو منصور عليّ بن محسن ، المعروف بـ (صـردي)[2] ، في مدح الوزير فخر الدين بن جهر :

لجـــاجةُ قــلبٍ لا يــفيقُ غــرورها
وحــاجةُ نــفسٍ ليس يــقضي يسـيرها

---

(١) محمد بن بختيلر بن عبد الله البغدادي . ت ٥٧٩ هـ كحاله / معجم المؤلفين : ج٩ ، ص٩٨ .

(٢) علي بن الحسن (كذا) بن علي المعروف بـ (صردي) . ت ٤٦٥ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج٧ ، ص٦٦ .

وقــفنا صــفوفاً فــي الديــار كأنــها
صــحائف مــلقاةٍ ونــحن ســطورها
يــقولُ خــليلي ـ والظــباء ســوانــح ـ:
أهــاتي التــي تــهوى فــقلتُ: نــظيرها
لئــنْ شــابهتَ أجــيادها وعــيونها
فــقد خــالفتَ أعــجازها وصــدورها
فــيا عــجباً مــنها يُــصَدُّ أنــيسها
ويــدنو عــلىٰ ذعــر البــناء نَــفورُها
ومــا ذاك إلا أن غــزلان عــامرٍ
تــيقن أن الزائــرين صــقورها
ألم يكــفها مــا قــد جــنته شــموسها
عــلىٰ القــلب حــتىٰ ســاعدتها بــدورها
نكــصنا عــلىٰ الأعــقاب خــوف إنــاثها
فــما بــالها تــدعو النّــزال ذكــورها
ووالله مــا أدري غــداة نــظرْنَنا
اتــلك ســهام أم كــؤوس تــديرها
فــإن كــنَّ مــن نــبلٍ فأيــن قسيّها
وإن كــن مــن خــمرٍ فأيــن ســرورها
أيــا صــاحبيّ اســتأذنا لي خُــمرْها
فــقد أذنت لي فــي الوصــول خدورها

هباها تجافتْ عن خليلٍ يروعها
فهل أنا إلّا كالخيال يزورها
وقد قُلتما ـ لي ـ: ليس في الأرض جنةٌ
أما هذه فوق الركايب حورها
فلا تحسبا قلبي طليقاً فإنّما
لها الصدرُ سجنٌ وهو فيه أسيرها
يعزّ علىٰ الهيم الخوامس وِرْدَها
إذا كان ما بين الشفاه خريرها
أراك الحمى قُلْ لي بأي وسيلةٍ
توسلتَ حتىٰ قبّلتك ثغورها

ومن مديحها:

أعدتَ إلىٰ جسم الوزارة روحَهُ — وما كان يُرجى بعثها ونشورها
أقامت زماناً عند غيرك طامثاً — وهذا زمانُ قرؤها وطهورها
من الحق أنْ يُحبى بها مستحقها — وينزعها مردودة مستعيرها
إذا ملكَ الحسناءَ من ليس كفؤها — اشار عليها بالطلاق مشيرها

التلمساني (موشحه):

قمرٌ يجلو دجى الغلس — بهرَ الأبصارَ مذ ظهرا
آمنٌ من شبهةِ الكلفِ
ذبتُ من حبّيه بالكلفِ
لم يزلْ يسعى إلىٰ تلفي
بركابِ الذلِ والصلفِ

آهُ لولا أعــــينُ الحـــرسِ نـــلتُ مـنه الوصـلَ مـقتدرا
يــا أمـيراً جـار مـذ حـليا
كـــيف لا تــرثي لمـن بُـليا
فـــبثغرٍ فــيك قــد جـليا
قــد حـلا طـعماً وقـد حـليا
وبـــما أوتـــيتَ مــن كـيسٍ جـــد فـما أبـقيتَ مـصطبرا
بـدرُ تـمٌّ فـي الجـمال سنيّ
ولهـــذا لقـــبوه بـــينيّ
قـــد سـباني لذة الوســنِ
عــجباً يـــا بـــاهر الحسـنِ
هــو خســفي وهــو مـفترسي فــاروِ عــنْ إعــجوبتي خــبرا
لك خـــدٌّ يـــا أبـــا الفـرجِ
زيـــنَ بـــالتوريد والضُّــرجِ
وحـــديثٌ عـــاطرُ الأرجِ
كـــم سـبا قـلبا بـلا حــرجِ
لورأك الغـــصنُ لم يـــمسِ أو رأك البـــدرُ لاســـترا
يــا مُــذيباً مـهجتي كـمدا
فقتَ في الحسـن البـدورَ مـدى
يـــا كـــحيلاً كـحله اعـتمدا
عـــجباً أن تـــبريْ الرمـــدا
وبســـقم النـــاظرين كُســـي جـــفنك الســـحّار وانكســرا

أبو حيان الأندلسي النحوي : بعين التوشيح السداسي المذكور ، وهو غير ماضي فإن السابق مخمسّ ، وهذا مسدس ، أربعُ قرائن علىٰ قافيةٍ واحدة ، وإنْ اختلفتْ بأربعةٍ ، لاحقةٍ أو سابقة ، والقرينة الخامسة علىٰ قافية أخرىٰ ، ولم تزل متوافقة ، لم تُغير في كل القصيدة ، كالسين في القصيدة المذكورة ، والقصيدة الآتية ، والقرينة السادسة علىٰ قافية أخرى ، مخالفة لجميع ما مضىٰ ، ولم تزل هذه أيضاً كالخامسة ، متوافقة في كل القصيدة ، كحرف الراء مع الألف في القصيدتين .

ولابد في جميع أنواع الموشح من الابتداء بأقل القرينتين والإختتام بها ، كما في القصيدتين ، وفيما سبق ، وفيما يأتي من النوع الثالث من الموشح لأبي حيان ، وهو أزْدَأه وأبرده :

عاذلي في الأهيف الأنسي   لو رأه الأن قد عذرا

رشأ قد زانه الحوَرُ

غُصُنٌ من فوقه قمرُ

قمرٌ من سحبه الشعرُ

ثغرٌ في فيه أم دررُ

جار بين الدر واللمس   خمرة من ذاقها سكرا

رجةٌ بالردف أم كسلُ

ريقهُ بالثغر أم عسلُ

وردةٌ بالخدِّ أم خجلُ

كَحَلٌ بالعين أم كُحُلُ

يالها من أعينٍ نعِسٍ   جلبتْ للناظر السهرا

مُــذ نأىٰ عــن مــقلتي وســني
مــا بــقي مــن لذةِ الوســنِ
طــال مــا ألقــاه مــن شــجنِ
عــجباً ضــدان فــي بــدني
بــفؤادي جــذوةُ القــبسِ وبــعيني المــاءُ مــنفجرا
قــد أتــاني اللهُ بــالفرجِ
إذ دنــا مــنيَ أبــو الفــرجِ
قــمرٌ قــد حــلَّ فــي المــهجِ
كــيف لا يــخشى مــن الوهــجِ
غــيره لو صــابه نــفسي ظــنَّه مــن حــرّه شــررا
نــصب العــينين لي شــركا
فــانثنىٰ والقــلبُ قــد مــلكا
قــمرٌ أضــحىٰ له فــلكا
قــالَ لي يــوماً وقــد ضــحكا
اتــجي مــن أرض أنــدلسٍ نــحو مــصرٍ تــعشق القــمرا

وله أيضاً : وهذا النوع الثالث من الموشح ، الموعود به ، الرديْ ، وهو الموشح المعشر القرينه ، الأولى أبداً توافق الثالثة ، والثانية توافق الرابعة ، وهكذا الخامسة والسابعة والتاسعة علىٰ قافية واحدة ، والسادسة والثامنة والعاشرة علىٰ قافية واحدة .

ولابد من التزام القافية في الأربع القرائن الأولىٰ ، وإتحاد الحرفين فيها ، ولو أتيتَ بألف معشر ، أما الست الباقية فلا يلتزم ذلك ، وعند الختام يكون علىٰ

القوافي الأربع الأولى فحسب ، كما يظهرُ ذلك من شعر أبي حيان :

إنْ كـــانَ ليـــلٌ داجْ   وخـــانني الإصـــباحْ
فـــنورها الوهـــاجْ   يـــغني عـن المـصباحْ
ســـلافةٌ تـــبدو
كـالكوكبِ الأزهـرْ
مـــزاجـها شـــهدٌ
وعـــرفها عـــنبرْ
وحـــبذا الوردُ
مـــنها وإن أسكـرْ
قـــلبي بـها قـد هـاجْ   فـــما تـــراني صـاحْ
عـــن ذلك المـــنهاجْ   وعـن هـوى يـا صـاحْ
دنـــا رشأ أهـيفْ
قـد لجَ فـي بـعدي
بـدرٌ فـلا يُـخسفْ
مـنه سـنى الخـدٌ
بـلحظه المـرهفْ
يسطو عـلى الأسـدْ
كســـطوة الحـــجاجْ   فـــي النـاس والسـفاح
فـــما تـرى مـن نـاجْ   مـــن لحـظه السـفاحْ
عـــلل بـــالمسكِ
قـلب رشاً أحـورْ

مـــنعَّمُ المسكِ
ذي مـبسم أعـطرْ
ريـــاه كـالمسكِ
وريـــقه كـــوثرْ
غـــصنٌ عـلىٰ رجـراخْ   طـــاعتْ له الأرواخْ
فــــحبذا الأدراخْ   إنْ هـــبتْ الأريــاخْ
مـهلاً أبـا القاسمْ
عـلى أبـي حيانْ
مـــا إنْ لهُ عـاصمْ
من لحـظك الفتانْ
وهـــجرك الدايـمْ
قد طالَ في الهيمانْ
فــــدمعه أمـــواخْ   وســـرّه قـــد بـــاخْ
لكـــــنه مـــا عـــاخْ   ولا اطـــاع اللاخْ
يـا رب ذي بـهتانْ
يـعذلني فـي الراخْ
وفي هـوى غـزلانْ
دافــعته بـالراخْ
وقـلتُ لا سـلوانْ
عـن حـبّه يالاح
[بـع] الوجـوه والتـاجْ   فـــي مـــنية الأفــراخْ

واخـــتر لي يــا زجــاجْ [دناً] وزوج اقـــــداحْ

وله أيضاً :

عُـــلِّقْتُه سَـبَجِيّ اللــونِ فــاحِمُه ما ابيضَّ منه سوى ثغرٍ حكى الدُّررا

قد صاغه مـن سـواد العـين خـالقه فكـلُّ عـينٍ إليـه تُـدْمِنُ النَّـظرا

وله أيضاً :

ســبقَ الدمـعُ بـالمسير المـطايا إذ نـــوى مــن أحبُّ عـنّي نـقله

وأجادَ الخطوطَ فـي صـفحةِ الخـدِّ ولِـمْ لا يـجيد وهـو (ابـن مـقله)[1]

وله أيضاً :

تَـعشّقتُهُ شـيخاً كأن مشـيبه علىٰ وجـنتيه يـا سـمينُ عـلى وردِ

أخا العقل يدري ما يُراد مـن الهـوى أمنتُ عـليه مـن رقـيبٍ ومِـنْ صـدّ

وهذا الورى قسمان في شرعة الهوى لسود اللحى ناسٌ ونـاسٌ إلىٰ المُـردِ

ألا إنــني لو كـنتُ اصـبو لأمـردٍ صـبوتُ إلىٰ هـيفاء مـايسة القـدِ

وسود اللحى أبصرتُ فيهم مشـاركاً فأحببتُ أن أبقى بأبـيضهم وحـدي

وله أيضاً :

لأمـــالها لحـظاً بـقلبي عـوابـثا أظـن بـها هـاروت أصـبح نـافثا

إذا رامَ ذو وجـــدٍ سـلواً مـنعنَهُ وكـنّ عـلى ديـن التـصابي بـواعـثا

وقيَّدنَ من اضحى عن الحبِّ مطلقاً واسـرعْنَ للـبلوى بـمن كـان رائـيا

بروحي رشاً من (آل خاقان) راحلٌ وإنْ كـانَ مـابين الجـوانـح لابـثا

غدا واحداً في الحسن إذ هـو ثـانياً وللـبدر والشـمس المنيرين ثـالثا

وسيأتي ـ ومضى ـ جملةٌ وافيةٌ من ديوانه .

---

(١) ابن مقلة وزير عباسي ، كان يعتبر من أجود الخطاطين ، وفي البيت تورية واضحة .

ابنُ قلاقس الاسكندري :[1]

لعـلّ زمـاني بـالعذيب يـعودُ فـيقرب قـرب أو يـصد صـدودُ
وابـصر كـثباناً وهُـنّ روادفٌ عـليهنّ أغـصانٌ وهـنّ قـدودُ
واقـطف وردَ الخدّ وهـو مضرجٌ واجـني اقـاحَ الثـغرِ وهـو برودُ
وادمـي ذراعـي للـعناق ذريـعة فـتنهى عـن الافـراط فـيه نـهودُ
ويسـري إليّ البـدرُ وهـو مـمنّع ويـغدو إليّ الظـبي وهـو شـرودُ
ونكـرع فـي شكـوى الفـراق كأنـنا فـوارطُ هـيم راقـهُنّ ورودُ
وأكـبر مـقدار الهـوى عـن كـبيره وأحـمي عـفافي دونـه واذودُ

أعرابي من البادية :

لا تسـلْني عـما جـناه الفـراقُ حـملتني يـداه مـا لا يـطاقُ
أين صبري أم كيف أملكُ دمعي والمـطايا بـالظاعنين تُسـاقُ
قـف معي نـندبُ الطـلولَ فـهذي سـنّةُ [العشـق] سـنّها العشـاقُ
وأعـذْ لي ذكـرَ الغـوير فكـم ما ل بـعطفَيْ نسـيمه الخـفاقُ
فـي سـبيل الغـرام مـا فـعلتْ بـالـ ـعاشقين القـدودُ والأحـداقُ
يـوم ولّتْ طـلائعُ الصـبر مـنا ثـمّ شـنّتْ غـاراتـها الأشـواقُ

* * *

أقـولُ له عـند تـوديعه وكـلٌ بـعبرته مـبلسُ
لئـن قـعدتْ عـنكَ أجسـادُنا لقـد سـافرتْ مـعك الأنـفسُ

---

(١) نصر الله بن عبد الله بن مخلوف الزهري (القاضي الاعز) . ت ٥٦٧ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج١٣ ، ص٩٧ .

المهذب بن السعد الموصلي :

دعـني ومـا شـاءَ التـفرقُ والأسـى واقصدْ بلومك من يطيعك أو يـعي
لا قـلبَ لي فأعـي المـلامَ فـإنني أودعــتُهُ بـالأمس عـند مـودعي
هـل يـعلمِ المـتحملون لنـجعةٍ أنَّ المـنازلَ أخـصبتْ مـن أدمـعي
كم غـادوا صرعى وكـم لوداعـهم بـين الجـوانـح مـن غـرامِ مـودعِ
والسقمُ آيـةُ مـا أجـن مـن الجـوى والدمـعُ بـينةٌ عـلى مـا أدّعـي

الصّابي : والصابئيون ما شاهدتهم إلا في (الحويزة)[١] وأعمالها :

ولمـــا حـــضرتُ لتـــوديعه وطـــرف النـوى نـحوه اشـوسُ
عكستُ له بـــيتَ شـــعرٍ مـضى يـــليقُ بـــه الحـــال إذ يُـعكسُ
لئـــن سـافرتْ عـنك أجسـادُنا فـــقد قـــعدتْ مـعك الأنـفسُ

قلتُ : قد نظر لما قدمنا من البيت : لئن قعدت[٢] ... الخ .

ابن الأثير ، اللغوي ، صاحب (النهاية) :

لم أنسَ ليـــلة ودّعـــوا صـــبًا وســـاروا بـــالحمولِ
والدمـــعُ مــن فــرط الأســى يـــجري فـــيعثرُ بـــالذيولِ

القاضي بهاءِ الدين المستجاري :

أأحـبابنا مـالي عـلى بـعد المـدى جـلَدٌ ومـن بـعد النـوى يتجلّدُ
لله أوقـــات الوصـــال ومـــنظر نضرٌ وغصنُ الوصل غضٌ أملدُ

---

(١) الحويزة : تصغير حوزة وهي منطقة من مناطق عربستان الايرانية ، واليها ينسب جمع من العلماء والشعراء ، والصابئة قيل عنهم انهم اتباع نبي الله يحيى عليه السلام ، وهم يتكلمون اللغة المندائية ، ويكثرون في جنوب العراق بمدينة سوق الشيوخ ومدينة قلعة صالح .

(٢) والبيت هو :

لئـــن قـــعدت عـــنك أجســادنا لقـــد ســافرت مـــعك الأنـــفس

أنـى يـطيق اخـو الهوى كـتمانه ... والخـدُّ بـالدمع المـصون مـخدّدُ
مـا بـعد مـفترق الركـاب تـصبّر ... عـمّن أحبّ فـهل خـليلٌ مسـعدُ
يا سعدُ ساعدْ بالبكاء أخا الهوى ... يـوم الوداع بكـى عـليه الحسـدُ

الكمال التنوخي :

كـم ليـلة قـد بتها أرعـى السّهى ... جـزعاً لفـرقتهم بـمقلة أرمـدِ
قـضيّتها مـا بـين نـومٍ نـافرٍ ... وزفـيرِ مـهجورٍ وقـلبٍ مكـمدِ
لم أنسَ أيـامَ السـرورِ وطـيبها ... بـين الصـريرِ وبـين برقةِ ثـهمدِ
والروض قـد أبـدى بدايـع نـوره ... مـن ازرق ومـفضضٍ ومـورد
والمـاء يـبدو كـالصوارم سـارياً ... فـيعيده مـرّ الصـبا كـالمبردِ
والطـير بـين مسـجّع ومـرجّـع ... ومـغرد ومـعدّد ومـردّدِ

القاضي الأرجاني :

ولمـا وقـفنا للـوداع عشـية ... وقـلبي ودمـعي هـامعٌ وخـفوقُ
بكيتُ فأضحكتُ الوشاةَ شماتةً ... كأنـي سـحابٌ والوشـاةُ بـروقُ

الصلاحُ الصفدي :

لمّـا اعـتنقنا لوداع النـوى ... وكـدتُ مـن حرّ الجـوى أُحـرقُ
رأيتُ قـلبي سـارَ قـدّامـهم ... وأدمـعي تـجري ولا تـلحقُ

أبو طاهر الأصفهاني ، المعروف بـ (الوثابي) :

أشـاعوا وقـالوا : وقـفة ووداع ... وزمّت مـطايا للـرحـيل سـراعُ
فـقلت : وداع لا أطـيق عـيانه ... كـفاني مـن البين المشتّ سماعُ
ولم يـملكِ الكـتمانَ قـلبٌ مـلكته ... وعـند النـوى سـرُّ الكتومِ مذاعُ

أبو الحسن الهمداني :

ويـــوم تـــولّت الأظـــعان عـنّا   وقـــوض حـــاضرٌ وأزّن بـــادي
مـددتُ إلىٰ الوداع يـداً وأخـرى   حـبستُ بـها الحياةَ عـلى فـؤادي

الرعيني الغرناطي :(١)

محاسنُ ربعٍ قـد محاهنّ ماجرى   من الدمع لمّا قيلَ قـد رحلَ الركبُ
تناقضَ حاليَ مذ شـجاني فـراقـهم   فمن أضلعي نارٌ ومن أدمعي سكبُ

جار الله الزمخشري :

لم يـبكْني إلا حـديث فـراقـهم   لمّـــا أســـرّ بـــه إليّ مـــودّعي
هـــو ذلك الدرُّ الذي أودعـــتموا   في مسـمعي أجريته مـن مـدمعي

بدرُ الدين حسن الغزّي النهازي :

سرتْ من نواحي الشـام لي نسـمةُ الصّبا
وقد أصبحتْ حسـرى مـن السّير ضـالعه
ومـــن عـرقٍ مـبلولة الجـيب بـالندى
ومـــن تـــعبٍ أنـــفاسها مـــتتابعة

* * *

أحـــنُّ إلىٰ مشـــاهد أنس إلفـــي   وعـــهدي مـــن زيـارته قـريبُ
وكـنت أظـنُّ قـربَ العـهد يـطفي   لهـيبَ الشـوق فـازداد اللـهيبُ

* * *

حضرتَ فكنتَ فـي بـصري مـقيماً   وغـبتَ فكـنتَ فـي وسـط الفـؤادِ

---

(١) احمد بن يوسف ، له : تحفة الاقران فيما قرىء بالتثليث من حروف القرآن . ت ٧٧٩ هـ.
كحالة / معجم المؤلفين : ج٢ ، ص٢١٣ .

وما شطَّتْ بنا دارٌ ولكنْ ... نُقلتَ من السواد إلىٰ السوادِ

* * *

لا رعى الله عزمةً ضمنتْ لي ... سلوةَ القلبِ والتصبّر عنهم
ما وفتْ غير ساعةٍ ثم عادت ... مثل قلبي تقول لابد منهم

ابن آجرّوم المغربي ، صاحب (الأجرومية) :

يا غائباً كان أنسي رهن طلعته ... كيف اصطباري وقد كابدتُ بينهما
دعواي أنك في قلبي يعارضها ... شوقي إليك فكيف الجمع بينهما

الصلاح الصفدي :

أقول وحرّ الرملِ قد زادَ وقده ... ومالي إلىٰ شمّ النسيم سبيلُ
أظنُّ نسيمَ الجوِّ قد ماتَ وانقضى ... فعهدي به في الشام وهو عليلُ

أخذه من قول السراج الوراق :

ويوم قيظٍ أذابَ جسمي ... والماءُ لم يشف لي غليلا
قد صحّ موتُ النسيم فيه ... وكان عهدي به عليلا

* * *

يا غائباً مذ كنت أحسب قلبه ... بسوى دمشق وأهلها لا يغلقُ
إن كان صدُّك نيل مصرعهم ... لا غرو فهو لنا العدو الأزرقُ

ابن عنّين يشكو فراقه للشام :

دمشقٌ بنا شوقٌ إليها مبرّح ... وإن لحّ واشٍ أو ألحّ عذولُ
بلاد بها الحصباءُ درّ وتربها ... عبيرٌ وأنفاسُ الرياح شمولُ
تسلّسلَ منها ماؤها وهو مطلقٌ ... وصحّ نسيمُ الروض وهو عليلُ

قلتُ : جرّد من تسلسل سلاسلاً وأغلالاً ، لكن ذمُّ النسيم بوصف

الصحة ، فإن موته أحسن من صحته ، لأن عذوبته في لطافته ورقته ، إلا أن يريد بالصحة عدم الموت ، وعموم وجوده في جميع جنبات الرّوض ، مع كونه ضعيفاً عليلاً ، ويكون قابل بذلك من حكم بموته في بعض الأزمنة والأمكنة ، كما مرت إليه الإشارة .

ولله عـهدٌ قـد تـقضى فإنْ يَعُد ... فـإني عـن الأيامِ أعـفو وأصـفحُ
بـقلبي مـن ذكـراه ماليس يـنقضي ... ومن برجاء الشوق ماليس يـبرحُ
إذا مسـحتْ كـفي الدمـوع تستراً ... بـدتْ زفـرةٌ بـين الجوانح تـقدحُ
فإن جمعت شملي الليالي بـعدهم ... تـجمّعَ : غـيلان ، ومـيٌّ ، وصيدحُ
عـلى أنـها الأيـام جـدّ مـزاحـها ... وربّ مجدٌ فـي الأذى وهـو يـمزحُ

* * *

سقى معهدُ الأحباب ناقع صيّب ... مـن المـزن عـن مـغناه ليس يـريمُ
وإنْ لم أكـنْ مـن سـاكـنيه فإنه ... يـحل بـه خـلّ عـليّ كـريمُ

* * *

وإنَّ اصـطباري عـن مـعاهد جُـلّقٍ ... غريبٌ فما أجفى الفراق وأجـفاني
سـقى الله أرضاً لو ظـفرتُ بـقربها ... كحلتُ بها من شدة الشوق أجفاني

عبد الله بن محمد من أمراءِ الأندلس :

يـا مـهجة المشـتاق ما أوجـعك ... ويـا سـرير الحبُّ مـا أخشـعك
ويـا رسـول العـين مـن لحظها ... بـالرد والتـبليغ مـا أسـرعك
تـذهبُ بـالسرِّ فـتأتي بـه ... في مجلسٍ يخفىٰ علىٰ من معك
كـم حـاجة أنـجزت ابـرازهـا ... تـبارك الرحـمن مـا أطـوعك

الحكم المستنصر منهم:[1]

إلى الله اشكو من شمايل مسرفٍ ... عـليّ ظـلوم لا يـدين بـما دنتُ
نأت عـنه داري فـاستزاد صـدوده ... وإني على وجدي القديم كما كنتُ
ولو كـنت أدري أن شـوقي بـالغ ... من الوجد ما بلغته لم أكـن بنتُ

قلت : لولا حُركتْ بُنْيَةُ (بنت) ، لافتضّتْ بكارةُ الحكم ، وذهبتْ إمارته . فينبغي لمن شرب من كأس الأدب ، التحاشي في كلامه وشعره ، عمّا أوهم ظاهرهُ الخنثَ .

ونظيرُ ذلك : قولُ امرأةٍ ، لغةُ قومِها كسْرُ حروفِ المضارعة ـ وقد قيل لها : هلّا تكتنون ؟ ـ [قالت] : بلى والله نِكْتَني ، فقال : لو فعلتُ لاغتسلت .

وله أيضاً :

عجبتُ وقد ودعتها كيف لم أمتْ ... وكيف أنثنتْ يومَ الوداع مدامعي
فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دماً ... ويـا كـبدي الحرّا عـليها تـقطّعي

المستعين بالله منهم :

عـجباً يـهابُ الليثُ حدّ سناني ... وأهـابُ لحـظَ فـواتـرِ الأجـفانِ
وأقـارعُ الأهـوالَ لا مـتهيّباً ... مـنها سوى الاعـراض والهـجرانِ
وتـملّكتْ نـفسي ثـلاثٌ كـالدمى ... زهـر الوجـوه نـواعـم الأبـدانِ
ككـواكب الظـلماء لُحْنَ لناظري ... مـن فـوق أغـصان عـلى كثبانِ
حاكـمتُ فـيهن السلوّ إلى الهوى ... فـقضى بسـلطانٍ عـلى سـلطانِ
هذي الهلال وتلك بـنتُ المشـتري ... حسـناً وهـذي أختُ غـصن البانِ
فأبحنَ من قـلبي الحمى وتـركنني ... فـي عـزّ مـلكي كـالأسير العـاني

---

(١) أي من أمراء الأندلس .

لا تعذلوا ملكاً تذلّل في الهوى ... ذلّ الهوى عزٌّ وملكٌ ثاني
ماضرّ أني عبدُهنّ صبابةً ... وبنو الزمانِ وهنّ من عبدانِ
إن لم أطعْ فيهن سلطانَ الهوى ... كلفاً بهنّ فلستُ من مروانِ

المستظهر منهم :

طال عمر الليل عندي ... قد تولعت بصدّي
يا غزالاً نَقَضَ العهدَ ... ولم يوفِ بوعدِ
أنسيت العهد إذ ... بتنا علىٰ مفرش وردِ
واجتمعنا في وشاحٍ ... وانتظمنا نظم عقدِ
ونجومُ الليلِ تحكي ... ردهاً في لازوردِ

حسّان بن أبي عبده ، من وزراء المستظهر المذكور :

إذا كان مثلي لا يُجاد بصبره ... فمن ذا الذي مثلي يُجاد على الصبرِ
وكم مشهد جاريت فيه عدوكم ... واملّت في حربي له راحة الدّهرِ
أخوض إلىٰ أعدائكم لجج الوغى ... وأسري إليهم حيث لا أحداً يسري
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشا ... أكول إلىٰ الممشى نؤوم على الظهرِ
فما بال هذا الأمر أصبح ضائعاً ... وأنت أمين الله تحكم في الأمرِ

المهدي [1] من أمراء الأندلس :

لعينك في قلبي عليّ عيونُ ... وبين ضلوعي للشجون فنونُ
لئن كان قلبي مخلقاً في يد الهوى ... فحبك عندي في الفؤاد مصونُ

---

(١) لعله يقصد المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين في المغرب والأندلس . الأعلام للزركلي : ٥٢٤ .

وله أيضاً :

عــفا الله عــنك ألا رحــمةً ... تــجود بــعفوك أن أبــعدا
لئــن جـلّ ذنب ولم اعـتمده ... فــانت أجــل وأعـلى يـدا
ألم تــر عــبداً عـدا طـوره ... ومـولىً عـفا ورشـيداً هـدى
ومــفسد أمــر تــلافيته ... فــعاد فأصــلح مـا أفسـدا
أقــلني أقــالك مـن لم يـزل ... يـقيك ويـصرف عنك الردى

❀ ❀ ❀

العينُ تبدي الذي في نفس صاحبها ... مــن المـحبة أو بـغضٍ إذا كـانا
والعــينُ تـنطقُ والأفـواه صـامتةٌ ... حتىٰ ترى من ضمير القلب تبيانا

أبو المغيرة بن حزام :

ظعنَتْ وفي احـدادهـا مـن شكـلها ... عــينٌ فـضحْنَ بـحسنهن العـينا
ما أنصفت في جنب توضح إذ قرت ... ضــيف الوداد بــلابلاً وشـجونا
اضــحى الغرام قـطين ربـع فـؤاده ... إذا لم يــجد بــالرقمتين قـطينا

بعض الأندلسيين :

أتــتني أبـا نـصرٍ نـتيجةُ خـاطرٍ ... مريعٍ كرجع الطرف فـي الخـطراتِ
فأعـربتُ عـن وجـدٍ كـمين طـويته ... بأهــيف طـاوٍ فـاترِ اللـحظاتِ
غــزالٌ أحـمّ المـقلتين عـرفته ... بـخيف منىً للحسن أو عـرفاتِ
رمـاك فأصـمى والقـلوب رمـية ... لكـل كـحيلِ الطـرف ذي فـتكاتِ
وظـنٌّ بأنّ القـلبَ منك محصبٌ ... فــلبّاك مــن عـينيه بـالجمراتِ
تـقرّب بـالنساك فـي كـل منسك ... وضـحّىٰ غـداة النحر بـالمهجاتِ
وكانت له (جيّان) مثوىً فأصبحتْ ... ضـلوعي مـثواه بكـل فـلاةِ

يــعزّ عــلينا أن تـهيم فـتنطوي ... كـثيباً عـلىٰ الأشـجان والزفـراتِ
فلو قبلت للناس في الحبِّ فديةً ... فـديناك بـالأموال والبشـرات

أبو إسحاق بن خفاجة :

سـقياً ليـومٍ قـد انختُ بسرحةٍ ... ريّـا تـلاعبها الريـاحُ فـتلعبُ
سكـرى تـغنيها الحـمام فـتنثني ... طـرباً ويسـقيها الغـمام فـتشربُ
يـلهو فـترفع للشـبيبة رايـة ... فـيه ويـطلع للـبهارة كـوكبُ
والروضُ وجـهٌ أزهـرٌ والظـلُّ فـ ... ـرعٌ أسـودٌ والمـاء ثـغرٌ أشـنبُ
مـن حيث أطـربنا الحـمام عشـية ... فشـدا يـغنينا الحـمام المـطربُ
واهتز عطف الغصن من طربٍ بنا ... وافـترّ عـن ثـغر الهـلال المـغربُ
فكأنـه والحسـن مـقترنٌ بـه ... طـوق عـلى بَرْد الغـمامة مـذهبُ
فـي فـتيةٍ تسـري فـينصدع الدجـى ... عـنها وتـنزل بـالجديب فـيخصبُ
كرموا فلا غـيث السـماحة مـخلفٌ ... يـوماً ولا بـرق اللّـطافة خـلّب
مـن كـل أزهـر للـنعيم بـوجهه ... مـاء يـرقرقه الشـبابُ فـيسكبُ

وله أيضاً :

ورداء ليـلٍ بـات فـيه مـعانقي ... طـيفٌ ألمّ بـظبية الوعسـاءِ
فـجمعتُ بـين رضـابه وشـرابه ... وشـربتُ مـن ريقٍ ومـن صـهباءِ
ولثـمتُ فـي ظـلماء ليـلة وفـره ... شـفقاً هـناك لوجـنةٍ حـمراءِ
والليـل مـمشتطُ الذوايب كـرّه ... خرف يدبّ عـلى عـصى الجـوزاء
ثـم انثنى والصبح يسحب فـرعه ... ويـجرّ مـن طـربٍ فـضول رداءِ
تـندى بـفيه اقـحوانـةُ أجـرع ... قـد غـازلتها الشـمسُ غبّ سـماءِ

وتـميسُ فـي أثـوابـه ريـحانة ... مـنها كـرعت بـجدول مـن مـاء[١]
نـفّاحةُ الأنـفاس إلا أنـها ... حـذر الـندى خـفاقةُ الأفـياءِ
فـلويتُ مـعطفها اعـتناقاً حسبنا ... فـيه بـقطر الدمـع مـن انـواءِ

أبو بكر بن عربي :

يـهزّ عـليّ الرمحَ ظبيٌ مهفهف ... لعـوبٌ بألبـاب البـرية عـابثُ
فـلو كـان رمـحاً واحـداً لاتـقيته ... ولكـنه رمـحٌ وثـانٍ وثـالثُ

وله أيضاً :

أتـتني تُـنبّؤني بـالبكا ... فأهـلاً بـها وبـتبيانها
تـقولُ وفـي نـفسها حسـرةٌ ... أتـبكي بـعينٍ تـراني بـها
فـقلتُ إذا اسـتحسنتْ غـيركم ... أمـرتُ جـفوني بـتعذيبها

أبو محمد بن حزم ـ من أهل المغرب ـ :

لئـنْ أصـبحتُ مـرتحلاً بشـحمي ... فـقلبي عـندكم أبـداً مـقيمُ
ولكـن للـعيان لطـيف مـعنىً ... لذا سألَ المـعاينةَ الكـليمُ

وله أيضاً :

وذي عـذلٍ مـمنْ سباني بـحسنه ... يـطيلُ مـلامي فـي الهـوى ويـقولُ
أمِـنْ أجـل وجـهٍ لاحَ لمْ تـر غـيره ... ولم تدرِ كيف الجسم أنت عـليلُ
فقلتُ لقد اسرفت في اللـوم فـاتئد ... فـعندي ردّ لو أشـاء طـويلُ
ألم تـر أنّـي ظـاهريٌ وأنـني ... عـلىٰ مـا أرى حـتى يـقوم دليـلُ

جعفرُ بن الحجاج المورقي :

لي صـاحبٌ عـميتْ عـليّ شـؤونه ... حـركاتهُ مـجهولةٌ وسكـونهُ

---

(١) م ك : منها كرعت على ظمإ بجدول ماء .

يرتابُ بالأمر الجليّ توهّما ... فإذا تيقّن نازعته ظنونهُ
إنــي لأهــواه عـلى شحٍّ بـه ... كالشيبِ تكرهه وأنت تصونهُ

أبو الصلت الأشبيلي :

دبّ العذارُ بخدّه ثم انثنى ... عن لثم مبسمه البرود الأشنبِ
لا غرو أن خشي الردى في لثمه ... فالريقُ سمٌّ قاتلٌ للعقربِ

وله أيضاً :

لا تسألنّي عن صنيع جفونها ... يوم الوداع وسَلْ بذلك من نجا
لو كنتُ أملكُ خدَّها للثمته ... حتى أعيد به العقيقَ بنفسجا
أو كنتُ أهجعُ لاحتضنتُ خيالها ... ومنعتُ ضوءَ الصبح أن يتبلجا
وبثثتُ في الظلماء كحلَ جفونها ... وعقدتُ هاتيك الذوائب بالدّجى

أبو الوليد ابن الحنان :

أنا من سكْرِ هواهم ثملُ ... لا أبالي هجروا أم وصلوا
فبشعري وحديثي فيهم ... زمْزمَ الحادي وسارَ المثلُ
إنّ عشاقَ الحمى تعرفني ... والحمى يعرفني والطللُ
رحلوا عن ربع عيني فلذا ... أدمعي عن مقلتي ترتحلُ
مالها قد فارقتْ أوطانها ... وهي ليست لحماهم تصلُ
لا تظنوا أنني اسلو فما[1] ... مذهبي عن حبكم ينتقلُ

---

(١) م ك : فإنما .

ابن الفرضي الحافظ القرطبي :[١]

مضتْ لي شهورٌ منذ غبتم ثلاثةً ... وما خلتني أبقى إذا غبتم شهرا
ومالي حياةٌ بعدكم استلذها ... ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرّا
ولم يسلني طول التنائي عنكم ... بلى زادني وجداً وجدّد لي ذكرا
يمثّلكم في طول شوقي إليكم ... ويدنيكم حتىٰ أناجيكم سرّا
سأستعتبَ الدهرَ المفرّق بيننا ... وهل نافعي إن صرتُ أستعتب الدّهرا
اعلّل نفسي بالمنى في لقائكم ... واستسهل البرَّ الذي جبتُ والبحرا
ويؤنسني طيُّ المراحل عنكم ... أروحُ علىٰ أرضٍ وأغدو على أخرى
ووالله ما فرقتكم عن قليً لكم ... ولكنها الأقدار تجري كما تجرى
رعتكم من الرحمن عينٌ بصيرةٌ ... ولا كشفت أيدي النوى عنكم سترا

الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي :

حقيقتي همتُ بها ... وما رآها بصري
ولو رآها لغدا ... قتيل ذاك الحورِ
فعندما أبصرتها ... صرتُ بحكم النظر
فبتُّ مسحوراً بها ... أهيمُ حتى السّحر
يا حذري من حذر ... لو كان يغني حذري
والله ما هيّمني ... جمالُ ذاك الخفرِ
في حسنها من ظبية ... ترعى بذات الحمرِ
إذا رنتْ أو عطفتْ ... تسبي عقولَ البشرِ

---

(١) حباب بن عبادة ، عالم في الفرائض والحساب ، توفي قبل ٤٠٣ هـ كحاله / معجم المؤلفين : ج٣ : ص١٨٢ .

كأنــــما أنـــفاسها   أعــــرافُ مسكٍ عـــطرِ
كأنـــها شـــمسُ الضـــحىٰ   فـــي النــور أو كـــالقمرِ
إن ســـــفرتْ أبــــرزها   نــــورُ صــــباحٍ مســـفرِ
أو ســــدلتْ غــــيبها   ظـــــلامُ ذاك الشَّـــعرِ
يـــا قـــمراً تـــحت دجىٰ   خـــدي فـــؤادي وذرِ
عـــيني لكـــي أبـــصركم   إذ كـــان حـــظِّي نـــظري

يُنسب له ، ما إذا كُتبَ في كفُ من به القولنج ، ويلحسه ، يبرأ بأذن الله تعالى :

قـــلبي قـــطبي وقـــالبي أجـــفاني   ســـرّي خـــضري وعـــينه عـرفاني
روحـــي هـــارون كـــليمي مـوسى   نـــفسي فـــرعون والهـوى هـاماني

وله أيضاً :

لمـــا تـــبدّا عـــارضاهُ فـــي نـــمطْ   قـــيل ظـــلامُ بـــضياءٍ واخـــتلطْ
وقيل سطرُ الحسنِ في خدّيه خـط   وقـــيل نـــملٌ فـــوق عـــاجٍ انـبسطْ
وقـــيل مسكٌ فـــوق وردٍ قـد نُـقِط   وقـــال قـــومٌ إنـــها اللام فـقطْ

قلتُ : وفي المسألة أقوالٌ أخرىٰ : منها أنه حـمائلُ سيف الأجـفان ، والدّائر على الورد ، والضّائع مذ أزمان ، وسوْر الروض الأنور الذهبي ، وهالة البدر المنير البهيّ ، والعقرب الغادره ، والسيوف الجازرة ، والأدلّة علىٰ هـذه الأقوال ، وترجيح الراجح منها ، تهيج بشرحه الأشواق .

وله أيضاً :

يا غايةَ السؤل والمأمـول يـا سـندي   شـــوقي إليك شـــديدٌ لا إلى أحـدِ
ذبتُ اشـتياقاً ووجـداً فـي مـحبتكم   فآه من طول شـوقي آه مـن كـمدي

يدي وضعتُ علىٰ قلبي مخافة أن ينشقُّ صدري لمّا خانني جلدي

ما زال يرفعها طوراً ويخفضها حتىٰ وضعتُ يدي الأخرى تشدّ يدي

ولده سعد الدين :

سهري من المحبوب أصبح مرسلا وأراه متّصلاً بفيض مدامعي

قال الحبيبُ : بأن ريقي نافعٌ فاسمع رواية مالك عن نافعِ

وله أيضاً :

وقالوا : قصيرٌ شعرُ من قد هويته فقلتُ : دعوني لا أرىٰ لي مخلصا

محيّاه شمسٌ قد علت غصن قده ولا عجب للظلّ أن يتقلّصا

وله في وسيم رأه في (باب الزياده) بمسجد دمشق ، وهو المسجد الأموي ، وأصله كنيسة ، فجعله معاوية مسجداً جامعاً ، ومن أبوابه (باب جيرون) .

ورأيت ـ فيه ـ في وسطه ضريحاً ، فسألتُ عنه فقيلَ لي : هو قبرُ يحيىٰ بن زكريا ﷺ ، وفيه مقام الخضر ﷺ ، وفيه مزاران آخران ، وفي وسطه قبةٌ مرتفعه ، علىٰ أعمدة ، فقيل إنها مظلمة ، فلم يقدر أحدٌ علىٰ فتحها ، وعلم مافي داخلها ، من قديم الزمان علىٰ زمن الجاهلية إلىٰ الآن (رابع شعبان سنة ١٢٢١ هـ) ، وقيل بل فُتحت ، فوجد فيها (طوامير) ، فيه صحف لبني أمية وأمر دولتهم ، وخلافتهم ، بقلم يعسر قراءته ، مخالف لاصطلاحات كتابة هذا الزمان ، ووجدوا عليه : (لعنة تامة علىٰ من يفتحها ويقرأ مافيها) .

فلهذا لم يرم[١] هدمها أو فتحها أحد ، فهي في المسجد الأموي في دمشق الشام بمنزلة الأهرامات السبعة في مصر ، التي بناها العزيز القديم ، علىٰ عزيز

---

(١) م ك : يروم .

يوسف ﷺ ، وقيل هُدِمَ المسجد من زمن معاوية إلىٰ زمننا هذا ثلاث مرات وعُمّر ، لكن حيطان معاوية بل حيطان الكنيسة قبل معاوية لها وجود إلىٰ الآن .

وقد أوقف الحقير عليها ، فنظرتها ، فإذا هي كأن البنّاء قد خرج منها أمس . وهذا المسجدُ هو المسجد الذي كتبَ في شأنه معاوية إلىٰ علي ﷺ في الكوفة ، وتبجح ببنيانه عليه ، فكتب له علي ﷺ الأبيات المشهورة ، التي منها قوله :

كمطعمةِ الأيتامِ من كدِّ فرجها ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

وفي هذه السنة التي دخلتُ المسجد فيها (أعني سنة ١٢٢١ هـ) ، وقعتْ معركة عظيمة في دمشق ، بين (الانقشارية) و (القبي قول)[1] . فإن جميع دمشق الشام لا تخرج عن هاتين الفرقتين ، واحترقت أسواق كثيرة ، وبيوت عديدة ، وذبحت رجال كثيرة[2] ، خصوصاً[3] في الوقعة الثانية ، وما بين الوقعتين إلا عشرين يوماً أو أقل . وبيتا سعد الدين في الأمرد الوسيم هذين :

يا خليليَّ في (الزيادة) ظبيٌ ... سلبتْ مقلتاه جفني رقاده

كيف أرجو السلوّ عنه وطرفي ... ناظرٌ حسن وجهه في الزيادة

وله أيضاً :

علقت صوفياً كبدر الدجى ... لكنّه في وصلي الزاهدُ

يشهد وجدي بغرامي له ... فديتُ صوفياً له شاهدُ

---

(١) وفي خطط الشام لمحمد كرد علي : (القبو قولي) ، ج٣ ص٣ ، ط بيروت ١٣٩٠ هـ . والقبو قولي هذه إحدى فرق جند العهد العثماني في الشام ، وهي حرس الولاة .

(٢) في الأصل (أسواقاً) و (بيوتاً) و (رجالاً) وتستقيم العبارة ، إذا أخذنا الفعل (احرق) مع ضميمة تاء التأنيث ويكون المعنىٰ هكذا : احرقت الفرقتان أسواقاً وبيوتاً وذبحت .

(٣) م ك : خصوصياً .

وله أيضاً :

صبوتُ إلىٰ حريريٍّ مليحِ تكرر نحو منزله مسيري

أقول له ألا ترثي لصبٍ عديم للمساعد والنصيرِ

أقام ببابكم خمسين شهراً فقال : كذا (مقامات الحريري)

قلتُ : لا يدركُ ما نظمته العشاقُ في أشعارهم إلّا من ابتُلي بالحبّ .

فقد كنتُ حين قرأتُ (المغني) في النحو ، على أستاذي المرحوم السيد صادق الفحّام[1] ، صاحب (شواهد قطر الندىٰ) المشهورة ، مرّ بنا هذا البيت فيه :

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

فقلتُ : أنّى لهذا الشاعر ، كيف كانتْ له نفسٌ خبيثة ، تبلعُ بصاقَ غيرها ، فما طالتِ الأيامُ والأزمان ، حتى أرتدّيتُ من ذلك .

وحين مرّ بي مثلُ : (أقبّلُ ذا الجدار وذا الجدارا) ، ومثلُ : ذكرهم الديار والأطلال ، أقولُ :العجب ، ماهي إلا أطلال بالية وديار خالية ، فكيف هذا اللثم ، أو هذا التقبيل ، وما عقلت نفسي معنى ذلك ، حتى فعلته ، حتى شربتُ من ماء المنحدر من (مشغره)[2] ، على غير عطش ، أكثر مما[3] شربته وأنا عطشان ، وبطني قد امتلأت ، ونفسي تقول : بالله عليك استزدْ ، فشربتُ حتىٰ شارفتُ علىٰ الهلاك ، وأنا أتمثّلُ وأقول : وما حبُّ الديار شغفنَ قلبي ... وما حبُّ الدّيار شغفن قلبي ، أكرر ذلك مراراً .

---

(١) (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ) : ولد في الحله وتوفي في النجف الأشرف له : شرح شرائع الإسلام ، وشواهد القطر لابن هشام ، وديوان ضخم . كحاله / معجم المؤلفين ـ ٣١٦ : ٤ .

(٢) بلدة في البقاع الغربي من لبنان .

(٣) م ك : ما .

وهكذا أقول : إنّ معنىٰ كلام هذا الشاعر (تكرّر نحو منزله مسيري) ، ما أظنُّ أحداً يعقله غيري ، لأني قد فعلت ذلك في (اليمن) ، علىٰ زمان ريعان الشباب .

وكان من قصتي ، أنّ (حديدة اليمن) قد احترقتْ ، فانتقلَ إلىٰ البيت الذي أنا فيه رجلٌ من (أهل السواحل) ، ومعه جاريةٌ حبشيّةٌ وغلامٌ صغير ، فلم يزلْ إبليسُ يزيّنها في عيني ، ويقول : أما تنظرُ شمائلها ، أما ترىٰ ماءَ الحسن في وجنتيها ، فلم يزل يلعبُ بلبّي ، حتىٰ رمىٰ بي في بحر العشق :

وما كنت أعرف قبل ذلك ما الهوىٰ ولا موجعات القلب ....

فراجعتُ نفسي ، وقالَ لي عقلي : أين (قطر الندى) وعلومك ، وأين حجتكَ ـ وكانت أولُ حجة[1] ـ وزيارتك ، فاستعذتُ بالله من وسوسة إبليس اللّعين ، وأخذتُ مضجعي ، فكرّ عليّ اللعين وأقلقني ، وأخذ النومَ من أجفاني ، وجعلَ يعبثُ بفكرتي ، ويلعبُ بقلبي ، ويُحسّنها عندي ، ويقول : إنما هي جارية غريبة ، وأنت أيضاً مثلها غريب ، وصاحبها لعلّه قد شبع منها ، وإذا رُغّبَ في بيعها رغبَ في ثمنها ، وأنتَ لم تنظرْ إليها بعين الشراء ، فما مضىٰ يعفو الله ، وعند الصباح كرّرْ النظرَ إلىٰ وجهها ، وراعي بالتأمل جمع محاسنها ، ما ظهر منها وما بطن ، بقصد أن تشتريَها ، فمرة تهيجُ عليّ الأشواق ، ويلهب قلبي ناراً ، وقد عدمتُ العقل والاختيار ، ومرة اتناسى الشوق ، واعاتب نفسي ، وأذكّرها بالدرس والتدريس ، واعلّلها بأهوال المطلع ، وفناء الدنيا ، ونعيم الجنة ، وبنعم الله سبحانه ، واطلاعه علىٰ السرائر ، وأنّها جاريةٌ سوداء ، كانت كافرة ، وأبواها إلىٰ الآن من أهل الكفر ، وأنها من منبت السوء ، وأنها خضرة في دمنة ، وأقول :

---

(١) م ك : حجتي ، وهذا يدل أيضاً أنّه حجّ أكثر من مرة .

يا نفسي هلا تتصور بها وقد ماتتْ ، وانفجرَ بطنها ، وسالت عيناها ، وتناثرتْ أضراسُها ، وتقطّعت أوصالها ، وانهرى لحمها ، ونخر عظمها ، وخاست وجافت ، واستحالت دوداً . هل أنت تدنيها إليك وتقربيها لديك وهذه حالها ؟!

ولم أزل من أمرها ـ ليلتي ـ في أرقٍ وقلق ، حتىٰ أصبحتُ ، والشوقُ قد غلب ، فما أدري كيف نقرتُ صلاة الصبح ، فجمعتُ أثاثي ، وحسبتُ وجملتُ جميع ما أملك ، من نقدٍ وجنسٍ ، وقلتُ : إنْ كان سيدها لم يقبل مني جميع ذلك ، ماذا أصنع ؟ وأنا غريب في اليمن ، لا أقدر علىٰ تحصيل درهم ولا دينار ، ولو رضي بجميع ذلك ، وأعطاني الجارية ، ماذا أصنع في الجارية وأنا عريان وهي عريانة ، وأنا جيعان وهي جيعانة ، ولا خرجيّة[١] عندي أطعمها ولا أطعم نفسي ، وهل كيف أترك الدرس والعلم لأجلها إذا وصلتُ بها العراق ؟[٢] ، وأين مني العراق ؟

فصرتُ أقدّم رجلاً وأؤخر أخرىٰ ، وقد نشفَ ريقي ، وصرتُ في بلبال ، فقلتُ : أما أنا فلا طاقة لي بها وبشرائها ، هب أنها صارت في ملكي ، كيف تصبر عندي ؟ وليس إلا كشكول الدروشة ، والسؤال بالكف ، وعقلها ضعيف ناقص ، خصوصاً العبيد .

فلا[٣] آمن أن تنهزم أو يختطفها مني عبد أو حر ، ومن يخاف مني ؟ وما أنا هنا ، خصوصاً ولا درهم عندي ولا دينار ، إلا كعفطة عنز ، أو قلامة ظافر .

---

(١) الخرجية تعبير محلي يراد به المصروف اليومي . وكما ترى فإن بعض الألفاظ العامية المحلية وردت هنا أمثال : جيعان ومعناها واضح ، و (هل كيف) ومعناها : بل كيف أو أم كيف .

(٢) يبدو من كلامه أنه كان ينوي العودة إلىٰ العراق ومواصلة الدراسة .

(٣) م ك : فلم .

فصمّمت عزمي أن أدوّر في بلاد اليمن علىٰ تجار (مسكة) ، فوقعتُ علىٰ تاجرٍ من (بندر فارس) ، وعنده أموال بالمضاربة ، وقد شرىٰ عبيداً صغاراً وجوار ، وحمّل أحماله وجواريه المركب ، وبعد يومين يسير من اليمن ، إلىٰ مسكت ، فنظرتُ في لحيته ، فوجدتُ فيها شيباً ، فقلتُ ـ في نفسي ـ هذا يشتري (ورقيتك) ، وأنا أسير معه ومعها إلىٰ مسكت ، فعسىٰ ربي يغنيني من فضله في مسكت برؤية رجل أعرفه ، ويقرضني دراهم ، فاشتريها منه .

وورقيت اسم الجارية التي همتُ بعشقها ، فأقبلتُ عليه ولم أزل أوسوس له حتىٰ أتيتُ به البيت ، ليشتري الجارية ، فوجدتُ سيدها قد باعها لتاجرٍ آخر ، فعند ذلك طرقني الجنون ، الذي يسقطُ القلم ، وغارتْ عيناي ، ولزقَ لساني في نطعي ، لمّا جف فمي ، وعاينتُ الهلاك ، ولا شربت ولا أكلت ، فسألتُ عن بيته ، فوقعتُ عليها ، وهي عنده ، وليس معهما ثالث ، فازدادَ ألمي ، وأكلتُ لحمَ أضراسي من شدّة الغيرة ، فعرفته وقد طلبَ منّي قبل أن أجمعَ له حجّاجاً يركبون عنده ـ وكان صاحب مركب ـ فقال لي : ما جاء بك ؟ ـ وقد أسدل الستر عليها ، لكني رأيتها فعرفتها الغزال بعينه ـ ، فحدّثته عن الحجاج ، فأسترّ بذلك ، وواعدني أن يركبني من اليمن إلىٰ مسكت بلانول[1] ، لكنّي لم أعرف حجاجاً ولا كلّمتُ أحداً .

فخرجتُ حتىٰ وصلتُ البيتَ الذي أنا فيه ، ثم لم يأخذني قرار ، فرجعتُ إلىٰ باب دار التاجر ، فخفتُ أن أدخل فرجعتُ إلىٰ البيت ، ثم إنّي كررتُ نحو منزله مسيري في يوم واحد أكثر من إثني عشرة مرة ، ولا قرار ولا عقل ، حتىٰ أني ابتهلتُ إلىٰ الله ، وكثرَ بكائي من غير اختيار ، ونمتُ ليلتي كنوم الأرمد .

---

(١) أي بدون مبلغ من المال .

فلما أصبحتُ إذا بالجارية قد ردّها ، ففرحتُ بذلك وسرتُ من ساعتي إلىٰ التاجر الشايب ، الذي وجدته أولاً ، وأتيتُ به فابتاع الجاريه ، وأركبها من ساعته المركب ، وجعلها مع جواريه ، فركب الحقير معها ، مع خرجه وأحماله ، وصرتُ أخدم الشايب ، وتشاركتُ معه في الأكل والشرب ، حتىٰ وصلنا بعد أربعين يوماً إلىٰ بندر مسكت ، وانحدرتُ معه مسكت ، وبقينا عشرة أيام ـ أو أكثر ـ والمركب راسي (بأنجره) في البحر ، فوجدت (الحاجي أحمد الشيشتري)[١] في مسكت ، وكنت أعرفه ويعرفني ، فأخذتُ منه ثمن الجارية ، وسلّمته إلىٰ سيدها ، وقرأنا صيغة المبايعة ، فغدوتُ معه إلىٰ المركب ، لأجل [أن] احرر الجارية إلىٰ مسكت ، فإذا بالمركب نراه كالطير من بعيد وقد زفّ (هوى المرادِ)[٢] الشراعَ ، وبقيت أنا والشايب نبكي ، أنا أبكي علىٰ الفراق ، والشايب يبكي علىٰ حاله وماله وعبيده وجواريه ، فأخذتُ الدراهم منه ، ورجعتها إلىٰ من أخذتها منه .

ولم ندر ـ إلى الآن ـ كيف صنع الله بصاحب المركب ، وأمر الدنيا والقضا عجيب التقادير .

وقد وقع لي مع الجارية ـ في مدة الأربعين ـ وقائعُ عجيبة من الشوق والغرام ، حتىٰ سمعَ به الخاص والعام ، وعلمتْ ذلك الجارية .

ومن الدواعي الىٰ شركتي مع سيدها في الزاد أنها أكبر جواريه ، وهي التي تعجنُ الخمير ، وكانت إذا لم تضع يدها في العجين في اليوم لم آكل من ذلك

---

(١) يبدو من اسمه أنه ايراني الأصل فششتر احدى مدن خوزستان ، ويقال لها أيضاً (تستر) ، فربما تعرف عليه في هذه المنطقة القريبة من العراق .

(٢) هوى أي هواء . ولعل (هوى المراد) ريح متعارف عليها بهذا الاسم في ذلك الوقت .

الخبز الا كما آكل من الحمي ، ولا التذّ بالزاد ، حتى تمرّ يدها عليه ، مع أني لم أخلُ من وسواس في سؤرها ، لأنها جُلبت (تازه) ، ونُهبت من أهلها ، ولم تفهم إلا لسان الحبش ، ولا أظن لفظت بالشهادتين ، ولم أعرف يوماً قد صلّتْ فيه ، والشايب لم يكن في جواريه وعبيده من وصل حدّ التكليف إلا هي ، ولم يكترثْ بها ، ولم ينم[1] عندها ، فقلتُ له في ذلك ، فقال : إنما هي من مال المضاربه ، ولا يجوز في المذهب القرب إليها ، وكان مذهبه شافعياً ، فسرّني ذلك ، لكن لم يساعد القضا بالاجتماع ، وبقيت مدة في فكري ، حتى سليت والحمد لله .

وله أيضاً :

وغزال من اليهود أتاني ... زائراً من كنيسة أو كناسه
بتُّ أجني الشقيقَ من وجنتيه ... واشم العبير من انفاسه
واعتنقنا إذ لم نخف من رقيبٍ ... وأمنا الوشاه من حرّاسه
من رآني يظنّني لنحولي ... واصفراري علامةً فوق راسه

وله أيضاً :

وعلمتُ أنّ من الحديد فؤاده ... لما انتضىٰ من مقلتيه مهنّدا
آنستُ من وجدي بجانب خدّه ... ناراً ولكن ما وجدت به هدى

ابن سبعين الأندلسي :

كم ذا تموّه بالشعبين والعلم ... والامر أوضح من نارٍ علىٰ علمِ
وكم تعبّر عن سلعٍ وكاظمةٍ ... وعن زرودٍ وجيرانٍ بذي سلمِ
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهمِ

---

(١) م ك : ينام .

في الحيّ حيٌّ سوى ليلى فتسأله ... عنها سؤالك وهم جرّ للعدمِ

أبو القاسم التجيبي :[١]

أحوى الجفون له رقيبٌ أحولُ ... الشيء في ادراكه شيئانِ

يا ليته تركَ الذي أنا مبصرٌ ... وهو المخيّر في الغزال الثاني

ابن مالك ـ صاحب التسهيل والألفيه ـ **الأندلسي** :

إذا رمدتْ عيني تداويتُ منكم ... بنظرة حسنٍ أو بسمع كلامِ

وإن لم أجدْ ماءً تيمّمت باسمكم ... وصلّيتُ فرضي والديار إمامي

واخلصتُ تكبيري عن الغير معرضاً ... وقابلت أعلام السوى بسلامِ

ولم أر إلا نورَ ذاتك لائحاً ... فهل تدع الشمس امتداد ظلامِ

بعض المغاربة :

لقد مزّقتْ لحمي سهامُ جفونها ... كما مزّق (اللخمي) مذهب (مالكِ)

وصال علىٰ الأوصال بالقد قدُّها ... فأضحت كأبيات بتقطيع مالكِ

وقلت صغاذاك الهوى لمرادها ... كتقليد أعلام النحاة (ابن مالكِ)

وملّكتها رقي لرقة لفظها ... وإن كنتُ لا أرضاه ملكاً لمالكِ

وناديتها يا منيتي بَذْلُ مهجتي ... ومالي قليلٌ في ربيع جمالكِ

ابن زهر :

وهو من الموشّح المخمّس ، الذي له ثلاث قرائن ، علىٰ قافية واحدة ، ولا تلزم في كل المخمسات ، وقرينتات على قافيه ، والابتداء والاختتام بهما ، وتلزم

---

(١) أحمد بن سليمان الباجي الأندلسي (ت ٤٩٣) بجدة ، له : معيار النظر وسرّ النظر . كحاله / معجم المؤلّفين : ج ١ ، ص ٢٣٧ .

ولو أتيت بألف مخمس منها ، وهذا نوعٌ سادسٌ من الموشح ، وقد تقدّمتْ خمسةُ أنواعٍ منه مع أمثلتها ، والمخمَّس المشارُ إليه هذا ، فطبِّقْ ما قلناه عليه :

فتق المسك بكافور الصباح وَوَشتْ بالروض أعرافُ الصباح

فاسقنيها قبلَ نورِ الفلقِ

وغناءِ الورق بين الورقِ

كاحمرار الشمس عند الشفقِ

نبَّهَ الفجر عليها حين لاح فلك اللهو وشمس الاصطباح

وغزالٌ سامني بالملقِ

وبرى[1] جسمي واذكى حرقي

أهيف مذ سل سيف الحدقِ

قصرتْ عنه أنابيبُ الرماحْ وثنى الدهر مشاهير الصفاحْ

صار بالذلِّ فؤادي كلفا

وجفونٍ ساحراتٍ وطفا

كلما قلتُ جوى الحبُّ انطفا

أمرض القلب بأجفانٍ صحاحْ وسبى العقلَ يجدٍّ ومزاحْ

يوسفي الحسن عذب المبتسم

قمري الوجه ليليُّ اللمَم

عنتري الباس علوي الهمم

غصني القد مهضوم الوشاح مادري الوصل صابيّ السماح

قد بالقد فؤادي هيفا

---

(١) م ك : برا .

وسبى[١] عقلي لما انعطفا
ليته بالوصل أحيا دَنِفا

مستطار العقل مقصوص الجناحْ   ما عليه في هواه من جناحْ

يا علي أنتَ نورُ المقلِ
جدْ بوصلٍ منك لي يا أملي
كم أغنّيكَ إذا ما لحتَ لي

طرقتْ والليل ممدودُ الجناح   مرحباً بالشمس من دون الصباح

أبو الحسن علي بن موسى العقّي، متمم كتاب (المُغْرِب):

أحبابنا عودوا علينا عودة   ما منْكم بعد التفرقِ مرغبُ
كم ذا أداريكم بنفسي جاهداً   وكأنما أرضيكم كي تغضبوا
وازيدُ بعداً ما اقتربت إليكم   كالسهم أبعد ما يُرى إذ يقربُ
وأجوبُ نحوكم المنازلَ جاهداً   ومع اجتهادي فاتني ما أطلبُ
كالبدر اقطعُ منزلاً في منزلٍ   فإذا انتهيتُ إلىٰ ذراكم أُغْرِبُ

وله أيضاً:

مالي إليك سوىٰ الدموع معينُ   إن كنت تعذر في الهوى وتخونُ
من منجدي غير الدموع وإنها   لمغيثةٌ مهما استغاث حزينُ
الله يعلم أن ما حملتني   صعبٌ ولكنْ في رضاك يهونُ

أبو القاسم بن الأبرش:

يامن تعنّا أموراً لن يعانيها   خلّ التعاني واعط القوس باريها
تُروي الأحاديث عن كل مسامحةٌ   وإنّما لَمَعانِيْها مُعَانِيْها

---

(١) م ك: سبا.

روى أبو حيّان الاندلسي النحوي، عن شيخه الشاطبي، صاحب (الألفية الشاطبية)، لأبي العلاء المعريّ لغزاً في لفظ الدهر:

إذا ماشئت معرفة ... بما حار الورى فيه
فخذ خمساً لأربعة ... ودع للثوب رافيه

ونقل عنه، لزينب بنت إسحاق النصراني الرسعني:

عديٌّ وتيمٌ لا أحاولُ ذكرَهم ... بسوء ولكني محبٌّ لهاشمِ
وما يعتريني في عليّ ورهطهِ ... إذا ذكروا في الله لومة لائمِ
يقولون ما بالُ النصارى تحبُّهم ... وأهلُ النّهى من أعربٍ وأعاجمِ
فقلتُ لهم إنّي لأحسبُ حبّهم ... سرى في قلوبِ الخلقِ حتىٰ البهائمِ

أبو الربيع سليمان بن أحمد اليتّيني الأندلسي:

لولا تحدِّيه بآية سحره ... ما كنتُ ممتثلاً شريعة أمره
رشأ أصدِّقُهُ وكاذب وعده ... يبدي لعاشقه أدلةَ عذرهِ
ظهرتْ نبوةُ حسنه في فترةٍ ... من جفنه وظلالةٍ من شعرهِ

ابن جبير الكناني:

يا مهدي الموت تبقى ... وميمه لك فاءُ
وواوه عَنْ قريبٍ ... لمَنْ يعاديك تاءُ

وله في (منارة العروس)، في مسجد دمشق المذكور:

معبدُ الشام يجمعُ النّاسَ طرّا ... وإليه شوقاً تميلُ النفوسُ
كيف لا يجمعُ الورى وهو بيتٌ ... فيه تُجلى على الدوام العروسُ

للسيد نصر الله، في قصّابٍ أمردٍ وسيم، وقد رفعَ السكينَ عن المذبوح، ولزمها بشفتيه:

يـا واضعَ السكّينَ في فيه وقد ... أهـدتْ لهـا مـاءَ الحياة شفاتهُ
ضعها على المذبوح ثاني مرّةٍ ... أنـا الضمين بأن تعود حياتهُ

مما يُرسمُ في المراسلة :

وافى كتابكم نحوي فعشتُ به ... من بعد ما متّ من شوقي ومن كمدِ
تالله ما كان مكتوباً على ورقٍ ... بل كان والله روحاً حلّ في جسدي

البدر بن حبيب ، في مسجد جلّق المذكور :

بجامعِ جلّقٍ ربّ الزعامة ... اقم تلق العناية والكرامه
ويمّمْ نحوه في كل وقتٍ ... وصلّ به تنلْ دار الإقامه
مصليً فيه للرحمن سرٌّ ... ومثوىً للقبول به علامه
محلٌّ كمّل الباري علاه ... وبيتٌ أبدع الباني نظامه
دمشقٌ لم تزل للشام [وجهاً] ... ومسجدها لوجه الشام شامه
وبينَ معابدِ الأفاق طرّاً ... له أمرُ الامارة والامامه
ادام الله بهجتَهُ وأبقى ... محاسنَهُ إلى يوم القيامه

القاضي المهذب بن الزبير :

بالله يا ريح الشما ... ل إذا اشتملتِ الروحَ بردا
وحملتِ من عرفِ الخزا ... مى ما امدّ الندّ ندّا
وسبحتِ ما بين الغصون ... إذا اعتنقن هوىً ووداّ
وهززتِ عند الصبح من ... أعطافها قِدّاً فقدّا
ونثرتِ فوق الماءِ من ... أجيادها للزّهر عقدا
فملأتِ صفحةَ وجهه ... حتى اكتسى آساً وورداً
وكأنما القيتِ فيه ... منهما صدغاً وخدّا

مـرّي عـلى (بـردى) عسـاه ... يـزيد فـي مسـراكِ بـردا
نـهرٌ كنصل السيف تكسر متـ ... ـنه الأزهـارُ عـمدا
صـقلتْهُ أنـفاسُ النسـيم ... بـمرهنٍ فـليس يـصدا

الكمال الشريشي :

يا جيرةَ الشام هل من نحوكم خبر ... فـإن قـلبي بـنار الشـوق يستعرُ
بـعدتُ عـنكم فـلا والله بـعدكم ... مـالذّ للـعين لا نـومٌ ولا سـهرُ
إذا تـذكرتُ أوقـاتاً مـضتْ ونأتْ ... بـقربكم كـادتِ الأحشـاء تـنفطرُ
كأنـني لم أكـنْ بـالنيرين ضحىً ... والغيمُ يبكي ومـنه يـضحكُ الزهـرُ
والورْقُ يـنشدُ والأغـصانُ راقـصةً ... والدوحُ يـطربُ بـالتصفيق والنـهرُ
والسفحُ أين عشـياتي التـي ذهـبتْ ... لي فيه فهي لعمري عـندي العمرُ
سقاك يا سفح سفح الدمـع مـنهملٌ ... وقـلْ ذاك له إنْ اعـوز المـطر

* * *

بـرزتْ دمشـقُ لزائـري أوطـانها ... مـن كـلِّ نـاحيةٍ بـوجهٍ أزهـرِ
لو أنَّ إنسـاناً تـعمَّد أن يـرى ... مـغنىً خـلا مـن نـزهةٍ لم يـقدرِ

شمس الدين الخياط :

خـلّفتُ بـالشام حـبيبي وقـد ... يـمّمتُ مـصراً لـمعنًىً طـارق
والأرضُ قـد طـالتْ فـلا تـبعدي ... بـالله يـا مـصر عـلى العـاشقِ

في ذم جلّق الشام :

تـجنّبْ دمشـق ولا تأتِـها ... وإنْ راقكَ الجـامعُ الجـامعُ
فسـوقُ الفسـوق بـها قـائمٌ ... وفـجرُ الفـجورِ بـها طـالعُ

من أهل الأندلس ، يمدحها ، ويذمُّ أهلها :

دمشــق جــنة الدنــيا حــقيقاً ... ولكــنْ ليس تــصلحُ للـغريبِ
بــها قــومٌ لهــا عــددٌ ونــجدٌ ... وصــحبتهم تــؤولُ إلىٰ الحــروب
تــرى أنــهارها ذات ابــتسام ... وأوجــههم تــولّعُ بــالقطوبِ
أقــمتُ بــدارهــم ستين يــوماً ... فــلم أظــفرْ بــها بــفتىً أديبِ

عبد الظاهر :

لا تــلوموا دمشــق إن جــئتموها ... فــهي قــد أوضحتْ لكــم مالديها
إنــها فــي الوجــوه تــضحكُ بالزهــ ... ــرِ لِــمَنْ جــاءَ فــي الربيع إليــها
وتــراهــا فــي الثــلج تــبصقُ فــي لحــ ... ــيةِ مــن مــرّ فــي الشتاءِ عليها

الناصر داوود بن المعظم عيسى :

إذا عــاينتْ عــيناي أعــلام جُــلّقٍ ... وبــانَ مــن القــصر المشيد قبابهُ
تــيقّنتُ أنّ البــين قــد بــانَ والنــوى ... نأى شــخصُهُ والعيشُ عــادَ شبابهُ

وله أيضاً :

يا راكــباً مــن أعــالي الشــام يــجذبُه ... إلىٰ العــراقــين إدلاجٌ وإســحارُ
حدِّثني عــن ربــوعٍ طــالما قُــضيتْ ... للــنفس فــيها لبــاناتٌ وأوطــارُ
لدى ريــاضٍ سقاها المــزنُ دَيــمَتَهُ ... . (١)

* * *

(ألف) ألفــي ســارَ عــنّي ... والســلو قــد بــانَ مــنّي
حســرتي قــد خــاب ظــنّي ... والجــوى قــد صــار فــنّي
أشــتكي للــناس غــيبه

---

(١) م ك : ناقص .

(بـا) بـرانـي سيفُ لحـظه   خـدُّهُ يـا زيـن عـضّه
عـن وصـالي الطـرفَ غـضّه   بـالجفا للـقلب كـظّه
ارتـجي فـي الله طـيبه

(تـا) تـرانـي يـا حـبيبي   مـضنىً ومـالي مـن طـبيب
حـتّام هـذا مـن نـصيبي   هـل وشـا لك مـن مـعيبٍ
أو بـدا فـي الصبّ ريـبه

(ثـا) ثـوى جسـمي نـحيلا   والهـوى يـهوى العـليلا
هـا كـموا عـبداً ذليـلا   فـي هـواكـم جـاقتيلا
فـارحـموا فـي الحبٌ شـيبه

(جـيم) جـاوبني هـواهـا   واشـتفى قـلبي وتـاها
مـن حـميّا مـن لمـاها   وضـياء مـن سـناها
[قـد] سـرى فـي الجـو لهيبه

(حـا) حـوى قـلبي غـرامـه   فـاشتعل قـلبي ضـرامـه
فسـقاني مـن مـدامـه   مـا كشـف لي عـن لثـامه
حـتىٰ غـدا عـقلي نـهيبه

(خـاء) خـالُ الخـدٌ أسـمر   ليـته للـوصل أضـمر
فـاختجل فـالخدُّ أحـمر   فـالمنى بـالوصل أثـمر
والقـلب زايـلني وجـيبه

(دال) داءُ العشـق جـالا   فـانثنى جسـمي خـلالا
حسـرتي مـاستْ دلالا   ليـتني ذقتُ وصـالا
بـعد عـبق عـرف طـيبه

(ذال) ذلّـــي قـــد حـــلا[١] لي فـــي الهـــوى واســـوء حـــالي
ظـــلّ قـــلبي فـــي وبـــال مـــــن حـــبيبٍ كـــالغزال
صـــدّ عـــن لقـــيا حـــبيبه
(را) راحـــــتي ولّتْ وهـــاما فـــي الهـــوى عـــقلي هـــياما
....
.........................[٢]

(١) م ك : حلى .
(٢) م ك : أشطر ناقصه .

قصَّةُ أوس ومي

حكيَ والله أعلم ، فيما مضى وتقدَّم ، وسلفَ من أحاديثِ الأممِ أنَّه كان في قديم الزمان ، وسالفِ العصرِ والأوانِ ، رجل أسمه هلال ، وكان له ولدان ، اسمُ أحدهما تغلبٌ واسمُ الآخرِ مالكٌ ، فزوَّجهما أبوهما ثم مات ، وبقيا بعده مدة طويلة ، ولم يُولد لهما ، فقال مالكٌ لتغلب : دعنا نتزوج علىٰ نسائنا ، كي يولدَ لنا البنون والبنات ، فقال تغلب : بل دعنا هذه الليل نبتهل إلىٰ الله بالدعاء ، وهو تعالىٰ يرزقنا من واسع فضله الولد ، فقاما فتطهّرا ، وصلّى كلٌّ منهما ركعتين ، ودعا وابتهل ، ثم جامعَ امرأته ، فانعقدتِ النطفةُ فأنشأ مالكٌ يقول : أفلحَ من صلىٰ علىٰ الرسول .

يقول الفتى مالك على ماجرى له ... ولي قلب من جور الزمان سعوزْ
ونيران قلبي كلما قلت تنطفي ... يهب لها بين الضلوع سعوزْ
ولي قلب من جور الزمان موجع ... وبي حسرة جوى الفؤاد تثوزْ
وقلبي علىٰ الأولاد في نار محترق ... وقلبي غدا وسط الحشا مدموزْ
يا رب يا رحمن يا سامع الدعا ... يامن يسبح له شجر وطيوزْ
نذرت أنا لله ربي وخالقي ... إله تعالى بالأمور خبوزْ
أصوم لربي ميت يوم ومثلها ... وأكسي اليتامى وأجبر المكسوزْ
يا رب يا معبود اجبر لخاطري ... واشرح لنا يا كريم صدوزْ
مقال الفتى مالك على ما جرى له ... عسى أن قلبي يرتجع مجبوزْ

قالَ الراوي : فلما فَرِغَ مالكٌ من كلامه ، وأخوه تغلب يسمعُ نظامَهَ ، أنشأ تغلبُ يقول : أفلحَ من يُصلي علىٰ الرسول .

يقول الفتى المعروف بالناس تغلب ... بدمع جرى فوق الخدود بداذْ
ونيران قلبي كلما قول[1] تنطفي ... يهب لها جوّى الضلوع وقاذْ
طلبنا من الرحمن جل جلاله ... يرزقنا مثل الأنام أولاذْ
ومن قلة الأولاد ذابت مهجتي ... وذاب الحشا مني مع الأكباذْ
سهل لنا في كل أمر نريده ... ويصحي عنا الهم والأنكاذْ
مقال الفتى المعروف بالناس تغلب ... ورب السماء له الحكم في كل ماراذْ

قال الراوي : فلما انقضىٰ[2] موعدُ الحملِ ، وضعتِ امرأةُ مالكٍ بنتاً مثلَ الشمسِ ، ووضعتِ امرأةُ تغلبٍ بصبيٍ مثلُ القمر ، ومالك وتغلب يومها في الصيد ، وكان لهما من أبيهما عبدٌ أسود ، اسمه مسرور ، فسار من ساعتهِ يبشّر سيديه ، وينشد ويقول أفلح من يصلي علىٰ الرسول .

ياامير مالك جاك بنت محسنة ... وجهها كالشمس والبدر المنير
وأنت يا تغلب جاك غلام ... يجبر القلب المتيم يا أمير
قامت الأفراح ما بين البيوت ... ضجت الخدام دف ونفير
وجيت اليكم يا كرام بلابطا ... فوق حمراً جنّها طير يطير
أريد منكم يا كرام بشارتي ... أنني دون الملا عبد كم وفقير

فأنشأ مالكُ يقول :

قال مالك من فؤاد مغرما ... يا عبد اسمع لكلامي وافهما

---

(١)

(٢) م ك : انقضا .

ابشـــر لك الإكـرام مـني والعـطا ... أنـــي أمـير مـن هـلال مـعظما
النـاس تـعرف يـا سـرور مكـارمي ... مـــن جـاء عـندي راح مكــرما
عشــرين نـاقة مـن خـيار بـوشنا ... والفقر عنك قد زال من رب السما[1]

وأنشد تغلب :

يقول الفتى المعروف بالناس تغلب ... أيـــا ســـرور ابشــر لك الإكــرام
فــخذ مـني يـا عـبد عشـرين نـاقة ... وعشــرين فــاطر عــاليات السنام
وعشرين حمراً مـن خـيال خـيولنا ... أصــايل وهـم لك يـا غـلام اكـرام
مقال الفتى تغلب علىٰ مـا جـرى له ... ورب الســـماء قـــادر له الأنــعام

قال الراوي : ثم ساروا إلىٰ الحيّ ، فذبحوا الذبايحَ ، وبعد أن أضافوا أهل الحيِّ كلّهم ثلاثةَ أيامٍ ، سمّوا الصبي أوس ، وسمّوا البنت ميّ ، ثم أنهما قد نشيا في عزّ ودلال وكبرا ، وترعرعا وصارَ الصبيُ عريفاً حريفاً في كل فراسة ، وتعلَّم الكتابةَ والعلمَ والفراسةَ ، وصارتِ البنتُ بديعةَ الحسنِ والجمالِ ، فلمَّا بلغَ الصبيُ مبالغَ الرجالِ ، ماتَ أبوه تغلبُ ، فبقيَ عندَ عمِّه مالكٌ ، وكانَ عمُّهُ يحبهُ حباً أشدَّ من حبِّ أبيه ، وعزمَ في نفسه أن يعقد له علىٰ بنته ميّ ، وأما البنتُ ميّ فقد تسامعَ الملوكُ بحسنها وجمالها ، وصاروا يـطلبوها مـن أبـيها مالك ، وهو لا يأذنُ فيها لأحدٍ ، فسمعَ بها ملكٌ جبّارٌ عنيدٌ ، يقال له الصنديد ، فكتب إلىٰ مالك في أمرها كتاباً ، وأرسله مع وزيره وفيه يقول :

يــقول الفــتى صـنديد ولد مـعمر ... ولي قلب أقوىٰ من صخر جلمود
أنــا فـارس الفـرسان قـرم مـجرب ... وكـم راح مـنيّ عسكـر وجــنود
أيـا غـاديا مـني عـلى مـتن ضـامر ... يـسـبق لحـد المـرهف البـرود

---

(١) م ك : السماء .

تــهدًا هــواك الله خـذ لي رسـالتي إلىٰ عــنـد مــالك بـغية المـقصود
وقــل له الصـنديد يـا مـير قـاصد وارســل لعــندك عسكــر وجنود
يخطب لبنتك ميّ حـقاً بـلا خـفا يــقوم بــها مـالاً بـلا مـعدود
فـــخذ مــنيّ خـمسماية وقــية مــن الذهب الأحــمر تـزيد وقـود
مــن الفـضة البيضاء يكـون مثالها ومــا يـتين فـاطر ما بـهنّ قـعود
ومئتين حـمراء مـن خيار خيولنا ومــئتين نــاقة صــوفها مـبرود
ومــئتين عــبد يــا مـير وعــبده مــن بــلاد النــوب حـمر وسـود
ومئتين صقر تـقنص الصـيد بـالفلا وعشــرين كـلب ثـم جـون فـهود
وخــذ مــني مـئتين خـلعة سنية ومــيأتين بــرنس لهــنّ بـنود
وخـــذ وبــز يــا أمـير واطـلس ترا الكـل عـندي حـاضر ومـوجود
فإن كـان تـعطيني حـقيقاً بـلا خـفا فــارسل لنـا عـلم الصـحيح وكـود
مـقال الفـتىٰ صـنديد ولد مـعمر وإنــي لكـم دون الأنــام عـضود

قال الراوي : فطوى الصنديد الكتاب ، وأعطاه وزيره ، فركب الوزير ، وركب معه مائتا خيّال ، طلق العنان ، حتى نزل في حيّ مالك ، واستضافه ثلاثة أيام ، فأخذ مالكٌ الكتاب ، وفضّه وقرأه ، وعرف مرموزه ، وفهم معناه ، فكتب إليه الجواب يقول :

يقول الفتى مالك على مـا جـرى له بـدمع جـرى فـوق الخـدود بـدود
إذا جـــئت للـصنديد ولد مـعمر فأعـــطيه كـــتابي تـنال سـعود
وقـــول له يــا أمير اصـغي وافـهم بـــعثت لنـا للـبنت مـيّ تـرود
وبـنتي لأوس وهـو ابـن لعـمّها وعـــادتنا نـــعطي أباً وجـدود
ونحن أناس لا يـركب الغـير مهرنا ونــركب مـهور العـالمين نسـود

أيـا مـير لا تـعتب عـلي بـما جـرا وحاشا تكـن لي مـبغض وحسـود
مقال الفتى مالك على ما جـرى له ويـــغان قـــلبي زايـدت وقــود

قال الراوي : فأخذ مسلم الوزير من مالكٍ الكتاب ، وسار من ساعته إلىٰ الصنديد ، وقبّل الأرض قدّامه ، وأعطاه الكتاب ، وفضّه وقـرأه ، وعـرفَ مضمونه ومعناه ، فاستشاط غيضاً ، وركب متن جواده ، ونحو حي المير مالك وحده مثل السكران ، وحلف أن لا يركب معه أحدٌ من الوزراء والعسكر ، فلم يزل يفري الفيافي والقفار ، بالليل والنهار ، حتى وصل إلىٰ ديار المير مالك ، فلم يجد في الصّيوان أحداً إذ كان[1] مالك وابن أخيه الأوس ومَنْ تبعهما في الصيد ، فأنشد الصنديد يقول :

أيا أهـل هـذا الحـي أيـن رحـالكم فـقلبي ثـوى مـن أجـلكم مـرتاب
ألا فـاخبروني يـا بـنات بـحالكم ألا فـــاعلموني بـــغير كـــذاب

قال الراوي : فلما فرغ الصنديد من شعره ، أنشأت مـيّ بـنتُ مـالكٍ تقول :

تقول فـتاة الحـي مـيّ التـي شكت بدمع جرى فـوق الخـدود سكـاب
ألا أيـها المـير الذي جـاء لحـينا يســـايل بـنات داخـل الأطـناب
أيا مرحباً من جاء إلىٰ مـيّ ضـايف له الخـــير والإكـرام والارحـاب
أنـــا أبـــوي راح للـصيد مـالك وراح بن عمي الأوس والأصحاب

قال الراوي : فلم يزل الصنديد أذنه تصغي إلىٰ النظام ، وعيناه تنظر إلىٰ داخل الأطنابِ والخيام فلمّا رأى الغزال بعينه زاد غرامه وطاش عقله ، فقال : يا بنت مالك ، إن كنت تكرمي الضيف ، فناوليني ما أتزوَّدُ به ، وأنا على ظهري

---

(١) م ك : الكلمة ساقطة وهي من وضعي . ع .

جوادي ، فأنا أكره النزول على ذوات الأطناب ، وأخاف من المعيار ، فناولته فاختطفها ، وأركبها على متنِ جواده وقطع[1] بها البراري ، وقامتِ الضجة والنياحة في الحيّ ، فسار حتىٰ أمسى الليل فنحى[2] بها في مخدعٍ ، وأخذ يطلبُ منها وصالها ، وينشد ويقول :

قال الفتى الصنديد ولد معمر ... إني أمير في الحروب مسمّا
اقهر من الفرسان كل مجرب ... منسوب من أخ وخال وعمّا
وستماية ألف عدة عسكري ... مافيهم رجل بعزمه ذما
سمعت أنا في حسنكي وجمالكي ... ولقلب فيك يا مليحه همّا
فحظيت فيك والهموم قد انجلت ... صرتي حلالي بوصلك لا تقولي لمّا

فأجابته تقول :

تقول فتاة الحي مي التي شكت ... والدمع ما بين الأماقي طما
النار في قلبي تهب وتنطفي ... تلذع بقلبي مثل لذع السما
أنا دخيلة بالنبي محمد ... اقبل لدخلي أنت رجل شهما

قال الراوي : لما فرغت ميّ من كلامها ، والصنديدُ يسمعُ نظامها ، عفا عنها ، وأخذها ، وسار بها ، حتى وصل إلىٰ عند قومه ، ثم أنَّ الأوسَ قتلَ الصنديدَ ، وأخذَ بنتَ عمِّه ، إلىٰ عند أمه وعمه مالك ، ووقع له في الطريق مع اللصوص وقائع عظيمة ، يطول بشرحها الكتاب ، فلما عقد عليها وجدها درة لم تثقب ، ومطية لم تركب ، واحتفى بحسنها وجمالها .

---

(١) م ك : ساقطة وهي من وضعي .ع .
(٢) م ك : ساقطة .

المير حسين بن الحرفوش البعلبكي :(١)

يـقول الخـزاعـي الذي مـا غـفا ... يـــفكر بـــدنيا ســقتنا مـرورها
وبي لاعج النيران في وسط مهجتي ... لفــرقة خـــلان تــباعد حــضورها
شــباب وشبان خـزاعـة جـد ورم ... وسلّم على الدلفاء وجملة مشورها
وسلم على حيدر أخوى وبن والدي ... ودعيه يـنهض يـنتبه مـن خـمورها
وقولوا لهم لا تحسبوا الحبس همّنا ... لا والنـبي والكـتب ويـا سـطورها
تظن العدا مـن بـعدنا الدار يـملكوا ... ويرجـون دولتـها ويـصفا سـرورها
أنـا أبـوك يـا سـلمان إن عـانني الله ... وســاعدني حـظي وطـينا ظـهورها

وله أيضاً :

يقول الخزاعـي الذي بـات مـا غـفا ... شـــرارات قــلبي بـالحشا نـيران
لحيدر أمير القـوم خـذ لي رسـالتي ... حــاكـم بـني حـمير وهـو سـلطان
انــا ولد العـود الذي شــاع ذكـره ... أنــا أخـو عـمر وأبـوك يـا سـلمان
من عـهد تـبع والخـزاعـا جـدودنا ... نـــحن عـــليها قــابضين عــنان
ومن يرتجي غـيري يكـون حـليلها ... ظـــنون ومـــقطوع انــه سكــران

مراسلة :

كـــتبتُ إليك يــا ســؤلي كـتاباً ... فـجدْ [لي] بـالجوابِ إذا أتــاكــا
وأكـتب فـي كـتابك كـل شـيءٍ ... فـــإنّي حـــين أنـــظره أراكـــا
فـــلا عـــيني تـطاوعني فأبكـي ... ولا قـــلبي يـــحنُّ إلىٰ ســواكــا
سألتُ الله يـــــجمعنا قـــريباً ... ويـــجعلني مـــن الأســوا فــداكــا

---

(١) من أمراء بعلبك ، ويرجع نسبه إلىٰ خزاعةٌ ، نقلنا هذا عن كتاب الشعاع في علماء بعلبك والبقاع تأليف الشيخ فيصل الأتات ص٣٨ .

وما أسفي على الدنيا ولكنْ أنا أسفي أموتُ ولا أراكا

* * *

سحيراً سرت أسما فطاب لي المسرا وزارتْ فزالَ الهمُّ عن كبدٍ حرّا
بدتْ فانثنتْ غصناً ولاحتْ حمامةً وأبدتْ لنا نداً وأهدتْ لنا عِطرا
عميرة يا مكحولة العين خدُّها على يا سمين فوقَه وردة حمرا
تريني الضحى والفرقدان نهودها ومبسمها الجوزا ومقلتها الشعرا
مكحلة طرفاً معسّلة لماً موشمة كفّاً متبلة خصرا
خدلجّةٌ حسنا تُعد سنينها ثلاث توالتْ بعد واحدةٍ عشرا

* * *

قصة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم تلك آيات الكتاب المبين ﴾[١] إلىٰ قوله تـعالىٰ : **﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾**[٢] .

العقل حجاب القلب ، وما كان الرسولُ ـ لولا الله ـ يدري ما الكتاب ، وما يوسف ، وما يعقوب ، وما أولاده ، وكان يعقوب ﷺ لا يفارقُ يوسفَ ﷺ لا ليلاً ولا نهاراً ، ولا يحدِّثُ نفسه بفراقِهِ ، سرّاً ولا جهراً ، فلمّا قال يوسفُ لأبيه **﴿ يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾**[٣] بكى يوسف ﷺ وأنشدَ لسانُ حالةِ يقولُ :

ولي كـبدٌ لا يستقرّ غـرامه ... كجمرٍ تلظّى في الفؤاد ضرامه
وأجفان عيني لا تملُّ من البكا ... وصب تشكي للغرام غرامه
فو الله ما أحببت في النّاس غيركم ... وإن فؤادي لا يحل اغتشامه
وحق الهوى فيكم وإني لصادق ... وفيّ بعهد الحبُّ فيكم قوامه
سلام عليكم أنتم غاية المنى ... سلام محبٌ عاد يشكو سقامه

قال الراوي : وكان يوسفُ ﷺ ينظر في وجهه في المرآة ، ويفكّر في

---

(١) سورة يوسف : ١ .

(٢) سورة يوسف : ٣ .

(٣) سورة يوسف : ٤ .

أمره ، ويقول : ترى هذا الوجهُ أحسن أم الشمس والقمر ، ولو كنتُ عبداً ما قدر الملوكُ على ثمن .

فلمّا قصَّ علىٰ أبيه يعقوب رؤياه ، قال يا بني ، لم يتفوّه أحدٌ بهذه الكلمة ، إلا وقع في المحنة ، فإنَّ السجود لا ينبغي ، إلا لمن له الوحدانية ، ولا تقصص رؤياك علىٰ إخوتك فيكيدوا لك كيداً ، إنَّ الشيطانَ للإنسان عدوٌّ مبين ، فقال يوسفُ : يا أبتي إن كنت محباً فأخبرني بتأويل رؤياي ، فقال نعم ، الكواكبُ إخوتك ، والشمسُ والقمر أبواك ، قال ﷺ : (إنَّ رؤيا الصادقين صادقةً ، ورؤيا الكاذبين كاذبةً) وقال ﷺ ؛ (من كذبَ في رؤياه كلّفه الله أن يعقد بين جمرتين من النار ، أو قال : بين شعرتين ولا يقدر على ذلك أبداً)[١] وينبغي لصاحب السرِّ أنْ يكتمَ سرَّه علىٰ الأقارب والأجانب ، فما سمع كلام يوسف لأبيه ، إلا خالته فقيل : إنها حكتْ لأولادها ، وتسامعتْ بقية أولاد يعقوب ، فبلغ عندهم من الحسد أمرٌ عظيم .

شكى بعضُنا لمّا التقينا ببعضنا
بأبصارنا مافي القلوب إلىٰ بعض
إذا عقلوا عنّا رمينا بأسهمٍ
مراضٍ وإنْ خفنا نظرن إلىٰ الأرض
فلا تطردوني عن حماكم وتربكم
فإنّي بكم عن فعلكم اتشفّع

---

(١) الرواية كما في البحار ج٧٦ ص٣٥٩ : (من كذب في رؤياه كُلِّفَ أن يعقد بين طرفي شعيرة وليس بعاقد ...) .

فأنــتم مــن الهــجران درعــي وأنـتم
بكـــم إنْ رمــاني ســهمهم أتــدرع
عــثرتُ اقــيلوني أسأتُ فأحســنوا
عـلى أنـني مـنكم بـما قـلَّ أقـنع
فــيازينةَ الدنـيا ويـا غـايةَ المـنى
فمَنْ ذا الذي عن حُسنِ وجهك يهجع
فــلا كــان يــوماً فــيه فُــرِّقَ شــملُنا
لقــد قــلَّ صــبري فــيك يــوم أودع
سلامٌ علىٰ الأحبابِ فـي منزلِ الرضـا
عسى يسمحوا لي بالوصال ويسرعوا

* * *

عــينٌ تســرّ إذا تــراك وأختــها
تــبكي لطــول تــباعدٍ وفــراق
فـارحـم لعينٍ ضرُّها طولُ البكـا
وعـــدِ الذي أبــليتها بـــفراق
قد قلَّ صبري يـوم فـقدي للحمى
وبكـيتُ دمـعاً مـقرح[1] الأمـاق
فـلأصبرنَّ عسـى أعـيش بـعودةٍ
وأعـود مسـروراً بـما أنـا لاقـي
يـا سـادةً شـطَّ المـزارُ بـقربهم
تــالله لقـد زادت بـنا الأشـواق
فــارثو لِـمَنْ هـاجَ الغـرامُ بـه
لا يـعرفُ الظـلما مـن الإشـراق
هـذا السـلام عـليكم مـن عـبدكم
ســطَّرتُهُ فــي صـفحةِ الأوراق

﴿ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا علىٰ يوسف وإنا له لناصحون ﴾[2].

---

(١) م ك : قرّح .
(٢) سورة يوسف : ١١ .

فاهتزتْ أركانُ يعقوب ، وتحرّكتْ جوانبه ، كأنه علم مافي قلوبهم ، قال النبي ﷺ : (اتقوا فراسةَ المؤمنِ ، فأنه ينظرُ بنور الله تعالىٰ)[١] وإنما علمَ يعقوب الشرَّ من قلوبهم ، لأنه رأهم في المنام ، في صور الذئابِ تنهشُ يوسف ، ولهذا قال : ﴿ أخاف أن يأكله الذئب ﴾[٢] ، ويوسف رأهم في صورةِ الكواكب ، فكأن يعقوب رأهم في بدوِّ أمرهم ومعصيتهم ، ويوسف رأهم في آخر أمرهم وتوبتهم وحسن خاتمتهم .

متى تعرف الدار التي بان أهلها ... بعيداً فإن الدار منك قريبُ
تذكرتُ أيامَ الوصالِ بقربكم ... فثوّر في القلبِ الحزينِ لهيبُ
فو الله ما فارقتكم بإرادتي ... ولكنّ تصريفَ الزمانِ عجيبُ
وفارقتكم بالرغمِ منّي أحبتي ... فلا تهجروني قد بقيتُ غريبُ
جرى دَمعُ عيني من عيوني سواجماً ... فقرّحَ عبراتي وعدتُ سليبُ
فيا قلبُ لا تحزنْ وكنْ متصبراً ... على فرقةِ الأحبابِ ليس عجيبُ
وما أسفي إلا على العمر ينقضي ... وليس لنا في الإجتماعِ نصيبُ
سلامٌ وتسليمٌ وألفُ تحيةٍ ... عليكم فإني[٣] فاقد وكئيبُ

إنما أجرى اللهُ النصيحةَ على لسانِ إخوةِ يوسف ، لأنَّ فعلهم كان سبباً لرفعةِ يوسف بملك مصر ، ووصال زليخا ، ولعلَّه ما نالَ الرسالةَ إلا بما ذاقهُ من ألم الجبِّ والسجن وألم المراودة والغربة والأسر والضرب ، وهو طفلٌ صغير .

إذا نظرتُ لربعٍ كان يجمعنا ... ولم أراكم بها ناديتُ واحزنا

---

(١) البحار / ج٤ ، ص١٢٨ ، الرواية ١٣ .
(٢) سورة يوسف : ١٣ .
(٣) م ك : كلمة زائدة : بعدكم .

أأحبابنا ما أمرَّ العيش بعدكم   فلا خلا منكم ربعاً ولا سكنا
قد كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ مشتغلاً   بغيرنا وهو يسعىٰ في تفرقنا
كم صمتُ وآسفي والشوق يقتلني   علىٰ زمانٍ تقضّى هل يعود لنا
أأحبابنا إنّما تزهو الديارُ بكم   يوماً ويرجع صفو العيش يجمعنا
فقد وحقكم لا قيتُ بعدكم   من الفراق سقاماً زايداً وعنا
لا خفّف الله عن عيني مدامِعَهَا   إذا نظرتُ لشيءٍ[1] غيركم حسنا
إلا خيالاً عسى في القوم يطرقني   وكيف يطرق من لا يعرفُ الوسنا
ناديتُ أحبابَنا لمَّا سروا سحراً   يا ليتَ حادي المطايا كان أمهلنا
حتى أودّعهم يا وحشتي لهم   تُرى زماناً تقضّى هل يعود لنا
وقفتُ بالدار أبكيها وأندبها   يا دار ردّي جواباً فالوقوف عنا
أجابتِ الدارُ قولي وهي باكيةٍ   شدّوا المطايا ونادوا الأهل والوطنا

وجعلَ يعقوبُ يقلِّبُ فكره في أمرِ يوسفَ ، وطلبِ إخوتهِ له ، وأخذهم في البرِّ الأقفرِ وهو طفلٌ صغير ، خصوصاً وهو لا يطيبُ قلبه بفراقهِ ساعةً واحدة، وقد يخطرُ له رؤياه لأخوته في صورة الذئاب تنهشه ، ورؤيا يوسف له ، وتشاءم بالأمرِ المهول بسببِ ذلك ، وكان يُشفقُ عليه أيضاً ليتمه [من] جهة أمه ، فطالت فكرتُهُ ، ولا يدري وجه الحيلة ، فقال : ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون** ﴾[2] .

ولمّا دنا التوديعُ ممّن أحبُّهُ   ولم يبقَ إلا نظرةٌ تتقسّم
بكيتُ على الوادي فحرّمتُ ماءه   وكيف يحلُّ الما وأكثره دم

---

(١) م ك : إن نظرت شيئاً .

(٢) سورة يوسف : ١٣ .

فلا أوحش الرحمنُ من طلعةِ الذي أراه بــقلبي حــين مـا أتــوهمُ
إذا بــــا‌ا نــــور لعــيني بــحبكم تــبدًا حــبيبي ثــم ثـغرٌ ومــبسمُ
فقلتُ هلال الضي يشرقُ في الدجى فــرقَّ لحــالي ثــم زرنــي المتَّيمُ
سـلامٌ عـلىٰ حـيٍّ وإنْ طـالَ هـجره لعــلَّ يـداوي مـهجتي ويـبسَّمُ

﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾[١].

ذكروا عشراً من الآيات، وتزيد عشراً أيضاً.

منها: عداوة الأقارب، ومحبة الأجانب، والوحي في صغر السن، وتكليم الذئب والموتىٰ، وتأويل الأحلام، وقبح العجب، والحسد، وحسن الصبر، والإخبار بالمغيبات، واسلام الكفار، ورد بصر يعقوب، وجعل الحيات والعقارب صمّ لا يسمعون إلى يوم القيامة وإمكان البكا على الكذاب وقبح الكذب، وقبح التفرقة بين الأم وولدها في البيع والشراء، ورد حسن زليخا وشبابها ونور بصرها، بعد أن عميت وصارت عجوزا شمطاء لمطاء، من فراق يوسف.

أأحــبابنا إنْ تــنجزوا لي بــوعدكم تقطَّعتِ الأحشا وقد خابَ مـطمعي
عــجباً مــن الأيــام كـيف تـقلبت وأضحتْ ديارُ الأنسِ بالهجر بلقعي
فــإنَّ بــقلبي مــن فــراقِ أحــبتي لهيباً تداعـى بـالحشا بـين أضـلعي
سألتك يـا رحـمن يـا غـاية المنى بــمن زار وادي المـنحنى يـطلع
فلا تنس أيامَ الوصال التـي مـضتْ ونحن عـلى ذاك المكـانِ المـرفعي
فقد رقَّ لي وحشُ الفـلا وذئـابها[٢] وغــزلانها فـي بـرها وهـي تـرتعي

---

(١) سورة يوسف: ٧.

(٢) م ك: وذيبها، والأيات السته غير متوافقة في الوزن والقافية كما لا يخفى على القارئ

﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عُصبةٌ إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾(١) .

يعني في حبِّ يوسفَ وأخوه .

ظنَّ إخوةُ يوسف أنَّ المحبَّةَ بالقوةِ والشجاعةِ والكثرةِ ، وظنَّ ذو القرنين أنَّ الوصول إلىٰ ماءِ الحياةِ بالحكمةِ والتدبيرِ ، وظنَّ موسى في الخضر ما لا يحسن في مثله ، وظنَّ الجنُّ في سليمان ماليس فيه من الحياةِ ، وكان الأمر بخلاف ما زعموا عليه ، وظنَّ إخوةِ يوسف محبَّة يعقوبَ لهم ، إذا خلا قلبُهُ وبصرُهُ من يوسفَ ، وما علموا ليس تقطع المحبة إلا بأمر الله تعالىٰ .

وإنما بطشوا بيوسفَ دون أخيه (بنيامين) ، مع أنَّهم يعلمون أنَّ يعقوب يحبهما كلاهما أعظم وأكثر منهم لكونه الأكبر سناً ، والأكثر حباً ولما بانت منه المعجزة ، من الرؤيا دونه .

قال ابن عباس : وكانت إخوة يوسف تحبّ يوسف حبّاً شديداً ، حتى ظهرت منه المعجزة ، فكرهوه بها حسداً .

إذا رمتُ أمراً خالفتني المقادرُ ... ويُبطلُ عزمي صرفُ قدرةِ قادر
فما الحكم والتدبير إلا بصيرة ... وتحصف لها أهل النقى والبصائر
فإنَّ تصاريف الزمان عجيبةٌ ... ورب الخلايق عالم السرائر
تمكنّ في قلبي من البين والنيا ... أمورٌ تطيل الشرح يوم البصائر
ترى هل يعود الدهر يجمع بيننا ... ويهجع طرف طال ما بات ساهر
وتصفو لعيش واجتماع وغبطةٍ ... وخلوة أحبابي وحبيّ حاضر

⇐ اللبيب .

(١) سورة يوسف : ٨.

إلى الله اشكو ما لقيتُ من الهوى وفرقة أحبابي تذيب المرائر

فلمَّا أصبحَ يعقوبُ ، دعا بيوسف(١) ، ومشط رأسَهُ ، وطيَّبه ، وكحل عينه ، وأبدل ثيابه ، وسلَّمه إلىٰ إخوته ، وزوده .

رُزيتُ بالبين حتى لا يفارقني وبالمصائب في أهلي وجيراني
لم يتركِ الدهرُ لي خلّاً أعيش به إلا اصطفاه ببين أو بهجران
لا أوحش الرحمن منكم أحبتي ويعودُ يجمعنا بدار أمان

ثم إنَّهم ساروا به ، وبقي يعقوبُ ينظره بعد أنْ ودَّعه ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، فحلفوا له أيماناً كاذبةً أنهم يحفظوه ويأتون به عشية ، بعد أن يرتع ويلعب نهاراً ، ويطعموه أحسنَ ما يصطادون ، ويسقونه أصفى وأبرد ما يشربون .

فلما التقينا للوداع عشيةً شددنا المطايا والدموعُ تسيل
وغارت خيولُ الشوقِ من كلِّ جانبٍ وعاد لنا طيرُ الفراقِ دليل
بكيتُ وما فارقتكم غير ساعةٍ فكيف بكائي والفراقُ طويل
وكيف يطيبُ العيشُ بعد فراقكم وكلُّ غريبٍ في البلادِ ذليل
وأسهرُ طول الليلِ حتىٰ كأنني علىٰ كل نجمٍ في السماء وكيل
فبالله عينوني علىٰ الليل إنَّه على كلِّ عينٍ لا تنامُ طويل
فكيف ينامُ الليلَ مَنْ باتَ ساهراً وليس له نحو الحبيبِ سبيل
وحدَّثني قلبي وسمعي وخاطري بأنَّ الأسى في اللب ليس يحول

ونُقلَ عن ابن عباس أنَّه قال : وكانت (زينة) بنت يعقوب نائمةً ، فرأت أخاها يوسف في منامها ، كأنَّه وقع بين الذئاب ، وهي تنهشهُ ، فانتبهت مرعوبةً

(١) م ك : ادعا .

فزعةً باكيةَ العينِ ، حزينةَ القلبِ ، وجاءت عند أبيها ، وحكت له ما رأت في منامها ، فبكى يعقوب ، فقالت : مالذي فعلتَ بأخي يوسف ؟

قال : أسلمتُه إلىٰ إخوته يرتع ويلعب ، فقامت من ساعتها ومضتّ إلىٰ البرية ، حتى لحقتْ بهم ، فتعلقت بيوسف ومنعته من الرواح ، ثم إنَّ يوسف تفلّت منها ، ومضى مع إخوته ، ليقضيِ الله أمراً كان مفعولا ، ثم إنها وقفت تنظر إليه ودموعها تجري ، حتى غابوا عن بصرها .

تقول وفوق الوجنتين مدامعٌ
بعيشك خبِّرني متى أنت راجع
فقال لها والله ما مِنْ مسافر
ويعلمُ مابه الدهر صانع
فشالت خمار الحزن فوق جبينها
وسالتْ من الطرفِ الكحيلِ مدامع
وقالتْ أيا ربّاه أنتَ خليفتي
عليه وما خابتْ لديكَ الودائع
لقد رسختْ في القلبِ فيك محبةٌ
كما رسختْ في الكفِّ مني الأصابع
عسى من قضى[1] بالبعد بيني وبينكم
سيجمعنا والقلب في ذاك طامع

ثم إنّها رجعت إلىٰ أبيها مدهوشةً ، وبكت وبكى يعقوب ، واستوحش البيت والمحل ، وصار الضياء ظلاماً من فراق يوسف .

---

(١) في الأصل قضا . ع .

هـذا فـراقُ أحـبتي فـمتى اللقا ... يـامن هـم فـي مـهجتي سكّـان
فـلأبكينَّ عـلىٰ الفـراقِ بـدمعةٍ ... حـتىٰ تـعود تـلمُّنا الأوطـان
يا سادةً أخـذوا فـؤادي عـندهم[1] ... تـالله لا عـن حـبكم سـلوان

قال الراوي : فلمّا علم إخوة يوسف بأنّهم غابوا عن عيون يعقوب ، وكانَ يوسفَ محجوباً عن كلِّ ناظرٍ ، لطموه علىٰ وجهه ، وجرّوه سحباً علىٰ وجه الأرض ، وأكلوا زوادته ، وشربوا ماءه ، وصار يوسف كُما لطمه واحدٌ وأوجعه ضرباً ، من إخوته ، يبكي ويلوذ بآخر منهم ، فيضربه ، فيلوذ بآخر ، وهكذا فلم يجد فيهم من يحميه ، إلا وهو يوجعه ضرباً وسباً وسحباً .

ثم إنَّ (شمعون) كان أشدَّهم وأحرصهم علىٰ قتله ، وجرّد سكّيناً وهمَّ أن يذبحه ، فتعلّق بأذيال (روبيل) ، فطردُه روبيل ولطمه .

إذا رمـتموا قـتلي وأنـتم أحـبتي ... فـلا فـرقَ ما بين الأحبةِ والعـدا
سأمضي وفي الأحشاء منكم تشوّقٌ ... وأُظـهِر للـواشـين عنكم تـجلدا
وأمنع عـيني اليوم أنْ تكـثر البكـا ... لتسـلم لي حـتىٰ أراكـم بـها غـدا
دعوا الصبَّ يستشفي منكم بـنظرة ... فـلابد للـمشتاق أن يـتزودا
سألتك يـا حـادي المطيِّ رسـالةً ... إذا جئتَ أهـلي كـن لقـلبي مُسْعِدا
وإن سألوا عن عـبدهم كـيف حـاله ... فقل قد مضى في حُبِّكم لكم الفـدا

ثم أن يوسف تبسّم وهو يبكي ، فقال أخوه يهوذا أراك ضاحكاً باكيا !! ، فقال : لسرّ بيني وبين ربّي ، فقال : أخبرني عن السرّ المكنون المخزون ، قال : خطرَ في بالي من شؤم فكرتي فيكم ، وفي قوتكم ، فقلتُ في نفسي معجباً : ومن مثلي ومن يقدر يبطش بي ، ولي مثل هؤلاء العصبة أولي القوة وكلُّهم لي

---

(١) م ك : معهم .

أخوة ، فسلَّطكم الله عليَّ ، وإني أستغفر الله من شؤم كرتي ، واتكلتُ علىٰ ربي .

ثم بكى وتساقطت مدامعه علىٰ خدَّيه ، كاللؤلؤ الرَطِبْ .

دعِ الخلقَ واقصدْ مالكَ الناسِ وحدَهُ ... فـذاك الذي يُـلجا إلى ويـقصد

إذا جاك خاطر في ضمير خواطري ... فكـله إلىٰ رب يـثيب ويسـعد

إذا ما ذكرتُ الأهلَ والمنزلَ الذي ... جـمعنا بـه كـاد الحشـا يـتوقد

من البعد والصد والهجر والجفا ... جـفاني أصـحابي ولالي مسـعد

وقـد أنكـروني بـعد مـعرفتي لهـم ... وقد جلبوا في قيامتي ثـم حشّدوا

وكـان يـقيني فـيهم كـل صالحٍ ... فـخابَ يـقيني والعداوة جـدّدوا

قال الراوي : فعند ذلك أوقع اللهُ الرحمة في قلب يهوذا ، ورقَّ له وقال : ادخل تحت ذيلي لأحميك عن إخوتكَ ، فتعلَّق بأذياله ، فقالوا : ـ وكان يهوذا جليلاً فيهم ـ كأنك قد رجعت عن ميثاقنا وعهدنا ، فقال : الرجوعُ عن كلِّ أمر يسخط الله أولى وأنجع وأنجح ، وإن أزمعتم على قتله فاقتلوني معه ، فقالوا : لا نفارقكم أو نقتله ، قال : هل أدلكم على شيءٍ خير من قتله ، ألقوه في غيابة جبِّ شداد بن عاد ففعلوا ، وقد حفر هذا الجبَّ شداد بن عاد وطواه ، وكان في زمن شداد بن عاد رجلٌ صالحٌ من قوم هود ، وكان قد قرأ في صحف (شيث) قصة يوسف ﷺ ، وما يجري له مع إخوانه ، وما أعطي من الحسن والجمال ، والقد والاعتدال ، فقال : اللهم إنّي أسألك أن لا تقبضَ روحي حتى أبصر يوسفَ ، فاستجاب الله دعاه ، وكان عمره ألفان ومائتا سنة ، فقصد الشيخ ذلك الجبّ ، وسكنَ فيه ، فإنه هتف به هاتف بأنَّ يوسف يلقى فيه ، فأنبت الله شجرةَ رمّانٍ في الجبِّ ، في مغارةٍ فيه ، وكان يأكل كلَّ يومٍ رمانةً واحدة ، وجعل الله فوق رأسه مثل قنديل يزهر ويضيء بلا زيتٍ وفتيلةٍ ، وهو صائمٌ نهاره قائمٌ

ليله ، فلمّا بلغ يوسفُ أجله ، وسقط إلىٰ قعر الجبِّ ، ضمّه إلىٰ صدره حين عرفه ، وفقَ مافي الصحف ، واستسماه ، قال : أنا يوسف بن يعقوب إسرائيل الله، ثم قال : واطول شوقاه إلىٰ رؤياك ولقياك ، ثم أخبره بقصّته وأوصى إليه بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وأودع عنده أسرار علومه ، ثم قال : استودعك الله ، وبشّره بما يؤول إليه أمره بالنبوة والملك ، وخرَّ الشيخُ ميتاً .

أهـابك إجـلالاً ومـالي قـدرةٌ إليك ولكـن مـلءُ عـيني حـبيبها
أيا نـفسُ صـبراً لا تكـوني لجـوجة فما تدري نفسٌ خيرها ما يـصيبها
وقـد سـاءَ فـقدي والدي ثـم زيـنة وقـد رقَّ لي وحشُ الفـلاةِ وذيـبها
وأضحىٰ غرامي هائجاً بين أضلعي وأصبحتُ وحدي خائفاً مستريبها

وعن ابن عباسٍ : أنّه كان في ذلك الجبِّ حياتٌ وعقاربٌ ، لا يتركوا أحداً يقع فيه إلا قتلوه ، إلا ذلك الشيخ ، فإنَّ الله تعالىٰ حماه منهم بقدرته ، فلمّا مات الشيخ وبقي يوسف وحده ، أتت إليه الحيات تسعىٰ ، والعقارب من كلِّ مكانٍ وجانبٍ ، فصاح فيهم جبرئيل ، بإذن الله تعالىٰ فصُمَّت أسماعها من ذلك اليوم ، وإلىٰ أن تقومَ الساعة .

ألا كيف صبري عنك يا غـاية المـنى ألا إنَّ روحي عنك يا شـوق تـذهب
لقـد أودعـوا قـلبي عشـيّةَ ودَّعـوا حـرارة جـمرٍ فـي الحشـا تـتلهب
وفي اللب جرحُ البـين ليس له دوى وفي الخدِّ مـن عـيني دمـوعٌ تسكب
سلامي عـليكم طـالَ شـوقي إليكـم وزاد غـرامـي والضـنا أيـن أذهب
وقـد أنـحلَ التـفريقُ والبـعدُ والعـنا لجسـمي وهـاقلبي جـريحٌ مـعذّب
فإن شئت أن تحيي محبك في الهوى فعد بـوصالٍ مـنك والوصـل يـطلب
وعـجِّلْ رعـاك الله فـالأمر شـيقٌ والصب في هـجع التـصابي يـعطب

فـامنن عـليه قـبل أن تـقضى مـنيته ... فقد طال ما قد بات بالشوق يحسب
عـليكم سـلام الله مـا خـرَّ شـايق ... إلىٰ ألفـه والإلف بـاللب يـلعب

﴿ وجاءوا أباهم عشاءً يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصهِ بدمٍ كذبٍ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون ﴾[1].

وخرَّ يعقوبُ مغشياً عليه إلىٰ الصباح ، فلمَّا رأوه على تلك الحالةِ ، ندموا على ما فعلوا ، لأنَّه ما حصل لهم المقصود من محبة أبيهم لهم بعد يوسف ، وعرفوا من حاله أنه لا يهجع بفراقه أبداً .

سأصبر محزوناً وإن كنت موجعاً ... كما صبر العطشان في بلدٍ قفر
عسى الواحدُ المنانُ يجمع بيننا ... فنعمته في خلقه أبداً تجري
لقد طالَ ذاك الصدُّ والهجرُ والجفا ... بُليتُ بهذا منك في آخر العمر
فرقوا وجودا وأعطفوا بمودّةٍ ... وفضلٍ وإحسانٍ فذا شيمةُ الحر
ومنوا علينا بالوصال وباللقا ... فمالي قوى تقوى وتصبر على هجر
فإن غبت عن عيني فأنت بمهجتي ... وإن نأى جسمي فقلبي في اسري

فلم يزل يعقوب يظهر الحزن والأسفَ ، ولا ينفع بعد فواتِ الأمرِ الندم ، وصارَ الضياءُ في عينه ظلاماً ، ولا عتبي على الليالي والأيام ، ونادى يا قرة العينِ ، وزعق بالتفريق غراب البين ، فبقي في نوحٍ وعويل ، وصار حزنه عريضاً طويلا ، وطار طير السلوّ والسّلوان ، وعرَّش الغرام والتصابي مدى الأزمان ، وأهوى بقلبه على جمر الصفا ، ولم يسعه إلا التسليم للقدر والقضا .

---

(١) سورة يوسف : ١٧ .

لولا الحيا ولولا خشية الباري — شددْتُ من أجلكم وسطي بزناري
أهرقتم الدمعَ والأجفان في أرقٍ — واللّب في قلقٍ والقلب في نار
مالي أراني علىٰ البلوى في جلدٍ — وهل في التجلد يا للناس من عار
أقلِّبُ الطرفَ من شوقي ومن ألمي — فلم أراكم ولم أسمع بأخبار
يا ساكني القلب هلّا تأذنوا سَحَراً — لطيفكم إن بحت في نومي بأسراري
الله يعلمُ أنَّ الروحَ قد ذهبتْ — والشوقُ زاد ودمعي مطلقٌ جاري

﴿ وجاءوا علىٰ قميصه بدم كذب ﴾[1].

فلما رأىٰ يعقوبُ قميصَ يوسفَ وهو ملطخٌ بالدمِ، بكى فلمّا قلّبه تبسّم، فقال أولاده: الضحكُ والبكا في مكانٍ واحد ؟!

قال: نعم، لمّا رأيتُ الدمَ بكيتُ، ولما رأيتَ القميصَ صحيحاً رجوتُ الله أنَّ حديثكم غير صحيح، فإنَّ الذئبَ إذا أكلَ إنساناً فأول ما يمزق أثوابه.

فقالوا: إن شئتَ صدنا لك الذئب بعينه.

فقال: شأنكم.

فخرجوا واصطادوا ذئباً، وكسروا أنيابه، وجروه بسلسلةٍ، فلمّا رآه يعقوب، قال: بئس ما فعلتَ أيها الذئب حيث افترستَ قرةَ عيني يوسف، فأنطقَ الله الذئبَ، فقال بلسان طلق: السلام عليك يا نبي الله، إنَّ الله حرّم علينا لحومَ الأنبياء، ولقد قالَ أولادك عليَّ الكذبَ والبهتان، فلما سمعَ أولادُ يعقوبَ كلامَ الذئبِ، نكّسوا رؤوسهم خجلاً، فغضَّ عنهم يعقوب طرفه، ثم قال للذئبِ: من أين أنت ؟، فقال: من ذئاب أصفهان، وقد جئتُ في طلبِ ولدي، فارقني ودخل بلاد الشام، وقد اجتمعتُ بذئابِ هذه الأرض، فأخبروني أنه

---

(١) سورة يوسف: ١٧.

أُصطيد[١] ، ومنذ فارقته سبعة عشر يوماً ما جاز بطني طعامٌ ولا شراب إلا ما تقويت به من[٢] حزني عليه ، فلما سمع يعقوبُ كلامَ الذئبِ ، بكى وقال : إذا كان هذا حزن الذئاب علىٰ أولادها فكيف أنا أطيق فراق يوسف .

ترحلتمُ عنّي وأنتم أحبتي ... وخلّفتموني في الديار رهينا
تركتم عيوني لاتملُّ من البكا ... لفقدكم أضحىٰ الفؤادُ حزينا
أيا نائياً عنّا ملكتَ فؤادنا ... وأسقيتنا كأسَ الفراقِ معينا
وعادَ اشتياقي في الغرامِ مع الجوى ... مع نار قلبي الآن مجتمعينا
فصبراً علىٰ حلو الليالي ومرّها ... عسى يعطفوا بالوصلِ بعد سنينا

فدعا يعقوبُ أن يرجعَ للذئبِ ولده .

قال بعض المفسرين : كان مالك بن[٣] دعر الخزاعي ساكناً في مصر ، فرأىٰ مناماً وهو في حالِ صغره ، كأنّه في أرض كنعان الشام ، إذ نزلت السماءُ بالدرر وهو يلتقطه في صندوقٍ ، فقال المعبّر : تصيبُ عبداً ، وليس بعبدٍ تصيبُ به الغنى ، ويكثرُ ولدُكَ ، ويبقى اسمكَ في الكتبِ إلىٰ يومِ القيامة .

فتجهّزَ مالكٌ بتجارةٍ إلىٰ دمشقَ الشام ، فاجتاز بأرضِ كنعان فجعلَ ينظرُ تارةً إلىٰ الأرضِ وتارةً إلىٰ السماء ، فهتفَ به هاتفٌ يقول : هيهات بقي بينك وبين تأويل رؤياكَ خمسون سنة .

ألا يا حمامَ الأيكِ بالله بلّغي ... تحية مشتاق ينادي من الحبّ
يباتُ يقاسي لوعةَ البين والنّوىٰ ... ويهمل دموعاً في المحاجر من الكرب

(١) م ك : اصطاده .

(٢) م ك : تقويتُ من حزني عليه .

(٣) م ك : ابن .

يــذوبُ غــراماً واشــتياقاً وحــرقةً　　ويذكر عيشاً قـد تـقضى مـع الحبّ
إذا ما ذكرتُ الدارَ والأهـلَ والحـمى　　وطيبَ زمانٍ قـد تـقضّىٰ بـلا نـصب
أيا طور شـوقي ثـم يـا نـار مـهجتي　　ويا طول ابعادي عن الأهل والصحب

قال خَلَفُ المفسِّرُ : ثم إنَّ مالكاً شاخَ وكبرَ ، وهو يأمُلُ تعبيرَ رؤياه ، فلما أذنَ الله بتقاضيه ، وفعل أخوة يوسف ما فعلوا ، حطَّ مالكٌ بسيارته وكان أمير القافلة بجنب الجب ، فأرسلوا واردهم ، فأدلىٰ دلوه ، فتعلق يوسفُ بـه ، فقال (مامل) وهو خادم مالك إلىٰ (بشراي) وهو عبد مالك : يا بشراي هذا غلام ، فأتوا به إلىٰ مالك ، فأخفاه في الرحال ، فلما أصبح الصباحُ وأبلج ، قدمَ أخوة يوسفَ فنظروا في الجبِّ ، ثم أحاطوا بالسيارة ، وقالوا : قد ذهبَ منا عبد وبلغنا أنكم أخرجتموه من جبِّ شداد بن عاد ، أخرجوه لنا من أمتعتكم ، وإلا صحنا بكم ، فأخرجوه ويوسف قد اشتدَّ به فزعه ، حين شاهد إخوته ، فدنا منه يهوذا وقال له بالعبرانية ـ والسيارة قبطيون ـ إن أقررت بأنك عبدٌ لنا نجوتَ ، وان تكلَّمتَ بما جرى لك معنا أخذناك منهم وقتلناك .

ثم إن مالك قال ليوسف : من أين أنت ؟ وكيف أنت ؟ ، فقال : أنا عبد وأشار أنه عبد الله تعالىٰ .

قيل : إن أخوةَ يوسفَ ومالك كلهم لم يروا يوسف علىٰ الصـورةِ التـي خلقه الله عليها ، ولو رأوه علىٰ صورته ، لأحبوه ولم يبيعوه ، ولكنَّ الله حجبه ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، فاشتراه مـالك مـن إخـوته بسـبعة عشـر درهـم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين .

وكتبوا لمالك كتابه ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اشترى مالك بن دعر الخزاعي المصري من أولاد يعقوب ، وذكروا أسماءهم واحـداً بـعد

واحد ، اشترى منهم عبداً مملوكاً ، ودفع إليهم الثمن ، من غير رجوعٍ من الطرفين بعد هذا الكتاب ، وختموه ، فجعله مالك في عنقِ يوسفَ ، فحفظه يوسف إلىٰ أن دخل أخوتُهُ عليه ، ليشتروا منه الطعام ، فانصرفَ إخوةُ يوسفَ وهو يودُّعهُم ويبكي ، فبكىٰ[1] يهوذا وإخوته لبكاءِ يوسف ، وقالوا : والله لقد ندمنا علىٰ ما فعلنا ، ولولا ما سبق منا من البيعِ والضربِ والإهانةِ لرددناك معنا إلىٰ بلادنا ، وأنشأ لسانُ الحالِ يقول :

يــامن يــعزُّ عــلينا أنْ نــفارقهم ... إنَّ الفؤاد مـن الأحـزانِ فـي شـجنِ
إذا ترحَّلتُ عن قـومي وقـد عـزموا ... على الرحـيلِ فـياحالي ويـا مـحني
لا أوحش الله مــن أحــبابنا أحــداً ... فإن قلبي مع الأحـبابِ فـي سـجنِ
قـد أبـعدوني وخـانوا العـهد كـلهم ... وأصبحتْ مقلتي غضبا مـع الوسـنِ
إن زارني طيفكم في النوم يا فرحي ... وإنْ بخلتم فـلا عـتبى عـلى الزمـنِ
مـني السـلام عـليكم دائـماً أبـداً ... سلام مضنىً بحب الأهـل والوطـنِ

قال الراوي : وقد سافرَ[2] مالك من مصر الىٰ الشام مائة مرة في خمسين سنة ، يمرُّ ذهاباً وإياباً بوادي كنعان ، حتىٰ اجتمع بيوسف ، فلمَّا انفصل العير وأضاء النهارُ وأشرقتِ الشمس علىٰ الحضيض والكثيب ، مرَّ يوسف علىٰ قبر أمه (راحيل) ، وكانتْ مدفونةً علىٰ طريق مصر في طرف وادي كنعان ، فطرحَ نفسه علىٰ قبرها ، وبكى وقال : يا أماه انظري إلىٰ حالي أذلُّ كما ذُلَّتِ الأسارى ، وفرقتْ إخوتي بيني وبين أبي وأهلي ووطني ، ولطموني علىٰ وجهي ، وفي الجبِّ رموني ، وكما تباعُ العبيدُ باعوني ، وكما يحملُ الأسير من

---

(١) م ك (فبكا) . ع .

(٢) م ك : سفر .

بلدٍ إلىٰ بلدٍ حملوني ، ثم خرَّ يوسفُ مغشياً عليه .

قال الراوي : فسُمعَ من داخلِ القبرِ قائلٌ يقول بصوتٍ حزينٍ : واولداه واقرَّة عيناه واثمرةَ فؤاداه ، يا بني اذكر الموتَ تهون عليكَ الشدائد .

قال الراوي : وكان مالك قد وكَّل بيوسف عبد يُقال له (مليح) ، فالتفت مليحٌ فلم يجد يوسف ، فرجع مليحٌ ، فوجد يوسف علىٰ قبر أمه ، فلطمه علىٰ وجهه وجرَّه برجله ، فعند ذلك رفع يوسف طرفه إلىٰ السماء بذلٍّ وانكسارٍ ، فما لحق يوسف إلىٰ السيارة وهو يركض ومليح يضربه ويهينه ، إلا بسحابةٍ سوداء مظلمةٍ ورعدٍ وبرقٍ ، فأمطرتِ السماءُ عليهم برداً أكبر من بيضِ النعام ، فلما أيقنَ أهلُ العير بالهلاك ، قال مالك : يا قوم إنْ كان فيكم مذنبٌ فليقر بذنبه ، ويستغفر ربه قبل أن نهلكَ ، فنهضَ مليح وقال : يا مولاي لعلي أنا المذنب ، فإني قد أوجعتُ هذا الغلام العبراني بالضربِ ، وسحبته برجلِه ، وأهنته ، وكلفته ما لا يطيق بالركضِ ، ورأيته حرَّكَ شفتيه وتكلم بكلماتٍ لم أفهمها ، حتىٰ ظهرتْ هذه السحابةُ ، وأرعدتِ السماءُ وأبرقتْ ، وتواقع هذا البردُ العظيم ، فعند ذلك أقبلَ مالك وأهل السيارة وأحاطوا بيوسفَ ، ونظروه بعين الإجلال والإكرام ، وقالوا : لا تؤاخذنا بما عمل السفيه منا ، فادع لنا الله يفرج عنَّا ، فإنَّا نظنُّ أنَّ بينك وبين الله قربى وزلفى ، فدعا يوسفُ ، فانقشعتِ الغمامُ ، وأسفرتِ الشمسُ ، ثم إنَّ مالك ألبس يوسف الخزَّ والحرير ، وزيَّنه بأنواع الزينة ، وطوَّقه بالذهب والفضة ، واركبوه أحسن المراكبِ ، على أحسن الفرش ، وقدّموه أمامهم ، وساروا من خلفه ، وأنشد الشاعر يقول : أفلح من يصلي علىٰ الرسول .

تنال المنى إن كنت ترغب في المنى ... ويحلو لديكَ النجح يا خير طالب

فبالصبر والإخلاصِ والفوز بالرضا ... بما قدّر الباري فلست بخايب

ألا عــدِّ عــن دنــياً دنــيةً وابــتغِ ... بأعمالك الأخرى وأسنى المراتب
فلا الحظ مكسوباً ولا العمر باقياً ... ومن مات في الدنيا فليس بآيب
أيا نفس هلا تختشين من البلا ... ألم تدرِ أن الموتَ ضربة لازب
أيا نفسُ مالي كُلّما قلتُ ارجعي ... إلىٰ ربكِ لم ترجعي عن عايب
يا نفس لم لا ترعوين عن الشقا ... ألم تعلمي أني رهين مكاسبي
يا نفس كفي وانظري في من مضى ... وفي من بقي فالكل نهبة ناهب
أيــن الملوك مع الرعية كلهم ... أضحوا رهين جنادل وسباسب
أين القصور وأين ما عمل الأولىٰ ... فصح ترى في الأرض عجبة عاجب
أيــن عــاد بــن شدّاد أيــن جنّته ... وحورها أمستا كلعبة لاعب
أين شدّاد بن عاد ونمرود الخليل ... ونـاره ومنجنيق السّارب
أين جالوت داوود وفرعون الكليم ... وما بنى هامان من لازب
أين ملك سليمان وافلاطون المسيح ... وما جمع قارون من لاهب
أخنا الزمان ولا زالت عوايده ... بالغدر فاعتب وما الزمان بعاتب

قال خلف المفسّر : فلما دخلوا بيوسف مدينة (بنيانه) ، اجتمع عليه أهل البلد ، فلما نظروا يوسف ، نحتوا أصناماً علىٰ صورته ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فعبدوا تلك الصّور ألف عام ، وحين مروا به علىٰ مدينة أخرى ، وكانوا يعبدون الأصنام سألوا : من خلقك يا غلام ؟

قال يوسف : خلقني أو صورني الله الذي خلق السموات والأرض .

قالوا : آمنا بالله الذي خلقك وخلق السموات والأرض ، ثم كسروا الأصنام واشتغلوا بعبادة الرحمن ، فسبحان من خلق صورةً واحدةً لقومٍ فتنة ، ولقومٍ عبرة ، وهذا من بركةِ السؤال عن الجهلِ ، وسوء الجمود على الجهل المركب ،

فاستفسر عن المبهمات تنجُ بنور العلم ، ولا تتكل على فهمك فتضل .

قال : ولما قربوا من مدينة القدس ، رأىٰ أميرُ القدسِ في منامهِ قائلاً يقول : إن خيرَ الناسِ قد أتاكَ فاستقبله ، واعمل بما يأمرك به ، فلما أصبحَ عملَ ضيافةً عظيمةً ، واستقبل السيارة ، فسأل عن أميرها ، فأشاروا عليه أنه مالك ، فقال : هو مالك الخزاعي ، الذي يمرُّ علينا في كلِّ سنةٍ مرتين ؟

قالوا : نعم فعجبَ أميرُ القدس ، وقالَ في نفسه : هل كيف أُمِرتُ باستقباله وامتثاله أمره في ذا العام دون غيره ، ماذا إلا لأمرٍ عجب وسرٍ غريب .

قد أخلصَ القومُ فنالوا كلَّ مكرمةٍ وصار للعير في أوصافهم حادي
نعمَ الملوكُ ونعمَ القوم قد نزلوا بقرب دارك أمسى فخرهم بادي
يا عزّ عزّي ويا سؤلي ويا أملي ويا رجائي ويا خلّي وإسنادي
قد جئت أشكو لما ألقى فلا أحدٍ يعلم مرادي ولا يسمح بانجاد
يا عالم الغيب يامن للفقير غنىً يا بادي الخير للحاضر وللباد
اضحى طلابي ومافي الناس من أحدٍ أرجوه كلا لانجاز وإرفاد
إلاك يا خير مقصود لنائبةٍ جلّت فلا منجد غيرك ولا هاد
فامنن عليه بما قد كنت عالمه واغفر له زلة نيطت بابعاد
بحق أسمائك الحسنىٰ وأمثالك العلياء من خاف ومن باد

قال ابن عباس : وكان صفة يوسف الجنيَ الذي ولد معه ، على صورةِ الغزالِ ، فقد صحَّ أنه ما من إنسانٍ يولد إلا ويولد معه جنيٌّ ، لا يفارقه في سفرٍ وحضر وحركة وسكون وحياة وموت ، وهو قرينه .

قال الراوي : فلمَّا نظرَ أميرُ القدسِ إلىٰ صوةِ يوسف ، وإعزازِ القومِ له ، ومشيهم خلفه ، سألَ عنه ، فقيلَ : هذا غلام اشتراه مالك الخزاعي ورأينا منه

معجزةً وكرامة ، فتقدّم إليه ولاطفه ، وسلّم عليه ، فتبسّم يوسف في وجهه ، ثم قال : من أنت يا غلام ؟

فقال : أنا الذي أُمرتَ باستقباله ، فتحيّر أمير القدس ، وقال : من أعلمك بذلك ؟

قال : أعلمني الله ربي ، يا أمير لا تعبد صنماً بعد هذا اليوم ، واعبد الله وحده لا شريك له ، واذهب إلىٰ أصنامك فإنها قد احترقت ، فرُميَ برمادها ، فعجب وتحيّر الأمير ، وحسن إسلامه ، ثم إن مالك حين أصبح سار بيوسف والعير ، فركب أمير القدس ، في اثني عشر ألف فارس ، في صحبة يوسف إلىٰ (عزقلان)[1] ، فعجب مالك ولا يعلم كيف الخبر ، ثم رجع الأمير ، وسار مالك من عزقلان إلىٰ عريش مصر ، ثم لما أصبح سار وجدّ المسير ، فلما دخلوا باب مصر من باب الشام ، وإذا أهل مصر احدقوا بيوسف يبصرونه ، وعكفوا علىٰ تحديد النظر إلىٰ محاسن وجهه ، وقد كشف الله لهم عن الصوره التي كان يوسف عليها ، فبقي مالك يستغيث من ازدحامهم ، ويعجب في أمرهم ، وغلّق أبواب داره ، ورصدها بالبواب والغلمان والحجّاب ، فلم يفده ذلك إلا قلقاً ، فقال بعض حفدته : اشترط على كل من يرى الغلام يوسف ديناراً ، فإذا علموا أنهم لا يحظون بنظرة منه إلا بدينار من الذهب رجعوا وخلصتَ من أذاهم ، فنادى مالك في أهل مصر بذلك ، فأقبلوا عليه بالدنانير ، حتى نقل أنه قد بلغ مالك في ذلك اليوم ستمائة ديناراً من الذهب .

رعى الله أهل الشام يا خيرة الورى ... واسقا رباها بالمياه السواجم
وعاد عليها الغيث كل عشيةٍ ... وأنّسها بالأنبياء والأكارم

(١) هي عسقلان : وربما ضُبطتْ في المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف بالزاي بدل السين .

ولا زال يـــحميها الإله بـــلطفه فقد ولدت يـوسف هـلال العـوالم
قـــد جـاءنا مـنها غـزالاً كأنـه البـدر أو كـالشمس بـين غـمائم
إذا مـا بـدا أو مـاس بين غـلايل زجّ القـلوب فـديته مـن حـاسم
له مـــبسم شـــهد تـــنضد دره وحـــمرةُ خـديه كـدم الحـمائم
عـيه سـلام الله فـالحسن عـبده والناس عبد الحسن رهن النواعـم

قال الراوي : كل من أعطى ديناره ، وأبصر يوسف ، هوى بجلده ، ولم يهتد أن يتوجه إلىٰ منزله وداره ، ولا يعرف ما يقول ، ولا يفهم ما يُقال ، فلما كان اليوم الثاني ، نادى منادي مالك : كل من يريد النظر إلىٰ يوسف يأتي بدينارين ، حتى بلغ في اليوم العاشر إلىٰ عشرة دنانير ، في كل يوم يزيد ديناراً .

ثم إن مالك أجلس يوسف علىٰ سرير ، وزيّنه بأنواع الزينة ، ونادى مناديه : من أراد أن يشتري الغلام العبراني فليحضر ، فما أحد إلا وطمع في شرائه ، فاجتمع إليه خلائق كثيرة من كل جانب ومكان ، وعرضوا عليه ما يملكون من الأموال .

قال خلف المفسّر : ثم إن الخبر اتصل (بالفارعة) ـ بنت من نسل شداد بن عاد ـ ، وكانت أعظم أهل مصر حسناً وأكثرهم مالاً ، فقالت لقهرمانها ، ويحك لم يبق بمصر أحد إلّا وخرج إلىٰ الغلام العبراني ، احمل مائة وعشرين حملاً من الذهب ، ومائة حمل من الفضة والجواهر واليواقيت والديباج والحرير والبز والخزّ ، فقدمت بالأموال إلىٰ دار مالك ونطرت إلىٰ يوسف ، وتحيرت من حسنه وجماله ، وكانت كافرة تعبد الأصنام ، فقالت : يا غلام من أنت ؟ ، فقال : أنا يوسف ، صورني رب العالمين ، قالت : آمنت برب العالمين ، الذي خلقك وصورك ، وأسلمت على يديه وأحسنت إسلامها ، وبنت لها

صومعة علىٰ ساحل البحر ، وفرقت أموالها علىٰ الفقراء والمسلمين ، وتركت الدنيا ، وابتغت الدار الآخرة .

قال صاحب الحديث : ثم إن (قواطيف) أقبل إلىٰ شراء يوسف ، فلما نظر إليه ، أخذ عقله ، وسلب لبّه ، وابري جسده ، وانحل بدنه ، واحرق قلبه .

نظرت إلىٰ ظبي سباني بلحظه ... وافتنني منه بسود الذوائب
وزاد فؤادي لوعةً وصبابةً ... وجار على ضعفي ببيض القواضب
ولما وقفنا نشتكي عظم العنا ... تقرّح جفني من دموعٍ سواكب
وقال تمتع في حمانا بوصلنا ... فما كل من نهوى حماه بواهب

ثم إن الملك قواطيف ، أذن لزليخا في إبصار يوسف ، واستشارها في شرائه ، فلما رأته عرفته ، وبذلت لقواطيف ما ملكت من مال وجواهر .

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه
رماني بسهم المقلتين على عمد
وقلت لهم لا تقتلوه فإنني
أنا عبده والحرّ ماقيد بالعبد
فقد ملك الأحباب كل حشاشتي
فياليتهم قد انجزوا لي بالوعد
لقد ذاب جسمي في خيالك في الكرى
ولقد أضرمت نيران قلبي علىٰ البعد
فكيف إذا جاد الزمان بوصله
وعناقه فكلاهما وجد على وجد

قال الراوي : فكانت زليخا بنت ملك من ملوك العرب ، وقد رأت

يوسف في منامها ، فنحل جسمها ، ودق عظمها ، واصفر لونها ، وقطعت طعامها وشرابها ، كل ذلك لما داخلها من حسن يوسف ومحبته ، وكانت بنت تسع سنين ، فقال أبوها : مالي أراك يا بنيّة على هذا الحال ، فقالت : رأيت في منامي صورة عجيبة ما رأيت قط في الناس حسنها ، فانتبهتُ وأنا مشغوفةٌ بها ، فقال : أين هذا الشخص الذي فتنتي به ، ولو عرفته لطلبته لك ، ولو بذلت عليه جميع خزائن الملك .

قال صاحب الحديث : فرأت زليخا صورة يوسف في السنة الثانية ، وقال لها : لا تجزعي انا لك وأنت لي ، ولكن لا يصل بعض إلىٰ بعض إلا بعد المشقة والعنا ، فانتبهت زليخا ، وقصّت منامها علىٰ أمها وأبيها ، فقالا لها : هلّا سألتيه من هو وأين هو يا مسكينة ، فنأخذه لك .

لقد لامني الواشي بفرقة منيتي ... ولا علم للواشي بما قد جرى ليا
فقلت له كفَّ الملامة إنني ... رأيت منى قلبي فلست بصاحيا
حلمت به في النوم عامين ارتجي ... يعود المنى ثم اشتكي ضعف حاليا
ترا تسمح الأيام منكم بزورةٍ ... أفوز بها فالقلب ليس سباليا
واسألكم عن اسمكم وعن التي ... حازت بكم شرفاً وعمّا بدا ليا

قال الراوي : ثم إن زليخا رأت يوسف في السنة الثالثة ، فتعلقت بأذياله ، وقالت له : بحق الذي صورك ، وابتلاني بحبك ، من أنت ؟ ، وأين أطلبك ، فقال لها : أنا عزيز مصر ، فلما انتبهت ، أحرقها الشوق وحيّرها .

قال خلف المفسّر : وكان في تلك السنة عند والدها ، تسعة عشر رسول من الملوك يطلبون زليخا ، فسألت زليخا عن هؤلاء الرسل ، فقال لها والدها : هذا من ملك كذا ، وهذا من ملك كذا ، وجعل يعدد لها الممالك ،

فقالت : يا أبتاه قد جاءت الرسل من كل مكان ، وما جاءنا من مصر رسول ، ثم قصّت عليه ما رأته البارحه ، وأنه يقول : هو عزيز مصر ، فقال : يا بنية ، إن المحبة لا دواء لها إلا الوصال ، وأنا مرسل إلىٰ عزيز مصر عن خبرك ، وناظر بماذا يرجع المرسلون ، وكان عزيز مصر في ذلك الوقت (قواطيف) ، فكتب إليه يقول : إن لي ابنة لا تريد سواك ، وتزعم أنها قد رأتك في المنام ، فإن رغبت فيها أعطيتك معها ما تريد ، من التحف والأموال ، فكتب قواطيف في الجواب ، يقول : من أحبنا أحببناه ، ومن أرادنا أردناه ، ونحن لا نريد منكم سواه .

ثم إن والد زليخا زف زليخا إليه ، وزينها بأنواع الزينة ، وألبسها أحسن الحلل ، وأرسل معها ألف جارية ، وألف جمل يحملون الذهب والفضة والدرر والجوهر والياقوت والزبرجد ، وأربعون جمل يحملون الديباج والحرير الملون والخز والبز ، فلما دخلت زليخا مصر ، تلقاها قواطيف ماشياً حافياً ، وجميع أتباعه علىٰ يمينه وعلىٰ شماله ، راكبين الجياد والمرخّته ، وعبيده تفرش الفرش قدامه ، وتطويها من خلفه ، فقالت زليخا لدايتها ـ وهي معها في الهودج ـ : من هذا الذي يمشي علىٰ هذه الفرش ؟

فقالت لها : هذا عزيز مصر الذي زُففتِ من الغرب إليه ، وقطعت كل مرحلتين بمرحلة لشوق القدوم عليه ، فصاحت زليخا ، وضربت جبينها بمقدم المحمل ، حتى سال الدم إلىٰ الأرض ، وقالت : ما هذا الذي أردت وطلبت ، ولا هذا الغلام الذي رأيته في المنام ، فسمعت هاتف يقول : اصبري تظفري بمطلوبك ، ولا تظهري له سوء المحبة ، فإنه السبب في وصولك إلىٰ الغلام الذي رأيته في المنام .

قال صاحب الحديث : وكان قواطيف إذا نام إلىٰ جانب زليخا ينام

بينهما جنّيه ، فلم يصل إلىٰ زليخا ، ولم ينل منها غرض ، لأن الله تعالىٰ خلقها ليوسف ، فلما اشترى قواطيف يوسف ، وعرفته زليخا كتمت سرها ، وأخفت أمرها ، وصارت تكثر له الخدمة ، وتحسن له التربية ، فإن الملك قواطيف لو علم أن يوسف هو الذي رأته زليخا في المنام لفرق بينهما لا محالة ، وقواطيف لم يزل يتأمل في صباحة يوسف وملاحته ، حتى أخلى في شرائه خزائنه ، مع خزائن زليخا ، ولم يزل أيضاً يحرض زليخا علىٰ خدمته ، ويلبسه أفخر الثياب ، ويزينه أحسن الزينة .

قال صاحب الحديث : وحين ابتيع يوسف بوزنه من الذهب والفضة والجواهر واللآلئ ، لم يرتفع كفته من الأرض ، لنور النبوة الذي في جبينه ، وقد جعلت الخزائن في الكفة الأخرى ، فطفحت ، فقال قواطيف لمالك : هل لك أن تهبني هذا الغلام ، فقد أخلى الخزائن ، ولست أطيق أن أعادله ، فلما رأىٰ مالك كثرة المال أعجبه ، وقال : قد بعتك هذا الغلام بهذا المال ، فقال قواطيف : قبلت ذلك منك .

يا زينة الأيام هل فيك عودة ... ويا غاية الإحسان هل فيك مطمع
ويا مانح الأسرار عرّج بمهجتي ... فإن فؤآدي هائم فيك بلقع
فيا ليت شعري هل أرى من احبةٍ ... ويجمعنا بعد التباعد مجمع
فإن صدّ عني زاد قلبي صبابة ... على شجنٍ والعين مني تدمع
فرقوا لحالي واعطفوا وتحننوا ... ومنّوا بوصلٍ في الحشا تتقطع

قال صاحب الحديث : فاجتمع يوسف بزليخا ، وحصل ما كانت تتوقعه ، فقرّت عينها ، وسكن حنينها ، وانقطع أنينها ، وزاد سرورها ، وتفاقم حبورها ، وأنعم عيشها .

اجـتمع الحـبيب فـيالها مـن نـعمةٍ ... جـاد الزمـان وعـظّم الإحسـانا
أخـذ الهـوى بـمسامعي فأصمّها ... وغـدا فـؤادي فـي الهـوى ولهـانا
أمسـي وأصـبح هـائماً مـتولهاً ... والقلب في طرق الجوى حيرانـا
فعسى تصافحني وتصفح ما مضى ... وتجود بالوصل .... (١)
يـامن سـبا قـلبي وأسـهر نـاظري ... أنت العـدو فـلعل مـنك لسـانا
قـد طال مـا ولع الغـرام بـمهجتي ... يا ليت أحزاني ....
وإذا ذكـرت زمـان وصـلك واللـقا ... تـنهل مـن عـيني الدمـا غـدرانـا
شـوق إليكـم لا عـدمت وصـالكم ... يـا سـادة فـي مـهجتي سكـانا
إن جـدتم بـالوصل كـان بـفضلكم ... .

قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك مكنّا ليوسف** ﴾(٢) .

مكّنه من النبوة والملك والحكمة وتعبير الأحلام والمعجزة ، ومكّنه أيضاً من القلوب ، حتى سلها ، ومن الخزائن حتى ملكها ، ومن الرقاب حتى استنقذها .

قال صاحب الحديث : ولغات الخلق معدودة ، تسعمائة لغة ، وكان يوسف يفهمها كلها .

قال تعالىٰ ؛ ﴿ **ولما بلغ أشده** ﴾(٣) .

اختلفوا ، فقيل ما بين خمسة عشر إلىٰ ثلاثين سنة .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت**

---

(١) م ك : بياض .

(٢) سورة يوسف : ٥٦ .

(٣) سورة يوسف : ١٤ .

هيت لك قال معاذ الله إنه ربّي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾[1] .

قيل : أن زليخا في محبة يوسف نسيت كل شيءٍ سواه ، وكانت تسمي كل شيء عندها يوسف ، وفُصِدت يوماً ، فخط الدم في الأرض (يوسف) ، وإذا رنت بطرفها في السماء أو في الأرض ، أو في حائط ، أو هوى ، تخيل لها في جميع ذلك أنها لا تنظر إلا صورة يوسف ، وكانت لا تأكل الطعام شهوة ، ولا تنام إلّا لحظة ، ولا تقدر علىٰ فراقه ساعة ، ولا تفتر عن النظر إلىٰ وجهه ، فعلى الاتصال نظرها إليه شاخصاً ، وتاهت في صورته ، وافتتنت في خلقته ، ثم إن زليخا قالت : أليس أن العزيز قواطيف قال لي : اكرمي مثواه ، فأريد أن أبني له قصراً ، ما بُني علىٰ وجه الأرض مثله .

ثم إنها جمعت الحكماء والمهندسين وأرباب الخبرة ، وبنوا لها قصراً ذا أبواب ، من بلور وزجاج ، أرباعه من زمرد وفيروزج وعقيق ، وقضبانه من الذهب ، مربع مرصّع بالدرر والجواهر ، وأعين تماثيله من الياقوت الأحمر ، والتماثيل علىٰ صورة الطيور والوحوش والدواب ، وأرضيته مفروشة بلبن الفضة والذهب ، وسقوفه من السّاج المضروب بصفائح الذهب والفضة ، وأبوابه من الصندل والعاج ، ووضعت في جوانبه الكراسي المرصعة ، والاسرة المرصفة ، وعلى كل ناحية من الأبواب طاووس منقاره من عقيق ، ورأسه من زمرد ، وريشه من فيروزج ، وملأت بواطنه مسكاً ، ثم بنت في داخل هذا القصر بيتاً من قوارير ترى يوسف فيه حيث توجه ، من فوق ومن أسفل ، ومن يمين ، ومن شمال ، فلما تمّ ذلك وفرغت منه ، قالت لإحدى جواريها : إني قد غرقت في حبّ يوسف ، فادعيه لي ، وقد جاء يوسف وقد تزينت زليخا بكل زينة .

---

(١) سورة يوسف : ٢٣ .

تـــزينت الدنـــيا بكـــل مـــليحة وأوفت إلىٰ العشاقِ من كل جـانب
شـربنا عـلى ذكـر الحبيب مـدامـةً وأرخت عـلـينا سـابلات الذوائب
فـجارت عـلى أبـصارنا مـنه ظـلمةً .... [1]

ثم قالت زليخا : يا حبيبي ويا ريحانة قلبي هذا البيت بنيته لك ، ومـن أجلك ، فقال يوسف : يا زليخا ، ربي بنا لي بيتاً أحسن منه في الجنة ، قالت : يا يوسف أطعني فيما آمرك به ، قال : أخشىٰ أن يخسف الله بدارك الأرض ، قالت : يا يوسف ، ما أحسن صورتك ، فأعرض عنها وقال : الله صورني ، قالت : لِمَ تعرض عني ؟! ، قال : أريد رضاء ربي ، قالت : يا يوسف إن غضبَ ربُّكَ بسببي ، أبذل جميع خزائني كلها على عبيده حتى يرضى ، قال : يا زليخا ، ربي لا يقبل الرشوة في محارمه ، قالت : أنت تقول أنه يقبل مثقال ذرة من الخير ، قال : من المتقين .

﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾[2] .

اختُلِف في البرهان ، فقيل : طير وقع علىٰ كتفه ، وقال في أذنه : لا تفعل ، فإن فعلت سقطت من ديوان النبوة ، وقيل : أنه رأىٰ يعقوب عاض علىٰ إصبعه ، وقال غيرهما : أن زليخا لما همّت به غطّت وجه صنمها لئلا يـراهـا ، فـقال يوسف : إذا كنت أنتِ تستحين من صنم لا يسمع ولا يرى فكيف لا أستحي من ربي وهو يسمع ويرى ، وهذا هو البرهان الصادق .

﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ، واسـتبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك

---

(١) م ك : بياض .

(٢) سورة يوسف : ٢٤ .

سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾[١] .

فالتفت العزيز وقال ليوسف : هذا جزاي وقد أكرمت مثواك ، وعظمتك وعلى جميع الخلق اخترتك ، فقال يوسف : يا مولاي هي راودتني عن نفسي **﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾**[٢] .

وكان طفل لامرأةٍ من أهلها ، وهو ابن شهرين ، أودعته عندها ، ومضت لحاجتها ، فقال العزيز : كيف ينطق وهو طفل ، قال : سله فإنه ينطق بإذن الله فلما شهد الطفل بالقول المذكور في القرآن ـ يعني إن قدّ القميص من قدام فالذنب ذنب يوسف وإن قد من الخلف فالذنب لزليخا ـ قال : **﴿ إنه من كيدكنَّ إن كيدكنَّ عظيم ﴾**[٣] وصف الله عشرة أشياء في القرآن بصفة عظيم[٤] ، سمّى نفسه عظيماً ، وخُلق نبيه ﷺ ، وعرش بلقيس ، وسحر سحرة فرعون ، وكبش إسماعيل ، ويوم القيامة ، وزلزلة الساعة ، والشرك بالله وكيد النساء

قال صاحب الحديث : لما كبر الطفل كان وزيراً ليوسف ، وأكرمه يوسف لاسلامه وشهادته بالصدق وهو طفل . **﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾** يعني الستر على زليخا ، ولا تفضحها ، ولا تذكر قصتها ، ولا تهتك سرها في الحب .

ولما رأى العزيز ذلّ زليخا وانكسارها ، رقّ لها ، وامرها بالاستغفار ، وأمر يوسف بالستر عليها ، وأراد ـ والله أعلم ـ أنها تطلب من العزيز يعني نفسه أو من

---

(١) سورة يوسف : ٢٤ .

(٢) سورة يوسف : ٢٧ .

(٣) سورة يوسف : ٢٨ .

(٤) بل جاءت لفظة عظيم ٤٩ مرة ووصف به غير ما ذكر الشيخ أشياء كثيرة منها : العذاب (البقرة : ٧) والأجر (المائدة : ٩) وغير ذلك .

الصنم المغفرة ، والقصد إلىٰ توبتها عن مثل هذه الفعلة الشنعاء ، وإنما قلنا ذلك لأنه مع زليخا ، ممن يعبد الأصنام في ذلك الوقت ، أما عبادة زليخا ذلك الصنم فيقيني تظافر به النقل ، وأما العزيز فظنّي ، وإنما قنع العزيز باستغفارها مع ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء ، اتقاء لصدودها ، وتذكر لإحسانها وأموالها ، ومنصب أبيها ، وأيضاً فإنه يحبها حباً شديداً ، وعين الرضا والحب عن كل عيب عمياء .

﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾[١] .

يعني مدينة مصر ، **﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا ﴾**[٢] .

يعني أحرق العشق شغاف قلبها ، وشغاف القلب : جلدةٌ دقيقةٌ في وسط القلبِ ، وهو كناية عن وصول الحب في وسط القلب ، وحلوله فيه حلول القطب من الرحى ، **﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾**[٣] .

وكانت النسوة خمس وهُنَّ امرأة العزيز ، وامرأة السّجان ، وامرأة الحاجب ، وامرأة الساقي وامرأة صاحب طعام العزيز ومائدته .

وقالوا في الشغاف : أنه وسط القلب ، وأنه مكان الروح ، وأنه الدماغ ، وقيل المراد بالشغاف كل الجسد ، على معنىٰ ان الحب خالط جميع أجزاء الجسد وامتزاج باللحم ، ودخل العظم ، وجرىٰ في العروق والأعصاب ، وجميع أجزاء البدن ، والقلب والحشاء ، مجرى الدم في العروق ، وما ذكرنا أقرب لقواعد اللغة .

---

(١) سورة يوسف : ٣٠ .

(٢) سورة يوسف : ٣٠ .

(٣) سورة يوسف : ٣٠ .

﴿ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهنّ متكأً وآتت كل واحدة منهن سكينا ﴾[١] .

وزينت يوسف بأنواع الزينة ، وقالت : اخرج عليهن .

﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهن وقلْنَ حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾[٢] وفي قولهن (حاشا لله) دليل على أن قول العزيز ﴿ استغفري لذنبك ﴾[٣] الأمر بطلب المغفرة من الله ، وأن الذنب هو معصية الله ، وأنهم من قبل أن[٤] يظهر يوسف الأمر بالمعروف يعرفون الله ، مسلمون على دين إبراهيم واسحق ويعقوب والله أعلم .

أما زليخا فقد تظافر النقل أنها اذاك كافرة تعبد الأصنام ، ولم تسلم إلا بعدما تولّىٰ يوسف الملك والله أعلم .

قال صاحب الحديث : إن زليخا عملت لهن ضيافة وبسطت لهن بساطاً من الديباج المذهب ، وزينت بيتها بأنواع الزينة ، ونصبت كراسي مرصعة بالزمرد الأخضر ، والياقوت الأحمر ، مكلل بالذهب والفضة ، فقيل لها : أنهن يقعْنَ فيكِ بالغيبة وأنت تفعلين لأجلهن هذا كله ، قالت زليخا : نعم ، فإن في ذلك وإخراج يوسف بأنواع الحلل والزينة العذاب ، حتى يرونَه ، واحجبه عنهن ، وذلك العذاب فوق العذاب ثم إنها طرحت المساند ، وحشوهن ناعم من[٥] ريش النعام ، واستعملت لهن اللحم المدفون ، والبيض الملفوف ، وآتت

---

(١) سورة يوسف : ٣١ .

(٢) سورة يوسف : ٣١ .

(٣) سورة يوسف : ٢٩ .

(٤) م ك : ناقصة .

(٥) م ك : ساقطة .

لكل واحدة سكيناً لتقطيع الاترنج ، لتعمل لهن شرابَ الاترنج ، وعصير الرمان ، فلما دخلت النسوة ، امرت كل واحدة منهن [أن] تجلس على سرير ، ثم إنها أحضرت الاترنج والسكاكين ، وأمرتهن بتقطيعه ، وأقبلت على يوسف ، فزينته بكل زينة ، ووضعت التاج علىٰ رأسه ، والاكليل على جبينه ، والبسته قميصاً مكللاً بالياقوت والدرر ، ومنطقته بمنطقة ممّوه بالذهب ، وارسلت ذوائبه علىٰ كتفيه ، ثم قالت ليوسف : اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطّعْنَ أيديهن لدهشتهنّ من حسنه .

قيل : وللعادة في أمر عظيم ، ولذا قطعن النسوة أيديهن ، ولم تقطع زليخا يدها ، لأنها قد اعتادت من صغرها النظر إلىٰ يوسف دونهن .

ثم قالت زليخا ـ بعد أن حجبته عنهن ـ : **﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ﴾**[١] .

يعني يُنزع ما عليه من الثياب الفاخرة ، والنعمة الوافرة ، من المآكل اللذيذة ، والاشربة النفيسة ، فيسقط عن الأعين ، ويكون من المغضوبين عليهم ، وكل عبدٍ غضبَ عليه مولاه فهو ذليل صاغر حقير فقير ، نسأل الله الرضا والعفو عمّا مضى والتوفيق لما يحب ويرضى .

﴿ ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ﴾[٢] .

من قد القميص من خلف ، وكلام الطفل ، واقرار زليخا بأنها هي التي راودته فاستعصم عنها ، وشهادة النسوة أنه ملك كريم ، وليس فيه من صفات

---

(١) سورة يوسف : ٣٢ .

(٢) سورة يوسف : ٣٥ .

البشرية ، لما تفرسوا من شمايله من الحسن والعفة ، فهذه الآيات كلها شاهدة على عفة ذيله ، وطهارة نفسه ، وإنما سجن يوسف استجابة لدعوته ، حيث عذّب قلبه بمراوده تلك النسوة وغيرهن .

قال العزيز : قد صح عندي أن الذنب لها ، ولكن امنعه عنها بالسجن ، كيلا ينكشف سترها ، واحبسه كي أعذبها ، ولما دخل يوسف السجن ندمت زليخا حيث لا ينفع الندم ، وعيل صبرها .

طلبت أسلو هواك فزادني ... وقد عاد جسمي في هواك طريحا
وطول الليالي فيك أرعى نجومها ... ولي طرّفُ سهرانٍ وقلب جريحا
فياسؤل قلبي ثم يا نور ناظري ... ويا من له .... [1]

* * *

ولي جسد زاد انتحالاً معذب ... ولي عبرة تنهلّ من عظم شوقها
وجسمي علاه السقم من ألم الهوى
سلام علىٰ جسمي وإن طال هجره

﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾[2] .

هما غلاما[3] الملك ، أحدهما صاحب طعامه ، والآخر صاحب شرابه ، فقال الساقي : إنّي رأيت في المنام كأن الملك قد أخرجني من السجن ، ودعاني إلىٰ قصره ، فبينما أنا أدور في القصر ، وإذا بثلاث عناقيد من عنبٍ معلقاتٍ ، فقطعتها وعصرتها ، وجعلت الماء منهما في كأس ، وسقيته الملك ، وقال الآخر

---

(١) م ك : بياض .
(٢) سورة يوسف : ٣٦ .
(٣) م ك : غلامان .

ـ وهو كاذب في رؤياه ـ : وأنا رأيت كأن الملك قد أخرجني من السجن ، ودفع لي (طبليّة) ، وفيها خبزٌ ، فوضعتها علىٰ رأسي ، وقصدت موضع مرتفع ، والطيور تجيء وتأكل منها ، فقال يوسف للساقي : أما أنت فتخرج من السّجن بعد ثلاثة أيام ، وتسقي الملك شرابه ، وتعلو منزلتك عنده ، فاذكرني عنده ، وأما أنت يا صاحب الخبز ، فتخرج من السّجن ، وتصلب على خشبة مرتفعة على باب السجن ، وتأكل الطير من رأسك ، فصاح هذا وقال : بل أنا كذبت في رؤياي ، وشكر هذاك ، فقال يوسف : ﴿ **قضي الأمر الذي فيه تستفتيان** ﴾[1] ، فلمّا صلب صاحب الطعام على باب السجن ، جاءت طيور لم تر في مصر قبل ، وأكلت دماغ رأسه ، وكان يوسف يقول للساقي وصاحب الطعام بالغيب ، وقال لهما : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما** ﴾ فيخبرهما عن عدده ، وعن ألوانه ، فقالا له حين عرفوا صدقه : إنك لعليم ، قال : علمني ربي الذي يعلم السر وأخفىٰ ، ثم قال لهما بعد إبراز معجزته : ﴿ **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** ﴾[2] .

قال صاحب الحديث : فآمن السّاقي وحسن إسلامه ، وقال السّجان يوماً ليوسف : إني أحبك ، فقال يوسف : وما كنت في السّجن إلا من حب زليخا ، وما كنت في الجب إلا من حب يعقوب ، وما أحبني أحد إلا وقع عليه من محبتي بلاء عظيم ، أحبني أبي فأصابه ما أصابه ، وأحبتني زليخا فأصابها ما أصابها .

قال صاحب الحديث : فلما أُخرج الساقي من السجن ، وعلت منزلته

---

(١) سورة يوسف : ٤١ .

(٢) سورة يوسف : ٣٩ .

عند الملك ، أشغلته الدنيا عن يوسف ، ونزل جبريل وقال ليوسف : من الذي أخرجك من الجب وانجاك من إخوتك ، وعصمك من الفاحشة ؟ ، فقال : ربي ، فقال : كيف التجأت إلىٰ الساقي وقلت له يذكرك عند ربه الملك ، لابدّ أن تبقى بعدد حروف (اذكرني) في السجن ، وتزيد عليها بسنة ، فتمكث سبع سنين ، فبكى يوسف وقال : تبت إلىٰ ربي وله العتبى أن لا أعود لمثلها أبدا ، وأما لبثي في الحبس هذه المدة فلا أبالي إذا كان ربي عنّي راضي .

قيل : وكانت في السجن كوة يرى منها أهل مصر ، وهم لا يرون من في السجن لظلمته ، فنظر يوسف فيها الناس يوماً ، فعرف رجلاً ومعه ناقة من أرض كنعان ، فسأله يوسف عن الحزين يعقوب ، فأخبره أنت في بيت الأحزان من فراق ولده يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم .

إذا ما بدا من نحو أرضك خاطرٌ ... تسليت واستخبرت والقلب موجع
غريبٌ مشوقٌ موجع ببعادكم ... وكل غريبِ الدار بالشوق مولع
اسايل إلىٰ الركبان عند قدومهم ... عسى خبر من نحو حبيّ أسمع
وانشد أشواقي لكل متيّم ... فجسمي نحيل والسّهاد يدافع
إلىٰ نحوكم والعين تقطر دمعها ... وهل بعد تشتيت الزمان .....[1]
ترا يا أهيل الحيّ انظر إلىٰ الحماى ... وترجع شمس بالتواصل تطلع
وتاضي ليالي الوصل بعد ظلامها
ونشكو إلىٰ أحبابنا طول شوقنا ... .
ففرقّنا والدهر خان عهودنا ... وأضحت ديار الأنس بالهجر بلقع
فلا عجب إن طال شوقي وحسرتي ... على طيب أوقات مضت .....

---

(١) م ك : بياض .

علـيكم سـلام الله مـالاح بـارق ومـا زالت الشـمس المـنيرة تـطلع

قال الراوي : ثم إن الأعرابي دنا[١] من الكوة ، فقال يوسف : هل تعرف في أرض الشام في وادي كنعان شجرة باسقة لها اثنا عشر غصناً ، فقُطع منها غصنٌ واحدٌ فالشجرة حزينة عليه ، وكان ذلك الغصن عندها أحسن الأغصان ، فبكى الأعرابي وقال : هذه صفة يعقوب وأولاده ، فألقى عليه من ثيابه ياقوتة حمراء وقال : يا أعرابي خذ هذه ، وانتفع بثمنها علىٰ شرط أنك إذا جئت أرض كنعان تسأل عن بيت الأحزان واقصد يعقوب الحزين بن اسحق بن إبـراهـيم خليل الرحمن ، وقل له يا يعقوب ، غريب محبوس في سجن العزيز يقريك السلام .

كـتبت كـتابي نـحوكم بـصبابتي
أبثّ إليكـم مـالقيت مـن الوجـد
أشكـو بـعاداً وانـقطاعاً وذلةً
ووجـداً قـديماً نـلته عـلى البـعد
وأصـبحت مـن وجـدي هـين كآبةٍ
ولي مـدمع يـنهلّ مـني عـلى الخـد
وجـئنا إلىٰ مـصر وقـمنا بأرضـها
ليـالٍ قـلالٍ[٢] فـي سرور وفـي سـعد
وقـد صـرت عـبداً للـعزيز بأرضـها
مـتى يسـمح الرحـمن بـالوصل للـعبد

---

(١) م ك : دنى .

(٢) م ك : ليالي قلايل .

سـلام وتسـليم وعـفوٌ عـليكم
إلىٰ حين يمسي الصبّ في ظلمةِ اللحد

ثم إن الأعرابي سأله عن اسمه ، فلم يجبه ، فركب ناقته ، وتوجه إلىٰ نحو الشام ، وجاز أرض كنعان ، وصبر إلىٰ الليل ، وجاء منزل يعقوب ، ونادى : السلام على آل ابراهيم ، فأجابته (زينة) ، وقالت : وعليك السلام يا أخا العرب ، فما حاجتك ؟ ، فقال : يعقوب ، قالت : وما تريد من يعقوب إنه مشغول عنك وعن غيرك بما هون فيه من ألم الفراق ، فقال : أنا رسول غلام غريب محبوس في سجن عزيز مصر ، فقال يعقوب : يا فتى ، هل رأيت وجهه ؟ قال : لا ، ولكن سمعت صوته ، فقال يعقوب : سل حاجتك ، قال : مالي من حاجة ، فدعا له يعقوب وافترقا .

سقيم الهوى بين المخافة والرجا ... تداعى إليه الشوق من كل جانب
أبات بوجدي ثم اصحو بلوعتي ... وأكتم سراً من حبيب مجانب
واظهر للواشين عنه تجلدي ... وابدي لهم سلوان .... [1]
فصبراً على حلو الليالي ومرها ... كصبر النبي أيوب عند النوائب
عسى من قضى بالبعد والهجر بيننا
سلام على الأحباب أنى توجهوا ... .

ثم إنه لما مضى ليوسف بالسجن بضع سنين ، رأى الملكُ في منامه ، سبع بقراتٍ سمان يأكلهن سبعٌ عجاف ، وسبع سنبلات خضرٍ وأخر يابسات ، ثم إن الملك لما أصبح قال للمعبرين : افتوني في رؤياي ، فقالوا : ﴿ **أضغاث أحلام**

---

(١) م ك : ليالي قلايل .

وما نحن بتأويل الأحلام .... ﴾[١] ، فعند ذلك ذكر الساقي يوسف في السجن ، وخطر في باله قوله : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ ، فبكى ، فقال الملك له ما يبكيك ؟ ، فقال : أيها الملك ، هذه الرؤيا لا يعلم تأويلها إلا الغلام العبراني المحبوس في السجن منذ سنين ، وحكى للملك ما جرى له معه ، وإخباره بالمغيبات ، وأوصاني أن أذكر أمره عندك ، فنسيت سبع سنين ، وما ذكرت إلا هذه الساعة ، فقال الملك : اسأله عن رؤياي ، وائتني بما يقول ، فأتى الساقي السجنَ ، فسلم علىٰ يوسف ، واعتذر له من النسيان ، وقال : أيها الصدّيق أفتنا في سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، هذه الرؤيا قد رأها الملك في المنام ، وقد جئتك بأمره ، يطلب منك تأويلها وتعبيرها ، فقال يوسف : تأتي عليكم سبع سنين خصب ، ثم تأتي بعدها سبع سنين جذب ، يستغيث الناس فيها من الجوع ، ثم قال الملك : آتوني به استخلصه لنفسي ، فرجع الساقي إلىٰ يوسف وقال : يا مولاي قم إلىٰ الملك ، فإنه يدعوك ، فقال : لا ، حتى يسأل النسوة وفيهم زليخا عن جرمي ، وسبب سجني هذه المدة ، ليعرف الحقيقة ، فطلبهن الملك ، وهن ست نسوة ، ماتت ثلاث وبقي اثنتان[٢] وزليخا ، فقال الملك : ﴿ ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمن عليه من سوء ﴾[٣] ، قالت زليخا : ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾[٤] ، فجميع النسوة برأنه من السوء ، ثم إن الملك طلب يوسف إلىٰ عنده ، وقال : هذه خزائني بين يديك ، فاحكم فيها ما تريد ، وكيف

---

(١) سورة يوسف : ٤٤ .

(٢) م ك : اثنتين .

(٣) سورة يوسف : ٥١ .

(٤) سورة يوسف : ٥١ .

ما شئت ، ثم إن العزيز بقي في الدنيا بعد هذه الرؤيا مدة قليلة ، فمات وتولّىٰ يوسف الملك والخزائن ، وافتقرت زليخا ، وهرمت وعميت ، أما فقرها فإنها شغلها الشوق والغرام ، فلم تبالي في مالها ، ولم تدر من أخذه ومن اختلسه ، وأما هرمها فلقلة أكلها وشربها وتهاونها بنفسها ، فنحل جسمها ، وانسلى لحمها ، ودق عظمها ، وذهبت قوتها ، واحدودب ظهرها ، وتلقّص جلدها ، وليس الهرم بأكثر من هذا ، وأما عماها فلكثرة بكائها ، وانسكاب دموعها الحارة ، فقد قيل : إنها كانت منذ سجن يوسف وفارقها ، في كل ليلة حين يظلم الجو وتنقطع الرجل والحس ، تصعد فوق سطح قصرها بحيث لا ترى أحداً ، وتبكي إلىٰ الصباح ، وأما يوسف فقد اشتغل بالملك ونسي زليخا ، ولا يدري كيف هي ، ولا في أي مكان هي ، وقيل : إن زليخا هربت من قرب قصر يوسف خوفاً منه بما فعلت فيه من السجن ، وبقيت في بيت عجوز خمسة وعشرين سنة .

قال خلف المفسّر : فلما جلس يوسف على سرير الملك ، فرح بعدله كافة أهل مصر ، وأمر يوسف بعمارة البلدان في السنين الخصبة ، وبذل الخزائن لذلك ، فلم يتركوا مكاناً إلا زرعوه ، حتى زرعوا رؤوس الجبال وبطون الأودية ، وبنى يوسف البيوت العظيمة من الصخر الأملس ، عرض كل بيت مائة وستون ذراعاً ، وحصنها بالأبواب المحكمة ، وجعل عليها الأقفال والحرّاس ، وخزن فيها الزرع بسنبله .

قال الراوي : فمضت السنين الخصبة ، وجاءت السنين الجذبة ، وانقطع عنهم المطر سبع سنين متواية ، لاهبّ فيها هبوب ، ولا نبت فيها نبات أخضر ، وعم الغلاء والقحط أهل الشام وأرض كنعان ، ففي أول سنة اشترى

الناس الطعام من يوسف بالذهب والفضة ، وفي السنة الثانية بأمتعة البيوت الزائدة ، وفي السنة الثالثة بالحلي والحلل ، وفي السنة الرابعة بالدور والبيوت والأملاك والعقار ، وفي السنة الخامسة بالأولاد والأطفال ، وفي السنة السادسة باعوا أنفسهم وصاروا كلهم عبيداً ليوسف ، فأتاه الوحي من عند الله : يا يوسف ، كما زعموا أنك عبداً لهم صاروا كلهم عبيداً لك ، وفي السنة السابعة قدم إليه إخوته من أرض كنعان ، وكانت زليخا حين أصابتها الشدة ، بنت لها بيتاً على قارعة الطريق ، وكان يوسف إذا ركب في جحفله يركب عن يمينه مائة ألف ، ويركب عن شماله مائة ألف ، ومن خلفه مائة ألف ، ومعهم الحراب والسلاح ، ولا يمر بأحد إلا ويقول : أوتي يوسف ملك عظيم ، وكانت زليخا في كل يوم تشدُّ وسطها بحبل من الليف ، وتلبس جبه من الصوف ، وتقعد على قارعة الطريق ، وتنادي يوسف إذا سمعت إرهاج العسكر وضجّة الموكب ، فلم يسمع نداها ، فترجع إلى بيتها ، وهي باكية العين ، حزينة القلب ، وانشد الشاعر يقول :

ملكوا القلب والفؤاد وجاروا ... وابعدوني وقربوا الغير دوني
وارموا مهجتي بنبل جفاهم ... وبخلوا بالسلام واستسلموني
وبهم أضحى ... نظامي نحولاً ... وبهم زاد في هواهم جنوني
ولقد خضت في بحار هواهم ... واستحلوا دماي ولم يرحموني
ثم ناديتهم بصوت ضعيف ... وبهم استجرت فلم يقبلوني
داوني يا معللي يذكر قوم ... أي وقت ذكرتهم نسوني

قال صاحب الحديث : ثم إن زليخا أقبلت على صنمها وضربت به الأرض ، وكسّرته ، وأسلمت لله ، وآمنت ، وقالت : عسى يوسف يسمع بإسلامي ، فيعطف عليّ ، فجلست حين أصبحت على قارعة الطريق على

جاري عادتها ، فلما مرّ يوسف في عسكره نادت بأعلى صوتها : سبحان من جعل الملوك بقدرته عبيداً ، وسبحان من جعل العبيد بعزته ملوكاً ، فلم يجبها مجيب ، من إرهاج الجحفل ، فحمل الريح كلام زليخا وألقاه في مسامع يوسف ، فأخذ يوسف بلجام فرسه ، وعطف بعسكره على ناحية الصوت ، حتى وقف على زليخا ، وقال لها : من أنت يا أمة الله ؟ ، قالت : أنا التي اشتريتك باللآلىء والجواهر ، فقال : لعلك زليخا ، فقالت : نعم ، فقال : أين مالكِ ؟ ، وأين جمالكِ ؟ ، قالت : قد ذهب كل ذلك في عشقكَ ، قال : وهل أنتِ على ما كنت عليه من العشق ؟ ، قالت : كل يوم يزيد ولا ينقص ، قال : وما حاجتكِ الآن ؟ ، قالت : قد أسلمت لله رب العالمين ولك ، وأريد الحسن والجمال يرجع كما كان ، أريد الوصال ، فسكت يوسف ، ولوى عنان فرسه عنها ، فهبط جبريل ، وقال : يا يوسف ، ربك يقريك السلام ، ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول : أنت قلت لزليخا ماذا تريدين فلِمَ لويت عنان فرسك عنها ؟ ، فقال : ربي أعلم بذلك ، وكيف أقدر على ما طلبتْ ، وفي المثل السائر : إذا أردت أن تطاع فاطلب ما يُستطاع ، فصعد جبريل أسرع من طرفة عين ، ثم نزل وقال : يا يوسف ، ربك يقريك السلام ، ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول : قد زوجتك في السماء زليخا ، وأشهد على ذلك ملائكته ، فخذها إلى دارك ، فإنها كما كانت أول شبابها ، وما أحسن ما قال الشاعر :

فؤادي من يوم الفراق متيّم ... فكلمته جهراً فلا يتكلم
جفوني وما كان الجفا من فعالهم ... ولكن من يوم الفراق تعلموا
فما كان هجراً منهم عن ملالةٍ ... ولكن رأوني مغرماً فتحكموا

سلام على الأحباب أين ترحلوا فياليت شعري أين حلوا[١] وخيّموا
فلما تفرقنا بكيت بأدمعٍ غزارٍ ووجد الصب في القلب مؤلم
سلام وتسليم عليكم ورحمةٌ بكم قدْ ضا دهري وقد كان مظلم

قال صاحب الحديث : فقالت زليخا : كيف يكون الوصال ويوسف ما نظر إلىٰ حسنى وجمالي ، فكيف يلتفت إليّ ، وأنا في هذه الحالة ، وهو في هذه المرتبة ، ثم إن يوسف أركب زليخا ، وسار بها إلىٰ منزله ، فمسح جبريل زليخا بجناحه ، فأعاد الله حسنها وجمالها ، وألبسها حلةً من حلل الجنة ، ونقل المحبة التي كانت في قلبها إلىٰ يوسف ، وافتتنت زليخا بمحبة الله والدار الأخرة ، وسجدت لله شكراً ، علىٰ ما منحها وأعطاها وألهمها الله شريعة يوسف وأحكام الصلاة ، فقامت تصلي ركعتين ، واطالت في ركوعها وسجودها ، فلما انفكت من الصلاة قامت لتصلي ركعتين أخرى ، فتعلق بها يوسف ، وقال لها ، من أنا تعرفينني ؟! ، قالت : نعم ، أنت يوسف ، فقال ومن أنتِ ؟! ، قالت : زليخا ، فقال : من قد هذا القميص ؟ ، قالت : أنا ، ولكن سبحان الله من صيّر المعشوق عاشقاً ، والعاشق معشوقا ، فنهضت لتصلّي فتعلّق بها يوسف ، وهي تجاذبه ، حتىٰ قد قميصها ، فنزل الأمين جبريل ، وقال يا يوسف ، العلي الأعلى يقريك السلام ، ويخصّك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : قميصٌ بقميص ، ومحبة بمحبة ، وطلب بطلب ، وهرب بهرب ، فارفع العتاب عن زليخا ، واخبر زليخا أن رضاء الله في رضاء يوسف ، وطاعته في طاعته ، ففرحت زليخا ، واطمأنت ، وزاد الهنا والمسرة ، وأنشد الشاعر يقول : أفلح من يصلي على الرسول .

---

(١) م ك : غير واضحة .

ولما حضرنا للسرور بمجلسٍ أضاءت لنا من نور عينيك أنوار
وطافت علينا للمعارف خمرةٌ يطوف بها من جوهر العقد اخمار
تخامر أرباب العقول بلطفها أضاء لنا منها شموس وأقمار
تجمعت الأحبابُ وانقطع العنا ودارت لنا في الوصل كأس وأخبار

قال الراوي : فلما دخل يوسف بزليخا ونظر في محاسنها تعجّب وقال لها : ما هذه الصوره والجمال والبهاء والزّها ؟! ، فقالت زليخا : أنت ما رأيتني علىٰ هذه الصورة إلا هذه الساعة ، وقد كنت ... عمرك سنين ، فقال : ربّي يعلم أنّي ما ملأت عيني منك قط ، ثم إن يوسف هلّل الله وكبّر وحمده علىٰ فضله وشكر ، وانشد الشاعر يقول :

يا سادة سمح الزمان بوصلهم ووصالهم بعد البعاد شفاني
ولّى الفراق وجاد دهري باللقا فملكتُم روحي مع الجثمان
ولقد تمكن حبكم في مهجتي ....(١)
حتى تقضي هجركم يا سادتي ....
وعلى زمان الهجر مني وحشة ما غرّد الأطيار في أغصان

ثم إن يوسف رُزق من زليخا إثنا عشر ولداً ، وكانت زليخا تحب أهل الشام ، وتوصي بإكرامهم ، وكان لها في يعقوب وأولاده غرام كثير ، وكان بيت أحزان يعقوب علىٰ طريق مصر ، وكان أهل الشام والقوافل ينزلون عنده ، ولم تزل أهل الوفد يتذاكرون مجلس العزيز ويتعجبون من محبته وإكرامه لأهل الشام ، ويعقوب يسمعهم ويقول : السخاء والكرم من علامة العارفين ، ولو أن لي قوة لمضيت إليه في جملة القاصدين ،فاجتمعت عليه أولاده ، وقالوا : يا أبانا

---

(١) م ك : بياض .

قد فضّنا الجوع ، وأذهب أمتعتنا القحط والغلاء ، وضعفنا ، وذهبت قوانا ، وأنت منذ أربعين سنة ما كلمتنا ، ولا ابتسمت في وجوهنا ، ولا دعوت لنا ، ثم ضجّوا بالبكاء والنحيب ، قالوا : يا أبانا ، إن كنا عصيناك أو عصينا رب العالمين ، فقد اتينا تائبين طائعين ، وقد أصابنا ما أصاب الناس ، ولا حيلة نهتدي إليها ، ولا مشورة منك نعول عليها ، فقال يعقوب : يا أولادي ، ألا أدلكم علىٰ من عنده الجود والكرم ، وأثنت عليه الناس بمحاسن الشيم ، وجهه صبيح ، ودينه صحيح ، وعقله رجيح ، وأخلاقه سنيّة ، وأوصافه بهية ، فاقصدوه بهديّه ، فإنه جواد كريم، فقالوا : سمعنا بأوصافه ، ولكن يا أبانا ، نحن عراة حفاة ، ومالنا بضاعة تناسب حال عزيز مصر ، وقد رأينا الناس يحملون له الخز والبز والذهب والجواهر ، فقال يعقوب : إنه كما سمعت يقبل الشيء اليسير ، ويهب الجزيل الكثير ، فقالوا: يا أبانا ، ما وفدنا قط على الملوك ، فكيف نعمل إذا حضرنا بين يديه ؟ ، قال : إذا دخلتم عليه فلا تتكلموا إلا بإذنه ، فإذا وقفتم أو جلستم عنده ، فالزموا الأدب ، ولا تلتفتوا يميناً ولا شمالاً ، واحفظوا أدبكم يا بنيّ إذا دخلتم عليه وحضرتم بين يديه ، فلا تجلسوا إلا أن يأذن لكم ولا تستقبلوه بالكلام ، فإن الملك لا صديق له، والعافية لا قيمة لها ، ومن صاحب الملوك واساء المعرفة أسلمه الجهد للحرمان والقتل .

ثم إنهم جمعوا له بضاعة مزجاة ، قيل : إن بضاعة أولاد يعقوب كانت من صوف الغنم ، وخرجوا يجدّون المسير إلىٰ عزيز مصر ، وكان يوسف اتخذ شريعة إلىٰ جنب الجبل ، وبنى عليها جسراً من حديد ، ومنع الناس الدخول إلا منه ، ورصده بالحجّاب والبواب ، وأمر كبيرهم ومعه خمس مائة فارس أن يحبس الوافدين علىٰ باب الجسر ، حتىٰ يسأله عن قصتهم وبضاعتهم ، ومن أي

البلدان ، ويبعث إليه بخبره ، فإن أمر الملك بإدخالهم مصر عدّوه ، وإن نهاهم ردّوه ، فلما وصل أولاد يعقوب إلىٰ الجسر ، نظر إليها الحاجب ، وتعجّب من أجسامهم ، وحسن أشخاصهم ، وأمرهم بالجلوس ، ثم قال : من أنتم ؟ ، ومن أي البلاد ؟ ، وأين قصدكم ؟ ، وما حاجتكم ، فقالوا[١] : ولِمَ سألتنا عن ذلك ؟! ، قال : لأجل ذلك أجلسني الملك في هذا الموضع ، ولا يمكن أن يعبر أحدٌ إلىٰ مصر ، حتىٰ أسأله عن ذلك ، وأخبر الملك ، فإن أذن له بالدخول عبر ، ومن منعه رجع ، فقالوا : نحن من بلاد الشام ، من أرض وادي كنعان من أولاد يعقوب اسرائيل الله بن إسحق بن إبراهيم خليل الله ، فقال الحاجب : أنسابكم مليحة وأقوالكم فصيحة ، ووجوهكم صبيحة ، وأين قصدكم ، قالوا : قصدنا حضرت الملك ببضاعة مزجاة ، فقد أصابنا ما أصاب الناس ، عساه أن يتصدق علينا ، والله يجزي المتصدقين ، فقال ما بضاعتكم ، فنكسوا رؤوسهم حياءً من بضاعتهم ، فاعلموه بها ، فكتب الحاجب إلىٰ يوسف بذلك وأعلمه عن بضاعتهم وعن أسمائهم ، وشرح له أحوالهم ، وأنهم من أهل الشام ، من وادي كنعان ، فلما نظر يوسف الكتاب ، اغرورقت عيناه بالدموع ، وأذن لمن حوله بالخروج ، وفيهم وزيره ، وهو الطفل الذي شهد له بالبراءة ، ونطق بقد القميص ، فخرجوا جميعاً ، ولم يعلموا أي شيء أصاب يوسف ، وزاد عجبهم من هذا الكتاب ، وما كان مكتوباً فيه ، ثم أن يوسف نشر طيات الكتاب ، وجعل يشمه ويقرأه ، وهو يبكي ، حتىٰ غشي عليه من البكاء ، فلما أفاق سكن فؤاده فقد قيل : إن إخراج الدموع تسكّن حرارة القلب ، وتهوّن الخطب ، ولذلك كانت العرب تمنع نساء قتلاها وأقاربه عن البكاء وإخراج الدموع ، حتىٰ تأخذ بثارها من أعدائها .

---

(١) م ك : فقال .

ثم دعا يوسف بالقاصد ، فقال له : ومتى كان قدوم هؤلاء القوم ؟ ، فقال : يا مولاي ، منذ كذا وكذا ، فقال : فما لباسهم ؟ ، قال : ثياب رثة ، وهم قوم شعث ، ويذكرون أن لهم أباً شيخاً كبيراً في بيت الأحزان ، من أرض كنعان ، ولله در الشاعر حيث يقول :

يقولون لي ما بال وجهك أصفر فقلت لهم إن الفراق عتيد
ولو أنني أبديت من زفرة النيا قليلاً ....[1]
اقلب طرفي في الليالي ....

(١) النقص من المتن ، وإلىٰ هنا تنتهي قصة يوسف وهي ناقصة كما ترى .

خبر إنشقاق القمر

خبر انشقاق القمر معجزة سيد البشر نبينا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

الحمد لله الذي كبس الأرض على الماء وسد الهواء بالسماء واختار لنفسه أحسن الأسماء وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله النجباء .

عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما أنزل الله على نبيه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[١] .

جمع النبي ﷺ عمومته وأهله ، وقال لهم : قد جئتكم بخير الدنيا والآخره ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إلىٰ شهادة أن لا اله إلّا الله ، وأنى رسول الله ، فمن أجابنى فله الجنه ، ومن عصاني فله النار . فبلغ الخبر إلى ملوك قريش ، وأن محمداً أنذر أولاد عبد المطلب وخواصه ، وادعى أنه مرسل من عند الله ، وبشر من أطاعه بالجنة ، وحذر من عصاه[٢] بالنار ، فقال أبو جهل ـ لعنه الله ـ : فوحق اللات والعزى لأركبن غداً في جماعةٍ من قريش وسادات الحرم إلىٰ حبيب بن مالك العوفي ؛ نسأله أن يركب معنا إلىٰ الأبطح ، وأجمع أهل مكه ، وأُحضر بني هاشم ومحمداً ، فيناظره حبيب بن مالك وأنا أعلم أن محمداً ينقطع عند حبيب ، فإن حبيب قد تهوّد وتنصر وتمجس وما دين إلا

---

(١) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٢) م ك : اطاعه .

دخله ولا كتاب إلّا درسه ، فإذا تم الأمر لحبيب خلعت عليه وعلى قومه ، وبذلت[١] لهم الأموال ، وخَلّقت وجوههم بالمسك والعنبر .

قال أبو واثلة : فلما كان من الغداة ، ركب أشراف مكه ، وصناديد قريش وفيهم عمرو بن هشام ، وهو ذو جري في الكلام ، وساروا حتى نزلوا على حبيب ، فاستأذنوا عليه بالدخول ، فلما حضروا بين يديه ، وجدوه على سرير من الفضة ، منسوجة أطرافه بالذهب وعلى رأسه عمامةٌ حمراء ، وقد نصب التاج على رأسه ، والأكليل على جبينه ، وكان قد مضى من عمره اذ ذاك مائة وعشرون سنة ، فلما استقر بهم المجلس ، نظرهم فرحب بهم وقال : ما الذي أزعجكم من بلادكم ، وأرهجكم من أرضكم ؟ فوثب عمرو بن هشام على قدميه ، فقال : أيها السيد الكريم ، أنت تعلم أنه ما بقي للعباد غيرك ، ولا سيد في هذا الزمان سواك ، وقد أتيناك بجمعنا مستجيرين ، فإن بني هاشم أهل البيت والحرم ولهم الشرف الإقدم ، ونحن وأنت بذلك عارفين وغير منكرين ، ولكن ظهر فيهم يتيم مات أبوه وأمه ، كفله أبو طالب شيخ الأباطح عمه ، وهو قد سب آلهتنا ، ونفّر عن عبادة أصنامنا ، والآن ترقى وزاد نغمه ، حتى نطق بلسانه أنه نبي مرسل ، أرسله إلهه ، وقد نراه أحياناً يشخص ببصره إلىٰ السماء ، فنظن أنه قد طُرِق ، فنسأله عن ذلك ، فيقول : هذا جبريل قد نزل من ربي وربكم الجليل ، يأمرني بكذا او ينهاني عن كذا وما ركب عمرو بن هشام[٢] في السادات والأشراف إليك إلا لتركب إلىٰ أبطح مكة معنا ، فتحضر بنو هاشم محمداً ، وتناظره ، ونحن نعلم أنه ينقطع عند حجتك ، فإذا علت كلمتك تميل أشراف

---

(١) م ك : وابذلت .

(٢) م ك : السيد أبو جهل ؟!

قريش من ذؤبان العرب علىٰ بني هاشم ونرغم الأنف ونأخذ محمداً وننصر آلهتنا .

فلما سمع حبيب أنعم لهم بالركوب معهم ، وأمر عمرو بن هشام بالجلوس وأحضر لأبي جهل وأصحابه بالموائد والأطعمة .

فلما بلج الصباح نادى منادي حبيب ، فاجتمع عليه أربعين ألف فارس ، وركب من حينه معهم في قومه وعشيرته الأبطح المضارب وأقبلت عليهم القبائل من كل فج ، حتى ضاق الأبطح وضُب لحبيبٍ مضرب من الديباج الأخضر ، وطرح فيه كرسي من الذهب وعكفت كبار الأشراف وأعيان القبائل وأعاظم السادات حوله قياماً وجلوساً ، هذا كله وأبو جهل مشغول بإحشاد قبائل العرب ومراسيله تدعوهم إلىٰ حبيب بن مالك وهم يأتون إليه من كل جانب ، حتى تكاملوا ، وتراجعت المراسيل قام أبو جهل بين يدي حبيب وقال : أيها السيد الكريم إنه لم يتخلّف عن المجيء إلىٰ خدمتك إلا بنو هاشم ، فامره بأحضار ساداتهم بني عبد المطلب أبو طالب وإخوته .

فأمر حبيب أربعين سيداً من عشيرته وقومه من أهل الرايات والتقدمه أن يهجموا دار أبي طالب شيخ الأباطح ، ويسألونه المجيء مع إخوته وأعيان بني هاشم إلىٰ الأبطح فطرقوا على أبي طالب الباب فأمر بفتحه فإذا هو بالسادات ، فقال : هل من حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى ؟ قال : نعم ، إن السيد حبيب بن مالك قد قدم إلىٰ الأبطح في العشائر ، وهو يدعوك وإخوتك وأعيان بني هاشم إلىٰ حضرته ، فال : حباً وكرامة والسمع والطاعة ، إرجعوا إليه وأعلموه أني قادم بهم عليه في الاثر .

ثم إن أبا طالب لبس أفخر الثياب ، وجمع إخوته وأهل بيته ، وأحدق[١] به بنو هاشم شاكين الأسلحة على أنقى الثياب ، ولم يتخلف إلا علي بن أبي طالب لأنه لا يفارق النبي ﷺ فجعل بنو هاشم يخترقون الصفوف في الأبطح ، والعرب تنحاز عنهم توسع لهم في الطريق ، لما عرفوا من شرفهم فهم خير أولاد إبراهيم واخل أولاد إسماعيل فقدموا علىٰ حبيب ، فسلّموا عليه ، وجلسوا بين يديه ، فتطاولت إليهم الأعناق ، وشخصت إليهم الأبصار وانصت الناس ، واصغوا لما يجري لحبيب مع أبي طالب من الكلام فابتدأ حبيب بالخطاب فقال : يا أبا طالب إن العرب لا ينكرون فضل بني هاشم ، ولكن أهل الكعبة ورؤساء الصفا يشكون غلاماً نشأ فيكم يزعم أنه نبي مرسل مبعوث ولم يزل يسب آلهتهم ، ولابد لكل من ادعى النبوة من معجزةٍ واضحة ودلالة لائحة ، وقد كان يجب على الغلام أن يظهر بينة تدل على دعواه فإذا نظرت العرب إلىٰ معجزته ؛ صدقوا قوله ، وعرفوا رشده ، وإن كان مجنوناً كما زعموا تأخذوا بيده وتردوه عن قوله وفعله ، واعلموا أن الأعراب لا يتركون قتله إلا إتقاء الفتنه وسفك الدماء ، وإنما يحفظوا شرفكم وعلو شأنكم ، فأنتم مشايخ مكة والبطحاء وسادات أولاد إبراهيم وإسماعيل ، أفرأيتم لو نشأ رجل في غيركم وسب الهتكم ونهاكم عن عبادتهم ؛ ما كنتم ترون قتله إلا فرصة وفرض ، فيجب عليكم أن ترضوا للناس ما ترضوه لأنفسكم فقال أبو طالب : أيها السيد ، إن هذا الغلام لم يأتِ إلىٰ هؤلاء القوم ولم يحملهم كرهاً على دينه ، وإنما قال لأهله وعشيرته الأقربين : أنتم أهلي وقد جئتكم بخير الدنيا والآخره وأنا أدعوكم إلىٰ رب العباد ، وخالق الأبيض والأسود ومكون الليل والنهار ومدبر الشمس والقمر ،

---

(١) م ك : أحدقوا .

وبعد ذلك اسألهم أيها السيد هل عرفوا من هذا الغلام ـ في مدة عمره ـ كذباً قط وعن حيائه وشمائل أفعاله ، فالتفت حبيب إلىٰ من حوله ، فقالوا : أيها السيد ، أطوار هذا الغلام لم تزل مرضية ولا عرفنا منه إلا الصدق حتىٰ أتى بهذا الامر الذي لا تستطيع النفوس أن تسمعه ولا تقوى القلوب أن تهضمه .

ثم إن حبيب قال : يا أبا طالب ، أحب أن أنظر إلىٰ هذا الغلام ، وأسمع حجته فقال أبو طالب : وجه حاجتك إليه ، فإنه في دار الخيزران من شعب بني عبد المطلب في منزل زوجته خديجة بنت خويلد فادعه وقل له : أبو طالب عمك وسائر عمومتك يدعونكَ ، وهم في الأبطح ، في مجلس حبيب ، فإنه يأتي ولا يكل عن خطاب ، ولا يعجز عن رد جواب .

قال الراوي : فعند ذلك هبط الأمين جبرئيل من عند الملك الجليل ، وكان إذا هبط يقف بين السماء والأرض ، فيرتعد الرسول محمد ﷺ عند نظره اليه ، ويعرق جبينه لأنه يرى امراً مهولاً من خلقة جبرئيل فإنه ينزل عليه في الصورة التي خلقه الله عليها ، له ألف رأس وألف جناح في كل رأس وجه وفم ولسان ، فقال النبي ﷺ : يا أخي جبرئيل أليس تقدر أن تنزل علي في غير هذه الصوره ، فقال : يا محمد اسأل ربك في أي صورة شئت أهبط بها عليك ، فمد النبي ﷺ يده وشخص بطرفه ووجهه إلىٰ السماء وقال : اللهم بحقي عليك أن تنزل عليّ جبرئيل في صورة (دحية الكلبي) وكان دحيه هذا أجمل أهل زمانه صورةً وأنورهم وجهاً فقال جبرئيل : السلام عليك يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك ولا أشرف وهذا رسول حبيب بن مالك العوفي مع عمومتك وأشراف العرب بالأبطح سيقدم إليك يدعوك فاحضر ولا تفزع فإنا معك إني أنا الله لا إله

إلّا أنا ديان الدين ، أنا جبار من في السموات والأرض ، وعزتي وجلالي ، لأجعلن لك اليوم مع حبيب معجزةً يعلو شأنك بها ، واعلم يا محمد أنه قدم بابنته الأبطح ، وقد خلقت لا يدان ولا رجلان ، ولا سمع ولا بصر ، لا يعلم بذلك غيره ، وقد كتب كتابها على ابن العباس من سادات عشيرته ، وسأله أن يزفها إليه ، وهو لا يعلم ماهي وكيف هي ، وحبيب يدافعه ويقول في نفسه : لعلي أسافر إلىٰ[1] مكة ، فاحملها إلىٰ الكعبة ، أطوف بها حول البيت الحرام ، واسأل رب إبراهيم وإسماعيل أن يدفع عنها الأسقام ويعافيها من هذا البلاء وقد عزم في نفسه أن يعجزك ويقول : يا محمد إن كنت نبياً حقاً ، ورسولاً صدقاً ، فاسأل إلهك عن أمرها ، وماهي ، وأن يجعلها بشراً سوياً ، ويرد عليها سمعها وبصرها ، ويخلق لها يدين ورجلين ، ويطلب منك أيضاً معجزة ستسمعها ، فأوعده بفعل جميع ذلك ، فإنه[2] سيكون ، وأمري بين الكاف والنون .

فتأهب النبي ﷺ لذلك ، وفرح فرحاً شديداً ، وكان عنده قميص آدم ، ورداء شيث ، وعمامة إسماعيل ، وحلة إبراهيم ونعل شيث تنتقل من نبي إلىٰ نبي فأحضرها ولبسها ، فإذا حاجب حبيب يطرق الباب ، فخرج النبي ﷺ مع علي عليه السلام في أصحابه ، وهو كالقمر بين النجوم ، فرجف قلب الحاجب ، وخفق فؤاده من هيبة النبي ﷺ ، فأخذ يده فقبلها وقال : يا سيد عبد مناف ، وخير من سعى وطاف وبلّغه الرساله ، فقال رسول الله : حباً وكرامة ، تقدّم إلى أبي طالب وحبيب ، اخبرهما أني واصل على إثرك ، فركب الحاجب جواده ، وأسرع إلىٰ الأبطح ، فبلغ حشر العرب وأحشادهم على حبيب في قلبه ، فنزل جبرئيل علىٰ

(١) م ك : اسفر .

(٢) م ك : فإن .

الصورة التي خلقها الله فيها ، وبيده حربة الحنف ، لها سبعون شعبة بالمشرق وسبعون شعبة بالمغرب ، ومعه ثلاثة آلاف من الملائكة محدقين ، في أيديهم حربات من نار ، لو رآها أهل الدنيا لصعقوا ، فسلّمت على الرسول ، وقالوا : هانحن جنود الله وجنودك ، مرنا بأمرك ، فقد أمرنا بطاعتك ، ومشوا جميعهم صفوفاً خلفه وقدامه ، فتهلل وجه رسول الله ﷺ فرحاً وسروراً ، وجبرئيل ينادي : السلام عليك يا محمد ، يا أكرم مولود يدعى إلىٰ خير معبود ، العلي الأعلى يقول : لا تفزع ، ولا تجزع ، وأنا معك عن يمينك وعن شمالك ، ومن بين يديك ، ومن خلفك ، اسمع وأرى ، وأنا البصير الأعلى ، اسمع حسيس النملة السوداء في الليلة الظلماء ، فسار رسول الله ﷺ وهو يقول : يا دليلي حيث لا دليل ، ويا مجيري حيث لا مجير ، وللملائكة ضجيج بالتهليل والتكبير والتقديس والثناء علىٰ رب العالمين ، حتى قدم في أصحابه المسلمين الأبطح ، فانحازت عن طريقه العرب ، وقد تطاولت إليه الأعناق وشخصت إليه الأبصار ، فعند ذلك قام أبو جهل بين يدي حبيب بن مالك العوفي ، وهو يقول :

حبيب اعنّا وافصل الأمر بيننا ... من الساحر الكذّاب من آل غالبِ
أيا مالكاً أنت الكريم عندنا ... وأنت لدينا في أجل المراتبِ
وإلّا فإنّا سوف تضنى رجالنا ... وتضحى صراعاً في بقيع السباسبِ

فأجابه أبو طالب :

من ذا يضاهي أحمداً غيث الورى ... شمس الضحى خير عجم وعاربِ
نبيّ إله الخلق والصادق الذي ... قد اصطفاه الله من آل غالبِ
أبا جهل اقصر ما السباب من الحجى ... وما الحرُّ قطُّ على اللئيم بعاتبِ
سلاح النسا شتم وسب وغيلة ... ولسنا نرى غير القنا والقواضبِ

قال صاحب الحديث : فبينما هما كذلك في مشاجرةٍ ورد خطابٍ وجواب ، إذ أقبل النبي ﷺ فقام حبيب علىٰ قدميه ، وقام كل جالس ، وترجرج كل قائم ، فلما وقعت عين حبيب على نور وجه النبي ﷺ ؛ أوقع الله الهيبة في قلبه والرعب قد دب في قلوب سائر العرب والأشراف ، ولزم الناس السكوت والوقار وتطاولت الأعناق إلىٰ استماع حجاج حبيب مع[1] رسول الله ﷺ فلا متكلم يتكلم ، ولا ناطق ينطق ، ولا نفس يعلو ولا بعير يرغو ، ولا فرس يصهل ، ثم إن حبيب ابتدأ وقال : يا أبا القاسم ، هؤلاء الأشياخ ذكروا أنك تقول أنك نبي حق ورسول صدق أرسلك رب العباد إلىٰ الحضر والباد ، وإلىٰ الأسود والأبيض ، فقال : نعم يا حبيب ، أنا عبد الله ورسوله ، أرسلني رب العالمين بالهدى ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب : يا محمد ، لكل نبي حجة ولكل رسول بينة خارقة واضحة لائحة ، هذا موسى وعصاه وآياته العشر وقد فلق البحر ، وانبع الماء اثنا عشر عيناً من الحجر ، وأنزل المن والسلوى أربعين سنة ، وأغرق فرعون وجنوده ، وهذا إبراهيم كانت النار عليه برداً وسلاماً ، وهذا داؤد ألان الله له الحديد ، وصنع السابغات ، وأوبت معه الجبال ، وهذا سليمان وملكه على الجن والوحش والسباع والإنس ، هذا خاتمه وهذا بساطه ، غدوها شهر ، ورواحها شهر ، وقد أحضر عرش بلقيس وعنده منطق الطير ، وهذا عيسى بن مريم أحيى الموتىٰ وأبرأ الأكمه والأبرص ، ونطق في المهد وأنت تزعم أنك نبي مرسل مثلهم فإن صدقت ، فادعوا إلهك ، واسأل ربك أن يجعل ليلتنا هذه المقبلة ليلة مظلمة مدلهمة بالسواد الحالك المعتم ، ثم تقوم على جبل أبي قبيس وتنادي القمر وهو في السماء ـ وأتفق أن الليلة

---

(١) م ك : ساقطة .

المسؤول فيها انشقاق القمر، ليلة أربعة عشر من الشهر ـ ثم يخر هاوياً إلىٰ الأرض يركض من مطلعه إلىٰ الكعبة، فيطوف بها حولها سبعة أشواط، ثم يحط، ويلصق الأرض قدام الكعبة سويعة، ثم ينفصل عن سطح الأرض، ويرجع إليك وأنت مكانك على جبل أبي قبيس، ويقابل صدرك، فيقف تجاهه، والقمر أخفظ من قامتك، وأنت أعلى منه بمساحة رأسك وعنقك، ويستقرّ سويعة منفصلاً عنك، ثم ينادي القمر بصوت عربي مبين، لا يشكل عليه أسود ولا أبيض من هؤلاء العرب، ولا يستعجم عليه قاصي من أهل مكة ولا داني ممن حضر الواقعة، ويشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ويشهد لك يا محمد بأنك عبده ورسوله، أرسلك بالهدىٰ ودين الحق كما زعمت، ثم بعد هذا كله يدخل القمر في جيبك، ويخرج نصفه علىٰ السواء من كمك الأيمن، ونصفه الأخرى من كمك الأيسر، ويمضي هذا النصف إلىٰ قرار المشرق وهذا إلىٰ قرار طرف المغرب ثم يركض النصفان في كبد السماء حتىٰ يتلاقيا في وسط السماء، ويلتئما[1] ويتصلا، ويصيرا قمراً واحداً، إلىٰ قراره ومكانه الذي كان عليه وخرّ من أول الأمر منه، وبعد ذلك فأنت رسول حق، ونبي صدق، فإذا كان ذلك، آمنا بك وصدقناك.

قال صاحب الحديث: فوثب أبو جهل ـ لعنه الله ـ ووقف بين يدي حبيب، وقال: لا فُضّ فوك يا حبيب، لقد فرّحت القلوب، وفي ذلك آية للسائلين، فتبسم النبي ﷺ، وقال: فها أنا بإذن الله وقدرته فاعلاً ما طلبت، فهل تريد شيئاً غير هذا معه يا حبيب؟، فقال: في فعل هذا معجزة كافية، فقام رسول الله ﷺ، فقام حبيب ومن حضر لقيامه، فتخطى رقاب العرب، وعلي

(١) م ك: يلتئمان.

بن أبي طالب يطرد الناس من قدامه ، فقال أبو جهل : إن محمداً ما بقي يخرج من منزله ، ولا بقي يظهر أصحابه بعد هذا اليوم ، فلما استقر النبي ﷺ في محرابه ، وغربت الشمس ، وأقبل الليل ، صلى المغرب والعشاء بأصحابه ، ثم رفع طرفه إلىٰ السماء ، وقال : وعدك وعدك يامن لا يخلف الميعاد ، فهبط جبرئيل ، وقال يا محمد ، العلي الأعلىٰ يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول : وعزتي وجلالي ، لو سألتني أن أطبق السموات علىٰ الأرض لفعلت ، قد أمرت القمر لك بالطاعة ، وقد أمرني ربي إن خالفك القمر محوته من مرتبته ، وأخسف بنوره ، فسجد رسول الله ﷺ لله شكراً ، وتلألأ وجهه فرحاً وسروراً ، ولم تزل بنو هاشم يتعاقبون إلىٰ دار النبي ﷺ وأقبل العباس على أبي طالب ، وقال : يا أخي أيقدر محمد يفعل ما سأله حبيب فأجابه أبو طالب يقول : أفلح من يصلي علىٰ الرسول .

ألا ليت علمي عن حبيبي محمدٍ ... أتى لحبيبٍ بالذي هو سائله
فإن تم ما أرجو سموت بمفخرٍ ... يطول علىٰ طول الجديدين طائله
وظنيّ بأن لا يخلف الله وعده ... وما كان من أمرٍ فتأتي دلائله
فإن نظروا البرهان والأمر كاين ... وسيدنا في ظلمةِ الليل فاعله
اطول على أكبر قريش وأعتلي ... بفخرٍ جليل ليس تُحصى فضائله

فهتف هاتف يقول :

أبو طالب أبشر بخير مقمّمٍ ... يطول على مرّ الجديدين طائله
ستعلم أن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله تعلو فضائله
نبي أتى بالرشد من عند ربه ... بشير أتى للناس والله كافله
ويخزي أبو جهل ومن كان حوله ... ويبطل من قول المكذّب باطله

قال صاحب الحديث : فانفصل رسول الله ﷺ عن بني هاشم وعمومته بني عبد المطلب ، بعد أن طاف البيت الحرام ، وسار معه إلىٰ عند الجبل أربعة نفر ، أبو طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، فاجتمع الأربعة على قمة جبل أبي قبيس ، وانفصل عنهم رسول الله ﷺ ووقف قدامهم ، ورفع طرفه إلىٰ السماء وقال : يامن لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، أنت تعلم ما سألوا فانجز لي يامن لا يخلف الميعاد ، فما أتم النبي ﷺ ، حتىٰ أمر الله الملك الموكل بالظلمة أن يخرج مثل خرم الإبره ، فاسود المغرب ، وادلهم الظلام وعم الآفاق ، حتى انطمست أنوار السرج من غشيان الظلمة ، فعند ذلك نادى حبيب بن مالك : حسبك حسبك يا محمد ، ناد القمر كما ذكرنا ، وكان حبيب وأبو جهل وسادات العرب وذؤبانها قد احاطوا بالجبل قد امتدت إلىٰ رسول الله أعناقهم ، وحدّقوا إليه أبصارهم ، فعند ذلك نادى النبي ﷺ بأعلى صوته : أيها القمر المنير ، المتردد في فلك التدبير ، اخرج الوديعة التي منك بحق الذي خلقك ، وأحسن صورتك ، فما أتم النبي ﷺ كلامه ، حتىٰ خر القمر يركض ، فازدحمت الناس حول الكعبة ينظرون إلىٰ القمر ، ثم طاف ورجع إلىٰ النبي ، فرجعت الناس إلىٰ الجبل ، إلىٰ عند النبي ﷺ ، وفعل القمر علىٰ طبق ما اقترح حبيب ـ ومافي الإعادة من فائدة ـ فقال أبو جهل ـ لعنه الله ـ إن هذا إلا سحر مبين ، وأسلم في تلك الساعة خلق كثير من سادات قريش ، وقامت حجة النبي ﷺ ، وجعل بنو هاشم يسعون بين يديه ، وقد تلألأ وجه رسول الله ﷺ فرحاً وسروراً ، وقال الناس : وحق البيت والحرام وزمزم والمقام ، ما نظرنا مثل هذا المعجز ، ولقد كادت القلوب أن تتصدع والنفوس تزعزع ، ثم إن أبا طالب أنشأ يقول :

ألم تــرَ أن الله جــلّ جــلاله أتــانا بــبرهان عــلىٰ يــد مــحمدِ
وأبــدى ظــلاماً حــالكاً فــتعمّيت عيون الورى في كل عون ومنجد[١]
وأقــبل بــدر التــمّ مــن بــعدِ ظــلمةٍ إلىٰ أن عــلا فــوق الحــطيم بــمقعدِ
وطــاف بــبيت الله ســبعاً وبــعده قد خرّ أمام البيت في خــير مســجدِ
وســار إلىٰ أعــلى قــبيس مسلّماً وأكــرم بــفضل الهــاشمي مــحمدِ
وقد غاب بدر التمّ في وسط جيبه وفي ذيله أهوى على رغم ملحد[٢]
وعاينته في الأفــق يــركض راكــضاً مــبيناً بــتقدير العــزيز المــوحدِ[٣]

وقال صاحب الحديث :

فلما أصبح الصباح ، خرج النبي ﷺ ، وأتى إلىٰ حبيب بن مالك ، وقال : يا حبيب ، تقول معي لا إله إلا الله ، وتشهد أني رسول الله ، قال حبيب ما أقولها إلا على شرط أشرطه عليك ، فتبسم النبي ﷺ ، وقال : يا حبيب تريد أن تسألني عن إبنتك التي لا يدان لها ولا رجلان ولا سمع ولا بصر ، التي في الهودج ، قال : ومن أعلمك بها ، ومن أطلعك عليها ، وما اطّلع عليها أحد غيري ؟! ، قال النبي ﷺ : أعلمني بها علّا الغيوب ، رب العالمين ، فقال : تقدر أن تسأل إلهك أن يجعلها خلقاً سوياً فقال النبي ﷺ : ربي يعلم السر وأخفى ، ويحيِ العظام وهي رميم ، قال حبيب : إن ردها إلهك آمنت بك ، وأسلمت على يديك ، فأوحى الله تعالىٰ إلى محمد ﷺ أن يرسل إلىٰ الجارية ، ويجعلها بين يديه ، ويغطيها بعباءةٍ غزلُ تلك العباءة من كبش إسماعيل الذي افتدى به ،

---

(١) م ك : منجدي .

(٢) م ك : ملحدي .

(٣) م ك : المموحدي .

وناداها : يا أيها النطفة المخلوقة من ماء مهين ، التي لا تسمع الكلام ، ولا ترد الجواب ، ارجعي خلقاً سوياً بقدرة من يقول للشيء كن فيكون ، فما أتم النبي ﷺ كلامه حتى قامت الجارية خلقاً سوياً مثل الشمس ، وهي تنادي : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك محمد عبده ورسوله ، فتعجب الناس من ذلك ، وأسلم حبيب وقومه وجماعة من قريش ، وأقرّ الله عين نبيه بالنصر وأخزىٰ أبو جهل ومن تبعه . تم الخبر : خبر انشقاق القمر ، معجزة النبي ﷺ ، ولعن الله من جحد وكفر والحمد لله وحده .

دعاء الجوشن

حدَّث أبو أمامة عن جعفر الصادق عليه السلام، قال : ألا أعلمك سرّاً من أسرار الله ، نزل جبرئيل ، يوم أحد ، وكان يوماً شديد الحرّ ، وكان عليه صلى الله عليه وآله يومئذٍ جوشن ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد ، السلام يخصّك بالسلام ، ويقول لك : اخلع هذا الجوشن[1] ، واقرأ هذا الدعاء ، وعلّمه الدعاء المشهور (بدعاء الجوشن) ، وهو عشرة فصول ، كل فصل عشرة أسماء ، وفصل أحد عشر اسماً ، فقد اشتمل علىٰ ألف اسم واسم ، وبين كل فصلين يالله سبحانك لا إله إلا أنت ، الغوث الغوث ، خلّصنا من النار بعفوك ، يا عزيز يا غفّار يا ربّ يا ربّ ، وبعد الفصول العشرة ، أسألك بحق هذه الاسماء الكريمة ، وبحق كل اسم هو لك ، سمّيت به نفسك ، وأنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، وأسألك بحق اسمك العظيم الأعظم ، الذي إذا دعيت به أجبت ، وإذا سُئلت به أعطيت ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، أسألك أن تصلي علىٰ محمدٍ وآل محمد ، وأن تجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل عسرٍ يسرا ، ومن كل فاحشةٍ سترا ، وإلىٰ كل خير سبيل ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، واسألك ايماناً دائماً ، وقلباً خاشعاً ، وعلماً نافعاً ، ويقيناً صادقاً ، وديناً قيّماً ، دين محمد صلى الله عليه وآله ، اللهم إني أعوذ بك من عقابك ، وأعوذ بك منك ، جل ثناؤك ، وتقدست أسماؤكَ ، ولا إله غيركَ ، ولا

---

(١) فإنك إذا قرأته أو حملته يكون أعظم نفعاً من الجوشن الذي علىٰ جسدك . منه رحمه الله .

ربِّ سواكَ ، ربي ارحمني وارحم والدي وولدي ، ومن كان منّي بسبيل من المؤمنين والمؤمنات الأحياء والأموات إنك رحيم قريب مجيب الدعوات ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

وما مِنْ كاتِبٍ إلا سيفْنَى ويبقى رهن ما كسبتْ يداهُ
فلا تكتبْ بخطِّكَ غيرَ شيءٍ يسرّكَ في القيامةِ أن تراهُ

الزيارات

إذا أردت زيارة مقامٍ مبجّل فتوضأ ، وقل : السلام علىٰ آدم صفوة الله ، السلام على حوّا أمة الله ورحمته ، السلام علىٰ شيث ولي الله وخيرته ، السلام علىٰ إدريس القائم لله بحجته ، السلام علىٰ نوحٍ المجاب في دعوته ، السلام علىٰ صالح الذي توجّه لله بتاج كرامته ، السلام علىٰ إبراهيم الذي حباه الله سبحانه بخلّته ، السلام علىٰ إسماعيل الذي فداه الله بذبحٍ عظيمٍ من جنّته ، السلام علىٰ إسحاق الذي جعل الله النبوة في ذريته ، السلام علىٰ يعقوب الذي ردّ الله عليه بصره برحمته ، السلام علىٰ يوسف الذي نجّاه الله من الجبّ بعظمته، السلام علىٰ موسى الذي فلق الله له البحر بقدرته ، السلام علىٰ هارون الذي خصّه الله بنبوته ، السلام علىٰ شعيب الذي نصره الله على أمته ، السلام علىٰ داوود الذي تاب الله عليه بعد خطيته ، السلام علىٰ سليمان الذي ذلّت له الانس والجن بعزّته ، السلام علىٰ أيوب الذي شفاه الله من علّته ، السلام علىٰ يونس الذي أنجز الله له مضمون دعوته ، السلام علىٰ العزيز الذي أحياه الله بعد موته ، السلام علىٰ لوطٍ الذي نجّاه الله من أمته ، السلام علىٰ إلياس الذي أكرمه الله برسالته ، السلام علىٰ اليسع وذي الكفل اللذين جعل الله لهما كفلين من رحمته ، السلام علىٰ ذي القرنين الذي مكّنه الله في الأرض بقدرته ، السلام علىٰ لقمان وارميا اللّذين أخلصا لله في طاعته ، السلام علىٰ دانيال الذي فرّق بين الشهود في حكومته ، السلام علىٰ الخضر وعيسى روح الله وكلمته ، السلام علىٰ محمدٍ بن عبد الله خاتم النبيين وخيرته من خلقه ، السلام علىٰ أشرف المرسلين

وأنصحهم لبريته ، السلام علىٰ حبيب رب العالمين وخاصته من خلقه ، السلام علىٰ نور الأنوار ، السلام علىٰ خيرة الجبّار ، السلام علىٰ محمد المختار ، السلام علىٰ مالك الجنة والنّار ، السلام علىٰ صاحب الآيات في الآفاق ، السلام علىٰ سراج الظلمة ، السلام علىٰ كاشف الغمة ، السلام علىٰ المخصوص بالوقار والسكينة ، السلام علىٰ المدفون بالمدينة ، السلام علىٰ سيد الأوّلين والآخرين ، السلام علىٰ من جعله الله رحمة للعالمين ، السلام علىٰ كنز الفقراء والمساكين ، السلام علىٰ من خصّه الله بطه وياسين ، السلام علىٰ صاحب المعجزات والبراهين ، السلام علىٰ صاحب القرآن المبين ، السلام علىٰ النبي الصادق الأمين، السلام علىٰ من كلّمه الذراعُ المسموم ، السلام علىٰ من استجار به البعير المظلوم ، السلام علىٰ من ضمن الغزالة وفرّج عنها الهموم ، السلام علىٰ من سبّح الحصىٰ في كفه ، السلام علىٰ من نبع الماء من بين أصابعه ، السلام علىٰ من انشق له قمر السماء ، السلام علىٰ من أورق العود اليابس في يديه ، السلام علىٰ من أنقذ امته من العما ، السلام علىٰ من عرج به إلىٰ السماء ، السلام علىٰ من قرّبه الله وأدناه ، السلام علىٰ من أحيا الله أولاد جابر ببركة دعاه ، السلام علىٰ من اختاره الله واصطفاه ، السلام علىٰ المظلّل بالغمامة ، السلام علىٰ المتوّج بالكرامة والوقار ، السلام علىٰ شفيع الخلق يوم القيامة ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك يا رسول الله قد بلّغت عن الله ما أمرك بتبليغه ، ونصحت وجاهدت في سبيل الله حق جهاده ، وأمرت بطاعة الله ونهيت عن معصية الله ، حتى أتاك اليقين ، فعليك مني السلام إلىٰ يوم القيامة ، والصلاة والسلام عليك يا رسول الله عدد الرمل والحصى وعدد ما خلق الله ورحمة الله وبركاته .

زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام

السلام على فاطمة الزهراء ، السلام على الإنسية الحوراء ، السلام على الممنوعة حقها قهرا ، السلام على بنت خاتم النبيين ، السلام على ابنة أفضل المرسلين ، السلام على زوجة أمير المؤمنين ، السلام على فاطمة البتول ، السلام على قرة عين الرسول ، السلام على السيدة المعصومة ، السلام على السيدة الجليلة ، السلام على صاحبة الفضل والفضيلة ، السلام على الرئيسة الجليلة ، السلام على الصديقة الطاهرة ، السلام على الزكية الفاخرة ، السلام على الرحيمة البّارة ، السلام على الصائمة القائمة ، السلام على التقية العالمة ، السلام على السيدة المظلومة ، السلام على السيدة ذات الأحزان الطويلة في المدة القليلة ، السلام على كاملة الأشجان ، السلام على السيدة الكاملة بلا نقصان ، السلام على فاطمة الفطام ، السلام على مربّية الأيتام ، السلام على السيدة العارفة بالشرائع والأحكام ، السلام على المدفونة سرّا ، السلام على المغصوبة جهراً ، السلام على المجهولة قبراً وقدراً ، السلام على صاحبة القدر والرفعة ، السلام على السيدة البضعة ، السلام على من لحقت بأبيها بسرعه ، السلام على أم السبطين الزكية ، السلام على الدرة الأحمدية ، السلام على الجوهرة النقية ، السلام على العابدة الزاهدة ، السلام على الراكعة الساجدة ، السلام على الشاكرة الحامدة ، السلام على ابنة خيرة الأبرار ، السلام على زوجة قسيم الجنة والنار ، السلام على أم الأئمة النجبا الهداة الأبرار ، السلام على الصديقة الطاهرة ، السلام على السيدة

الصابرة ، السلام على الزكية الباهرة ، السلام عليكِ[١] ياسيدتي يا فاطمة الزهرا وعلى أبيك وبعلك وأمك وولدك ورحمة الله وبركاته .

(١) م ك : علكي .

زيارة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام

السلام على أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، السلام على كاشف النوائب ، السلام على مفرّق الكتائب ، السلام على مظهر العجائب ومفرّق الكتائب ، السلام على المصباح الأنور والقمر الأزهر ، السلام على سراج أهل المحشر ، وصاحب اللواء والكوثر ، السلام على من عجزت الأملاك الكرام الكاتبين عن إحصاء مناقبه ، وفضائله ، وتحيرت ذوو الألباب عن إدراك معانيه وعجائبه وفواضله ، السلام على من كبّرت الأملاك في الأفلاك عند الحروب من ضرباته ، ومن أخلص لله في غدواته وروحاته ، السلام على محل المشكلات ، السلام على صاحب الرايات ، السلام على موضح الحكومات ، وصاحب المعجزات ، السلام على كاشف الكربات ، السلام على المنهل المورد ، وصاحب العطا والكرم والجد ، السلام على الإمام الودود ، السلام على كنز الرجا ، السلام على الإمام المرتجى ، السلام على الذخيرة والملتجى ، السلام على من جعله الله لكل قوم هاد ، السلام على الطريق الواضح ، السلام على الميزان الراجح ، السلام على الزناد القادح ، السلام على حامد ربه صغيراً ، والداعي إليه كبيراً ، السلام على سيف المبير ، وأبي شبرٍ وشبير ، السلام على من ولدته أمّه في الكعبة الغراء ، السلام على من خدمته أملاك السماء ، السلام على أمير البررة ، ومبيد الكفرة ، السلام على الإمام الهمام القسورة ، والإمام التقي النقي المسمّىٰ بعليّ ، والمكنّىٰ بحيدرة ، السلام على الإمام البطين الأنزع ،

والفارس السَّمَيْدَع ، السلام علىٰ الإمام الخطيب المصقع ، السلام علىٰ الآمر بالعدل والإحسان ، والتالي سور القرآن ، السلام علىٰ الإمام الذاكر في السرّ والإعلان ، والحاكم بين الإنس والجان ، السلام علىٰ البناء العظيم ، والصراط المستقيم ، السلام علىٰ من خاطب أهل الكهف والرقيم ، السلام علىٰ الزكي الوفي والفارس القوي ، السلام علىٰ البطل الأنزع ، داحي الباب ، وقالع القليب ، لبّ الألباب ، السلام علىٰ ليث بني غالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، السلام على سيد الوصيّين ، وخليفة رسول رب العالمين ، السلام عليك يا حجة الله على الخلق أجمعين ، أشهد أنك يا مولاي قد بلّغت عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ما حملك ، وحفظت ما استودعك ، وحلّلت حلال الله وحرّمت حرام الله ، تلوت الكتاب ، وصبرت على الأذى ، حتى أتاك اليقين ، فلعن الله من ظلمك ، ولعن الله من قتلك ، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به ، برئت إلىٰ الله منهم ، ومن أشياعهم وأتباعهم ومحبّيهم إلىٰ يوم القيامة ، وأتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بموالاتكم وبالبراءة من أعدائكم ، وممّن نصب لكم الحرب ، من الأوّلين والآخرين ، وممّن أسس ذلك ، وبنى عليه بنيانه ، فأسأل الله العظيم بحقكم ، أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة ، يا مولاي أتيتكم زائراً عارفاً بحقكم ، موالياً لأوليائك ، معادياً لأعدائك ، متقرباً إلىٰ الله تعالىٰ بزيارتك وموالاتك ، ومحبتك ، فاشفع لي إلىٰ الله تعالى في خلاص رقبتي ورقبة والدي من النار ، ولاجعله الله آخر العهد منّي لزيارتك ، عليك منّي سلام الله ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته .

زيارة الإمام الحسن عليه السلام

السلام علىٰ مولانا وسيدنا الحسن ، المدفون بالبقيع ، السلام علىٰ صاحب المجد الرفيع ، السلام علىٰ المقتول بالسمّ النقيع ، السلام على الإمام المعصوم ، السلام علىٰ السيد المسموم ، السلام علىٰ السبط المظلوم ، السلام علىٰ الطهر الطاهر ، السلام علىٰ العلم الظاهر ، السلام علىٰ البحر الزاخر ، السلام علىٰ زاكي النّسب ، السلام علىٰ عالي الرتب ، السلام علىٰ مفرج الكرب ، السلام علىٰ منية القادم ، السلام علىٰ رجاء العادم ، السلام علىٰ صاحب الجود والمكارم ، السلام علىٰ سبط الرسول ، السلام علىٰ ابن البتول ، السلام علىٰ ابن سيف الله المسلول ، السلام علىٰ السيد المجتبى ، السلام علىٰ خامس أهل العبا ، السلام علىٰ مكرم الغربا ، السلام علىٰ تالي القرآن ، السلام علىٰ مقري الضيفان ، السلام علىٰ إمام الانس والجان ، السلام علىٰ الإمام الراكع الساجد ، السلام علىٰ الإمام الزاهد العابد ، السلام علىٰ الإمام الشاكر الحامد ، السلام علىٰ الإمام الفاضل ، السلام علىٰ الإمام العادل ، السلام على السيد الكامل ، السلام علىٰ نور الله وابن نوره ، السلام علىٰ صفوة الله وابن صفوته ، السلام علىٰ خيرة الله وابن خيرته ، السلام علىٰ خليفة الله وابن خليفته ، السلام علىٰ حجة الله وابن حجته ، السلام علىٰ الإمام المطهر ، السلام علىٰ الإمام الغضنفر ، السلام علىٰ الإمام المطهر من الذنوب ، السلام علىٰ الإمام المبرّأ من العيوب ، السلام علىٰ الإمام العالم بالفروض والسنن ، السلام علىٰ صاحب الجود والمنن ، السلام علىٰ أبي

محمد الحسن ورحمة الله وبركاته ، قصدتك يا مولاي زائراً عارفاً بحقك ، موالياً لأوليائك ، معادياً لأعدائك ، فاشفع لي عند الله وعند جدك رسول الله وأبيك ولي الله ، وهما معك يشفعا لي في خلاص رقبتي ورقبة والدي وإخواني المؤمنين ، من النار ، اللهم بلّغه عني أفضل الصلاة والسلام ياذا الجلال والإكرام .

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

السلام علىٰ أبي عبد الله الحسين ، الذي سمحت نفسه بمهجته ، السلام علىٰ من أطاع الله في سره وعلانيته ، السلام علىٰ من جعل الله الشفاء في تربته ، السلام علىٰ من يستجاب الدعا تحت قبته ، السلام علىٰ من الأئمة من ذريّته ، السلام علىٰ ابن خاتم الأنبياء ، السلام على ابن سيد الأوصياء ، السلام علىٰ ابن سيدة النساء ، السلام علىٰ ابن فاطمة الزهراء ، السلام علىٰ ابن خديجة الكبرىٰ ، السلام علىٰ ابن سدرة المنتهىٰ ، السلام علىٰ ابن جنة المأوىٰ ، السلام علىٰ ابن زمزم والصّفا ، السلام علىٰ المرمّل بالدماء ، السلام علىٰ مهتوك الخبا ، السلام علىٰ خامس أهل العبا ، السلام علىٰ سيد الشهداء ، السلام علىٰ قتيل الأدعياء ، السلام علىٰ من بكته ملائكة السماء ، السلام علىٰ من بكته وحوش الفلا ، السلام علىٰ يعسوب الدين ، السلام علىٰ آل طه وياسين ، السلام علىٰ من رزؤه عمّ جميع المؤمنين والمسلمين ، السلام علىٰ قتيل العبرات ، السلام علىٰ المضرّج بدمائها في الفلوات ، السلام علىٰ القتيل الظمآن ، السلام علىٰ الغريب الحيران ، السلام علىٰ من رأسه أهدي إلىٰ يزيد الخوان ، السلام علىٰ المحامي بلا أعوان ، بين أهل الضلال والعدوان ، السلام علىٰ من بدنه[1] بأرض كربلاء

---

(١) م ك : توجد هنا عبارة زائدة وهي : (السلام علىٰ من رأسه) . وقد حذفناها ، وهذه الزيارة مزيج بين زيارة الناحية ، وزيارة وارث ، ويبدو ان المؤلف كتبها من ذاكرته لوجود اختلافات طفيفة بينها وبين المصادر التي رجعت اليها .

ورأسه بالشام ، السلام على الجيوب المشققات بين الخاص والعام ، السلام على النفوس الطاهرات ، السلام على النفوس المختلسات ، السلام على الأجساد العاريات ، السلام على المجندلين في الفلوات ، السلام على الأوداج الشاخبات ، السلام على الأعضاء المقطعات ، السلام على النسوة البارزات ، السلام على القتيل المظلوم ، السلام على أخيه المسموم ، السلام على الأبدان السليبة ، السلام على العترة الغريبة ، السلام على النازحين عن الأوطان ، السلام على المدفونين بلا أكفان ، السلام على الرؤوس المقطعات عن الأبدان ، السلام على الإمام الطاهر ، السلام على المظلوم بلا ناصر ، السلام على من طهّره يالجليل ، السلام على من افتخر به جبريل ، السلام على من ناغاه في المهد ميكائيل ، السلام على من نُكثت بيعته ، السلام على من أُستبيحت حرمته ، السلام على من أريق دمه ، السلام على من غُسّل بدم الجراح ، السلام على المجرّع كاسات الرماح ، السلام على المظلوم المستباح ، السلام على المهجور في الورى ، السلام على المنبوذة بالعرا ، السلام على من تولّىٰ دفنه أهل القرى ، السلام على المقطوع الوريد من القفا ، السلام على الجسد المزمل بالدماء ، السلام على البدن السليب ، السلام على الثغر المضروب بالقضيب ، السلام على الودج المقطوع ، السلام على الإمام ابن الإمام ، أخو الإمام ، أبي الأئمة التسعة ، السلام على ابن رسول الله ، السلام على صاحب السكينة والمحنة ، السلام على سيد شباب أهل الجنة ، السلام على القتيل الظمآن ، السلام على العالم الديّان ، السلام على العارف بالقرآن ، السلام على الوحيد في البلاد ، السلام على الأمير في الجهاد ، السلام على الطاعن في الصفوف ، السلام على المودوع بالطفوف ، السلام عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته ، أتيتك يا مولاي وابن

مولاي زائراً ، عارفاً بحقك ، موالياً لأوليائك معادياً لأعدائك ، سلم لمن سالمك ، حرب لمن حاربك ، موالٍ لمن والاك ، معادٍ لمن عاداك ، فاشفع لي عند ربك في فكاك رقبتي ورقاب والديّ من النّار ، فلعن الله من ظلمكم ، ولعن الله من منعكم حقكم ، وأزالكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها ، ولعن الله من ظلمكم من الأولين والآخرين ، وضاعف عليهم العذاب الأليم ، وإني أُشهد الله يا مولاي ، أنك قد بلّغت عن الله ، وعن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وأبيك ، وصبرت علىٰ الأذىٰ محتسباً ، وأقمت الصلاة ، وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده ، وعبدت الله مخلصاً حتىٰ أتاك اليقين ، فصلّىٰ الله عليك ، وعلىٰ روحك وجسدك ، وعلىٰ الأرواح الحافين بك ، وعلىٰ الملائكة الذين هم حول ضريحك ، ورحمة الله وبركاته .

زيارة الإمام زين العابدين عليه السلام

السلام علىٰ مولىٰ البرية ، السلام علىٰ ابن الذرية ، السلام علىٰ بقية البقيّة ، السلام علىٰ أبي الأئمة ، السلام علىٰ سراج الظلمة ، السلام علىٰ كاشف الغمة ، السلام علىٰ ولي النعمة ، السلام علىٰ سنّي الهمة ، السلام علىٰ زين العباد ، السلام علىٰ كهف القصّاد ، السلام علىٰ بقية الله في البلاد ، السلام علىٰ علي بن الحسين ، مولىٰ[1] الثقلين ، السلام علىٰ الزكي ابن الزكيين ، السلام علىٰ النور ابن النورين ، السلام علىٰ التقي ابن التقيين ، السلام علىٰ بقية الأتقياء ، السلام علىٰ ابن خاتم الأنبياء ، السلام علىٰ ابن خاتم الأوصياء ، السلام علىٰ ابن صاحب المحنة والبلا ، السلام علىٰ المظلوم بكربلا ، السلام علىٰ بن كنز المحتاجين في الفلوات ، السلام علىٰ المتهجّد في الظلمات ، السلام علىٰ ولي النعمة ، السلام علىٰ سيف الهمة ، السلام علىٰ أسير الأمة ، السلام علىٰ إمام الهدىٰ ، السلام علىٰ كاشف الرداء ، السلام علىٰ من طهّره الله من الأدناس ، السلام علىٰ من أعصمه الله من الوسواس ، السلام علىٰ من طاعته واجبة علىٰ الجن والناس ، السلام علىٰ ابن زمزم والحطيم ، السلام علىٰ الصراط المستقيم ، السلام علىٰ عون الضعفا والمساكين ، السلام علىٰ ابن طه ويس ، السلام علىٰ رفيع الرتبة ، السلام علىٰ صاحب الندبة ، السلام علىٰ المدفون بأرض طيبة ، السلام علىٰ[2] علي بن الحسين زين العابدين ورحمة الله وبركاته .

---

(١) م ك : مولا .

(٢) م ك : الكلمة ساقطة .

زيارة الإمام الباقر عليه السلام

السلام علىٰ الإمام ابن الإمام محمد الباقر ، السلام علىٰ الإمام الطاهر ، السلام علىٰ صاحب المعجز الظاهر ، السلام علىٰ الولي ، السلام علىٰ من اختاره العلي ، السلام علىٰ الحَبر الجلي ، السلام علىٰ قمر الأقمار ، السلام علىٰ خيرة الأخيار ، السلام علىٰ التقي البار ، السلام علىٰ الإمام المعصوم ، السلام علىٰ كنز العلوم ، السلام علىٰ ناصر المظلوم ، السلام علىٰ آية الله ، السلام علىٰ حجة الله ، السلام علىٰ خيرة الله ، السلام علىٰ سيد العارفين ، السلام علىٰ كنز الفقراء والمساكين ، السلام علىٰ من خصّه الله بالتمكين ، السلام علىٰ الإمام العالم العامل ، السلام علىٰ الإمام الفاضل الكامل ، السلام علىٰ بن زين العابدين ، السلام علىٰ راحم المساكين ، السلام علىٰ ولي الله وابن وليّه ، السلام علىٰ خليفة الله وابن خليفته ، السلام عليك يا مولاي وعلىٰ آبائك الطاهرين ورحمة الله وبركاته .

زيارة الإمام الصادق عليه السلام

السلام على جعفر بن محمد الصادق ، السلام على محقق الحقائق ، السلام على واضح الطرايق ، السلام على محل المشكلات ، السلام على صاحب الآيات ، السلام على مظهر المعجزات ، السلام على الإمام ابن الإمام ، السلام على موضح الأحكام ، السلام على كافل الأرامل والأيتام ، السلام على حجة الله على الخلق أجمعين ، السلام على كنز الفقراء والمساكين ، السلام على آية الله في العالمين ، السلام على الصادق والصدّيق ، السلام على الحبل الوثيق ، السلام على المولى بالتحقيق ، السلام على تالي القرآن ، السلام على إمام الإنس والجان ، السلام على آية الرحمن ، السلام على الإمام الشفيق ، السلام على ساقي شيعته من الرحيق ، ومبلغ أعدائه إلى نار الحريق ، السلام على زكي النسب ، وعلى عالي الرتب وكاشف الكرب ، السلام على الإمام المجد الرفيع ، السلام على ساكن البقيع .

زيارة الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام

السلام علىٰ الإمام موسىٰ بن جعفر ، الطهر الطاهر ، السلام علىٰ النور الأنور ، السلام علىٰ الإمام الحليم ، السلام علىٰ الإمام المعصوم من الخطأ ، السلام علىٰ كنز الجود والعطا ، السلام علىٰ صاحب المعجزات ، السلام علىٰ صاحب الآيات ، السلام علىٰ الإمام الصابر ، السلام علىٰ الإمام الطاهر ، السلام علىٰ صاحب المجد الأنور ، السلام علىٰ صاحب الشرف الأزهر ، السلام علىٰ أبي إبراهيم الإمام موسىٰ بن جعفر ورحمة الله وبركاته .

زيارة الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام

السلام علىٰ الإمام علي بن موسىٰ الرضا ، السلام علىٰ الإمام الرضيّ المرتضىٰ ، السلام علىٰ المدفون في أوسع الفضا ، السلام علىٰ الإمام المعصوم ، السلام علىٰ الغريب المظلوم ، السلام علىٰ السيد المسموم ، السلام علىٰ شمس الشموس ، السلام علىٰ أنيس النفوس ، السلام علىٰ الإمام المدفون بأرض طوس غريب الدار ، السلام علىٰ بعيد الدار والمزار ، السلام علىٰ من لانت له الصخرة الصمّا ، السلام علىٰ من طاعته واجبة علىٰ أهل الأرض والسماء ، السلام علىٰ السيد الشهيد ، السلام علىٰ الإمام التقي النقي ، السلام علىٰ من شرفت بجسده أرض العجم ، السلام علىٰ من تحولت له المدينة ، السلام علىٰ صاحب المكارم ، السلام علىٰ الإمام العالم ، السلام علىٰ صاحب المحنة ، السلام علىٰ الضامن لزيارة الجنة ، السلام علىٰ الإمام بن الإمام علي بن موسىٰ الرضا ورحمة الله وبركاته .

زيارة الإمام الجواد عليه السلام

السلام على الإمام ابن الإمام محمد بن علي الجواد، السلام على حجة الله على العباد، السلام على خليفة الله في البلاد، السلام على الإمام المعصوم، السلام على الإمام المظلوم، السلام على صاحب الآيات والعلوم، السلام على ناصر المظلوم، السلام على من اختاره الحيّ القيوم، السلام على أجود الأجواد، السلام على الإمام الآخذ بالأعضاد، السلام على الإمام العالم العامل، السلام على البدر الكامل، السلام على صاحب المعجزات، السلام على من أوجب الله طاعته على أهل الأرض والسموات، السلام على الإمام المكنّى بأبي جعفر محمد بن علي ورحمة الله وبركاته.

زيارة الإمام علي الهادي عليه السلام

السلام على الإمام علي بن محمد البهي ، السلام على السراج المضيّ ، السلام على الكوكب الدريّ ، السلام على النّور الأحمدي ، السلام على الإمام الهادي ، السلام على ذخيرتي واعتمادي ، السلام على الإمام المعصوم ، السلام على الشهيد المظلوم ، السلام على كنز التقى والعلوم ، السلام على سيد الأنام ، السلام على مصباح الظلام ، السلام على الإمام بن الإمام الهادي ، السلام على الرّشاد ، السلام على حجة الله على العباد ، السلام على مميت البدع ، السلام على صاحب الزهد والورع ، السلام على مولانا الهادي ورحمة الله وبركاته .

زيارة الإمام العسكري عليه السلام

السلام على الحسن العسكري، السلام على الجواد الأريحيّ، السلام على الإمام الهاشمي، السلام على الإمام الفاطمي، السلام على الإمام المكيّ، السلام على الإمام العادل التقي، السلام على الإمام العادل التقي، السلام على الإمام الكامل البهيّ، السلام على الإمام المعصوم الزكي، السلام على بحر العلوم، السلام على ناصر المظلوم، السلام على معدن الجود والإحسان، السلام على الإمام الديّان، السلام على إمام الإنس والورى[1]، السلام على المدفونين بسامرا، ورحمة الله وبركاته.

---

(١) م ك : الواو ساقطة.

زيارة الإمام المهدي عليه السلام

السلام علىٰ محمد بن الحسن ، العالم بالفروض والسّنن ، السلام علىٰ كاشف الضرّ والمحن ، السلام علىٰ إمام الزمان ، السلام علىٰ قويّ البرهان ، السلام علىٰ خاتم الأوصياء ، السلام علىٰ زين الأتقياء ، السلام علىٰ أفضل الأولياء ، السلام علىٰ الإمام المهدي ، السلام علىٰ النور الأحديّ ، السلام علىٰ آخذ الثار من الفجّار ، السلام علىٰ ابن الأيمة الأطهار ، السلام علىٰ إمام الهدىٰ ، السلام علىٰ كاشف الردىٰ ، السلام علىٰ حجّة الله علىٰ خلقه ، السلام علىٰ نور الله في أرضه ، السلام علىٰ ابن خاتم النبيين ، السلام علىٰ ابن سيد الوصيين ، السلام علىٰ الخلف الحجة ، السلام علىٰ واضح المحجة ، السلام علىٰ وارث العلوم ، السلام علىٰ ناصر المظلوم ، السلام علىٰ معزّ المؤمنين ، السلام علىٰ[1] مذلّ الكافرين ، السلام علىٰ الإمام المنتظر ، السلام علىٰ القمر الأزهر ، السلام علىٰ حجة الله علىٰ البشر ، السلام علىٰ الإمام المعصوم ، السلام علىٰ الإمام القائم ، السلام علىٰ الإمام العالم ، السلام علىٰ الإمام الحاكم ، السلام علىٰ الإمام الغائب ، السلام علىٰ كاشف النوائب ، السلام علىٰ بقيه الله ، السلام علىٰ لطف الله ، السلام علىٰ الأيمة الهادين ، السلام علىٰ أصحاب المعجزات والبراهين ، السلام علىٰ الأيمة الخاشعين ، السلام علىٰ الطاهرين المطهرين ، ورحمة الله وبركاته ، أشهد لكم يا مواليّ بالوفا ، والنصيحة والبلاغ والأدا ، والقيام بسنن الله صابرين في ذات الله ، طالبين ما عند الله ، صلّىٰ الله عليكم ما حنّت أنفسُ المؤمنين إليكم ، أتيتكم زائراً لكم ، متشفعاً بحقكم عند الله في فاك رقبتي

(١) هنا كلمة زائدة حذفناها ، وهي (من) .

وأرقاب والدي من النار . فأسأل الله بالشأن الذي لكم عنده ، أن لا يردّني خائباً ، بل يجعلني مفلحاً منجحاً ، وأن يجعلني من مواليكم ومحبيكم ، وأن يرزقني شفاعتكم ، ويسقيني من حوضكم ، وأن يردني فائزاً مغفوراً لي ، وأن يعرفني الإجابة في دعائي بحق علي أمير المؤمنين مولاي .

اللهم إني أسألك بالله الدائم في ملكة ، القائم في عزه المطاع في سلطانه ، المتفرد في برهانه ، المتوحّد في ديمومية بقائه ، العادل في حكمه وقضائه ، العالم بفصل قضيته ، الكريم في تأخير عقوبته ، فصلّ علىٰ محمد وآل محمد ، وأسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمة شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن العمر أسعده ، ومن العيش أرغده ، ومن اللّطف أطيبه ، اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، اللهم متع بالسعادة آجالنا ، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا ، واغفر بعفوك ذنوبنا ، ومنّ علينا بصلاح عيوبنا وبصّرنا بتوفيقك طرق السلامة واعذنا من موبقات العمل واكفنا الحسرةَ والندامَة ، اللهم احطط عنا ثقل الأوزار ، واكفنا شر الأشرار وكيد الفجّار ، ونجنا من طوارق الليل والنهار ، واعتق رقابنا من النار ، يا عزيز يا غفار .

اللهم قد جيئتك حاملاً ذنوبي علىٰ ظهري ، تائباً إليك منها نادماً علىٰ ما ارتكبت منها ، فانظر إليّ نظرة رحيمة ، لا تسخط عليّ بعدها أبداً برحمتك يا الله يا أرحم الراحمين .

* * *

العـلمُ مـغرسُ كـلِّ فـخرٍ فـاجتهد ... ألا يــفوتكَ فـخرُ ذاك المـغرسِ
واعــلم بأنَّ العــلمَ ليس يـنالُهُ ... مَـنْ هـمُّهُ فــي مطعم أو مـلبسِ
إلا أخــو العــزمِ الذي يُــعنا له ... فــي حــالتيهِ عــارياً أوْ مكـتسي

قصة سيف بن ذي يزن

الحمد لله الملك العلّام ، وصلىٰ الله علىٰ خير الأنام محمد وآله الكرام ، ما غنّى حمام ، وهطل ركام ، وتعاقب ليالٍ وأيام ، هذا (الجزء الثاني) من قصة سيف بن ذي يزن الملك .

هذا ما جرى من الأحكام علىٰ سادات الإسلام ، وأما ما جرىٰ من الملكة (قمرية) فإنها لما علمت أن العساكر الذي قدمت من سيدها سيف أرعد قد انكسرت ، والحكما الذين كانوا أصل الفتنة قد انهزمت ، والسحرة أجمع قد هلكت ، وتحققت وعلمت أن الملك سيف ذي اليزن قد غلب عليها ، وقهر وأخذ الملك منها واستقر ، وقمرية هذه هي أم الملك سيف ذي اليزن ، ولكن هي كافرة وهو قد أسلم ، وعمل بصحف إبراهيم الخليل ، وأخذ الملك منها ، والملك عقيم ، وقد غلب عليها الحسد ، وحسن أن تقتل الولد ، لكن لم يسعها إلا أن أظهرت له الرضا والتسليم ، وهو أيضاً حيث أنها أمة ، والوالدة يجب طاعتها في غير معصية الله ، أكرمها وأخدمها بالجوار والخدم ، وأجرىٰ عليها الجرايات ، ولم يقطع عنها الهدايا والميرة ، وهي في قصرها ، ولكن هي لحياته كارهة ، ولبغضها له ساترة ، تود لو أكلت من لحمه قطعة ، أو تشرب من دمه جرعة ، وقد سرقت من ولدها سيف ذي اليزن لوحاً ، لما عرفت أن فيه استخدام (عيروض) الجني ، وقالت : عسىٰ أن أقتله به ، وقد علم ولدها الملك سيف أن لوح عيروض عندها ، لكن لا يسعه أخذه منها ، فكان ذات يوم قد غلب عليها الحسد والهمّ والغم ، ففكت اللوح بعد أن اختلت وحدها ، فحضر لها عيروض ،

وقال : آمري يا سيدتي ومالكتي ، فقالت له ، أما ترىٰ ولدي سيف قد استقل بالملك دوني ؟ ، اخرج وآتني به ذليلاً حقيراً ، أو اتني برأسه ، وارمي بجثته ، فخرج عيروض من عندها وقبّل الأرض ، لأن طلسّمه في يدها ، وغاب عنها ، فرجع إليها ، وهو يرتعد مثل السعفه ، وقد كان يعصف مثل الريح القاصف ، فقالت له : مالذي دهاك يا كلب الجنان ؟ ، فقبل الأرض بين يديها وقال : العفو يا سيدتي ، فقد حيل بيني وبينه ، فقالت : بماذا ؟ ، فقال : من حكيمةٍ ساحرةٍ ، تسمىٰ عقلة ، وهي التي قتلت السحرة في يوم المقتلة ، بينها وبينه مودة ، وقد عملت له ثوباً من الرقيق قد أحكمته ، وتعبت عليه بالإرصاد ، فلا يقربه أحد من الجان إلا واحترق ، وما بقي يعمل معه بعد ذلك سحراً أبداً .

قال صاحب الحديث : فلما سمعت قمرية كلام عيروض ، صرفته ، وأيقنت أنها ليست لها طاقة علىٰ قتل ولدها سيف ، إلا بعد أخذ الثوب منه ، فأوسعت الحيلة في ذلك ، وعرض لها بسببه هم شديد ما عليه من مزيد ، حتىٰ انفتح لها باب من أبواب الحيل والخداع والمكر ، فأرسلت خلف معلم صايغ ماهر في العمل والنقش ، وقالت له : أريد أن تعمل لي لوحاً على صفة هذا اللّوح ، وأخرجت له لوح الرصد من جيبها ، ولا تزيد فيه حرفاً ، ولا تنقص حرفاً ، فأخذه منها ، ونظر فيه ، وتأمله ، وقال لها : على السمع والطاعة ، فأراد أن ينصرف واللّوح في يده ، فقالت : اصنعه عندي ، فإني لا أفارق هذا اللوح ، ولا آمن أحد عليه ، فإنه عندي عزيز ، فأرسل المعلم غلام ، وأتىٰ بالعدة ، وقعد عندها في القصر ، وعمل لها لوحاً مثله ، ونقشه ، وجلاه ، وناولها اللّوحين ، فلم تفرق بينهما لحسن النقش والصناعة ، فأكرمته بالمال ، وأوصته أن لا يطلع أحداً علىٰ ذلك ، فشكرها ، وأنعم ، وأنصرف .

قال الراوي : ثم إن قمريّة أخبت لوح الرصد في جيبها ، وأخذت اللوح الجديد في يدها ، وعلمت أنها لا تنال مطلبها في ولدها سيف ، إلا بالصلح له وإعطائه اللوح ، فقامت من وقتها وساعتها ، ودخلت عليه ، وأظهرت له المحبة والشفقة والتوبة ، وأعطته اللوح ، وقالت : يا ولدي هذا لوح الرصد ، قد رددته إليك ، فلا تخاف منّي ، واطمئن إليّ ، واعلم أني قد رحمت شبابك ، وأنت ولدي وقرة عيني وقطعة من كبدي ، فاصفح عني[1] ما فات ، فشكرها سيف ، وتناول اللوح منها ، وهو لا يشك في أنه لوح الرصد ، وليس هو لوح الرصد ، بل هو اللّوح الجديد ، من مكر أمه قمريّة ، ولكن الله سبحانه لم يزل ينصره عليها ، ويخذلها عنه ، فإنها كافرة ملعونة ، وهو مسلم علىٰ دين إبراهيم الخليل ، فأظهر سيف المحبة لأمّه والرضا عنها ، عند جميع نسائه ، ووزرائه وأرباب دولته ورؤساء مملكته ، وأخبرهم بقوتها ، وأعطائها له لوح الرصد ، وكان وزراؤه الأعاظم المسموعين الكلمة عنده (الملك أفراح) و (الملك أبو تاج) و (الملك سعدون) و (الملك ميمون) و (الملك دمنهور الوحشي) و (الملك سابك الثلاث) و (الملك برنوخ الساحر) و (الحكيمة عقله) ، وهؤلاء كل واحد منهم عن عسكر وجحفل ، وهم كانوا وزراء أمه قمرية ، وسيدها سيف أرعد قد دخلوا في دين الإسلام ، وخدموا سيف ذي اليزن ، وعن سيف ذي اليزن وزراء غيرهم ، وأمراء عسكر من أكابر الزنج وأشراف السودان وسادات بني حمير وأعاظم التبايعة ، وأما نساؤه فكثيرة ، منهن بنت الحكيمة عقلة ، واسمها (طامة) وبنت الملك سابت الثلاث و (منية النفوس) ملكة مدينة البنات ، و (ناهدة) بنت ملك الصين ، وبنت (اخميم الطالب) ، ولكل واحدة

---

(١) م ك : ساقطة .

في زواجه لها قصة ومهرجان ، وكان اللّوح الذي سرقته قمرية قد حصل لسيف من امرأته بنت اخميم الطالب ـ أي عيد ـ ، واسم بنت سابك الثلاث (ام الحيا) ، واسم بنت اخيم الطالب (الجيدا) ، ولم تزل تنتظر علىٰ ولدها الفرصة ، وتتمنّىٰ له العثرة ، وإذا بناهدة بنت ملك الصين قد دخلت عليها ، وقبّلت قدميها ، وهي تبكي ، فقالت قمرية : ما الذي دهاك وأبكاك ، وأتىٰ بك إلىٰ قصري في هـذا الوقت ؟ فقالت : يا سيدتي قد علمت بتوبتك وإخـلاصك المـحبة إلىٰ ولدك سيف ، وعلمت أنه أيضاً قد صفا لك قلبه ، وأظهر لك بين كل الناس ودّه ، وقد جيتك شاكية لشدة الغيرة من ولدك ونسائه ، فإنه قد التهىٰ عني بهنّ ، وتركني أكابد حسرتي ، وأكامد عبرتي ، وقد كان قد دخل أرض أبي ملك الصين ، وهو فقير عريان ، فوقع له من النصرة والإكرام ما وقع ، ثم إنه تزوج بغيري ، وعمل الأفراح ، وجلس على كرسي مملكته ، ودانت له البلاد ، وخدمته العباد ، وخص بالسداد والرشاد ، واشتغل بنسائه ، ونسيني ، فقد جيتك يا سيدتي ، ودخلت في عرضك أن تكوني واسطة بيني وبينه ، فقالت قمرية : حباً وكرامة أنا أكلمه في شأنك ، ولكن يا ناهدة ، لي عندك حاجة ، فإن قضيتيها ، تكوني أعز مَنْ عندي ، وأدع ولدي يترك جميع نساءه ، ولا ينظر إلا لك ، فقالت ناهدة : وما حاجتك يا سيدتي ؟ قالت : إذا جاء الملك عندك ، واختلى بك ، وخلع عندك ثوبه الرق ، فاتيني به ، حتى أنقل منه شيئاً من أسماء الله تعالىٰ ، فإني أرسل إليه ، فإذا جاء إلىٰ عندي بعثته إليك الليلة ، فلا تنسي ما أوصيتك ، ففرحت ناهدة ، وقالت : علىٰ رأسي وعيني يا سيدتي ، ثم أهوت إلىٰ قدمها وقبلتهما ، وخـرجت مـن عندها ، وجلست في مقصورتها ، وأما قمرية فإنها قامت من وقتها وهي مثل الثعبان الأرقط ، وقصدت سيف ، فلما رأته مشت الهوينا ، حتىٰ دخلت عليه ،

فقام لها إجلالاً ، وقبّل يديها ، وقال : يا أماه ، هل من حاجة فتقضى ، أو ملمةٍ فتمضى ، فقالت : يا ولدي إن زوجتك ناهدة قد تغربت معك ، وهي بنت ملك الصين ، وفارقت مملكتها في رضاك ، وأبوها صاحب الإحسان عليك ، وإنها تسألني أن تنام عندها الليلة ، فيجب عليك يا ولدي أن تقوم بواجب حقها ، وأن تجبر بخاطرها ، فلما سمع الملك سيف من أمه قمرية هذا الكلام ، رقّ لحالها ، وتحرّك عليه هوى الملكة ناهدة ، وكان يحبها حباً شديداً ، وكان يقول بدينها ، ويخاف من دعائها ـ كما سبق ذكره في الجزء الأول[1] ـ ، فصرف أمه بالجميل ، وقال : حباً وكرامة ، فقامت قمرية من عنده ، ودخلت على ناهدة ، وقالت لها : أصلحي شأنك ، فإن الملك قادم عليك هذه الليلة ، واحترصي أن يفوتك ما أوصيتك به من ثوب الرق ، فقبّلت ناهدة يدي قمرية ، وقالت : السمع والطاعة يا سيدتي .

قال صاحب الحديث : ثم إن سيف ذي اليزن ، أخذ بخاطر جلّاسه بعد العشاء ، وتمشّىٰ والخدم بين يديه ، وقد أرسل إلىٰ الملكة ناهدة يخبرها بقدوم الملك سيف ، فلما دخل عليها من باب المقصورة ، وله وجه مثل دارة قمر ، اخذته الملكة بالأحضان ، ووضعته علىٰ أحسن الفرش ، وقد لبست أحسن ما عندها من الملبوس ، وتزيّنت للملك بما يليق ، من الحلي والحلل ، من الخز والبز ، والدر والجوهر ، فتعانقا عناق الأحباب ، وجلسوا علىٰ بساط الهنا والعتاب ، فخلع ثوب الرق ، وشرب كأس الوصال ، من الست ناهدة ، وثنّىٰ الشرب وثلّث ، حتىٰ ارتجت مفاصله ، وشرب وطرب ، حتىٰ إذا نام علىٰ فراشه ، وغطّ في نومه ، وعلمت ناهدة أنه قد صار في عالم الغيب ، أرادت أن

(١) وهذا الجزء مفقود من هذا الكتاب .

تجازي قمرية ، على صنيعها معها ، فقامت واخذت ثوب الرق ، وطوته ، وخرجت به إلى عند باب المقصورة ، وكانت قمرية في انتظارها ، لا تنام ، فما شعرت ناهدة إلا وهذا سيف قد لمع وسطع ضوؤه على ضوء الشموع ارتفع ، فطار به رأس ناهدة ، فانزعج سيف من الصيحة ، وانتبه ، فإذا بناهدة جثة بلا رأس ، فقام على قدميه ، وقد صارت الأفراح أتراح ، وإذا بزوجته طامة بنت الحكيمة عقله ، وقد رفعت القلنسوة عن رأسها ، والسيف يقطر دماً في يدها ، فقال لها : ما هذا ما تواثقنا عليه من العهود ، وقد حلفتي يميناً بالله أنك لا تؤذيني في نسائي ، وأمك الحكيمة عقله شاهدة ، وكذا اخميم الطالب ، فقالت له : أنا ما حنثت إذ حلفت ، وما قتلتها إلا على ذنب قد فعلته ، فقال : وماهو ؟ ، قالت : لأنها قد اخذت ثوب الرق الذي رصدته لك أمي عقله ، وتعبت فيه ، فإنك فرّطت فيه ، ونزعته ، كما فرّطت في اللوح ، وملّكته أمك قمرية ، وكان مراد ناهدة تسلم الثوب إلى أمك قمرية ، ولو ملكته مع اللوح ، لفجعتنا فيك ، وأعانها على هلاكك عيروض ، فقال الملك : كذبتِ على أمي ، فإنها قد تابت ، وأعطتني اللّوح ، فقالت : بل كذبت أمك ولعنت ، فإن الذي أعطتك إنما هو لوح جديد ، عملته على مثال اللوح المرصود ، وأما اللوح المرصود فهو عندها ، وإن أردت أن تعرف أيّتنا الكاذبة ، فادعك اللوح الذي عندك فدخل على سيف الواجس والهاجس ، وأخرج اللوح ، ودعكه ، حتى احمرّت أصابعه ، فما أجابه عيروض على جاري عادته ، ولا حضر ، فعلم صدق كلام طامّه ، وأنها لم تقتل ناهدة إلا بحق .

قال الراوي : ثم إن قمرية طال انتظارها ، فجاءت مقصورة ناهدة ، فرأتها جثة بلا رأس ، وسمعت ما جرى لسيف مع طامه من الكلام ، فوعكت

اللوح المرصود ، فحضر لها عيروض ، فأمرته أن يقتلع بها إلىٰ دار ملك الصين ، فنزل بها عيروض علىٰ سطح القصر .

ثم إن قمرية نزلت علىٰ ملك الصين والد ناهدة ، ولها قلب قاسٍ كأنه من جبل ، فلما نظر إليها الملك ، إنبهت منها لأنها دخلت عليه في محل لا يتوصل إليه أحد فيه ، لكنها كشفت عن وجهها ، وأبرزت نهودها ، وكانت من الجمال علىٰ جانب عظيم ، فلما شاهدها ، أخذت بمجامع قلبه ، فقال لها : من تكوني يا صاحبة القد الرجيح ، والوجه الصبيح ؟ ، أجنية أم أنسية ؟ ، فقالت بل أنسية ، من خيار الأنس ، أنا أم سيف ذي اليزن ، الذي دخل بلادك وهو فقير عريان ، فأوليته كرامتك ، وخوّلته نعمتك ، وزوجته ناهدة إبنتك ، وقد قتلها البارحة ، أشر قتلة ، ومثّل بها أقبح مثلة ، فلما كلّمته في أمرها ، سبّني ، وأراد قتلي ، وذكّرته إحسانك ، فشتمك ولعنك ، وها أنا جئت إليك ، لتركب في عساكرك إليه ، وتجرّد دساكرك ورجليك عليه ، وأنا أسير معك ، فأملكك البلاد ، وأطيع لك العباد ، وأعطيك الذخائر والأموال ، فلما سمع كلامها ، أخذه من قتل إبنته حزن عظيم ، وأمر جسيم ، ولكن قد شغف بحب الملكة قمرية ، وافتتن بحسنها ، فصافحها علىٰ حكم مذهبه ، ودخل بها فشرب من كأس وصالها ، وحظي بحسنها وجمالها ، وهي كلما تقول له : متىٰ تسير إلىٰ سيف بالعساكر ، يقول : حتىٰ أجمع العساكر والدساكر .

قال صاحب الحديث : هذا ما كان من الملكة قمرية ، وأما ما كان من الملك سيف ذي اليزن بن الملك التبع التبعيّ ، فإنه قام من ساعته ، ولبس ثوب الرق ، مثل لمح البصر ، وقصد مقصورة أمه قمرية ، فما وجدها فيها ، فأكل أصابعه من الندم ، وقال لطامه : كيف عرفتِ ذلك ففعلتِ ما فعلتِ ؟ ، فقالت : أنا

ما علمت ذلك إلا من أمي الحكيمة عقله ، فإنها ضربت تخت الرمل ـ وهي أبداً لا تفارق هذا العمل خوفاً عليك ـ فقالت لي : يا بنية ، الأمر كيت وكيت ، أدركي ولد عمك سيف ، فإن قمرية قد لعبت بعقل ناهدة في أمر ثوب الرق ، كما لعبت بعقل سيف في أمر اللوح ، فشكرها سيف ، وشكر الحكيمة عقله ، ولكن حزن علىٰ ناهدة بنت ملك الصين حزناً عظيماً ، وواراها في التراب ، وجلس أياماً وهو عاقد العزاء عليها ، لا يحضر لذة ولا طرب ، ولا يبلغ منه أحد أرب ، وفي قلبه من فعل أمه قمريّة نار لا تطفى ، وجوى وغرام لا يخفىٰ ، وتذكر رميها له بالمصايب ، والنوايب مرةً بعد أخرىٰ ، وأخْذِها اللوح غيلةً ، وهو لا يعلم أين ذهبت ، فأحضر الحكيمة عقله والساحر برنوخ والحكيم اخيم الطالب ، وصار يتأوه لهم ، ويحرّضهم علىٰ استخراجها من بقاع الأرض ، فشرعوا في عمل التربيع ، وضرب التخت ـ الرمل ـ وكل منهم يتمنّىٰ لو أكل من لحمها قطعة ، أو شرب من دمها جرعة ، وإذا بقعقعة نازلة ، وقرقعة هايلة ، كأنها الرعد القاصف ، أو الريح العاصف ، أو المزن العاكف ، فتأملها الحاضرون ، ورآها الناظرون ، وإذا هي عاقصة الجنية أخت الملك سيف ذي اليزن ، ـ وقد انعقد بينهما الأخوة لأمر تفسير في الجزء الأول ـ فسلّمت علىٰ الملك سيف ـ واستوحشت إليه ، وجلست تحادث الحكماء وتطارحهم الكلام ، وقالت : ما بال الحكماء مجتمعين ؟ ، وعلىٰ ماذا عاكفين ومتشاورين ؟ ، فأخبروها الخبر ، وأعلموها القصة ، وحكوا لها ما قد جرى ووقع من أوله إلىٰ آخره ـ وليس في الإعادة إفادة ـ ، وقالوا : أهم ما عليه الآن أن نعرف مستقرها ، فإنّا لا نأمن من غدرها ، ما دامت حاكمة علىٰ عيروض الجنّي وبيدها لوح الرّصد ، فإنها إلىٰ الغدر والبلا أقرب ، وفي كل وقت يأتينا من جهتها النصب والتعب ، فلما سمعت عاقصة هذا

الخطاب ، وكان لكل كلام جواب ، قال : أنا أكفيكم أمرها ، وأوضح لكم مستقرها ، فعند ذلك طارت عاقصة ، إلىٰ الجوّ الأعلىٰ ، فعاد سيف علىٰ ماهو عليه من الصيد والقنص وانتهاز الفرص ، وجلس علىٰ سرير الملك ، والأمراء والوزراء عكوف حوله ، وإذا بعاقصة نزلت عليهم من الجو الأعلىٰ ، كأنها صاعقة نزلت من السماء ، أو كحجر المنجنيق إذا رمي ، فقالوا لها : مرحباً بمن غاب وأوحش ، هل وقعت بخبر صحيح عن قمرية ؟ ، فقالت : إنها في إقليم الصين الأعلىٰ ، عند والد ناهدة ، وهي عنده في أرغد عيش ، وقد تزوج بها الملك ، وهو يوعدها في أخذ الثأر وأخذ البلاد وقتل العباد ، وهي تحرضه علىٰ ذلك ، وقد اشتغل بها دون سراريه ومحاضيه وهي عنده في زينة فاخرة ، وملابس زاهرة ، فلما سمع سيف منها ذلك الكلام ، قال لها : ما يقدر علىٰ أن يحضرها غيرك ، فقالت عاقصة : ما لأحدٍ إليها وصول من الجنّ ، ما دام اللوح المرصود معها ، فقالت الحكماء : صدقت عاقصة ، فلما سمع برنوخ الساحر ذلك الكلام ، قام بين يدي سيف علىٰ الأقدام ، وقال : يا ملك الزمان ، دع عاقصه تحملني إلىٰ عندها ، وأنا أسرق اللوح ، فقال سيف : يا عاقصة ، احملي برنوخ علىٰ كاهلك إليها عسى يحتال في أخذ اللوح المرصود منها ، ويكفينا مهمها ، فطارت عاقصه ببرنوخ في الهوى ، ونزلت به علىٰ سط دار ملك الصين ، وانتظرته ، وحصّن نفسه بكلام ، وسقط ، حتىٰ وصل إلىٰ بادهنج القصر ، وطل برأسه ، فراى قمرية والملك علىٰ سفرة المدام سكارى حيارى من قهقهة القناني ، واختلاف المثاني ، وعظم التصابي والتهاني ، وبينهم جارية مثل القمر المنير ، أو الكوكب المستنير ، بين نهديها عود ، صنعته الهنود ، محلوك مجرود ، وهي أبيات جالبة للسرور ، منسية للمحذور ، فما صبر برنوخ غير قليل عند

البادهنج ، حتىٰ عمل معهم أجمع الشراب ، وطاش في رؤسهم خمرة وصال الأحباب ، فأشار الملك إلىٰ الجارية بالإنصراف ، ومن كان عنده من الخدام ، فانصرفوا إلىٰ داخل المقاصير ، فلما خلا المجلس ، أخذ الملك قمرية إلىٰ أن طرحها علىٰ الفراش ، وهارشها غاية الهراش ، وقد غابا عن الوجود ، وصارا بعد الوصال همود ، فعند ذلك قام برنوخ السّاحر ، وهو مثل النمر الحردان ، وتمشى الهوينا ، حتىٰ صعد السرير ، فرأىٰ اللوح المرصود وهو يرصف علىٰ ذراع قمرية مثل الهلال ، فقطع علاقته ، ومسكه بيده ، فكأنه ملك الدنيا بحذافيرها ، فأخبر عاقصة ، فحملته وطارت به إلىٰ عند سيف ، فناوله برنوخ اللوح ، ففرح به فرحاً شديداً ، وأما قمرية فلما أصبحت فلم تر اللوح ، طاش عقلها ، وبقيت متفكرة في أمرها ، وإذا بعاقصة قد نزلت عليها ، واقتلعت بها في الهوى ، وملك الصين ينظر وهو مبهوت متعجب ، حتىٰ اختفت عاقصة بها في الجو الأعلىٰ ، ثم إنها نزلت بها علىٰ سيف وهو جالس ، والملوك والأمراء من حوله ، وصاحت : يا سيف ، هذه أمك الملكة قمرية ، فالتفت سيف ، وإذا بعاقصة ماسكة لها من دوائبها وهي تنادي بالويل والثبور وعظايم الأمور ، فرّق سيف لأمه ، لما أصابها من العذاب ، وقال لها سيف : انزلي بها الأرض ، فقالت عاقصة : هيهات لو ترك القطا لغفا ونام ، ثم إن عاقصة حذفت قمرية إلىٰ الجو الأعلىٰ ، فخرجت من يدها مثل الحجر إذا خرج من المقلاع والمنجنيق ، ثم استلت سيفاً من قرابه ، وصبرت علىٰ قمرية حتىٰ وقعت ، فلاقتها بالسيف ، فنزلت إلىٰ الأرض قطعتين ، فلما نظر سيف إلىٰ أمه حزن عليها حزناً شديداً ، وسبّ عاقصه ولعنها ، فغابت وطارت ، وقالت : الآن ، ما بقيت أخاف عليك من أحد ، فقال يا كلبة الجان ، إن ظفرت بك قتلتك مثلها ، ، فقالت : إن جئت لك بعد هذا ، افعل ما

بدا لك ، وعليك مني السلام ، كلما ناح الحمام ، فغابت عاقصة عن الأبصار ، وقامت الحكما ، وهم فرحين مسرورين بقتل قمرية ، ولكنهم يسلّون سيف عنها ، يذكرونه بأفعالها ، وسيف لا يتسلّى ، فواراها في التراب ، وعقد عيها الحزن أياماً ، فاجتمعت عليه الأصحاب والأحباب ، وعملوا له ما يشرح به خاطره ، وأخجوه من بيت الأحزان ، واستقام على سرير ملكه ومحلّ عزّه في مدينة (احما) ، واشتغل مع أزواجه وأولاده ، وما كانت إلا أيام قلايل ، فولدت بنت سابك الثلاث ـ زوجة سيف ـ ولداً ذكراً مثل طير الذهب ، طوالعه سعيده وساعاته حميدة ، وسمّاه نصراً ، واستشعر به النصر ، وعمل له وليمة عظيمة ، لها قدر وقيمة ، أكرم فيها قومه وعسكره ، وخلع عليها الخلع الغوال ، وزُينت المدينة ، ودُقت الكاسات ، ونقرت البوقات ، وضربت الطبور ، وأُرقصت الخيول ، ولم تزل الناس في هنا وسرور وأفراح مساء وصباح ، وقبلّت الأرض بين يدي سيف الأعزة والخدم ، ودعوا لدولته بدوام العز والنعم ، وإزالة .... والنقم ، وعملوا مهرجان لا يوجد مثله في ساير البلدان ، وغنّت الأغاني ، وانبسط القاصي والداني ـ أي عيد ـ ، ودقت الطاسات والطبول ، وانتشر الفرح عرضاً وطول ، وزاد الهنا والمسرات ، وأنعم عليها بالمبرات ، على جميع أهل بلاده وعساكره وأجناده ، وطفح اللهو واللعب والطرب والطيفات ، وطرح من الدهر الأفات ، ونسي ما قد فات ، وبقي في عمل الولايم والأفراح مدة سبعة أيام ، وقد رتع في السرور والتهنية الخاص والعام ، وقد أخذ الملك سيف الفرح والطرب ، وحمد الله على بلوغ الأرب .

قال صاحب الحديث : وهو الشيخ أبو المعالي ، وهو المؤلف ، حتى لا يصير علينا عتب ولا ملام في سياقه الكلام : وكان فيمن اجتمع من نساء الملك سيف

في ذلك المهرجان منية النفوس ، صاحبت ثوب الريش ، المحفوظ عند سيف ، وكان الملك له مدة ما اجتمع بها ، ولا دخل عليها ، فأرسل لها خلعاً فاخرة ، وعمل عليها حلياً وحللاً ، ووهبها مالاً كثيراً ، ومضى إليها ، وبات عندها ، فتلقته ، وعانقته ، وأخذته بالأحضان ، وقالت له : يا ملك الزمان ، صدق من قال : من لقي أحبابه نسي أصحابه ، وصدق من قال : بعدما كنا أصحاب بقينا معارف ، فانتعش الملك سيف لهذا العتاب ، الذي أحلى من الجلاب ، وقال لها : أنت تعلمين أنك المحبّ القديم ، فلا أحد يعادلك ، ولا يقوم مقامك ، فقالت : ما دمت لنا طيّب في السعادة الكاملة ، والمسرة الشاملة ، وما أنا إلا من بعض جواريك ، فإن واصلتني كان من فضلك ، وإن هجرتني فلا ملام علىٰ فعلك ، وما أليق بحالي قول الشاعر :

من كان عبداً لقومٍ لا يؤاخذهم ... يغنم رضاهم ويرضيهم إذا غضبوا

وأنت يا سيدي[1] تعلم أني صرت مقصوصة الجناح من الأهل والخلان وبعيدة الديار والأوطان ، قد عدمت جواري وأحبابي ، وغيّبت عن ملكي وأصحابي ، فلا أنتَ بقربكَ جبرتني ، ولا أنتَ بين رهطي وأقاربي تركتني ، ثم إنها أرخت دمعاً ، ترقرق بين جفني غزال ، وأرخت من دلايل حسنها دلال ، فلاعبها وضاحكها ، وهارشها وما رشها ، واندفعت إليه ست الملاح ، فعانق منها أحسن وشاح ، فأخذ منها نصيب الأفراح ، وشرب أقداح الراح ، علىٰ شقايق النعمان ، وحمرة التفاح ، فبينما هما كذا في أرغد عيش ، إذا سيف ببرق علىٰ ضوء الشموع مثل البرق اللامع ، أو النجم الساطع ، فعرف سيف ذي اليزن أنها طامه بنت الحكيمة عقله ، وقد لبست القلنسوة فهي ترىٰ الناس ولا يرونها ،

(١) م ك : يا سيدتي .

وتقدر علىٰ السيئة وتفعلها ، فخاف علىٰ منية النفوس منها ، فضمّها إلىٰ صدره ، وناداها : يا طامة لا تفعلي ، وارمي القنسوة حتىٰ أراكِ ، فقالت : حتىٰ أرمي رأس منية النفوس بهذا السيف مثل ما عملت بناهدة بنت ملك الصين ، فقال : ما ذنبها ؟ ، قالت : الذنب لك أنت ، حيث تتنزّه علىٰ بيضاء وحمراء ولا تذكرني علىٰ بالك ، كأني لست لك بزوجة ، فقال : دعيها ، فإنها ما رأتني في مقصورتها منذ زمان ، فقالت : قد وهبتها لأجلك علىٰ شرط أن تعطيني الآن ثوبها الريش ، الذي كانت به تطير ، وقد أخذته أنت منها في البستان ، فقال : ما غرضك فيه ، قالت : ما قصدت إلا أن أتفرج عليه ، وأنظر صنيعة الحكماء فقال الملك سيف : أخاف تعطيها الثوب ، وتلبسه وتطير إلىٰ مدينة ملكها ، وأبقىٰ رهين حسرتها ، قالت : معاذ الله يا سيدي أن أعطيها إياها ، فخذ موثقي ، فحلفت له الأيمان المغلظة ، وأخذت منه الثوب الريش ، وأوعدها أن يأتيها الليلة القابلة ، وكانت طامة علىٰ جانب من الجمال ومكانة من الحسن ، فخرجت إلىٰ مقصورتها ، واستعدت لمجيء الملك لها ، وتزينت بكل زينة ، وفرحت ، ونثرت علىٰ جواريها النثار ، وهي من بنات موك العرب ، فدخل سيف وقت العشاء عليها ، وتملّىٰ بجمالها وتمتع بكمالها ، وطلب منها القلنسوة ، فامتنعت عليه ، وعند الصباح خرج وجلس علىٰ الكرسي بخلوق طامة ، فشمته أرباب الدولة ، فهنّته بطيب العيش مع طامة ، وتكاملت السرور والأفراح ، بالعزّ والأرباح ، وقام الحكيم اخميم الطالب علىٰ قدميه ، وأنشأ يقول : أفلح من يصلي علىٰ الرسول :

لسيف دايم ..... الأيام غرّ ... بأن الله خلاق البرايا
وسعد قايم في كل وقت ... وإحسان وتجدى العطايا
بطامة من حوت حسناً جزيلاً ... يدوم له الرعاية في الرعايا

وكذلك كل أحد من الوزراء تكلم علىٰ قدر المقام ، من منثور ونـظام ، فبينما هم يتجاذبون السرور في ربّات الخدور ، إذ دخل غلام سيف ، واسمه (الزمام) وبشّره بغلام ولدته منية النفوس ، ففرح سيف به ، وأعطاه الإحسان ، وسماه الملك مصر ، ودقت له الكوسات ، ونقرت له البوقات ، واتصل سرور بسرور ، وقامت في القصر .... وزينوا مدينة (احمرا) سبعة أيام ، وفي كل يوم يطلع سيف الميدان ، في مماليكه والفرسان ، ويقع بينهما اللعب و ..... حتىٰ كملت السبعة الأيام ، نادى سيف : من أراد الصيد والقنص فـليتأهب لانـتهاز الفرص ، وكان الزمان معتدلاً وربيع ، والأرض ريانة ومزهرة بأوراد الربيع ، قد أبرزت الأرض حدايقها ، وأزهرت عـقايقها وزعـانفها ، وفـاحت روايـحها ، وأولت نجابحها والبر مثل البساط مفروش واللوح المزين المنقوش ، فأجالوا فيها بالخيول ، وأطلقوا البازات والصقور ، وأرسلوا الكلاب والفهود ، واصطادوا كل طير ووحش ، وطال مكثهم في البر ليالي وأيام ، ومدّو الأطناب والخيام ، وصنعت المآكل والولايم ، وكثر القاعد والقايم ، وسـيف بـينهم كـالقمر بـين النجوم ، أو كالشمس في رقراق الغيوم ، وقد قرّت عينه بالمال والولد والإسلام بسعادة الأبد ، فرجع إلىٰ طبع العرب ، وملك بزمام العلم والأدب ، فإن منشأه من حمير التبابعة أصحاب التيجان ، وأكابر ملوك كل عصر وزمان ، وأنشد سيف ذي اليزن عند ذلك يقول : أفلح من يصلي علىٰ الرسول ، يصف نـفسه ، ويـنشر أحواله ، ويبيّن ما جرىٰ عليه ، وجلىٰ له من أهواله وأفعاله ، من صغر سنه إلىٰ استحمام سنه :

بـلغتُ المـنار والقـصد والفـوز والأرب
وأصـبحتْ الأعـداء فـي ... مـع نكب

عطاني إله العرش ملكاً وسؤدداً
وقد سفت أهوالاً وقاسيت من تعب
فأول زماني قد ربيت بعزةٍ
وحسن دلالٍ زايدٍ مافيه من نصب
جرت لي أمورٌ حيرت كل عالم
وكل لبيب حاز من ذلك العجب
وقدرة إلهي خالق الخلق كلها
أعلتني وأنجتني من الهم والوصب
فأولها أمي رمتني بقفرةٍ
وعمري يوم الأربعين لمن حسب
فحننّ إله العرش ربّي غزالةً
سقتني ومنها الثدي في الفمّ قد حلب
فقدّر إله العرش جلّ جلاله
لصيادجا للبرّ يوماً وقد نصب
الأشراك صيد يبتغي الصيد حطها
فجاءت غزالي وهو للرزق قد طلب
فقطعت الأشراك جرياً غزالتي
فانقضّ لي الصياد أمسيت منقلب
فلما رآني حار حقاً لأمره
وقد قال قولاً إن هذا من العجب

غـــزالة بـــر القـــفر وهـــي وحشـية
فـــماجا غـــلام الأنس إلا له ســـبب
رجـــع بـــي لأفـــراحٍ مـليك زمـانه
فـــلي لقـد ربّـا وقـد أحســن الأدب
فأدخـــلني قـــصر الهـــنا لحـــريمه
وقـــال لأهـــل البـيت هـذا له أحب
فأكـــرم مـــثواي وصـــرت مـــبجّلاً
بـــخير جـــوادٍ يـخدموني بـما وجب
وزوجـته كـانت عـلى الوصـف حـاملاً
بـبنت عـلى شكـلي حسـناً مـن العـرب
عـــلى خـــدها شـــام وخـدي مـثله
فـــايقن بـــالأفراح والحـــزن قـد ذهب
فـــحذره مـــني (سـقرديس) عـنده
وقال : افرق الشـامين تأمـن مـن العـطب
لأن بـــلاد الحـــبش تـخرب لقـربهم
وتـنفد دعـوة نـوح فـي الحـبش بـالعرب
وتـــــبتاع أولادهـــــم وبـــــناتهم
وأمـــوالهـــم تـبقى اغـتناماً لمـن نـهب
فـــطاوعه أفـــراح فـــي زور قـــوله
وأفـــرقنا والله فـــي أمـــره غـــلب

ومـــا زال يـــحسدني ويـــطلب قـــتلتي
وربّـــي يـــنجيني مـــن القـــتل والعـــطب
عـطاني طـراق السـحر قـد صـرت عـنده
فـــصرت فـــريداً فـــي الشـجاعة والأدب
وصـــــرت شـــــجاعاً فـــارساً ذا حـــميّةٍ
ووحش الفـــلا اسـمي ولا أعـرف النسب
وكـــان لخـــرّاقٍ مـــن العـــزم قـــوةٌ
يـــخرّق بـــها الأشـجار طـعناً بـلا نـصب
فـــقال نـــهاراً إن فـــعلت كـــفعلتي
وخرّقت هـذي صـرت أفـرس مـن ركب
ركـــبتُ حـــصاني واســتلبتُ لحــربتي
فـــخرقتهم والنـــصر لي خـــالقي وهـب
فـــهجّجني مـــن أرضـــه وبـــلاده
خـرجت حـزيناً فـي همومٍ وفـي كـرب
ومـا زلت بـالمقدور حـتى وصـلت مـن
مـــدينة أفـــراح الأمـــينة ذي الرحب
رأيت بـــها هـــماً وغـــماً وحســـرة
وبـــرّ المـــدينة خـيمتنا لمـن نـصب
فـــخيمة أحـــزان وخـــيمة فـرحـة
وأبصرت (شـاما) غـاية القـصد والأرب

سألت لها احكت عليّ ما جرا لها
وأن لها جنيّ من الجن قد طلب
وخوف أفراحا ببرق ورعدة
ورجم وتهديد فخاف وقد رعب
وها قد نصب لي خيمتين قباله
فخيمة افراح وحزن قد انقلب
وصار أبي وأمي باكين لفرقتي
وأهل المدينة خايفين من النصب
فقلت له إن جاء هنا اقتلنّه
بسيف صقيل المتن أعوج ذي حدب
فما كان إلا عن قليل وقد أتى
إليها ليأخذها رأني فلي طلب
ضربتُ له بالسيف طيّرت زنده
أخذ يده بأخرى يديه وقد انقلب
إلى أهله والنار في قلبه غدت
وغدتُ قرير العين والفرح منهلب
وقد مزحت شاما ... بوها وأمها
دخلت المدينة والعساكر تنسحب
خطبتُ لشاما منية القلب والحشا
فعارضني فيها الحكيم ولي حسب

حساب الأذى والمهر راسي مقدرٌ
يُسمى (بسعدون) الشجيع ذوي الرتب
مصيت إليه سرعة فأخذته
أسيراً وصار الآن أفضل من صحب
فلما رأى سعدون قال حكيمهم
نريد لنا الحلوان يا سيد العرب
فقلت له ماذا تريد فقال لي
اريد كتاب النيل فأتي به عجب
فقلتُ له ابشر وقد صرتُ قاصداً
لقيت إماماً حازماً قد حوى الأدب
يسمى (جياداً) جاد ربي به وقد
هداني إلى الإسلام والقول قد وجب
وعلمني صحف الخليل ودينه
وسمّاني اسماً ما حق كلّمني كذب
بذي اليزن سيفاً على كل مارق
عن الدين وأعلمني بأصلي مع النسب
وأخبرني بكل الذي جرى
وما قد جرى لي وما كان مكتتب
وسرت إلى أن جيت نحو بطيحة
وعديت فوق الحوت سيراً بلا لعب

طــــلعت إلى بـــــر الحكـــيمة (عــقله)
إذا (طــامة) وســـط الطــريق لمــن ركب
وقـــــد عـــــرفتني نـــفسها فـــعرفتها
وقـــــد عـــرفتني أمـــها غـــاية الأرب
وقـــــد أخـــــرتني لظـــلام وأنـــــزلت
من السور حبلاً صرت في الحبل منسحب
فـــــلما طـــلعت الســور قـــابلت عــقله
وقد سلمت تسليم أحسن مـن صـحب
وقـــــالت أتـــيت الآن تـــطلب يــا فـــتى
لأخـــذ كــتاب النــيل يــا عــالي النسب
فـقلت : نـعم ، قـالت : وصـلت بـلا خـفا
بـلغت الذي تـرجـوه يـا خـير مـن كـتب
وقـــــد أنـــــزلتني دار يـــا نـــعم دارهـــا
فـــزلزلت الأســـوار مـــن صـــارح ضـرب
فـقام (المـلك قـمرون) والعسكـر الذي
قـــد كـــان تـــحت الأمـــر والكـل قـــد ركب
وصــــاروا بــــهزح فــــي المــــدينة لــيــلهم
سألت لعـــقله قـــالت الســـير قـــد وجب
عـــلى مـملكة قـمرون يـا سـيف صـارخ
يـــريد لكشـــف الست مـــنك لتشـــتكب

وقـد ركـبت فـي الفـجر نـحو مليكهم
فأخـبرها عـن صـارخ غـاط وانـقلب
ثـلاثمين ثـم سـتون عـدّ مـن
يـحرد أشكـالاً وللـرمل قـد حسب
فـحارت عـقول الكـل من فـعل عـقله
وقـالوا هـنا وحش وطـاروا ذا عـجب
وقـالوا نـرى فـي البـحر حـوتاً مـعرشاً
ومـن بـعده قـالوا كـلاماً بـلا ريب
كسـور نـحاس فـيه بـحر مـن الدمـا
وهذا الذي نرجـوا عـلىٰ طـود مـن ذهـب
وكـان الذي قـالوه مـن فـعل عـقله
وقـد غـيبت عـقل الجـميع مـن الوصب
ولمـا دخـلنا قـبة لكـتابهم
فـدار كـتاب النـيل نـحوي وانـقلب
فـجال عـليّ القـوم يـبغون قـتلتي
فـنجاني إله مـالك المـلك يـحتجب
بـقدرة ربـي قـد هـزمت جـميعهم
وولّا عـثارى مـا عـييتُ مـن التـعب
أُسـرتُ وجـابوني الىٰ جب ضـيق
عـيمق ظـلام فـيه نـوع مـن الغـضب

وقـــد سكـــبوه بـالرصاص وضـيقوا
فـفرج الهـي كـل مـابي مـن الكـرب
لأنـــي دعـوت الله فـي ظـلمة الدجـا
وقـلت الهـي قـد أحـاط بـي العـطب
فـــجاءت بـــحمد الله (عـاقصة) وقـد
تـــجلّىٰ عـــليّ الله والهـــمّ قـد ذهب
وقـالت إليك القـصد جـرني مـن العنا
فـقلت قـيودي والكـتاف وقـد شكت
فـفكت قـيودي والكـتاف وقـد شكت
ظلوماً يسمى المختطف ....
فســرتُ له فـي قـصره بـعد حـصره

....

وخـــلصت أبكـــاراً فســرن لأرضـــهم
وعـــاقصة قـرت مـن الهـم والوصب
ظـلوماً يسـمى (المـختطف) فسـرت له
فـــي قـصره بـعد حـصره وخـلصت
وخـــلصت أبكـــاراً فســرن لأرضـــهم
وعـــاقصة قـرت مـن الهـم والوصب
وقـــد عـــاهدتني عـــاقصة بـــإخوة
وصـــار لهـــا عـــندي ذمـام لقـد وجب

وقـــد سـيرتني نــحو سـبع مــدانــها

مدينة (افلاطون) ....

كـذا أرسـطاطا ليس صـاحب حكـمة

وجـــالنيوس مـــن له الله قـــد وهب

(وهــرمس) يســمى وهــو لكـل سيد

إمام كلام ....

كـــذاك (يـلباناس) الحكـيم وأخـته

.... تسـمى لهــا سـجر مــرتهب

قـــلنسوة افـــلاطون لمـــا أتـــيتها

أخـــذت مــن الأولاد أبــلع مــن الأرب

وثـاني مـدينة قـد جـرى لي عـجايب

تـــحيّر مـــن يـــقرأ .... مـــن كـتب

قـــلنسوة أفـــلاطون لمـــا لبســـتها

أخـذت بـها تـاريخ نـيل هـو العـجب

وطـــامه أخـــذت مــن القــلنسوة الى

أخـذت بـها التـاريخ وازداد بـي النـصب

رجـــوت لشـاماً ابـلغ القـصد والمـنا

فما شفتها أيقنت بالموت و ....

وأرســـلني سـيف ارعـد المـلك الذي

له أيـن مـا حـل السـحاب ومـا ذهب

إلىٰ (احـــمرا) اغـــزو وقــمرية التـــي
لها مكر لا يحصيه من . . . . الأدب
فـــلما رأتـــني خـــادعتني بـــمكرها
وقـــالت بـــين أنت والخـــاطر انـــقلب
وقد عرفتني . . . .
وقالوا . . . . والإله لقد سلب
لقمرية ملك التبابعه . . . .
. . . . ينتسب
فـــلما رأتـــني قـــد مـــلكت مكـــانها
قـــالت تـــعالى خـــذ لمـــالك واذهب
مـــضيت وإيـــاها إلىٰ البـــر قـــاصداً
ثـــلاثة أيـــام بكـــدٍ وفـــي نـــصب
وفـــي رابـــع الأيـــام جـئنا لدوحـــة
وأوراقـــها مـــثل الدراهـــم فـــي الخشب
فـــنمت ونـــامت لعـــنة وســـبا ....
فـــقامت إلىٰ ســـيف لهـــا وهـــي تـــرتعب
.... بـــه زنـــداً كـــما الزنـــد قـــادح
ولي ضـــربت مـــثل العـــدو إذا ضـــرب
فـــقطعت الأعـــصاب مـــني بـــضربها
وصـــرت طـــريحاً فـــي البـــراري منتحب

وقــد خــلفتني فــيالوهــاد مــحيّر
أنــوح عــلىٰ حــالي ولا نـلت مـن أرب
رأت عــيني العــبر بــالدوح طــايراً
يــقول لطــير آخــر اسـمع وانــتحب
تـرى سـيفاً مـلقى وهـو بـالجرح مرهف
فــيضمخ أوراقاً ويــلزق بــالشطب
إذا بــهما الشــيخ الذي زاد مــجده
جــياداً وعــبد للســلام ذوا الرتب
فــهمت لمــا قــالوا اقــتطفت ورايــقاً
مـضغت والمـمضوغ عـوفيت مـن رقب
وقــمت سـليماً مـن جـراحي مسلّماً
وصــرت إلىٰ اخـميم والدمـع قـد سكب
فــادخلني قــصر النســاء وبــنته
اهــدت إلي لوح مــصاغ مــن الذهب
له خــادم يــخدم بــحسن مــودة
ولكــنني لم أدر مــا كــان مكـتسب
قــعدت إلىٰ القــصر المشـيد اريـده
أخــذت لسيفي والذي حـل بـي عـجب
أردت أرىٰ مــن فــي الســرير ووجــهه
فــعاجلني الأحــزان والهـمّ والوصب

طلعت لا خميم المرجّا اجتماعه
فقال : تموت اليوم من شدة اللغب
وفارقني لما خدا اللوح عامداً
وفي القصر قد ضليت أبكي وانتحب
ثمانين يوماً صرت في القصر ماكثاً
وأرمين روحي اليمّ واليمّ منقلب
طلعت إلىٰ بستان اجلت ثماره
وكان به الجيدا حوت ساير الأدب
جرت لي أمور عندها ضاق حصرها
ونجّاني الرحمن منها وذا عجب
واللّوح منها قد أخذت وعدت في
طريقي إلىٰ شاما وقد فزت بالأدب
تزوجتها يا نعم خير قرينة
ولكن جرى من أمّي الهم والتعب
لأني في ليلة دخولي بشامة
دفعت لها لوح الخديم بلا رهب
وقد استحضرت عيروض في ضمن ساعة
وقالت خذ الإثنين والأمر قد غلب
فشتتني في وادي النار عاجلاً
وشاما بوادي الطود تبكي وتنتحب

إلى أن أتـتني عـاقصة بـعد مـا جـرى
وصـرت بـبستان الحكـيم بـلا سـبب
ومـنية أربـاب النـفوس أخـذتها
وقـد كـنت أخـفيت القـميص ...
تـزوجتها فـي قـصر عـاقصة الذي
له ذكـر مـا بـين القـصور لذي الرتب
وعـدت لشـاما مـع تـدمر جـمعنا
مـن الله اذ حـلّ النسـيب إلى النسب
ومـن بـعد هـذا قـد جـرت لي عـجايب
يـضيق بـها صـدر الذي قـال أو لقب
وجـئت أبـا تـاج وجـئت مـدينتي
قـضيت بـها سـعدون فـي غـاية التـعب
وكـان أتـى المـيمون مـع صـحبة له
وعـقله مـع طـامة لهـم حكـم قـد وجب
(وبرنوخ) قد أحمى صحابي مـن الردى
جـزاهـم الهـي بـالجنان كـما احب
وقـد غـمني أفـعال عـاقصة بـما
تـعدّت عـلى أمـي وارأتـها العـطب
وصـرت حـزيناً بـعد قـتل أمـيمتي
وافـعالها والقـصد أن تـقطع النسب

ومــن بــعدها راق الزمــان وقــد صــفا
وطــاب زمــاني بـعدما كنت في تـعب
وصـــــرت بأولاد وخـــير ونـــعمة
ولله مـــني الحــمد والشكـــر قــد وجب

قال الناقل لهذا الخبر الطريف ، والراوي لهذا النقل الظريف : لما فرغ سيف من شعره ، التفت إلىٰ عساكره ، وهو فيهم مثل القمر بين النجوم ، أو كالأسد الهجوم ، وأمرهم بالصيد والقنص ، وانتهاز الفرص ، وخواصه بين يديه تثير إليه الوحش والغزلان ، وهو بهذا اللهو فرحان .

هذا ما كان من الملك سيف ، وأما ما كان من أهل قصره والنسوان فإن طامة بنت الحكيمة عقله ، قد عملت وليمة عامة ، وزينت مقصورتها بأحسن زينة ، وجست علىٰ السرير ، ووجهها كالقمر المنير ، وأرسلت بعض جواريها وأحضرت عندها منية النفوس ، وقد تزينت منية النفوس بأفخر زينة وأقبلت في جوارها إلىٰ طامة ، تنقل الخطا ، وهي تمشي كمشي القطا ، فلما نظرت طامة إلىٰ منية النفوس ، قامت إليها علىٰ الأقدام ، وأخذتها بالأحضان ، وأجلستها إلىٰ جانبها ، وقالت إليها : يا سيدتي ، أردت في هذا النهار أن أتحدث معك ، واتملّا من منادمتك ، فقبّلت منية النفوس يدها ، وقالت : وأنا أيضاً مشتاقة إلىٰ حديثك ، فتحادثنا ، وتطارحنا الحديث ، وحضرت بعد ذلك الموايد والأطعمة الفاخرة ، فلما فرغوا من أكل الطعام ، شرعوا في شرب المدام ، فلما دارت الخمرة ، غزلت عيونهن السّود ، ومن عادة الغزلان تصيد الأسود ، واحمرّت الوجنات ، وتمايلت الغادات ، ونسوا ماقد فات ، ولم يلتفتوا لما هو آت ، وكانت الملكة طامة لها صوله في قصر الامارة ، وكل من فيه يخاف سطوتها ، فلذلك صارت

منية النفوس قدامها كالعبد الحقير ، أو الغلام الأسير ، وهما في لعب وطرب ، والأغاني والجوار تدق بالدّفوف ، وتضرب بالعيدان ، وأقداح المدام دايرة ، وكان ذلك النهار لا يُعد من الأعمار ، فطابت لهن الحضرة ، وعملت معهنَّ الشكرة ، وشكا الملك سيف الحميري التبعي ، فإنه أدخلهنَّ في دين الإسلام ، وعرفهنَّ الحلال من الحرام ، ثم إن منية النفوس ، أنّت وحنّت واشتكت وبكت ، وصارت دمعها نازلة علىٰ خدّها الأحمر ، مثل الدرّ والجوهر ، وتذكرت أهلها ومسقط رأسها ، وحنّت إلىٰ ناسها وبلادها وجوارها وملكها ، وما كانت فيه من النعمة ، فلما علمت ذلك منها طامة ، قالت : يا سيدتي ، يا منية النفوس : اتبكي ونحن في هذا الوقت من العيش ، الذي جُمع لنا فيه من الهنا والسرور وشرب الراح والخمور ، ونلنا بحضرتك الحبور !! ، فقالت : يا سيدتي ، كيف لا أبكي ، وقد كنت ملكة من الملوك ، احكم برأيي علىٰ مدينة البنات ، وأنا صاحبة مال وجوار وخدم وحشم بني أهلي وترايبي وأخواتي ، وقد صرت الآن مشردة غريبة وحيدة فريدة ، فقالت لها طامة : قد صرتِ محضية من محاضي ملك من ملوك اليمن ، وسيد التبابعه ، من ملوك حمير ، وجاءك منه ذلك الولد الجيد ، وسيكون من أصحاب التيجان ، وملك من ملوك العصر والزمان ، وأنت ما عدمتي من لذاتك ، إلا الطيران ولبس ثوب الريش منذ ازمان ، فلما سمعت منية النفوس بذكر ثوب الريش ، زادت نار علىٰ نارها ، واشتد كاؤها وعثارها ، فسكتتها طامة ، وأخذت بخاطرها ، ثم قالت : يا سيدتي بالله عليك ، كيف كنتِ تطيري ، وأنت بهذا السّمن وغلظ هذا العظم وثقل هذه الجثة ؟! ، فقالت لها منية النفوس : يا سيدتي ، إنما أطير في الجو الأعلىٰ بالأسماء والطلاسم وسر الأرصاد ، الذي هي مكتوبة علىٰ ذلك الثوب ، فإنه قد صنعته الحكماء ، وسر ارصادهم

الذي احتكموها فيه ، فبذلك أطير ، وذلك الثوب أيضاً مخصوص باسمي ورسمي وجسمي ، ولا ينفع أحد غيري ، فقالت طامة : هذا عجب عجيب ، وكانت منية النفوس تعلم أن ثوبها عند الملكة طامة ، أخذته تلك اليلة المعهودة ، فقالت : يا سيدتي ، وها ثوبي عندك هاتيه ، وأنا افرجكي على طيراني في هذا القصر ، حتىٰ تعلمي صحة قولي ، وتعجبي لما عملت الحكما من حسن الارصاد ، فأبت طامة عليها ، وخافت من غايلة الملك سيف ، فحلفت لها أنها مثل ما تأخذه منها تسلّمه إليها ، وأخذت تعظّم في الأيمان ، وتغلظ في الأقسام ، فعند ذلك صدقتها طامة ، وركنت نفسها إلىٰ أيمانها ، وأخرجت ثوب الريش من الصندوق ، وأعطته لمنية النفوس ، فلما نظرت إىٰ ثوبها ، صارت كأنها في منام ، وصار قلبها يرجف ، وكأنها ملكت الدنيا بحذافيرها ، وقد فرحت فرحاً شديداً ، ثم إنها فكت أزراره ، ولبسته علىٰ بدنها ، وإذا به واسع عليها ، فأمرت أحد جوارها ، وقالت لها : آتيني بالبذلة الفلانية من الصندوق ، فذهبت الجارية إلىٰ المقصورة ، ورجعت بالبذلة ، فعند ذلك قلعت ثوب الريش ، وناولته طامة ، ولبست قميص من أفخر الثياب ، وطامة تنظر إليها وهي متعجبة ، ولبست البذلة الفاخرة عليه بكاملها ، وعملت في عنقها قلادة مرسلة بحجارة البرهمان الطيلساني ، وأفردت من فوق ذلك (نقطانة) كاملية قيمتها ألف دينار ، وكلّلت جبينها بعصايب المعدن ، فلما نظرت طامة وقد لبست جميع ذلك ، قالت : تبقي إذن ثقيلة ، وأنت أيضاً لحيمة جسيمة ، فقالت لها : حتىٰ تعلمي يا سيدتي سر ارصاد الحكما وأنه لا يعصيها ثقل ، ثم إنها تناولت ثوب الريش ثاني مرة ، ولبسته علىٰ بدنها ، فوق الخلعة ، وفوق جميع ما لبست ، وزرّت أزراره ، وأحكمت الأزرار من تحت عنقها ، وشدته محكماً من تحت إبطيها ، ولفته لفاً

جيداً علىٰ صدرها ، وضمّت مانهد من نهديها ، وقالت : انظري يا طامة ، واقتلعت من الفرشة والمساند المسندة ، فصارت علىٰ شراريف القصر ، ودارت بالطيران من شرافة إلىٰ شرافة من القصر ، يميناً وشمالاً وخلافاً وقدماً ، والملكة طامة تنظر إليها متعجبة من ذلك ، متحيرة مما هنالك ، وتقول : ما هذا إلا سر عظيم ، وأمر فخيم ، والسكر قد خامرها ، وغبّ منها العباب ، وكان في أسباب وابهات تحيّر أولي الألباب ، وأما منية النفوس فإنها قد غافلت طامة ، وهي في تلك البهتة ، وانقضت علىٰ ولدها مصر مثل الصقر وهو نايم ، وأخذته واحتضنته ، وطارت به علىٰ بادهنج القصر ، والملكة طامة تنظر إليها مبهوتة : ما هذا العمل يا سدتي ، وأنتي قد غدرت بي ، وقد أمنت إليك ، وصدقت أيمانك ، وماذا أقول للملك سيف إذا سألني عنك ، وعن ولده ، وعن ثوب الريش ، وصار من طامة الصياح المزعج ، واعياط المرهج ، وإذا بالحكيمة عقله داخلة ، وقد علا الوهج والرهج والخطاب والكلام والجواب ، فنظرت إلىٰ فوق ، وإذا بمنية النفوس قاعدة علىٰ بادهنج القصر ، متقمصة علىٰ قدميها ، وولدها بين ثدييها ، فالتفتت إلىٰ ابنتها طامة ، وقالت : لا جزاك الله خيراً يا عاهرة يا فاجرة ، فلماذا أهملت أمرك ، وأعطيتها ثوب الريش ، وما يكون جوابك عند الملك سيف ، فقالت : سليها فإني ما أعطيتها الثوب ، إلا بعد أن حلفت واغلظت بالأقسام والأيمان أنها ترجع إليّ الثوب ، وما أردت بذلك إلا الفرجة عليها ، وهي طايرة ، وما علمت ما أضمرته في باطنها ، فرفعت الحكيمة رأسها إلىٰ منية النفوس ، وقالت : يا سيدتي ، قد حلفت أنك ترجعي الثوب إلىٰ بنتي طامة ، وما أعطتك الثوب إلا بقصد الفرجة ، ليزول ما عندها من الشك ، وقد عملت العمل ، وطرت من الأرض إلىٰ البادهنج ، وحصلت الفرجة ، وزال الشك ، فبالله يا بنتي انزلي

بولدك إلىٰ قصرك ، ومحلّ عزكِ ، ولا تكوني سبباً لتنغيص عيش لبنتي عند الملك سيف ، وتنغيص الملك نفسه بفراق ولده مصر وفراقك ، فضحكت منية النفوس من كلام الحكيمة عقله ، وقالت : هيهات يا حكيمة ، لو ترك القطا لغفا ونام ، وما مضى فليس بآت ، والندم علىٰ ما فات من أشد الحسرات ، فقالت الحكيمة : واليمين الذي حلفت ؟ ، فقالت : قد حلفت أني أرجعه إليها وقد رجعته ، وحين أخذته منها ثاني مرة ما حلفت ، ولكن أوصيك إن رأيتي الملك سيف من فراقي وفراق ولده ، زاد به القلق ، واضرّ به الأرق ، فقولي له : يأتي إلينا في جزيرة البنات ، ثم إنها بعد هذا الكلام ضمّت ولدها بيديها إلىٰ صدرها ، واقتلعت به في الجو الأعلىٰ ، وسارت إلىٰ مسقط رأسها ، واجتمعت بأهلها وناسها .

قال الشيخ أبو المعالي ، صاحب هذا الحديث الطريف ، وراوي هذا الخبر الظريف : فلما عاينت الحكيمة عقله من منية النفوس ذلك ، لطمت رأسها ، حتىٰ عدمت حواسها ، وخمشت وجهها ، حتىٰ كادت تتناثر أسنانها وأضراسها ، وعاد السكر إليها ، حتىٰ غشي عليها ، فلما أفاقت : التفتت إلىٰ ابنتها طامة ، فقالت: ما هذه الفعال ، وما الذي نعتذر به إلىٰ سيف إذا قدم ، وأبدىٰ السؤال ، ولو ضرب عنقك ، لا يلمه أحد منّا ، وقد خنت أمانته ، وفرقت بين ولده وزوجته وبينه ، وهما أعز الناس عليه ، فقالت طامة : يا أمّ ، أنت المشار إليه في العلم والحكمة ، فدبريني برأيك ، فقد دخل علي من ذلك هم وغمّ لاينقطع من فعل منية النفوس ، وما كنت أعلم أنها كارهه المقام عند الملك سيف ، وقد كانت عنده محضية ، وقد أولدها مصر ، وهو أحسن البريّة حلقة ، ثم إن طامة تقدمت إلىٰ أمها ، وأهوت علىٰ قدميها ، وقبلتهما ، وتضرّعت وتذلّلت ، فعند ذلك دعت

الحكيمة عقله بنجّار ، وعملت شخصين من الخشب ، علىٰ صفة امرأة وصبي ، وكفنت (الصورتين) ، ودفت عليهما المسك الأذفر ، وضمختهما بالغوالي والخلوق ، وافرغت عليهما الماورد وسحيق المسك ، وقعدت هي وابنتها طامة يولولون ويصرخون ، فلما سمع أهل القصر ، دخل عليهما من صغير وكبير وشريف ووضيع ، وزاد الولوال والويل ، وهم يقولون : ما الخبر ؟ ، وكيف ماتت منية النفوس مع ولدها ؟ ، قالت : نعم ، إنها قد شرقت بالخمر وماتت ، وما زال إبنها يبكي عليها ، حتىٰ مات ، فقام العياط حول الصورتين من جميع أهل القصر ، الخاص والعام ، ليالي وأيام ، حتىٰ سمع ذلك كل أهل مدينة (احمرا) ، فصار من الجميع حزن وعويل ونحيب ، وبكاء طويل ووجيب ، حتىٰ تزلزل القصر ، ثم إن الحكيمة عقله من ساعتها أرسلت خلف الحفارين ، وحفرت لهما قبرين في داخل مقصورتها ، وشقت لهما لحدين ، وتولّت هي بنفسها مع ابنتها طامه دفنهما ، ووارت التراب عليهما ، واظاعوا علىٰ القبر المسك والزعفران والعنبر الخام ، وعملوا لهما ضريحين من خام المجزع الملون ، وكتبت عليه بالذهب المحلول : هذا قبر السيدة المصونة ، والجوهرة المكنونة ، أنسية القلوب والنفوس ، الملكة الست منية النفوس ، وهذا قبر ولدها الملك مصر ، وحشت بين السطور باللازورد العدني واحكمت ذلك العمل بالعمل المتقن ، وعملت فوق الضريحين صندوقين عظيمين واسعين من العود القماري المخرم المخروط ، وأحسنت العمل فيها بنقش المثلثات والمربعات ، وأحكمت الزوايا والأركان ، وتشاريف المكان ، وأقامت علىٰ ذينك القبرين الشواهد والبراهين ، بالأعمال الخارقة ، حتىٰ كادا أن ينطقا ، وعملت فوقهما طاقتين ، كل واحدة لها ريشتان من الذهب بقطع المعادن المنضدة ، وجلست الحكيمة وابنتها ومن

حضر من الجوار وغيرهن يبكون آناء الليل وأطراف النهار ، وكان البكاء أكثره من خوف الملك سيف .

هذا ما كان من الحكيمة وابنتها طامة ، وأما ما كان من الملك سيف ، فإنه مكث في لهو الصيد ولعب القنص شهريه كاملين ، وقد صفا له الزمان وأراق ، ولم يعلم ما أتاح له الدهر من ألف الفراق ، المرّ المذاق ، وقد اشتغل بشهوات النفس ، ولذات الاوان ، ولم يعلم ما قضى الملك الديان ، من الهم والغم والحرمان ، ثم إنه بعد هذا أمر عساكره بالرجوع إلىٰ الأهل والأوطان ، إلىٰ مدينة احمرا محل الملك والعزّ ومركز الأمان ، فرجعت العساكر والفرسان ، وهو يقدمهم مثل الغضنفر الغضبان ، أو الشارب النشوان ، وهو مع ذلك مسرور فرحان ، بما نال من الملك والخدم والغلمان ، فلما قدم ديوان ملكه ومحلّ سلطانه وعزه ، وجلس علىٰ كرسي المملكة ، وصار يخلع علىٰ الخدم والغلمان والأمراء والوزراء والحكماء وأرباب المناصب ، وهم يهنونه بالملك والسلامة ، ويدعون له بطول العمر والبقاء وقد صرفهم بالجميل ، وقام يتمشىٰ نحو المقاصير ، فتلقته محاضيه وسراريه وجواره ، علىٰ أكتافهم أولاده ، وهو يهبهم ويخلع عليهم ، فلم ير زوجته منية النفوس وولدها مصر في جملتهم ، فقام من ساعته ، وتمشى نحو مقصورتها ، ونظر فإذا فيها قبران وصندوقان كبير وصغير ، فالتفت ينظر أحداً يسأل عن الحال ، فإذا بالحكيمة عقله وابنتها طامة ، وهما يبكيان ، فسأل عن الخبر ، فقالت الحكيمة : يعيش رأس الملك ، وله طول السلامة والبقاء ، فإن منية النفوس شرقت بالخمر ، وماتت وبكىٰ عليها ولدها ، فمات ، وهذه إنما هي حجة ، والأصل حلول الأجل ، فسبحان من لا يموت ، فلما سمع الملك سيف بهذا الخبر الشنيع ، والحديث الفضيع ، انكب علىٰ

القبرين يقبلهما ، ويبكي وينوح ، حتىٰ كادت تخرج منه الروح ، وانشد يقول :

إن كان من أهواه قد مات وانقضى   فقد آن موتي والحياة تولتِ
فما عاد لي حظ ولا لذّ لي كرى   وما عاد لي فيساير العمر لذتِ
وقد فقدت عيني حبيبة مهجتي   وقد كان لي في منية النفس منيتي
وقد كنت أرجو مصر عوني في الورى   وقد كنت أرجوه من الدهر عدتي
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها   إذا كان من أهواه صار بلذتي

قال الراوي : وتقدم إلىٰ القبر ، وضمّه بكله ، وبكىٰ وأنّ واشتكىٰ ، ونعىٰ وقال :

يا عين جودي بإنهمال سوابقي   على من كان لنا من أعزّ الرفايقِ
على أحبة قلبي منية النفس وابنها   فهم احباب قلبي دون كل الخلايقِ
هما كانا منا قلبي وكل جوارحي   لا عاش من ينسىٰ حبيبه ولا بقي
أنا كان لي خلان في الناس ... تمنيتهم   مدى الدهر .... ما بقي
قد فرقت الأيام بيني وبينهم   ترا بعد هذا البعد ... نلتقي
بكيت عليهم حتى فنيت مدامعي   وشابت دمعاتي كما شاب مفرقي
بكيت علىٰ الخلان ....
فو الله ما بكيت علىٰ فرقةٍ لهم   ولكن بكائي علىٰ حظي الشقي
ولاقتني شامة والحكيمة عقلة   باصياح .... تدفقي
فقلت مالكم يا .... وصحبتي   ....

قال الراوي : ثم إنه بكىٰ ، واسبل الدموع الغزار ولم يجلس[1] .

---

(١) إلىٰ هنا تنتهي قصة سيف ذي يزن ويبدو أن الجزء الأول منها مفقود .

حديث العشق والعاشقين

وصف المرأة الكاملة الجمال

عنه ﷺ أنَّه قال: (مَنْ آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً واسماً فهو من صفوة الله تعالىٰ) وقال ﷺ: (إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال) وقال ﷺ (ثلاثةٌ تجلو البصرَ: الخضرةُ والماءُ والوجهُ الحسن) وفي الحديث: (النصرُ إلىٰ الوجهِ الحسن يورثُ الفرحَ) وكان جعفرُ بن محمدٍ ؑ يقول: (الجمال مرحوم) وقالَ بعض العارفين: (النظرُ إلىٰ الوجهِ القبيحِ ينقصُ البصرَ) وقالَ بعضُ أهلِ الحبِّ: (إذا كانَ في المرأة أربعٌ: سوادُ الشعرِ والحاجبين والحدقتين وأشفارِ العينين، وأربعٌ بيضٌ؛ اللون وبياضُ العينين والظفرِ إلا أن يُصبغ والثغرِ، وأربعٌ حمرٌ: الوجنتان واللثتان، وأربعةٌ كبارٌ: الفرج والعجز والذراعان والساقانُ، وأربعة صغارٌ: اليدان والأذنان والأنف والرجلانُ، وأربعةٌ واسعة: السرة والعينان وأصول الثديين والجبينان، وأربعة ضيقة: الفرج والمنخران والخصر والأذنان، وأربعة طوال: العنق والقامة والشعر والأطراف، وأربعة قصار: اللسان والعينان واليدان والرجلان، وأربعةٌ دقيقة الأنف والبنان والخصر والحاجبان فقد كملت الحسن والجمال)، قيل وقد وُجدتْ جاريةٌ بهذه الصفاتِ أجمع في زمن الخليفة[1] المأمون بن هارون الرشيد العباسي.

---

(١) وردت بدون لام التعريف.

أصـبحت عـليلاً ذايب الجثماني يـا مـالك مـهجتي بـلا أثـماني
الروح غلت فكيف حتى رخصت فـي الحب ولم تـصل إلىٰ عـثماني

والعثماني نصفُ المرضوف وضعفُ العشتي والغاذي والمرضوفُ نصفُ الدهنيم ، والمحمدية أربعَ عشر دهنيم ، والقرشُ الحميدي الطرّة العين خمسُ محمديات ، وهذا اصطلاحُ أهلِ البحرينِ والقطيف .

ما قيل في المحبة

اعلم وفقكَ الله : أنَّ حقيقة المحبة ثابتة بالكتابِ والسنة واجماعِ الأمة ولم يخالف في ذلك إلا من هو كالبهائم أو كلب هائم ، وإنَّ منكرها خالٍ عن الذوق محتاجٌ إلىٰ القود والسوق ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾[1] وقال في شأن موسىٰ : ﴿ **وألقيتُ عليكَ محبة مني** ﴾[2] وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الله يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين** ﴾[3] فقد أثبتَ تعالىٰ حقيقة المحبة وشهد بها علىٰ نفسه للعبدِ وأخبرَ عن محبةِ العبد .

وفي فتوحات ابن عربي : (لما وقعت المناسبة بين الحقِّ وبين العالم صحَّ أن يقول : (يحبهم ويحبونه) فالحقُّ تعالىٰ محبٌّ ومحبوبٌ فمن حيثُ هو محب يفعل التأثير بالكون ، ومن حيث هو محبوب يبتلي والعالم أيضاً محبٌّ لله ومحبوبٌ فمن حيث هو محب لله يبتلى لأجل الدعوى الصادقة ومن حيث إنه محبوب يتحكم علىٰ محبته فيدعوه فيستجيب له ويرضيه فيرضىٰ ويسخط فيعفو ويصفح) .

وقال أيضاً : (لولا المحبة ما صحَّ طلب شيء أبداً ولا وجدَ شيءٌ أصلاً فالمحبة أصل في باب وجود الأعيان وقد ورد فيها آيات كثيرة في القرآن وأما

---

(١) سورة المائدة : ٥٤ .

(٢) سورة طه : ٣٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٢٢ .

السنة فروي عنه ﷺ : (إنَّ في الجنَّة غرفاً ترىٰ ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها ، أعدَّها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه والمتباذلين فيه) وقال ﷺ : (إنَّ في الجنَّةِ لعمداً من ياقوت عليها غرفٌ من زبرجد لها أبوابٌ مفتحةٌ تضيء كما يضيء الكوكب الدريّ ، قلنا يا رسول الله من يسكنها ؟ قال : المتحابون في الله والمتباذلون في الله والمتلاقون في الله) .

وقال ﷺ : (يقول الله يوم القيامةِ أين المتحابون لجلالي ، اليومَ أظلهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلّا ظلِّي) .

وقد أجمع ذوو العقول السليمةِ والطباعِ المستقيمةِ علىٰ وجودها وحسنها ومَنْ لم يصادف من نفسهِ الحبَّ في الله فهو ضعيفُ الإيمانِ ولقد أوحىٰ الله إلىٰ عيسىٰ عليه السلام : (لو أنَّكَ عبدتي بعبادة أهل السمواتِ والأرضِ وحبٌّ في الله ليس وبغضٌ في الله ليس ما أغنىٰ عنكَ من ذلك شيئا) .

وروي يحيىٰ بن معاذ[١] : (مثقالُ خردةٍ من الحبِّ أحب إليّ من عبادةِ سبعين سنة بلا حب) ولعمري إنَّ المحبةَ حالة شريف ومنزلة منيفة يتنافسُ فيها المتنافسون وإليها شمَّر السابقون وعليها يغار المحبون وبروحِ نسيمها يتروحُ العابدون فهي قوةُ القلوبِ وغذاء الأرواح وقرةُ العيون والحبوة التي من فقدها عُدَّ من الأموات والشفاءُ الذي من عدمه حلَّت به الأسقام وكانت معيشته كلها همومٌ وآلام ، ألا وإنَّ مقام المحبة أشرف وأعظم مرامٍ .

واعلم أنَّ المحبة والحبَّ بمعنىً واحد وأصله صفاءُ الحالِ بين المحبين مشتقٌ من حباب الأسنان لصفائها وبياضها وقيل : المحبة اسم لغليانِ مافي القلب

---

(١) يحيىٰ بن معاذ بن جعفر الرازي (أبو زكريا) ، واعظٌ له كلمات سائرة . ت ٢٥٨ هـ . الأعلام للزركلي ٨ : ١٧٢ .

من الهيمان والاهتياج إلىٰ لقاء المحبوب مشتقٌّ من حبابِ القدر لدخولها حين غليانها .

وقولٌ ثالث إنها (أي المحبة) اسمٌ لحبةِ القلبِ وهو موضعُ سويداه وبه قوامُ البدنِ فسُمِّيت المحبة به لأنها تسكنُ في حبةِ القلب كالروايه جعلت اسماً للمرارة التي فيها الماء للمجاورة لأنَّ العرب تسمي الشيء باسم مجاوره ، وقول رابع أكثروا فيه الكلام فقالوا : مكنون لا يعبر عن شيءٍ إلا بما هو أدقّ منه ولا شيء أدقّ من المحبة فبم يعبر عنها ، وقال بعضهم : لا تحد بحدٍ أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهر من المحبة ، وقال بعضُ المحققين : (حقيقة المحبةِ عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وكيف يحد وجدان لا يمكن التعبير عنه فهي ألطفُ من أن يعبر عنها بلسانٍ أو يشار إليها ببيانٍ أو بنانٍ فهي حالةٌ قتيلها لا يؤدي وجريحها لا يفدى وأسيرها لا يطلق ورقيقها لا يعتق وإنما يتكلمُ الناسُ فيأسبابها وموجباتها ومدلولاتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها وأشبه شيء بها في عدم التحديد والبيان حقيقةُ الحسنِ والجمالِ في المحبوبِ فهذه أيضاً حالةٌ في المحبوب عزيزةٌ لا يعرفُ حقيقتها إلا عاشقها وناظرها من العين إلىٰ الجنان ولا يدركها اللسان بيان) ، وقد خاض في الكلامِ علىٰ حقيقةِ المحبة جماعةٌ من السادة غير من ذكرنا فقال أبو عبيدة القرشي[1] . (حقيقةُ المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقىٰ لك منك شيءٌ) وقال الجنيد[2] :

---

(١) مَعْمَر بن المثنى التيمي بالولاء (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ) ، من أئمة العلم بالأدب واللغة له نحو ٢٠٠ مؤلف . المصدر السابق ٧ : ٢٧٢ .

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز (أبو القاسم) . ت ٢٩٧ هـ . من شيوخ المتصوفة ، له : (دواء الأرواح) مخطوط ، الأعلام للزركلي ٢ : ١٤١ .

(هي ميلكَ للشيء بكيتك ثم إيثارك علىٰ نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه) وقال ذو النون : (هي سقوطُ كلِّ محبةٍ في القلبِ إلا محبةُ الحبيب) وقال يحيى بن معاذ : (هي ضناءٌ في الأجساد وخفقانٌ في الفؤاد مع ملازمة السهاد والشهرة في العباد والتشتت في البلاد) وقيل : (هي موافقةُ الحبيب في المشهد والمغيب) ، وقيل : (هي الميلُ الدائمُ بالقلبِ الهائم) ، وقيل : (هي أن تغار علىٰ محبوبكَ أن يحبّه غيرك) ، وقيل : (هي نارٌ في القلب يحرق بالشوى مراد المحبوب) ، وقيل : (هي مجانبةُ السلوِّ علىٰ كلِّ حالٍ) ، وقيل : (هي الايثارُ للمحبوب) ، وقد مضىٰ ما يساوي ذلك المعنىٰ سيما قولُ ابن الجنيد ، وقيل : (هي بذلُ المجهود والحبيب يفعل ما يشاء) ، وقال ابن عطاء[1] : (هي أغصان تغرس في القلب فتثمر علىٰ قدر العقول) ، وقيل : (هي الموافقة في جميع الأحوال) .

---

(١) واصل بن عطاء الغزّال (أبو حذيفة) (٨٠ ـ ١٣١ هـ) ، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم ، رأس المعتزلة ، له : (أصناف المرجئه) وغيره . المصدر السابق ٨ : ١٠٨ .

حقيقة العشق

وأما حقيقة العشق وأسبابه ومراتبه والفرق بينه وبين الخلّة والمحبة فقيل: (حقيقةُ العشقِ حركةُ النفسِ الفارغة بغير فكرة) وقيل: (هو فكرة تتولد من أشباح الطمع ووسواس التخيل تكسو كلَّ إنسانٍ عكس طبعه فتحدث للشجاعِ جبناً وللجبانِ شجاعةً) وقال ابن سينا وهو المعلم الثالث: (هو شغلُ الفكرة المتخيلةِ باستحسانِ الصورة) وقال أفلاطون: (هو داءٌ يعرضُ للفراغ) وقال بقراط: (هو جنونٌ وهو الوانٌ كما أنَّ الجنونَ الوان) وقال بعض الفلاسفة: (لم أرَ حقاً أشبه بباطلٍ ولا باطلَ أشبه بحقٍ من العشق، هزلهُ جدٌّ وجدّه هزل، وأوله تعب وآخره عطبٌ).

سماعاً يا عبادَ الله منّي وغضوا[1] عن ملاحظة الملاحِ
فإنَّ العشقَ آخرهُ المنايا وأوله شبيهٌ بالمزاحِ

وقال الأصمعي: (لم أسمع أوجز ولا أجمل من قول بدوية لما سئلت عن العشق: هو ذلٌّ وجنون).

ووصف بعض الأدباء العشق فقال: (هو عمى العاشق عن عيوب معشوقه).

وآخر فقال:

فأوّله سقمٌ وآخره جوىً وأوسطه شوقٌ يشفُّ ويتلفُ

---

(١) م ك: واسألوا.

ورعٌ وتســــهيدٌ وهــــمٌ وحسـرةٌ   ووجدٌ علىٰ وجدٍ يـزيد ويـضعفُ

وأنشدوا بعين المعنىٰ :

يـقول أنــاسٌ لو نـعتَّ لنا الهوى   فـو الله ما أدري لهم كيف أنعتُ
بــلىٰ غـــير أنـــي لا أزال كأنـما   عـليَّ مـن الأهـوالِ بيتٌ مشتتُ
إذا اشـتدَّ مابي كـانَ أفضلَ حيلتي   لهم وضعُ كفي تحتَ خدي وأصمتُ

علامات العشق

ومن علامة العشق : غور العين ونحولُ الجسمِ وضنا الجسدِ وتغيّر البدن وخفوق القلبِ ورجيف الفواد عن حضور المعشوق وكثرة التثاؤب والتمطي في غيبة معشوقه ونكته في الأرض بابهام رجلهِ وكثيراً ما يقعُ للنساء وإن أخفين والعضُّ على الشفة السفلى أو على اليد وقال بعضُ أهلِ التحقيق : (العشقُ شدّةُ ميلِ النفس إلى صورةٍ تلائم طبعها فإذا قوي فكرها فيها تصورتْ حصولها وتمنتْ ذلك ، فيتجدد من شدة الفكر مرضُ الجسد ، وجرحُ القلب ، وإن أول مراتبه ما يتجدد للعاشق من الإستحسان ، ثم تحدثُ إرادة اقلب منه ، ثم تحدثُ المودة ، وهو أن يودُّ أن لو ملكه ، ثم تقوى المودة فتصيرُ محبةً ثم تقوى فتصير خلّةً ، ثم تقوى فتصيرُ هوىً ، فهوى بصاحبه في محاسن المحبوب ، من غير تمالك ، ثم يصير عشقاً ، ثم يصير تتيماً ، والتتيم حالةٌ يصيرُ بها المعشوق مالكاً للعاشق ، لا يوجد في قلبه سواه ، ثم يزيد التتيم فيصير ولهاً ، والوله : هو الخرق عن حد الترتيب ، والتعطل عن أحوال التمييز) .

وقال أبو عبد الله بن عرفه :[1] (الإرادة قبل المحبة ، ثم المحبة ، ثم الهوى ، ثم العشق ، ثم التتيم) ، وأنشد لنفسه :

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ـ قرية من قرى افريقيا ـ التونسي (٧١٦ ـ ٨٠٣ هـ) مقرئ ، فقيه ، أصولي ، متكلم . له من المؤلفات : (المبسوط في الفقه المالكي) . معجم المؤلفين لكحالة ١١ : ٢٨٥ .

يـا لقـومي كـم يـعذل المشتاقُ والمـعنّىٰ إلىٰ الهـوى يشـتاقُ
رحـمتي رأفـة وحـبي عشـق واشـتياقي صـبابةٌ لا تـطاقُ

وقال بعض الأدباء : أولُ مراتبِ العشقِ الميلُ إلىٰ المحبوب ، ثم العلاقة ، ثم الحبُّ ، ثم يستحكم الهوى ، فيصيرُ مودةً ، تزيدُ بالمؤانسة ، وتُدرس بالجفا والأذى ، ثم الخلة ، ثم الصّبابة ، وهي : رقة الشوق ، تـولدها الألفـة ، ويـتبعها الإشفاق ، ويهيجها الذكر ، ثم يصير عشقاً فإذا زاد اضنى الجسد ، وجرح القلب ، وأزال الرأي ، واستهلك العقل ، ثم يزيد فيصير ولهاً ، ويـمسّىٰ ذا الوله مـدلهاً ومستهاماً وحيراناً ، ثم بعده التتيم ، (التتيم : نهاية الهوى ، وآخر العشق ، وأرفع منازل الحبّ) .

وقال ولي الدين العراقي[1] ـ في بعض فتاويه ـ : (إنّ أولَ مرتبةِ العشقِ تُسمّىٰ الاستحسانُ ، وهي متولدةٌ عن النظر والسماع ، ثم تقوى المرتبة بطول الفكرة في محاسن المحبوب ، وصفاته الجميلة ، فتصير بعده سريعة الميل إليه والألفُ لشخصه ، ثم يتأكـد الألف ، فـيصير مـحبة ، والمـحبة مـن الايـتلاف الروحاني ، فإذا قويت صارت خلّة ، وهذا أصح الأقوال ، والخلة بين الآدميين هي : تمكين محبّة أحدهما من قلب الآخر حتىٰ تسقط بينهما السراير ، ثم تقوىٰ الخلة ، فتصير هوىً ، والهوى : أن المحب لا يخالطه في مـحبوبه تـغير ، ولا مداخلة تلوّن ، ثم يزيد الهوى ، فيصير عشقاً ، والعشق : الإفراط في المحبة حتىٰ لا يخلو العاشقُ من تخيل المعشوق وفكره وذكره ، ولا يغيب عن خاطره وذهنه ، فعند ذلك يشغل النفس ، حتىٰ يستخدم القوة الشهوانية والنفسانية ، فيمتنع عن النوم باستطراد الدماغ ، وإذا قوي العشق صار تتيماً ، وفي هذه الحالة لا يوجد في

---

(١) المتوفى سنة ٨٢٦ هـ. له كتاب (الأجوبة المرضية في الرد علىٰ الأسئلة المكية) .

قلبه فضله لغير تصوّر معشوقه ، ولا ترضى نفسه بسواها ، فاذا تزايد الحال صار ولهاً ، والوله هو : الخروج عن الحدود والضوابط ، حتىٰ تختل أفعاله ، ويصير وسواساً ، لا يدري ما يقول : ولا أين يذهب ، فحينها يعجز الأطباء عن مداواته وتقصر أدواهم عن معالجته) .

تنبيه : قد ظهر بما قرره أهل الأدب ، أن الخلة درجة من المحبة .

قال في (المواهب) : أُختلف ، أيما أرفعُ درجة ، المحبة أو درجة الخلة ، فحكى القاضي عياض قولاً يجعلهما سواء ، فلا يكون الحبيب إلا الخليل ، ولا يكون الخليل إلا حبيباً ، وقيل : درجة المحبة أرفع ، وقيل : درجة الخلة أرفع وأعلىٰ وأكمل وأفضل من المحبة ، وهو الراجح عند أهل التحقيق .

قال ابن القيم[١] : (وأما ما يظنه بعضُ المغالطين من أنّ المحبة أكمل من الخلة ، وأنّ إبراهيم خليلُ الله ، ومحمدٌ ﷺ حبيبُ الله ، فمن سوءِ الجهل ، فإنّ المحبةَ عامةٌ ، والخلةُ خاصة ، والخلةُ نهايةُ المحبةِ ، وقد أخبر ﷺ أنّ الله اتخذَ خليلاً ، ونفى أن يكون له خليلاً غير ربه ، مع اخباره بحبّه لبعض زوجاتِه ، وبعضِ أصحابهِ ، وغيرهم) .

قال بعض الأدباء : (إنما سُميتِ الخلّةُ خلّةً لأنها دخلت في خلالِ القلب) .

وقال ذو النون[٢] : (الخلةُ : الاشتغالُ بالخليل دون ما سواه) .

شعر :

قد تخللت مسلك الروح منّي   وبذا سُمي الخليلُ خليلا

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) (٦٩١ - ٧٥١ هـ) .

(٢) ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري (أبو الفياض أو الفيض) ، ت ٢٤٥ هـ . أصله من النوبة ، يعد أول من تكلم في مصر عن ترتيب أحوال ومقامات أهل الولاية . الأعلام للزركلي ٢ : ١٠٢ .

فـإذا مـا نـطقتُ كـنتِ حـديثي وإذا مـــا سكتُّ كـنتِ الغـليلا

وقال بعض الأدباء : (المحبة جنسٌ ، والعشق نوع ، فكلّ عشقٍ محبة ، ولا عكس ، لأنَّ العشق اسم لما فضل عن الإقتصاد ، في الحب ، كما أنَّ السرفَ اسم لما جاوز الحد ، والبخلُ اسمٌ لما قصر عن الإقتصاد ، ويؤيده أنَّ الرجل يحب ابنه وأباه ، ولا يبعثه ذلك على تلفِ نفسه وهلاكها لأمره ، بخلاف العشاق ، فإنهم قد شربَ بعضهم السمَّ على علم امتثالاً لأمر معشوقه ، وقد يشهق ويموت من ساعته ، لسماعِ كلمةٍ أو رؤية حالةٍ من جانب معشوقه) .

وقيل : إن بعض العشاق نظرَ لمحبوبه فارتعدت فرائصه ، وغُشي عليه ، فقيل لبعض الحكماء في أمره ، فقال : نظرَ لمن يحب ، فانفرجَ قلبه ، فتحركَ الجسم لانفراجِ القلب ، فقيل : نحب أهالينا وأولادنا ، ولا يصيبنا مثل ذلك ، فقال : تلك محبةُ العقلِ ، وهذه محبةُ الروحِ ، فيظهر من هذا الحكيم أنهما متباينان .

وقيل : العشقُ هو الإفراط في الحبِّ ونهايته ، وقد قيل : الحبُّ ممدوحٌ ، والعشقُ مذمومٌ علىٰ خلف فيه ، وقد قيل : إن المحبة أمرٌ مشترك بين الله وبين العبيد ، ومشتركٌ بين العبيد بعضهم مع بعض ، والعشقُ خاصٌ فيما بين العبيد ، فلا يقال : فلان يعشق الله ، ويقال : فلان يحب الله .

أسماء العشق

ومن أسماء العشق المشهورة المتداولة بين الأدباء والشعراء : التتيم ، والهيمان ، والتبل ، قال : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ، والهيوم ، والشغف ، والوجد ، والكَلَف ، والتلهف ، والأسف ، والجوى ، والدنف ، والصبوة ، والصّبابة ، والكرب ، والكآبة ، والشجو ، والبلبال ، والتباريح ، والحسرات ، والغرام ، والغمرات ، والشجىٰ ، والهيام ، والشجون ، والشجن ، والجنون ، والخبل ، واللاعج ، والكمد ، والوصب ، والقلق ، والجزع ، والهلع ، والتحرق ، والأنين ، والإشتكا ، والحنين ، واللوعة ، والتجلد ، والمخار ، والتفجع ، والضنا المسامر ، والدمع المسكوب ، والعقل المختلس ، والنفس المحتبس .

وقد قيل : إن التتيم : هو الجنون الشاغل ، والهيمان : هو الذهاب في طلب غرض ، لا غاية له ، والتبل : هو أن يسقمه الهوى فهو متبول ، والتدليه : هي ذهاب العقل من الهوى ، فهو مدله ، الهيام : هو أن يذهب علىٰ وجهه ، والشغف ، قال الأدباء : هو أن يستولي عليه الحب ، حتىٰ يحرق شغاف القلب بناره ، والشغاف : جلدة القلب ، أو سويداه ، من داخله .

وقال أهل اللغة : هو الفزع ، حتىٰ يذهب بالقلب .

وقيل : الشغف هو إحراق القلب ، مع لذة يجدها ، وهو شبيه باللوعة ، وقد وجد في قلب زليخا ، كما أخبر عنها الصادق المصدّق ، في شأن يوسف ، بقوله :

﴿ قد شغفها حبا ﴾[١] .

والوجد : هو ألم الحب ، والشجو : هو حب يتبعه هم وحزن ، والشجن : هو الحاجة حيث كانت ، وحاجة المحب أشدّ وأقوىٰ إلىٰ محبوبه .

شعر :

تواجد أصحابي ولم يجدوا وجدي   وللناس أشجانٌ ولي شجنٌ وحدي

البلبال : هو الهم ، ووسواس الصدر ، والتباريح : هي الشدائد المقاساه من العشق ، والدواهي المستفاده منه ، والشوق والغمره : هي كل ما يغمر القلب من جنون ، أو إغماء ، أو سكر ، أو غفلة ، أو حب ، إلىٰ غير ذلك من الأسباب الباعثة علىٰ انطماس القلب وانغماره ، والوصب : هو ألم المحبة ، ومرضها ، والكمد : هو تغيّر لون العاشق إلىٰ الكموده ، والاصفرار ، والأرق : السّهر ، وهو من لوازم المحبة والعشق ، وأُطلق عليهما ، والحنين : هو الشوق والزفرات ، وتتابع الأنفاس من ألم الفراق ، والغرام : الحب الملازم ، يقال : رجل مغرم بالحب إذا لزمه ، ولم يفارقه في حركاته وسكناته ، والوله : ذهاب العقل بالمره ، والتحيّر من شدة الوجد ، والود : هو خالص المحبة ، وألطفه ، وأرقه ، والمحبة أم الباب في الأسماء كلها ، وفي الصفات جميعها .

---

(١) سورة يوسف : ٣٠ .

من مدح العشق ومن ذمه

ومن الأدباء من مدح العشق وأطلق ، ومنهم من ذمّه وأطلق ، ولم يجمع بين كلام الفريقين ، ومنشأ الخلافِ لفظيّ ، حصلَ من الإجمال والإطلاق ، فالمادح إنما مدح العشق المباح ، والذام إنما ذمَّ العشقَ الحرامَ ، ولا يسعُ عاقل أن يمدح الحرام ، ولا يسع من له ذوق أن يذمَّ ماهو من شيمِ الكرام .

والتحقيق : أن العشقَ هو حسنٌ في نفسه ، إذا خُلّي وطبعه ، وقطع النظر عن العوارض ، وقد أُولعَ المتقدمون من الحكماء ، وطوائف العقلاء من ظرائف العرب العرباء من الجاهلية الجهلاء من مدح العشق ، نظماً ونثراً ، وصرّحوا بفوائده ، وعددوا عوائده ، وذكروا من جملتها أنه يفيدُ صاحبَهُ رقة الطبعِ ، وإزالةَ خبثه ، وغسلَ درنه وأوساخه ، وترويح النفس وخفتها ، ورياضة الجسد .

وحكي عن جالينوس ، أنه قال : من لم تبتهج نفسُهُ للصوتِ الشجي ، والوجهِ البهي ، فهو فاسدُ المزاجِ ، يحتاجُ إلىٰ العلاج .

وقال بعض الأعراب : من لم يعشق فهو رديء التركيب ، جافي المزاج يحتاج إلىٰ العلاج ، وكأنه أخذه من قول جالينوس .

شعر :

كلُّ مَنْ لم يعشقِ الوجهَ الحسن ... قرّبِ الرحلَ إليه واضربَنْ

وروي عن يحيىٰ بن معاذ : أنه قيل له : ابنكَ قد عشق ، فقال : الحمدُ لله الذي صيَّره إلىٰ طبع الآدميّين .

وقال آخر ، وقد قيل له ، مثل ذلك فقال : الحمد لله الذي رقّتْ حواشيه ، ولطفتْ معانيه ، وملحتْ إشاراته ، وظرفتْ حركاته ، وحسنت عباراته ، وجادت رسائله ، وكرمت شمائله ، فواظبَ المليح ، واجتنبَ القبيح ، يعني أن كل هذه الصفات تتولد من العشق .

وقيل لبعض الحكماء : متىٰ يكون الفتى بليغاً ؟ ، فقال : إذا صنَّفَ كتاباً ، أو وصفَ هوىً أو حبيباً .

وقال آخر : العشق من خصائله المحمودة ، وفضائله الموجودة ، هو أن يثج الجبلة ، ويشجّع الجبان ، ويسخّي البخيل ، ويصفّي ذهن الغبيّ ، ويطلق لسان العجم بالشعر ، ويثبت حزم العاجز ، وهو عزيزٌ يذلُّ لعزّه عزيز الملوك ، ويخضعُ لصولته الشجاع ، وهو داعية للأدب ، وأول بابٍ تفتقُ به الأذهان والفطن ، وتستخرجُ به دقائق المكائد والحيل ، وإليه تستريح الهمم ، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم ، يمتع جليسه ، ويؤنس أليفه ، وهو سرور يجول في النفس ، وفرح يسكن في القلوب .

وقال بعض الأدباء : العشق يسكن نوافر الأخلاق ، هو أنيس مؤنس ، وجليس محرس ، وملك قاهر ، ويبعث حزم العاقل وينقاد له كل ممتنع ، وكفىٰ بذلك شرفا .

وقال آخر : أرواح المحبّين عطرة لطيفة ، وأبدانهم رقيقة خفيفة ، وأرواحهم سريعة الإنقياد لمن قادها ، وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد في العقل ، وتحرك النفوس ، وتطرب الأرواح ، وتجلب الأفراح ، وتشوق إلىٰ أخبارهم الملوك ، ومن دونهم ، ويكفي العاشق المسكين الذي لم يُذكر مع السّوقة ، أنه يعشق ويشتهر بالعشق ، فيذكر في مجالس الملوك ، ومحافل الأبطال ، ومضارب

الأعزاء ، ومطارح الخلفاء ، وتدور أخباره ، وتروى أشعاره ، ويُبقي له العشق ذكراً مخلداً ، وهذا المجنون العامري ، وليلىٰ ، وعزّه وكثير ، وبثينة وجميل ، ودعد وسعاد وهند وميّه وعنزية وفاطمة ، قد سارت بذكرهنّ وذكرهم الركبان ، وضُربت فيهن وفيهم الأمثال بواسطة العشق ، وإلا فكم مثل عزّه ، وكم مثل ليلىٰ ، وأحسن وأجمل وأعدل وأكمل ، قعدن في زوايا الخمول ، ولم تهب بذكرهن لا جنوب ولا شمول ، وقل لي كم في الأعاجم أجمل وأوجه من خسرو وشيرين ، وأشجع من فرهاد ، فلِمَ قد شاعَ فيهم وذاع ذكر هؤلاء ، حتى صنعت فيهم الكتب ، وأُنشدتْ فيهم الأشعار ، لولا شرفهم بالعشق ، ولولا العشق لم يذكر هم خبر ولا اسم ، ولا جرىٰ لهم في محل ومحفل رسم ، ولا رُفعت لهم أخبار ، ولا رُويت لهم أشعار .

وقال المرزباني : (سئل أبو نوفل ، هل سلِمَ أحد من العشق ؟ ، فقال : نعم ، الجافي الخلقة ، الغليظ الطبع ، الذي ليس له فضل ، ولا عنده فهم ، ثم قال : هيهات ، ما رأيتُ فاضلاً يسلمُ من الحب ، ولكن في الناس من يملك نفسه ، ويغلب هواه ، ولا يظهر ما كمن في قلبه) .

وقد قيل : إن الملك بهرام جور كان له ولد واحد ، وأراد أن يقلّده الملك بعده ، فوجده ساقط الهمّة ، دنيّ النفس ، فسلّط عليه الجواري الحسان ، فعشق واحدة منهنّ ، فأُخبر الملك بذلك ، فأرسل إليها : تجنّي عليه ، وقولي له : أنا لا أصلح إلّا لشريف عالي الهمّة ، ملك أو عالم ، فلمّا قالت له ذلك ، راجع العلم ، وما كان عليه الملوك من شرف الهمّة ، حتىٰ برع في ذلك ، ووليّ الملك ، فكان من خير الملوك ، فأُثبت ذلك في الحكمة ، أن الملك لا يكمل إلا بعد عشقه ، وكذا العالم .

وقد قيل : إن العشق لا يصلح لكل أحد ، ولا يصلح إلا لذي مروةٍ ظاهرة ، وخليقةٍ طاهرة ، ولذي لسانٍ فاضل ، وإحسان كامل ، أو لذي أدبٍ بارع ، وحسبٍ خاشع ، ويقبح لسواهم .

قلت : إذا وقع العشق علىٰ من به كمال ، أو أدب ، أو فهم ، أو حسب كان أنفع ، وأوقع ، وأظرف ، وأنجع ، وإلا فالعشق من الغرائز المطلوبة ، والطبائع المحبوبة ، والجبلّات المرغوبة ، لكل انسان ، بل يرق ويحلو ويلطف لكل حيوان ، بل لكل جماد ، ولولا عشق المغناطيس للحديد ، ما ازدادت قيمته ، ورفع في الخزائن ، وأُهدي للملوك .

وقد قيل : العشق داء افئدة[1] القوم الكرام ، ومسكّن كل قلب سليم ، وطبع مستقيم ، تشعر في المعنى :

القربُ منك هو النعيم ... وهو الصراط المستقيم
إنَّ اللذيغَ من الهوى ... شوقاً هو القلبُ السليم

وهذا ما مدحوا به العشق نثراً ، ومن مدحه منظوماً ، قول العباس بن الأحنف :

ما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... لا خير في من لا يحبّ ويعشقُ

فانظر لهذا العليم الخبير ، كيف نفى الإنسانية عن الذي لا يعشق الوجه الحسن ، وأبعد البركة والخير منهم .

وقد قيل شعر في ذلك أيضاً :

وما سرَّني أني خليٌّ من الهوى ... ولو أنَّ لي ما بينَ شرقٍ ومغربِ

* * *

(١) م ك : أفئيدة .

ولا خـيرَ فـي ادنـيا بـغيرِ صـبابةٍ ... ولا فـي نـعيم ليس فـيه حـبيبُ
ولا خيرَ فـي الدنـيا إذا أنت لم تـزرْ ... حـبيباً ولا وافـي إليك حـبيبُ

* * *

إذا لم تـذقْ فـي هـذهِ الدارِ صبوةً ... فـموتكَ فـيها والحـياةُ سـواءُ

* * *

إذا أنتْ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى ... فـقمْ واعـتلف تـبناً فأنت حـمارُ

* * *

اذا أنت لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى ... فكنْ حجراً من يابسِ الصخرِ جلمدا

* * *

مـا ذاق بـؤسَ مـعيشةٍ ونـعيمَها ... فـيما مـضى أحـدٌ إذا لمْ يـعشقِ
الحبُّ فـيه حـلاوةٌ ومـرارةٌ ... سـائلْ بـذلك مـن تـطعَّمَ أو ذِقِ

فانظر لهؤلاء الحكماء كيف نفوا الخيرَ في الدنيا عَنْ مَنْ لم يعشقْ ، وجعلوا وجوده وعدمه علىٰ السوية ، ثم لم يرضوا بذلك ، حتىٰ أخرجوه من الإنسانية ، ولم يرضوا له بمطلق الحيوانية ، حتىٰ جعلوه أخسَّ الحيوانات ، وأرذلها ، وقدّموا له علفاً أخضراً ويابساً ، ثم شرّفوا الحميرَ عليه ، فإنها قد يعرضُ لها الإحساس ، وتعرفُ من يؤذيها ممن ينفعها ، فجعلوه من الجوامد ، ولم يرضوا له منها إلا بالتشبيه بالحجر الجلمود ، من الصخر اليابس ، الذي لا يقبل التأثير بنوعٍ من الحيل .

وقد وردَ في ذمّ العشقِ عن جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام ، فقد سُئل عن العشق ، فقال : (قلوبٌ خلتْ من ذكرِ الله ، فأذاقها حبّ غيره)[١] .

---

(١) البحار / ج٢ ، ص١٥٨ ، رواية ١ .

وسُئل بعضهم عنه أيضاً ، فقال : قلوبٌ غفلتْ عن ذكرِ الحقِّ ، فاشتغلتْ بذكرِ الخلقِ .

وأنت تعلم أن ذلك ليس مذمةً لحقيقةِ العشق ، بل لمتعلقه ، وقد أُبتليتْ عشّاقُ الصورِ عن الربّ الكريم ، باشتفاه قلوبها بعشق الخسيس الذميم ، ولو تعلّق هؤلاء بمحبة الإله المعبود ، لألهاهم ذلك عن محبةِ الأشخاص الفانيةِ ، التي لا يحصلُ بمحبتها مقصودٌ محمود ، كيف وفى نفس العشق رياضةُ الجسد ، وتهذيبُ النفس ، وذكاءُ القريحة ، وجلبُ مكارم الأخلاق ، ولو اشتغلوا بحبّ الله لتضاعفَ ذلك باضعافِ مضاعفةٍ ، ولتبيّنَ لهم أن لا يستحقُّ المحبةَ علىٰ الكلِّ غير ذي الإكرام والاجمال ، فكم من عاشقٍ أتلف نفسَهُ ، وضيّع مالَهُ ، ومزق عرضَهُ ، وضيّع أهلَه ، ومصالحَ دينه ودنياه ، في معشوقه ، فجاءه الذمُّ من عشقه للصور الفانية ، لا للمعاني والالتحاق بالعالم الحيواني ، لا لمطلق العشق ، فلا ينبغي لعاقل أن يحكّم علىٰ نفسه سلطانَ عشقِ الصورِ فيهلكَ ويخسر ، وكلُّ أمرٍ قبيحٍ معيبٌ ، وعلى ذلك يُحمل ما جاء في ذمه من الشعر أيضاً ، قال :

العشقُ مشغلةٌ عن كلِّ صالحةٍ ... وسكرةُ العشقِ تنفي سكرةَ الوسنِ

* * *

العشقُ يجتذبُ النفوسَ إلىٰ الرّدى ... بالطبعِ واحَسَدي لمن لا يعشقُ

* * *

إذا حارَ وهمكَ في معنيين ... وأعياكَ حيث الهوى والصوابْ
فدعْ ما هويتَ فإنَّ الهوى ... يقودُ النفوسَ إلىٰ ما يُعابْ

وقال عمر بن الفارض :

نصحتكَ علماً بالهوى والذي أرىٰ ... مخالفتي فاختر لنفسكَ ما يحلو

وأنشد هشام بن عبد الملك ، ولم ينشد بيتاً من الشعر قط سواه :

إذا أنتَ لم تعصِ الهوى قادكَ الهوى إلىٰ كــلِّ مــافيه عــليكَ مــقالُ

وقد علمتَ مافي القرآن من الحثِّ علىٰ مخالفة الهوىٰ ، وفي الحديث والحكمة المنقولِ عن الحكماء والوعاظ أكثر ، والمرادُ واضح ، على أن الميل إلى ذمه أولى وأسلم ، سداً للباب ، وحسماً للماده ، فقد قيل في ذم الهوى ومدح العقل مالا يطيق قلم يرسمه في الطروس .

واعلم أنَّ الهوى هو : ميلُ النفسِ والطبعِ إلىٰ ما يلائمه ، وهذا الميلُ قد خُلقَ في الإنسان لضرورةِ بقائهِ ، فلولا ميله إلىٰ المآكل والمشارب والملابس والمناكح ، لما عاشَ ، ولادامَ ، وكذا كل ما يشتيه ، فالهوى مستجلبٌ له ما يفيد ، فلا يصلح ذم الهوى علىٰ الإطلاق ، وإنما يتوجه الذم علىٰ المفرط في ذلك ، وهو ما يزيد علىٰ جلبِ المصالحِ ، ودفعَ المضارِ ، فقد يكونُ الهوى في العلم ، فيخرجُ بصاحبه إلىٰ ضد ما يأمر به العلم ، وقد يكون في الزهد ، فيخرج إلىٰ الرياء ، فلمّا كان الغالب من موافقة الهوى لا يقف علىٰ احد المنتفع به ، أُطلقَ ذمُّ الهوى والشهوات ، لعموم غلبة الضرر .

قال ابن عباس : (ما ذكر الله الهوى في كتابه العزيز إلا وذمّه) .

قال الشعي : (وإنما سُمّي الهوى هوىً ، لأنه يهوي بصاحبه ، فيسري به في فنون ، ويخرجه من دارة العقل إلىٰ دارة الجنون) .

وقالَ بعضُ الحكماء : الهوى ملكٌ عسوف ، وسلطانٌ ظالم ، دانت له القلوب ، وانقادت له النفوس ، إلا من عصم .

وقد قيل : لما خلق الله الخلق ، لم يكن لهم حركة ، حتىٰ ركّب فيهم الشهوة ، وهي تمام الهوى ، والهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل .

وقال علي بن ... : (العقل والهوىٰ يتنازعان ، فمعينُ العقلِ التوفيقُ ، وقرينُ الهوى الخذلان ، والنفسُ واقفةٌ بينهما ، فأيّهما غلبَ كانت معه) .

وقد مدحَ الله مخالفَ الهوى فقال تعالىٰ : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾[1] ، وقال المفسرون : هو نهي النفس عما حرم عليها .

وقال سهل : (لا يسلمُ من الهوى إلا الأنبياء ، وإنما يسلمُ من الهوى من ألزمَ نفسَهُ الأدبَ ، فيلزمُ نفسَهُ مثلاً الحزنَ الدائم ، والخشيةَ المقلقة ، وكثرةَ الوله ، ووجلَ القلب ، وتنغيصَ العيش ، وموافقةَ الكمد) .

وقد قيل : من تحقق الخوف ، ألهاه خوفه عن كل مفروح به ، وألزمهُ الكمد ، إلىٰ أن يظهر له الأمن من خوفه .

وقال الفضيل : (أفضلُ الأعمالِ خلاف هوى النفس) .

وسُئل الجنيد ، فقيل : يا أبا القاسم ، متىٰ يصيرُ داءُ النفسِ دواؤها ، فقال : إذا خالفتْ هواها ، صارَ داؤها دواها .

وقال أبو علي الدقاق : (من ملكَ شهوتَهُ في حال شبيبته صيَّرهُ الله ملكاً في حال كهولته ، كما فعل بيوسف ﷺ) ، قال تعالىٰ : ﴿ **واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾[2] ، ﴿ **واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾[3] ، ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾[4] ، ﴿ **من أضل ممن اتبع هواه بغير**

---

(١) سورة النازعات : ٤٠ .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٦ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

هدى من الله ﴾[١]، **﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾**[٢]، وفي الحديث: (وأما المهلكاتُ فشحٌ مطاعٌ، وهوىً متبع، وإعجابُ المرء بنفسه، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنّىٰ علىٰ الله)[٣]، وقال الحكماء: الهوى صدأ يعلو العقل، فلا ينطبع فيه صورة الحقائق، ولا يُرشد تابع الهوى حال استيلاء الشهوة والغضب عليه لأنها حالة احتجاب عقله، وللعقل حجابان، وهما: الشهوة والغضب، فلا يزال العقل ناظراً إلىٰ الهوى قاهراً له، مالم يحجبه غضبٌ أو شهوةٌ فحينئذ ينبسط سلطان الهوى، وينفذ حكمه.

وقال أبو بكر العدّاق: (لم يجعلِ الله في الدنيا والآخرة شيئاً أخبثَ من الهوى المخالف).

وقد أكثرَ أهلُ العقلِ والحكمةِ من ذمِّ الهوى، شعرٌ بعين المعنى:

وبالناسِ عاشَ الناسُ قدماً ولم يزلْ ... مِن الناسِ مرغوبٌ إليه وراغبُ
وما يستوي الصابي ومَنْ يتركِ الصبا ... وإن الصبا للعيش لولا العواقب

* * *

ومِنَ البلاءِ وللبلاءِ علامةٌ ... أن لا يرى لك عن هواكَ نزوعُ
العبدُ عبدُ النفسِ في شهواته ... والحرُّ يشبع تارةً ويجوعُ

* * *

وكلُّ امرىءٍ يدري مواقع رشده ... ولكنّه أعمى أسير هواهُ
يُشير عليهِ الناصحونَ بجهدهم ... فيأبى قبول النصحِ وهو يراهُ

---

(١) سورة القصص: ٥٠.
(٢) سورة ص: ٢٦.
(٣) البحار / ج٧، ص٦، رواية ٢.

هوى نفسهِ يعميه عن قصدِ رشدِهِ ويبصر عن فهمِ عيوبَ سواهُ

واعلم أنَّ المغلوبَ بموافقة هواه ، مقهورٌ دائماً ، ولذلكَ يجدُ في نفسه ذلاً وهواناً لمكانِ القهرِ ، لأنَّ الهوى ذو صولةٍ ، والهوى مأخوذٌ من الهوان .

حقيقة القلب

وأمّا القلبُ الذي هو محلُّ الهوى والهدى فمشتقٌ من القلب ، أي التقلُّبُ ، لفرطِ انقلابه ظهراً وبطناً ، واضطرابه ، كما في الحديث عنه ﷺ : (إنَّ قلوبَ بني آدم كُلُّها مثل ريشة بأرض فلاةٍ ، تقلبها الرياحُ)[(١)] وعن المقداد بن الأسود مرفوعاً : (قلبُ ابنِ آدم أسرع انقلاباً من القدر ، إذا اشتد غليانها) ، ولا شكَ أن الريحَ تقلبُ الريشةَ الملقاةَ علىٰ وجه الأرض ، ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر ، وتطيرُ بها لخفتها ، ولا قرار لها ، ما دامت الريح .

وعنه ﷺ : (قلوبُ بني آدم بين إصبعين من أصابعِ الرحمن ، كقلبٍ واحدٍ ، يصرفها حيثُ يشاء ، ثم قال : اللهم مُصرِّف القلوب ، اصرفْ قلوبنا إلىٰ طاعتك)[(٢)] .

وروى النوّاس بن سمعان عنه ﷺ : (مامن قلبٍ إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجل ، إنْ شاءَ أقامه ، وإن شاء أزاغه) ، وكان يقول ﷺ : (اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلوبنا علىٰ دينك)[(٣)] ، ولهذا تسمعُ الناس يوم النوروز ، وق انتقال الشمس إلىٰ دارة الحمل ، يقولون : يا مُقلِّبَ القلوبِ والأبصار ، يا مدبِّ الليلِ والنهار ، قلِّب قلوبنا إلىٰ أحسن حال .

---

(١) البحار / ج٦١ ، ص١٥٠ ، رواية ٣٠ .

(٢) البحار / ج٧٥ ، ص٤٨ ، رواية ٩ ، مع اختلاف يسير .

(٣) التهذيب / ج٢ ، ص٧٣ ، رواية ٤٠ . ونصها هنا : (اللهم مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي علىٰ دينك ... الخ) .

حقيقة العقل

وأما العقلُ فهو ممدوحٌ شرعاً ونقلاً ، حِسّاً وعقلاً ، وقد أختلف في حقيقته ، فقيل : هو نوعٌ من العلوم الضرورية ، وقيل : بل هو غريزةٌ ، يتأتى معها درك العلوم ، وقيل : بل هو قوةٌ يفصل بها بين حقائق المعلومات ، وقيل : هو جوهرٌ بسيط ، وقيل : بل هو جوهرٌ شفاف .

وقال الحارث المحاسبي[1] : العقلُ نورٌ ، ولا شك أن العقل نور والهوى ظلمة ، وذلك النور يقلّ ويكثر .

(١) الحارث بن أسد المحاسبي (أبو عبد الله) . ت ٢٤٣ هـ . من أكابر الصوفية ، ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد . له : (شرح المعرفة) و (آداب النفس) وغيرهما . الأعلام للزركلي ٢ : ١٥٣ .

محل العقل

وأختلف في محلِّ العقل ، فقيل : محلُّه القلب ، لقوله تعالىٰ : ﴿ لهم قلوب يعقلون بها ﴾[١] ، وقيل بل محلُّه الدماغ ، ويمكن الجمعُ بين القولين ، بأن محلَّه إنما هو القلب ، ولكن له شعاعٌ متصلٌ بالدماغ .

والعقل لما خلقه الله تعالىٰ ، قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزّتي وجلالي ، ماختلقت قط أحسن منكَ ، فبكَ أعطي ، وبكَ آخذ ، وبكَ أثيب ، وبكَ أعاقب .

وقد أجمعَ الناسُ كافةً علىٰ مدحه وشرفه ، وقد جُعل ذلك حديثاً ، وفيه مخالفةٌ لما ادعته الحفاظ وحملة الحديث ، من أن كل حديث ورد في العقل فهو موضوع ، وإن كان من جهة المعنى صحيحاً .

وقال وهب بن منبه[٢] : (إنَّ الشيطانَ لم يكابد شيئاً أشدّ عليه من مؤمنٍ عاقلٍ ، لو أنَّ العاقلَ أمسى وأصبح ، وله ذنبٌ بعدد الرمل ، لكان وشيكاً بالنجاة والسلامة ، ولو أنَّ الجاهل أمسىٰ وأصبح ، وله من الحسناتِ عددُ الرمل ، لكان وشيكاً أن لا يسلم له منها مثقالُ ذرةٍ وعدل خردلة ، فإن العاقل إذا زلَّ تدارك زلَّته ، وعاجلها بالندم والتوبة ، وإضمار عدم العودة إلىٰ المعصية قط بواسطة

---

(١) سورة الحج : ٤٦ .

(٢) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري (أبو عبد الله) (٣٤ ـ ١١٤ هـ) ، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلىٰ اليمن . الأعلام للزركلي ٨ : ١٢٥ .

عقله الذي قسم له ، بخلاف الجاهل) .

وقد قيل : لا يتم دينُ الرجل ، حتىٰ يتم عقله ، وما أودع الله امرءاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ، وقد سُئل ابن المبارك : ما خير ما أُعطي الرجل ؟ ، قال : غريزةُ العقلِ ، قيل : فإن لم يكن ، قال : أدبٌ حسن ، قيل : فإن لم يكن ، قال : موتٌ عاجل .

وبالجملة فالعقل والعقلاء غنيان عن المدح والتوصيف .

علامات العاشق

واعلم أنَّ من علامات العاشق ، فإنه يحدث له عند غاية الغرام ونهاية الوجد والهيام ، اضطرابٌ في الأعضاء ، عند نظر محبوبه ، ورميه بطرفه نحو الأرض ، وذلك من مهابته له ، وحيائه منه ، وعظمته في صدره ، ومنها اضطرابُ قلبه ، ورجيفُ فؤاده ، ووجيبُ أحشائه .

شعر :

علامةُ مَنْ كانَ الهوى في فؤادِهِ ... إذا ما رأى المحبوب أن يتغيرا
ويصفرّ منه الوجه بعد احمرارهِ ... وإنْ طلبوا منهُ الجوابَ تحيّرا

ولذا قيل : من علاماتِه اصفرارُ وجهِ المحبِّ عند رؤية حبيبه ، والمعشوق احمرار الخدِّ وتوردها من نصيبه .

شعر بعين المعنى :

يصفرُّ وجهي إذا تأمّله ... طرفي ويحمرُّ وجهه خجلا
حتىٰ كأنَّ الذي بوجنتهِ ... من نارِ قلبي إليه قد نقلا

ومن العلاماتِ والإمارات أن يضطربَ أيضظ ، ويرجفَ عند رؤية من له شبيهٌ بالحبيب ، أو عند سماع اسمه .

شعر :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيفِ من منى ... فهيّج أشواق الفؤاد وما يدري
دعا باسمِ ليلىٰ غيرها فكأنما ... أطار بلبّى طائراً كان في صدري

ومنها ؛ أن يستدعي سماع اسم محبوبه ، وقرابته ، وغلمانه ، وجيرانه ، ومن يساكنه .

شعر :

ألا أيها الوادي الذي فاحَ طيبُهُ عسىٰ ..... من سعاد قريب
فحُيِّيت من وادٍ كلَّ تحيةٍ لأنكَ من أجل الحبيب حبيب

وهذا من كمال المحبة ، فإن الحبُّ إذا تم وكمل وجاد وغلب ، سرى وتعدَّى إلىٰ كل من هو من المحبوب بسبب ، حتى أنه يحبّ محبٌ ومحبوبَ حبيبه ، بل يميز بين الكلب الذي يكون في محلة حبيبه ، أو في طريقه ، وبين سائر الكلاب ، ويحن إليه ، ويألف به .

شعر :

رأى المجنونُ في البيداءِ كلباً فخرَّ لهُ من الإحسانِ ذيلا
فلاموهُ علىٰ ما كانَ منهُ وقالوا : لم أنلتَ الكلب نيلا
فقال : دعوا الملامَ فإنَّ عيني رأتهُ مرةً في حيِّ ليلى

ومنها : حب كل من يشبه محبوبه ، ولو في الهيئة واللباس .

شعر :

حبيبتُ لحبّها السودانَ حتى أحبُّ لحبها سودَ الكلابِ

ومنها ؛ تقبيل الجدران ، وتعظيم الأطلال والآثار .

شعر :

أمرّ علىٰ الديارِ ديار ليلى أقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حبُّ الديارِ شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

ومنها : الإنقيادُ للمحبوب في جميع ما يختاره ، فلا يعصي له أمراً ، بل

يكون سميعاً مطيعاً .

شعر :

تعصي الحبيبَ وأنتَ تُظهرُ حبَّهُ ... هذا لعمري في القياسِ بديعُ
لو كانَ حبكَ صادقاً لأطعتَهُ ... إنَّ المحبَّ لمنْ يحبُّ مطيعُ

ومنها : أن يحب كل ما كان المحبوب به شغوفاً ، فإن كان المحبوب مشغوفاً بالعلم ، أكثر من اجتهاده في طلب العلم ، وإن كان محبوبه مشغوفاً بالنوادر والحكايات الحسان ، والأخبار المستحسنة ، بالغ أيضاً في حفظها ، وإن كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد في تعلّمها ، إن أمكنه ذلك ، فعلىٰ هذا فالمحبة النافعة ، والعشق الممدوح أن يقعَ لإنسانٌ في عشق كامل ، ومحبه فاضٍ ، عالي الهمة ، والبلية كلُّ البلية أن يبتلي الإنسانُ بعشقِ ساقطِ الهمة ، فارغ ، بطّال ، عارٍ من كل فضل وخير ، فيحمله حبّه على التشبيه به ، والاقتداء بأفعاله وأطواره ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، ومن أحب قوماً حشر معهم .

ومنها : كثرة غيرته عليه ، ومحبته القتل والموت دونه ، فقد أمر بعضُ أولادِ الملوك عاشقَهُ بشربِ قدحٍ فيه سم ، فحيث ناوله إياه بيده ، وأمره بكرعه ، وتجرّع غصته ... ليبلغ رضاه ، وهذا فن من الجنون .

ومنها : الإنصات لحديثه إذا حدَّث ، واستغراب ما ينطق به ، وإن كان عين المحال ، وتصديقه وإن كان قد كذب ، وموافقته وإن كان قد ظلم ، والشهادة له وإن كان قد عال وجار ، واتباعه كيف سلك ، والإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه ، فإن زليخا قطعت كل مرحلتين بمرحلة ، حيث أتت إلىٰ مصر من مسقط رأسها بلاد الغرب .

ومنها : التعمد للقعود بقربه ، والدنو منه ، والتباطي في القيام عنده .

شعر :

أرى الطـريقَ قـريباً حـين أسـلكُهُ إلىٰ الحـبيبِ بـعيداً حـين أنـصرفُ

ومنها ؛ بذل نفسه ، والتكرم بها دون من يحبّه ويهواه ، وانتحال أعضائه في حبّه وهواه ، ولصوق القلب في داخل حشاه وذبوله ، حتىٰ لا يستطيع أن يجيب من ناداه .

شعر :

ولما ادعيتُ الحبَّ قـالت : كـذبتني فما لي أرى الأعضاءَ منكَ كـواسـيا

وما الحبُّ حتى يلصق الحب بالحشا وتـذبل حـتىٰ لا تـجيب المـناديا

ومنها : الإنبساطُ الزائد ، والتضايقُ في المكان الواسع ، والمجاذبة علىٰ الشيء بأخذه أحدهما والتعمد للمس اليد عند المحادثة ، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة ، وشرب ما أبقى المحبوب في الإنـاء ، وعـدم قـدرته علىٰ العتاب هيبةً وحياءً .

شعر :

سـيدي عـلل الفـؤادَ العـليلا واحـيني فـيكَ قـد تـراني قـتيلا

كُـلّما رمتُ جـلسةً لعـتابٍ أخـذتني العـيونُ أخـذاً وبـيلا

هـل سـبيل إلىٰ رضـاكَ وإلّا مـا أرى لي إلىٰ الحـياةِ سـبيلا

إن تكنْ عـازماً علىٰ أخـذ روحـي فـترفق بـها قـليلاً قـليلا

ومنها : الإتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ، لا سيما إذا كانت المحبة محبة مشاكلة ومناسبة ، فكثيراً ما يتكلم المحبوب بكلام ، أو يريد أن يتكلم به ، فيتكلم المحب بعينه ، وكثيراً ما يمرض المـحب لمـرض مـحبوبه ، ويشـفى بشفائه .

شعر :

مـــــرِضَ الحـــبيبُ فـــزرتُهُ فـــمرضتُ مـــن وجـلي عـليه
شُـــفي الحـــبيبُ فـــزارنـــي فشـــفيتُ مـــن نـــظري إليـــه

يعني من نظري إليه في صحة وعافية .

وقد قيل : عن بعض المتحابّين أنهما ركبا في سفينة ، فسقط أحدهما في البحر ، فألقىٰ الآخر نفسه عليه ، فنزلَ الغواصون ، فأخرجوهما كلاهما سالمين ، فقال الأول : أما أنا فسقطت قهراً عليّ ، فأنت لِمَ رميتَ نفسكَ في البحر ، فقال له : إني غبت بك عنّي فتوهمت أنك أنا .

شعر :

لمـــــا تـــقرّبت مـــنّي أبـــعدتَ عـــنّي التـــجنّي
ادنـــــيتني مـــنكَ حـــتى وهـــمتُ أنكَ إنـــــي

وقال بعض الأدباء : للحبّ ثلاثُ علاماتٍ : أن يكون كلامه ذكراً للمحبوب ، وصمته فكراً فيه ، وعمله طاعة له .

وقال آخر : من علامات المحبة : دوام الذكر للمحبوب علىٰ طريق الدوام ، لا ينقطع ولا يملّ ، ولا يفتر ما دام ، وأجمع الحكماء علىٰ أن من أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره ، ومن أكثر من ذكره ، رآه في منامه ، فذكر المحبوب هو الغالب علىٰ قلوب المحبين ، لا يريدون به بديلا ، ولا يبغون عنه حولا ، ولو قُطعوا عن ذكر الحبيب لفسد العيش ، وما تلذذ متلذذ بشيء ألذّ من ذكر المحبوب ، فالمحب قد اشتغل قلبه بلزوم ذكر حبيبه عن اللذات ، وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ، وانشد مجنون بني عامر :

ولو أنَّ مابي بالحصى فُلق الحصى وبـــالريحِ لم يـــوجد لهـــنَّ هـــبوب

ولو أنَّ أنفاسي أصابت بحرها حديداً إذا ظلَّ الحديد[1] يذوب
ولو أنني أستغفرَ الله كلَّما ذكرتكِ لم تُكتب عليَّ ذنوبُ

وقال بعض الأدباء : من علامة المحبة الشوق إلىٰ لقاء المحبوب ، إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه ، والتلذذ بكلامه ، إذ من المعلوم أن من أحب محبوباً ، كان كلامه أحب شيء إليه ، وكيف لا يتلذذ المحبّ بذكر محبوبه ، وهو غاية مطلوبه ، ونهاية مرغوبه ، وقد يوجب للمحبّ بذكر المحبوب ، وبطرب سماع اسمه ، ورؤية رسمه وجسمه ، سكراً أحلىٰ وأجلىٰ من سكر خمرة الكرم ، يستغرق روحه ، ويغمر فؤاده به ، وقلبه ، وسمعه ، وبصره ، فعند ذلك يتسلّىٰ المحب عن مصائب الفراق ، وعما يحصل له من الذلة والهوان المرة المذاق ، ويجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب والنوائب ، فلا يجد منها ما يجده ، حتىٰ كأنه قد اكتسب طبيعةً أخرىٰ ثانية ، ليست بطبيعة الخلق ، بل يقوىٰ عليه سلطان المحبة ، حتىٰ يلتذ بكثيرٍ من المصائب ، أعظم من التذاذ الخلي وشهواته ، والذوق والوجدان والوجود أعدل شهود ، فكرب المحبة ممدوحٌ بالحلاوة ، فإذا فقد ذلك الحلاه ، اشتاق إلىٰ ذلك الكرب ، فتمنّىٰ رجوعه له بخصوصه مع زيادة المحبة لتزيد لذته وتتضاعف .

شعر :

تشكّىٰ المحبونَ الصبابةَ ليتني خُصِصتُ بما يلقون من بينهم وحدي
فكانتْ بقلبي لذةُ الحبِّ كلها فلم يلقها قبلي محبٌّ ولا بعدي

وأما حال المحب عند غلبة الوجد ، فإذا زاد عليه الحب ، وغلبه الشوق والوجد بما يعرض له من السكر ، حتىٰ يصير في سكره أعظم من شارب

(١) م ك : الحبيب .

الخمر ، فقد قيل : المحب لم يزل سكران في خماره حيران في شرابه ، لا يخرج من سكره إلا إلىٰ حيره ، ولا من حيره إلا إلى سكره ، ويجد في ذلك من اللذة ما لا يوصف ، لا سيما الحاصل عند المشاهدة .

شعر :

فأسكـرَ القـومَ دورُ الكأس بـينهم لكنّ سكري نشا من رؤيةِ السـاقي

وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل ، وسبب اللـذة ادراك المـحبوب وتصوره ، فإن كانت المحبة قوية ، وإدراك المحبوب قوياً ، كانت اللذة بادراكه تابعةً لقوة هذين الأمرين ، فإن كان العقل قوياً مستحكماً لم يتغير ذلك ، وإن كان ضعيفاً حدث السكرُ المخرجُ له عن حكمه ، وقد حددوا السكر بأنه : سقوط التمالك في الطرب ، كأنه يبقى في السكران بقية يتلذذ بها ويطرب ، فلا يتمالك صاحبها ، ولا يقدر أن يغني معهما ، وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بإدراك المحبوب ، بحيث يختلط كلامه ، وتتغير أفعاله ، بحيث يزول عقله ، ويـعربد أعظم من شارب الخمر ، وربما قتله سكر الفرح بسببٍ طبيعي ، وهو انبساطُ دمِ القلب وهلةً واحدة انبساطاً غير معتاد ، والدّم هو حامل الحارّ الغريزي ، فيبرد القلب بسبب انبساط الدم ، فيحدث الموت ، وهذا أمر معلوم مشاهد ، وقد وقع ذلك لكثير من المحبين ، فربما يغيب المحبوب أو المعشوق ، فيموت المحب أو العاشق غمّاً ، وربما نظر إلىٰ محبوبه فمات فرحاً ، وربما شهق شهقةً غابت عنه حواسه ، فيظنون أنه مات ، فيدفنوه حياً ، وربما تنفس صعداً ، وربما تزايد الوجد ، وهاج الحنين ، وباح الأنين ، وتغيّر اللون ، واقشعر الجلد ، وربما صاح المحب ، وربما بكى ، وربما شهق ، وربما وله ، وربما سقط ، وربما زاد الوجد علىٰ المحب فقتله ، وأباح دمه ، فصاح وناح ومات ، فاستراح .

شعر :

إذا أبــاح دم المــهجور هــاجرُهُ   بـاح المـحبُّ بـما تـخفى ضـمائره
أيكـتم الحبَّ صبٌّ بـاحَ مـدمعه   لمـا جـرى بـالذي تـخفي سـرائـره

وقد تكلم علىٰ هذا المقام جماعة من الأدباء ، فقال بعض : المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب ، وإذا كُتمت قتلتْ المحبَّ كمداً .

وقال آخر : المحبة إذا ما زجت الأرواح طارت ، وإذا لابست الأفكار حارت ، وإذا خالطت العقول دهشت .

وقال آخر : نار الهيبة تذيب القلوب ، ونار المحبة تذيب الأرواح ، ونار الشوق تذيب النفوس .

وقال أبو مدين : (القريب مسرور بقربه ، والمحب معذب في حبه ، ومن لم يخلع الأعذار لم ترفع له الأستار) .

وقال إبراهيم الدسوقي :[1] (كل من ادعى الحب ، ولم يفنه الحب ، فهو لا شيء) . ورؤي مجنون بني عامر بعد موته في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ ، قال : غفر لي ، وجعلني حجة علىٰ جميع المحبين .

وسُئل بعضٌ ؛ هل يتفرغ المحب لشيءٍ سوى محبوبه ؟ ، فقال : لا ، إن المحب في بلاءٍ دائم ، وسرورٍ منقطع ، وأوجاع متصله ، لا يعرفها إلا من ذاقها .

وقيل : كيف يتفرغ من بُلي بعطشٍ لو بليت به البلاد والشجر لم ترو من المطر ، ولو ذاقته الأرض لاشتغلت أشجارها عن الثمر ، ولولا أن المحب أقوى من الحديد وصمّ الصخر ، لما كان له رسم ، ولا أثر .

---

(١) إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد الحسيني الدسوقي ـ من أهل غربية مصر ـ ، (٦٣٣ ـ ٦٧٦ هـ) ، من كبار المتصوفين . له : (الجواهر) . الأعلام للزركلي ١ : ٥٩ .

شعر لمجنون بني عامر :

إن البـــلاد ومـــافيها مـــن الشـــجرِ لو بالهوى عطشتْ لم تـروَ بـالمطرِ
لو ذاقتِ الحبَّ أرضُ الله لاشتغلتْ أشـجارها بـالهوى فـيها عـن الثـمرِ
ليس الحــديدُ ولا صـمّ الجبال إذا فكرت أقوى على البلوى من البشرِ

وبالجملة ، فالكلام على حال الحب ، ومقام العشق طويل الذيل ممتد السيد ، ليس لبحره قرار ، ولا يدرك لنهره تيار ، مقام ليس للمبتلى به عنه اصطبار وسلطان قد تحكّم وجار ، وقتل نفوس الأخيار والأشرار ، المسلمين والكفار ، ولم يزن من ديتها ولا ربع دينار ، وهذا الذي قررناه من الحب ، إن كان ذلك رباني ، وعشق رحماني ، فيا حبذاك ، ويا أطيب ما هناك ، وإن كـان لنـزعة شيطانية، وشهوة نفسانية ، فبئس ذاك ، وما أقبح ما هناك ، فهو وإن سكر في هذه العاجلة من الخمرة ، فهو قد تردّىٰ في الآخرة بمر الجمرة ، وهذه السكرة ملحقة بسكرة شرب الخمر ، وليس لصاحبها عذر ، ولا حجة يـقيمها ، فـمن شـرب الخمر وسكر ، وجنا في حق أحد أو عربد على غيره ، فأتلف شيئاً ، أُخذ به ، لأن الذي أزال عقله ، سبب محرم ، أدخله على نفسه مختاراً ، غير مكره ، مع علمه قبل المشرب أنه يؤدي به الحال إلىٰ هذا ، وإذا اعتذر وقال : لم أع ما قلت ، ولم أفهم ما فعلت ، ولا كان لي عقل أميّز به ، قيل له : أنت فرّطت مع الإختيار ، والعلم بما يؤل إليه الأمر ، فحكم السكران ، وحكم ما يصدر منه يخالف من يزول عقله بخلط سوداني أو روحاني ، فإن ذلك ليس هو من فعله ، ولا تسبب فيه برضاه ، بخلاف شارب الخمر والعاشق ، فإن العاشق لو لم ينتقل بنفسه من مرتبة إلىٰ مرتبة من مراتب العشق ، حتىٰ وصل إلى الحد الذي يزيل عقله ، لم يصبه أذى ، فتقرر بهذا أن العاشق الولهان مخطىء بما صدر منه من الأفعال ، إذ

كان ينبغي أن يحتفظ بنفسه ، ولا يوردها لما فيه هلاكها ، بسبب تحكيم نفسه علىٰ نفسه ، بعشق الصور الحسنة ، بتكرار النظر ، وتكرار الفكر ، فهو المفرّط بنفسه ، المغرّر بها ، فإن أخطأت فهو الذي أخطأها ، أو هلكت فهو الذي أهلكها، فهو الجاني علىٰ نفسه بتكرار النظر إلىٰ وجه معشوقه ، حتىٰ أثبت محبته في قلبه.

شعر :

إني جنيت علىٰ نفسي فيا أسفي ... كيف الخلاص فما لي من يداويها

حقيقة الشوق

ثم نقول : ما حقيقة الشوق ؟ ، وهل يزول العشق بالوصال أو يزيد ؟ ، وهل يصح كتمان المحبة ؟ ، وهل يتصور عند تمام المحبة هجر ومقاطعة ؟ ، وهل يقع إعراض الحبيب عن عداوة ؟

اعلم أن الشوق هو سفر القلب إلىٰ المعشوق .

وقيل : هو هبوب القلب إلىٰ غائب عنه ، محبوب له .

وقيل : بل هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب .

وقال بعض أهل الرياضة : الشوق في قلب المحبة كالفتيلة في المصباح ، والعشق كالزيت ، فلم تزل الفتيلة تسحب الدهن إلىٰ النار ، وحرارة النار تفني الدهن ، حتىٰ يجف جميع الدهن ، فينطفئ السراج .

وقد قيل أيضاً : الشوق نور الشجرة ، والعشق ثمرتها .

وقال ابن عطاء : (الشوق اختراق الصدور ، وتقلب القلوب ، وتقطع الأكباد) .

وأُختلف في الشوق والعشق ، هل يزول ذلك بالوصال أو يزيد ؟ ، فقالت طائفة : يزول لأنه سفر القلب إلىٰ المحبوب ، فإذا وصل إليه إنتهىٰ السفر وزال .

شعر :

وألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

وقالت طائفة : بل يزيد .

شعر :

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنتْ الخيامُ إلىٰ الخيامِ

وذلك لأن الشوق هو حرقة المحبة ، والتهاب نار العشق في قلب المحب وفؤاد العاشق ، وذاك يزيده القرب والمواصلة .

وقيل : بل الصواب أن الشوق الحادث عند اللقاء والوصال غير الشوق الذي كان عنده في الغيبة .

شعر :

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تراني
والثم فاه كي تزولَ صبابتي فيشتدُّ ما القى من الهيمان
كأنَّ فؤادي ليس يُشفي غليله سوى أن يرى الروحين تمتزجان

وقد قيل ـ القايل من أهل بيت المحبة ، وصاحب البيت أدرىٰ بالذي فيه ـ أن هناك شوقاً واشتياقاً وقلقاً ، فالشوق يسكن باللقاء والمواصلة ، والاشتياق يهيج ويزيد عند اللقاء والمواصلة ، ولذلك قال أبو علي الدقاق لما سُئل ،مالفرق بين الشوق والاشتياق ؟ ، فقال : الشوق يسكن باللقاء والرؤية ، والاشتياق لا يزول باللقاء بل يزيد ويتضاعف .

شعر :

فأبكي إن نأوا شوقاً إليهم وأبكي إن دنوا خوفَ الفراقِ

قال ابن عربي : فهذا الشاعر قد جمع بين الشوق والاشتياق ، وأما القلق فهو سطوات الشوق علىٰ القلوب ، بالهبوب إلىٰ المحبوب ، بحيث يبقىٰ المحبّ في حيرة ، لا يدري أطال الليل أم قصر النهار .

شعر :

لست أدري أطـــال ليـــلي أم لا   كـيف يـدري بـذاك من يتقلّى
و تـــفرغت لاســتطالة ليــلي   ولرعــيْ النـجوم كـنتُ المـخلّى

* * *

إنــي أتــاني كـتابٌ بـعد فـرقتكم   أن كيف بعد فراقي كنتَ يا سكـني
لا كنتُ إن كنتُ ادري كيف كنتُ ولا   لا كنتَ إن كنتَ تدري كيف لم أكن
لو كنتُ كنتُ كتمتُ الحب ليت كما   كـنا يكـون ولكـن ذاك لم يكـن

وأما كتمان المحبة ، فاختُلف فيه ، فقيل : يصح كتمانها ، وقيل : لا يصحّ ، والكتمان عند القائلين به ، هو أن لا ينطق المحب باسم محبوبه ، لأسباب ، إما لخوف الوشاة ، أو للإحترام .

شعر :

كـتمتُ اسمَ الحبيبَ عليّ منّي   وراعــيت المــودةَ والذمــاما
ولم أخــفِ اسمه حـذراً عـليه   ولكــني ابــتغيت الإحــتراما

وقيل : لا يصح كتمان المحبة أصلاً ، فإن سلطان الحب أقوى من كل سلطان ، قال هارون الرشيد ، وهو من نظمه :

مـلكَ الثـلاثُ الأنسـاتُ عـناني   وحـللنَ مـن قـلبي بكـل مكـانِ
مــالي تـطاوعني البـرية كـلها   واطـيعهنّ وهـنّ فـي عـصياني
مــا ذاك إلا أنّ ســلطان الهـوى   وبـه قـوينَ أعـزّ مـن سـلطاني

وقال السلطان الملك الظاهر :

ظـبيّ يـصول ولا وصـول إليـه   جـرح الفـؤادَ بـصارميّ لحـظيه
مـا مـاس مـعتدلاً وهـزّ قـوامـه   إلا تــهتكت الســتور عــليه

يا طيب ليلتنا ونحن بمجلسٍ   قام الحبيب لنا على قدميه
يسقي المدامة من سُلافة ريقه   ويخصّنا بالغنج من عينيه
عيناه نرجسنا وآسُ عذاره   ريحاننا والورد من خدّيه
يا ريح[1] في بصري ولا في خده   إني أخاف من النسيم عليه
عجبي لسلطانٍ يجور بعدله   ويجور سلطان الغرام عليه
الناس طوع يدي وحكمي نافذ   وأنا وجمع الناس طوع يديه

وهل كيف يصح كتمان المحبة ، ولسانها لسان حال ، لا لسان قال ، يظهرها اصفرار المحب ، وخضوعه ، وانتحاله ودموعه .

شعر من البرده :[2]

أيحسب الصب أن الحب مكتتم   ما بين منسجم منه ومضطرِدِ

وقد نادى عليه لسان الحال ، وهو صادق : هذا محبّ صبّ عاشق .

شعر :

من كان يزعم أن سيكتم حبه   حتىٰ تشكّك فيه فهو كذوبُ
الحب أغلب للفؤاد بقهره   من أن يرى للستر فيه نصيبُ
وإذا بدا سرّ الحبيب فإنّه   لم يبدُ إلا والفتى مغلوبُ
إنّي لأحسد ذا هوىً مستحفظاً   لم تتهمه أعين وقلوبُ

وقيل : العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان ، ولكن الحقيقة لا خلاف بين الفريقين ، فإن رجع كتمان المحبة وعدمه ، قوة ملكة[3] المحبة فيها ، وثبات

(١) م ك : شعري .
(٢) إن كان المؤلف يقصد بالبردة قصيدة (البوصيري) ، فليس هذا البيت منها .
(٣) م ك : يبدو .

جنانه عليها ، فمن كان فيه ذلك ، قال بالكتمان ، ومن لم يكن فيه ذلك لم يذهب مذهب أهل الكتمان ، وقد علم كل أناسٍ مشربهم ، وذهب رجل من أهل بيت المحبة الكاملة ، أنه لا يصح عند تمام المحبة هجر ، بل ولا يتصور ، لأن الصورة الروحانية المعنوية ، التي حكمها المحبة في نفسه من مشاهدة محبوبه ، ثابتة مقرره عنده ، وليس لها وجود إلا فيه .

قال الشبلي[١] : قلت للحسين بن منصور[٢] ، ايحسن الصبر بالمحب عن محبوبه ؟ ، فقال : يستحيل صبر الشيء عن نفسه ، إذا صدقت المحبة ، تمازجت الكلية ، فاستحال الفرق .

شعر :

مـــالمجنون عـــامرٍ مـــن هـــواه ‍ ‍ ‍ غـير شكـوى البـعادِ والاغـترابِ
وأنـــــا ضـــده فـــإنَّ حـــبيبي ‍ ‍ ‍ فـي فـؤادي فـلم أزل فـي اقـتراب
فـــحبيبي مـــني وفـــيّ وعـــندي ‍ ‍ ‍ فـــلماذا أقـــول مـــابي ومـــا بـــي

وقد قيل : إن بعض أهل الهوى ، أقبل عليه محبوبه ، فطلب المحب البعد منه ، لأنه فيه الطف منه في عينيه ، للمناسبة ، لأن الحب روحاني ومعنوي ، ولأن المحبّ الكامل اشغله حبه عند تمام المحبة عن النظر إلىٰ محبوبه ، ولهذا قال مجنون بني عامر ، حين ضمّته ليلىٰ إلىٰ صدرها ، فنظر إليها ، وقال : إليك عني ،

(١) جعفر بن يونس الخراساني البغدادي (أبو بكر) ، المعروف بالشبلي (ت ٣٣٤ هـ) . أخذ عن الجنيذ ، وصحب الحلاج وخير النساج . يقال أنه كان من الأمراء الرؤوساء قبل أن يصبح من مشايخ المتصوفة . روضات الجنات ٢ : ٢٢٦ .

(٢) الحسين بن منصور الحلّاج ت ٣٠٩ هـ . أصله من بيضاء فارس ، قتله المقتدر العباسي ، الأعلام للزركلي ٢ : ٢٦٠ .

فإن حبك شغلني عنك ، ومنهم من يشتاق إلىٰ محبوبه ، فإذا بدا[١] مقبلاً ، أطرق عنه ، وصدّ عنه حياءً وإجلالاً ومهابةً وتعظيماً وصيانةً له من أن ينظر مثله ، كما قبل لبعضٍ : أتريد أن ترى محبوبك ؟ ، فقال : أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي .

شعر :

أشـــتياقه فـــإذا بـــدا ... اطـــرقت مـــن إجـــلاله

لا خـــيفةً بـــل هـــيبةً ... وصـــيانةً لجـــماله

واصـــدّ عـــنه تـــجلّداً ... وأرى لطـــيف خـــياله

شعر :

قـلبي يـراك علىٰ بـعدٍ مـن الدار ... وأنت بالقرب من قـلبي وتـذكاري

إن غاب شخصك عن عيني فلم أره ... فـــإن حـــبك مـــعقود بـــاخماري

واعلم أن المحبّ الكامل عندهم ، هو الذي لا يخالف لمحبوبه مراداً ، فإن كمال المحبة تقتضي ذلك ، فيعشق كل مراد لمحبوبه ، ويرضى به ، حتى أنـه يحب الفراق إذا طلبه منه ، ويرضى به ، فقد قيل : المحبوب قد يحب الفراق ، كما أن المحب يحب الوصال ، فيجب عليك أن تحبّ ما احب ، وكلما يفعل المحبوب محبوب .

شعر :

تشـــق مـــنه كـــل شـــيءٍ يـــوده ... من الهجر حتى صرتُ اعشق صدّه

شعر :

ســـروري أن أراك وأن تـــرانـــي ... وأن يـــدنو مكـــانك مـــن مكـــاني

وعـــيشي فـــي لقـــائك كـــل وقتٍ ... وحـــسبي ذاك مـــن كـــل الأمـــاني

---

(١) م ك بدى .

لئـــن واصـــلتني وأردت قـــربي وحـــقك لا أبـــالي مـــن جـــفاني

فإن لم يحب الفرقة ، التي هي محبوب محبوبه ، فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة ، وخالف .

شعر :

ولمـــا رأيت الحب يـــعظم قـــدره وليس له دون المـــمات تـــدانـــي

تعشقت حب الحب دهري ولم أقل كـفاني الذي قـد نـلتُ منه كـفاني

شعر :

أريـــدُ وصـــاله ويـــريدُ هـــجري فأتـــرك مـــا أريـــدُ لمـــا يـــريدُ

فهاتان حـالتان يـهلك المـحبّ بينهما ، فـإن المـحبة تـطلب الإتـصال بالمحبوب والإتحاد به ، وتطلب أيضاً موافقة المحبوب فيما يريده منه ، فـإن وافقه ، لم يطلب الوصال ، لأن طلبه لم يرد ما أراد المحبوب من الفرقة ، وإذا أحب المحب الفرقة هلك ، فهو مغلوب محجوج .

قال بن العربي : (وعندي أن يحب حب الحبيب للفرقة ، لا الفرقة ، مثل الرضـا بـقضاء الله فـي مـوت الأولاد والأحـباب والحـاجة والفـاقة والمـرض والأسقام ، وتفرق الأحباب ، فهو يرضى بالقضاء لا المقضى ، فحب الحب إنما تعلق بإرادة المحبوب للفرقة ، لا بالفرقة نفسها) ، وهذه مسألة طـويلة كـثيرة النزاع بين الفقهاء وأهل الحقيقة ، وقد أكثر الأئمة في الرد عليهم ، إما لأنهم لم يفهموا مرادهم ، أو لأنهم إنما ردّوا علىٰ الجهلة منهم ، الذين لم يفهموا مـراد المحققين منهم ، وإلا فلا خلاف بينهم علىٰ ما قرر ابن العربي .

واعلم أن إعراض الحبيب عن المحبين ليس عداوةً وبغض فـإن الحب يمنع من ذلك ، لكن فيه استجلاب الإستعطاف ، وضرب من الالتذاذ .

شعر :

إذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضى ‏ فأيــن حــلاوات الرسـائل والكـتب

شعر :

ألذّ الهوى ما ضـاع فـي طـيّه العـقلُ ‏ وأحلىٰ اللقا ما طاب من دونه القـتلُ

فلولا الهوى لم يعرف الهجرُ والقلى ‏ ولولا القلى والهجر لم يعذب الوصلُ

فعلى هذا ، فالمحب العارف بمقام المحبة ، يرى هجر الحبيب كوصله ، ولا يشكو الهجر لأحد ، لما يعرف من حال محبوبه ، والمحبّ ليس مراده إلا قوة زيادة محبّة محبوبه له ، وميل القلب إليه بزيادة تجنّيه وهجره .

شعر :

خيانةُ أهلِ الحبِ أن يظهروا الشكوى ‏ وأن يسأموا من صحبة الضرّ والبلوى

ومن لم يذق هجرَ الحبيبِ كـوصله ‏ فما ذاق من طعم الغرام سوى الدّعوى

مقامات العشق

ولنرشد العاشق السقيم ، إلىٰ سلوك الطريق المستقيم ، فنقول في ذلك ، وفي بيان عقوبة من جنح للفعل الذميم ، العاشق علىٰ ثلاث مقامات :

مبتدأ ومتوسط ومنتهى ، أما مبتدأه ، ففي أول الأمر فالواجب عليه كتمان ذلك ، وعدم افشائه للمخلوقين ، فان زاد به الأمر إلىٰ المقام الأوسط ، فغلب عليه الحال ، ولم يجد مخلصاً ، فلا بأس بإعلام محبوبه وشكواه إليه ما يجده من ألم محبته ، ويحذر كل الحذر من إطلاع سواه ، فإن زاد به الأمر ، حتىٰ أخرجه عن الحدود والضوابط المذكورة في شرع الهوى ، وهو المنتهى ، فقد التحق هذا بالمجانين والمولهين ، فعليه بما قدمنا من كلام الولي العراقي ، والمقدر كائن لا محالة ، لا ينمحي ، وإن الله كتب مقادير الخلائق ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام ، وينبغي للعاقل أن لا يدخل في أمر ، حتىٰ يدبر الخروج منه ، فإنِ الله ابتلى بالمقدور تداركه بالنظر في عواقب الأمور ، والعمل بقوله : (إذا بليتم فاصبروا واستتروا ، فإن ذلك من مهمات الأمور) ، فالواجب علىٰ المبتلى بما هو مسطور العفاف والكتمان ، ليكون سعيداً ، فقد روي عنه ﷺ (من عشق فعف وكتم ، فمات ، مات شهيداً) ، وقد سُئل شريك عن العشّاق ، فقال : أشدهم عشقاً أعظم أجراً ، فمقام العشق ، وإن كان مجازاً مقام عزيز جسيم عظيم للقائم بشروطه ، وإن كان تركه ، وحسم مادته بالكلية أسلم .

شعر :

تـــالله أحـــلف أيـــماناً مـؤكدة لا عـــذّب الله أرواحَ المـــحبينا

القـائمين بشـرط العشـق دهـرهم علىٰ العـفافِ وإن اضـحوا مـلامينا

وكيف يـصليهم نـاراً وقـد سكـنتْ نـارُ المـحبّةِ فـيِ أحشـائهم حـينا

وقد قيل : عفوا تشرفوا ، واعفوا تطْرفوا .

وقيل لعاشق : ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى ؟ ، فقال : كنت أضع طرفي في وجهه ، واروّح قلبي بذكره وحديثه ، واستر منه ما لا يحب كشفه ، ولا اصير بقبح الفعل إلىٰ ما ينقض عهده .

شعر :

اخـــلو بـــه فأعـــفّ عـــنه كأنـــني خـــوف الديـانة لست مـن عشّـاقه

كـــالماء فـــي يـــد صـــائم يـــلتذّه ظـــمئاً فـيصدر عـن لذيـذ مـذاقـه

غيره :

كم قد ظفرت بمن أهوى فسمنعني مـــنه الحـياءُ وخـوفُ اللهِ والحـذرُ

وكم خلوت بـمن أهـوى فـيقنعني مـــنه الفكـاهة والتـحديث والنـظرُ

أهوى الملاح وأهوى أن أجـالسهم وليس فـــيّ فســادٌ مـنهم وطـرُ[1]

كـــذلك الحب لا إتـيان مـعصيةٍ لا خـير فـي لذةٍ مـن بـعدها سـقرُ

قال بدويّ : علقت بامرأة ، فكنت آتيها فأحدّثها مدة سنين ، وما جرت بيننا ريبة قط ، إلا أني رأيت بياضَ كفها في ليلةٍ مظلمة ، فوضعت يدي علىٰ يدها ، فقالت : مه ـ حين جذبتها ـ فإنه ما نكح محبّ قط إلا فسد حبّه ، قال : فقمت وأنا اتصبب عرقاً من الحياء ، ولم أعد لشيءٍ من ذلك .

---

(١) البيت غير مستقيم المعنى .

شعر :

إنّ الفتى إن صبا أو شفّه غزلٌ فللعفاف وللتقوى مآزره

وأشرف الناس أهل الحب منزلةً وأشرف الحب ما عفّت سرائره

غيره :

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما تحت ثوبها خبرُ

ولا بفيها ولا إنّي هممت بها ما كان إلا الحديث والنظرُ

غيره :

ليس الظريف الذي تبدو خلائقه للناس ألطف من مرّ النسيم سرى

لكنّه رجل عفت ضمائره عن المحارم لما بالمنى ظفرا

غيره :

إن كنتُ أهواك يا سؤلي لفاحشةٍ فلا وقيت علىٰ الأيام من ضررِ

إنّي أصونك من حالٍ تعاب بها كما تصون جفوني باطن النظرِ

لي فيك خطان من مرأىً ومستمع وليس لي في حرام منك من وطرِ

وقيل :

ليس في العاشقين اقنع مني أنا راضٍ بنظرةٍ من بعيد

والأشعار والأخبار في هذا كثير ، فينبغي للعاشق الواقف عليها ، والمحب الناظر إليها ، أن يتأمل في أشعار هؤلاء العاشقين ، وأقوال هؤلاء المحبين الصادقين ، ويقتدي بهم ، ويحدي حدوهم ، فإن الطبع السليم يسرق ويراقب مولاه ، ويتحقق أنه مطلع عليه ، وناظر إليه ، ويتفكّر في عواقب الأمور ، فكم قد أفات الهوى من فضيلة ، وأوقع في رذيلة ، وكم ذلة أوجبت انكسار جاه ، وكم شهوة يسيرة أذهبت عن العاقل ما تمنّاه ، وأركبته النار والعار ، وليعي العاقل فيما

يطلبه من اللذات الزائلة ، وما يجده بعده من الأذى عقب اللذات الحاصلة ، ولو فكّر العاشق في منتهىٰ معشوقه ، وما يصير إليه من الأسقام والقبح بعد الحسن والجمال ، لا نزجر عما هو فيه من الغيّ والضلال ، وانتهى عن فعل القبيح في كل وقت وحال ، فعن ابن مسعود : (إذا أعجبت أحدكم امرأة ، فليذكر منتهاها) .

وانشد المتنبي :

لو فكّـــر العـــاشق فـــي مـــنتهى　　حســـن الذي يســـبيه لم يســبه

وتمثّل سفيان بقوله :

تــفنى اللــذاذة مـمّن نـال صفوتها　　مــن الحــرام ويـبقى الإثـم والعـارُ
تــبقى عــواقب ســوء فـي مـنيتها　　لا خـير فـي لذةٍ مـن بـعدها نـارُ

وأنشد ابن العربي :

عــلينا مـن التـقوى رقـيب مسـلّطُ　　إذا ما خـلونا والهـوى زايـد البـلوى
ولكـــن وقـــانا الله شـــر بـلائه　　بما جعل الرحمن فينا مـن التـقوى
ولو لم يكـن تـقوى لكـان اشـتغالنا　　إذا مـا خـلونا بـالعتاب وبـالشكوى
ويأبـى الهـوى القـتّال إلا صـبابةً　　عن اللـثم لمـا كـان سـلطانه أقـوى
فــحسبي أن أفـنىٰ إذا مـا لقـيته　　وحســبي مــا يـلقى مـن السـمع والنـــجوى

وإن لم يكن عنده خوف من الله ، أو كان عنده ، ولكن زاد عيه الغرام ، واستولى سلطان العشق على عقله ، وطاب به السقم والجوى والوجد والهيام ، فإن كان معشوقه امرأة ، فليجتهد في نكاحها بالحلال ، وإن كان معشوقه غلاماً ، فليجتهد في مطلق التزويج .

قال الأطباء : سبب العشق النفساني ، الاستحسان والفكر ، وسبب العشق

الجسماني ، ارتفاع بخار الدماغ عن منيّ محتقن ، ولهذا كان أكثر ما يعتري العزاب ، ولاشك أن كثرة الجماع تزيله بسرعة ، ويحمد العاشق عاقبة التسري أو الزواج إذا اشتد به الحال ، فعن عطاء الخراساني : مكتوب في التوراة : كل تزويج على غير هوى حسرة وندامة ، وفي الحديث : (أيما شاب تزوج في حداثة سنه عجّ شيطانه : يا ويله عصم منيّ دينه)[١] ، وقد قيل : ليس العزوبية من امر الاسلام في شيء ، ونبينا ﷺ تزوج أربعة عشر امرأة ، ومات عن تسع .

وقال القاسم بن محمد النميري : (ما رأيت شاباً ولا كهلاً من ولد العباس أصون لنفسه ، واضبط لحاشيته ، وأعف فرجاً ولساناً ، من عبد الله بن المعتز[٢] ، وكان يعيب العشق ، ويقول : هو طرف من الحمق ، وكان إذا رأى منها مطرقاً متفكّراً اتّهمه ، ويقول له : وقعت والله يا ظان ، وقلّ عقلك ، وما زال هكذا حتىٰ رأيناه وقد حدث به سهو شديد وفكر دائم وزفير متشانع ، وسمعناه ينشد لنفسه الأشعار ، فقلنا : جُعلنا فداك ، هذه أشياء كنت تعيبها منا ، فما زلنا ننكر حالاته عليه ، حتىٰ تحقق عندنا عشقه ، قال أبو بكر الصولي[٣] : فاعتل عبد الله بن المعتز ، فأتاه أبوه عائداً ، وعذله ، فانشأ يقول :

أيــــها العــــاذلون لا تــــعذلوني   وانـظروا حسـن وجـهها تـعذروني

---

(١) البحار /ج١٠٣ ، ص٢٢١ ، رواية ٣٤ ، مع تكرار كلمة (يا ويله) واضافة كلمة (ثلثي) قبل كلمة دينه .

(٢) عبد الله بن محمد (المعتز بالله) ابن المتوكل العباسي (٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ) ، شاعر ، مولعٌ بالأدب تولى الامارة يوماً واحداً فقط ، قبض عليه المقتدر ، وسلمه إلىٰ خادمه فخنقه ، له من المؤلفات : (طبقات الشعراء) و (البديع) و (فصول التماثيل) . الأعلام للزركلي ٤ : ١١٨ .

(٣) محمد بن يحيىٰ بن عبد الله الصولي الشطرنجي (أبو بكر) (ت ٣٣٥ هـ) . له من المؤلفات : (أدب الكاتب) و (أخبار أبي عمرو ابن العلاء) و (أخبار السيد إسماعيل الحميري) . الروضات ٧ : ٣٠٠ .

وانظروا هل ترون أحسن منها إن رأيتم شبيهها فاعذلوني
بي جنون الهوى وما بي جنون وجنون الهوى جنون الجنون

قال صاحب الحديث : فتتبع أبوه الحال ، حتىٰ وقع علىٰ معشوقه ، فإذا هي جارية فاشتراها له بتسعة آلاف دينار ، فزال ما به) .

وأنشد موفق الدين بن أبي الحديد :

زعم ابن سينا في عقود كلامه أن المحب دواؤه الألحانُ
ووصال غير حبيبة من جنسه والماء والصهباء والبستانُ
فصحبت غيرك للتداوي ساعة وأعانني المقدور والإمكانُ
فازداد بي شوقي إليك وشفّني شغني وفارت نحوك الأشجانُ
فعلمت أن العشق داء مفرط بقراط فيه [كلامه] هذيان

وفي (موجز الطب) : (لا شيء للعاشق كالوصال) ، وقد قيل : فإن لم يتيسر نكاح المعشوق ولا غيره ، اشتغل بالصناعات ، أو استعمل الرياضات ، وبعد عن المعشوق ، فإن ذلك يسكّن الفكره ، وينقص الحسرة ، فقد قيل : إن سبب العشق الفراغ ، وخلو البال ، وعلاج العشق البعد ، بحيث لا يراه ، ولا يسمع كلامه ، فإنّ البعد جفاء والقرب مروة .

شعر :

تزودت من ليلىٰ بتكليمِ ساعةٍ فما زاد إلا ضعفَ مابي كلامها

وقد مر :

واعظم ما يكون العشق يوماً إذا دنت الخيام من الخيامِ

والتكثير من التفكر في مساوئ المعشوق ، فإن لم يجد في نظره له عيوب، فليخطر باله قبيح صفاته من إعراضه عنه ، وصدوده وهجره وملاله ، فإن

استعذت ذلك منه ، فلينظر عاقبة أمره ومآله فإنه يموت ، وينفجر بطنه ، وتسيل عيناه ، وينفطر خدّاه ، ويعفن جسمه أشد العفونة ، وينكشط جلده المليح فلا يرى منه إلا كل شيء قبيح .

قال ابن الجزري :[1] (الإطلاع علىٰ بعض العيوب يقدح في المحبة ، وقال الحكيم ، من نام إلىٰ جانب محبوبه ، فرأىٰ منه ما يكره سلاه ، فإن لم ينفعه جميع ذلك ، واستمر به الحال ، فليجهد في الوصال لا بالحرام ولكن بالحلال) .

وقال الولي العراقي : (وأباحوا لمن وصل إلىٰ حق يخاف على نفسه منه الهلاك ، القبلة في الجبين ، لا في الخد ، لكسر شهوته ، وتدارك نفسه ، لأن القبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى أخطرهما ، ولا أعظم من قتل النفس ، حتىٰ أوجبوا علىٰ المعشوق مطاوعته إذا علم أن ممانعته يؤدي إلىٰ هلاكه) .

وروي أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إني أصبت من امرأة اجنبية كل شيء إلا النكاح ، فقال ﷺ : أصليت معنا ؟ ، قال : نعم ، قال : غفر الله لك ، فنزلت في حقه الآية الشريفة : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾[2] ، ويؤيده قوله تعالىٰ : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾[3] .

قال بعض السلف : ما رأيت أشبه باللمم من مضمون هذا الحديث :

---

(١) محمد بن محمد العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي (٧٥١ ـ ٨٣٣ هـ) ، مقرئ ، مجود ، محدث ، نحوي . له من المؤلفات : (النشر في القراءات العشر) و (التمهيد في التجويد) وغيرها . معجم المؤلفين لكحالة ١١ : ٢٩٢ .

(٢) سورة هود : ١١٤ .

(٣) سورة الشورىٰ : ٣٧ .

(كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة ، فالعين تزني بالنظر ، واللسان يزيني بالنطق ، والرجل تزني بالخطا ، واليد تزني بالبطش ، والقلب يهوى ويتمنى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) ، قال : ولم يجوز أحد من العلماء للعاشق سوىٰ القبلة المذكورة ، بشرطها المذكور ، ومع ذلك فلا ينبغي التفوه به للعامة ومن شاكلهم من الخاصة ، لئلا يجعلوه ذريعة للوقوع في الحرام .

قلت : ليتهم إذ فتحوا هذا الباب بالقبلة في الجبين لم يغلقوه ، فإن كان الباعث للجواز تسكين الحرارة ، فقد تسكن بالقبلة المذكورة ، وقد لا تسكن ، وقد لا ينجو العاشق من الهلاك ، إلا بعضّةٍ في تفاحِ الخدود ، أو قبض بكلتا اليدين لرمّان النهود ، أو مصّ لخمر الرضاب ، أو ضمة للمعاطف العجاب ، فإن الطباع تختلف ، ودواء الغرام غير مؤتلف ، واعلم أن أكثر من عشق ، كان عشقه في الجواري والنساء ، وكان الصدر الأول لم يكن للغلمان عندهم قدر ، ولا تميل طباعهم إلىٰ عشقها ، وأما في زماننا هذا وما قاربه ، فقد زاد عشقهم في الغلمان المرد ، علىٰ حالة أشد من عشق من مضى للنساء ، وبهم الفتنة الآن ، وقد حرم النووي انظر إلىٰ الأمرد شهوة وبغير شهوة ، وأفتىٰ به ، وصحّحه ذهاباً إلىٰ سد هذه الذريعة ، وذهب أبو بكر وعلي وخالد بن زيد وعبد الله بن معمر والزهري وربيعة ومالك واسحق واحمد في إحدى الروايتين والشافعي في أحد القولين أن عقوبة اللوطي أغلظ من عقوبة الزنا ، وأن عقوبته القتل على كل حال ، محصناً أم لا ، وقد روي : أن اللوط دون الدبر ، أما اللوط في الدبر فذلك الكفر بالله ، ومذهب عطاء بن أبي رباح والحسن البصري وسعيد بن المسيب وإبراهيم اللّحفي وقتادة والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد أن عقوبته دون عقوبة الزاني ،

وهو التعزز بما يراه الحاكم ، قالوا : لأن معصيته لم يقدر الشارع فيها أحداً معلوماً معروفاً ، فلم يبق إلّا التعزير ، وحجة ..... أنه من أعظم المفاسد بعد الكفر ، وقوله ﷺ : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوه ، الفاعل والمفعول)[١] ، وأطبق أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ قتله ، بل قد اجتمع رأي الصحابة في خلافة أبي بكر ، علىٰ أن يُحرق اللوطي ، وقضية خالد مع اللوطي مشهورة ، حيث كتب أبو بكر إلىٰ خالد ، فحرقه بعد مشورة الصحابة في أمره ، وقد حرقهم ابن الزبير وهشام بن عبد الملك ، وسُئل ابن عباس ، ما حد اللوطي ؟ ، قال : ينظر أعلىٰ بيت في القرية ، فيرمى منكساً ، ثم يتبع بالحجارة ، وهو مذهب الحنفية . ويُروى أن علياً ﷺ رجم لوطياً ، وهو مذهب الأئمة الثلاثة ، مالك والشافعي وأحمد بشرطه ، وهو إحصانه ، وقال سفيان الثوري : لو أن رجلاً عبث بغلام بين إصبعين من أصابع رجليه ، يريد الشهوة ، كان لوطياً ، وقال ﷺ : (لعن الله من عملَ عمل[٢] قوم لوط ، كررها ثلاثاً) ، وفي حديث ابن عمر (لم : .... حتىٰ يكون من قوم لوط ، فإذا فعلا ذلك اهتز عرش الرحمن) ، وفي الصحيح : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، وأخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط) ، فاحذر المرد ، وأصحاب العذار اتم حذار ، واحذر كل الحذر من إطلاق السمع والبصر ، وارسال القلب والنظر .

إعلم أن البصر ينقل إلىٰ القلب اخبار المبصرات ، وينقش فيه صورها ، والبصر النقاش ، والفؤاد المنقوش ، فإذا حصل النقش وتم ، جال الفكر في الأشياء المنقوشة ، واشتغل عن ما ينفعه في أمر دينه ودنياه ، ولما كان البصر سبباً

---

(١) مستدرك الوسائل / ج١٨ ، ص٨١ ، الرواية ٢٢١٠٧ .

(٢) م ك : ساقطة .

لوقوع الهوى في القلب ، أمرك الشارع بغضّه عما يخاف عواقبه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾[١] ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾[٢] ، وفي الحديث : (غضوا من أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم)[٣] ، وفيه أيضاً : (إياكم والجلوس في الطرقات ، قالوا : يا رسول الله ، هذه مجالسنا ، مالنا منها بدّ ، قال : فإذن اعطوا الطريق حقه من غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وقال ﷺ لعلي عليه السلام : (لا تتبع النظرة بعد النظرة ، فإن الأولى لك ، وليست لك الآخرة ، واتق النظرة بعد النظرة ، فإنها سهم مسموم ، يورث الشهوة في القلب) ، وقال عيسىٰ عليه السلام : (إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب شهوة) ، وكفى بها لصاحبها فتنة ، فاحذروا من شر النظر ، فكم قد أهلك من عابد ، وفسخ عزم زاهد ، وكم أبعد من فضيلة ، وأوقع في رذيلة ، وعلاجه في تدانيه قريب ، فإذا تكرر زاد المرض ، وعزّ الطبيب ، سيما إذا كرّر النظر في محاسن الصورة ، ونقلها إلىٰ قلب متفرغ خالي ، .... فيه ، فإنه يتمكن فيه إذاك العشق ، فكلما تواصلت النظرات ، عظمت الحسرات ، فيفسد القلب ، ويخرج بصاحبه إلىٰ المحن والأحزان ، والكرب والأشجان ، ويرتكب المحظورات ، ويقع في الهلكات ، فالنظر هو الأصل والأصيل في عامة الحوادث ، وطرق الطوارق .

شعر :

كل الحوادث مبداها من النظرِ ومعظم النار من مستصغر الشررِ

---

(١) سورة النور : ٣٠ .

(٢) سورة النور : ٣١ .

(٣) البحار / ج٧٧ ، ص١٦٩ ، الرواية ٤ .

كم نظرةٍ بلغت من قلب صاحبها ... رمي السهام بلا قوس ولا وترِ
والعبد ما دام ذا طرف يقلّبه ... في أعين الغير موقوف على الخطرِ
لا سرّ مقلته ما ضرّ مهجته ... لا مرحباً بسرور جاء بالضرر

وقد أنشد الأدباء أشعاراً كثيرة في وصف البلايا التي حلّت بالناظرين وتكلموا فأكثروا في العتاب بين العين والقلب ، بما ترقّ له قلوب العاذلين ، وأنظار العاينين الحاسدين ، قال الفرزدق :

تزوّد منها نظرةً لم يُرحْ له ... فؤاداً ولم يشعر بما قد تزودا
فلم أر مقتولاً ولم أر قاتلاً ... بغير سلاح منهما حين اقصدا

غيره :

يقول قلبي لطرفي إذ بكىٰ جزعا ... تبكي وأنت الذي حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه ... أنت الذي عِزْتَني الآمال والطمعا
حتىٰ إذا ما خلا كل بصاحبه ... كلاهما بطويل السقم قد قنعا
ناداهما كبدي لا تتلفا فلقد ... قطعتماني بما لاقيتما قطعا

غيره :

وما أدري إذا ما جنّ ليلي ... أشواقاً في فؤادي أم حريقا
ألا يا مقلتي ذهلتماني ... بلحظكما فذوقا ثم ذوقا

غيره :

نظرُ العيون إلىٰ العيون هو الذي ... جعل العيون علىٰ القلوب وبالا
ونهيت نومي عن عيوني فانتهى ... وأمرت ليلي أن يطول فطالا

* * *

كان طرفي اصل سقمي في الهوى ... لا أذاق الله طرفي الوسنا

لو تــحرّى فــيّ رامــي حــظه　　يــوم سـلعٍ مـا عــناني مـا عـنا

غيره :

فــو الله مــا أدري أنــفسي ألومـها　　على الحب أم عيني المشوقة أم قلبي

إذا لمت قـلبي قـال نـفسك اذنـبت　　وإن لمتها قالت خذوا العين بالذنب

فقلبي وطرفي قد تشاركنَ في دمي　　فيا رب كن عوني علىٰ العين والقلب

غيره :

قــلبي إلىٰ مــا ضــرّني داعــي　　بكــثر اســقامي وأوجــاعي

كـيف إحـتراسـي مـن عـدو إذا　　كــان عــدوي بـين أضـلاعي

غيره :

أقــام قــيامتي نــظري　　فــمن يـعدو عـلى بـصري

تــعرض للـهوى غـرراً　　فشــيّبني عــلىٰ صـغري

وكــان هــواك لي قــدراً　　فكــيف أفــر مـن قـدري

وقال خالد بن يزيد :

القـلب يـحسد عـيني لذة النـظرِ　　والعـين تـحسد قـلبي لذة الفكـرِ

يـقول قـلبي لعـيني كلما نـظرت　　كـم تـنظرين رمـاك الله بـالسهرِ

العـين تـورثه هـماً فـيشغله　　والقـلب بـالدمع ينهاها عـن النظرِ

هذان[1] خصمان لا أرضى بحكمهما　　فاحكم فديتك بين القلب والبصرِ

قال بعض أرباب الغرام : كيف الخلاص من شيءٍ إذا كان شركين منصوبان لرجل ، إن سلم من الأول وقع في الثاني ، وهما : السمع والبصر .

وذكر بعض العشاق ، أن الأذن تعشق قبل النظر ، وفي ديوان الصبابة : ....

---

(١) م ك : هذا .

والأذن تعشق قبل العين أحيانا ، هيهات يسلم من العشق إلا من لا عقل له ، وكيف يسلم العاقل ، وهو بين ثلاثة خلقوا للعشق والقلب والطرف ، داءان لا دواء لهما إلا الصبر علىٰ القضاء والقدر .

شعر :

اثنان عمداً علىٰ قلبي قد اتفقا ... واحسرتي ما بقي لي في الحياة بقا
وأورثاني سقاماً لا أطيقهما ... وأورثا مقلتي التسهيد والأرقا
إن لمت قلبي يقول العين قد نظرت ... أو لمت عيني تقول القلب قد عشقا
وإن أتيت إلىٰ قلبي أعاتبه ... أخاف من زفرات العشق احترقا
وإن أتيت إلىٰ عيني أعاتبها ... أخشى وحق الهوى من أدمعي الغرقا
ناديت قاضي الهوى بالله خذ بيدي ... اثنان عمداً علىٰ قلبي قد اتفقا
أجابني ما لحكمي بينهم سبب ... قلب وطرف هما للعشق قد خلقا

فإياك وتحديد النظر في الخلوة ، فقد حدث السلف عن الكف ، وقالوا : لا تمكّن سمعك من صاحب لهو ، فيلقي في نفسك شيئاً لا يسعك دفعه ، ولا تخلو بامرأةٍ ولا بأمرد ولو كنت تعظها وتعلمه القرآن ، ولا تدخل علىٰ أمير ولو لأمرٍ مهم فإياك وأن يعرفك .

وقال سعيد بن جبير[1] : لأؤتمن علىٰ بيت من الدرّ أحب إلي من أن أؤتمن علىٰ امرأة حسناء .

وقال يوسف بن أسباط : (لو ائتمنني رجل علىٰ بيت مال ، لظننت أني أؤدي الأمانة ، ولو ائتمنني علىٰ زنجية أن أخلو بها ، ما ائتمنت نفسي عليها) ،

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء ، الكوفي ، (أبو عبد الله) (٤٥ ـ ٩٥ هـ) تابعي ، حبشي الأصل ، قتله الحجاج بواسط . الأعلام للزركلي ٣ : ٩٣ .

وفي حديث جابر : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يخلون بامرأة) ليست له بمحرم إلا همّ أو همّت به والحذر كل الحذر من النظر إلىٰ المرد الحسان ، وأولاد التجار ، والأعزة ، والملوك ، فإنهم من أعظم الفتن ، فإن الشيطان ، إنما يدخل علىٰ العبد من حيث يمكنه الدخول ، فيأتي العالم والعابد وقد أغلقا باب النظر إلىٰ النساء والصبي مخالط لهما وخادم لهما ، فيقعان في الفتنة بسببه ، فيالها من فتنة ، كم زل فيها من قدم ، وكم حلّت من عزم ، وفلّت من همم ، وعلى منهاج الحذر مضى سالف الأمة ، وبه أمر العلماء والأئمة ، قال فتح الموصلي[1] : (صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال ، فكلهم أوصوني عند مفارقتي إياهم ، أن أتقي معاشرة الأحداث) .

قلت : وذلك لأن كل واحد منهم ، قد قرّح وجرح أكبادهم المرد الحسان .

ويُروى أن سلمان دخل يوماً الحمام ، فدخل عليه أمرد ، فقال : أخرجوه فإن مع كل امرأة شيطان ، ومع كل أمرد ثمانية عشر شيطان ، يزينونه في أعين الناس .

وقال سفيان : (يتبع الجارية شيطان ، ويتبع الغلام شيطانان) .

وقال ابن أبي السائب : (أنا علىٰ العازب من الغلام الأمرد ، أخوف من سبعين عذراء) ، وفي حديث أنس : (لا تجالسوا أبناء الملوك ، فإن الأنفس تشتاق إليهم ، ما لا تشتاق إلىٰ الجواري) .

ويُذكر عن الشعبي ، قال : وفد قبيلة عبد القيس علىٰ رسول الله ﷺ ، وفيهم غلام أمرد ، ظاهر الوضاءة ، فأجلسه رسول الله وراء ظهره .

---

(١) ربما كان (أبو الفتح الموصلي) المتوفى ٣٧٤هـ ، وهو من المحدثين له شرح الشهاب للقضاعي . معجم المؤلفين لكحالة ١١ : ٢٣٢ .

وقال إبراهيم الحربي[١] : (أول فساد الصّبيان بعضهم من بعضهم ، وقد افتتن بالأحداث خلقٌ كثير من الأفاضل) ، وقال أبو حمزة : (كان عبد الله بن موسى من كبار الرؤساء ، وأهل الفضل ، فنظر إلىٰ غلام في بعض الأسواق ، فبُلي به ، وكاد يذهب عقله عليه وجداً وحباً ، وكان يقف كل يوم علىٰ طريقه ، حتىٰ يراه إذا أقبل ، وإذا انصرف ، فطال به الهيام ، حتىٰ تولّه ، وحلّ بجسمه السّقم والضنا ، فكان طريحاً في بيته ، لا يستطيع النهوض ، ولا يقدر أن يمشي خطوة ، فأتيته يوماً أعوده ، فقلت له : ما قصتك ؟ ، فقال : أمور امتحنني الله بها ، فلم أصبر علىٰ البلاء فيها ، ورب ذنب استصغره الإنسان ، وهو عند الله عظيم ، وحقيق لمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الأوجاع والأسقام ، ثم بكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ ، فقال : أخاف أن يطول في النار شقائي ، فانصرفت ، وأنا أرحمه لما رأيت من حاله) .

وقد تغزل في المرد كثير من الأفاضل والأئمة الأماثل ، وفي (رياض الألباب) : أن للعلامة عبد القاهر الجرجاني :

طلبتُ من الحبيبِ زكاةَ حسنٍ ... على صغرٍ من القمرِ البهيِّ
فقال وهل على مثلي زكاةٌ ... علىٰ رأي العراقي المالكيِّ
فقلتُ الشافعيُّ لنا إمامٌ ... وقد فرضَ الزكاة علىٰ الصبيِّ

فذيَّلَ قاضي القضاة ، تقي الدين السبكي[٢] هذه الثلاثة بأربعة ، فقال :

فقالَ إذهبْ إذن فاقض زكاتي ... بقول الشافعي من الوليِّ

---

(١) إبراهيم بن اسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي (١٩٨ ـ ٢٨٥ هـ) أصله من مرو من أعلام المحدثين ، له كتاب : (غريب الحديث) . الأعلام للزركلي ١ : ٣٢ .

(٢) علي بن عبد الكافي الأنصاري الخزرجي الشافعي (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ) ، قاضي دمشق وخطيب الجامع الأموي ومتولي مشيخة دار الحديث الأشرفية له نحو ١٥٠ مصنفاً .

فقلتُ له فديتك من فقيهٍ ... أيُطلبُ بالوفاءِ سوى المليّْ
نصابُ الحسن عندكَ ذو امتناع ... بلحظك والقوام السمهريّْ
فإنْ اعطيتنا طوعاً وإلّا ... أخذناه بقول الشافعيّْ

وقال أحمد بن يونس: كان زيدان الكاتب يكتب بين يدي القاضي يحيى بن أكثم، وكان زيدان المذكور جميلاً متناهياً في الجمال، فقرص القاضي فخذه، فخجل زيدان، واستحيى، وطرح القلم من يده، فقال له يحيىٰ: اكتب ما أمليه عليك من الشعر:

أيا قمراً خمّشته فتغضبا ... وأصبح لي من تيهه متجنبا
إذا كنتَ للتخميش والعشقِ كارهاً ... فكن أبداً يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنةً ... وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقاً وتفتن ناسكاً ... وتترك قاضي المسلمين معذبا

واعلم فإني أبدي إليك سراً مكنوناً مخزوناً، تحلو وتهش عنده نشره الطباع، وتشنف وتلتذ عن سماعه الأسماع، وهو أن كثيراً من الغلمان والصبيان المرد الحسان، قد تحسن دنانير الوجوه منهم، بخروج زغبات الشعر، فيزيدون بذلك علىٰ المرد في الحسن والجمال، وقد افتتن بهم جماعات، وأنشد محمد بن داوود لنفسه، في مرض موته:

انظر إلىٰ السحر يجري في لواحظه ... وانظر إلىٰ دعجٍ في طرفه الساجي
وانظر إلىٰ شعراتٍ فوق عارضه ... كأنهنّ نمال در في عاج

وأنشد ابن كامل الدمشقي له أيضاً:

يا يوسف الحسن تمثيلاً وتشبيها ... يا طلعةً ليس إلا البدر يحكيها
من شكّ في الحور فلينظر إليك فما ... صيغت معانيك إلا من معانيها

مـا للـبدور وللتحديف يـا أملي	نور البـدور عـن التحديف يـغنيها
إن الدنـانير لا تُـجلى وإن عـتقت	ولا يُـزاد عـلىٰ النقش الذي فـيها

وأنشد القاضي الفاضل :

قـالوا التـحى فـاصبُ الىٰ غـيرِه	قـلتُ لهـم لستُ إذن أسـلو[1]
لو لم يكـن مـن عسـلٍ ريـقه	مـا دبّ فـي عـارضه النـمل

غيره :

إن ذاك الطـلا وذاك العـذارا	فـتكا فـي الأنـام حـتىٰ العـذارا
إنـما النـمل دبّ يـطلب شـهداً	فـرأىٰ النـار فـي الطـريق فدارا

وأنشد السنجاري :

يـامن حـمى ثـغره النظيم ومـن	تـخلل أصـداغـه السـود العناقيدا
اعطف على مستهامٍ ضيمَ من أسفٍ	على هـواك وفـي حـبل العـنا قـيدا

ابن الدهان النحوي :

قالوا إلىٰ مَ تواني الحب قـلت لهـم	مادمت حياً ودام الحسن في الناسِ
كـم تـبت يـوماً فـيثني هـمتي رشأٌ	له العـذار عـلىٰ الخـدين كـالآسِ
إذا كـلفت بـمن تـهوى وكـان له	وجهٌ مليح فما في الحب من باسِ

وأنشد الصفدي :

كم قد أقمنا على حب العذار لمـن	يـهواه عـذراً إذا مـا جـاء يـعتذرُ
ومـا لحـينا عـلىٰ حب اللـحا أحـداً	يــهيم فـيه وقـلنا الأمـر يُـغتفر

القاضي كمال الدين ابن النبيه :

تبسم ثغر الزهـر عـن شـنب القـطرِ	ودبّ عذارُ النملِ فـي وجـنةِ البـدرِ

---

(١) م ك : اسلوا .

فإن رقّ واعتل النسيم صبابةً ... إذا مدّ في تلك الرياض ففي عذر
يجاذبني الوردُ الجني وإنني ... بوجنة من أهواه قد حرت في أمري

الصفدي :

طوبى لمن رفض الفتاة وقد غدا ... حب الفتى أبداً لمهجته غدا
ما قالت العرب الفصاح إذا ارتضت ... في الدر شيئاً حبذي بل حبذا

وأنشد عز الدين :

أهوى الغزال الذي قد تمّ عارضه ... كأنه عنبرٌ من فوق كافورِ
ولا أحب فتاةَ الحيّ قطُ ولو ... كانت من الأنسات الخرّد الحورِ

غيره :

أسودُ الشعرِ أبيضُ الثغرِ ألمى ... أحمر الخد أخضر العارضين
أوحد الحسن في الملاحة فرداً ... ثاني الغصن ثالث القمرين

وأنشد خطيب الموصل الحسين بن علي بن يوسف :

يا أيها الرشأ الأغنّ ... قلبي بحبك مفتتنْ
أغِر السهاد لمقلتي ... مافي جفونك من وسنْ
وجعلت سر صبابتي ... بقبيح فعلك في علنْ
فغدوت محلول العذار ... وكنت معقول الدّسنْ
بدرٌ كأن الله لم ... يخلقه إلا للفتنْ
لا تقربنَّ كناسه ... وتنحّ عنه وابعدنْ
من رام منه قبلةً ... في ذلك الوجه الحسن
قالت سوالفه لسيف لحا ... ظه المرضى بزن

قلت : بزن كلمة فارسية بمعنى اضرب ، وبالجملة فالمراد أن حبائل

الشيطان ، وأشراك الخذلان ، ومنظوم الادباء ومنثورهم في ذلك يطول ، ويبلغ به كتباً وأبواباً وفصولاً لطيفة ظريفة ، قال ابن عربي ، الشيخ محيي الدين : كنت يوماً بمدينة قرطبة ، وأنا ماشٍ إلىٰ صلاة الجمعة ، ومعي جماعة من إخوان جهالتي ، وذلك في أيام صِبوتي وصَبوتي ، وفيهم متيّم قابضاً محبوبه بشماله ، فمررنا ببعض إخواننا ، فسلّم علينا ، ونظر إلىٰ المحبّ ومحبوبه ، فقال : إن محبوبك لكريه المنظر ، فما الذي أعجبك منه ، فأنشد ، فلا أدري أتمثّل بهما أم ترجلهما :

رأي وجه من أهوى عذولي فقال لي　　أجُـلّك عن وجه أراه كريها
فقلت له وجه الحبيب مرآته[1]　　وأنت ترى تمثال وجهك فيها

غيره :

إذا مالتحى المحبوب طار جماله　　فلحيته ريش يطير بها الخدُّ
وقد ملّه من كان يطلب قربه　　وجف احمرار الورد مذ ذبل الوَرْدُ

قلت : ما وجدت أبلغ من هذين[2] البيتين في الصدق ، فلا تتبع من عابهما من الأدباء بقوله :

وقالوا العذار جناح الهوى　　إذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذاك فخبرهم　　قياماً بعذري أو عذره
إذا كَمُل الحسن في وجنةٍ　　فخاتمه المسك من شعره

قلت : فإن أراد هذا الأديب الأريب اخضرار العذار وآسه ، فلا بأس ولا منافاة ولا معارضة ، وإن أراد اللّحية الخشنة ، الجادبة لطراوة الحسن في

---

(١) م ك : مراءته .

(٢) م ك : هاذين .

الوجنات ، كما يعلم ذلك من قوله : إذا ما استوى ...... وقوله : المسك من شعره ، فعذره قبيح وعقله جريح ، وقد أكثر المشايخ الأماثل ، والأئمة الأفاضل من شعر الغزل والتشبيب والعشق والتشوق ، ولا عيب في ذلك ولا نقص ، بل ذلك من شيم الكرام في جاهلية وإسلام ، فإنّ الشعر فنّ أهل اللسان من الأنام ، وبلاغة حكمة تزيل عن القلوب صدأ الأسقام ، وقد قال ﷺ : (إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان سحراً ، وإن من الشعر حكما) ، وقال بعض السلف من الصدر الأول : تعلّموا الشعر ، فإن فيه محاسن تبتغي ومساوئ تُتقى وحكمة للحكماء ، ويدل علىٰ مكارم الأخلاق ، وقد أنكر عمر علىٰ حسّان ، إنشاده الشعر في مسجد الرسول بالمدينة ، ولحظه شزراً ، فقال حسّان : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ـ يعني رسول الله ﷺ ـ ، وعن عمر بن الشريك ، قال : كنت ردفاً لرسول الله ﷺ ، فقال لي : معك من شعر أمية بن الصّلت ، فأنشدته بيتاً منه ، فلم يزل يقول كلما أنشدته بيتاً : إيهٍ ، حتىٰ أنشدته مائة بيت ، وقال جابر بن سمره : جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة ، وكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياء من أمر جاهليتهم ، وهو ساكت ، وربما تبسّم معهم ، وروي أن عائشة كانت تحفظ جميع شعر لبيد بتمامه وكماله ، وكان رسول الله ﷺ يقول لها : ما فعلت أبياتك ؟ ، فتقول : أي الأبيات تريد ، فإنها كثيرة ؟ ، وعن أنس قال : كان أبو بكر إذا نظر إلىٰ رسول الله ﷺ مقبلاً يقول :

أمينٌ مصطفى للخير يدعو ... كضوءِ البدر زايله الظلام

قال القرطبي : (وإذا كان رسول الله ﷺ يسمع ، وأبو بكر ينشد ، فهل للتقليد موضع أرفع من هذا) .

وقال الإمام النووي ـ في (شرح مسلم) ـ : (قال العلماء كافه مباح ، مالم

يكن فيه فحش ، وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وهذا هو الصوّاب فقد سمع الرسول ﷺ الشعر ، واستنشده أصحابه في الأسفار وغيرها ، وأنشده الخلفاء وأئمة الأصحاب وفضلاء السلف ، ولم ينكره أحد منهم وإنما أنكروا المذموم منه ، وهو الفحش ، وأنشد الشافعي ليلتين من أشعار من اسمه عمرو ، وقال : أنا أحفظ أشعار ثلاثمائة مجنون ، وأحفظ أكثر من عشرة آلاف بيت من أشعار هذيل فقط ، وأنشد أبو عمرو بن العلاء في ليلة واحدة ستين قصيدة على حرف السين لستّين شاعراً اسمُ كلٍّ منهم عمرو ، ومن فضيلة الشعر أنه يجلو صداً القلب لاشتماله على الحكمة .

أشعار متفرقة

شعر لأبي الدرداء ﷺ :

يــريد المــرء أن يـعطى مـناه ويأبـــى الله إلا مـــا أرادا
يــقول المــرء فــائدتي وربـحي وتــقوى الله أفـضل مـا اسـتزادا

فلنكثر من ذكر الشعر في المجموع ، ولنضيف إليـه المسـتحسن مـن القصص ، فأنشد لنفسه شيخ الشيوخ بحماه :

لا تـنس وجـدي بك يـا شـاذن بـــحبه أنســيت أصــحابي
مـالي عـلىٰ هـجرك مـن طـاقة فــهل إلىٰ وصــلك مـن بـاب

الحافظ بن حجر :

قُــــتُلت فـــي الحب إلى أن رقّ لي مـــــن قـــتلا
وقـــال ذا الحـــول ازر مـــازار لا حـــول ولا[1]

المعلم الثالث ابن سينا الحكيم :

صلوا مغرماً من أجلكم واصل الضنا وفي حبكم طيب الرقـاد فـقد فـقد
أنــار الهـوى نـاراً تشبّ بـقلبه فكـيف بـاطفاء الغـرام وقـد وقـد

ابن أبي حجله :

لم أطلب الوصل من أجي فديتك يا من زاد حظي سواداً مـنك شـامات

---

(١) لا يخفىٰ مافي ذلك من تورية في كلمة الحول بمعنى السُّنة ، وقوله لا حـول ولا قـوة إلا بالله .

لكن خشيت بأن تبلى بعشق رشاً يقتص لي منك والدنيا مكافاة

ابن المستوفي :

وعاشقين قضى الله اجتماعهما فلم يلاما[1] بما قالا وما فعلا

تجاذبا طرفي عتب ومعذرة فاصفرّ ذا فرحاً وأحمر ذا خجلا

الصلاح الصفدي :

تناءى الذي أهوى فمتُّ صبابةً فقال عجيبٌ كل أمك في الهوى

صبرت لطرفي إذ رمتك سهامه ولم تتصبر إذ رميتك بالنوى

غيره :

لحاني العاذلون فقلت مهلاً فإني لا أرىٰ في الحب عارا

وقالوا قد خلعت فقلت لسنا بأول خالع خلع العذارا

شرف الدين القاضي :

وشى إليك بيَّ الواشي فلم ترني أهلاً لتكذيب ما ألقىٰ من الخبرِ

ولو وشى بك عندي في ألذّكرى طيفُ الخيالِ لبعت النوم بالسّهرِ

ابن التلمساني :

رأيتك إن ألزمتني الذنب ظالما وذنبك بين الناس قد شاع واشتهر

كقلب الذي يهوى يعذب دائماً ولم يجنِ ذنباً إنما الذنب للبصر

ابن قرناص :

وصيّرت لي ذنباً ولم أك مذنباً وحمّلتني بالهجر مالا أطيقه

وما طلبي للوصل حرصاً على اللقا ولكنه أجراً إليك أسوقه

---

(١) م ك : يلاملا .

لصدر الدين :

هويتك طفلاً واتخذتك صاحباً فجرّعتني بالصد فاتحة الوعدِ
لعلك تطفي لوعتي وصبابتي بفاتحة الأعراف من ريقك الشهدِ

البحتري :

مليح العين والحدقه بديع والذي خلقه
لعيني من محاسنه رياضُ مناظرٍ أنقه
فأحياناً انزهها[1] وحيناً في دم غرِقه

تقي الدين الحرّاني :

ومهفهف قَسَمَ الملاحة ربنا فيه فأبدعه بغير مثالِ
فلخده النعمان روض شقائقٍ ولثغره النظام عقد لئالي
ولطرفه الغزال احياء الهوى وكذلك الإحياء للغزّالي

ابن الحلاوي :

وقف الجمال على محاسن وجهه حتى ظننت الحسن من عشّاقه
عذب اللّمى حلو الحديث كأنما خلقت مراشف فيه من أخلاقه

ابن الجناب :

بدا وأرانا منظراً جامعاً لما تفرق من حسنٍ عن الناس مونقا
اقاحاً وراحاً تحت وردٍ ونرجسٍ وليلاً وصبحاً فوق غصنٍ على نقا

غيره :

ومهفهف لبس الملاحة حلّة فطرازها في عارضيه ممسكُ

---

(١) م ك : انزها .

غنج الجفون كأن لحظ عيونه سهم يصيب به اقلوب فيفتك[١]
سكن الحشا لما تحرك مائساً ومن العجائب ساكن متحركُ

الشريف ، الحسن بن الأكرم البغداي :

رشأ من الأتراك في لحظاته بيض الظبا وقوامه سمر القنا
شفعت محاسنه إلىٰ عشّاقه أن لا يؤاخذ بالسلو إذا جنا

محمد شمس الدين بن التلمساني :

وهل فيه من حسن سوى أن لحظه لكل فؤاد في البرية صائدُ
وأن محيّاه إذا قارن الدّجا أنار به جنح من الليل راكدُ
وأن ثناياه نجوماً لبدره وهنّ لعقد الحسن فيه فرائدُ
فكم يتجافى خصره وهو ناحل وكم يتحالى ريقه وهو باردُ
وكم يدعى صوناً وهذي جفونه يفترّ منها للعاشقين مواعدُ[٢]

أبو الحسن يوسف المصري :

وفاحت فألقى العود في النّار نفسه كذا نقلت عنه الحديث المجامرُ
وقالت فغارَ الدرّ واصفرّ لونه كذلك ما زالت تغار الضرائر

شيخ الحنابلة في وقته ، أبو الخطاب ، وقد رُفع له هذه الفتيا :

قل للإمام أبي الخطاب مسألة جاءت إليك وما خلق سواك لها
ماذا على رجلٍ رام الصلاة فمذ لاحت لخاطره ذات الجمال لها

فأجابه يقول :

قل للأديب الذي وافى بمسألةٍ آست فؤادي لما أن أصخت لها

---

(١) م ك : انزها .

(٢) البيت غير مستقيم الوزن .

إن الذي فـتنته عـن عـبادته خـريدةٌ حسـن فـانثنى ولهـا لهـا[١]
إن تـاب ثـم قـضى عنه عـبادته فرحمة الله تغشى من عصى ولهـا

الشهاب محمود :

هـل لي إلىٰ تـرشاف فيك سبيل فـينيل صبٌّ أو يـبلَّ غـليلُ
يـا شـاذناً لولا تـرنح عـطفه لم يـدر غـصن البان كيف يـميلُ
إن أنكرت عيناك قـتلي في الهوى فـدمي عـلىٰ خـديك فيه دليـلُ
أهـواهـما ومـن العـجائب أنـه يشـتاق [فـيها] القـاتل المـقتولُ
عجباً وذلك بديع حسنك لم يـزل يـجرى بـه مـاء الصبا ويـحولُ
إذ خـدّك الفـتّانُ فـيه نـظارة والنـاظر الوسـنان فـيه ذبـولُ
أصـبحت كـالبدر المـنير ضياؤه دانٍ ولكـن مـا إليـه وصـولُ

ابن نباته المصري :

بـروحي عـاطر الأنـفاس المـى رشـيق القـد سـاجي المـقلتينِ
يـهزّ مـثقفاً مـن مـعطفيه ومـن جـفنيهُ يـجذب مـرهفينِ
له خـالان فـي ديـنار خـدٍ تـباع له القـلوب بـحبتينِ
وحـول نـقا سـوالفـه عـذارٌ كـما سـعرت نـقشاً فـي لجينِ
أظـل إذا نـظرت لوجـنتيه أنـزه فـي النـقا والرقـمتين
فـيالله مـن غـصنٍ فـريدٍ وفـي خـديه كـلتا الجـنتين

ابن مطروح :

مـاء الجـمال بـوجنتيك مـعين لو كـان لي عـند الورود مـعينُ
لكـن حـمته أسـنةٌ وأعـنةٌ فـلكم قـتيل حـولها وطـعينُ

---

(١) البيت غير مستقيم الوزن .

فـــالليل ثـــم عـبارة عـن طـرّة إن كـنت تـفهم والصباح جبينُ
مـــن كـل ضـاربة اللـثام وإنـما تـــحت اللـثام مـحاسن وفـنونُ
يا قلب ويحك ما تفيق من الجوى فـــمع الزمـــان تـــولّه وجـنونُ
لك كـــل يـــوم صبوة عـذرية أعـــليك نـذر أم عـليك يـمينُ
وبكـــل قـــد أنت صب هـــائم وبكـــل خـــدٍ مـــغرمٌ مـفتونُ
سُئِلَ الضـرائر عـن حـقيقة ثـغرها يـــوماً فـــقلْنَ اللـؤلؤ المكـنونُ
وأفـــادني المســـواك أن رضـابها مسك وشـــهد والســـواك أمـينُ
مـحجوبةٌ فـي خـدرها مـحبوبةٌ إن الجـمال يـحب وهـو مـصونُ

ابن قرناص:

مـا إن رنـا باللحاظ من وسناته إلا ســـطا بـــحسامه وســـنانه
فـالسيف يـقتل حـين فـارق جـفنه واللـحظ يـقتل وهـو فـي أجـفانه
وبمهجتي من قد ثوى في مـهجتي وفـداه طـرف حـلّ فـي أسنانه
غـضبانُ يـهوى مـع جـفاه إلىٰ الـ عشـاق كيف يكون مع إحسانه
هـــزّت روادفـــه مـعاطفه فـقل أغـصان بـان ملنَ مـع كشـبانه
هو روضـةٌ للحسن أسود نـاظري جـــعلوه نـاطوراً عـلىٰ بسـتانه
يـــبدو ويـغرم خـده مـن قـده أرأيـــتم التـــفاح فـي أغـصانه
وتـظن نـرجسه يشـير بـغمزه إن قـبلوا المـبيّض مـن سوسانه
هـــذا ربـــيعٌ فـــانت فـتغنّموا ورداً تـــخملّ فـي ذرى ريـحانه
قـــد جـال مـاءٌ للـنعيم يـعطفه لكــن تـمزج مـنه فـي أعكـانه
كـم ذقت صبراً مـن مـرارة هـجره طـــعم الجـفا كـحلاوة بـلسانه
وصبرت منه للذع عـقرب صـدغه حـتىٰ تَـطُولَ يـدي عـلىٰ ثـعبانه

إن الهوى أبداً ترى آساده ... هانت قياداً في يدي غزلانه
ظبيٌ من الأتراك يُعرب أنه ... لم يَتْرُك حسناً على عربانه
وأمير حسن قد جعلت تغزّلي ... سبباً لنظم الوصل في إحسانه

صدر الدين:

قد جرّد الهندي من لحظاته ... وتعلم الخطّي من خطراته
قمر تصيد الأسد سودُ عيونه ... ويغار منه البدر من هالاته
يا خجلة الأغصان من أعطافه ... وفضيحة الغزلان من لفتاته
أبدى الذؤابة والقوام فلا تسل ... عن بان نعمان وعن عذباته
قدمت فيه صبابة ولي الهنا ... فلمثله خلق الحيا وحياته
حاز القلوب بأسرها في أسره ... إذ شاهدت منه بديع صفاته
أرجو وأحذر قربه وبعاده ... فالقلب بين حياته ومماته

ابن النّبيه:

بين البنان وصدغه المعقود ... خمران من كأسٍ ومن عنقودِ
هذي تُدار لنا بأبيضَ ناعمٍ ... ترف وتلك تدار في توريدِ
ساق كأن جبينه في شعره ... قمر تبلّج في الليالي السّودِ
غصن ترنّح خصره في ردفه ... فعجبت للمعدوم في الموجودِ
وَضّاع درّ الثغر في معسول اللّما ... متضائق الأجفان رحب الجيدِ
يلوي على زرد العذار دلاله ... كم فتنة بين اللوى وزرودِ
نبتت على الكافور مسكة خاله ... والمسك ينبت في الظباء الغيدِ
في جفنه لمحبّه وعدوه ... سيفان من لحظ وحدّ حديدِ
هذا يقوم على القلوب دليله ... قطعاً وذاك السيف بالتقليدِ

إيــــاك والأتـــراك إن لبـــعضهم   لفـــتاتُ غـــزلانٍ وفـعل أســودِ
أجســـــامهم كــــالماء إلا أنـــها   حملت قلوباً أقسى من الجلمودِ

وله أيضاً :

مــــالي وللـــتشبيب بـــالأوطانِ   لي شـــاغلٌ بـــجمالكِ الفـــتانِ
للـــريق والثـغر العـذيب وبـارق   وقـــباك مـــزرود علىٰ نـعمانِ
وسـنان حـوري الصـفات كأنـه   مـلّ الجـنان فـفرّ مـن رضـوانِ
طـالت عـلىٰ عـطفيه ليلة شـعره   فـــترنّحا كـــالعاشق الولهـــانِ
واخـضر فـوق الورد آس عـذاره   فـعجبت للـجنات فـي النـيرانِ
جُـنّت بـمنظره البـديع عـيوننا   فـــتسلسلت بـمدامـع الأجـفان

غيره :

نـظري إليك عـلىٰ هـواك دليـلا   مـالي سـوى طرفي إليك رسـولا
ويكـــبّرون تـــباشراً بـــهلالهم   وهـــم يـــرونك بكـرة واصـيلا
لو أنـــهم نـظروا بأعـين ودهـم   نـــظري إليك لهـــلّلوا تـــهليلا
يـا لابساً حـلل المـحاسن إنـني   أُلبست قـالاً فـي هـواك وقـيلا

وله أيضاً :

كتب الحسن فوق خديك سطرا   قـد قـراه مـن ليس يـحسن يـقرا
أي خـــدٍ عـــليه أطـــراف وردٍ   قد سقى الورد فوق خديك خـمرا
مـــا تـبالي العـيون حـين تـراه   لاحَ أن لا تـرى إلىٰ الحشـر بـدرا
كـــلّما ازددت ذلةً وخـــضوعاً   فـــي هـــداه يـزيد تـيهاً وكـبرا

الحلاوي أحمد بن محمد بن أبي الوفاء :[١]

حكاه من الغصن الرطيب وريقُهُ ... وما الخمرُ إلا وجنتاه وريقُه
هلالاً ولكن أفق قلبي محلّه ... غزال ولكن سفح عيني عقيقه
وأسمر يحكي أسمر اللّون قدُّهُ ... عذاراً شقىٰ قلب المحب رشيقُه
علىٰ خده جمرٌ من الحب مضرم ... كثيب ولكن في فؤادي حريقُه
أقرّ له من كل حسن جليله ... ووافقه من كل معنى دقيقُه
بديع التثني راح قلبي أسيره ... علىٰ أن دمعي في اغرام طليقُه
علىٰ سالفيه للعذار جديده ... وفي شفتيه للسلاف عقيقُه
يهدد منه الطرف من ليس خصمه ... ويسكر منه الريق من لا يذوقُه
علىٰ مثله يستحسن الصب هتكه ... وفي حبه يجفو الصديق صديقُه
من الترك لا يصبيه وجدي إلىٰ الحمى ... ولا ذكر بانات الغدير تشوقُه
له مبسم ينسي المدام بريقه ... ويخجل أنوار الأقاحي بريقُه
إذا خفق البرق اليماني موهنا ... تذكرته فاعتاد قلبي خفوقُه
حكىٰ وجهه بدر السماء فلو بدا ... مع البدر قال الناس هذا شقيقُه
رآني خيالاً حين وافى خياله ... وأطرق من فرط الحياء طروقه
وأشبه زهر الروض حسناً وقد بدا ... علىٰ وجنته آسه وشقيقه
وأشبهت منه الخصر سقماً فقد غدا ... يحمّلني كالخصر مالا أطيقه
فما بال قلبي كل حب يهيجه ... وحتام طرفي كل حسن يروقه
فهذا كيوم البين لم تطف ناره ... وهذا فبعد البعد ما خف موقه

---

(١) شرف الدين ، أبو الطيب ، الموصلي ، الربعي (٦٠٣ ـ ٦٥٦ هـ) ، متكسب بالشعر ، مدح الملك الناصر داوود بن عيسىٰ . تاريخ الأدب العربي / عمر فروخ ٣ : ٥٨٥ .

أرى النـاس أضـحوا جاهلية حبه　　فـما بـاله عـن كـل صبّ يـعوقه
فـما فـاز إلا مـن يـبيت صبوحه　　شـراب ثـناياه ومـنها غـبوقه

العناياتي الشيخ أحمد :(١)

والله مـا خـلق الله العـذار سُدى　　فـلا تـلمني فـي عشـقي له أبـدا
رأىٰ العيونَ تـصيبُ الخـدَّ أسـهمها　　فألبسَ الخـدَّ مـن مـنضوده زردا
تـبارك الله والإبـداع صـنعته　　أجرىٰ الزمرد فـي اليـاقوت فـاطردا
بل يسبح الورد بالآس الجـني وقـد　　حـماه عـن مـجتنيه أن يـمدَّ يـدا
بل أودع الثـغر كـنزاً مـن جـواهـره　　فخط فـي الخـد طُـلَّسماً له رصـدا
لا بل هو الخصر من عين الحياة دنا　　لثـغره ليت لي مـن عـلمه رشـدا
أهـوى كـليم فـؤادي مـن مشـجره　　نار من الخـد فـيها للـضلال هـدى
الآن صـحَّ بأن الظـبي يشـبهه　　بالمسك واللحظ والنفرات والجِيَدا
والفـرق بـينهما أن الظـبا قـنص　　للأسـد لكـن ظـبي يـقنص الأسـدا
يا قاتلي وهُوَ المـحمود فـي تـلفي　　ومن رأىٰ قـاتلاً للـنفس قـد حـمدا
شهادتي بظبا الألحـاظ فـيك حـلت　　والقتل في الحب أعلى منزل الشهدا
يا أحسن الناس حسناً كن كأحسنهم　　حسـن فـربَّ جـميلٍ بـالجمال بـدا
افتحت في بابلي الألباب لي شـركاً　　وقلت اذ زرفنت صدغاك مت كمدا

المازني النحوي الشيخ أبو عثمان :

اقـتبس النـحو فـنعم المـقتبس　　والنـحو زيـن وجـمال يُـلتمس
يأخـذ مـن كـل الكـلام بـالنفس　　صـاحبه مكـرم [أيـن] جـلس

---

(١) أحمد بن محمد النابلسي الاصل ، المكي المولد . ت ١٠١٤ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج١ ، ص١٥٠ .

من فاته النحو تعمّىٰ وانتكس ... كأنما به من القي خرس

وله أيضاً :

النحو أفضل ما يقرا ويلتمس ... لأنه من كتاب الله يقتبسُ
إذا الفتى عرف الإعراب كان له ... مهابة في أناس حوله خرسوا
لا يستوي معرب فيها وذو لحنٍ ... هل تستوي البغلة العرجاء والفرسُ

غيره :

إذا ما شئت أن تسمو وتُسمى ... وتدرك راحة روحاً وجسما
فقم لطريق أهل العلم سعياً ... لتقفو معهم اثراً ورسما
فإن حصلت لك الدنيا وإلا ... ظفرت بأكبر الشرفين قسما
فأكرم ما احتواه المرء علم ... به يُهدى ويهدي من ألّما
فليس يفيد ملك الكون عبداً ... إلىٰ العلياء يسري وهو أعمىٰ
فكم أبدى ضياء العلم رشداً ... وأذهب ظلمة وأزال ظلما
فنحمد ربنا إذ منّ لطفاً ... به من رشدنا وأزال غما

غيره للشافعي :

علمي معي أينما يمّممت ينفعني
قلبي وعاء له لابطن صندوقِ
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوقِ

غيره :

إذا أفادك إنسان بفائدة ... من العلوم فأكثر شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة ... أفادنيها وألق الكبر والحسدا

فـالحرّ يـظهر شكـراً لـلـمفيد له   خـيراً ويشكـره إن قـام أو قـعدا

لأبي العتاهية :

إذا قـلّ مـال المـرء قـلّ صـديقه   وضـاق بـه عـما يـريد طـريقه
وقـصر طـرف العين عنه كـلالة   وقـصّر فـيما لا يـحب شـفيقه
وذمّ إليـه خـدنه طـيب عـوده   وقـد كـان يستحليه حين يـذوقه

غيره :

كـل ما اشتهته النفس مما ترى   جـوعا ومـالا تشـتهيه ارمـه
فـإن مـا تـغصب فـي أكـله   بـلا هـوىً تـغصب في هـضمه
ومـن يـعاني البـاه مستكثراً   مـن غـير عشق جدّ فـي هـدمه

في اعتذار عن جواب السفيه :

إذا نـطق السـفيه فـلا تـجبه   فـخير مـن إجـابته السكـوتُ
فـإن كـلّمته فـرّجت عـنه   وإن خـلّيته أسـفاً يـموتُ

غيره فيه :

إذا نـطق السـفيه فـلا تـجبه   فـإن جـوابـه أن لا يـجابا
وإن آسـى إليك فـصدّ عـنه   فـإن الأسـد تـحتقر الكـلابا

غيره :

عـزلوك لمـا قـلت مـا   أعـطي وولوا مـن بـذل
أو مـا عـلمت بأن مـا   حـرفٌ يكـف عـن العمل

لشيخ الإسلام ابن حجر :

أحـببت وقـاداً كـنجم طـالع   أنـزلته بـرضا الغرام فـؤادي
وأنـا الشـهاب فـلا يـعاند عـادلي   إن طِـلتُ نـحر الكـوكب الوقـادي

لشيخ الإسلام أبي بكر السرخسي:[١]

تـختّم كـيف شئت ولا تـبالي بـخنصرك اليـمين أو الشـمالي
سـوى حـجرٍ وصـفرٍ أو حـديد أو الذهبِ الحـرام عـلىٰ الرجـال
وإن أحـببت بـاسمك فـانقشنه وبـاسم الله ربك ذي الجـلال

غيره، في معرفة القبلة، وكل طوائف الإسلام من أهل القبلة:

قطب السما اجعل خلف أذنٍ يُسرا بـمصر والعـراق خـلف الأخـرى
والشـام خـلفاً أو أمـاماً بـاليمن مـواجـهاً تكـن بـه مسـتقبلا

لشيخ الإسلام البدر الغزّي، وغزّة قرية من أعمال البقاع من أقاليم دمشق الشام:

مـن الأسـقام قـد ذاب الفـؤاد وأجـفاني جـفاهنَّ الرَقـادُ
وعـاد إلىٰ الصـداقة مـن يـعادي فـعادوا ثـم عـادوا ثـم عـادوا
وبـعض النـاس صـدّ ولم يـعدني وفـيه مـن الفـلاسفة اعـتقادُ
رأونـي مـاضياً للـقبر ظـنّاً وقـالوا كـل مـاضٍ لا يـعادُ

قال جامع هذه النقول، وصانع هذا الكشكول إبراهيم القطيفي:

وقد سمعت في عنفوان الشباب، من بعض إخوان الصّغر، في صحن النجف الأشرف لطيفة تناسب قوله: وقالوا كل ماضٍ لا يعاد، وهي أنه قد مرض بعض إخوان الصّفا، فلم يعده بعض أصدقائه، لظنّه أنه يموت في مرضه، ويتخلّص من عتابه، فلمّا شفي من مرضه، وقد أشرف علىٰ الهلاك، عاتبه في عدم عيادته له، فأجابه يقول: العتب علىٰ عزرائيل.

---

(١) محمد بن احمد السرخسي، متكلم مناظر له: صفة اشراط الساعة، توفي حدود ٤٩٠ هـ. كحاله / معجم المؤلفين: ج٨، ص٢٦٧.

غيره :

مـا نـالت الأعـداء مـنك مـرادهـم ... كـلا ولا يـصلوا إليك بـمكرهم
بـل أنت مـنصور عـليهم دائـماً ... الله يـرمي كـيدهم فـي نـحرهم

غيره :

إذا كـان الذي تـهواه غـصناً ... وأقسم[١] لا يـلين لمـن يـهيمُ
فـذونك فـلتكون له نسـيم ... فـإن الغـصن يـعطفه النسـيمُ

غيره :

يـا حسـنه مـن جـامع ... مـجموعة فـيه الظـرايـف
فـنظمه درّاً حـوى ... ونـثره فـيه اللـطائف

لأبي بكر العطار :[٢]

لمّا حمل منيتي كاس الطلا من أمس
وقام يخطى ومن وجهه انار الدّمس
فقلت هذا العجب والطاهرين الخمس
قمر على غصن حامل في يمينه شمس

للعناياتي :

شـاهدت بـين الثـنايا والبـنان الخـمس
طلا من الشـمس لم تـخفَ عـن اللّمسِ

---

(١) م ك : وأقسم أن لا يلين .

(٢) محمد بن الحسن العطار البغدادي ، فلكي . ت ٣٥٤ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج٩ ، ص٢٢٧ . ويشكل نسبة هذه الأبيات للشاعر المذكور ، اذ هذا الشعر من (المواليا) ، وعصر الشاعر متقدم على ظهور هذا الفن .

فـقلت والليل قـد أرخـى ستور الدمس
جلّ الذي في القمر أجرى غروب الشمسِ

غيره:

يـا حسـنا مـالك لم تـحسن إلىٰ نـفوس بـالهوى مـتعبه
رقـمتَ بـالورد وبـالسوسن صـفحة خـدٍ بـالثنا مـذهبه
يـا حسـنه إذا قـال مـا حسـن ويـا لذاك اللـفظ مـا أعـذبه
قـلت له كـلك عـندي سـنيّ وكـل أفـعالك مسـتعذبه
فـفوق السّـهم ولم يـخطني ومـذ رآنـي مـيتاً أعـجبه
وقـال كـم عـاشق مـنكم جـنى وحـبّه إيـاي كـم أتـعبه
يـرحـمه الله عـلىٰ أنـني قـتلي له لم أدر مـا أوجـبه

غيره:

أيا قـدس حسـن قـلبه الصـخرة التـي
قست فـهي لا تـرثي لقـلب مـتيمِ
هل الغرض الأقصى سوى باب رحمة
فـفي كـبدّ المشـتاق وادي جـهنّمِ

غيره:

قـال لي مـن أحب والبـدر يبدو مـن خـلال السّحاب ثـم يـغيبُ
مـاحكى البـدر قـلت وجـهك لمّـا تـختفي عـندما يـلوح الرقـيبُ

غيره:

نـظرت إليـه نـظرة فـتحيّرت دقـايق فكـري فـي بـديع صـفاته
فأوحـىٰ إليـه الوهـم أنـي أحبه فأثـر ذاك الوهـم فـي وجـناته

غيره :

قـد حثّني بـالكأس أول فـجره ... ساقٍ عـلامة ديـنه فـي خصره
فكأن حـمرة لونـها مـن خـده ... وكأن طـيب ريـاحها مـن نشـره
حتىٰ إذا صبّ المـزاج تـبسّمت ... عـن ثـغرها فـحسبتها من ثـغره
يـا ليـلة شـغل الرقـاد غـيورها ... عن عاشق في الحب هـاتك ستره
إن لم تـعودي للـمتيّم مـرة ... أخـرى فـإنك غـلطة مـن دهـره
مـا زال يـنجز لي مـواعـد غيبه ... فـمه وأحسب ريـقه مـن خمره
وإذا تـحرّك كأسـه فـي كـفه ... قـطع الشـفاء علىٰ ضنىً لم يبره

غيره :

كأن النـدامـا والسـقاة ودنّـنا ... وأقـداحـنا تُـعلى عـلينا وتسكبُ
شـموس وأقـمار وفـلك وأنـجم ... ونـار ونـوّار وشـرق ومـغربُ

غيره :

نـاولني مـن كـفه قـهوة ... ضـياؤها فـي الكأس يـاقوته

* * *

تـضيء مـن نـار ومـن نـور ... تـضحك فـي أحشـاء بـلور
صـفت ورّقت فـي كأسـها[1] ... كأنـها دمـعة مـهجور

الكَحَل هو : اسوداد الحدقة من غير كحل ، حتىٰ كأنها قد كحلت ، والحَوَر هو : شدّة اسوداد العين مع شدّة بياضها ، وكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : الحور هو أن تتسع حدقة العين ، حتىٰ لا يظهر معها شيء من البياض كأعين الظبا والبقر الوحشية . وقيل : الحور هو أن تكون العين كأنها تنظر بمؤخر عينها ،

(١) الشطر مكسور الوزن .

فإن في ذلك نوع من الحسن القتّال . وقيل : بل هو ضيق العين ، وهذا أيضاً مما يزينها ، والدعج هو : سعة الحدقة وشدة سوادها ، والبرح هو : سعة العين وشدة ابيضاض بياضها ، والنجل هو : اتساع العين مع حسنها ، والفتور هو : إنكسار النظر وذبوله في أصل الحدقة خلقةٌ لا لعارض ، وهذا معنىٰ وصفهم العين بالمرض والسقم ، والقبل هو : ميل الحدقة في النظر إلىٰ الأنف ، وفي ذلك ..... ، والدَّل بالفتح : التغنج والتكسر ، والطرب هو : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور ، ودجى الليل شدة ظلمته .

لأبي الفتح البستي :

وشادن نادمت في مجلسٍ ... قد مطرت راحاً أباريقه
طلبت ورداً فأبىٰ خدّه ... ورمت راحاً فأبىٰ ريقه

وله أيضاً :

ومنطق يغني النديم بوجهه ... عن كأسه الملئى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها ... في وجنتيه ومقلتيه وريقه

غيره :

قال لي العاذلون أنحلك الحب ... وأصبحت في السقام فريدا
وإذا صرت من جفاهم عظاماً ... أبوصل تعود خلقاً جديدا
ما رأينا ولا سمعنا بهذا ... قلت : ﴿ كونوا حجارة أو حديدا ﴾

غيره :

يامن إذا غاب غاب الأنس أجمعه ... وأظلم الأفق واسودّت مشارقه
ما ابيضّ بعدك يوم لا أراك به ... وإنما للأسى شابت مفارقه

لإبن مكانس وهو من الاكتفا :

مــن شــرطنا إن أسكــرتنا الطــلا صــرفاً تــداويــنا بشــرب اللّــما
نــعاف مــزج المــاء فــي كأســها لا واخــذ الله السكــارى بــما

غيره :

ورد الكتاب من الحبيب فسرّني لمــا قــرأت ســطوره وفــهمته
ووضــعته فـوق الجـفون وحـقكم يــا ســادتي فــرحاً بــه ولثــمته

التشريع

عبارة عن بناء البيت على قافيتين أو قوافي ، يصح المعنى على الوقوف على كل منهما ، أو كل منها .

قال بن حجة الحموي : وأوسع البحور في التشريع الزجر ، فإنه قد استُعمل تاماً ومجزءاً ومشطوراً ومنهوكاً ، فيمكن أن يعمل للبيت منه اربع قوافي ، فإذا سقطت ما بعد القافية الأولى بقي البيت منهوكاً ، واذا سقطت ما بعد الثانية بقي البيت مشطوراً ، وإذا سقطت مابعد الثالثة بقي البيت مجزوءاً ، وإذا لم تسقط شيئاً كان تاماً ، ثم أنشد لأبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي[1] صاحب .... أبياتاً في ذلك منها :

يرنو بطرفٍ فاتر ... مهما رنا فهو المنا
لا تنهني عن حبّه ... يهفو كغصنٍ ناظر
حلو الجنى يشفي الضّنا ... لا صبر لي عن قربه

ولك أن تصنع أبياتاً إذا أسقطت منها ما بعد القافية الأولى كانت موحدة الأجزاء بعد الثانية كان مثناتها وهلم جرّا ، كما تقول :

بدرٌ بدا لي في الدجى ... من أفقه سام الدرى

(١) محمد بن جابر بن محمد شمس الدين الوادي آشي الأندلسي (٦٧٣ ـ ٧٤٩ هـ) ، شاعر ، رحال ، مولده ووفاته بتونس ، من مشايخ ابن خلدون . له كتاب (الاربعون حديثاً) . الاعلام للزركلي ٦ : ٦٨ .

لا عـــذر لي فـــي عشـــقه　　لمـــا شـــذا نـــلت الرجـــا
مـــن نـــطقه وقت السّـــرى　　أحســـن بـــه فـــي خـــلقه

وربما حُذف الصدر والإبتداء من البيت فخرج من بحر إلىٰ بحر كقول بعض الأدباء :

ياعاذلي هجر المحبوب أو وصلا　　أنـا الذي لا أرى فـي حـبه بـدلا

فهذا من البسيط ، ويخرج منه بذلك الطريق بيت آخر من المديد وهو :

هـــجر المـــحبوب أو وصـــلا　　لا أرى فـــي حـــبه بـــدلا

أنشد بعضهم في المشيب :

تـــولى شـــبابي كأن لم يكـــن　　وأقـــبل شـــيب عـــلينا تـــولّى
ومـــن عـــاين المـنحنى والنـقا　　فـــما بـــعد هـــذين إلّا

غيره في دلّاك في حمام :

أشكـــو إلىٰ الله دلاكاً بُـليتُ بـه　　مسّت أنـامله ظـهري فأدمـاني
فـــلا يـــدلك تـدليكاً بـمعرفة　　ولا يسـرّح تسـريحاً يـا حسـانِ

الصفي الحلّي :

لا زال ســـعدك دائـــماً　　ونـــحور ضـــدّك دامـــية
وعـــدوّ مـــلكك هـــائماً　　وســـحاب جـــودك هـــائمة
وحســـود فـــضلك ســـائماً　　وســـعود جـــدك ســـامية
والنـــصر حـــولك حـــامياً　　وصـــدور ضـــدك حـــامية
مـــولاي إن أك واهـــيا　　ونـــجوم ســـعدي هـــاوية
مـــا زلت بـــعدك شـــائماً　　تـــلك البـــروق الشـــامية
أغـــدو لمـــجدك رائـــماً　　ويـــد النـــوى لي رامـــية

للصنوبري[١] في شمعة ولقد أوعظ :

مــجدولة فــي قــدّها حــاكــية قــد الأســل
كأنــها عــمر الفــتى والنّــار فــيها كــالأجل

اجتمع الشيخ جمال الدين محمد بن نباته والشيخ جمال الدين يوسف بن غانم في روضة مزهرة في يوم شديد الحرّ، فأنشد ابن نباته يقول :

قــد أشــبه الحــمام مــنزل لهــونا فــالماء يســخن والأزاهــر تــحلقُ
فــلذاك جســمي مــنشد ومــصحف عــرق عــلىٰ عــرق ومثلي يـعرقُ

فأجابه ابن غنم وزناً وقافية :

مــا أشــبهه الحــمام مــنزل لهــونا إلّا لمــعنىً راق فــيه المــنطقُ
فــالدوح مــثل قــبابه والزهــر كــالـ ـجامات فــيه ومــاؤه يــتدفقُ

أشرف القيرواني في البخت والنصيب والطالع :

إذا صــحب الفــتى حــظ وســعد تــحامته المكــاره والخــطوبُ
ووافــاه الحــبيب بــغير وعــدٍ طــفيلياً وقــاد له الرقــيبُ

لبعض الفضلاء في أسماء بئر زمزم :

لزمــزم أســماءٌ أتت فــهي بــرّة وســيدة بشــرى وعــصمة فــاعلمِ
ونــافقة مــضمونة عــونة الورى ومــروية ســقيا وظــبية فــافهمِ
وهــمزة جــبريل وهــمزته [شــفا] مــباركة أيــضاً شــفاء الأســقمِ
ومــؤنسة مــيمونة حــرميّة وكــافية شــباعة بــتكرمِ
ومــغذية غــذّت وصــافية غــدت وســالمة أيــضاً طــعام الأطــعمِ

---

(١) احمد بن محمد الضبي ، الحلبي ، الانطاكي . ت ٣٣٤ هـ. كحاله / معجم المؤلفين : ج٢ ، ص٩١.

شـــراب لأبـــرار وعــافية بــدت ... وطــاهرة تكـتم فــاعظم بــزمزمِ

للبها زهير :

يـحدثني زيـد عـن البان والحـما ... أحـاديث يـحلو ذكـرها ويـطيبُ

فـــقلت لزيـــدٍ إنـــها لبشـــارة ... وإنـــي لنشـــوان بـــها وطـروبُ

ويـا زيـد زدنـي مـن حـديثك إنـه ... حـديث عـجيب كـله وغـريبُ

ودعـني أفـز مـن مـقلتيك بنظرة ... فـــعدهما مـــمّن أحب قـــريبُ

رُوي أن فاطمة ﷺ توفيت لثلاث خلون من شهر رمضان ، وهي بنت ثمانية عشر سنة وأشهر ، فأنشد زوجها علي ﷺ :

أرى عـــلل الدنـيا عـليّ كـثيرةٌ ... وصـاحبها حـتىٰ المـمات عـليلُ

لكـل اجـتماع مـن خـليلين فـرقة ... وكـــل الذي دون الفـــراق قـليلُ

وإن افـتقادي فـاطماً بـعد أحـمد ... دليـــل عـلىٰ أن لا يـدوم خـليلُ

غيره : للشيخ شرف الدين بن إسماعيل اليمني المغربي الشافعي ، طردها مدح وعكسها ذم :

طـــلبوا الذي نـــالوا فـــما حـــرموا ... رفـــعوا فـــما حـطت لهـــم رتبُ

وهـــبوا فـــما مـــنت لهـــم خـــلق ... ســـلموا فـــلا أودي بـــهم عـــطبُ

جـــلبوا الذي يـــرضى فـــما كســـروا ... حُـــمدت لهـــم شـــيم ومـــا كسبوا

غـــضوا ومـــا مـــاتت لهـــم خـــلق ... ســـروا فـــلا هـــتكت لهـــم حُجبُ

ذهـــبوا فـــما يـــمضي لهـــم أثـــر ... رحـــموا فـــلا حـــلّت بـــهم نـــوبُ

الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن رسلان الرملي الشافعي :[1] لمّا سكن بجوار المسجد الأقصىٰ بزاوية الحثنية :

---

(١) فقيه ، مصنف في القراءات والتفسير . ت ٨٤٤ هـ. كحاله / معجم المؤلفين : ج١ ، ص٢٠٤ .

حباني إلهي بالتصابي لقبلة ... بمسجده الأقصىٰ المبارك حوله
فحمداً وشكراً دائماً .... أودّ لإخواني المحبين مثله

ثم لمّا أقام الشيخ برهان الدين الأنصاري بالزاوية المذكورة في بلاد المقدس، أنشد يقول:

كذاك الهي قد حباني بما حبا ... به الشيخ أستاذي لقد نال سؤله
فحمداً وشكراً يا إلهي وإنه ... دليل علىٰ أني محبّ أخٌ له

غيره:

يا لهف قلبي علىٰ مال أجود به ... على المقلين من أهل المرواتِ
إن اعتذاري إلىٰ من جاء يسألني ... ماليس عندي من عظم المصيباتِ

للإمام الشافعي في الإمام أحمد بن حنبل، وكانا في عصرٍ واحد:

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

أجابه الإمام أحمد:

إن زرتنا فبفضل منك تمنحنا ... أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكا
فلا عدمنا كلا الحالين منك ولا ... نال الذي يتمنى فيك شانيكا

* * *

مجموعنا غالي الثمن ... وقد حوى من كل فن
جمعته وقت الصّبا ... فجاء مجموعاً حسن

* * *

إذا كتبت فخطي خط مرتعش ... كخط مرتعش الكفين مرتعدِ
وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت ... رجلي كأني أخوض الماء في الجلدِ

* * *

إن الكـريم إذا مـا كـان ذا كـذبٍ ... شـان التكـرم مـنه ذلك الكـذبُ
الصــدق أفـضل شـيءٍ أنت فـاعله ... لا شيء كالصدق لا أصل ولا حسبُ

مفرد :

مـا يـعرف الشـوق إلا مـن يكـابده ... ولا الصـــبابة إلا مـــن يـــعانيها

مفرد :

ومـــا صـــبابة مشـتاق له أمـل ... إلى اللــــقاء كـمشتاق بـلا أمـل

موشح مفرد :

قـــد كـــنت أشــفي ذا العـليل ... بـــــذلك الوجـــه الجـــميل
فــحين جـدوا فــي الرحـيل
ســرت فــي الآثــار حـيرانــا
أتـــــبع الركب الذي كـــانا
حــينما أبــصرت نــيرانــا
قــلتُ حــيّا الله مــا بــانا

شمس الدين العلامة القباقبي[١] **:**

ولمـــا رأنـــي العـاذلون مـتيماً ... كـئيباً بـمن أهـوى وعـقلي ذاهبُ
رثوا لي وقالوا كنت بـالأمس عـاقلاً ... أصابتك عين قلت عـين وحـاجبُ

وله أيضاً :

يــقول عــذولي إذ رأنــي مـولهاً ... وفـي حبِ مـن أهـواه زاد جـنوني

---

(١) محمد بن خليل القباقبي ، الحلبي ، مقرئ ، محدث ، ناظم . ت ٨٤٩هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج٩ ، ص٢٨٨ .

أمن عارض أنت المصاب بحسنه ... فقلت لهم من عارض وعيونِ

غيره :

أزوركم والهوى صعب مسالكه ... والشوق يحمل من لا مال يسعده

ليس المحب الذي يخشى مهالكه ... كلا ولا شدة الأسفار تبعده

مفرد :

فلا الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت أعهدُ

قيل أن جحا أتىٰ مقبرة ، فوجد امرأة تبكي وتندب ، فقال : ما يكون هذا الميت منك ؟ ، فقالت : زوجي ، قال : وما كانت صنعته ؟ ، قالت : كان يحفر القبور ، فقال : أما سمعتي حديث من حفر لأخيه المؤمن بئراً أوقعه الله فيها .

البهاءِ زهير :

يا قضيباً من لجين ... يا مليح المقلتينِ

كلما يرضيك عني ... فعلى رأسي وعيني

غيره :

إن القلوب تجارى في محبّتها ... فاسأل فؤادك عني فهو يكفيني

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم ... مافي ضميري لهم عن ذاك يغنيني

غيره :

ولست براءٍ عيب ذي الود كلّه ... ولا بعض مافيه إذ كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

الشيخ برهان الدين بن أبي شريف :

أحيّ بقاع القدس ما هبّت الصبا ... فتلك رباع الأنس في زمن الصبا

وما زلت من شوقي إليها مواصلاً ... سلامي علىٰ تلك المعاهد والرّبا

غيره

حـــــمامكم هـــذه جــحيم ﴿ وقــودها النـاس والحـجارة ﴾
أعــجب شـــيءٍ رأيت فـــيها وضـــوؤها يـــنقض الطـــهارة

غيره :

دخـــلت فـــي حـمامكم هـذه وجـدت مـن حـلّ بـها هـالك
خــــرجت للـــوقاد نـــاديته رفـــقاً بأهـــل النـار يـا مـالك

غيره :

ولما أتى الحمام من كنت أشتهي وكـنت بـها والحـمد لله ذي المـنّ
فابدت لي الحمام من حسن جسمه عـلىٰ رغـمه مـا كـان يستره منّي

غيره :

قــد سـباني بـغنج طرفٍ كـحيل قـــمر وجـــهه عـــليه سـعاده
جـــامع للـــجمال زاد عـــذاراً فـــهو للـــحسن جـامع وزيـاده

اقتباس :

حـــــبيبي له مـــــنظر حكـــى البـــدر فـــي شـرقه
وثـــــغر إذا مـــا بـــدى ﴿ يكـــــاد ســـنا بـــرقه ﴾

غيره :

وحـــــمام رأيت بـــها غـــزالاً كـبدر التـم فـي غـصن قـويمِ
فـــقلت تـــبارك الرحـمن لمـا رأيت الحـور فـي وسـط الجحيمِ

قصة الشيخ مدرك الشيباني

حُكي أن الشيخ مدرك بن علي الشيباني المغربي كان من أفاضل الغرب والمطبوعين في النثر والنظم، وكان ببغداد يقرأ[1] في الأدب، وله مجلس بمحلة دير الروم ببغداد لا يقري فيها سوى الأحداث، وكان بينهم عمرو بن يوحنا النصراني، كان من أحسن أهل زمانه، وأسلمهم طبعاً، فهام به الشيخ مدرك عشقاً، ولم يستحسن مواجهته، فكتب رقعة وطرحها في حجرته، ومن جملة مافيها من النظم:

بمجالس العلم التي بك تمّ جمع علومها
ألا رثيت لمقلة غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة الله في تضييعها

فلما قرأ عمرو الرقعة، وعرف الشيخ ومقصوده، استحىٰ وانقطع عن مجلسه، فاشتد بالشيخ البلا، فهجر المجلس والتدريس، واشتغل بنفسه، فأرسل يعلمه بحاله، فلم يجب، وقال: أشتهي لو كنت في خدمته ليلاً ونهاراً، ولكن يمنعني من ذلك كلام الناس، فلم يزل الحال يتزايد بالشيخ مدرك، حتىٰ اختلط عقله، ومات علىٰ حاله، ومن شعره فيه مزدوجته المشهوره، قالها بالدير

(١) م ك: يقر. والقصيدة مثبتة في ديوان الصفي الحلي، وقد اضاف الصفي شطراً خامساً لكل اربعة اشطر علىٰ قافية واحدة، والشطر الذي اضافه علىٰ قافية الراء. ع.

المذكور وهذا بعضها[١] :

مـــن عـــاشق نـــاء هـــواه دان ... نـــاطق دمـــع صامت اللســان
مـــعذَّبٍ بـــالصدّ والهـــجرانِ ... مـــوثق قـــلبٍ مـطلق الجـثمانِ
مـــن غـــير ذنب كسبت يـداه ... يشكـــو[٢] هـــوىً نـمّت به عيناه
شـــوقاً إلىٰ رؤيـــة مـــن أشـقاه ... كأنـــما عـــافاه مـــن أضـــناه
لم يـبق مـنه غـير طـرفٍ يبكي ... بـــادمع مـــثل نـــظام السـلك
تـــطفيه نـــيران الهـوىٰ وتـذكي ... كأنـــما قـــطر السماء تـحكي
يـــا ويـــحه مـــن عاشق ما يلقى ... مـــن أدمـــع مـــنهلة مـا تـرقا
نـــاطقة ومـــا أجـــادت نـطقا ... تـــخبر عـــن حبٍ له اســـترقا
إلىٰ غـــزال مـــن بـني النـصارى ... فُضّل في الحسن على العذارى[٣]
وغـــادر الأســـد بـــه حيّارى ... فـــي ربـــقة الحب بـه اسـارى
ريـــم بـــدير الروم رام قـــتلي ... بـــمقلة كـــحلاء لا مـن كـحلِ
وطـــرّة بـــها اســـتطار عـقلي ... وحســـن وجـــه وقـبيح فـعلِ
ريـــم بـــه أيّ هـزبر لم يـصد ... يـقتل بـاللحظ ولا يـخشى القَود
مـتى تـقل هـا قـالت الألحـاظ قـد ... كأنـــها نـــاسوته حـين اتـحد
مـا أبـصر النـاس جـميعاً بـدراً ... ولا رأوا شـــمساً وغـصناً نـضرا
أحسن من عـمرو فـديت عـمروا ... ظـــبي بـــعينيه سـقاني خـمرا

(١) أوردها ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء ج١٩ ، وهي اتم مما هي عليه هنا ، وعنها اخذنا التصحيحات .

(٢) م ك : يشكوا .

(٣) في معجم الادباء : عذار خديه تسبي العذارىٰ .

هـــا[١] أنـــا ذا بـــقده مـــقدود والدمـــع فـــي الخـــد له اخـــدود
مـــا ضـــرّ مـــن فـقدي بـه مـوجود لو لم يـــقبّح فـــعله الصّـــدود
إن كـــان ذنـــبي عـــنده الإســـلام ها قـــد سعت فـــي نـقضه الأيـام[٢]
واخـــتلت الصـــلاة والصـــيام وجـــاز فـــي الديـــن له الحـــرام
يـــا ليـــتني كـــنت له صـــليباً أكـــون مـــنه أبـــداً قـــريباً
أبـــصر حســـناً وأشـــم طـــيباً لا واشـــياً أخشـــى ولا رقـــيبا
يـــا ليـــتني كـــنت له قـــربانا ألثـــم مـــنه الثـــغر والبـــنانا
أوجـــا ثـــليقاً كـــنت أو مـــطرانـــا كـــيما يـــرى الطـــاعة لي إيـــمانا
يـــا ليـــتني كـــنت لعـــمروٍ مـــصحفا يـــقرأ مـــني كـــل يـــوم أحـــرفا
أو قـــلماً يكـــتب بـــي مـــا ألّـــفا مـــن أدب مســـتحسن قـــد صـــنّفا
يـــا ليـــتني كـــنت لعـــمرو عـــوده أو حـــلّة يـــلبسها مـــقدودة
أو بـــركةً بـــاسمه مـــعدودة أو بـــيعة فـــي داره مشـــهوده
يـــا ليـــتني كـــنت له زنـــارا يـــديرني فـــي الخـــصر كـيف دارا
حـــتى إذا اللـــيل طـــوى النـــهارا صـــرت له حـــينئذٍ ازرارا[٣]
واكـــبدي مـــن خـــدّه المـــضرّج واكـــبدي مـــن ثـــغره المـــبلّج
لا شـــيء مـــثل الطّـــرف مـــنه الأدعـــج اذهـــب للـــنسك وللـــتحرج
إليك أشـكـــو يـــا غـــزال الأنـــس مـــابي مـــن الوحشـــة بـــعد الأنس

(١) م ك : هانذا .

(٢) في معجم الادباء : فقد سعت في نقضه الايام .

(٣) بعد هذا البيت في معجم الادباء هذان البيتان :

قـــد والذي يـــبقيه لي أفـــناني وابـــتز عـــقلي والفـــنا كســـاني
ظـــبي عـــلى البـــعاد والتـــداني حـــل مـــحل الروح فـــي جســـماني

يـامن هـلالي وجـهه وشـمسي   لا تـقتل النـفس بـغير النـفس
جُـدْ لي كـما جـدت بـحسن الودّ   وارع كـما أرعـىٰ قـديم العـهد
واصدد كـصدي عـن طـويل الصـد   فـليس وجـد بك مـثل وجـدي
هـا أنـا فـي بـحر الهوى غـريق   سكـران مـن حـبك لا أفـيق
مـحترق مـا مسّـني حـريق   يـرثي لي العـدو والصـدّيق
فليت شـعري فـيك هـل تـرثي لي   مـن سـقم ومـن ضـنا طـويل
أم هـل إلىٰ وصـلك مـن سـبيل   لعـاشق ذي جسـدٍ نـحيل
فـي كـل عـضو مـنه سقم وألم   ومـقلة تـبكي بـدمع أو بـدم
شـوقاً إلىٰ بـدرٍ وشـمس وصـنم   مـنه إليـه المشـتكي إذا ظـلم
أقـول إذ قـام بـقلبي وقـعد   يـا عـمرو يا عـامر قـلبي بالكمد
أقسـم بـالله يـمين المـجتهد   أي أمـرىءٍ اسـعدته لقـد سـعد[1]
يـا عـمرو نـاشدتك بـالمسيح   إلا سـمعت القـول مـن نـصيح
يُـعرب عـن قـلب بـه جـريح   بـاح بـما يـلقى مـن التـبريح
يـا عـمرو بـالروح من اللاهـوت   والروح روح القـدس والنـاسوت
ذاك الذي فـي مـهده المـنحوت   عُـوّض بـالنطق عـن السكـوت
بـحق نـاسوت بـبطن مـريم   حـلّ مـحلّ الريـق منها فـي الفم
ثـم استحال فـي قـنوم الأقـدم   يكـلّم النـاس ولمـا يـفطم
بـحق مـن بـعد الممات قُـمّصا   ثـوباً عـلىٰ مـقداره مـا قـصّصا
وكـان لله تـقياً مـخلصا   يشـفي ويـبري اكـمهاً وأبـرصا
بـحق مـحيي صـورة الطـيور   وبـاعث المـوتى مـن القـبور

---

(١) في معجم الادباء : إن امرءاً واصلته لقد وصل .

ومــن إليــه مــرجـع الأمــور   يــعلم مــافي البــر والبـحور
بـحق مـن فـي شامخ الصوامع   مــن ســاجد لربّــه وراكــع
يــبكي إذا مـا نـام كـل هـاجع   خــوفاً مــن الله بـدمع هـامع
بـــحق قـــوم حـلقوا الرؤوسـا   وعـــالجوا طـول الحـياة بـوسا
وقـــرعوا فـــي البـيعة النـاقوسا   مُشَـــمْعَلين يـــعبدون عـــيسى
بـــحق حـــمل مـريم وبـولس   بـحق شـمعون الصـفا وجـرجس[(١)]
بـــحق دانـــيلٍ بـــحق يـونس   بـحق حـزقيل وبـيت المـقدس
ونــينوى إذ قــام يـدعو ربـه   مــطهراً مــن كـل ريـنٍ قـلبه
ومســـتقيلاً فـــاقيل ذنــبه   ونـــال مـــن أبـــيه مـا احـبه
بـــحق مـــافي قـلة المـيرون   مــن نــافع الدواء للــمجنون
بـحق مـا يـؤثر عـن شـمعون   مـن بـركات النـخل[(٢)] والزيـتون
بـــحق أعـــياد الصـليب الزهـر   وعـيد[(٣)] شـمعون وعـيد الفـطر
وبـــالشعانين العـــظيم الذكـر[(٤)]   وعـــيد مـاريا الجـليل القـدر[(٥)]
وعـــيد اشـــعيا وبـــالهياكـل   والدخـن اللاتـي بكـف الحامل
يشـفى بـها مـن كـل خـبل خـابل   ومـن دخـيل السقم فـي المـفاصل
بـــحق ســبعين مـــن العـبّاد   قـــاموا بـــدين الله فـــي البـلاد
وأرشـــدوا النـــاس إلىٰ الرشـاد   حتىٰ اهتدى من لم يكـن بـالهاد

---

(١) في المعجم : بطرس .
(٢) في المعجم : الخوص .
(٣) م ك : وعيدا .
(٤) في المعجم : القدر .
(٥) في المعجم : وعيد ماري الرفيع الذكر .

بحق الاثني عشر من الأمم ساروا إلىٰ الرحمن[١] يتلون الحكم
حتىٰ إذا صبح الدجى يجلو الظّلم صاروا إلىٰ الله ففازوا بالنعم
بحق مافي محكم الإنجيل من حكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبأ جليل يرويه جيل قد مضى عن جيل
من عبْدي الشفيق الناصح بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق مكحّنا[٢] الحكيم الراجح والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الأرواح والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابس الأمساح وعابد باك ومن سيّاح
بحق تقريبك في الآحاد وشربك القهوة كالفرصاد
بطول تفتيتك للأكباد وما بعينيك من السواد
بحق ما قدس شعيا فيه بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الأسقف والمطران والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والدّيراني والبطرك الأكبر والرّهبان
بحرمة المحبوس في أعلىٰ الجبل توما ولوقا حين صلّىٰ وابتهل[٣]
وبالمسيح المرتضى وما فعل وبالكنيسات القديمات الأول[٤]

(١) في المعجم: الاقطار.
(٢) في المعجم: تمليخا.
(٣) في المعجم: ومار قولا حين صلى وابتهل.
(٤) في المعجم الشطران معكوسان.

بكـــل قـــدّاس عـــلى قـدّاس قـــدسه القس مـــع الشـــماس
وقـــربوا يـــوم الخـميس الناسي وقـــدّموا الكـاس لكـل حـاسي
إلّا رغـــبت فـــي رضـــا أديب أبـــعده الحبّ عـــن الحـــبيب
فـــذابـه شـــوقاً إلىٰ المـذيب[١] أعـــلى مـــناه أيســـر القـريب
فـانظر أمـيري فـي صـلاح أمري مـــحتسباً فـــيّ عـــظيم الأجـر
مكـــتسباً مـــنّي جـميل الشكـر فـــي نـــثر ألفـاظٍ ونـظم درّ[٢]

غيره: للإمام صلاح الدين بن المرحوم شرف الدين أحمد البـعلبكي، وهي قصيدة تنقسم على ثلاث مائة وجه:

داء كـوى بـفـؤاد شـفة سـقم لمحنتي من دواعي الهم والكـمد
بـاضلعي لهب تـزكو شـرارتـه من الضنا في محل الروح والجسد
يوم النوى ظـل فـي قـلبي له ألم وحـرقتي وبـلائي فـيه بـالرصد
توجّعـي من جوىً شبت حرارته مع العنا قد وشىٰ لي فيه ذو الحسد
أصل الهوى سيلي وجداً به عدم بمهجتي من رشا بالحسن مـنفرد
تتبّعي وجـه مـن تـزهو نـضارته لمّا جنى مورثي مجداً مدى الأمد
هدّ القرى حسـن كـالبدر مـبتسم لقتلتي مـوهن عـند النـوى جـلد
مـودّعي قـمرٌ تسـبي اشـارته ما حيلتي قد كوى قلبي مع الكبد
لمـصرعي مـعتدٍ تـحلو مـرارتـه يـا قـومنا اخـذَ نـحو الردى بـيد
قلبي كوى مالك في النفس محتكم لغصّتي وهو سؤلي وهو معتمدي
مـروعي سـار لا شـطت زيـارته لما انثنى قـاتلي عـمداً بـلا قـود

(١) في المعجم: فذاب من شوق إلىٰ المذيب.
(٢) في المعجم: شعر بدل در.

قالها في سنة ٩٨٢ تسع مائة واثنين وثمانين .

الصفي الحلي :

دب العـــذار فـــقامت الأعـذارْ وبـــدا السّــواد فـزادت الأنــوارُ
لا بـــدع أن زاد الظـــلام ضـياءه إذ فـــي الحـنادس تشرق الأقـمارُ
لو لم تـلح شـعراتـهُ فـي خـدهِ لم تـحل لي فـي وصفه الأشـعارُ
يـبدو الظـلام عـلىٰ ضـياء كأنـه قـــمر له ذيـل السّـحاب خـمارُ

اسم الله الأعظم

حكي أن بمدينة (سمرقند) وقعت نار عظيمة في المسجد الجامع ، فأحرقته وكان به اثنا عشر ألف مصحف شريف ، فأحرقتها كلها إلا هذه الإثنى عشر آية ، فإنها من كل مصحف لم تحترق أوراقها ، فلذلك انعقد اجماع مشايخ خراسان على أن اسم الله الأعظم في هذه الآيات ، فكانت أهل خراسان يقرءونها طرفي النهار وزلفاً من الليل ، ويسألون الله عزّ وجل في حوائجهم بها ، فتقضى بقدرة الله وبركة هذه الآيات .

الأولىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلىٰ صراط مستقيم ﴾(١) .

﴿ ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾(٢) .

﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾(٣) .

﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾(٤) .

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾(٥) .

﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾(٦) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠١ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤٢ .

(٣) سورة النحل : ٥٣ .

(٤) سورة النحل : ١٨ .

(٥) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٦) سورة فصلت : ١٢ .

﴿ وفتناك فتونا ﴾[١] .

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾[٢] .

﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾[٣] .

﴿ ألا إلىٰ الله تصير الأمور ﴾[٤] .

﴿ ثم استوى إلىٰ السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾[٥] .

ابن نباته :

وأغيد كل شيء فيه يعجبني ... كأنما هو مخلوق علىٰ شرط
أجفانه السود لا تخطي إذا رشقت ... سهامها وسهام الليل لا تخطي

الوداعي :

رمتني سود عينيه ... فأصمتني ولم تبط
ومافي ذاك من بدع ... سهام الليل لا تخطي

حسن البوريني :

يا حادي العيس من ليلة فراق الجمع ... لولا المخافة ومن شق البصر والسّمع
لا جلب جنود اهوى نحوك بقوة زمع ... واطفي جهنم علىٰ مالك بفيض الدمع

---

(١) سورة طه : ٤٠ .

(٢) سورة الشعراء : ٨٩ .

(٣) سورة الذاريات : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٤) سورة الشورى : ٥٣ .

(٥) سورة فصلت : ١١ .

في العذار الداير على الخدين المارّ بالذقن :

مــرّ بــالموسى عــلى عــارضه ... فــحسبنا الآس بــالماء غــمرِ
مــجمع البــحرين فــي وجــنته ... فــيه مــوسى قــد تـلاقى والخضرِ

* * *

مــرّ بــي ظــبي انس الله حسـنه ... وقــال لأفــواه الخــلائق عــودي
جلا تحت ياقوت الماء عقد لؤلؤ ... رطــباً وأبــدى شــارباً مــن زمــردِ

مثله :

كأن خــطُّ عــذار شــق عــارضه ... مــيدان آس عــلى ورد ونســرين
وخــط فــوق حــجاب الدرّ شـاربه ... كنصف صاد عليه الصدغ كالنون

مثله :

لما بدا عارض المحبوب قلت له ... وفــي فــؤادي مــن اللــوام إيـلام
ماوضع ذاالعارض المختط قال حكى ... لاماً فــقلت لذا فــي حســنه لامـوا

غيره :

إنّ لي حــاجة إليك وإنــي ... فــي حــياءٍ من ذكـرها وانـقباضِ
قــصتي حــاجتي وهــذا حــديثي ... ولك الأمـر فـاقض مـا أنت قـاضِ

غيره :

يــاسراويــل ســيدي ... ليــتني تكــة لك
أنــا والله اشــهتي ... يــا ســراويــل حــلك

غيره :

أســمعت مــاقد قــاله ... ظــبي النــقا لجــليسه
تــلك المــلاح يــحلّها ... مــن حــلّ عــقدة كــيسه

غيره :

شـقائق بـرياض الخـد أم شـفق ... ومُـرهفات ببيضٍ تلك أم حدقُ
أم بارق لاح في الظلماء من قبس ... أم ثـغرك الأشـنب البسام أم فلقُ
مـا بـال دمـعي محمرّاً أحمرته ... من لثم وجنتك الحمراء أم علق
مـا بال جسمي هذا شفه سقم ... أسقم جفني من جفنيك مسترق
لله كـم ذا أقـاسي فيك من حرق ... لولا مسيل[1] دموعي كنت احترق
أعـايد ما مضى من طيبها صلة ... أم الجـفا صلتي والعـايد الأرق

لمحمد بن سعد الدجاجي الواعظ :

عِزني من الفعل الجميل غرايساً ... فـإذا عـزلت فـإنها لا تـعزل
اصـنع جـميلاً إن وليت لأنـه ... لابـد مـن والي الولايـة يـعزل
إن الولايــة لا تــدوم لواحــدٍ ... إن كـنت تـنكرها فأيـن الأول

نجم الدين بن اسرائيل ، وقيل ابن حائر الأندلسي ، وهو من لطيف الغزل الذي يضرب به المثل ، ولا شك أن منشيها بطل وبمحبوبه تنزه واتصل :

ظـبيٌ ضـعيف اللـحظ إلا أنـه ... فـي الفـتك بـالعشاق ليث عرينِ
يـرمي نـصالاً مـن فـتور لحاظه ... فـي القـلب حـالة رميها يبريني
ألف ابـن مقلة فـي الكـتاب كقده ... والصّدغ مثل النون في التحسينِ
والعـين مـثل العـين لكـن هـذه ... شكـلت بـحسن وقـاحة ومجون
وعلىٰ الجبين الغرّ سين قـد بـدت ... حـار ابـن مـقلة عند تلك السين
سبحان من خلق العيون فقال كن ... فـتكونت فـي أحسـن التكـوين
سـود رقـود مـا كـحلن ومـابها ... نـوم ولكـن قـصدها تسبيني

---

(١) م ك : لولا سيل .

يمشي فيدعوه القضيب سرقتني وإذا رنا قال الغزال عيوني
في خده ورد وبين شفاهه خمر جرت من لؤلؤ مكنون
فافترّ مبتسماً وأوعد بالمنا ليلا ولا ثقة بوعد ظنين
الله أكبر من قساوة قلبه مع ما يُري في عطفه من لين
قل للذي قد خط تحت الصّدغ من خيلانه نقطاً لجمع فنون
يا للرجال ويالها من فتنةٍ في وضع ذاك النقط تحت النون

ابن النبيه ، من قصيدة :

فهو تحت السلاح ليث عرين وهو فوق الفراش ظبي كناس
يا نديمي بالله غنِّ بذكراه وموّه عن ريقه بالكاس

غيره :

ما آدم في الكون وما ابليس ما عرش سليمان ما بلقيس
الكل إشارات وأنت المعنى لمن هو للقلوب مغناطيس

وهذان على ذوق أهل الحقيقة وسلّاك الطريقة .

شهاب الدين التلعفري :

فو الله ما أدري إذا ماس وانثنى دلالا وسيف اللحظ منه يحوِّدُ
اقدّ بدا أم سمهري مثقف وطرف رنا أم مشرفي مهنّد

كمال الدين بن النبيه متغزلاً ، وأحسن في تغزله التخلص :

رنا وأنثى كالسيف والصعدة السمرا فما أكثر القتلىٰ وما أرخص الأسرى
خذوا حذركم من خارجي عذاره فقد جار خفا في كتيبته الخضرا
غلام أراد الله اطفاء فتنةٍ بعارضه فاستأنفت فتنة أخرى
فزخرف بالأصداغ جنّة خده وأرخىٰ عليها من عوارضه سترا

اغـنّ يـناجي شـعره حـلي خـصره   كـما يعث المعشوق عاشقه سـرّا
وصلت بـداجـي شـعره لـيل وصـله   فـلم أخش صبحاً غير غـرّته الغـرّا
أخوض عباب الموت من دون شعره   كذاك يغوص البحر من طلب الدرّا
غـزال رخـيم الدل فـي يـوم سـلمه   وليث له في بطشه البطشة الكبرىٰ
دريٌّ بـحمل الكـاس فـي يـوم لذّة   ولكن بحمل السيف يوم الوغى ادرىٰ
أهـيم بـه فـي عـقله ونـجاده   فلابد في السرّاء منه وفـي الضـرّا[1]
وصـمتة الخـلخال أنٌ وشـاحها   فهذا قد استغنىٰ وذا يشتكي الفقرا
تـلألأ درّ الثـغر تـيهاً بـخدها   وساكن ذاك النحر لا يسكـن البحرا
لهـا مـعصم لولا السـوار يـصده   إذا حسـرت أكـمامها لجرى نـهرا
دعـتني إلىٰ السّلوان عـنه بـحبّها   وما كنت أرضى بعد إيماني الكفرا
بأي اعـتذار التـقي حسـن وجـهه   إذا خـدعتني عـنه غـانيةٌ عـذرا

غيره:

أحـاجيك فـي اسـم الحـبيب الذي   هـويت فأنت إمـام البـلدْ
حـروف هـجا اسـمه أربـع   إذا زال حـرف تـبقى أحـدْ

غيره:

لي صاحب لا أملّ الدهـر صـحبته   يشقى لنفسي ويسعى سعي مجتهدِ
لم ألفه مـذ تـصاحبنا فـمذ وقـعت   عـيني عـليه افـترقنا فـرقة الأبـدِ

غيره:

وماشٍ علىٰ وجه الصعيد وما يُـرى   له مـجلس تـحت السـماء ولا أثرْ
يغيب إذا مـا أبـصر الغـيم والدجـى   ويبدو إذا ما أبصر الشـمس والقـمرْ

---

(١) م ك : الضراء .

غيره:

أراق دمـــي بسـيف اللـحظ مــنه وهـــا أثـــر الدمـــاء بـــوجنتيهِ
ولمــا خــاف مــن أخـذي لثـاري أدار عـــــذاره زرداً عـــــليهِ

الاقتباس

هذه نبذة اقتبستها من كتاب (رفع الالتباس عن منكر الاقتباس) لشمس الدين محمد بن أبي اللطف المقدسي الشافعي[١] ، ولنذكر أيضاً بعض ديباجة الكتاب :

حمداً لمن لا تقتبس أنوار المعارف إلا من مشكاة كتابه المنير ، ولا تلتمس أسرار اللطائف إلا من روض بيانه النظير ، وصلاة على من منح من أسرار اللطائف ولطائف الأسرار ، وفتح له من أنوار المعارف ومعارف الأنوار ، ما أقام به على المنكر الجاهل براهين الاحتجاج ، وأوضح به من طرق الشريعة الغراء أقوم منهاج وعلى آله وأصحابه ، الذين كشفوا بحسن البيان ظلمات الالتباس ، وشفوا صدور قومٍ جهلوا بأنوار الإستعاره والاقتباس ، وحذفوا بهممهم الجازمة حروف العلة من كل معلول ، وحسموا بمواضيعهم الحاسمة أدواء الجهالة عن كل مجهول وعلى من تبعهم بإحسان في رهان هذا البيان ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وبعد :

فقد أشار إليّ أمير الأمراء (سليمان باشا بن رمضان) السابق بالمفاخر في أفسح رهان ، والباسق بالمآثر في أسبق أفنان بنظم تواريخه في سمط الإلتمام ،

---

(١) له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي . ت ١٠٢٨ هـ . كحاله / معجم المؤلفين : ج١٢ ، ص١٣٤ .

وربطه في سلك الانسجام ، فنظمت تلك الجواهر الزواهر والدّر البواهر بسمط عبارات ، تنطق غمائمها بالحكم وفصل الخطاب ، وتنطق حمائمها بما أعرب عن أفنان الفنون باللحن المستطاب بتوشيح جرت به أقلام الاستفادة والجناس ، وتنويع رقمته أقلام التورية والاقتباس ، وكان من بديع ما أشرقت أقطار الأدب بنور اقتباسه ، واستضاءت أبصار الأرب بأضواء نبراسه ، وكرعت ظماة الرواة في رحيق كأسه ، ما اتفق من الاقتباس النفيس في براعة استهلالها ، ووقع فيه من المناسبة التي لم ينسج علىٰ منوالها بمنطق أنتج فـي زوايـاها أشكـال البـلاغة والبراعة ، وأرتج بقضاياها أبواب القياس علىٰ من مدّ للمعارضة ذراعه ، بحيث لو رآه ابن ممارات للقي شدّه الممات ، أو ذاقه ابن نباته لقال : هذا هو السكر النبات ، فبلغني أن بعض من في قلبه مرض أنكر جواز الاقتباس ، واعترض ، وقابل الجوهر بالعرض ، ولا ينكر جوازه الا من لم يقتبس مـن قـبس الأدب أنوارا، ولا آنس قط من جانب طور المعارف نارا ، مثله كمثل الحمار يـحمل أسفارا ، وقد صار بهذه الخرافة التي نسخت من ظلال اعتباره فيئاً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئا ، واندرج في سلك الغـبيّين ، ودرج في غير عشه ، حيث أخرج ميت القول من فيه العطشان علىٰ نعشه ، ولم يخش صولة لسان القلم وبطشه ، ولو علم الجدل صولة النجار وغصّة المنشار لما تطاول شبراً ، ولا تخايل كبيراً ، لكن حياض الحق تجلّ أن تكون مشـرعاً لكل وارد بل لا يطّلع عليها إلا واحداً بعد واحد ، فلو عقل هذا المجهول الذي لا يعرف والنكرة التي لا تتعرّف لقبل سدة القرطاس ، وقدم القلم ، واستضاء بأشعة المعارف من أقمار تلك الحكم ، لكن حمله علىٰ كاهل هذه الخرافـة كـاذب وهمه وأمطاه نهاره هذه الجهالة عدم فهمه ، بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه .

شعر :

لو يعلم الجهّال عند كلامهم ... أن الجواب بمسكتات قاطعة
لم ينطقوا هجماً كفعل ذوي النهى ... والحزم بالحكم السدّد الرابعة

والجواب في هذا الباب معلوم لذوي الألباب ، وأما من لم يقتبس من أنوار الاقتباس ، ولم يستضيء بضوء هذا النبراس ، فلا مبالاة بشذوذه ، والالتفات إلىٰ خروجه عن طريق الحق وصدوده ، ولئن سام برذون فهمه المسابقة في مضمار المناظرة ، ورام المساجلة في رهان المجادلة والمحاورة قال له لسان جواد القلم الوارد من بحار البلاغة نظماً ونثراً إنك لم تستطع معي صبرا ، وكيف تصبر علىٰ مالم تحط به خبرا ، وليس الحامل له علىٰ هذا الخروج والإعراض عن الرياض والمروج إلّا أحد أمرين ودائين مضرّين ، يوجبان المقت والشين ، داء الجهل المركب أو البسيط علىٰ مديد الأهواء ، إن لم يكن فيه داء الحسد الذي هو أعضل الأدواء .

شعر :

أشكر فضل الله سبحانه ... إذ صيرَ الحاسدَ لي يخدمُ
يجهد في رفع مقامي وفي ... نشر علومي وهو لا يعلمُ

فدونك بطاقة ليس لمنكر مضمونها طاقة ، فإن العلماء الأعلام وأئمة أهل الإسلام قد نصّوا علىٰ جواز الاقتباس بلاغةً وشرعاً ، وألبسوا كلامهم ومؤلفاتهم منه أفخر لباس ، وأولوا منكره زجراً وردعاً ، فأجازوه ولو في الشعر الجائز ، وإن غيّر نظم الآية ، إذ لا محضور أن يراد بالقرآن غيره ، كادخلوها بسلام آمنين ، إذا قال ذلك من استأذن من الداخلين ، وأجاز الفقهاء خروج ذلك من القرآن إذا قصد بقلبه الخروج ، والإجماع علىٰ ما حكاه الحافظ السيوطي علىٰ جواز لمن

نثر دون من نظم ، فإن فيه الخلاف ، قال : وقد استعمله العلماء قاطبة في خطبهم وانشاءاتهم .[١]

قال في حاشيته على البيضاوي : فإن قلت : نرى في هذا الزمان قوماً يستنكرون ذلك ، ويحرمون استعمال القرآن في غيره ، قلت : إنما استنكره هؤلاء وحرّموه جهلاً منهم بالنصوص والنقول ، فقد استعمله رسول الله ﷺ في غير ما حديث ، وكذا الصحابة والتابعون والعلماء الصالحون قديماً وحديثاً ، ونصّوا في كتب الفقه على جوازه ، فإن قلت : لعلّ متأخري المالكية شددوا في تحريمه مالا يشدده أهل مذهبهم . قلت : قد استعمله امامهم الإمام مالك بن أنس ، ونصّ على جوازه غير واحد من المالكية ، منهم ابن عبد البرّ والقاضي عياض ، واستعمله في خطبة الشفاء ، وابن المنير واستعمله في الإنصاف وفي خطبه المنبريّة ، ونصّ الشيخ داوود الباخلي على أن المالكية والشافعية أجمعوا على جوازه ، فإن قلت : سمعنا الإنكار ممن يزعم أنه متمذهب بمذهب أبي حنيفة ، قلت : هو غير عالم بمذهبه ، فلو رأى شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي خصوصاً في باب الاستسقاء ، لظلت عنقه لجوازه خاضعة ، ولاعترف بجهله ، ولأجل ذلك ألّفت في المسألة كتاباً حافلاً فيه جمل من النصوص والنقول ، انتهى كلام السيوطي .

وهذا المؤلف المشار إليه لم أقف عليه وكلامه هنا وإن وقع في شرح منظومته البيانية ماقد يشعر بمخالفته هو القول الحقيق بالاعتماد ، الخليق برفع العماد ، لما قد تقرر في محله أن المثبت مقدم على النافي ، لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، وقد اشتملت ديباجة تفسير البيضاوي على جميع أنواع

(١) م ك : إنشاءتهم .

الاقتباس ، ولم ينكر ذلك عليه أحدٌ من الناس مع اشتهاره في المشارق والمغارب ، واخذه من الحظ والحظوة والقبول بالسّهم الضارب ، ولمثل ذلك ركب الطيبي والتفتازاني في حاشيتهما علىٰ الكشّاف جواداً مهملجاً ، فافتتحا بقوله تعالىٰ : ﴿ الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾[1] ، ومن تتبع كلام الأدباء والفضلاء كابن الجوزي في مواعظه وخطبه ، حصل من معرفة الجواد علىٰ أدبه ، وقد علم من كون الجواز مجمعاً عليه في هذا الباب أن المنكر المرتاب ، الصابي عن الصواب ، قد دخل عجز وجهه عن دائرة الإجماع في ربقة الوعيد الشديد من غير نزاع علىٰ ما يشير إليه قوله تعالىٰ علواً كبيراً : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصير ﴾[2] ، فعليه التوبة والندم والاستغفار من هذه الجرم والرجوع إلىٰ سلوك سبيل المؤمنين ، عسى أن يكون وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، والأمثلة الدالة علىٰ الجواز كثيرة ، فقد أجاز العلماء حقيقة ذلك المجاز برجلٍ غير كسيرة ، وأول من فتح هذا الباب ونصب هذا المحراب ، ورفع علمه ، فانخفضت أدلة المرتاب هو حامل راية التشريع ، وناقل آية التأصيل والتفريع ، المؤيد بالعصمة ، المخصوص بالبيان والحكمة ، نبينا ﷺ ، فقد روى مسلم في صحيحه ، وأتفق أئمة الحديث علىٰ تصحيحه في دعاء الإفتتاح ومقدمة النجح والعلاج : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين ، وفي

---

(١) سورة الكهف : ١ .

(٢) سورة النساء : ١١٥ .

رواية : وأنا أول المسلمين .

وقوله ﷺ : اللهم فالق الإصباح ، وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسباناً ، اقضي عنّي الدين ، واغنني من الفقر .

وقد سلكت الصحابة هذه الجادة ، واستمدوا من تلك المادة ، فوقع في سياق كلام لأبي بكر ﷺ رواه الصادقون : وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ووقع في آخر حديث عمر ﷺ رواه الثقة وحسّنه : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

وقد استعمل هذا النوع لأئمة الكبار والأخيار من الأحبار في مؤلفاتهم العلمية ومقاماتهم الجدّية والهزلية ، فزينوا المنظوم منها والمنثور ببديع آيات الكتاب المسطور ، وجروا علىٰ ذلك جيل بعد جيل من غير جريان قال ولا قيل ، فما وقع من ذلك في النثر علىٰ اختلاف أنواعه وتشعبه واتساعه يتعذر الوقوف علىٰ كنه نثاره ، وتعسر الإحاطة بعشر معشاره ، كقول الحريري في مقامته : فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتىٰ أنشد فأغرب ، وكقوله : طوبىٰ لمن سمع ، فأوعىٰ ، وحقق ما ادعى ، ونهىٰ النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من أوعىٰ ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى .

وقول عبد المؤمن الأصفهاني في (طباق الذهب) : فمن عاين تلون الليل والنهار ، لا يغترّ بدهره ، ومن علم أن الثرى مضجعه لا يمرح علىٰ ظهره ، فياقوم لا تركضوا خيل الخيلا في ميدان العرض ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾[1] .

ولي من الاقتباسات البديعة من الخطب وغيرها ماهو أبلغ من ذلك ،

---

(١) سورة الملك : ١٦ .

وهذه البطاقة عن إيراد بضعه ضيقة المسالك ، ولقد حُبب إليّ الإقتباس وأنا رضيع ثدي التحصيل ، وضجيع مهد التفريع والتأصيل ، فلا ترى لي إنشاء إلّا وهو مرصع بجواهره ، مشتمل علىٰ نفائسه وذخائره ، ولقد أحسن شيخ الإسلام الجد أمده الله بالرضوان بالمد والأمد في مقامته المسماة (بغريبة الأوطان في مفاخرة قُبتي السلطان) وهما قبتان بالمسجد الأقصىٰ ، أحدهما تُعرف بالنحوية ، علىٰ جناح صحن الصخرة العليلة : لحاكي الله يا قاذفة المحصنات ، يا قبيحة الأفعال والصفات ، أتقذف الأبكار ما توجهين عليهن من الإنكار ، وإنما هو صفة يحمد ، فأيها السامعون وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون ، أتريدين أن تقودي كساد سوقك إلىٰ نفاق ، ياذات الأوجه والألسن ، يا متصفة بصفة النفاق ، يامن تساوت عندها صفات المدح والذم لفهمها الرائع ، وصار الجهل من ملازمها ، لأنه من أفعال الطبائع ، أتظنين أنك مدحت نفسك بالصفات التي قلتيها ، أين أنت من الحديث الذي معنا : لا يكون ذو الوجهين عند الله وجيهاً ، ومنها : فنظرت إلىٰ السلطانية من الامتلاء والغيض تكاد تميز من الغيظ ، ثم حسرت عن ساعد الجدال ، وشتطت في المقال ، وقالت : يا أضيق من قبر العاق ، وأظلم من قلوب ذوي النفاق ، إنك ممن يدّعون العلم ولا يعملون ويحسبون أنهم علىٰ شيء ألا إنهم هم الكاذبون ، ومنها : ولا تجعلنا في درجة التعادل سواء واحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ، ولا تكن للخائنين خصيما ، ﴿ **واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيا** ﴾ .

وأما ما جاء من ذلك نظماً فهو أسنا من أن يُحصر وأسما ، وقد استعمله الأئمة الأعلام ، وسلك جادته موضح الحلال والحرام ، فوقع في كلام إمام الدين أبي القاسم الرافعي ، وهو الحجة من أئمة أصحاب الشافعي ، وأنشده في أماليه

رضوان الله يواليه :

الملك لله الذي عنت الو ... جوه له وذلت الأرقاب
متفرد بالملك والسلطان قد ... خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم ... فسيعلمون غداً من الكذابُ

وأنشد سعد الدين التفتازاني في (المطول) اقتباسه في صبيح دخل الحمام فحلق رأسه :

تجرّد للحمام عن قشر لؤلؤٍ ... والبس ثوباً للملاحة ملبوسا
وقد جرّد الموسى لتزيين رأسه ... فقلت له أوتيت سؤلك ياموسى

ابن حجر :

خاض العواذل في حديث مدامعي ... لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سرّ هواكم ... حتىٰ يخوضوا في حديثٍ غيره

شيخ الشيوخ :

يا نظرة مادنت لي حسن طلعته ... حتىٰ انقضت وأدامتني علىٰ وجلِ
عاتبت إنسان عيني في تسرّعه ... فقال لي خلق الإنسان من عجلِ

ومما يداني ذلك في حسنه ، ويساجله في بديع فنّه شعر الحافظ الجلال السيوطي :

عاب إملائيَ الحديثَ رجالٌ ... قد سعوا في الضلال سعياً حثيثا
إنما ينكر الأمالي قومٌ ... لا يكادون يفقهون حديثا

وله أيضاً :

أيها السائل قوماً ... مالهم في الخير مذهبْ
أترك الناس جميعاً ... وإلىٰ ربك فارغبْ

وله أيضاً :

إذا قـمت لله فـي أمـره ولم تـرع خـلاً ومـلكاً مـجيزا
أثـبت عـليه ثـواباً جـزيلاً ويـنصرك الله نـصراً عـزيزا

وما ألطف ما وقع وانتظم في هذا النوع وارتسم مع تضمُّن الاكتفاء والانسجام :

بـنوا الزمـان حـالهم مـن فـرط جـهل وعـمى
تـنهاهم عـن مـنكر ثـم يـعودون لمـا

غيره ، له أيضاً :

لا تـقل شـراً فـتهلك فـمقال الشـر سـمٌ
واجـتنب ظـناً كـثيراً إن بـعض الظـنّ اثـمُ

وله أيضاً :

أعـدل إذا مـا وليت أمـرا واعـمل تـرى رابـح التـجاره
واخش بـحسن السـلوك نـاراً وقـودها النـاس والحـجاره

وله أيضاً وقد زين من أسرار البلاغة بأفخر لباس من التورية والاكتفاء والاقتباس :

قـالوا وُعـظتَ بـاثنتين فـاعتبر فـي هـذه العـظات يـابن زايـده
الشـيب والمـوت وهـذا قـد كـفى ﴿ قـل إنـما أعـظكم بـواحـده ﴾

وله أيضاً :

أرأيت حـال أبـي بـعد الوفـاة فـقد رواه مـولاه مـن مـاء الرّضـا كـرما
فقلت قومك محزونون[1] في أسف فـقال يـاليت قـومي يـعلمون بـما

---

(١) م ك : محزون .

أبوه هذا المرئي في المنام هو شيخ الإسلام ابن أبي اللطف المقدسي الشافعي .

وما ألطف ما كتبه إلىٰ أخيه (شيخ الإسلام السراجي عمر) : وأنا مريض في أوائل سنة تسعين وتسعمائة وفيه الإكتفاء في البيت الأول والاقتباس في الأخير :

روحي وبعضي وكلي لديك مولاي صنهم
عن نسبة وجفاء والله ما عدّ منهم
وأهل ودي حقاً إن لم يزوروك إن هم

وقد قلت وفيه أيضاً تورية واكتفاء :

إذا لقيتم عدواً فبادروه وكونوا
وحذركم فخذوه إن يثقفوكم يكونوا

وقولي :

يا قمراً من وجهه نهار سعدي المشتهى
ليل مجيئك الذي شمس وجوده السّها
طال فزر ولا تقل لا الشمس ينبغي لها

إلىٰ غير ذلك مما يقدح بإيراده عن غرض الإختصار ، ويفضي بتعداده عن ساحة الاقتصاد ، وفي هذا القدر كفاية لمن سار في فراسخ الفهم الراسخ علىٰ بريد ، وكانت كلمة الحق أقرب إليه من حبل الوريد ، فادعى بمقتضاها ، وما يبدأ الباطل وما يعيد ، إن في ذلك لذكرى لمن له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، والصلاة علىٰ مسك الختام ولبنة التمام وعلىٰ آله وصحبه والتابعين باحسان الكرام .

أشعار متفرقة

برهان الدين الباعوني :[1]

احضر إلىٰ عندي فعندي فتىً ... بحسنه قد كمل المجلسُ
من فمه خمرٌ ومن خده ... ورد ومن مقلته نرجسُ

ابن عبد الحميد :

إن قلبي وفؤادي والحشا ... في هوى من صرتُ مشتاقاً إليه
حلفوا ألا يخونوا أبداً ... صدقوا ما عاهدوا الله عليه

ابن دقيق :

لم يبق لي أمل سواك فإن يفت ... ودعت أيام الحياة وداعا
لا استلذ لغير وجهك منظراً ... وسوى حديثك لا أريد سماعا

ابن النبيه :

سل ريق مبسمه الشنيب وسلسله ... هذا الطليق بخده من سلسله
بأبي وأمي وابل من بابل ... البابنا من بابليه مبلبله
سمر القنا تشكو إلىٰ عسّاله ... ليناً فتعسيل اللّما من عسله
قمر إذا رمق السماء بطرفه ... أهدى الجمال إلىٰ الهلال مكمِّله
هو مالكي فمتىٰ أراه شافعي ... حنفي جود بالوصال وحنبله

---

(١) ابراهيم بن احمد الباعوني ، الدمشقي ، الصالحي ، له : الغيث الهاتن في وصف الذار الفاتن . توفي بدمشق ٨٧٠ هـ. كحاله / معجم المؤلفين : ج ١ ، ص ١٠ .

قل للعذول بل العدو من الهوى ... ياذا الذي قد لامني ما أجهله
دعهم يقولوا ما أنا متجنن ... ماهذه للعاشقين بأوله
نقل العذول بأنني اسلاهم ... بين السلو وبين قلبي مرحله
وإذا بدا في الليل اطفى نوره ... وكذلك ليس قوامه ما أعدله
برج السعود تكاملت في سعده ... وتكملت بالمشتري والسنبله
كم يمدح المداح في أوصافه ... دهراً فلم يحصوا له من خردله
الورد دوماً[1] يجتني من خده ... وكذاك نرجس طرفه ما أذبله
علّمته التنبيه في زمن الصّبا ... حفظ الجميع ولا أعاد المسأله
ومن الصبابة أن أعيش متيماً ... أمسي وأصبح لا أفيق من الوله
عوّدته لما تبدّا مقبلاً ... بالنجم والأعراف بعد البسمله

لبعض الصحابه (ره) :

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي ودرياقي

غيره :

أتاني من أحبابي رسول فقال لي ... ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا ... فعاش عزيزاً حين ذاق هوانا

مرثية الرملي ، شمس الدين محمد بن العطار في ابن الصامت ، الشيخ عبد الوهاب :

عيناي جودي بالبكا مدرارا ... رحل الحبيب فاندبي الآثارا
جار الزمان بصدمة في ليلةٍ ... كره الصباح لهولها اسفارا

---

(١) م ك : دائماً .

أحـد كـحد السيف بـل فـي ليـلـ ـلة الأثـنين بـحر فـي ضـريح غـارا
هـو شـيخنا ابـن الأكـرمين وتـاجنا ابـن الصـامت ابـن السـادة الانـوارا
وغـدا لسـان الحـال يـهتف قـائلاً يـا حـيف أعـمار الكـرام قـصارا
يـا حسـرةً سكـنت بـقلبٍ مشـفقٍ لولا ضـلوع امسكـته لطـارا
يـا حـادثاً مـلأ المسـامع بـالأسى والجـفن مـاءً والجـوانـح نـارا
وتسـابقت عـيناي فـيه بـالبكا لمـا سـمعت بـفقده اسـتعبارا
أسـقى مـحبين الزمـان بكأسـه سكـر الجـميع ومـاهم بسكـارى
سـر الكـرام طـواه دهـر لم يـزل مـن شأنـه أن يـطوي الأسـرارا
مـاذا عـن الأيـام لو سـمحت بـه حـتى يـعود جـديدها اطـمارا
كـنا نـؤمل أن تـطول حـياته لو لم يكـن ثـوب الحـياة مـعارا
مـا ضـرّه لو كـان امـتعنا بـه حـتى نـقضّي بـالهنا أوطـارا
لو كان أعـطى[1] المسلمين حياته حـتى يـغيظ بـجوده الكـفارا
كـيف اسـتطاع الحـاملون جنازةً قـد كـان يـتعب حـملها الأقـدارا
يـا حـامليه عـجبت كـيف حـملتم جـبلاً أشـم وروضـة مـعطارا
يـا فـخر زاهـرة بـقبر زاهـر مـا عـذره ألّا يـعود نـظارا
لم لا تـجدد أبـليا أحـزانـه حـتى تـفجر صـخرة أنـهارا
هـي مـقلة أخـذ الزمـان سـوادهـا مـنها وألقـى دمـعها غـزارا
يـا دهـر مـا أقسـاك مـن متلونٍ نـزح السـرور وقـلب الأوزارا
عـمّت مـصايبك البـريّة كـلها لم تـرع حـرزاً لم تـخف جـبّارا
كـنا نـرجـى أن تـطول حـياته حـتى نـرى ليـل البـهيم نـهارا

---

(١) م ك : أعطا .

أصـــحابكم أولادكـــم فـــارقتهم ورضيت ربك في الحقيقة جارا
قد أشرقت روح الجنان إليك من ضـوقٍ وأبـدت بـالهنا استبشارا
وبـداكـم رضـوان يـفتح بـابها عـــجلاً ويــادر للــقا[1] بـدّارا

غيره :

بكـــيت مـــن دمـعي عـليه دماً ونـــاظري بـــادمع مـــقروحُ
وقــلت قـلبي شـاهد ذا الهـوى فـــقال ذا الشـــاهد مـــجروح

غيره :

لا أوحش الله مـــمن لا أفـــارقه إلا وتـــدنيه أحـــلامي وأفكـــاري
لم أخل إن سهرت عيناي أو رقدت من ذكره السّار أو من طيفه الساري

غيره : في غلام ثقيل الأرداف ، دمج الأطراف اسمه قاسم :

يـــا قـــاسماً بـالحسن تـنسيمي هب لي قـبلة فـــي ثـغرك البـاسم
يـــا قـــاسماً قـــلبي بألحـاظه لله مـــا أحـــلاك مـــن قـــاسم
نأيت عـــــني بـــــغير ذنب وصـــار دمــعي فـــي الخــد راسـم
لمـــا مـــلكت حســـن يـوسف صـــرت بـــين المــلاح قـــاسم

من (رياض الطرف وحدائق التحف) : قـال فـيه : ونـقل بـعض رواة الأخبار ، قال : رأيت بالبلقا ثلاث جوار كأنـهن الأقـمار ، فـقلت : يـا ضـرايـر الشـمس ، أخواتٌ أنتنّ ؟ ، قلنَ ، لا ، ولكن إلّاف موداتٍ ، وعقايلّ حـبيبات ، ونحن نصف لك حالنا ، فاقض علينا بما تسمع من أشعارنا ، فقالت الأولىٰ :

يـــقولون إن الحب مـــرٌّ وإنـــني أظن بأن الهجر أصـعب مـن الحب

فقلت : المريض أعرف بدائه .

---

(١) م ك : للقاء .

وقالت الثانية :

أظـــنّ بأن الحب يـــقتل أهـــله   إذا لم يكن في الحب قرب ولا رضا

قلت : من جرّب أمراً عرفه ، فاظهرت حياها ، وتورّد خدّاها .

وقالت الثالثة :

أخـــال الهـــوى داء يـعزّ دواؤه   إذا غاب من يـهوى وعـانده الدهـر

فقلت : من خاف شيئاً حذر منه ، وإلا وقـع فـيه ، فـتنفست صـعدا ، وفارقتهنّ ، فما رأيت أغصاناً يحملن أقماراً اسافلهنّ كثباناً مثلهنّ .

الأمير علي بن سيف :

ولمـــا اجـتمعنا والحـبيب بـمنزل   واحشـــاؤنا مـــن لحـظه تـتكلمُ
تـخاطبنا فـي سـرّ أسـرار سـرّنا   ونـــحن سكـوت والهـوى يـتكلمُ

الأمير عبد اللطيف :

صمتُ ولم أنـطق ورحت[1] بـغصةٍ   وأصـبحت مـبهوتاً مـعنّى مـتيّمُ
سردت لحبّي شـرح حـالي بأمـره   ونـــحن سكـوت والهـوى يـتكلمُ

أحمد جلبي بن الكعناني :

ولمـــا تـعاطينا المـدام بـروضةٍ   غـناء وقـها فـوق الغـصون يـرنّم[2]
فـعدنا سكـارى لا نـفيق لمـا بـنا   ونـــحن سكـوت والهـوى يـتكلمُ

لابن ملا أحمد :

زلـيخة حُـبّاً قـد تـفانت بـيوسف   وأبـدت حـنيناً حـين أتـلفها الحبُ
صـبت نـحوه لمـا تـجلّىٰ جـماله   ومن ذا يرى هذا الجمال ولا يصبو

---

(١) م ك : ورحة .

(٢) البيت مكسور الوزن .

لإبراهيم الحموي :

تراءت لعيني حسنُ صورةِ يوسفٍ | فصرت بها صباً ودمعي غداً صبُّ
صبوت وعذري واضح بصبابتي | ومن ذا يرى هذا الجمال ولا يصبُّ

الشيخ حسن البوريني :

بدا من وردِ خدك ماءُ ورد | فقلت وفي الحشا نار الوقودِ
أرى ماءً وبي عطش شديد | ولكن لا سبيل إلىٰ الورودِ

وله أيضاً :

أقول وقد شكوت إليه حالي | فكلّ خده ماء الورودِ
أرى ماءً وبي عطش شديد | ولكن لا سبيل إلىٰ الورودِ

قلت : وهذا قد قبح بتكرار البيت كله ، ولو كرر القرنية الثانية من البيت فحسب لعذب ولطف .

غيره :

يوم الرحيل جرى دمعي ومت أساً | وزاد مابي من البلبال والشجنِ
وقال مالك رقي عند فرقتنا | ياليت معرفتي إياك لم تكنِ

نظيره

قامت تودعني والدمع يغلبها | كما يميل نسيم الروض بالغصنِ
وأعرضت ثم قالت وهي باكية | ياليت معرفتي إياك لم تكنِ

مواليا :[1]

---

(١) المواليا احد فنون الشعر ، له وزن واحد واربع قوافٍ علىٰ روي واحد ، أول من اخترعه أهل واسط ، إذ اقتطعوه من بحر البسيط ، وهو عبارة عن بيتين ، كل شطر ينتهي بقافية ، وسموا الاربعة (صوتاً) ، ثم تسلمه منهم أهل بغداد ، فلطفوه ، ونقحوه ، وحذفوا منه الإعراب .

⇐

فتكت فينا بـغمزات العـيون الوسـن　　　يامن قوامه جما الأغصان لمّا مسـن

قد حزن كل الملاحة والبها والحسن　　　نعم وفي بعض أوصافك تكل اللّسن

نظيره :

أنتم بدور المحاسن في البها والحسن　　　وقايدين العدا يوم الوغا في رسـن

أنتم غصون النقا في الروض لما مسن　　　وبعض أوصافكم فـيها تكـل اللسـن

مواليا مثمن :

لسنا نخونك ولا نـهوى السـوى لسـنا

يا بدر في حسن أوصافه تكـل اللسـن

وكـل مـن يـهجره مـن يـوم مـا اسـنا

يامن قوامه جـما الأغـصان لمـا مسـن

ولا يـرى مـنك لا أجـمل ولا أسـنى

وكم فتكت بـغمزات الجـفون الوسـن

وطـلعتك افـتنت عـليا علىٰ حسـنا

وفقت شمس الملاحة من فثاك الحسن

مواليا لامثله :

شعرك دجى ليل عسعس في المهج عشعش

وطـير عـارضك بـالمسك الزكـي عشـعش

⇐ وانما سمي بهذا الاسم (مواليا) ، لان الواسطيين لما اخترعوه ، تـعلمه مـنهم عـبيدهم المتسلمون عمارة بساتينهم ، فكانوا يغنون به في رءوس النخل ، ويقولون فـي آخـر كـل صوت مع الترنم : (يا مواليا) اشارة الىٰ سادتهم . راجع للمزيد : (العاطل الحالي والمرخص الغالي) لصفي الدين الحلي ، تحقيق الدكتور : حسين نصار / بـغداد ١٩٩٠ م ، ص١٠٥ - ١٠٧ .

ومـن نـعومتك قـد هـام الذي حشـحش
وعارضك فـي حشـاشـاة المـهج حشـحش
يـامن دهـى النـاس وأكـباد العـدا تششن
وبـالمحيا لنـا حـيّا وقـد بشـبش
يخسى الذي عاب ريـحانك ولو خشـخش
يا أحسـن النـاس وأبـهى عـندما خشـخش

غيره : موال

يـا مـغربي آسـى فـي خـدك والا آش
قال لي وقد ماس هـذا نـمل فـوقه مـاش
قـلتوا ومـن جـاس قـد صبـح راس بـاش
قال لي ومن خاس مثلي غير مالي حـاش

ابن حجر :

يـارب أنت خـلقت فـترة طرفه ... وغـرست فـي وجـناته التـفاحا
وصنعت مـن غـزلٍ شبـاك جـفونه ... ونـصبتها فـاصطادت الأرواحـا
فـعلام تـوعد بـالعذاب مـتيماً ... لا يـستطيع عـن المـلاح بـراحـا
لو شـاء ربـي أن يـصون عـباده ... مـا كـان يـخلق فـي الأنـام مـلاحا

فقلت : وهذه من سقطات العسقلاني ، وهبّة من جبلّات المعرّي هبت علىٰ روحه ، حتىٰ أتى بما هو شبيه بالاعتراض علىٰ الباري المصوّر تعالىٰ الله علواً كبيرا .

الشيخ إبراهيم التبروني :

ولله روض حـفّ بـالنهر نـوره ... وعاد ضحوكاً عندما بكت السحبُ

صبوت إليه إذ رأيت جماله ومن ذا يرى هذا الجمال ولا يصبُ

قلت : وقد مرّ لهما مثلان عن قريب .

* * *

قيل كان أعرابي قد فُتن بابنة عمه ، فأقام معها مدة بالوجد والجهد ، ثم قصر ، فوجه بهذه الأبيات يشكو حاله لبعض أهل زمانه :

مولاي جئت إليك أشكو علّتي شكوى العليل إلي الطبيب الأفضلِ
إنـي مريض أشتكي كلفا ولا مرض يبان بلمس مسّ المفصلِ
لكن جفتني بنت عمي بعدما كنا كغصن نابتين بجدولِ
جاءت تميل كأنها في حسنها كالبدر ليلة تمه لم يأفلِ
جاءت وقد قالت بوجه مقبل بتلطف وتذلل وتدل
قد كنت أهوى الوصل منك ولم يكن أحد سواك بمهجتي لم يحل لي
وكأن في حمام ظهرك ماؤه يخرج من الانبوب سخن يلذ لي
والآن عاد الماء منه بارداً قد ضرّني في خلوتي وتغسلي
فاختر لوصلك غيرنا بحقيقه فلقد كرهتك والنبي المرسل

فأجابه يقول :

يا أيها الرجل الذي قد جاءنا يشكو إليّ عوارض الأزمانِ
في عشر حاجات دواؤك فافتهم قولاً حكى حكماً وحسن معاني
خذ زنجبيل وتين فيل ونيرجاً وقرنفلاً مع سنبل أوزانِ
والخولجان مع الكبابة نسبة والدار فلفل يا أخا الفتيانِ
والقرفة اللف التي ما مثلها والمستكا واسحق بغير توانِ
دق الجميع وهزهم في منخلٍ واضف لهم عسلاً ووزناً ثاني

واكثر من التحريك واحذر ناره ... تقوى فتخسر غايه الخسران[١]
كل منه مثقالين من بعد الغدا ... وكذاك عند النوم لا تنساني
إني نصحتك فاستمع لنصيحتي ... فالنصح مقرون مع الإيمان
واحذر تشكك في مقالة حيدر ... تبلى بذلٍ دائماً وهوان
وابعث صلاتك للنبي محمدٍ ... قد خصّه الرحمن بالقرآن

قلت : وقد زعم هذا الشاعر أن هذه الحكم منقوله عنه ﷺ ، بل ترقى بعض الأدباء ونسب هذا الشعر له ، فافهم ، ولنختم هذه الحكمه برسم عتاب ، صدر من صب الأحباب لأعزّ الأحباب والأصحاب :

أيا سيداً قد حاز كل فضيلةٍ ... وبدر دجىً من أم أنواره هدى
سليمان ذا ملك تفقد هدهداً ... فحلّ مقامي منك مقدار هدهد

غيره :

وفي الحب تعذيب وفيه عذوبة ... فسل عنه صباً أحكمته التجاربُ
فكل امرئٍ يهوى على قدر عقله ... وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

مثله وأجاد :

إذا جنّ ليلي حنّ قلبي إليكم ... حنين غريب أفردته الركائبُ
وما كنت راضٍ بالفراق احبتي ... ولكنه لا يغلب الله غالبُ

للشيخ محيي الدين الططي :

روت ذوو الذوق أن العين نظّاره ... والقلب للحب قالوا مثل سنّاره
فاحرص عليه لأن النفس أماره ... واحذر خطاك لأن الرّجل خطّاره

---

(١) م ك : الخسراني .

غيره :

لله مـــجموع له كـــل المـــجامع تـــحسد
كـــادت تـــذوب صـبابة لكـــنها تـــتجلد

حكمة يجب العمل بها : وهي هذه :

خذ في التدافي فـي الخـريف فـإنه مســتوبل ونســيمه خـــطافُ
يجرى مع الأجسـاد جـرى حـياتها كـصديقها ومـن الصـديق يـخافُ

مثله وزيادة :

احـــترز بـــرد الخـــريف إن تـــرد دفـــع الضـــررْ
واغـــتنم بـــرد الربـــيع ســـيما عـــند الســـحر

قالوا : وهو غريب في خامس شهر تموز تطلع الشعرة اليمانية ، ويـعلم بإذن الله تعالىٰ طلوعها في تلك السنة ما يصلح من الغلات وما يـفسد مـنها ، وذلك بأن يؤخذ لوح قبل طلوعها بسبعة أيام ، وازرع عليه من كل صنف جزءاً ، فإذا كان ليلة طلوعها ، يوضع ذلك اللوح فوق سطح مرتفع ، لا يحول بينه وبين السماء شيء ، فأي شيء من النبات أصبح أخضراً فهو جيد ، وأي شيء أصبح أصفراً فهو ما يفسد في تلك السنة .

قيل أنه أهدي إلىٰ الحجاج فرس جواد ، وكان عنده جماعة من الأدباء ، فقال : من وصفه فأحسن وصفه فهو له ، فقام (أيوب بن القِرِيَّة) ، فقال : هو طويل الثلاث ، قصير الثلاث ، طيب الثلاث ، حديد الثلاث ، رحيب الثلاث ، أسود الثلاث ، عريض الثلاث ، ضيق الثلاث ، فقال له الحجاج : فسرّه ، فقال : هو طويل العنق وشعر الذنب والقوائم ، قصير الظهر وشعر الجسد والعسب ، وطيّب الكاهل والحدقة والسّنبك ، وحـديد الطـرف والمـنكب والعـرقوب ،

ورحيب اللسان والمنخر والجوف ، واسود الحدقة والحافر والقرمول ، وعريض الجبهة والجنب والصّدر ، وضيق الحارك والقطاة والقدال ، فأعجبه ، فحمله علىٰ الفرس ، ووهبها له .

قيل نظر الأصمعي إلىٰ جارية ، فقال لها : مالاسم ؟ ، فقالت : مكة ، فقال لها : ما الذي على خدك ؟ ، قالت : الحجر الأسود ، قال لها : دعيني اقبله ، قالت له : ارمي الحجار ، فرمىٰ لها شيء من المال ، قالت له : ادخل طف[1] واسعى وقبّل الحجر وادخل بين العلمين .

قلت : وقد سمعت أنها قالت له : وإن شئت فادخل البيت ، وهذا من خرافات الأصمعي ، ومن سوء التشبيه .

* * *

ووجدت عن (أحمد الفاضل الأديب) منقولاً : أن غلاماً وجارية كانا في المكتب ، فتعاشقا ، فتلطفا بالمعلّم حتىٰ جلسا عنده متقاربين ، فكتب الغلام علىٰ غفلةٍ من الغلمان في لوح الجارية شعراً :

ماذا تقولين فيمن شفّه سقمٌ ... من أجل حبكِ حتى صار هيمانا
ولم يزل دنفاً مما يكابده ... حتىٰ استقر غريقاً بين صبيانا

فقرأته الجارية ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وكتبت تحته شعراً :

إذا رأينا محباً قد أضرّ به ... فرط الصبابة أوليناه إحسانا
نعم ونسعفه من كل مأمله ... ودع يكون علينا فيه ما كانا

ففطن المعلم لحالهما ، واستشعر بما هما فيه من المراسلة ، فاختطف اللّوح قبل أن يمحى ما عليه من الشعر ، فلما قرأه ، رقّ لحالهما ، وكتب تحتهما

---

(١) م ك : طوف .

يقول شعراً :

صلي الغريق ولا تخشين من أحدٍ لأنه قد بلي بالعشق أزمانا

قال : فدخل سيد الجارية ، وأخذ اللّوح ، لينظر ماهي عليه من حسن الخط ، فرأى الكتابة ، فطلب الدواة ، وخط بالقلم يقول شعراً :

والله والله لا روعتكما أبداً ولا أكون على ما صار ندمانا

إلّا معلمكم عيناي ما نظرت في الناس أعرص منه قد إنسانا

ثم إنه أعتق الجارية ، وزوجها من الغلام .

قلت : العرص في الاصطلاح القديم وإلى الآن أيضاً هو القوّاد .

ومما قيل في اللحية والعذار :

لما التحى تمّت محاسن وجهـ ـه وصفت طباعه

وغدا بلطف عذاره قمراً أحاط به شعاعه

قلت : فقد شبّه استدارة العذار بالوجه بإهالة البدر ، ومثله قول الخفّاجي :

على خدّه مذ لاح نبت عذاره جرت أدمعي في الخد ذات صبيبِ

إذا ما استدارت دارة البدر حوله فإن وقوع القطر غير عجيبِ

فقد جعل الخفاجي بروز هالة القمر للناظرين دليل على الأنواء الماطرة ، ولعله كذلك ، وإن شاهدنا التخلف أحياناً .

غيره :

وقد عنّفوني في هواه بقولهم ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزنِ

فقلت لهم كفوا فإني واقع وحقكم بالوجد فيه إلى الذقنِ

غيره :

وكامل العارض قبّلته فصدّني وازور من قبلتي

وقـال كـم أنـهاك عـن مـثل ذا ... وأنت مـا تـفكر فـي لحـيتي

غيره:

ليـهنَ مـولانا حـبيب لم يـزل ... بـوصله فـي كـل حـين محسنا
كـم زيـنته لحـية فـي وجـهه ... أنـبتها الله نـباتاً حسـنا

غيره:

يـا مـادح اللـحية سـلوانـنا ... عـن روضـها مـا عـاد يستحسنا
مـذ أنـبتت فـيه نـباتاً حسـنا ... قـبلتها مـنه قـبولاً حسـنا

غيره:

حـاشا لمـثلي عـن هـواه يتوبُ ... هـو دون كـل العـالمين حـبيبُ
أهـواه طـفلاً فـي القـماط وأمـرداً ... وبـلحية وإذا عـلاه مشـيبُ

غيره وهو من المجون:

كـلفت بـه شـيخاً كأن مشـيبه ... عـلىٰ وجـنتيه يـا سـمين عـلى وردِ
أخا العقل يدري ما يـراد مـن الفتى ... أمـنت عـليه مـن رقـيب ومـن نـدٍّ
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى ... لسود اللـحا نـاس ونـاس إلىٰ المـردِ
فـقلت لهـم لو كـنت أصـبو لأمـردٍ ... صـبوت إلىٰ هـيفاء مـايسة القـدِ
وسود اللحا أبـصرت فـيهم مشـاركاً ... فأحـببت أن أبـقى بأبـيضها وحـدي

مفرد:

كـلفت بـها شـمطاء شـاب وليـدها ... والنـاس فـيما يـعشقون مـذاهبُ

غيره وهو من المجون:

قـل لمـن تـعمل السـحاق ... إلىٰ كـم تسـماحقي
ليس يشـفي غـليلكِ ... مـن جـميع الخـلائق

غـــير ذا الأقـــرع الفـــنيق   الحـــــليق الجـــــوالق

غيره من المجون :

يـــــا هــــذه لا تســـتحي   مـــني فـــقد كُشــف الغـطا
إن كـــان حـرك قـد تـثآءب   إن هـــــني قـــــد تـــمطا

نظيره :

هــــــني إذا نــــــدبته   لحــــــاجة تــــختصّ بــــي
قـــــام لهــــا بــــنفسه   مــــاهو إلا عــــــصبي

مثله في المجون :

تأخـــــرت لحــــــيضها   قـــــلت لهـــــا تـــقدمي
هــــــني هــــذا عــــصبي   يــــدخل مــعك فـــي الدمِ

نظيره :

وكـــنت ولو رأيت ولو عـــجوزاً   يــبادرو بــالقيام عـلىٰ الحـراره
فأصـــبح لا يـــقوم لبـــدر تـــمّ   كأن النـــحس قـــد ولّـي الوزاره

مثله في المجون :

يـــاهن إن مـرّ الحـبيب مسـلماً   وأشـار نـحوك دون كـل النـاسِ
فـانعض لخـدمته ولا تك أحـمقاً   مـافي وقـوفك سـاعة مـن بـاسِ

نظيره :

ويـــحك يـــاهن أمـا تستحي   تـــفضحني مـــابين جـــلاسي
تـطلع مــن طـوقي كـذا عـامداً   وتـــقلب العـــمة مــن راســـي[1]

---

(١) وقد بالغ . منه ﷺ .

غيره :

أنـــا مـــن قـــولي مـــليح ... أو قـــــبيح مســــتريح
كـــل مـــن يـــمشي عـــلى ... وجـــه الثـرى عـندي مـليح
حـــدّ مـــا يُـــنكح عـــندي ... حـــــيوان فـــــيه روح

مثله في المجون :

ومـعشرٌ عـذلوا لمّا ركـبت عـلى ... أحـوى مـحاسنه قـبُحْنَ فـعلهم
دع يعدلوا ما استطاعوا إنني رجـل ... لو اسـتطعت ركـبت الناس كـلهم

نظيره :

أنـــا الرجــل البـصير بكــل أمــر ... دخــلت مــن التـصابي كـل بـابِ
فـــيهوى المـــرد والشـبان قـلبي ... ولا يأبـــى مـــواصـلة الكـعابِ

* * *

قال بعض العلماء : سُئل كعب الأحبار عن العراق وغيره ـ وقيل أن السائل عمر بن الخطاب ـ فقال كعب : رويت أنه لما خلق الله الأشياء ، ألحق كل شيء بشيء ، قال العقل : أنا لاحق بالعراق ، فقال العلم : وأنا معك ، قال المال : أنا لاحق بالشام ، فقال الفخر : وأنا معك ، قال الخصب : أنا لاحق بمصر ، فـقال الذل : وأنا معك ، قال الفقر : أنا لاحق بالحجاز ، فقال القنع : وأنا معك ، قال الشقا : أنا لاحق بالبادية ، قالت الصحة : وأنا معك ، قالت السمره : أنا لاحـقة باليمن ، قالت رقة الأجساد : وأنا معك ، قال البخل : أنا لاحق بالغرب ، قال سوء الخلق : وأنا معك .

من كلام الحكماء ويانع الحكمة : أن الله لم يجمع منافع الدنيا في أرض ، بل فرّقها وأحوج بعضها إلىٰ بعض ، ولهذا قيل : المسـافر يـجمع العـجائب ،

ويكتسب التجارب ، ويجلب المكاسب .

وقد قيل : الأسفار مما تزيد علماً بقدرة الله تعالىٰ وحكمته ، وتدعوا إلىٰ شكر نعمته .

وقد قيل : العاقل ليس بينه وبين بلده نسب ، فخير البلاد ما حملك وأنت من طين ، وكل الأرض من طين .

وقد نظمت في التغرب والهجرة عن الأوطان الأشعار الكثيرة .

قال الشاعر في العشق ، وقد مرّ نظيره :

وعين السخط تبصر كل عيب ... وعين أخي الرضا عن ذاك عميا

وقيل (لأبي زهير المديني) : ما العشق ؟ فقال : الجنون والذل ، وهو داء أهل الظرف .

وقال (أبو وائل الأوضاحي) ـ وقد سُئل عن العشق ـ : إن لم يكن طرفاً من الجنون فهو عصارة من السحر .

وقال (تمامه) : العشق جليس ممتنع ، وإلف مؤنس ، مسالكه لطيفه ، مذاهبه غامضة ، أحكامه جارية ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعقول وآراءها .

ومن العشق : إتباع المحبوب كيف سلك ، وترك الأشغال الشاغلة عند وجوده بكلما يقدر عليه ، مما كان ينتفع به قبل ذاك ، حتىٰ كأنه هو الموهوب له ، وهذا قبل اشتعال نار الحب ، وإذا تمكّن أعرض عن ذلك كله ، وبذله سؤلاً وتضرعاً ، كأنه يأخذ من المحبوب ، حتىٰ أن يذل نفسه قبل محبوبه .

ومن العشق : الانبساط الكثير الزائد ، والتضايق في المكان الواسع ، والمحاربه علىٰ الشيء بأخذه أحدهما ، وكثرة الغمز الخفي ، والميل والتعمد

بلمس اليد ، والمحادثة ما أمكن من الأعضاء الظاهرة ، وشرب ما أبقى الحبّ في الإناء ، وأكل فضالته ، وما مسّته يده ، واستعذاب ذلك الماء ، واستطياب ذلك على جميع ما حلى ولذّ من المشارب والمآكل ، وتقبيل نعله في غيبته ، وجميع ما يُنسب إليه .

* * *

يقول جامع هذه النقول ، وصايغ هذا الكشكول : (إبراهيم آل عرفان القديحي القطيفي) : قد اتفق لي سنة ١٢١٣ هـ ألف ومائتين وثلاثة عشر في (ترشش) خراسان مجلس انس وأدب ، بلغت نفسي فيه الأرب والطرب ، فتناشدنا فيه الأشعار ، وبلغنا في حديث العاشقين القرار ، فتقدم الحقير ، وقال : يا معاشر الخلّان والأصحاب ، هل شاهدتم من علمتم شربه لرضاب الأحباب ؟ ، فتبسم (الميرزا أحمد الكاتب ولد الميرزا حسين محراب)[١] ، وقال : ما ذلك من العاشقين بالعجب العجاب ، قد شاهدنا من علمنا منه بالجزم واليقين ، ولم نقنع في أمره بالحدس والتخمين ، شرب القيء من فم محبوبه ، فكان عنده ألذ كل شراب ومرغوبه ، وقد عاد محبوبه في المرض ، فعرض له من القيء ما عرض ، فكان شربه للعاشق أهمّ غرض ، ولولا تحقق الغيبة ، وهتك السرّ بمعرفة جسمه ورسمه ، لصرّحت لكم الآن بلقبه وكنيته واسمه ، فزاد عجبي ، وحار فكري في أمر هذا العاشق ، وقلت : ما هذا إلا جنون ، والجنون أنواع وأصناف وفنون ، فالتفت إليّ بعض الحاضرين في مجلس الانس

---

(١) لم أعثر على ترجمة اكيدة لهما ، غير اني وجدت في كتاب (قصص العلماء) للميرزا محمد بن سليمان التنكابني ص٧٩ ـ ٨١ شخصاً سماه المؤلف (ملا محراب) ، وقال عنه : (من أعاظم ومشاهير العرفاء ويكشف عن المغيبات) . وذكر السيد احمد الروضاتي في كتاب (علماء الاسرة) ص٢٦ ان ملا محراب توفي ١٢١٧ هـ ودفن في (تخت فولاذ) في أصفهان .

والأدب ، وقال : ليس ما وصف لك الميرزا أحمد من العاشقين بعجب ، وأنا أحدثك بأعجب من ذلك وأطرب وأقعد في جنون العشاق وأغرب ، وهو أيضاً في عشق الغلمان ، والتولّع بالمرد الحسان ، والعاشق الآن في بلاد (ششتر) موجود ، والمعشوق فيها أيضاً غير مفقود ، فحين أعياه الطلب ، وذاق من هجره البلا والعطب ، قعد في طريقه ، وهو غاصّ من معشوقه بريقه ، فإذا بمرور الحبيب الأمرد ، فتبعه العاشق ، ونيران قلبه تتوقّد ، حتىٰ إذا بعد وأتىٰ (مخدعته) ، كشف عن ردفه ، ورمى فضلته ، فبادر العاشق إلىٰ الغائط من ولعه ، وجعله في فمه ، وتمنطق به ، وبلعه ، فكان عنده أشهى مطعوم كان ، لخروجه ومروره بذلك المكان .

ومن العشق : إذا سُئل عن أمر أجاب بخلافه ، وكثر التثاؤب والكسل والتمطي ، سيما إذا وقع نظره علىٰ محاسن المعشوق ، ومن أوصاف (شريح القاضي) المشهورة ، أنه كان يتعمد النظر إلىٰ وجه الحسن من الغواني والغلمان ، طلباً بذلك زيادة القوة في نور بصره ، وزيادة النشاط في قلبه وبدنه .

ونقل (ابن دقيق) عن أبي عمر ، قال : لقيت شيخاً ، وهو (الشيخ الخطيب عبد الوهاب بن علي المالقي) ، وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة ، فقال : أنشدني ، فأنشدته لبعض الأندلسيين شعراً :

غصبوا الصباح فقسموه خدودا ... واستوهبوا قضب الأراك قدودا
ورأوا حصى الياقوت دون نحورهم ... فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حدّ الأسنة والظبى ... حتىٰ استعاروا أعيناً ونهودا

قال : فصاح الشيخ ، وأُغمي عليه ، وتصبّب عرقاً ثم أفاق بعد ساعة ، وقال : يا بنيّ اعذرني ، فشيئان يقهراني ولا أملك نفسي عندهما : النظر إلىٰ

الوجه الحسن ، والشعر المطبوع .

وأعلم أنه يستحب لمن رسم بالحسن وانتهى في الجمال ، ووصف بمحاسن الشمائل ، وأخذ بزمام الكمال ، وجلس على سرير مملكة قلوب الرجال ، أن يكون كثير الدلال من غير تجنّي أو معه داع إلى الملال بأضيق طرقه وأوسعه ، فإن ذلك في ملاحته زيادة ، وما زال ذلك في الملاح محجّة وعادة .

شعر لابن وكيع :

قالوا عشقتَ كثير التيه ممتنعاً — فقلتُ : هيهات عنكم غاب أطيبُهُ

لو جاد هان وإن الجود عادته — وإنما عزّ لما عزّ طالبُهُ

وأما الملال على الحقيقة ، وعدم الوصال على غير هذه الطريقة ، فذلك المرض المزمن الموجع ، والداء الذي لا دواء له ينجع الذي لا يمكن علاجهما ، ولا يعذب في الحب مناهجهما ، فلا حقيقة المشاكلة تنفعه ، ولا صدق المناسبة تدفعه ، فمحبه يرقص في الظلام ، ويسلم على من لا يرد سلام ، قد ظهر زوال عقله وجنونه ، وباح للناس أنواع فنونه ، وشاهت خلقته ، وغارت عيونه ، وتلوّن كلامه ، وساءت أفكاره وظنونه ، وتراكمت أحزانه وشؤونه ، فعلى عقله وصحته السلام ، ما غرّد قمري الحمام .

أسرار الحروف والآيات

قال بعض الأكابر : من كتب ورقه طاهرة ، في الساعة الأولىٰ من يوم الجمعة ، والقمر زائد النور ، هذا السرّ الفائق ، والشعر الرايق :

عينان عينان لم يكتبهما قلم في كل عين من العينين نونان
نونان نونان لم يكتبهما قلم في كل نون من النونين عينان

ووضعها في كيس النفقه ، أو مخزن القمح ، أو في شيء يريد زيادة البركة فيه ، حصل مراده بإذن الله تعالىٰ .

وقال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام المقدسي في (أسرار الحروف) قال الخوارزمي : من كتب في ورقة بيضاء عشر عينات وخمس فاءات ، وأضاف إليها قوله تعالىٰ :

﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا** ﴾[1] ، وعلّقها على من به وجع الطحال ، ذهب عنه .

وذكر الشيخ علوان في (مصباح الهدى) : أن من أراد الرؤيا الصالحة ، فليستقبل القبلة علىٰ جنبه الأيمن ، ويقرأ سورة الشمس والليل والضحى والكافرون والإخلاص والمعوذتين ، ثم يلتمس ما شاء من الدعاء ، فإنه تعالىٰ أكرم من أن يريه ما يكره .

قلت : أراد بالدعاء الأدعية المأثورة عند النوم الدالة علىٰ طلب الأحلام

---

(١) سورة طه : ١٠٥ .

النافعة ، مثل ما اعتاده بعض الصحابة ، من قوله : اللهم اسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة نافعة ، غير ضارة حافظة ، غير ناسية .

وذكر العلماء في خواص بسم الله الرحمن الرحيم : أنه إذا تليت عند النوم إحدىٰ وعشرين مرة ، امِن تلك الليلة من الشيطان ، ولم يُسرق بيته ، وحفظ من موت الفجأة ، وإذا تليت في وجه الظالم خمسون مرة ، ذل له ، وألقىٰ الله في قلبه الهيبة ، وإذا تليت في أذن مصروع إحدى وأربعون مرة ، أفاق من ساعته ، وإذا تليت عند طلوع الشمس وأنت مستقبلها ثلاثمائة مرة ، ثم تصلي علىٰ النبي ﷺ وآله مائة مرة ، لم يحل الحول إلا أغناك الله ، ورزقك من حيث لا تحتسب .

وقد قيل : أنها الإسم الأعظم ، وإذا تلاها المسجون ، أو تليت له الف مرة في كل ليلة أو يوم ثلاثة أيام ، خلّصه الله ، ولو كان مسجوناً في قتل ، وإذا تلاها نهار الجمعة والإمام يخطب مائة وثلاثة عشر مرة ، ورفع يديه وابتهل وأضمر علىٰ شيء في خاطره ، أدركه بإذن الله تعالىٰ ، وإذا تليت علىٰ قدح ماء ثلثمائة مرة ، وسقاها لمن أراد احبّه محبّة عظيمة ، وإذا سقي ذلك الماء عند طلوع الشمس للبليد زالت بلادته ، وحفظ كل شيء سمعه ، وإذا كتب في ورقة خمسة وثلاثين مرة ، وعلقت في البيت لم يدخله جان ولا شيطان ، ويكثر فيه المال والبركة ، وفي حانوت كثر زبونه ، وزاد ربحه ، وصرفت عنه المظالم .

قلت :وقد ذكر البوني وعلماء هذه الصناعة أكثر من هذا ولا عجب ، فقد ورد : (خذ من القرآن ما شئت لما شئت) ، وما كان الحقير يرى قيام سوق العوذ والطلّسمات والرقي والتمائم والحوز والهياكل منذ خرج من وطنه ، ومسقط رأسه (قديح القطيف) ، سنة السادسة والتسعين بعد المائة والألف إلىٰ تاريخ

كتابة هذه الكراسة بدمشق الشام ، ثامن شهر رمضان المبارك ، سنة احدى وعشرين بعد المائتين والألف[١] ، وقد جاب البلاد ، وساح الديار ، ولم يتزوج ، ولم يتخذ بقعةً وطنا ، ولم يترك المجاورة في حجاز ولا يمن ولا في مسكت[٢] ولا في نجد ، وسكن العراقين والبصره وفارس والحويزي والبندر ، وأرتقىٰ إلىٰ خراسان ، وقعد مجاوراً إليها أعوم وأزمان ، فلم يجد مثل أهل بعلبك وأهل جبل عامله ومن سامتهم في تلك الأقاليم في شدّة الشغف والرغبة إلىٰ الرقي والتمائم وما شاكلها ، ومثلهم أكثر أعمال دمشق الشام ، حتىٰ أنهم لا يعتقدون في حكمة الطب ، ولا تشفى مرضاهم إلا برقيه ، أو كتابه تميمة ، ولم تزل أكابرهم متقلدين الهياكل المفضضة والمذهبة بحمائل الابريسم ، ونساؤهم أعظم وأبلغ ، وقد شكا إليّ رجل من تلك النواحي ثقل قلنسوته من التمائم والعوذ ، حتىٰ وجعه رأسه فرمى بها .

وقد صدر من الحقير مع الشيخ خليل بن الشيخ حسن البلاغي الكاظمي حديث في أمر الرقي والهياكل في (تمنين التحته من أعمال بعلبك) ، فأنكر عليّ ذلك . وقال : استعمال نحو ذلك في أعمال بغداد ونواحيها وقراها مثل أقاليم الشام أو أكثر ، وادّعى أنه عمل هو أيضاً لكثير منهم هناك ، وهذا كله يدور مدار الإعتقاد والعادة من الآباء والأجداد .

وقد سمعت ـ وأنا طفل صغير ـ : أن معلماً لصبيان كتب لطفل من أهل مكتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، كان بين بيت الطفل وبين المكتب نهر عظيم ، فقبض الطفل علىٰ الرقعة بيمينه ، وركب علىٰ عباءته ، بعد أن فرشها علىٰ الماء ،

(١) ويكون زمن مفارقته لبلده ، ٢٥ سنة تقريباً .

(٢) أي مسقط .

وقطع النهر ، ولبس العباءة من ساعته ، ولم يصبها الماء ، ولم تزل هذه عادته في كل يوم ، فاتفق أن الطفل أضاف المعلم بإذن أبيه ، فمشى الطفل بالمعلم حتىٰ قطع النهر علىٰ جاري العادة ، فالتفت إلىٰ خلف ، فوجد المعلم واقفاً علىٰ ساحل النهر في الجانب الآخر ، فصاح به : ألست أنت الكاتب للرقعة والقائل لي أفعل هكذا ، فاخرج الدواة والقلم واكتب لك رقعه فيها بسم الله الرحمن الرحيم وأمش على الماء ، فقال : يا ولدي ، إذا قبضت علىٰ الرقعة بيميني من أين لي بمثل إعتقادك ! ، ومن أين لي الجرأة[١] والإقدام بإلقاء نفسي في هذا الماء الموّاج الغزير العظيم اللّجة ، فراح إلىٰ بيت الطفل علىٰ الطريق الداير البعيد .

ومما يذكر العلماء من الخواص : أن حسن اعتقادك يصلح لكشف الرموز وكل أمر تريد إيضاحه وكشفه ، تقرأ سورة الزلزلة سبع مرات عند النوم ، ثم تقول : يا ملائكة ربي الصالحين ، بحق هذه السورة الشريفة ، وبحق من أنزلها ، وبحق من أُنزلت عليه ، وبحق اسم الله الكبير وبآياته التامات ، إلا ما أخبرتموني في ليلتي هذه بكذا وكذا ، ثم تنام ، ولا تكلّم أحداً ، وتكون ليلة لاثنين أو ليلة الخميس ، وتكون طاهر البدن والثياب ، فإنها تقضى حاجتك .

---

(١) م ك : الجرعة .

ماقيل في حاتم الطائي

سالم بن داره[١] : يمدح عدي بن حاتم طيّ ، شعر :

أبوك أبـوك الفـاعل الخير لم يـزل فمذ شبّ حتىٰ مـات بـالخير راغـبا
قــرى قـبره الأضياف إذ نـزلوا بـه ولم يــقر قــبر قــبله الدهــر راكـبا

قلت : كان سام هذا يعتقد صحة ما ذكره (محمد بن أبي هريرة) ، قال : خرج (أبو البختري) في نفر من قومه ، إذ مرّ بقبر حاتم الطائي ، فنزلوا علىٰ قبره ، فقال : يا أبا الحمد ، أقرنا أقرنا فإنا ضيوفك ، فـناداه أصـحابه : يـا أبـا البحتري ، ما نعلم رمّةً بالية تقري الأضياف !! ، فأجابهم : إن طياً يزعمون أنه ما ينزل به ضيف إلّا اقراه ، ثم إنه سبّ حاتم وشتمه ، ثم نام الركب ، فلما كان آخر الليل ، صاح أبو البختري : واناقتاه ، فاستيقظ أصحابه ، فقالوا : ما شأنك ؟ ، قال : رأيت حاتماً خرج من قبره وبيده سيف حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ناقتي فعقرها ، وأنا أنظر فكذبوه ، فوجدوا الناقة مجدولة بين رحالهم ، وما تكذيبهم له إلا لدعواه رؤية حاتم في اليقظة ، ويحتمل أنه رأه في المنام والتكذيب لدعوى موافقة المـنام العيان .

قال الراوي : فأقبلوا يأكلون لحم الناقة طبيخاً وشواء ، حتىٰ أصبحوا وهم

(١) م ك : عبد السلام بن داره ، وهو اشتباه من المؤف . وسالم بن دارة هو ابن مسافع بن عقبة الجشمي الغطفاني ، شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام و (دارة) امه وهي من بني أسد . مات نحو سنة ٣٠ هـ. الاعلام للزركلي ٣ : ٧٣ .

يقولون : قد أقرانا حاتم ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فإذا راكب علىٰ بعير يقود بعيراً آخر قد لحقهم ، وقال : أيكم أبو البختري ؟ ، قال : أنا ذاك ، فقال : وأنا عدي بن حاتم الطائي ، جاءني أبي البارحة في المنام ونحن نازلون قريبا من قبره ، وراء هذا الجبل ، فذكر شتمك إياه ، وأخبرني أنه قد أقرى أصحابك ناقتك ، وأنشدني أبياتاً أمرني أن أنشدها عليك وهي :

أبا البختري وأنت امرؤٌ ظلوم العشيرة شتّامها

أتيت بصحبك تبغي القرى ادى حفرةٍ ضرجت هامها

أتبغي لي الذم عند المبيت وحولك طي وأنعامها

وامرني أيضاً أن أحملك علىٰ هذا البعير المقود مكان ناقتك .

وكان حاتم هذا جاهلياً مات كافراً ، وولده عدي إسلامي من أجلّ أهل الإسلام ، مشهور بالكرم ، حتىٰ قيلت فيه الأشعار :

بابيه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وولده الطرمّاح من أرفع أصحاب علىٰ بن أبي طالب عليه السلام ، والطرماح بن عدي هذا رسول علي عليه السلام إلىٰ معاوية بن أبي سفيان من الكوفه إلىٰ الشام ، وكان طويل القامة ، فصيح اللسان ، قوي الجنان ، بليغ الكلام ، وقصّته بتبليغ الرسالة مشهورة ، وبين السلف والخلف غير منكورة .

وكانت ثلاثة بقرب عهد الإسلام ممدوحين مشهورين : حاتم في الجود ، وعنتر في الشجاعة ، وكسرى انو شروان بالعدل .

وقد افتخر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : قد ولدت في زمن العادل كسرى ، وقد روي أن كسرى هذا مع حاتم لا يعذّبان بالنار ، لمكان الكرم والعدل ، ولا يدخلان الجنة لأنهما قد ماتا كافرين .

وقيل : إنهما في جهنم أبداً ، ولكن عليهما برداً وسلاما .

وكان حاتم قد تفرست أمه فيه الجود وهو طفل صغير ، فقد سمعت أنه مع أخ له توأمين ، فلما شاهد أخوه منه الكرم ومديح الناس ، حسده وغار منه ، وشرع يفرق أمواله على العرب ، فقالت أمّه : يا هذا ، هوّن عليك واقصر ، فلست تكون مثل حاتم ، فقال : لماذا ؟ ، قالت : كنتما رضيعين ، قسّمت بينكما ثديي ، فكان حاتم إذا رأى طفلاً مقبلاً يعرض عليه ثديه ليشرب منه ، وأنت إذا رأيت طفلاً ضممت إليك ثديك المختص بك وأخفيته عنه ، فشتان بين المتكلف وصاحب الطبيعة .

وسمعت أيضاً : أن حاتماً أول أمره كان يرعى غنماً لأبيه ، فرجع يوماً وحده ، فقال أبوه : يا ولدي ، أين قطيع الغنم ؟ ، فقال : قد جئتك برفعة الدهر ، فحقق أبوه الأمر ، فوجده قد جاد بها .

ومن شعره البيت المشهور هذا : فصدي إنه .... ، وكان من قصته : أنه أُسر ذات يوم ، وكان اذ ذاك قحط وجدب قد أضرّ الجوع بالعرب ، فأمره سيده الذي أسره أن يفصد الناقة في العرق المعروف ، ويجعل الدم في قدح ، وكانت العرب تعرف في النّوق عرقاً متى فصد ، خرج منه دم يغذي الانسان حالاً ، ومتى غلي بالنار جمد وصار طعمه مثل اللحم ، وقوته قوته في اطفاء حرارة الجوع ، وكانت العرب تأكل هذا الدم في السنين العافية .

فأخذ حاتم السكين ، فنحر الناقة ، فقيل له في ذلك ، فقال هذا البيت يعني أنا ما أعرف أفصد ، وفصدي للناقة نحرها ، فكشف عن أمره ونسبه ، فعرفوه أنه حاتم ، فأطلقوه ، واعتذروا عنده ، ومن شعره أيضاً :

أوقد فإن الليل ليلٌ قرٌ والريح ناوي قد تريح صرّ

حـــتىٰ يـــرى نـــاركَ مـــن يـــمرّ إن جـــلبتْ ضـــيفاً فأنتَ حُـــرّ

والخطاب لغلامه ، كان إذا اشتد البرد وكلب الشتاء يأمره حاتم بايقاد النار في ارتفاع من الأرض ، لينظر إليه أهل المارّه من جوانب الطريق ، فيقصدون القرى والمبيت .

وقالوا أيضاً : إن حاتماً لم يمسك شيئاً قط سوى سلاحه وفرسه ، وكانت فرسه مشهورة بالنجابة ومتعاليه في العدو المعاني ، فوصفت لبعض الجبابره ، فارسل غلامه ، وقال : إن امتنع عليك حاتم ، وما قادك عنان الفرس ، آتني برأسه والفرس ، فلما وصل الغلام ، لم يعرفه حاتم ، ولم يعرف مقصوده ، وما ظنّه إلا كأحد الأضياف ، فعمد حاتم إلىٰ البيت فلم يجد شيئاً من الماشية ، فذبح الفرس ، وطبخ لحمها ، فلما فرغ من أكل الطعام ، قال له عن الفرس ، وعرّفه مقالة سيده ، فقال : هلا أخبرتني قبل ذلك ، فاخبره بذبحها لكرامة الخاطر ، وأتىٰ برأسها إليه .

وقالوا أيضاً : إن قوماً من العرب حسدوا حاتم علىٰ ذكره واشتهاره بالكرم ، فجاءوا إليه ، ولم يكونوا رأوه ، يريدون قتله ، فقالوا : يا هذا ، دلّنا على حاتم ، فقال : ولم ذاك ؟ ، فأخبروه بما عمدوا إليه ، فقال لهم : إذا كان صبيحة غد ، وجدتموه في موضع كذا ، فانصرفوا ، ونهض حاتم والتف بشمله ، وغطى رأسه ، ونام في الموضع ، فلما أتوه ، قال أحدهم : أيقظوه حتىٰ يجد ألم القتل ، فكشفوا عن وجهه ، فإذا هو الرجل المعهود ، فقالوا : يا هذا ، ألست الرجل الذي سألناه بالأمس عن حاتم ؟ ، قال لهم : أنا حاتم ، فقالوا : فكيف أتيت المكان وقد عرفت سوء حالنا معك ؟ ، قال : كرهت أن يقصدني قوم وينصرفون دون مطلبهم ، فعجبوا من ذلك ، واعذروا إليه ، فحملهم علىٰ المبيت عنده ، فأحسن

إليهم ، فما كفاه جوده بماله حتىٰ جاد بنفسه .

وحُكي عن (القاضي شهاب الدين بن فضل الله) ، في باب ما نقل عن الكرماء ، في ترجمة (الآمر باحكام الله ابن علي المنصور) ، قال : بينما هو في موكبه فمر برجل علىٰ باب بستانه وحوله عبيد وموالي ، فأرسل يطلب منه شربه من ماء ، فقام الرجل بنفسه وأخرج كوزاً ، وقبل يديه ، وناوله إياه ، فلما شرب ، قال الرجل : إن رأى الأمير يكرم خادمه بالنزول للضيافة ، فقال : ويحك ، معي الموكب ، فهل عندك ما يكفيهم ، فقال : يحصل الخير إن شاء الله تعالىٰ ، فنزل ونزل الجيش معه ، فأخرج الرجل ولم يبطئ مائة بساط ، ومائة قطعة ، ومائة وساده ، ومائة طبق عبش ، ومائة طبق فاكهة ، ومائة جام مختلفة بالألوان ، ومائة زبدية فيها الأشربة السّكرية ، فبهت الأمير ، وقال : أيها الرجل ، إن أمرك غريب ، فقال : أيها الأمير إني رجل تاجر ، وأنا من رعيتك ، ولي في هذا البستان مائة محضيّة ، فلما أكرمني الأمير بالنزول عندي ، أخذت من كل واحده شيء من فرشها ، وشيء من أكلها ، وشيء من شربها ، وإن لكل واحدة في كل يوم مثل جميع ما رأيت ، وكل شيء أتاها من الفرش والأواني يلبث عندها كل يوم وليلة ، ثم لا يعود إليها ، ويأتيها مثلها ، فلما سمع الأمير كلامه سجد شكراً ، وقال : الحمد لله الذي كان في رعايانا مثل هذا الرجل ، ثم أمر له عوض ضيافته بما في خزائنه التي معه من الذهب والفضة ، فكانت ثلاثة آلاف الف درهم وسبعمائة ألف دينار .

حكاية الفوّال

وحكاية الفوّال الذي يبيع الفول مع جعفر البرمكي مشهورة الذكر بين علماء الأدب ، وهي : أن هارون الرشيد لما قتل البرامكة ، وأمر بصلب جعفر البرمكي على طريق الجسر ببغداد ، ووكل به عيوناً يحرسونه ليلاً ونهاراً ، وأمرهم أن كلّما سمعوا أحداً يرثي البرامكة ، أو يترحم عليهم ، أو يذكرهم بخير ، ويتكلم فيهم بشعر ، أو كلام جيد أوردي ، يمسكوه ، ويصلبوه إلىٰ جانب جعفر ، ولا يشاوروه عليه .

قال الراوي : فبينما الحرّاس ذات ليلة وهم متيقظون ، وهم يرصدون ، إذا أقبل عليهم شيخ ذو هيبة وجمال ، علىٰ رأسه علامة الشرف ، وعليه لباس الحشمة ، فوقف تجاه جعفر ، وأشار إلىٰ جثته ، فبكىٰ ، وقال : يرحمك الله يا جعفر ، وغفر للبرامكة ، وجعلكم في ما صرتم إليه خيرا مما كنتم عليه ، ولقد مات الكرم والجود بعدكم ، ثم إنه ردّ فاضل المنديل علىٰ وجهه ، وبكى حتىٰ ابتل المنديل ، ثم أشار إلىٰ جعفر وانشأ يقول :

حكمت علاك بأن تكون رفيعا   فعلوت جذعاً للأنام منيعا
ياليتهم صلبوك بين جوانحي   فأضم أشواقاً عليك ضلوعا
قد كنت في حال الحياة مرفعاً   فغدوت في حال الممات رفيعا

قال الراوي : فلما قضى الشيخ وطره ، وأراد الإنصراف ، تواثب الحراس إليه ، وقبضوا عليه ، وأتوا به إلىٰ المقدم ، وكان رجلاً غشوماً ظالماً ، يسمىٰ

الصادم ، فأمر بصلبه إلىٰ جانب جعفر ، فأخذته الجلاوزة ورموا حبل الصلب في عنقه ، وسحبوه إلىٰ الجسد ، ثم جذبوا الحبل علىٰ الجذع ، فانقطع ، ثم إنهم أتو بحبل جديد ، فسحبوه ، فانقطع ، ووقع الشيخ علىٰ الأرض سالماً ، وأُتي بحبل ثالث أيضاً ، فانقطع ، فقال بعضهم : هذا الشيخ مظلوم ، لا له ذنب يوجب الصلب ، فاحضروه عند المقدم ، فعجب من أمره ، وقال : صبيحة غد نحضره عند الخليفة ، يفعل به ما يريد ، ثم إنهم كتفوه كتافاً وثيقاً ، وقيدوا رجليه بالسلاسل ، ووضعوا في عنقه الأغلال ، وحرسته الحراس إلىٰ أن أبلج الفجر ، فلما جلس الخليفة علىٰ سرير المملكة ، أحضروه عنده ، وقصّوا عليه خبره ، فقضىٰ حيرةً من قصّته ، ثم قال : أيها الشيخ ، مالذي حملك علىٰ ذلك ؟ ، أهل كان لجعفر عليك يداً وفضلاً ؟ ، قال : نعم ، وأيّ يدٍ وفضل ، يا خليفة الزمان ، وإن صلبي وقتل أولادي أهون عليّ من أن أرى جعفراً علىٰ هذه الحالة ، فلقد كان سبباً لغنائي بعد فقري ، وحياتي بعد مماتي ، فقال الخليفة ، احكي لنا الأمرين معاً ، ولننظر في حالك ، فإما نجاة ، وإما صلبا إلىٰ جانب جعفر ، فقل وأوجز ، فقال : أما غناي بعد فقري ، فإني كنت رجلاً أطبخ الفول ، وأحمل القدر علىٰ رأسي ، وأدور به الشوارع والأزقة ، وأبيعه كل يوم علىٰ بكره ، فبينما أنا ذات يوم ، وقد كسد عليّ الفول ، فقصدت الحارات البرّانيات وناحية البساتين ، وكان يوماً شديد الحر ، فلم أبع منه سوى بدانق واحد ، فمررت علىٰ بستان ، وأنا أنادي ، فخرج منه خادم وأدخلني البستان ، فإذا بجوارٍ وسراري كالأقمار ، بينهم رجل في غاية ما يكون من الحسن ، وعليه علامة الرياسة[1] والهيبة والجلالة ، فوضعت قدر الفول قدامه ، فغمز الجوار ، فتناهبن الفول من القدر ،

---

(١) م ك : الريا .

ثم التفت إليهن ، وقال : كل من أكل من الفول يحط عوضه لصاحبه ، فإنه رجل فقير ، فأقبلن وكل واحدة معها كرامه ، فهذه سوار ، وهذه خلعة ، وهذه دنانير ، وهذه أقمشة ، حتىٰ بقي قدامي كوم من الذهب والفضّة والثياب والأقمشة أعجز عن حمل الجميع ، فأمرني أن أبيت عنده تلك الليلة ، فبت علىٰ أكل وشرب ، وجعل يسألني عن أهلي ومحلّتي ، حتى عرف بيتي وزوجتي وأولادي فلما أصبحت أمر الخادم أن ينقل معي ما حصل لي من العطايا والمصاغ ، فمضى بي الخادم إلىٰ بيت غير بيتي ، فدخلت ، فإذا بزوجتي وأولادي لابسين أفخر الثياب ، وهم في أهنىٰ عيش من العطايا والتحف ، فقلت سبحان من أجلسكم في هذا البيت الشريف المقدار ، وأمدكم بهذه النعم والملابس ، فقالت زوجتي : أرسل خلفنا الوزير جعفر البرمكي البارحة ، وأمر بإحضارنا إلىٰ هاهنا ، وأكرمنا بما ترى ، فعجبت من ذلك ، ونمت مع زوجتي في أرغد عيش ، فلما كان من الغد طلبني جعفر ، وقال : يا شريف ، هذه خمسة أكياس في كل كيس ألف دينار ، كيس لأجل شرفك فإنك من أولاد الرسول ، وكيس حق القول مني ، وما حصل لك فهو من الجوار ، وكيس حق ضيافتك ، فإنك قد ضفتنا تلك الليلة الماضية ، وكيس لحق الصحبة والمحادثة والمنادمة في الليلة الماضية ، وكيس حق ضيافة زوجتك وأولادك ، ثم أمر بخمسة عبيد ، وأمرهم بحمل الخمسة الأكياس ، ثم قال : وهذه العبيد يقضون لك الحوائج ، فقد كبر سنك ، وضعفت قواك ، قال : فخرجت من عنده ، وأنا من أغنى الناس ، بعد أن كنت من أفقر الناس .

هذا ما صار لي من الغنى ، وأما كونه سبباً لحياتي بعد موتي ، فإني لما أخذت المال واستخدمت العبيد ، وبقيت أوسع النفقة علىٰ أهل بيتي وأولادي ،

نظر إليّ عيون الحواسد ، واعلموا بحالي الوالي ، وقال : كنا نعهد الشريف يبيع الفول ويحمل القدر علىٰ رأسه ، ويدور في الأزقة ، وينادي بأعلىٰ صوته في الحارات والشوارع ، والآن قد وقع علىٰ خبية وكنز ، فجعل يظهر النعمة ويلبس الملابس الفاخرة ، ويتخدم الجوار والعبيد ، وسكن أعظم البيوت ، فأحضرني الوالي ، فأخبرته بقضيتي مع الوزير جعفر ، فكذبني وضربني وأهانني وجردني ثيابي ، واستخلص مني جميع المال والعبيد والجوار ، وسبى أهلي ورماني في الحبس يطلب مني بقية الكنز والخبية ، كل ذلك وجعفر كان غائباً ، فلما حضر جعفر سمع الناس يلهجوا بقضيتي مع الوالي ، ويقولون : قد وقع علىٰ كنز ، وهو الآن في الحبس والعذاب ، عريان مجرّد الثياب ، فأمر باحضاري عنده ، واغتاض علىٰ الوالي غيظاً عظيماً ، وأمر أن يُضرب كما ضربني ، وأخذ منه جميع ما استخلصه مني ، وألزمه أن يعطيني ألف دينار من خالص ماله عوض جنايته عليّ ، فهل يا خليفة الزمان يستحق جعفر أن أبكي عليه وأندبه بالأشعار بالليل والنهار أم لا ؟ ، فهزّ الخليفة رأسه عجباً وأطلق الشريف الفوّال ، وأمر بجعفر فأنزلوه من ساعته عن الخشبة ، وأمر بدفنه ورفع الحراس ، وأذن للناس في مدحه علىٰ السخاء والجود إن شاءت ، وهذا كله من عواقب الجود والكرم ، رزقنا الله أنواع الكرامة والنعم ، ودفع عنا أصناف الإهانة والنقم بحق سيد العرب والعجم محمد وآله الطاهرين آمين آمين يا رب العالمين .

حكايات متفرقة

يُحكى أنه دخل رجل على (يحيى بن خالد بن برمك) ، فأنشد هذين البيتين :

سألت الندى هل أنت حر فقال لا   ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة   توارثني من والد بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف دينار .

قلت : وجدت بخط (السيد نور الدين العاملي) : أن المنصور العباسي قد أسر خالد بن برمك سنة الثامنة والخمسين بعد المائة من الهجرة ، وأخذ منه ثلاثة آلاف درهم ، ثم رضي عنه ، وجعله أميراً على بلاد الموصل ، وبرمك أبو خالد هذا من مجوس بلخ عجميّ ولا يعلم أنه أسلم أم لا ، فإنّ أهل التاريخ اختلفوا في ذلك ، وفي السنة المذكورة توفي المنصور المذكور ، وله ثلاثة وستون سنة من العمر ، وفيها توفي زفر بن الحرث ، صاحب أبي حنيفة .

حكي عن (إسحاق بن إبراهيم المغنّي الموصلي) ، قال : دعاني يحى بن خالد البرمكي ، فأتيت إليه ، فرأيت الفضل وجعفر ولديه جالسين بين يديه ، فقال : يا إسحاق ، أنا أصبحت اليوم مهموماً ، وأردت الصَّبوح ، وأحببت أن اتسلى بك ، فغنِّ حتى يرتاح قلبي ، وينصرف عنّي بعض ما أجده ، فاندفعت أغني شعراً :

إذا نزلوا بطحاءَ مكةَ أشرقتْ   بيحيى وبالفضل ابن يحيى وجعفرِ
فما خلقتْ إلا لجود أكفهم   وأقدامهم في المال في كل محضرِ

ثم إني لم أزل بقية يومي عنده ، ساعة أغني وساعة أحدثه بتواريخ الناس ،

فلما كان آخر النهار، امر لي بمائة ألف درهم وأمر لي ولديه بمثلها، وامر لي من يحمل الدراهم معي إلىٰ بيتي، فأخذت المال، وشكرت الله سبحانه، ولا زلت اشكر يحيى، وأقول: لله درّ يحيى بن خالد البرمكي، ما أكبر عطاياه وأجزل نعماه.

ومما نقل عن وقائع إبليس لعنه الله وعجائب أفعاله، ما حكي عن إسحاق بن إبراهيم المغنّي الموصلي، قال: كنت عند الرشيد ذات ليلة أشرب وأغنّي، فلما كان آخر الليل نام الخليفة، فوضعت العود من يدي أنتظر انتباهه، إذ دخل شاب حسن الصوره، مليح الوجه، نقي الثياب، من غير استئذان، فسلّم عليّ، وجلس من غير أن آذن له بالجلوس، ثم إنه مدّ يده إلىٰ الشراب، وشرب ثلاثة أقداح، ثم لما طرب، وانتشا، مدّ يده إلىٰ العود، وجسه جساً عالياً، ثم ضربه، واندفع يغنّي ويقول شعراً:

ألا غنياني قبل أن تتفرقا ... وهـا فاسقني منها شراباً مروّقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفتق الدجى ... وكاد قميص الليل أن يتزقا

قال اسحاق: والله ما سمعت قط مثله، واستصغرت نفسي عنده، ثم وضع العود من يده، وقال: يا اسحاق، إذا أردت أن تغني بحضرة الخلفاء، فغنّ هكذا، ثم قام وخرج، فقمت في أثره، وقد ذهب عقلي غيرة منه، ومن حسن غناه، وعذوبة منطقه، وشجو صوته، وقلت لأصحاب الستارة: من هذا الذي خرج ؟، فقالوا: ما دخل أحد حتىٰ يخرج، فرجعت إلىٰ موضعي وأنا مفتكر في أمره، فانتبه الخليفة، فرآني في وجدٍ وهم، فقال: ما بالك يا اسحاق ؟، فأخبرته الخبر، وغنيت له الشعر علىٰ نحو ما سمعت، وضربت له العود علىٰ نحو ما رأيت، فأعجبه، وجعل يستعيده حتىٰ نام ثانياً، فلما أفاق، قال: وددت والله لو

متعنا هذا الشاب بغناه بقية الليلة من غير أن يعرفّنا بنفسه ، وكان الرشيد كلما جلسنا في مجلس الأنس ، يقول : يا اسحق غنِّ(١) لنا ذلك الشعر ، فأغنيه ، فيطرب ويتأسف على حضوره .

قلت : لم يصرح إسحاق باسم هذا الشاب ولا الرشيد ، وإن لوّحا به بقول اسحاق وقصّه ، ويقول الرشيد : (من غير أن يعرّفنا بنفسه) ، ولا شك أن هذا الشاب هو إبليس اللعين ، الأستاذ الكبير ، كان يدخل على اسحاق ويعلّمه ضرب العود وجسه وتراكيب أوتاره ، ويلقّنه الألحان وتراجيع الغناء ، كما علّم أباه من قبله إبراهيم المغنّي الموصلي .

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل

والولد سر أبيه ولا جرم ، ومن يشابه أباه فما ظلم .

ومما وقع لإبراهيم المغني الموصلي أبو اسحق هذا من وقائع إبليس لعنه الله ، وعجائب أفعاله معه ، وتعليمه وتلقينه له ، ما يحكى عن إبراهيم المذكور نفسه ، قال : استأذنت الرشيد أن يرتّب لي في ليلة من الجمع انفرد بها بجواري وأهلي وأولادي وإخواني وأصحابي ، فأذن لي في يوم السبت ، فلما كان اليوم الموعود ، أخذت في إصلاح طعامي وشرابي وما عساني أحتاج إليه ، وأمرت البواب بغلق الباب ، ولا يأذن إلى أحد بالدخول عليّ ، فبينما أنا جالس وحريمي قد حففن بي ، وإذا أنا بشيخ ذي زيّ وهيئة حسنة ، وعليه ثوب خزّ ، وعلى رأسه قلنسوة ، وبيده عكّاز مقمع رأسه بالفضة وروائح المسك تفوح منه ، وهو على زيّ مشايخ العجم ، فدخل عليّ من أجله غيظ عظيم ، وهممت أن أبطش به حيث أنه دخل بغير استئذان عليّ وعلى نسائي وجواري ، ثم مسكت نفسي

---

(١) م ك : غني .

عنه ، وقلت : أنظر ما يكون منه ، فإن الرجل لا يفوتني ، ثم إنه جلس ، فقلت : هل لك في الطعام ؟ ، فقال : لا حاجة لي به ، قلت : فالشراب ؟ ، قال : نعم ، فشربت ، وسقيته أقداحاً ثلاثاً ، فقال لي : يا إبراهيم هل لك أن تسمعنا من غناك ، حتىٰ ننظر حسن صنعتك في الغناء ، فقد اشتهرت به بين الخاص والعام ، فغاضني قوله وتهجمه عليّ ، وقلت في نفسي : هذا ما كفاه دخوله حتىٰ اجترأ علي واقترح أن أغني له ، ثم سهّلت ذلك عليّ ، فأخذت العود وأحسنت جسه ، وغنّيت ، فقال : أحسنت يا إبراهيم ، هل لك أن تأذن لي حتى أغني بين يديك ؟ ، قال إبراهيم : فاستصغرت عقله في إرادته أن يغنيّ بحضرتي ، وأنا المرجع في الغناء وضرب العود في أهل زماني ، ثم قلت في نفسي : اصبر حتىٰ نرى من أمره ما يكون ، ولعلّه قد خرف ، فدفعت له العود ، فجسه وركّبه تركيباً لم أعهده ، علّا طبقته ، وأصلح أوتاره إصلاحاً ما كنت أعرفه ، فو الله لقد خلت ان العود تنطق بلسان عربي مبين ، فضرب العود ، وقد انتشى من الشراب ، واندفع يغني ويقول شعراً :

ولي كبدٌ مقروحة من يبيعني ... بها كبداً ليست بذات قروح
اعرضُها للناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح
أئنّ من الشوق الذي في جوانحي ... أنين حريق بالفراق طريح

قال إبراهيم : فو الله لقد خلت الحيطان والأبواب والسقوف كلها ترقص وتغنّي معه ، وخيّل لي أن أعضائي وثيابي تجاوبه علىٰ غناه ، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الحركة ولا الكلام ، لما خالطني من الشوق والطرب ، فلم ألبث أن قلت له : زدنا : وغنِّ لنا أيها الشيخ ، فلقد أطربنا حسن غناك ، فأخذ العود ، وغيّر إيقاعه ، وركّبه تركيباً أعجب من الأول ، وأوثق جس أوتاره ، واندفع يغني

ويقول شعراً :

ألا يا حمامات اللّوى عدن عودة ... فإني إلى أصواتكن حنينُ
فعدن فلما عدن كدن يمتنني ... وكدتُ بأسراري لهن أبينُ
دعوني بترداد الهدير كأنما ... لهنّ فنون بالهوى وجنونُ
فلم تر عيني مثلهنّ حمائماً ... يبكّين لم تدمع لهن عيونُ

قال إبراهيم : فو الله عمري لم أسمع بمثيل له ، وكاد عقلي أن يزول ، ثم قال : يا إبراهيم ، خذ هذا الذي رأيت والذي سمعت ، وانحِ نحوه ، وعلمه جواريك ، ثم غاب من بين عيني ، فجرّدت السيف ، وقمت مسرعاً ، فوجدت الباب مغلقاً ، وسألت البوّاب : هل خرج شيخ هكذا صفته ؟ ، فقال : لا والله ، ما دخل ولا خرج ، فرجعت مكاني ، وأنا مفتكر ، وإذا بهاتف يهتف من جانب الدار ، ويقول : لا تخف يا إبراهيم ، فأنا إبليس ، وقد كنت نديمك تلك الساعة ، فلمّا أصبحت ، دخلت علىٰ الرشيد ، فأخبرته الخبر فعجب مما وقع وجرى ، وقال : اسمعني ما سمعت ورأيت ، فأخذت العود وأصلحته علىٰ نحو ما رأيت منه ، ولحنت ما قاله ، وضربت العود ، وغنّيت ، فطرب الرشيد ، وجعل يهزُ رأسه ، ويتأسف ، ويقول : ياليت ابليس كان معي بنفسه يوماً واحداً .

في كبش إسماعيل الذبيح :

وعن كبش إسماعيل سألت يوماً[1] ... خبيراً بالأمور أتى إليّا
أيحيى الكبش بعد الموت أيضاً ... فأخبرني بأن الكبش يحيى

في المجون :

قلت لتاج الدين في خلوةٍ ... وقد علاه عبده الأكبرُ

---

(١) هذا الشطر مكسور .

التاج يعلو فوقه غيره قال نعم ياقوت أو جوهرُ

نظير مفرد :

مافيه من عيبٍ سوى أنه ركّب ياقوتاً على خاتمه

غيره :

رُزقت بنتاً ليتها لم تكن في ليلةٍ كالدهر قضيتها

فقيل : ما سميتها قلت : لو مكنت منها كنت سميتها

* * *

حكى (ذو النون المصري) قال : ركبت في سفينة ، فضاع شيء ، فاتهموا فيها شاباً ، فقلت : دعوه أنا أكلمه برفق ، ثم أتيته ، فإذا هو ملتف بعباءة ، وهو نائم ، فنبّهته ، وقلت له : ضاع في السفينة كذا وكذا ، فهل لك علم بشيء من ذلك ؟ ، فقال : ياذا النون ، اما تستحي ، ثم رفع طرفه إلىٰ السماء ، وقال : لا تدع من حيتان هذا البحر إلا جاء بجوهرة ، قال ذا النون : فلم يتمّ دعاءه حتىٰ رأينا علىٰ وجه البحر حيتاناً قد طغت علىٰ وجه الماء مع كل حوته جوهره في فمها ، ثم إنّ الشاب قام من مكانه ، فرمى بنفسه في البحر ، ومشى علىٰ وجه الماء ، حتى غاب فلم نره .

ومما نقل عن (إبراهيم الخواص) ، قال : بينما أنا سائر في البادية أريد الحج ، وإذا بنصراني في وسطه زنار ، فسألني الصحبة ، قلت : سر علىٰ بركة الله تعالىٰ ، فمشينا سبعة أيام ، ولم نأكل ولم نشرب ، فالتفت إليّ ، وقال : يا راهب الحنفية ، هات ما معك من البرهان ، فقد جعنا ، فقلت : سمعاً وطاعة ، فقلت : إلهي وسيدي : لا تفضحني مع هذا الكافر ، فإذا بطبق عليه خبز سخن وشواء لحم ورطب وكوز من ماء ، فأكلنا وشربنا ومشينا أيضاً سبعة أيام ، فقلت : يا

راهب النصارى ، النوبه لك ، هات ما معك من البرهان ، فاتكأ النصراني علىٰ عصاه ، وأطرق إلىٰ الأرض مليّاً ، فإذا بطبقين إثنين عليهما أضعاف ما كان على طبقي ، فأتتني الحيرة والبهتة ، وامتنعت من الأكل والشرب ، فقال : كل ، وأنا أبشرك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقلت : ما الخبر ؟ ، فقال : حين أطرقت مليّاً ، قلت : اللهم إن كان هذا المسلم علىٰ الحق ، فافتح لي كما فتحت عليه ، فنزل ما رأيت ، فأسلمت ، قال إبراهيم : فأكلنا وشربنا ودخلنا مكة ، وحجّينا ، وأقمنا معاً في مكة سنة ، فمات صاحبي ، فدفنته بالأبطح .

وحكي أن رجلاً أتى فقيهاً ، فقال له : ما قولكم إني رجل حنفي المذهب ، وتوضأت للصلاة علىٰ مذهب الإمام الشافعي ، ودخلت في الصلاة ، فحسست ببل في سراويلي ، فمسسته بيدي ، فتبندق ، فشممت يدي ، فإذا له رائحة متغيره مكرهه ، وهي منتنة ، فلا أعلم هل أعيد الوضوء والصلاة أم لا ؟ ، فقال الفقيه : يا ولدي ، قد خريت ولا دريت علىٰ المذاهب كلها .

حكىٰ الأصمعي ، قال : كنت ليلة عند الرشيد بالرقه ، فقال لي : من معك يا عبد الملك يؤنسك ؟ ، فقلت : يا خليفة الزمان ، ما أنيسي إلا الوحدة ، فامسك وطلب أحدثه بنوادري وحكاياتي ، فآنسته حتىٰ نهض ونهض الجند ، فلما صرت في منزلي ، فإذا بخادم يقرع بابي ، فخرجت ، فقال : يقول لك الأمير : هذه جارية من خواصّنا وهي تؤنسك عن الوحدة ، فشكرت الأمير ، وتقدّم الخادم ، وأدخل الجارية وما معها من آلات الطرب ، ومعها جواريها ، ثم ودّعني وانصرف ، فلما نظرت إلىٰ الجارية ، رأيت حسناً وجمالاً وبهاءً وكمالاً ، فداخلني لها هيبة وانقباض ، فقالت لي : ويحك ، ما هذا الحياء البارد ، أين ملحك ونوادرك ، ثم قالت لجاريتها : هات ما عندك ، فجاءت بأحسن الوان

الطعام ، فأكلنا وهي مع ذلك تباسطني وتؤنسني بالكلام ، ثم دعت بالشراب ، فشربت ، واسقتني ، ثم قالت : ما بقي بعد الأكل والشرب إلّا الخلوة والمنام ، فقامت ولبست من الثياب ما أرادت ، والبستني ثياباً ملطيه ، وتفرّق من كان عندنا من الجوار ، ثم إنها نامت إلىٰ جانبي ، فلما جمعني الفراش ، أصابني من الحصر والانقباض مالم أعهده ، فجعلت تقلبه بيدها ، وتغمزه ، وهو لا يزداد إلا إنكماشاً وموتاً ، فلما أعيتها الحيلة ، وآيست من قيامه ، ومضى من الليل أكثره ، قالت : عظّم الله أجركَ فيه ، ثم إنها قامت ولبست ثياب الحداد ، ودعت بصفط أخرجت منه مناديل صغار وحنوطاً ، وقالت : ثم علىٰ ظهرك ، فاستولى عليّ الخجل ، فلم أقدر أخالفها[1] في شيء ، فغسلته وكفنته بتلك المناديل ، فلما فرغت ، دعت جواريها ، وأخبرتْهنَّ ، وجعلْنَ جميعاً في صياح وعويل وولوال بأشد ما يكون ، حتىٰ أتى وقت السحر ، ثم قالت : ما بقي إلا ما يتولاه من الرجال من الصلاة والدفن ، ثم إنها اعتزلت عنّي ، وأنا أخزى خلق الله حالاً ، فلما أصبحت سرت إلىٰ الخليفة ، وأخبرته الخبر ، حتىٰ بلغت إلىٰ إفاضة الماء عليه ، فاشتد ضحكه ، حتى كاد يستلقي علىٰ قفاه ، وسمعت الضحك من كل مكان في الدار من الجواري ، ثم أمر بحملها إلىٰ داره ، وعوضني عنها بخمسين ألف درهم ، وحضيت عنده ، وسميت باسمي (الأصمعي) .

وذكر (أبو بكر الصولي) ، أنه وجد أبا نواس ومسلم بن الوليد الصّريع والحسين بن الضحاك الخليع والعباس بن الأحنف ، خرجوا إلىٰ منتزه لهم ، ومعهم يحيىٰ بن معاذ ، فأدركهم وقت صلاة المغرب ، فقدموا إبن معاذ ، فنسي الحمد ، وارتجّ في (قل هو الله أحد) ، فقطعوا صلاتهم ، وتعاطوا القول فيه ،

(١) م ك : اخالها .

فقال أبو نواس :

أكــثر يــحيى غــلطاً   فــي قــل هــو الله أحــد

وقال مسلم :

قــام طــويلاً ســاهماً   حــتى إذا أعــيا ســجد

وقال العباس :

يــزحــر فــي مــحرابــه   زحــير حــبلى بــولد

وقال الحسين :

كأنــما لســانه   شُــدّ بــحبلٍ مــن مسد

قال ابن رشيق في كتاب (العمده) : وأخبرني بعض أصحابنا بهذه الحكاية ، فقلت ، وما على أحدهم لو قال :

ونســي الحــمد فــما   مــرّت له عــلى خــلد

وسمع هذه الحكاية الفقيه أبو العباس ، فقال :

ورام شــيئاً غــير ذا   يــقرأه فــما وجــد

وقال جامع هذه الأحرف :

ومــا اشــتغل عــن حــمده   مــع قــل هــو الله أحــد

إلا بــحك أبــنةٍ   هــياجها قــد اتّــقد

لمــا دنــا مــن إستِه   أربــعةٌ مــثل العــمد

وحكي أن بعض المغفلين سمع عالماً يقول : صوم يوم عرفه يعدل عند الله سنه ، فصام للظهر وفطر ، فقيل له : كيف ذلك ، فقال : يكفيني صوم ستة أشهر .

آخر مثله : وكان تركيا رأى في كتاب الحج : من غسل حصى جماره يوم

عرفه ، دخل الجنة ، فتصحف عليه ، فلما حج ، عرق حماره ، فأخذ ماء ، وجعل يغسل خصي حماره ، فأتاه رجل وسأله ، فضحك منه ، وأوقفه علىٰ المسألة .

وجاء رجلٌ إلىٰ مغفل ، فوجده يأكل خبيصة من السكر ، فقال له الرجل : اطعمني ، فقال : يا أخي ، إليك المعذرة ، فإن هذه الخبيصة ليست لي ، وإنما هي لعاتكة بنت الخليفة ، أرسلتها لي آكلها لها ، وأنا لا أخونها .

دخل أعرابي على (خالد بن عبد الله القسري) ، فأنشده :

أخـــالد إنـــي لم أزرك لخـــلةٍ سـوى أنـني عـافٍ وأنت جـوادُ
أخالد بين الحمد والشكـر حـاجتي فأيـــهما تأتـــي فأنت عـــمادُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

حكي أن طبيباً دخل إلى نحوي ، وهو مريض ، فقال : ما كان أكلك أمس ، فقال : لحم غطط وخرنق وجؤجؤ حيفظان ، فلما أكلت ذلك أصبت في الدجا مقمقه في الحشا والمعا .

الغطط : الجدي ، والخرنق : ولد الأرنب ، والجؤجؤ : الصدر ، والحيفظان : ذكر الدرّاج .

حكى (ثابت بن سنان) ، قال : رأيت أيام المقتدر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين ، ولها كفان باصابع معلقاة في رأس كتفها ، لا تعمل بهما شيء ، وتعمل جميع الأشياء برجلها ، ورأيت بمصر شاباً كذلك بالجامع الأزهر ، ورأيت في رحلتي الرومية رجلاً له لحية ، اتخذ له ملقط من حديد ، يضعه بين رجليه ، ويمسكه بابهاميه ، ويأكل به .

وحكي أنه كان من بلد المنصورة رجل يسمّىٰ عبد الرزاق ، وكان شيخاً مسناً له خبرة تامة بعلم النجوم وعلم الرمل ، ومما وقع له ، أنه ضمر له جماعة

في مجلسه ، وهو يخرجه لهم .

قال الراوي : وكان إلىٰ جانبي رجل اسمه عبد القادر ، وله أخ يسمى درويش ، وكانا عازبين ، وكان عندهما بغلة ، وكان أصحابهما يمزحون معهما ، ويقولون لهما : إنكما تأتون البغلة ، فقلت : يا شيخ ، أخرج هذا الضمير الذي في نفسي ، واضمرت هل ذلك صحيح بأتيان البغلة أم لا ؟ ، فسكت قليلاً ، ثم قال : هذا الضمير يختلط عليّ ، أنت أضمرت علىٰ كنيسه أو علىٰ فرن خباز ، فقلت له : كيف ذلك ؟ ، قال : إني رأيت أن الذي أضمرت عليه ، له باب أسود ، مقنطر ، داخله حمره ، وفيه نجاسة ، والفرن كذلك ، بابه مقنطر ، والسواد الذي عليه من كثرة الدخان والحمره : النار التي في داخله ، والنجاسة : ما يوقد فيه من سرقن الإبل والبقر ، وهذه الصفات أيضاً توجد في الكنيسة لأن السواد ظلمة الكفر ، والحمرة شكل المنحوس ، والنجاسة : ما يعبد فيها من دون الله ، فقلت يا شيخ : أيّ الأمرين يغلب عندك في ظنك ، فسكت قليلاً ، ثم قال : لعلّه الكنيسة ، فإني أجد الذي أضمرت عليه رجلين اثنين يدخلانها متعاقبان ، يدخل أحدهما أول النهار ، ويدخل الآخر آخر النهار ، وإن دخل هذا أول الليل ، يدخل هذا آخر الليل ، فهما لا يجتمعان في الدخول ، فقلت له : هذان الرجلان من النصارىٰ ، فسكت ، ثم قال : ما عرفت لهما ديناً ولا مذهباً ، ليسا بمسلمين ولا نصارىٰ ، فقلت : صفهما لنا ؟ ، فقال : أحدهما رجل سمين بطين ، والثاني : نحيف مفطوس ، فتحرك عبد القادر الذي كان إلىٰ جانبي ، وقال لي : ما ترى من هذين الرجلين من الناس ، فأجبته : انهما ليس سواكما ، فعرف جميع الحاضرون الواقعة والضمير ، ثم ضحكوا ، ثم عجبوا من الشيخ وحسن استخراجه .

مراسلات

ديباجة مراسلة :

بعد الافتتاح بفاتحة الدعاء ، والاختتام بخاتمة الثناء ، إلىٰ من هو متصف بالعلم والعرفان ، والمتزين بالأخلاق الجميلة ، والإحسان المتحلي بدقائق العلوم الواضحة البرهان ، المستغني عن التعريف والبيان ، الممتاز بالمعارف بين الأمثال والأقران ، المخصوص بعناية الملك المنان .

شعر :

فو الله ما أخرت عنكم رسائلي　　لشيء سوى أني عجزت عن الشكر
فإن لم يكن دراً فتلك نقيصة　　وإن كان دراً كيف يُهدى إلىٰ البحرِ

غيره غب بسط الدعوات الموسومة بالإخلاص ، واثر نثر جواهر الثنا المرشح بالاختصاص ، إلىٰ الجناب الذي تلألأ في مرآة طبعه أنواع الجود والكرم ، واستنار في روضة جماله الزاهية أنهار اللطف والشيم ، لا زال سراج السعادة من غرّته الغراء ، يتلألأ نوراً كالشمس وضحاها ، وشعاع السيادة من همته العليا متجلياً كالقمر إذا تلاها .

شعر :

ولو كانت الأقدار طوع منيتي　　وكان زماني مسعدي ومعيني
لكنت على بعد المزار وقربه　　مكان الذي خطت إليك يميني

غيره غب سلام تعطر بنفحاته رياض المحبة والاتحاد ، وتفتح بنسماته أزهار

الإخلاص والوداد ، وتحيات صافيات يفوق شذاها على المسك والخزام ، وتسليماتٌ وافياتٌ ، أغزر من قطر الغمام ، أخصّ به المشار إليه ، دامت بالمسرات أيامه ولياليه ، ولا برحت طوالع سعده كالشمس وضحاها ، ومنازل جوده كالقمر إذا تلاها ، وبعد غب الأشواق ، وتزايد التوق والاشتياق إلىٰ ريّا تلك الذات والمعاني ، لا زالت محروسة بالسبع المثاني ، وثانيا إن تفضلتم عنّا وسألتم ، فإننا لله الحمد بخير وعافية ، ونعم المولى مترادفة وافيه ، نرجو المالك أن يكون لكم أحسن من ذلك ، وفي أبرك الساعات وأيمن الأوقات ، ورد علينا مكتوبكم الكريم الواجب القبول والتكريم ، فكان وروده للعين نور ، وللقلب سرور ...

شعر :

ورد الكتاب فسرّني مضمونه ... ووددت أني في الفؤاد أصونهُ
واشتقت كاتبه كما اشتاق الكرى ... أجفان صبّ لا تنام عيونهُ

مناظرات

مناظرة لابن المارديني : سمّاها : (الجوهر الفرد في المناظرة بين النرجس والورد) ، وهي هذه : الحمد لله الذي أنبت في رياض الخدود وردة الخجل ، وزين أغصان القدود بنرجس المقل ، وأوضح سبيل البلاغة لذوي الأدب، فاتضح واستجلوا من وجوه المعاني عيون الملح ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين ، بقول غير ملتبس ، وعلىٰ الآل والأصحاب ما خجلت قدود الورد من تغازل عيون النرجس وبعد :

فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار شكلاً ووصفاً ، وألطفها منظراً ، وأطيبها عرفاً ، أختلف بينهما في التفضيل ، وأيهما حضر كان لبيت البسيط تكميل ، مثلتهما كالخصمين في المناظرة ، واستنطقت لسان حالهما علىٰ سبيل المحاضرة ، فقال الورد : الحمد لله الذي أنزل في محكم القرآن : ﴿ **فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان** ﴾[1] ، والصلاة والسلام علىٰ نبيه المبعوث إلىٰ الأسود والأحمر ، الذي نسخ الله بشريعته البيضاء ملة بني الأصفر وبعد :

فإن الله فضلني علىٰ الزهر بأربع مراتب ، فوجب عليّ شكر نعمته ، وشكر المنعم واجب ، فبي تتجمّل المجالس والمحافل .....

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه[2] الأوائل

كفاني الله عين الحسود ، فالروض ملكي ، والزهور لي جنود ، ومافيهم إلا

---

(١) سورة الرحمن : ٣٧ .

(٢) م ك : تستطيع .

من قدح في اعلامي السلطانية ، وكيف لا يطيعون وشوكتي فيهم قوية ، فازورت عند ذلك أحداق النرجس ، وقام على ساقه في المجلس ، وقال : أقسم بمن أنزل في كتابه المبين : ﴿ صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين ﴾[١] وحق محمد المحمود الذي أوحى إليه قتل أصحاب الأخدود ، لقد مدحت نفسك بالكمال مع نقصك ، وما جريت النار إلا إلىٰ قرصك ، تعيّرني بالإصفرار ، وهو لون التبر إذا أنسبك ، وتفتخر عليّ بالإحمرار ، فما أحمرك ، فتأدب في مقالك ، واذكر سرعة زوالك ، واحفظ حرمتك ، وإلا كسرت شوكتك ، فقال الورد : ويلك ما أقوى عينك وأكثر مينك ، تجعل مقامك كمقامي ، وأنت من بعض خدامي ، ولو لم تكن قليل الحرمة ، ما كنت جالساً ، وأنت واقف في الخدمة ، ألك مثلي حسن منظر ومخبر ، أما سمعت أن الحسن احمر ، وإن تغير بنقص مدتي ، فقد استنبت عنّي خليفتي ، ولم يزل جمال المقامات ، ومن خلف مثله مامات ، اتحسب محاسني مثل محاسنك متناهية ، وكيف ينقطع عملي ، ولي صدقة جارية ، فشتان بيني وبينك ، وإن لم تنتهِ عن جدالي ، قلعت بشوكتي عينك ...

شعر :

لجمال وجهي تشخص الأبصارُ ... ولعزّ مجدي تخضع الأزهارُ

لي بهجةٌ في وجنةٍ فيها من الو ... رق[٢] الجديد السندسي عذارُ

وكأنني خد الحبيب إذا بدا ... نشوان قد دارت عليه عقارُ

لا غرو إن صرف المحبّ عليّ ... حبّات القلوب فوجنتي دينارُ

حرمي غدا لذوي الخلاعة آمناً ... من حوله تتخطف الأبصارُ

---

(١) سورة البقرة : ٦٩ .

(٢) م ك : الأوراق .

ما ساءني قصر الزمان ولا يرى ... لك في لياليك الطوال قِصارُ
لكن أيامي سرور كلها ... وكذاك أيام السرور قصارُ

فقال النرجس : يا قليل المودة ، يا قصير المدة ، أين العيون من الخدود ، وأين الجافي من الودود ، أنا الوفي بميثاقي ، ومن زارني أجلسه على أحداقي ، فيقول من أفضت إليه السرور فيضا ، لقد أكرمت ضيفك فعليك الراية البيضاء ، وأنت طالما جنا شوكك على من جناك ، فذقت حرارة النار ، وذلك بما كسبت يداك ، سرقت لون الحبيب ، وتستر بالورق ، فقطعوك والقطع حدّ من سرق ، واستقطروا دمعك ، وأذاقوك الحرق ، وقيل ﴿ **لتركبن طبقاً عن طبق** ﴾[1] ، وأيّ عيب في اصفراري الذي هو رتبة المعشوق ، ولون العاشق المشوق ، وأي فخر في احمرارك الشريق ، وكم بين التبر والعقيق ، فلا تتبهرج بزينتك ، على خالص اللّجين ، وارجع عن المناظرة فما جئتك إلا بعين هذا ولي في السبق قصبات ، وكم جلوت صدأ القلوب بطيب النفحات ، وإذا وفد جيش ازهر ، فلي في طلائعه عيون ، و ﴿ **السابقون السابقون أولئك المقربون** ﴾[2] .

شعر :

فقت الزهور جميعها بتقدمي ... وأنا المقيم على الوفا يا متهمي
أدعُ الندامةَ للمسرّة والهنا ... وكما علمت شمايلي وتكرّمي
وأنا الجليس بناظري وأرومتي ... حسنا وساقي في يديه ومعصمي
واغض طرفي إن خلا بحبيبه ... واصون سر العاشق المتكتمِ
وإذا غفا المحبوب كنت لحفظه ... عيناً عليه من الدبيب المحرمِ

---

(١) م ك : الأوراق .

(٢) سورة الواقعة : ١٠ ـ ١١ .

وأغـازل الأجـفان وهـي نـواعس ‌‌ وإليّ تشـبيه اللـواحـظ تـنتمي
وترى حـجيج اللـهو حـولي طـائفاً ‌‌ وجـميع أيـامي كـيوم المـوسمِ

فاحمرّ خد الورد ، والتهب ، وأبرز الغضب ، وظهر في وجهه سورة الحماقة ، وقال : لا تدخل معي في باب مالك به طاقة ، وقد استحقيت المقت ، ولا أبالي بك ولو برقت ، كيف تفاخر بصفارك حمر الخدود !! ، ومن أين لأجفانك تغازل العيون السود !! ، أتناظر بعمشك العيون الملاح !! ، ما أنت يا عيون النرجس إلا وقاح ، تعيرني بحسن الإبتلاء ، وهو الأفضل ، وقد قال ﷺ : (نحن معاشر الأنبياء أشدّ الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل)[1] ، طالما ابتليت فصبرت ، وما شكوت حالي ، بل شكرت ، أبيت بزفرة لا تخمد ، وادمعي تتحدر ، وأنفاسي تتصعد ، احبس بلا ذنب وأُحصر ، تجري عبرتي وماهي إلا مهجة تذوب فتقطر ، وما ضرّ إبراهيم إلقاؤه في نار نمرود ، وما شان يوسف سجنه مع فضله المشهود ، مع أني طالما لثمت الثغور والأعناق ، وفزت بالضمّ والشم والعناق ، زكا منّي الأصل والفرع ، ولا أنزل بوادٍ غير ذي زرع ، وأقسم ببديع حسني ، وتدبيج أوراقي ، وسمويّ عن مراعاة النظير بتوجيه طباقي ، ما أنت مجانسي في المقابلة ، ولا موازني في المشاكلة ، ولا لاحقي في الطيّ والنشر ، وأنا سيد زهر الربيع ولافخر ، فلا تطل الشقاق والنفاق ، ولابد لك من الوقوف في خدمتي ، ولو قامت الحرب علىٰ ساق ، وأي فضل لك في التقديم ، وكم بين الحبيب والكليم ، وإن أردت كشف التلبيس ، فتفكر في فضل آدم علىٰ إبليس ، وكم بين الشمس والنجوم ، وما منا إلا له مقام معلوم ، وهل أنت إلا من بعض جنودي والمبشر بقدومي ووررودي ، وأنا بالفضل منك أولى ، وللآخرة خير لك

---

(١) البحار / ج١٩ ، ص٥٧ ، الرواية ١٧ مع اختلاف يسير .

من الأولىٰ .

شعر :

لم يزدك التقديم في الفضل شيئاً ... وأنا ما نقصتُ بالتأخيرِ

بيننا في القياس فرق لطيف ... مثل ما بين يوسف والبشيرِ

فحدّق النرجس وحولق ، ورفع رأسه بعد أن أطرق ، وقال : إن افتخرت بآثارك ، فليس العين كالأثر ، وإن كنت مباشر الثغور ، فأنا لي حسن النظر ، مع أنهم أرخصوا بك في التسعير ، وما عصروك إلا عن ذنب كبير ، ولو لم تكن من المتمردين والأنجاس ما حبسوك في القماقم النجاس ، وأنت في افتخارك كما قالت الحكماء : أنف في الأرض وأست في السماء ، تتطفل علىٰ الموائد ، ولا تصبر علىٰ طعام واحد ، واقسم بقدي الرشيق ، ولوني الأنيق ، ورياض صحائفي واخضرار سوالفي ، لئن لم تصن طرقك المسلوكه لأجعلن حرمتك مهتوكه ، ولا أترك لك في عصبة الأزهار شوكه ، واذيقك عذاب الهون ، اتعيبني وكلك عيوب ، وكلي عيون ، وأنا طبعي الوفا ، وأنت طبعك الغدر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض من الزهر ولا فخر ، ولولا خشية التطويل ، عددت معائبك علىٰ التفصيل ، لكن شيمتي غض الطرف في المجلس ، وما أحسن الغض من النرجس ، وإن تشبهت بالشمس ، فإني بكسوفك شامت ، وإن كنت من السيارة ، فإني من النجوم الثوابت ، وشتان بين طالع وآفل ، وكم بين مقيم وراجل ، وإن لم ترجع إلىٰ السكينة والوقار ، لأرينك النجوم بالنهار ، أين قضبان الزمرّد من شوك القتاد ، وكم بين مريد ومراد ، واقسم بمن زين السّماء بزينة الكواكب ، لئن لم ترجع عنّي لأرمينك بشهاب ثاقب ، واسلط عليك نجوم رجومي ، وأقول فيك مضمناً قول ابن الرومي شعراً :

عـجبت للـورد إذ وافـىٰ يـناظرني   وزاد في قـوله عـجباً وفـي شـططه
يـبدو وطـياته مـن حـول سـفرته   كصرم بغل وباقي الروث في وسطه

فخجل الورد ، حتىٰ كلّله من الطلل والعرق ، وكاد من خوف الفضيحة أن يستتر بالورق ، ثم إنه استشاط كمن أُطلق من عقال ، وسطا علىٰ النرجس بشوكته ، وقال : يا نفاظة المحافل ، ويالفاظة المزابل ، كم بين مهتوك ومصون ، ومتروك ومخزون ، فصل القضية أنك راجل وأنا فارس ، وتقوم في خدمتي وأنا جالس ، فلولا فجورك وقوة الحدقة ، ما جئت تزاحمن في الطبقة .

شعر :

أما وجمال وجهي في المجالس   وتـنزيهي المـحاضر والمـجالس
وإشـراقـي عـلىٰ العشـاق مـما   كسـاني الله مـن أسـنى المـلابس
ومـا قـد حُزتُ مـن نشـر شـذاه   يـفوح بـطي انـفاس النـفائس
لقـد عـديت طـورك فـي مقامي   وهـل أحـد بـمثلك لي يـقايس
أنـا فـي البسـط فـاتح كـل بـاب   وخـاتم كـل زهـر فـي المـجالس
وإن زفت كـؤوس الراح تـجلى   على صبحي كـما تـجلى العـرايس
وإن نـحن اجـتمعنا فـي مـقامٍ   تـقوم بـخدمتي واظـل جـالس
دع التـعريض أو صـحف فـإني   اراك إذا التـقا الجـمعان نـاعس
وإن تك حـارساً مـاذاك فـضل   فكـم مـا[1] بـين سـلطان وحـارس
وهـل للـحب مـن حسـن إذا لم   يكـون الورد فـي خـديه غـارس

فقال الورد : أنا عيون المجالس ، وشموع المجالس ، وأنيس النديم ، وقد خلقني الله في أحسن تقويم ، من أين لك لفظي ودلالي ، وقد فاتك ليني

(١) م ك : ساقطة .

واعتدالي ، وبي تُشبّه عين الحبيب ، فافهم ، ولأجل عين ألف عين تكرم ، وكثير ما بينك وبيني ، وإن عدت إلىٰ مثلها سقطت من عيني .

شعر :

أمـــا وفـتور أجـفاني النـواعس ... ولحـــظ دونـه لحـظ الكـوانس

وأحـــداق تـصيد الأسـد صـيداً ... وألبـــاب الرجـال لهـا فـوارس

وعـــيني الوقـاح وليـن عـطفي ... رشـيق إذ بـدا فـي الروض مايس

لئـــن لم تـــنتهِ يـــا ورد عـني ... وتـترك مـالديك مـن الوسـاوس

رشـقتك صـائبا بسـهام لحـظي ... وأجـعل ربـعك المأهـول دارس

أنـا أبـهى وألطـف مـنك معنى ... وأزهـىٰ فـي المجالس للمجالس

وكـــم أمـــتعته مـــرءاً ولمساً ... وكـــنت له ولا أؤذي المـــلامس

وعـن أهـل الغرام اغض طرفي ... وإن نـام الحـبيب فـنعم حـارس

أقـــوم بـخدمة النـدمان جـهدي ... وتقعد عـن مـقامي فـي المـجالس

لفـــخرك لم أجـد وجـهاً لأنـي ... أنـــا رأس الزهـور فـلا تـراوس

فقال الورد : والذي خلق الإنسان من علق ، وألبس الخد حلّة الشفق ، وضرج الوجنات بحمرة الخجل ، ودبج بالتوريد مواقع القبل ، لقد جرت في القول جدا ، وجئت شيئاً إدّاً ، وتريد تميز نفسك بتقديمها ، وإنما الأعمال بخواتيمها ، أنا خد الحبيب نصيبي ، والراح يلتبس بثوبي ، ويتمسك بذيل طيبي ، أشك في أن أحسن صفات المدام الوردية ، لقد تفتت قلبي من عينك القوية ، أتريد أن تغطّي فضلي بغضاً منك ، وسخطا ، أما سمعت في الأمثال : الشمس لا تُغطّى ، شعر :

أنـــا والراح للـــراحـات راحــه ... فكم في قبض ساقي البسط راحه

اتعمى عن عيوبك إذ تراني بعين البغض ماذا لا وقاحه

فقال النرجس : والذي زيّن العيون بالدعج ، وأرسلها في فترة الأجفان إلىٰ المهج ، وفضل الإنسان ، وكحل بفنون السحر فتور الأجفان ، إن لم ترجع عني لأجرّدن سيفي من جفني ، واطيح رأسك عن قدمك ، واخضبك بدمك ، ومن أنت في البين ، وقد أصبح فضلي عليك فضل عين ، اتجاريني وجيادي السوابق !! ، وتناظرني وجياد نواظري احداق الحدائق !! ، وفي فتور أجفاني من السحر فنون ، أما سمعت ان الملاحة في العيون ، شعر :

أنا مابين اصحابي بعين وفضلي راجع والورد دوني

وفي من الملاحة كل فنٍ بديع والملاحة في العيونِ

فقال الورد : أين السهل من الممتنع !! ، وكم بين المفترق والمجتمع !! ، أنت تبذل نفسك فتهان ، وأنا أعز بصوتي عن ملاحة الندمان ، وأنت رقيب علىٰ العشاق في مجالس الطيبه ، وإذا رأيتهم بعينك يقولون ماذا إلا مصيبة ، أنا ذو الوجه الأقمر ، والخد الأزهر ، وإذا تأملت عيونك إذا هي بالساهرة ، كيف تناظرني ولي وجوه يومئذٍ ناظرة ، وأراك قد ضُربت عليك الذلة ، وما اصفرارك إلا لعلّة .

فقال النرجس : يا قليل الوفا ، يا كثير الجفا ، ألم تعلم أن التخليق بالصفار إمارة النصرة ؟ ، وقال جماعة من الحكما :

انحس الأشكال الحمرة ، وهل يخضر العيش إلا بالدينار الأصفر ، وإذا فقدته قيل هذا هو الموت الأحمر .

فقال الورد : هذا لوني منذ كنت في كمام الأحشاء مضغة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .

فقال النرجس : هذا علىٰ فضلي من الشواهد .

فقال الورد : ما يصغر مني ومنك إلا الحاسد .

فقال النرجس : لم يزل عين كل شيء أحسنه .

فقال الورد : ولا تستوي السيئة ولا الحسنة .

فقال النرجس : ذهبت منك الحجة ، واتضحت لي المحجّة ، ولي الفضل علىٰ كل قاصٍ وداني بحضوري في مقام المقرّ الفلاني .

فقال الورد : هذا مما يؤيد كلامي ، ويرفع في الفخر مقامي ، فكم بلغت بحضرة المخدوم مقصودي ، ولم يزل إلىٰ منهل العذب ورودي .

قال الراوي : فلما رأيت كلاً منهما قد جاء في حجته بالبرهان والدليل ، ولم يتضح لي أيهما أولىٰ بالتفضيل ، وضاقت علي في الفرق بينهما المسالك ، ورأيت مالكي بالمدينة ، فلم يجز لي أن أفتي وفي المدينة مالك ، فهو فريد عصره وآدابه ، وهو الذي يفصل خطابه ، ولقد بلغ من رتب الآداب اقصاها ، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، كيف لا وقد بلغ زمام البلاغة ببديع بيانه ، واستخدم دقيق المعاني ، فنزلت في ديوانه ، وكشف لهذه العصابه عن الكرم قناعه ، وأحسن النظر في مباشرة الأدب ، فكانت المدائح اقطاعه ، من لم يسرق المعاني فاز عنده بأرفع المراتب ، ومن خطف الخطفة ، اتبعه شهاب ثاقب ، خرس أفق العزّ حين بدا ، ومن يستمع الآن يجد ه شهاباً رصدا ، وقال يمدحه من الجناس المذيّل :

سطا بسيوف مقلته الجوارح … وكم ملك الجوانح والجوارح
هلال في بروج الحسن سارٍ … غزال في مروج القلب سارح
حسام الفتك في عينيه ناضٍ … لذاك دمي علىٰ خديه ناضح

فكـــيف تـخلصي والطـرف رام ... بســـهم جـفونه والقـدر رامـح
بـــصادٍ لواحـــظٍ وعـــذار لامٍ ... حـوى ميماً تـحيّر كـل لامـح
سكـرت بـلحظه مـن غير جامٍ ... وأمســىٰ بـالدلال عـليّ جـامح
وأعــجب أنـه فـي الحب جـارٍ ... وعـضب الشوق للأحشـاء جـارح
وطـرفي فـي ظـلام الليل صالٍ ... ومـا الفسـاد قـلبي مـنه صـالح
سـوى قـاضي القـضاة ونـعم كـافٍ ... بـه أمسـيت للـدنيا مكـافح
شــهاب مــن رمـاه غـير نـاجٍ ... لذلك سـعيه فـي المـجد نـاجح
بــمثبت عـلمه المـرضي نـافٍ ... ونشـــر ثـناه مـثل المسك نـافح
له ورد مـــن الأكـــدار صـــافٍ ... وحـلم عـن ذوي التـقصير صـافح
يكـــاد نـداه يـغرق كـل طـافٍ ... وذاك لأنـــه كـــالبحر طـــافح
جـــواد لا يـــخيب لديـــه داجٍ ... كـــما مـــيزانـــه بـالفل راجـح
ســـعيد الجـــد ذو عـــقلٍ ورأيٍ ... أقـــرّ بـــفضله غـــادٍ ورايـــح
بـروض نـداه يـروى كـل صادٍ ... وفـــيه بـــلبل الأمـداح صـادح
يـــجرد سـيفه مـن غـير نـاب ... ومـن يشـناه مـثل الكـلب نـابح
كـــريم للـــثنا بـــالجود شـــارٍ ... مـــناقبه تـــعَجّز كـــل شـــارح
بـــدين له مـــن العـليا نـواصٍ ... لأن عـــلومه أبـــداً نـــواصـح
فـوات المـدح فـيه بـلا فـواتٍ ... لتـــزداد الخـــواتـم والفـــواتـح
فأقـــلام السـعود له جـــوارٍ ... بـــهم لطـــيور اعـــداه جـوارح
فـــيا بـحراً يـجود بـفيض مـالٍ ... عـذبت نـداً ومـاء البـحر مـالح
شـــهاب أنت فـي العـلياء سـارٍ ... وفـيض نـداك للـراجين سـارح
فـــدونك درّ مـــدحٍ فـــي انـتقادٍ ... فـلي زنـد بـمدحك أنت قـادح

ودم فـــي العــز والإقــبال ســامٍ   وإن قــصرت يــا مــولاي ســامح

هذه مناظرة بين الليل والنهار، للعلامة المارديني أيضاً:

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ...

قال النهار: إن نوري أعظم الأنوار، أطرز بساط الأرض بسناء الأقدار، إذا طلع فجري، وانكشف ستري، أدهش الأبصار، وحير الأفكار ظهر فـاظهر شمساً، واسمع فلا يسمع إلا همساً، وأنت أيها الليل، ليس لك قوة ولا حيل، لا تزال ظلمتك تغيّم، وديجورك يخيّم، إن فتح نائم جفنه وجد ظلاماً، وإن سافر فيك مسافر ضلّ ورأى وراءه اماماً، لا يلوح فيك بارق، ولا يتكلم فـي ديجورك ناطق، بك الطيور مستترة في أوكارها، والحيتان في أبـحارها، وإن افتخرت ايها الليل بالدراري ونورها، والجواري وسيرها، فزحلك إذا وقع في التربيع ذلّ، ومشتريك إذا دخله القران ضلّ، ومريخك إذا قابل شمسي احترق، وزهرتك تحت شمسي تختفي كالغسق، وعطاردك بالمحو ما غفى جفنه من الأرق، وإذا جنحت كواكبك في الحضيض أصبحت كالسقيم المريض، فآيتك ممحوه، ولا يدخل فيك نور من كوه، ومعرفتك منكره، وساعاتك بـالظلمة مكدره، وأنا أوجد الأجسام انتعاشاً، وأطوي لمن نام فيك فراشاً، بدليل قوله تعالى: ﴿ **وجعلنا النهار معاشا** ﴾[1]، في الانتباه واليقظة للغنوم وأنت فيك السنة والنوم، الشيطان قرين نوامك في المضاجع، وفيك تسد المسامع، والمرء فيك غافل وهاجع، وقلّ أن يوجد فيك راكع، وساجد، وفيّ قذف الخليل في النار، فصارت برداً وسلاما، وفدى الله له من الذبح غلاما، وقصته مفهومة، وقضية الصخر قضية معلومة، وفيّ يرفع قسطاً، وفيّ الصـلاة الوسـطى، ولي أيـضاً

---

(١) سورة النبأ: ٧٨.

المكارم العظام ، والمنن الجسام ، فاقصر عن الملام والمنازعة بسلام ، أما قال فيك الملك العلام : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ﴾[١] ، وهل يصلى فيك أيها الليل الأعياد ، أم نزلت فيك فضيلة الجهاد ؟ ، أكان فيك وقعة بدر الجامعة لأبطال المسلمين ، أم نزل فيك خبر رب العالمين ، أقصر من العتاب ، ففيّ وقعة تبوك والأحزاب ، ومن الدلائل كما قال القائل شعراً :

لي في النهار مع الأحباب أسرار　　　لأن ليلي يقضي وهو اسحارُ
إن كان أدبر ليلي بالظلام ففي　　　نورِ النَهارِ لمن يهواه أنوارُ

فقال الليل : أيها النهار ، لك الويل حيث طفقت في الذم الكيل ، وملت كل الميل ، ونلت من عدمي أبلغ نيل ، وركبت يا قصير الذيل لمناظرتي أجاويد الخيل ، فاثبت إن كان لك قوة أو حيل ، لقد أنكرت فضلي ، وما أنت مثلي ، أنا قد جمع الله شملي ، ورفع قدري ومحليّ ، فإذا حضرت ، فقم لي ، لأنك إنما خلقت لأجلي ، أما أقسم بي من خلق ، فقال : ﴿ **والليل وما وسق** ﴾[٢] ، أما قال : من لم يزل عالماً آناء الليل ساجداً وقائماً أما مدح سمّاري في كتابه المكنون : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾[٣] ، أما قال لعروس حضرتك الذي بين فرضك ونفلك : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾[٤] ، أما بجلّ في المصطفى تبجيلا : ﴿ **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلا** ﴾[٥] ، أما فضلني تفضيلاً بقوله : ﴿ **قم الليل إلا قليلا** ﴾[٦] ، أما قال فيّ رب

(١) سورة البقرة : ٢ .
(٢) سورة الإنشقاق : ٨٤ .
(٣) سورة الذاريات : ١٧ .
(٤) سورة الاسراء : ٧٩ .
(٥) سورة الانسان : ٢٦ .

العالمين : ﴿ **الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين** ﴾[٧] ، فيّ يستريح المكروب ، وتنشرح القلوب ، ويختلي المحب بالمحبوب ، ويفرح المحزون ، وسرّ مدحي ليس بمصون ، أقيل لقوامك وهم يعبدون : آناء الليل وهم يسجدون ؟ ، أما قيل فيّ مدحاً واحتشاما : ﴿ **بيتون لربهم سجداً وقياما** ﴾[٨] ، أما خلقت قبلك في العلم المقدور ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾[٩] ، فاسمع أيها النهار هذا الكلام : أين كنت حين خرج موسى عليه السلام من مدينة شعيب مع مريد الغيب ، وقد ارخيت ستوري ، وبسطت ديجوري ، فلما وصل إلىٰ الطور شاهد النور ، فدع عنك الإفتخار أيها النهار ، فأنا اقصى فضلي عليك ، أمنك سمع موسىٰ : ﴿ **إني أنا ربك فاخلع نعليك** ﴾[١٠] ، ولأمثلّن عليك بالفخار مسألة ، ألك فخر : ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** ﴾[١١] ، فعن فضلي لا تسأل في صعق موسى ودك الجبل ، أمنك حصل لموسى قربه ؟ ، اسمعت بعين : وكلمه ربه ؟ ، أكنت حاضراً حين قال : ﴿ **لن تراني** ﴾[١٢] ، أما خصصتُ بهذه المعاني ، أما نالتني المفاخر نيلا ، أما قال تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا** ﴾[١٣] ، أما سحب المختار فيّ ذيلا ؟ ـ ، ام سالت فيّ دموع المحبين سيلا ؟ ، أين كنت أيها النهار ، حين تقرب الحبيب وتأنس ؟ ، أين كنت وهو في بيت

---

(٦) سورة المزمل : ٢ .

(٧) سورة اشعراء : ٢١٩ .

(٨) سورة الفرقان : ٦٤ .

(٩) سورة الأنعام : ١ .

(١٠) سورة طه : ١٢ .

(١١) سورة الاعراف : ١٤٢ .

(١٢) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(١٣) سورة الاسراء : ١ .

المقدس ؟ ، أين كنت حين نصب معراج المصطفى ؟ ، أمنك جليت عـروس مكة والصفا ؟ ـ، أفيك حجب عن العيون ؟ ، أفيك وصل إلىٰ قاب قوسين ؟ ، أفيك قيل له : يا عروس حضرتي تملّى ؟ ، أفيك رفع الحجاب وعليه الحبيب تجلّى ؟ ، اكنت حاضراً في خطاب : فأوحى إلىٰ عبده ما أوحى ؟ ، أفيك نشرت راية سعده ؟ ، أكان جبريل فيك جاويش ركاب أحمد ؟ ، أكمل سعدك مثلي وتجدد ؟ ، أتغيرني بلوني الأسود ؟ ، وكم من أسود قلبه للحبيب يشهد ؟ ، قصّر من هذا السبيب ، فالسواد لا يقبح إلا في القلب ، ما كسيت حـجاب الظـلمة العجيب ، إلا لأستر العاشق من الرقيب ، أما ورد عن البشير النذير (إن الله تعالىٰ يتجلّىٰ كل ليلة في الثلث الأخير)[١] ، أما مدحني في السر والجهر ؟ ، أما فيّ ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، أما فيّ القلوب في طرق المحبة سالكة ؟ ، أما قال تعالى ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾[٢] ، فإن افتخرت بشمسك ، فشمسي قلوب أهل الحضرة ، وإن افتخرت باشجارك ، فاشجاري تهجد أهل الفكرة ، وإن افتخرت بالأزهار والثمر ، فأنا افتخر بساحات الزهر ، وإن قـلت : بـدرك يكتسب نوره من شمسي ، فشمسك تكتسب من حضرة قدسي ، وإن افتخرت بالأنهار الجارية ، فكم فيّ من دمعة جارية ، وإن افتخرت بالطير الناطق ، فأنـا افتخر بالنفس الخارق ، وإن افتخرت بظهور الرياحين في البساتين ، فأنا افتخر

(١) عن ابراهيم بن ابي محمود ، قال : قلت للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ، ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : ان الله تبارك وتعالىٰ ينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا ، فقال عليه السلام : لعن الله المحرفين للكلم عن مواضعه ، والله مـا قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله كذلك ، انما قال صلى الله عليه وآله : ان الله تبارك وتعالى يُنزِل ملكاً الىٰ السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير ... الخ . البحار /ج٣ ، ص٣١٤ ، رواية ٧ .

(٢) سورة الدخان : ٣ .

بتسبيح المسبحين ، وعبادة الصالحين ، وذكر الذاكرين ، وأنين الخائفين ، وزفرات الملبين ، وقطرات المحبين ، وحسرات المتقطعين ، وتضرعات المتضرعين ، وافتخر عن يقين بتجلي أحسن الخالقين .

أيها النهار : أنت غافل ، فيك المعاش الفاني الباطل ، وأنا فيّ نديم واصل ، ودمع من الأجفان هاطل ، كم تحت رواقي من عاشق حزين ثاكل ، وكم في حضرتي من موله ذاهل ، وكم في رسمي جسم ناحل ، سر الكل حضرة تسحّري لأن فيه الحبيب مواصل ، أم تسمع فيّ مخاطبة : هل من سائل ، اقام فيك الشبلي لمشاهدته ؟ ، أتهجد فيك النوري يطلب رؤيته ؟ ، كم قام فيّ ذو النون على قدم حسرته ؟ ، كم انتحب الفضيل على قطيعته ، من شاني قال الكرماني : الليل بستاني ، ولحضرتي قال ابن أدهم : الليل خلوتي ، وقال السرّي ، ما ألذّ سهري ، وفي ساعاتي ظهرت صوفية مرقعاتي ، وقال كل منهم : طابت أوقاتي ، ومتعت بحياتي ، وقال الجنيد : الليل راحتي ونزهة سياحتي ، وقال ابن الجلا : منادمتي في الليل ما احلا ، وكأسي فيه اجلا ، كم من عين دامعة ، ولأجلي تقول رابعه : أنا في الليل طشت لولا الليل ما عشت ، أنا في الليل محيا ، وأنا بالليل أحيا .

فاسمع أيها النهار هذه المفاخر ، واستمع قول الجيلاني عبد القادر :

قم في الدياجي إذا ما جنّ بستانُ ... فكم محب أتاه وهو نشوانُ
الليل عندي بستان أشاهده ... والليل روحي ولي في الليل أشجانُ
سمعت فيه كلاماً ليس أنقله ... ولي بدى في ظلام الليل برهانُ
فالكاس ذكري كما خمري صيانته ... كما شرابي تسبيح وقرآنُ
وردت خمر الهوى قدماً بسكرته ... ودرته من عبابي وهو طوفانُ

وعِدْ حبيبك تسلم من قطيعته فحبذا فيه توحيد وإيمانُ

مناظرة بين السماء والأرض، للعلامة المارديني أيضاً وهي هذه:

قالت السماء: يا أرض فيّ العرش والكرسي، وبهما افتخاري وأنسي، واللوح والقلم والملائكة القائمون بوظائف الخدم والشمس والقمر والنجوم، التي تحيّر فيها ارباب الفهوم، فأنا مشتمله على الأنوار، وأنت محل الظلمة والأكدار في الأرجاء والأقطار.

فرفعت الأرض رأس الانكسار، ومدّت يد الافتقار الى الكريم الغفار، واستعانت بالعظيم القهار، الحليم الستار، فجاد لها بقطع حجة من جادلها، وألهمها كرماً أن قالت: يا سما، إن افتخرت بالعرش والكرسي الذي كل منهما مذعن، فأين أنت من قوله تعالىٰ: (ووسعني قلب عبدي المؤمن)، وإن افتخرت باللوح والقلم، والأنوار التي تزيل الظلم، فأين أنت من أنوار العلوم التي هي أسطع وأنفع من أنوار الكواكب والنجوم، وأين أنت من ألواح القلوب، المكتوب عليها بأقلام علّام الغيوب، بنص صريح القرآن: ﴿ **كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾[1]، وإذا افتخرت بالملائكة الذين هم علىٰ أقدام الخدمة واقفون، فأنا افتخر بالذين هم من هيبة مولاهم خائفون، وهم له في نهارهم صائمون، وفي ليلهم وبين يديه قائمون، ومن خشيته مشفقون، وإن افتخرت بالذين هم في العبادة مجتهدون، فكم في خلوات الدجىٰ بين الخوف والرجا من أمةٍ قائمةٍ يتهجدون، وإن افتخرت بالذين هم في العبادة مجتهدون، فكم في خلوات الدجى بين الخوف والرجا من أمةٍ قائمةٍ يتهجدون، وإن افتخرت بسراجك المنير، وقمرك المستدير، فأين أنت من شريقة البشير النذير، وبهجة جبين

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

السراج المنير ، وإن افتخرت بالنجوم التي بها يُهتدى ، فكم بصحابته اهتدى من اقتدى ، وإن افتخرت بشهادة ملائكتك الكرام ، فأنا افتخر بشهادة نبينا عليه السلام والعلماء الأعلام ، كم فيك من ملك ... مصافي ماله مرتبه تتجافى ، ولا طعم طعام عليّ من سائل ، وناهيك بها من دلائل ، ولا مقام لخلوف الصائم ، ولا منزلة المتهجد القائم ، ولا رتبة أنين المذنبين ، أحب إليّ من زجل المسبحين ، فدعي عنك ياسما هذا الافتخار ، فمالك هذا المقدار ، ويكفيني من الشرف والزين ، أن خُلق فيّ سيد الكونين ، وفيّ كانت دعوته ، وعليّ تُستعمل شريعته ، وكم شوهدت في أنواره ؟ ، وظهرت آثاره ؟ ، وكثرت أنصاره ؟ ، وعلا مقداره ؟ ، وفيّ كانت غزواته ، ومشية خطواته وفزت بتربته ، وكم حظيت بأنوار طلعته ؟ ، فلي المسرة والابتهاج ، ولم تحظِ أنت به إلا ليلة المعراج ، ولكن أنا وأنت مشتملان بالأنوار ، والخلائق أطوار ، وقد قال من دحاني بالطول والعرض : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾[1] .

العلامة ابن المارديني ، سماها (شرح الغرام في سرح الغلام) :

الحمد لله الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، وأظهر من خزائن علمه بدائع صنعته ، فتحلت بالنبات بعد أن كانت عاطلة ، وقابل وجه الأرض بعارض النو ، فصحّت نسخته بهذه المقابلة ، ونحا بالسحاب نحو الرياض ، فأحسن فيها التصريف ، وأبان بيان معانيها ببديع التعريف ، فظهر من طيّ النسيم نشر بديعها ، وأضحكها عباس نوها ، وكان الفضل لربيعها ، تحسنت بهذه النورانية بهندسة الحكمة الربانية ، وتفقهت الطير من أصول الأشجار فروع غروسها ، وأفصحت منطقها على كراسي اغصانٍ بإلقاء دروسها ، فهي من

(١) سورة النور : ٣٥ .

إشارتها في جدل ، ولها علىٰ الموشح زجل ، تقابل المنشور بحسن سمعها ، فينثني الغصن عجباً بها ، كأنه المفرد بجمعها ، فحياة الأرض بعد موتها لمن اعتبر ، هو على البعث من أعظم الإستدلال عند أهل النظر ، فسبحان من قضى على الخلق بالمحو والإثبات ، وحكم على الخلق بالإقرار بالتوحيد ، لما قامت آياته البينات والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الشفيع ، الذي صفر به ربع الشرك ، ورفعنا من مولده في ربيع ، وعلى الآل والأصحاب ، ما جُنيت أزهار المعاني من رياض الآداب وبعد :

فلما انخت بدمشق الركاب ، وألقيت العصا والجراب ، وخلعت بواديها ثقل الأين ، وقلت : لا أثر بعد العين ، وطاب بها المقيل ، وآويت فيها إلى ظلٍ ظليل ، إلىٰ أن أسفرت وجوه الرياض عن نقابها ، وبرزت عرائس الزهر من حجابها ، وانصرف الشتاء بقبضه ، بعد أن فرط منه ما فرط ، وفرش الخليع بساط الربيع ، فانبسط ، ولم يبق إليه تطريف ، وصار إلىٰ حقيقة البسط مجاز كل طريق ، ورفعت في خفظ العيش أعلام السعادة ، وجاء فصل الربيع بالحسن وزيادة ، وزاد الملال ، وانشد لسان الحال :

إنـهض إلىٰ روض زهت أزهـاره وزره فـالزورة قـد تـعيّنت
اشـرقت الأرض بـنور ربـها واخـذت زخـرفها وازيّـنت

فبرزتُ بعد برهةٍ عىٰ سبيل النزهة ، وجلستُ بالشقراء في الميدان ، وجريت علىٰ الأبلق إلىٰ صيد الغزلان ، وقصدتُ الفرجة لظرفي ، ورصت الجبهة بطرفي ، واستحليت صفات المزّه ، وصفا لي المقام ببرزه ، ورأيت قنوات السرور قد طفحت ، وما بانياسي وأبواب البسط قد فتحت ، وجسّت المغنّية الدّف ، فأطربت ، وشددت المشبه على الدف ، فاهتزت الربوة وربت ،

والزهر قد ملأ الأرض نوراً ونَوْرا ، ورأيت عاذلي في البسط تورا ، كيف يزيد من عدا من راح في الغرام وغدا ، وقد زادت حرارة قلبه ودمعه ماء بردى ، فلو رأى عروس الشام في حلل الجمال ، لقبلها من الجبهة إلىٰ الخلخال ، ولو سمع الحبك على الدف نغمات ، لتصعدت منه شوقاً إلىٰ الأنهار السبع حسرات ، تنموا بها لذة للشاربين ، وربوة ذات قرار ومعين ، شعر :

ليس في الحسن كالشآم نظير ... لا يغرَنك بالبلاد الغرور
كلما تشتهيه نفسك فيها ... وبها البشر والهنا والسرور
هذه الجنة ادخلوا بسلام ... بلد طيب ورب غفور

ولما شبب الصبا ، ومالت غصون الأشجار طربا ، انشد شعرا :

شذت الحمائمُ في الرياض فحرّ ... كت طرباً لها من ساكن الأشواق
أو ما ترى المشتاق مال لشجوها ... فكأنها جذبته بالأطواق

وفاح شذا طي نشرها المنسوق ، وانبسط العاشق والمعشوق ، وكان يحظى بالحبيب ، ولكن ما سلم من الرقيب ، وفاض سلسالها المستحلى ، وذهبت الربوة بالشرف الأعلى ، وتخلق المزح بالزعفران ، وانشد لسان الشاذروان :

لا تعجبوا لمدامعٍ أجريتها ... لما رأيت البسط قد وافاني
طفح السرور عليّ حتىٰ أنه ... من عظم ما قد سرّني أبكاني

والرياح تروي حديثها المرسل ، والنهر كلما دار تسلسل ، والروض يضحك من بكاء الغمام ، والغصن يرقص لغناء الحمام ، والربيع قد بشّر بوروده ، وبانت أعلام البان مع عيون النرجس في طلائع جنوده ، وتبسم ثغر اقاحه المنضّد ، وجدد الخليع بسطه وأنشد :

قــم هــاتها كــالأرجــوان بــروضةٍ غفل الرقـيب بـها وفـزت بـؤمنسي
وانــظر الىٰ المــنظوم مــن منثوره كأنــامل مُــدّت لأخــذ الاكــؤسِ
ويكــاد ثــغر الأقــحوان يــقبل الـ ـــورد الجـنيّ ، أو عـيون النـرجسِ

والروق تملي الأشواق من أوراقها ، وتجذب العشاق بأطواقها ، والزنبق قد خضع للورد ، وتمثل بين يديه ، وقام بواجب الخدمة ، فالراية البيضاء عليه ، شعر :

وافــا وعــرف العَــرْف فـيه عـادة فكأنــــــه والقــامة الســمراءُ
عــلم بـدا والزهــر تـحت لوائـه فــعلت عــليه الرايــة البـيضاءُ

وقد دبج عذار البنفسج وجنة الروض أي تدبيح ، وأهدت أيادي القطر لعرائس الزهر من كل زوج بهيج ، شعر :

وروضـــــة الورد لمــــنهاجها نشـــر بـــه طــي الهــنا يـبدي
وســـــائر الروض له رونــــق وإنــــما البـــهجة للـــورد

والزهر قد فرش لي أكمامه ، ونصب السوسن في موكب الروض اعلامه ، وتلقاه البسط بـالطاعة ، والنسيم بـالقبول ، وقـرعت بـاب الأدب ، فأذنت لي ضروب الأدب بالدخول ، فبينما أنزه نواظري في حدائق النظار ، وقد ظهرت من مصباح الزهر مشارق الأنوار ، وإذا أنا بسرب ظباء أو انس ، بل دوحة غصون موايس ، قنا الخط إلا أن تلك ذوابل ، فحصل لي تكميل اللذة بهذا المعنىٰ ، وشببت بمنازل الأحباب ، وما أحسن التشبيب بالمغنى ، وأسفر ذلك السرب عن ثلاث أمِنّ[1] من التعزيز ، فمامنهم إلا من جعل القلب مهره ، وقال : أنا العزيز ، وهم في روض الجمال يمرحون ، وكل في فلك يسبحون ، يتقدمهم غـزال

---

(١) م ك : امنا .

كالغزالة ، وقمر لاح من العذار في هالة ، ريقه عين الحياة ، والخضر شاربه ، وأحسن الروض ما أخضرت جوانبه ، شكل ظهر في طريق الحسن بالبياض ، وصححت حديث السحر عيون المراض ، بعطف يظهر في العطف حروف اللين ، وخصر قد انحله الردف فلا يكاد يبين ، شعر :

فخصره في خفّةٍ ... وردفه مثل الكثيب المهيل

ولانحصار الخصر في ردفه ... ضرب خفيف داخل في ثقيل

بوجه كجنة أينع روضها وأزهر ووجه جامع لكل حسن فيا حبذا الجامع الأزهر ، فيه ورد عليه دم العشاق منثور ، وثغر يزهو من صفا صفائه بدر النحور ، له مبسم لو تبسّم في الليل صيّر الظلام نهارا ، ولو استعارت الراح منه لقال شغل الحلي أهله أن يعارا ، وهو في خضر الثياب كالغصن في الورق ، ومن سواد القبع كالبدر طالع في غسق ، شعر :

لما بدا في الثياب الخضر تحت سوا ... د الشعر والخد يحكي حمرة الشفق

شبهته قمراً من تحت جنح دجىً ... من فوق غصن نقا في سندس الورق

يتلوه ظبي يصيد الأسد بمقلتيه ، حلو لانبات بعارضيه ، رشيق ريقه المدام ، معتدل الطعم والقوام ، عطفه يكاد ينعقد إذا خطر ، وطرفه يسلب العقل إذا ارسل اللحظ عشياً أو سحر ، يوسفي حسنه العزيز ، له علىٰ أقرانه في الشام تمييز ، قلت : اجعلني حفيظاً علىٰ خزائن درّ في الثنايا ثمين ، فأجابتني مراشفة ، إنك اليوم لدينا مكين أمين ، أقر له الجمال بالرق ، لما قامت آيات وجهه البينات، وقابل الغزالة باستخدام سحر طرفه ، فاقتبست منه الاشراق والالتفات ، قد أرسل اصداغاً تعطف القلوب برواتها ، وتحيّر الإنسان في بناء مرسلاتها بألحاظ كم تركت صبّاً مصاباً بالعين والنظر ، وأجفان أصلت النار علىٰ حين فترة أسفر ،

فرأيت البدر طالعاً في أطواقه قد ألبس حلة كأنما صبغت بدم عشاقه ، رماني بسهم لحظ من قوس الحاجب ، فصار يجارح اللحظ قلبي الطائر ، ولم يخطئ الواجب ، شعر :

ظبيٌ من الترك يرمي قوس حاجبه ... في قلب ناظره من أسهم الحدقِ
تضيء في الحلكة الحمراء طلعته ... كأنه قمر قد لاح في الشفقِ

وأقبل الثالث ، وعندي منه لميت باعث ، يخطر كالغصن في الاعتدال بقوام كم أتلف روحاً ومال ، اسمر عمّه الحسن بخاله ، وقد نصب بصدغه شركا ، فوقع القلب في حباله ، شعر :

في خده فخ لعطفة صدغه ... والخال حبته وقلبي الطائر

وقوامه يختال في حلة زرقاء ، كأنه البدر في أديم السماء ، تبدو في زرقتها شارق أنواره ، فتحسب الشمس طالعة في ازراره ، شعر :

قمر في الملاح أضحى بعين ... قد روينا سحر اللواحظ عنها
ولأردافه الثقال معانٍ ... ليس تحت الزرقاء أحسن منها

فما كانت تظن إلّا أتعبت الخاطر ، وغيبت رشد الحاضر ، ومن أمسى أسير العيون ، كيف يرجى له خلاص ، ومن نصب على عقله كسرات الجفون هيهات ولات حين مناص ، كيف يصل الغريب إلىٰ الوجه الحسن وسهم جفنه مرسل ؟ ، كيف يسلو عن الحبيب صبٌ ممتحن ؟ ، والدمع كلما دار تسلسل ، والعين علىٰ القلب منصوبة ، والعين تحت الكشف وهي بالشامات بالنقل مغلوبه ، والجفن مع الكرى في ممانعه ، وقد انحلت عقود الصبر خوف المقاطعه ، واحداق الحدائق باهته في رياض جماله ، والغصون واقفة بالأوراق تشكوا من لين قده واعتداله ، شعر :

له في عوالي السمر طعن اذا انثنى ... ويروي صحاح الجوهري عن الثغرِ
به صرت أرعى في الدياجي نجومها ... وأروي أحاديث السماء عن الزهري
رماني بشفع من قسّي حواجب ... ولكنها ترمي السماء بلا وترِ
تقول لنا أعطافه كلما انثنى ... ألا فانظروا كل الرشاقة في السّمرِ

وما هو إلا أن رأىٰ عيني قد انصرفت إليه ، وقلبي قد حلّ في يديه ، وعلم أن حبّه قد ملك قيادي ، وأنه من الثلاثة مرادي ، وهو الذي أضرم ناري ، وإليّ عليه لشقوتي وقع اختياري ، فرمى ونفر ، وأخذ القلب في لمح البصر ، فرجعت بخاطرٍ منكسر ، وقلت للقلب : إن لم تجد صبراً فاستعر ، وأمسيت مفكراً في هذه القصة ، وأمسيت بليلة نابغيّة ، تجود عيني بسفح الحقائق ، هكذا المحب والعاشق ، وكلما ذكرت ثغره ، تغزلت في العذيب وبارق ، وزاد بالثنايا العذاب عذابي ، شعر :

بانوا إذا قلع صبري يوم بينهم ... وبتُ فيهم بليلٍ ماله سحرُ
أجريت دمعي بحراً يوم فرقتهم ... فالصبر منقلع والدمع منحدرُ

وبتنا وقد أرخىٰ علينا العفاف ستره ، واستغنيت عن قمر الدجا لما طلع في ليل الوصال بدره ، في روضةٍ طاب ريّاها ، وتمسك الطيب بذيل شذاها ، والظبي سارح في نواحيها ، وقد تبسمت فرحاً به ثغور أقاحيها ، والغصن يثني في التثني عن قوامه ، والورد من الخجل ينثر من أكمامه ، والزنبق قائم في خدمته علىٰ ساقه ، والنرجس قد أجلسه علىٰ أحداقه ، والشقيق يندبه بوجنتيه وخاله ، والبنفسج يسحر من نرجس اللحظ بريحان العذار ويتفيأ تحت ظلاله ، وقطعناها ليلة ، ما غاب شفقها حتىٰ طلع فلقها ، وكاد يسبق أولها آخرها ، ولم يكن عيبها إلا تقاصرها ، فيالها ليلة كانت غرة في جبهة الدهر ، وغلا قدرها

بوصل الحبيب ، فحق لها أن تسمى بليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، ثم غاب مع طلوع شمسها بدرها الكامل ، وما أقبل إلىٰ العام القابل ، ووافى بعد هذه من المدة ، من الضيق والفقر في شده ، والفضة قد انفضت ، والذهب قد ذهب ، والعين تقول للقلب ، تبت يدا أبي لهب وتب ، المسكن قد خلا من كل ما يحتاج إليه ، والساكن قد جُزمت حركاته فهو يقلّب يديه ، والمكتب قد مزّقها كتائب الأفلاس ، وافضى لبس الخلاعة إلىٰ خلع اللباس ، وكان لي في ذلك السوق من اشترى الأوقات الطيبة ببيع الكسوة فقال : ما هذا الحال ؟ ، وأين ماكنت أعهدك عليه ؟ ، قلت : حال . وفتح لي باب العتاب ، فقلت : مالي طاقة بهذا الباب ، وماهي إلا تحية كانت فبانت ، ومحنة كانت فهانت ، وهكذا الدهر يتغلب ، فلا يسجن من الطير إلّا ما أطرب ، وهل يعاند الدهر إلا النفس الحميد ، وانشدت في ذلك أبياتاً من قصيدة :

فارقت أهلي وأوطاني وأوطاري ... ولا أبالي مقيماً كنت أوطاري
جردت نفسي فلا آوي إلىٰ سكنٍ ... لأن خلع عذاري فيه إعذاري
لم أعتمد منهم أصلاً علىٰ أحدٍ ... لكن أُداري الورى مادمت في داري
نعم ولولا ضرورات الزمان لما ... أرخصت في سوقكم أشعار أشعاري
فالنذل نهجره والفضل نمدحه ... وكل شيء جعلناه بمقدار

وأقول :

مزجت بمدحه نظم القوافي ... وقد ركّبتها تركيب خرجِ
نسجت له ثياب المدح حمدي ... وهل أحد له في الطرح نسجي

مناظرة بين الفصول الأربعة

يقول جامع هذه النقول، التي هي أشهى من قرط معسول النقول، إبراهيم آل عرفات القديحي القطيفي : ومما استحسنته من رسالة الإمام بدر الدين أبي محمد الحسن بن الإمام الحافظ عمر بن حبيب الشافعي[١] وهي الرحلة التي أنشأها من نشوة الصبا، وسمّاها من لطفه : (نسيم الصّبا) ذكر الأربعة[٢] فصول، التي في كل سنة : الربيع والصيف والشتاء والخريف : حضر فصول العام مجلس الأدب، في يوم بلغ فيه الأريب غاية الأرب، بمشهد من ذوي البلاغة، ومتقني صناعة الصياغة، فقام كل منهم يعرب عن نفسه ويفتخر على أبناء جنسه .

الفصل الأول :

فقال الربيع، أنا شاب الزمان وروح الحيوان، وإنسان عين الإنسان، أنا حياة النفوس، وزينة عروس العروس ونزهة الأبصار ومنطق الأطيار، عرف أوقاتي ناسم، وأيامي أعياد ومواسم، فيها يظهر النبات، وتنشر الأموات، وترد الودائع، وتتحرك الطبائع، ويمرح حبيب القلوب، وتفيض عيون الأنهار، ويعتدل الليل والنهار، كم لي عقد منظوم، وطراز وشي مرقوم، وحلةٍ فاخرة، وحليةٍ ظاهره، ونجم سعد يدني راعيه من الأمل، وشمس حسن ينشد : يا بعد مابين الجدي والحمل، عساكري منصورة، وأسلحتي مشهورة، فمن سيف

(١) ولد في حلب، ووفي فيها عام ٧٧٩ هـ. كحالة / معجم المؤلفين : ج٣، ص٢٦٦ .

(٢) م ك : الأربع .

غصن مجوهر ، ودرع بنفسج مشهر ، ومغفر شقيق أحمر ، وترسي بهار يبهر ، وسهم آس يرشق فينشق ، ورمح سوسن سنانه أزرق ، تحرسها آيات ، وتكتنفها ألوية ورايات ، بي تحمر من الورد خدوده ، ويهتز من البان قدوده ، ويخضر عذار الريحان ، وينتبه النرجس الوسنان ، وتخرج الخبايا من الزوايا ، ويفتر ثغر الاقحوان قائلاً : أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا ، شعر :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى ... حديثاً فطابت من شذاه المسالكُ

وقال : دنى فصل الربيع فكلّه ... ثغور لما قال النسيم ضواحكُ

وقال شعراً آخر :

إن هذا الربيع شيءٌ عجيبٌ ... تضحك الأرض من بكاء السماءِ

ذهبٌ حيث ما ذهبنا ودرٌ ... حيث درنا وفضة في الفضاءِ

الفصل الثاني :

فقال الصيف : أنا أنحل الموافق ، والصديق الصادق ، واللبيب الحادق ، أجتهد في مصلحة الأصحاب ، وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب ، وأخفف عنهم اثقالهم ، وأوفر أموالهم ، وأكفيهم المؤنة ، وأجزل لهم المعونة ، وأغنيهم عن شراء الفِرا ، واحقق عندهم : إن كل الصيد في جوف الفَرا ، نُصِرت بالصَّبا ، وأوتيت الحكمة في زمن الصِّبا ، بي تنضح الماده ، وتنضج من الفواكه الجاده ، ويزهو التمر والرطب ، وينصلح مزاج العنب ، ويقوى قلب اللوز ، ويلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان ، ويسكن الخفقان ، وتخضب وجنات التفاح ، ويذهب عرف السفرجل مع الرياح ، وتسوّد عيون الزيتون ، وتخلق نجاب الرارنج والليمون ، مواعيدي منفودة ، وموائدي ممدوده ، الخير موجود في مقامي ، والرزق مقسوم في أيامي ، الفقير ينصاع على مدّه وصاعه ، والغنيّ

يرتع في ملكه أو قطاعه ، والوحش يأتي زرافات ووحدانا ، والطير تغدوا اخماصاً وترجع بطانا ، شعر :

مصيف له ظل مديد على الورى ومن قد حلا طعماً وحلّل أخلاطا
يعالج أنواع الفواكه مبدياً لصحّتها حفظاً تعالج بقراطا

الفصل الثالث :

فقال الخريف : أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغموم ، وهازم أحزاب الهموم ، وحادي نجائب السحائب ، وحاسر نقاب النقائب ، أنا أصدّ الصدا ، وأجود بالندا ، وأظهر كل معنىً جلي ، واسمو بالوسمي والولي ، في أيامي تقطف الثمار ، وتصفو الأنهار من الأكدار ، وترقرق دمع العين طوراً يحاكي البقم ، وتارة يتشبه بالأرقم ، وحيثاً يبدو في حلّته الذهبية ، فيجد إلىٰ حلية القلوب الأبية ، وفيها يكفي الناس همّ اهوام ، ويتساوى فيّ لذة الماء للخاص والعام ، وتقدم الأطيار مطربة بنشينها ، رافلة في الملابس المجدده في ريشها ، وتقطر بنت العنقود ، وتوثق في سجن الدّن بالقيود ، علىٰ أنها لم تجرع إثماً ، ولم تُعاقب إلا عدوانا وظلما ، بي تطيب الأوقات ، وترّق النسمات ، وترمى حصى الجمرات ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر أنواع المشموم والمشروب ، كم لي من شجرة أكلها دائم ، وحملها النقع المتعري لازم ، وورقها علىٰ الدوام غير ذابل ، وقدود أغصانها تخجل كل قد ذابل ، شعر مفرد :

إن فصل الخريف واتى إلينا يتهادى في حليةٍ كالعروس

الفصل الرابع :

فقال الشتاء : أنا شيخ الجماعة ، وربّ الصناعة ، والمقابل بالسمع والطاعة ، أجمع شمل الأحباب ، واسدل عليهم الحجاب ، واتحفهم بالطعام

والشراب ، ومن ليس به طاقة أغلقت من أجله الباب ، أميل إلىٰ المطيع ، القادر المستطيع ، المعتضد بالبرود والفِرا ، المستمسك بالدثار بأوثق الفرا ، المرتقب قدومي وموافاتي ، المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتي ، ومن يعش عن ذكري ولم يمتثل أمري ، أرجفته بصوت الرعد ، وأنجزت له من سيف البرق ، صادق الوعد ، وسرت إليه بعساكر السحاب ، ولم أقتنع من الغنيمة بالإياب ، معروفي معروف ، ونيل نيلي موصوف ، وثمار إحساني دانية القطوف ، كم من وابل طويل المدى ، وجود وافر الجدى وقطر جلا مذاقه ، وغيث قيد العلامات إطلاقه ، وديمه تطرب السمع بصوتها ، وحيّ يحي الأرض بعد موتها ، أيامي وجيزة ، وأوقاتي عزيزة ، ومالسي معمورة بذوي السيادة ، معمورة بالخير والبر والسعادة ، نقلها يأتي بأنواعه من العجب ، ومناقلها تسمح بذهب الذهب ، وراحتها تنعش الأرواح ، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح ، إن زرتها وجدت مالاً ممدوداً ، وإن زرتها شاهدت لها بنين وشهوداً ، شعر :

وإذا رميت بفضل كأسك في الهوىٰ ‌ ‌ عادت عليك من العقيق عقودا

يا صاحب العودين لا تهملهما ‌ ‌ حرك لنا عوداً وحَرِّف عودا

فلما نظم كل منهم مقاله ، وفرغ من الكلام علىٰ شرح حاله ، أخذ الجماعة من الطرب ما يأخذه السِكر ، وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر ، وظهرت أسرار السّور ، وانشرحت صدور ، وهبّت نسمات قبول الإقبال ، وأنشد لسان الحال يقول :

وماذا يعيب المرء في مدح نفسه ‌ ‌ إذا لم يكن في قوله بكذوبِ

ثم انفضّ المجلس ، وحلّ النطاق ، وتشتّت شمل أهله ، وحلّ الفراق .

قلت : قد جمع بعضهم كافات الشتاء السبع ، المشار إليها في الفصل

الرابع ، وقال شعراً :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيس وكنّ وكانون وكاس طلا مع الكباب وشيء ناعم وكِسا

ولا شك أن كاف الكيس تجلب سائرها ، قال الشاعر :

إذا ظفرت بكافِ الكيس كفيّ ظفرتُ بمفرد يأتي بجمعِ

أشعار متفرقة

في لبس الثياب :

قيل يوم الأحد : غمّ ، الإثنين : مبارك ، الثلاثا : يسرق أو يعرق أو يحرق ، الأربعاء : يرزق البهاء الكثير ، الخميس : يرزق العلم ، ويكون مكرماً ، الجمعة : يطول عمره ، ويرزق خير ، السبت : يمرض ، وينحرق مزاجه ، إلا أن يذهب الثوب أو يباع .

في سبعة الأيام الكوامل المشهورة بالنحس ، شعر :

توقّى سبع أيام قد اكتملت   من كل شهر هلاليّ مناحسها
فثالث الشهر مذموم وخامسه   وثالث العشرة الوسطى وسادسها
كذاك حادي عشرين فخشيته   حتم ورابعها ايضاً وخامسها

غيره فيها أيضاً :

في سبعة لا تحمد حركه   جه يج بوكا وكدكه

وكنت أحفظ وأنا طفل ما بلغت الحلم في ذلك أيضاً :

محبك يهوى هواك فهل   تعود ليالٍ بصد الأول
فمنقوطة نحس كله   ومهملة فعليه العمل

للسيد محمد الكبريت :[١]

خـط ولا حـظيَ وشـعر مـاله ... شـعر أأنـثر فـيهما أم أنـظم
كم جئت أرفع قصتي ويحطّها ... حظّي وانصب والحوادث تجزم

وله أيضاً :

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم ... بما تحدث من ماضٍ ومن آتِ
فلا تعد لحديث إن طبعهم ... موكل بمعادات المعاداةِ

للشيخ حسين الجزري :

حسّاد حسنك أناملهم أسف عضوا ... وأبصارهم مذ رأوا وجهك حياً غضوا
هـووا إلى لثم اقدامك وانقضّوا ... لو كنت فضاً غليظ القلب لانفضوا

للحافظ أحمد باشا في شرب التتن :

لقد عنفونا في الدخان وشربه ... فقلت دعوا التعنيف فالأمر أحوجا
الا إن لصّ الغمّ في غار صدرنا ... عصانا فدخّنا عليه ليخرجا

ويلذّ للحقير ما قيل في الاستغناء :

ولا أقبل الدنيا جميعاً بمنةٍ ... ولا أرتقي عزّ المراتب بالذلّ
واعشق كحلاء المحاجر خلقة ... لئلا أرىٰ في عينها منة الكحل

نسخة مرهم للحكاك :

مرّ صافي ، اسفيداج صبر متساوية ، عشر أحدهما كافور ، وإن حصل وزن الكافور حشيشة الزجاج فهو أسرع للنفع ، تسحق الأجزاء ، ثم يمرهم بما تيسر من خلّ أو زيت إلى أن يمتزج .

---

(١) السيد محمد بن السيد عبد الله الموسوي المدني ، من أعلام القرن الحادي عشر ، له : رحلة الشتاء والصيف ، ونصر من الله وفتح قريب ، ومحك الدهر وغيرها . سلافة العصر : ص٢٥٦ .

صفة حب نافع مكيف :

أفيون ، مرصافي ، قشر ميعة ، زعفران ، جوز بعا ، سنبل ، أجزاء متساوية ، تعجن بالماء بعد السحق البليغ ، وجبى جيداً ، وتحبّب ، وعند الحاجة تبلع حبة واحدة كبر الماشية .

صفة حب نافعة للمعدة الفاسدة :

فلفل ، زنجبيل ، مصطكى ، كمّون ، نخوة ، يانسون ، ملح ، متساوية وزن الجميع ، سكر أبيض مصري .

شعر :

هـذا كـتاب نـفيس ... لكشـف هـمي اذخـرته
وقـد حـلفت يـميناً ... مـؤكداً لا أعـرته
إلّا بـرهن وثـيق ... لصـاحب قـد عـرفته
فـمن أراد كـتابي ... فـالشرط مـاقد ذكـرته

بدر الدين بن الأزهري :

لا تـرتجي الشـفاء إلا مـن الله ... فـإن الحكـيم رب الوجـود
وعـجيب مـن ذا الزمـان غـريب ... مسلم يـرتجي الشـفا مـن يـهودي

شهاب الحاجري :

أيمرضني الدهر الخؤون بـما دهـى ... ويخلق في وقت المضيق وعـودي
وإن رمت مـن يشـفي الفـؤاد بطبه ... فـيومي سـبتٌ والطـبيب يـهودي

الخنساء في أخيها صخر :

ألا يـا صـخر لا أنسـاك حـتى ... أفـارق عـيشي وأزور رمسـي
ولو لا كـثرة البـاكين حـولي ... عـلى أخـوانـهم لقـتلت نـفسي

ومـا يـبكون مـثل أخـي ولكـن أعـزي النـفس مـني بـالتأسي

لبعض ، وقد أهدى سيفاً لصاحبه ، وقد قطع المودّة عنه :

حـملت الحسـام إلىٰ مسـلم ولم أك فـي سـلّة جـاهلا
وشـاهدته مـرهفاً قـاطعاً فـصيّرته بـيننا واصـلا

غيره :

بـعثت هـديتي لكـم وليست بـقدرك فـي القياس ولا بـقدري
ولكـن حسب إمكـاني وأرجـو لديك قـبولها وقـبول عـذري
فـدع كسـر القـلوب فـفي حسـاب يكـون لهـا مـقابلة بـجبري

علاءِ الدين بن الأبتر :

بـالله إلا مـا قـبلت هـديتي وجـعلت لي فـضلاً علىٰ الأقـران
فـالبحر تـنشأ مـنه كـل سـحابة صـدرت ويـقبل فـاضل الغـدران

غيره :

تُـزف إليك أبكـار المـعاني وسـائرها لنـا مـنه اكـتساب
ونـحمل مـن نـداك إليك مـالاً فأنت البـحر يـمطره السـحاب

قلت : بعين المعنى في غرف الغمام من البحر المالح ، قول الشاعر المذكور ، في شرح القطر :

شـربنَ بـماء البـحر ثـم تـرفعت مـتى لجـج خـضر لهـن بـنيج

وسمعت من الأستاذ : أن السحاب في حال ارتفاعه من البحر المالح إلىٰ السماء ، يعذب الماء من الهواء ، ومن مباشرته لجرم الغيم ، ويحلو ، ثم يمطر حيث أراد الله تعالىٰ .

غيره :

لو فــــرضنا أن الهــــدية ... لا تــحمد إلا نــهاية المـطلوب
شــقّ هــذا عــلىٰ المـقل ولكــن ... مـن صـفات الكـرام جبر القـلوب

ابن الرومي يهجو رجلاً طويل اللحية :

إن تـطل لحـية عـليك وتـعرض ... فــالمخالي مــعمولة للــحمير
عــلق الله فــي عــذاريك مـخلاة ... ولكــــنها بــــغير شــعير

شعر :

دواوي الأمــــير له دواة ... شـبيه اليـاسمين بـغير صـوف
تـرىٰ قـلم الأمـير يـغوص فـيها ... شـبيه عـصيدة فـي حـق صـوفي

غيره :

ونــــباتة لهــــا ورق وظــــل ... ولحــــم نــــاعم ولهــــا عــــظام
لهــا عـينان تـنظر مـن يـراهـا ... وتــفهم مـا يـقال مـن الكـلام

هي[1] ع ص ا ة م و س ى

غيره :

غـــطو بـــدا لي مــافيه الدواعــي ... ابيض يحاكي شعاع الشـمس لمّـاع
واسود بلون الدجا الفـاحم الواعـي ... وخمسة يـا عـلي قـدامـهم سـاعي
يبنوك بالعلم لو كان الخبر ضاعي

هذا ظاهر ، فإن الأبيض : الورق ، والأسود : الحبر ، والخمس : الأنامل ، فإن الخنصر والبنصر كالكرسي إلىٰ العوامل الثلاثه ، والساعي : القلم .

---

(١) م ك : ساقطة ويكون معنىٰ هذه الحروف المتفرقة : (عصاة موسى) .

خواص فاتحة الكتاب

لبعض أهل الأسرار في خواص فاتحة القرآن الكريم ، شعر :

إذا ما كنت ملتمساً لرزق ونجح القصد من عبدٍ وحر
ففاتحة الكتاب لأن فيها لما أمّلت سراً أي سرّ
فداوم درسها في كل وقت وفي صبح وظهر ثم عصر
وعند صلاة مغرب كل يوم إلىٰ التسعين أتممها بعشر
تنل ما شئت من عزٍّ وجاه وعظم مهابةٍ وعظيم قدر
فإنك إن فعلت أتاك آتٍ لما يغنيك عن زيد وعمر

قلت : قد سأل الحقير سنة العشرين بعد الألف والمايتين بالمشهد الرضوي ، بعض متصوفة خراسان أن يدلّه علىٰ المرشد النافع ، فقال : أجزتك أن تتلو هذه الآية : ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾[1] مائة مرة ومرة واحدة ، أربعين يوماً دبر كل مكتوبة ، لا تفصل بكلام ، فقلت : ما الخاصيّة ؟ ، قال : ترىٰ في اليوم العاشر ـ وإلّا فلا يتجاوز المدة المضروبة للعمل ـ من يرشدك من غير أبناء جنسك ، وترى شخصاً عياناً نوماً ويقظةً ، متىٰ طلبته ، وإياك أن تنقص الطهارة قبل إكمال العدد ، فقلت في نفسي : هذه الخاصية في تلاوة هذه الآية من الأسرار المكنونة ، فلابدّ أن أعمل بذلك ، فانقضت المدة المضروبة ، ولم أر أحداً فراجعت الصّوفي ، وقلت : أنا أحب أن

(١) الأنبياء : ٨٧ .

أشاهد كرامة وعلامة من أرباب الطريقة المتصوفة ، عسىٰ أن أكون لك من بعض أتباعك المريدين ، فقال أعملت بما منحتك ؟ ، فقلت : هات غير ذلك ، فإني عملت وواضبت وتحفظت ، فلم أر أحداً ، فلوى بوجهه ، وأعرض ، فلحقته ، وقلت له في ذلك ، فقال : أنت لا تعتقد ، وأسرارنا منوطة بالإعتقاد ، فافترقنا .

وطريقة قراءة الفاتحة علىٰ ما أفاده بعض المرشدين : أن تبدأ بالقراءة بعد العشاء الآخرة ، وتختم بالمغرب وهكذا تقرأ بعد العشاء ثمانية عشر مرة ، وبعد الصبح ستة وعشرين مرة ، وبعد الظهر أيضاً ستة وعشرين مرة ، وبعد العصر أربعة وستين مرة ، وبعد المغرب عشر مرات ، فهذه ماية وأربعة وأربعين مرة ، تكرر الحمد ماية يوم ، فإنك تنال مقصودك ، وما أضمرت عليه ، والله أعلم .

وأعلم وفقت للخيرات : أن السلامة في الكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ، وعنه ﷺ : (من كتم سره ، ملك أمره) .

حكاية الأصمعي

ويلذ لي، ويطرب سمعي، ما حُكي عن الأصمعي ـ قاتل الله الأصمعي ـ، كانت الحكاية المستظرفة، والنوادر المستطرفة لباساً، وفصل على قامته، وإن كانت أكثرها من أكاذيبه، لمنادمة أهل خاصّته، وليتني أظفر بما كتبت يمينه، واقتطف حلو صدقه ومكامينه، ولم أعثر على مصنفاته إلا على قصة عنتر، لكنه سطرها في سبعة عشر مجلداً أو أكثر، حكى أبو القاسم، أحمد بن الحسين عن الأصمعي، قال: دخلت البصرة، وأنا أريد بادية بني سعد، وكان المتولي على البصرة: خالد بن عبد الله القسري، فدخلت عليه ذات يوم، فرأيت قوماً دخلوا عليه بشاب ذي جمال وكمال، وبوجه باهر، وأدب ظاهر، حسن الصوره، طيّب الرائحة، عليه وقار، فقدموا به على خالد، فسألهم عن قصّته، فقالوا له: هذا لصّ، أصبناه البارحة في منزلنا، فنظر خالد إليه، فأعجبه حسن هيبته ونظافة حاله، فقال لهم: خلّوا عنه، ثم دناه وأدناه، وسأله عن قصته، فقال: إن القول ما قالوه، والأمر كما ذكروه، فقال له: ما حملك على ذلك وأنت ذي هيبة جميلة، وصورة حسنة، فقال: حملني عليه: الشره في الدنيا، وقضاء الله عز وجل، فقال له خالد: ثكلتك أمك، أما كان لك في جمالك، وكمال أدبك، وحسن عقلك زاجر يزجرك عن السرقة، فقال الفتى: دع عنك هذا الكلام أيها الأمير، فسكت خالد يفتكر في أمره، ثم أدناه منه وقال[1]: إنه قد رابني أمرك،

(١) م ك: ساقطة.

واعترافك بالسرقة علىٰ رؤوس الأشهاد ، وما أظنك سارقاً ، ولكن لك قصة غير السرقة ، فأخبرني ، فقال الفتى : أيها الأمير ، لا يقع في نفسك غير السرقة ، كما اعترفت به ، وإني دخلت إلىٰ دار هؤلاء ، وسرقت مالاً ، فأدركوني ، فأخذوه مني ، وحملوني إليك .

قال : فأمر بحبسه ، وأمر مناديه أن ينادي في البصرة : من أراد أن ينظر إلىٰ عقوبة فلان اللص ، فليحضر غداً ، فلما استقر في الحبس ، ووضع في رجليه الحديد ، تنفس الصعدا ، وانشد يقول شعراً :

هددني خالد بقطع يدي ... إذ لم أبح عنده بقصّتها
فقلت هيهات أن أبوح بما ... تضمّن القلب من محبّتها
قطع يدي بالذي اعترفت به ... أهون عندي ولا فضيحتها

قال : فسمعوه ، فأتوا به خالداً ، فأخبروه بالشعر ، فلما جنّ الليل ، أمر خالد بإحضاره بين يديه ، فلما حضر ، استعطف خاطره ، فوجده أديباً عاقلاً ظريفاً ، وحادثه فأعجبه منه ذلك ، فأمر له بطعام ، فأكل معه ، وآنسه ، ثم قال له : يا فتى : قد عرفنا قصّة لك غير السرقة ، وأنت تخفيها ، وأن لا أكلفك إظهارها ، ولكن غداً إذا حضر القاضي والشهود ، وسألتك عن السرقة ، فأنكرها ، ولا تعترف بها ، وإن كان ولابد من اعترافك ، فاذكر فيها شبهة تدرأ عن قطع يمينك ، فقد قال رسول الله ﷺ (ادرءوا الحدود بالشبهات) ، ثم أمر به ، فأعيد إلىٰ السجن ، فلما أصبح ، جاء الناس ، ولم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة إلا حضر ليروا العقوبة ، فأقبل يحجل في قيوده ، فلما وقع أبصار الناس عليه ، ارتفعت لهم ضجة بالبكاء رحمةً له ، وشفقة علىٰ حسن ذلك الشاب ، وبكى خالد لبكائهم عليه ، ثم أمر خالد بتسكين الناس ، ثم أدناه إليه ، وقال القوم يزعمون أنك

دخلت دارهم ؟ ، وأخذت مالهم ، فقال : القول والأمر على ما ذكروه ، فقال له خالد : لعلك سرقت شيئاً دون النصاب ؟ ، فقال : بل سرقت نصاباً كاملاً ، فقال : لعلك أخذته من غير حرز ؟ ، فقال : بل أخذته من حرز مثله ، فقال : لعلك شريك القوم فيه ؟ ، قال : بل جميع لهم ، ولاحق لي فيه ، فعند ذلك غضب خالد ، وقام إليه ، وضربه بسوط على وجهه وهوى ـ أي خالد ـ متمثلاً في شعر :

يريد العبد أن يُعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما يريدُ

ثم إن خالداً ، دعا[1] بالجزار ، يقطع يديه ، والناس يبكون وينتحبون ، فبادرت جارية من بين النساء ، عليها إزار وسنح ، فصرخت صرخة عظيمة ، ورمت[2] نفسها على الشاب ، ثم إنها أسفرت عن وجه كأنه القمر ليلة أربعة عشر ، بطرف كحيل ، وخد أسيل ، وعنق طويل ، وخصر نحيل ، كما قال فيه بعض واصفيه :

جاءت مبرقعة فقلت لها اسفري ... عن وجهك القمر المنير المبدرِ
سفرت فبان من النقاب المعلم ... قمر تجلّى جنح ليلٍ مسفرِ
شالت نقاب الحسن عن وجناتها ... فتساقط المرجان فوق الجوهرِ
حجّت فافتنت الجميع بحجها ... وسعى إليها كل حج أغبرِ
ولقد هممت بقتلها من حبها ... حتى تكون خصيمتي في المحشر
ونكون أول عاشقين تحاكما ... قدّام ربي والخلائق تنظرِ
يارب طيل على الصراط وقوفنا ... حتى أكرر في جيبي منظري

قال : فلما رأها الناس ، ارتفع لهم ضجة عظيمة ، كاد أن يقع فيها فتنة ، ثم

(١) م ك : ادعى .

(٢) م ك : وأرمت .

إنها نادت بأعلى صوتها : ناشدتك الله يا أمير ، لا تعجل عليه حتىٰ تقرأ هذه الورقة ، ورفعت إليه رقعة ، ففضها ، وإذا فيها شعر :

أخالد هذا مستهامٌ متيّمُ — رمته لحاظي من سيوف الحمالقي
فأظماه سهمُ اللحظِ مني فقلبه — حليف الجوىٰ من ذابه غير فائقِ
أقرّ بما لم يقترفه فإنّه — رأىٰ ذاك خير من فضيحة عاشقِ
فأنت الذي لا يرتجىٰ اليوم غيره — لدفع ملماتِ الخطوب البوارقِ

فلما قرأ خالد الشعر ، أمر الناس أن بتنحوا عن الشاب ، ثم أمر بإحضارها إليه ، وقال لها : أخبريني عن جليّة القصة ، فأخبرته : أن الشاب عاشق لها ، وهي له كذلك ، وأنه زارها ، وأراد أن يعلمها مكانه ، فرمى بحصاةٍ ، فسمع أبوها وأخوها صوت الحصاة ، فقاموا إليه فوجدوه في الغرفة ، فلما رأهم[1] ، جمع قماشاً من البيت وجعله كارة ، وحمله علىٰ قفاه ، فمسكوه ، وقالوا : هذا لص ، وأتوا إليك فاعترف بالسرقة ، وأصرّ علىٰ ذلك كيلا يفضحني بين قومي ، وهان عليه قطع يده ، لكي يستر عليّ ، ولا يفضحني ، وإنما فعل ذلك من كرمه وفتوته وغزارة مروته ، فقال خالد : إنه لحقيق بالإكرام .

ثم إن خالداً استدعاه إليه ، وقبل مابين عينيه ، وأمر بإحضار الجارية وأبوها ، وقال : يا شيخ ، إنا كنا عزمنا علىٰ إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ، إلا أن الله عصم من ذلك ، وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لكونه بذل نفسه ويده حفظاً لعرض ابنتك وعرضك ، وصيانة لها من الفضيحة ، وقد أمرت لابنتك أيضاً بعشرة آلاف درهم نظيره ، وأنا أسألك أن تأذن لي بزواجها له ، قال الشيخ : قد أذنت لك في ذلك ، فأمر خالد باحضار المال ، ثم إنه خطب خطبة حسنة ،

---

(١) م ك : بهم .

وقال للفتىٰ : قد زوجتك فلانة بإذنها وإذن أبيها علىٰ هذا المال الحاظر ، فقال الفتىٰ : قبلت هذا التزويج ، ثم إنه أمر بحمل المال إلىٰ دار الفتى ، مزفوفاً بالصّواني ، وانصرفت الناس مسرورين ، ولم يبق بسوق البصره أحد إلا نثر عليهم الدراهم واللّوز والسكر حين دخلا مزفوفين .

قال الأصمعي : فلم أر أعجب من ذلك اليوم ، أوله بكاء ونوح ، وآخره سرور وفرح .

حكايات متفرقة

وحكي الخرايطي[1] في كتابه الذي سمّاه بـ(اعتلال القلوب) : أن شخصاً من بني تميم ، ضلت له ناقة ، فخرج إلى حيّ بني شيبان ينشدها ، إذ أبصر جارية ، كأنها الشمس حسناً وجمالاً ، فعشقها عشقاً مبرحاً ، فرجع إلىٰ قومه ، وقد أذهبت عقله ، فما تمالك أن رجع إلىٰ حيّهم ، فلما هدأ الليل ، قال : لعلّ مابي يسكن بالنظر إليها ، فأتاها وهي جالسة وأخوتها نيام ، فقال لها : يا قرة عيني ، والله اذهب الشوق عقلي ، وكدّر عليّ عيشي ، فقالت : امضِ إلىٰ حالك ، وإلا نبّهت إخوتي ، فيقتلوك ، فقال لها : إن القتل أهون مما أنا فيه ، فقالت : وهل يكون شيء أشد من القتل ؟ ، قال : نعم ، ما أنا فيه من حبك ، قالت : فما تريد ؟ ، قال : مكنيني من يدك حتىٰ أقبلها ، وأضعها علىٰ قلبي ، ولك عليّ عهد أني أرجع ، ففعلت ، فرجع ، فلما كانت الليلة القابلة ، عاود ، فوجدها علىٰ مثل حالها، فقالت كقولها الأول ، فقال مكنيني من شفتيك حتىٰ أرتشفها وأنصرف ، فلما فعل ذلك وقع في قلبها منه لهيب النّار ، فأقبلت تلقاه كل ليلة ، حتىٰ فطن بهما أهل الحيّ ، فقعدوا لطلبه طول ليلتهم ، فأرسلت إليه : إن القوم يريدونك ، فكن علىٰ حذر ، وإياك الغفلة ، فجاءت السماء بمطر حال بينهم وبينه ، ثم إنجلت السماء وطلع القمر ، فتطيّبت الجارية ، ونشرت شعرها ، وأُعجبت

---

(١) محمد بن جعفر السامري ، الخرائطي ، له : اعتلال القلوب في أخبار العشاق ، فضيلة الشكر وغير ذلك . ت ٣٢٧ هـ. كحاله / معجم المؤلفين : ج ٩ ، ص ١٥٤ .

بنفسها ، واشتهت أن يراها علىٰ تلك الحالة ، فقالت لترب لها ـ قد كانت اطلعتها علىٰ شأنها ـ : ساعديني علىٰ المضي إليه ، فخرجتا تريدانه ، وهو علىٰ الجبل خائف من الطلب ، فبصر بشخصين يسريان في ضوء القمر ، فلم يشك أنهما جاءا[١] ليقتلانه ، فأخرج كنانه ، فرمىٰ سهماً إليهما ، فما أخطىٰ قلب صاحبته ، فسقطت لوقتها مخضبة بدمها ، فلم تزل تضطرب ، حتىٰ ماتت ، فانحدر من الجبل ، وتأمل في الشخص المقتول ، فوجده صاحبته بعينها فبهت شاخصاً ينظر إليها ، وهو يبكي ، ويقول هذا البيت :

تبكي وأنت قتلتها فاصبر والا فانتحر

ثم انه أخرج نبلة من كنانته ، وجمع الجميع ، وجعلها في أوداجه ، وما زال يغرز نحره ، حتىٰ قتل نفسه .

حكي أن مجوسياً مات ، وخلّف مالاً كثيراً وولداً ، فأخذ الولد يتصدق عن أبيه ، فقصده رجل من أهل التصوف من المسلمين ، وكان له حمار ، يركبه دائماً ، وجاء إلىٰ ولد المجوسي ، وقال له : إنني ذو عيال وفقير ، وسمعت أنك تتصدق عن أبيك ، وقد قصدتك تعطيني ، فقال له : إن صدقتي لا أعطيها إلا لأهل ملتي ، وأنت رجل مسلم ، فقال له الصوفي : وكيف ملتك ، فقال : إنّا لا نتختّن ، ولا نغتسل من جنابه ، ولا نصلي ، ولا نزيل الجنابة ، ونتزوج بالأم والأخت والبنت ، فقال له الصوفي : إذا كان الأمر علىٰ ما تقول : فلا يحل لي أن آخذ شيء من صدقتك ، ولكن أعط حماري ، فإنه علىٰ دينكم ، وتابع ملتكم ، كل هذه الأوصاف مجتمعة فيه وزيادة ، فإنه حقيق بصدقتك ، قال : فخجل المجوسي ، وقال : لعن الله ديناً يشبه أفعال الحمير ، ثم إنه دفع للصوفي مالاً

---

(١) في الاصل : (جاء) والصحيح جاءا . ع .

جزيلاً ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأسلم علىٰ يديه ، وأحسن إسلامه .

قيل : وجد رجل عند سائل طعاماً ، فقال : هب هذا الطعام لي ، فقال : هذا من سوء الأدب ، الساعة كما أخذناه منه ، نرده إليه في الوقت ، لا يكون ذلك أبداً .

وقيل : سأل رجل أبا إسحاق الزجاج عن معنىٰ قول الرجل للمرأة : ياستي ، فقال : كأنه يقول لها : يا أعز من حماتي الست ، والله أعلم .

ومن الجوابات المستحسنة : ما يحكىٰ عن إبن هاني أنه تزاحم مع امرأة ، فقال لها : أفٍ ما أكثرن ، فقالت : هذا ونحن كثيرون ، وأنتم تلوطون !! ، فكيف لو كنا قليلون ، ما كنتم تصنعون ؟!

قيل أن ابن الراوندي سمع قارئاً يقول : ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ، فتصدق بدراهم عدة ، وانتظر ، فلم يتجدد له شيء ، فدخل إلىٰ المسجد ، وأخذ فراشه عوض دراهمه .

نقل عن بعض قال : أضافني تاجر باليمن ، فأشترى لحماً ، وجاء به إلىٰ منزله ، وأشار إلىٰ قرده عنده أن يحرصه ، فجاءت حدأة والقرد غافل ، فأختطف اللحم ، وبقي القرد في حيرة ووجل من صاحب المنزل ، وكان في الدار نخلة ، فصعد القرد إلىٰ أعلاها ، فجعل رأسه إلىٰ تحت وأسته إلىٰ فوق ، وأسته مع أصول فخديه أحمر يشبه اللّحم ، فاتفق أن انقضت الحدأة عليه ، فلما نقرت أسته ، انقلب القرد ، وقبض عليها ، ونزل بها إلىٰ الدار ، وحضرت أنا والرجل ، وأكلنا من حواضر السوق ، فتقدم القرد إلىٰ الحدأة ، ونتف ريشها بيديه ، والحدأة تصيح ، فذبحها القرد وشواها ، وقدّمها لنا ، فامتنعنا من أكلها ، وأشرنا إليه : أن كلها أنت ، فشرع القرد يقطع من لحمها ويأكله ، وصار يتلمظ ، كأنه

يشتفي بأكلها لخطفها اللحم الذي يحرسه .

نقل عن بعضهم ، قال : كنت في السياحة ، فوصلت إلىٰ جزيرة في اليمن ، كلها قردة ، فتلطفت حتىٰ صرت قريباً منهم ، فرأيت قِرْدَةً جالسة وعلى فخذها قرد نائم ، وإذا بقرد آخر أشار إيها ، فوضعت رأس القرد عن فخذها كما كانت ، فلما أفاق القرد شمّ رائحة مواقعة ذلك القرد ، فصرخ وانتفخ ، والقرود تسمع صراخه ، وهم يجتمعون إليه أفواجاً أفواجاً ، فلما اجتمع كلهم ، رجموها بالحجارة ، إلىٰ أن ماتت ، فتعجبت من ظهور حكم الله في القردة إلهاماً ، والله أعلم .

قصة خرافة

وفي (شرح المقامات الحريرية) للشريشي ، في قول الحريري : (فاعجبوا لخرافته ، واستعيذوا من آفته) .

قال : خرافته : أراد به الحديث الملهي ، وحديث خرافة مثل سائر علىٰ ألسن الناس في القديم والحديث ، لكل حديث لا حقيقة له ، ووقع في حديث المفضل عن عائشة (رض) ، أنها قالت للنبي ﷺ : حدثني بحديث خرافة ، فقال : رحم الله خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، خرج عليه ذات ليلة ثلاثة نفر من الجن ، فلما اختطفوه ، قال أحدهم : أطلقوه ، وأعفوا عنه ، وقال الآخر : بل نستعبده ، فبيناهم كذلك ، إذ ورد عليهم رجل ، فسلم عليهم ، فردوا سلامه ، فقال : من أنتم ؟ ، قالوا : ثلاثة من الجن ، قد أسرنا هذا الرجل الأنسي ، فقال : إن حدثتكم بحديث عجيب ترتاح قلوبكم من غرابته ، تشركوني فيه ؟ ، قالوا : نعم .

قال : إني كنت ذا نعمة ، فزالت نعمتي ، وركبني الدين ، فخرجت هارباً علىٰ وجهي ففي البرّ الأقفر ، فأصابني عطش شديد ، فلاحت لي بئر ، فجئت لأشرب ، فصاح بي منها صائح : لا تشرب ، فتنحيت عنها ، ولم أشرب ، فغلبني العطش ، وشربت ، فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوّله رجلاً ، فما استتم دعاءه ، حتىٰ كشفت عن حالي ، فوجدت نفسي امرأة حسناء ، فأتيت مدينة ، فتزوجني رجل ، فولدت له ولدين ، ثم إني اشتقت إلىٰ بلدي ،

فسرت إليها ، ومررت على تلك البئر ، فسمعت الصائح منها ، فشربت ولم التفت إليه ، فدعا الله تعالى مثل الأول ، فعدت رجلاً كما كنت فأتيت بلدي وتزوجت امرأة ، فولدت لي ولدين ، فصارت لي الآن أربعة أولاد ذكور ، اثنان من بطني ، واثنان من ظهري ، فقالوا : إن هذا لحديث عجيب ، أنت شريكنا ، فبيناهم كذلك يتشاورون في أمر خرافة ، إذ ورد عليهم ثور بقر يطير ، فعجبوا بطيره فلما جاوزهم إذ ورد عليهم رجل شايب ، وبيده خشبة ، يركض على إثر الثور ، فسلم عليهم ، فوقف عندهم ، وسألهم عن اجتماعهم ، فأخبروه بخبرهم ، فقال : وأنا إن حدثتكم بحديث أعجب وأغرب ، تشركوني معكم فيه ، فقالوا : نعم . فقال : كان لي عم مؤسر ، وكان له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة وكان لعمي عجل بقر صغير يربّيه ، فانفلت ، فقال : أيكم ردّه ، فابنتي له . فتقدمت أنا ، وأخذت هذه الخشبة التي في يدي ، وقفوت أثر العجل ، وأنا صبّي ، وقد شبت ، وهو عجل ، وقد صار ثوراً كبيراً ، ونبت له جناحين ، فهو يطير بهما ، وأنا أقفوا أثره ، وإلى الآن ما لحقته كما ترونه وتروني ، فقالوا : إن هذا لأعجب وأغرب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون في أمر خرافة ، إذ ورد عليهم رجل ثالث ، وهو راكب على فرس انى ، ومعه غلامه على فرس ذكر ، فسلم عليهم فردوا عليه السلام ، ثم سألهم فأخبروه الخبر ، فقال : وأنا إن حدثتكم بحديث عجيب ، تشركوني معكم فيه ؟ ، قالوا : نعم .

قال : كان لي أمّ خبيثة ، وهي هذه ، وأشار إلى الفرس التي تحته ، وكنت أتهمها بعبد خبيث ، وهو هذا ، وأشار إلى الفرس الذكر التي تحت غلامه ، فوجهت بغلامي هذا الذي معي ذات يوم إليها ، في بعض حاجاتي ، فحبست الغلام عندها ، فنام الغلام ، فرأى في المنام كأنها صاحت صيحة ، فإذا بجرذ كبير

قد خرج إليها ، فقالت له : يا جرذ احرث ، فحرث ، ثم قالت له : ازرع ، فزرع ، ثم قالت : احصد ، فحصد ، ثم قالت : دُس ، فداس ، وجمع الحبوب لها ، فدعت برحا ، فطحنت قدح سويق ، وأتت به الغلام ، وقالت : خذه ، واذهب إلىٰ مولاك ، فاسقيه إياه ، فأتاني الغلام بالقدح السويق ، وأخبرني بخبره ، فتناولت القدح ، وأتيت إليها ، واحتلت عليها حتىٰ سقيتها إياه ، وإذا بها وقد صارت هذه الفرس الأنثى ، التي تحتي وإذا بالعبد الفاعل أيضاً قد صار الفرس الذي تحت غلامي ، ثم إن الرجل أشار إلىٰ الفرسين ، وقال : أهكذا جرى ؟ ، فقالا برأسيهما : نعم كذلك هو ، فقالوا : إن هذا لعجيب ، وأعجب شيء سمعناه ، أنت شريكنا ، فخلصوا نجياً ، وتشاوروا ، فاجتمع رأي الستة علىٰ عتق خرافة ، فعتقوه ، وأطلقوه .

قال الراوي : فلما أتىٰ خرافة إلىٰ منزله ، حدث أهل بلده بحديثه وحديثهم ، فصار أهل بلده ، كلما أتى من الأحاديث العجيبة التي لا أصل لها ، ينسبوها إلىٰ خرافة ، صاحب هذه الأحاديث ، ويقولون : هذه أحاديث خرافة ، وهذه الأحاديث الخرافية .

قلت : ولا يشك عاقل في أن هذا الحديث عن عائشة من الأحاديث الموضوعة ، ونبينا ﷺ أجل قدراً من أن يحدث عائشة بمثل هذه الخرافات والأكاذيب ، فإنه ﷺ لا يلهى ولا ينطق عن الهوى ، ولعل هذا المثل أصل أخذه ومادّة اشتقاقه ، من قولهم : قد خرف الشيخ ، وكبر ، فإن المادة اللغوية ، أقدم من صوغ الأمثال السائرة ، والله أعلم .

حكايات متفرقة

ونقل أنه لما فتح هرثمة الكوفة ، وسبى كل من[١] فيها من النساء ، كان في جملة السبي جارية يهودية ، كاملة الحسن والجمال ، فعشقها هرثمة ، وتمنّاها كل من[٢] معه إلىٰ نفسه ، فلما علمت بذلك ، رفعت صوتها ، وقالت : أيها الملك ، معي علماً[٣] تحتاج إليه ، قال : ماهو ؟ ، قالت : إني تعلّمت السحر والكهانة والعلوم الغريبة من أبي ، وأخبرني أنك تقتل ملك أهل الكوفة ، وتغلب علىٰ أهلها ، وتفتح أكثر البلاد ، وأن خيلك تشرب من ماء دجلة ، فأعجبه قولها وسرّ به ، ثم قال : وكيف لي بعلم صحة ما تقولين ؟ قالت : برهاني حاضر ، اضرب عنقي ، فإذا سقط رأسي عن بدني ، أخذته بيدي ، وركبته إلىٰ جثماني ، وأعود كما كنت حيّةً سميعةً بصيرةً ، فالتفت إلىٰ أصحابه ، وقال : لا دليل أعظم من ذلك ، فجرّد سيفه ، ودفعه إلىٰ بعض غلمانه ، وقال : اضرب عنقها ، فلما رأت الجارية السيف بيد الغلام ، استوت جالسة ومدّت عنقها فأطاح الغلام بالسيف رأسها ، ثم إن هرثمة انتظر الجارية ساعة لتعود إلىٰ حال الحياة كما ذكرت ، فلم تعد ، فالتفت إليه بعض أصحابه ، وقال : أيها الملك إن هذه اليهودية عملت هذه الحيلة ، واختارت القتل علىٰ هتكها مع الأسارى المسبيّة ، فأمر

---

(١) في الأصل : (كلمن) .

(٢) في الأصل : (كلمن) .

(٣) والصحيح معي علمٌ .

بدفنها ، وزاد عجبه إلىٰ الغاية .

ومما يناسب هذا النقل ، ما يحكى أن ملكاً من الملوك الكفرية ، لما فتح خراسان ، أُحضرت إليه في الأسارىٰ جارية فائقة الجمال ، أخذت بمجامع قلبه ، وأخوتها معها أسارى ، فلم يتمالك نفسه ، حتىٰ اجتذبها ، وأراد الفسق بها ، فلما علمت بذلك ، استغاثت إخوتها ، فلم يكن لهم به قوة ، فقالت : أيها الملك ، لا تعجل ، حتىٰ أتحفك بتحفة ، قال : وماهي ؟ ، قالت : معي حرز موروث ، إذا حمله الإنسان وضرب بالسيف ، لم يقطع فيه ، وينبوا عنه ، فأخرجته ، وقبضت عليه ، وقالت : قد جُرّب مراراً ، وإن أردت أن تعرف صحة ذلك ، فاضربني بسيفك هذا ، حتىٰ تشاهد أنت بعينك .

قال الراوي : فجرّد الملك سيفه ، وضربها ، فقطعها نصفين ، فندم حيث لا ينفع الندم ، وكان مرادها أن لا يفسق بها الملك الكافر بحضرة إخوتها ، واختارت القتل علىٰ ركوب إخوتها العار بذلك الفجور .

ولنذكر نبذة من نوادر الظرفاء الكذابين ، قال بعضهم : رأيت عند بعض الصيادين سلحفاة عرجاء ، وهي تطبخ ، وترش المكان بالماء ، وتكنسه ، وزعم أنه ربّاها وهي صغيرة ، وعلّمها كل شيء ، حتىٰ حفظت عشر سور من القرآن .

وقال آخر : رأيت بالبصرة رجلاً ضريراً ، يعلم الناس الخط .

وقال آخر : رأيت بمصر تمساحاً ، يقص الثياب ، ورأيت باليمن قروداً تلعب الشطرنج ، ورأيت بالغرب نخلة ، تحمل سنة رطباً وسنة زيتوناً .

وقال آخر : رأيت ذرّة ، تقرأ ديوان امرئ القيس من أوله إلىٰ آخره ، ورأيت بأرض اليمن أفيلة ، يحملون الجنائز علىٰ رؤوسهم ، ويغسلون الموتىٰ ، ورأيت ذرّة ، تقرأ ديوان المتنبي في نفس واحد .

أحوال الطفيلية

يقول جامع هذه النقول ، وصايغ هذا الكشكول : إبراهيم بن مهدي آل عرفات القديحي القطيفي : الباعث على صوغ هذا الكشكول ، وحياكة هذه المخلاة ، هو : تمريني على باب الأدب ، وتكميل نفسي بممارسة أشعارهم ، ومزاولة نقولهم ، فإذا شربت من سؤر الأدباء ، وكرعت فضلة كأسهم ، يكون قد تشبّهت بهم ، وتخلقت بأخلاقهم ، ولم أبعد كل البعد عنهم ، فإذا ارتقيت مراقيهم ، وبلغت مبالغهم ، وطال باعي ووسع اطلاعي ، وظفرت بملح النوادر ، وغريب النقول ، وعثرت على محاسن الأشعار والأمثال ، واللطائف والقصص والتواريخ ، تهذّبت نفسي ، ولطفت شمايلي ، وصرت من أهل الأدب والحكمة ، وانشدت في محافل الأدباء ، ومجالس أهل التجربة ..

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية ارشد

فاستنار بحضوري مجلس الأنس ، ولم استحق خمول الذكر والرّمس والدمس .

واعلم يقيناً : أني لم يسعني أن لا أفوه ، وأرسم في هذا الكشكول إلا الصدق ، فلا تعتمد على نقلي فيه ، فربما زدت ، وربما نقصت ، وربما غنّيت ، وربما رقصت ، وعذر صاحب الكشكول الملهي قائم معه ، وإذا استمع المتخلي في الخلا ، فالخلا موضعه .

ولنذكر بعض أشياء من أحوال الطفيلية ومصطلحاتهم .

قيل أن للطفيلية في أسماء الأطعمة اصطلاحات ، فالخبز اسمه : ابو جابر ،

والسفر : بساط الرحمة ، والقدر : أم الخير ، والزبادي والصحون : إخوان الصّف ، والأطعمة المأكولة : نزهة القلوب ، والرز المفلفل : الشيخ الكريم ، والرز الحلو : المؤمن الظريف ، والشوي : المعذّب الشهيد ، والدجاجة : أم حفص ، والفراريج : بنات نعش ، والطشت والإبريق قبل الطعام : مبشر وبشير ، وبعد الطعام : منكر ونكير .

وقيل لطفيلي : أوصني ، فقال : إذا صادفت طعاماً ، فكل كفايتك ، ولا تقل في نفسك لعلي أصادف أطيب منه ، فذلك وهن منك وحماقة ، وقلة عقل ، وإذا وجدت ، فكل منه أكل من لم يره ، وتزود منه زوّادة من لا يعود إليه .

وقيل لآخر : أوصني ، فقال : إذا كنت علىٰ مائدة ، فلا تتكلم ، وإن كلّمك أحد فلا تجبه إلا بنعم ، ولا تكثر من شرب الماء ، فإنه يصدك عن الأكل ، واجتهد أن تكون لقمة في فمك ولقمة في يدك ، وعينك منتظرة إلىٰ لقمة ثالثة وقيل لبعض منهم : مالك تأكل بأصابعك الخمس ؟ ، قال : وهل أكثر منهم .

وقيل لآخر ـ وقد تصدّر في مجلس بعض الأكابر ـ : أيها الشيخ ، اتحسن شيئاً من القرآن ؟ ، قال : نعم ، فقرأ : ﴿ **آتنا غداءنا فلقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** ﴾[1] ، فضحك صاحب البيت ، فقيل له : وهل تحسن شيئاً من الحديث ؟ ، قال نعم ، قال رسول الله ﷺ : (طعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي ثلاثة) .

فقيل له : وهل تحسن شيئاً من الشعر ؟ ، قال : نعم ، وانشد :

نحن قوم إذا دعينا أجبنا   وإذا نُنسَ يدعنا التطفيلُ

فقيل له : هل قرأت علم الحساب ؟ ، قال : نعم ، كسرتان ولحمتان صاروا

(١) سورة الكهف : ٨٢ .

أربعة .

نُقل أن طفيلياً صحب رجلاً في متنزه ، فقال له الرجل : اذهب ، فاشترِ لنا لحماً ، لنطبخه ، ونأكل ، فقال : أخاف غلبة البياعين ، وأنا رجل كثير الحيا ، فذهب الرجل ، فاشترى اللحم ، فقال للطفيلي : قم فاطبخ لنا هذا اللحم ، فقال : لا أحسن طبخ الطعام ، وأخاف أن يتلف ، فقام الرجل وطبخه ، وقال للطفيلي : هلمّ لنأكل ، فنهض الطفيلي مسرعاً ، وقال : أنا رجل كثير الحيا ، وقد استحيت من كثرة مخالفتي لك .

ونُقل أن رجلاً صنع ضيافة لأصحابه ، فحضر معهم طفيلي ، فعرفه صاحب المنزل ، فقال له : هل بعثت إليك غلامي ؟ ، قال : لا ، فقال : ما أتى بك ههنا ؟ ، فقال : إذا لم تدعني أنت ، ولم أحضر أنا ، صارت بيننا وحشة وقطيعة ، وهما بين المسلمين ذنبان لا يغفران .

ونُقل أن طفيلياً اجتاز بقوم يأكلون ، فجلس وأكل معهم ، فقيل له : أعرفت منا أحداً ؟ ، قال : نعم ، هذا ، وأشار إلى الطعام ، فضحكوا منه ، وتركوه يأكل معهم .

ونُقل أن طفيلياً اجتاز بقوم يأكلون ، فقال : هل تحتاجون إلى مساعدة ؟ ، قالوا : لا نحتاج إلا إلى الدعا ، فقال : كلوا ، لا هنّاكم الله ، فضحكوا منه ، ودعوه ، فأكل معهم .

ونُقل أن طفيلياً مر بقومٍ يأكلون ، فقال : سلام عليكم يا معشر اللئام ، فقالوا : لا والله بل كرام ، فجلس وأكل معهم ، وقال : اللهم اجعلني من الكاذبين ، واجعلهم من الصادقين ، فتركوه يأكل معهم ، وأعجبهم كلامه[1] .

---

(١) م ك : وأعجبهم كلامهم .

قصة علي بن ظاهر

ذكر ماوقع لعلي بن ظاهر، وهو ما حكاه الأصمعي.

قال الأصمعي: لما نكب علي بن ظاهر الخليفةُ، دخلت عليه متعرفاً لأحواله، متوجعاً لما سلف إليّ من إحسانه، فوجدت رجلاً قد غطّه الدهر، وهتكه الفقر، فقلت: يا سيدي، لو كشفت حالك لبعض البرامكة، لأجابك، وقبل سؤالك، فقال: هيهات أن آخذ من يدٍ أعطيتها شيئاً، ثم أنشد يقول شعراً:

يستحب الفنا علىٰ كل حال ... من يُرى دهره علىٰ الفقر جلدا
عش حميداً أو مت فقيراً بعزّ ... لا تضع بالسؤال للناس خدّا
كم لبيب أضاعه الدهر حتى ... أكل الفقر منه لحماً وجلدا
كلما زاده الزمان انخفاضاً ... زاد في نفسه علواً ومجدا

قال الأصمعي: فودعته، وخرجت من عنده، فمكثت أياماً لا أراه، ثم عدت إليه، فوجدته علىٰ صورة من العدم والضعف، فعاودته القول، فنظر إليّ مغضباً، وأنشد يقول شعراً:

الناس إخوان من دامت له النعمُ ... والويل للمرء إن زلّت به القدمُ
فالموت خير لمن قلّت دراهمه ... حياً فما مات إلا أنه صنمُ
لما رأيت اخلائي وخالصتي ... الكل منصرف عني ومحتشمُ
ابدوا جفاءً وإعراضاً فقلت لهم ... اذنبت ذنباً فقالوا ذنبك العدمُ

قال الأصمعي: فانصرفت من عنده، وتوجهت إلىٰ بلاد فارس، وكان لي

بها أصحاب من ذوي المروّات ، وكان لي عليهم رسوم ، فقلت في نفسي : أي شيء حصل لي ، أقاسمه عليه ، فمضيت ، واجتمعت بأصحابي ، فقبضت منهم الرسوم ، وعدت إلىٰ بغداد ، ومعي خمسة آلاف دينار واثني عشر ألف درهم ، فمضيت بما معي إلىٰ داره ، لأقاسمه علىٰ ذلك ، فقيل لي : إنه قد ولي حكم البصرة والفرات معاً ، فتوجهت إليه ، فرأيت النعمة قد عادت عليه ، كأنها مازالت عنه ، ورأيت من المواكب والحجّاب والحشم ما لا يمكن الدخول بينهم لكثرتهم ، فلما رآني تغرغرت عيناه بالدموع ، وأنشد يقول شعراً :

تدعوا الضرورات في الأمور إلىٰ ... سلوك ما لا يليق في الأدبِ
يا حاملاً نفسه علىٰ سبب ... إلا لعذرٍ يقوم بالسّببِ
وحيرة المرء في تطلّبه ... أحوج أحرج من أن يلح في الطلبِ

ثم قال : يا أصمعي ، لما خرجت من عندي ، ضجّت عليّ العائلة ، وأعجزني الفقر ، وقلّ صبري ، فخرجت إلىٰ الوزير يحيى بن خالد البرمكي ، وامتدحته بخمسة أبيات ، فأوصلني إلىٰ هذه النعمة ، فقلت له : بالله عليك إلا ما حدثتني بما جرى بينك وبين جعفر البرمكي قال : دخلت عليه ، وانشدته قائلاً :

لا يلحقنك ضجرة من سائلٍ ... فدوام عزّك أن تُرىٰ مسؤلا
لا تجبهنْ بالرد وجه مؤملٍ ... فاحب يوماً أن تُرى مأمولا
وأعلم بأنك عن قليل صائر ... خبراً فكن خبراً يكون جميلا
تلقى الكريم فتستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا
فامدد إليّ يداً تعوّد بطنها ... بذل النوال وظهرها التقبيلا

فقال : أيما أحب إليك ، أعطيك علىٰ قدرك ، أم على قدري ؟ ، فقلت : علىٰ قدري أصلح الله الأمير والوزير ، فأمر لي ببدره ومالاً عين وخادم يحملها

بين يدي ، فشكرته ، ودعوت له ، وودعته ، فلما صرت بباب الدار ، أمر بردّي ، فرجعت ، فقال : لم سألتنا علىٰ قدرك ، ولم تسألنا علىٰ قدرنا ؟ ، قلت : لأني رأيت ملك الدنيا لا يفي بقدرك ، فخشيت أن أكلفك ما لا تطيقه ، فطلبت علىٰ قدري ، فقال : إن كلامك أحسن من شعرك ، وأمر لي ببدرة أخرىٰ ، وخادم آخر يحملها ، فلما رأيت هذا المال كله ، بعد ذلك الفقر ، انهملت عيناي بالدموع ، فقال : مم بكاؤك ؟ ، استقلالاً بما أعطيناك ؟ ، فو الله لا ينالك من سلطانك إلا خيراً ، فقلت : والله ما بكائي على ذلك ، ولا على نفسي ، وإنما بكائي كيف تغيّب الدنيا مثلك ، ولم يجد العافون إلىٰ مثلك سبيلا ، فقال : أحسنت ، وأمر لي ببدرة أخرىٰ ثالثة ، وخادم ثالث يحملها ، ثم قال لي : أشك أنك علي بن ظاهر ، قلت : نباهتك دلتك علىٰ معرفتي ، أنا هو أيها الوزير والأمير ، فأمر في الوقت ببناء دوري وقصري التي كانت خربتها الأعداء ، وخلع علي خلعة جميلة ، وعقد لي لواء البصرة والفرات ، وأوصلني إلىٰ هذه النعمة .

قال الأصمعي : فحمدتُ الله تعالىٰ على ذلك ، وشكرت الوزير يحيى علىٰ ما أسداه إلي من المعروف ، وانصرفت من عنده مسرورا .

قلت : لله درّ علي بن ظاهر علىٰ هذا المديح ، لكن قوله : وأعلم بأنك عن قليل صائر .. البيت ، بمعزل عن البلاغة ، لا يطابق حال المقام ، لإشعاره بالمكروه للممدوح ، لو فطن له من قرب أجله ، وقطع أمله ، وهذا بخلاف قوله آخراً : وإنما بكائي كيف تغيّب الدنايا مثلك ، فإنه وإن أشعر أيضاً بما يكرهه الممدوح من الموت ، ولكن ليس فيه دلالة علىٰ أنه قريب ، أو أنه واقع عن قليل من الزمن كما في البيت .

مناظرة ست المشايخ

مناظرة بين امرأة ورجل من أهل الأدب ، في تفضيل المرد الحسان من الغلمان أو الغادات الغانيات من النسوان وهي هذه :

قال بعض الأدباء : ما رأيت في النساء أذكىٰ خاطراً ، ولا أحسن فطنة ، وأغزر علماً ، ولا أجود قريحة ، من امرأة واعظة ، من أهل بغداد ، يقال لها : (ست المشايخ) ، جاءت إلىٰ مدينة حماة سنة احدىٰ وستين وخمسمائة من الهجرة ، فكانت تعظ الناس في حماه ، علىٰ الكرسي وعظاً شافياً ، وكان يتردد إلىٰ منزلها جماعة من الفقهاء ، يطارحونها مسائل الفقه ، ويناظرونها في الخلافيات ، فمضيت إليها يوماً ومعي رفيق لي من أهل الأدب ، فلما جلسنا عندها ، وضعت بين أيدينا طبقاً من الفاكهة ، وجلست هي خلف ستر ، وكان لها أخ حسن الصورة ، غلام أمرد ، قائم علىٰ رؤوسنا للخدمة ، فلما أكلنا ، شرعنا في مطارحة الفقه ، فسألتها مسألة فقهية ، فشرعت تتكلم في جوابها ، وأنا أصغي إليها ، وجعل أخي ينظر في وجه أخيها ، ويتأمل في محاسنه ، ولا يصغي إلىٰ كلامها ، وهي تلحظه من وراء الستر ، فلما فرغت من كلامها ، التفتت إليه ، فقالت : أظنك ممن يفضل الغلمان علىٰ النسوان ؟ ، قال : أجل ، قالت : ولِمَ ذاك؟ ، قال : لأن الله تعالىٰ ، فضل الذكر علىٰ الأنثى ، وأنا أحب الفاضل وأكره المفضول ، فضحكت ، ثم قالت : اتنصفني في المناظرة ؟ ، قال : نعم ، قالت : فما الدليل علىٰ تفضيل الذكر علىٰ الأنثى ؟ ، قال : المنقول والمعقول ، أما المنقول فالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالىٰ : ﴿ **الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضل**

الله بعضهم علىٰ بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾[١] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** ﴾[٢] وقال في الميراث : ﴿ **وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾[٣] فالله سبحانه قد فضل الذكر علىٰ الأنثي في هذه المواضع ، وأخبر أن الأنثى علىٰ النصف من الذكر ، فكان أفضل منها ، وأما السنة ، فروي عن النبي ﷺ من قوله لبعض الصحابة : (اجعل دية المرأة النصف من دية الرجل)[٤] .

وأما المعقول : فإن الذكر فاعل والأنثى مفعول به ، والفاعل أفضل واشرف واعلى من المفعول به ، فقالت له : أحسنت يا سيدي ، لكن لم تأتِ بحجة من الكتاب ولا السنة ولا العقل ، ولا نطقت ببرهان ، وذلك بأن الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله ﷺ مع العقل إنما دلّوا على فضل الذكر علىٰ الأنثى لمجرد وصف الذكورة ، وهو مما لا نزاع فيه بيني وبينك ، وقد يستوي في هذا الوصف : الطفل والغلام والشاب والكهل والشيخ والهرم ، لا فرق بينهم في وصف الذكورة ، فإذا كانت الفضيلة إنما حصلت بالذكورة ، ونيطت بوصفها ، فينبغي أن يميل طبعك وترتاح نفسك إلىٰ الشيخ الهرم ، كما ترتاح إلىٰ الغلام ، إذ لا فرق بينهما في وصف الذكورة ، وإنما وقع الخلاف والنزاع بيني وبينك في المقصود من السّكن والعشرة والاستمتاع ، وأنت لم تأتِ ببرهان ، يدل علىٰ فضل الغلام علىٰ

---

(١) سورة النساء : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٣) سورة النساء : ١٧٦ .

(٤) يقرب من هذه الرواية ما رواه الكافي ج٧ ص٢٩٨ ، الرواية ١ عن أبي عبد الله عليه السلام : (إذا قتلت المرأة رجلاً قتلت له ، واذا قتل الرجل المرأة ، فان أراد القود ادوا فضل دية الرجل واقادوه بها ـ إلىٰ ان قال ـ ودية المرأة نصف دية الرجل) .

الغاده من النسوان .

فقال لها : يا سيدتي ، وكأنك ما علمت أن الغلمان باعتدال القدود ، وتوريد الخدود ، وملاحة الابتسام ، وعذوبة الكلام ، أفضل من النساء ، والدليل على المطلوب من السنة ، قول النبي ﷺ : (لا تديموا النظر إلى المردان ، فإن فيهم مسحة من الحور العين) ، ولأن الجارية إذا بالغ الواصف في وصفها ، قال : كأنها غلام ، كما قال أبو نواس شعراً :

خـود غـلاميّة مـزوّرة ... سـعديّة شـاطرية عـجب
تـفاحةٌ غـضّةٌ مـطيبةٌ ... تـغط مـن طـيبها وتستلب

وقال آخر شعراً مفرداً :

غـلاميّة الأرداف تـهتز فـي الصبا ... كما اهتز في ريح الشمال قضيب

فولا أن الغلام أفضل وأحسن في الإستمتاع ، ولذة الوصال ، لما شبّهت به الجارية ، والمشبه به أقوى في الوصف واقعد .

وأعلمي ؛ أن الغلام سلس القياد ، متابعاً على المراد ، حسن العشرة ، دمث الأخلاق ، مسارعاً إلى البغية ، لا سيما إذا استتم عذاره ، ولوى صدغه ، واخضر شاربه ، وجرت حمرة الشبيبة في وجنتيه ... قال أبو تمام شعراً :

قال الوشاة بدا في الوجه شاربه ... فقلت لا تكثروا ماذاك عائبهُ
لما استقل بأرداف تجاذبه ... واخضر فوق جمان الدرّ شاربهُ
وأقسم الورد أيماناً مغلظةً ... أن لا يفارق خديه عجائبهُ
كلّمته بجفون غير ناطقةٍ ... فكان من ردّه ما قال حاجبهُ
الحسن منه على ما كنت تعهده ... والشعر حرز له ممن يطالبهُ
أحلى وأحسن ما كانت شمائله ... أن لاح عارضه واخضر شاربهُ

وصار من كان يلحى في محبته ... إن سيل عني وعنه قال صاحبه

وقال آخر شعراً :

قالوا التحى فستسلو عنه قلت لهم ... اليوم غيّب عنكم منه أحسنه

كنا نزرجن خديه بغاليةٍ ... فقد كفا الله ما كنا نزرجنه

وقال آخر شعراً :

ولاسودادٍ بخديه وعارضه ... لم تستطع نظراً في وجهه بشرُ

كم بين أرض قفار لا نبات لها ... وبين أرض بها الأنوار والزهرُ

وقال آخر شعراً :

وذي دلالٍ على الأرواح مقتدر ... له عذاران من محلولك الشعرِ

قد يشبهان على توريد وجنته ... جنحاً من الليل غطى حافتي قمرِ

فهذه فضيلة في الغلمان ، لم تعطها النسوان ، وكفى بذلك العذار ، واخضرار الشارب عليهنّ فخراً ومزيّة .

فقالت : يا سيدي ، إنك شرطت على نفسك أن تنصفني في المناظرة والآن قد تكلّمت في المقصود ، وما قصّرت ، ودلّلت على ما ذكرت ، والآن قد حصحص الحق ، فلا تعدل عن سبيله ، وترجع عن تحصيله ، بالله عليك ، أين الغلام من الفتاة الغضة ، التي كأنها السبيكة الفضة ، الرخمة الدلال والكلام ، الحسنة القوام ، فهي كقضيب الريحان ، بثغر كالأقحوان ، وشعر كالأرسان ، وخد كشقائق النعمان ، ووجه كتفاح لبنان ، وثدي كالرمان ، بأربعة أعكان ذات قدّ معتدل ، وجسم منجدل ، وأنف كخد اللائح ، وجبين واضح ، وحاجبين مقرونين ، وعينين كحلاوتين ، إن نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها ، وإن تبسّمت ظننت أن البرد يتلألأ من بين شفتيها ، بذقنٍ فيه خاتم ، قد ختم في

الحسن ، وسالفةٍ كأنها سالفة جودر ، قد خط بسواد كأنّه السواد الذي في حافتي القمر ، فيه زغب كأنه مذبّ النمل ، ومدرجه الدرّ ، وشفتين حمراوتين الين من الزبد ، وأحلى رشفاً من الشهد ، وصدر كصدر التمثال ، فيه ثديان كأنهما حقاً عاج ، وبطن لطيف الكشح ، وعكن قد تقطعت وانطوى بعضها على بعض ، وفخذان لحيمان ملتفان ، وارداف كأنهما سبائك الفضة ، وقذتان لطيفتان ، وكفان كأنهما عجنا من دقيق السميد بدمع عاشق ، تحدّر في إثر معشوق ، قد جمع الله فيهما كل حسن ، خلوتها شفاء ، وحديثها دواء ، جميلة المنظر ، جيدة المخبر ، عطرة خفرة ، مع حلاوة كاملة ، وبشاشة فاضلة ، هيهات لقد قايست بينها وبين الغلام ، فماثلت بينهما في الأقدام ، يا مسكين ، أين الانس من الجان ، والحص من المرجان ، أما علمت أن الملوك القادة ، والأشراف السادة ، أبداً للنساء خاضعون ، وعليهم في التلذذ معتمدون ، وبهم يقولون ، قد ملكْنَ الرقاب ، وسلبْنَ الألباب ، فكم غني أفقرْنه ، وعزيز أذللنه وشريف استخدمنه ، قد فتنَّ الأدباء ، وهتكْنَ الأتقياء ، وصيّرن أهل النعيم أشقياء ، ومع ذلك[1] ، لا يزداد الخلق لهنَّ إلا محبة وإجلالاً ، ولا يعدون ذلك ضيماً واذلالاً ، فكم عبد قد عصى فيهنَّ ربه ، وآخر قد اسخط أباه وأمه ، كل ذلك لغلبة هواهنَّ على القلوب ، يا مسكين ، أما علمت أنهنَّ[2] تبنى لهنّ القصور ، وعليهن تسدل الستور ، ولهنَّ الجواهر ، ويصْنع لهنَّ كل ثوبٍ فاخر ، ولهنَّ يتخذ المسك الأذفر والحلي والعنبر ، ولأجلهن تجتمع العساكر ، وتعقد الدساكر ، وتجتمع الأرزاق ، وتضرب الأعناق ، ومن قال : إن الدنيا عبارة عن النساء كان صادقاً .

---

(١) غير موجودة وهي من وضعي حتى يستقيم الكلام .

(٢) م ك : أن .

وأما ما ذكرت من الحديث ، فهو حجة عليك لا لك ، لأن النبي ﷺ قد شبّه المردان بالحور العين ، ولم يشبهم بالولدان ، والمشبه كما ادعيت أولاً أفضل وأقوىٰ ، فلولا النساء أفضل وأحسن ، لما شبّه بهنّ غيرهنّ .

وأما قولك : إن الجارية تُشبّه بالغلام فليس الأمر كذلك ، إلّا أن يقال : إن ذلك من عكس التشبيه ، مبالغة في الحسن النبيه ، فإن الغلام أبداً يُشبّه بالجارية عند أهل الأدب العقلاء ، العارفين بمواقع الحسن والجمال ، والقد والإعتدال ، فيقال : هذا غلام كالجارية ، أو كأنه جارية .

وأما اللّاطة العادون ، والفسقة المخالفون ، الذين ذمّهم الله في كتابه[1] الكريم ، وأنكر عليهم فعلهم الشنيع ، فقال : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون** ﴾[2] ، فهؤلاء هم الذين شبّهوا الجارية بالغلام ، وذلك من جهلهم وفسقهم وفاحشتهم ، وقالوا : إنها تصلح للأمرين جميعاً ، بغياً منهم وعدولاً عن جادة الصواب ، كما قال كبيرهم الذي علّمهم السحر ، أبو نواس شعراً :

عكورة الخصر غلاميّةٌ   تصلح لَوطي والزّاني

وقال الفاسق الآخر :

وصيفةٌ كالغلام تصلح للأمرين   تختال في تثنيها

وأما ما ذكرته من نبات العذار ، واخضرار الشارب ، وأن الغلام يزداد به حسناً وجمالاً ، فلقد عدلت عن الطريق ، وقلت غير التحقيق ، أما سمعت الشاعر حيث يقول :

---

(١) م ك : كتابهم .

(٢) سورة الشعراء : ١٦٥ .

لي صديق قد التحى بعدما كا ... نت له وجنةٌ يُرى الحسن فيها
صار كلباً وكان قدِماً غزالاً ... وله ما ترى العيونُ شبيها

وقال آخر :

بدا الشعر في وجهه فانتقم ... لعاشقه منه لما ظلمْ
ولم أرَ في وجهه كالدخان ... إلا وأسفله كالحممْ
إذا اسود فاضل قرطاسه ... فما ظنكم بمكان القلمْ
فإن فضلّوه على مابه ... فماذاك إلا لحمل العلمْ

وقال آخر :

يا لحية في نباتها فرجي ... انهب منه مواضع البهجِ
لم ينبت الشعر فوق عارضه ... إلا وأضعافه على السرجِ

وقال آخر :

ميت مات في محل قراره ... لم يغب عن محلّه وجواره
سوّد الشعرُ عارضيه فغابت ... شمس خديه في سحاب نهاره
قد علِمنا وليس ذاك بشك ... أن من مات سودوا باب داره

يا سبحان الله ، كيف يخفى عليك ، أن كمال اللذة في النساء ، وأن النعيم المقيم لا يكون إلا بهنّ ، وذلك أن الله تعالى وعد الأنبياء والأولياء وأهل الجنة ، في الجنة بالحور العين ، ووصفهُنّ بأنهُنّ كاللؤلؤ المكنون ، وأنهنّ قاصرات الطرف أتراب ، وأنهنّ مقصورات في الخيام ، والمراد والله أعلمَ : هو التمتع منهنّ والتلذذ بالوصال على الدوام ، والإتصال جزاءً لأعمالهم الصالحة ونياتهم[١] الخالصة ، ولم يذكر الولدان ، ويصفهم بالخلود إلا لخدمتهم للحور

(١) م ك : اعمالهن الصالحة ، ونباتهن ، والظاهر أنه سهو والصحيح ما أثبتناه .

وأزواجهنّ ، ووقوفهم بالكأس الدهاق علىٰ رؤوسهنّ ، وإن كان في الغلمان العذار وقلنا بأنه من المحسنات ، فإن[١] الجارية وإن خلا[٢] وجهها من الزغب المحسن المطرب ، فكم فيها من المحسنات ماليس في الغلام من رمان النهود ، ومسترسل الشعور ، وصلاحها للأمرين ، كما رجّحها به علىٰ الغلام بعض الفسّاق ، المذكور شعره عن قريب ، ولقد أحسن وأجاد ، ولم يخطئ القصد والمراد ، من قال شعراً :

لحاجة المرء في الأدبار أدبار ... والمائلون إلىٰ الأحرار أحرارُ
كم من قطيف ظريف بات مختطفاً ... ردف الغلام فأضحىٰ وهو عطّارُ
تصفرّ أثوابه من ورس فقحته ... فيستبين هناك الخزي والعارُ
لا يستطيع جحوداً إذ يفنده ... لنا وفي ثوبه للسلح آثارُ
كم بين ذاك ومن باتت مطيته ... حوراء ناظرها بالسّحر سحّارُ
يقوم عنها وقد أهدت له أرجاً ... من عنبر ضوعت مشمومه النارُ
ليس الغلام لها عدلاً يقاس بها ... وهل يقاس بذي الثديين أقذارُ

ثم قالت : يا قوم ، لقد أخرجتماني عن قانون الحياء ، ودائرة احرار النساء ، إلى ما لا يليق بالعلماء من اللغو والفحشاء ، ولكن الأسرار عند الأحرار ، والمجالس بالأمانات ، وأنا أستغفر الله لي ولكما ولسائر المسلمين إنه الغفور الرحيم ، ثم سكتت ، فلم تجبنا عن شيء بعد ذلك ، فخرجنا من عندها مسرورين ، بما استفدنا من مناظرتها مغتبطين .

---

(١) م ك : فا .

(٢) م ك : خلى .

حكايات متفرقة

قيل : هربت لراعٍ نعجة ، وكان اطروشاً ، فلقيه اطروشا آخر ، فسأله عن نعجته ، فظنّ أنه يسألهُ عن الطريق ، فقال : أمضِ من هنا ، فمشى ، فوجدها ، فقال : ما جزاء الذي دلّني علىٰ نعجتي إلا أن أكرمه ، وأحسن إليه ، ثم إنه عمد إلىٰ كبش مكسور القرن ، فجاء به إليه ، وقال له : يا أخي ، أنت دللتني علىٰ نعجتي ، وقد وجدتها ، وأريد أن تقبل مني هذا ، فظن أنه يقول : أنت كسرت قرن كبشي ، فقال : والله ما كسرته ، ولا رأيته إلا هذه الساعة ، فقال : خذ هذا هبة مني إليك ، فقال : يا أخي ما كسرت شيئاً ، ولم يزالا في خصام ، حتىٰ مر بهم اطروش آخر ، وهو راكب علىٰ حماره ، فمسكوا حماره ، وقال له صاحب الكبش : يا أخي ، هذا دلّني علىٰ نعجة لي ، ضاعت مني ، فأتيته بهذا الكبش ، فلم يقبله مني ، فقال الأطروش الأخر : هذا أحمق ، يقول إني كسرت قرن كبشه ، فظنّ صاحب الحمار أنهما يقولان : هذا حمارنا ، فقال : ما حاجة إلىٰ هذا الجدال ، وأكره الكلام ، أقيموا بينة أن هذا حماركم ، وخذوه ، فلم يزالوا في خصام وجدال ولكام إلىٰ أن أتى من خلّص بينهم .

ومن النكت العجيبة ، والأجوبة المصيبه : ما نقل أنه قدم وفد الحجاز علىٰ عمر بن عبد العزيز ﷺ ، فتقدم منهم غلام صغير السن ، قال له عمر : ليتقدم من هو أسن منك .

فقال : أيها الأمير ، إنما المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه ، فإذا منح الله تعالى

عبده لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ، واستحق التقدم ، وعرف فضله من سمع خطابه ، ولو كانت الإمرة بالسن لكان في الناس من هو أحق بمجلسك هذا .

فقال له عمر : صدقت يا غلام ، تكلم .

فقال : أيها الأمير ، نحن وفد التهنئه ، لا وفد المرزية ، لم يقدمنا عليك رغبة في مال ، ولا رهبة من حال ، لأنّا قد أدركنا في أيامك ما أملّنا ، وآمنا مما خفنا .

قال الراوي : فأعجبه عذوبة منطقه ، وفصاحته نطقه ، فسأل عن سنه ، فقيل : عشر سنين ، ثم سأل عنه : فإذا هو من أولاد الحسين عليه السلام .

نُقل : لما قدم وفد العراق علىٰ معاوية ، قال : مرحباً يا أهل العراق ، قدمتم ارض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر ، قدمتم علىٰ خير أمير ، يبرّ كبيركم ، ويرحم صغيركم ، ولو أن الناس كلهم ، ولد أبي سفيان ، لكانوا حكماء عقلاء ، فأشار الناس إلىٰ صعصعه بن صوحان ، فقام علىٰ قدميه ، فحمد الله واثنى عليه ، وذكر النبي فصلى عليه ، ثم قال : يا معاوية ، أما قولك انا قدمنا أرض الله المقدسة فلعمري ما الأرض تقدّس الناس ، ولا يقدس الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : إن منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها كافراً ولا يضر بعدها مؤمناً .

وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حكما عقلا ، فقد ولد الناس آدم عليه السلام ، وهو خير من أبي سفيان ، فمنهم الحليم والسفيه والعالم والجاهل .

نُقل : أنه نزل بهشام بن عبد الملك قوم من أخواله من اليمن من كلب ،

ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم ، مثل حاتم طي وأضرابه ، فأشار هشام لخالد بن صفوان ، فقام خالد وقال : هم أخوالك أيها الملك ، قال : أجب القوم ، فقال : ما عساني أن أقول أيها الملك في قوم هم ـ أو جلهم ـ حاكة برود ، وسيّاس قرود ، ودبّاغة جلود ، دلّ عليهم هدهد ، وملكتهم امرأة ، وغرقتهم فارة .

قال الراوي : فلم تقم لأهل اليمن قائمة بعد كلام خالد أبداً .

نُقل : أنه دخل خالد بن صفوان هذا إلىٰ الحمام ، فسمع خادم هشام يقول : (الحمد لله الذي فضّلنا علىٰ كثير من خلقه) ، فقال خالد : والله مافي الأرض شيء له خصيتان إلا وقد فضّله عليك .

نُقل : أن عمر بن عبد العزيز ﵀ قال لابن سلّامة الحميري : قومك الذين قالوا : ﴿ ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾[1] ، فقال : نعم أيها الأمير ، وقومك قالوا : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾[2] ، فكأنه قد القمه حجراً ، فلم يرد جواباً .

نُقل : أن عبد الله بن حازم ، قال لقهرمان له : إلىٰ أين يا هامان ؟ ، فقال له : لأبني لك صرحاً ، فخجل وندم على سؤاله .

ومن الجوابات المستحسنة المسكته ، ما قاله معن بن زائدة بحضرة المنصور العباسي ، وقد قال له : كبرت يا معن ، قال ؛ في طاعتك أيها الأمير ، فقال : إن فيك لبقية ، قال : هي لك ، قال : وإنك لجلد ، قال : على أعدائك ، قال : أيما أحب إليك ، أي الدولتين : دولتنا أم دولة بني أمية ؟ ، قال : ذلك أيها الأمير ، إن زاد برك علىٰ برهم ، كانت دولتك أخير إليّ .

---

(١) سوره سبأ : ١٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٣٢ .

أ علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

خاتمة الكتاب

اللهم اجعل لي الآخرة خيراً لي من الأولى ، وارزقني ملازمة ماهو الأفضل لي والأَولىٰ ، وقد اتفق الفراغ من هذه المجلدة الأولىٰ من الكشكول ، زوال الشمس من يوم الثلاثاء ، رابع عشر من شهر رمضان المبارك في سنة إحدى وعشرين بعد الألف والمائتين ، في الجامع الأعظم والمعبد المعظّم ، الجامع الأموي ، في دمشق الشام ، عند ضريح يحيى بن زكريا ، تجاه القبله ، وتجاه مزار الخضر عليه السلام ، ومزار داوود عليه السلام ، ومزار مريم بنت عمران عليها السلام ، على يد جامعه ومؤلفه : إبراهيم بن مهدي بن حسن بن عيسىٰ بن علي بن عرفات بن عيد بن قوام القديحي القطيفي ، وقد وفينا بالعهد ، من كون المجلدة خمسة وعشرين كراسة بحجم الربع ، الكراسة إثنا عشر ورقة ، وهكذا كل مجلدة خرجت من كشكولي هذا ، إن شاء الله تعالىٰ ، حامداً ومصلياً .

وقد انتهيت من تبييضه في تمام الساعة الواحدة ليلاً من يوم ١٧ رمضان في سنة ١٤١٥ هـ، وقد مضى على تأليف الكتاب حوالي ١٩٤ عاماً ، وقد استغرقت مدة التبييض حوالي خمسة أشهر ونصف ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

عبد الغني أحمد العرفات

المحتويات